المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

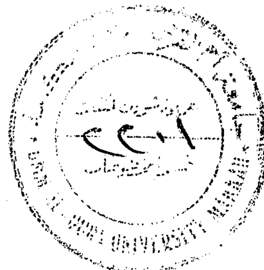
الرقابة الادارية فى الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٢٤٧هـ
٧٤٩ ـ ٨٦١م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
فى الحضارة والنظم الاسلامية

اعداد الطالب
حسن بن على بن عون ذوى على الحارثى الشريف

اشراف الأستاذ الدكتور
مريزن سعيد عسيرى

المجلد الأول
١٤١٤هـ/١٩٩٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،، وبعد .

فقد أشتملت الرسالة على ثلاثة فصول رئيسية ومقدمة وتمهيد وخاتمة ، وتناولت بالدراسة موضوع « الرقابة الإدارية في الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وحتى سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م » وقد أُكد خلال الرسالة على أن الرقابة تعد من الأسس الثابتة في النظام الإداري الإسلامي . حيث أرست الشريعة الإسلامية قواعدها التي تطورت مع أحتياجات الدولة المزدهرة .

كما أُوضح أن الرقابة الإدارية لم تكن مقتصرة على ملاحظة تصرفات العاملين فحسب وإنما تتعدى ذلك حيث تبدأ بأختيار الموظف المناسب في المكان المناسب كل حسب كفاءته وملاءمته لطبيعة عمله ، وهي المرحلة الأولى من مراحل الرقابة الإدارية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الإشراف والتوجيه ويقصد بها مباشرة المسؤولين لمهامهم ومعرفتهم لما يقوم به الموظفون من اعمال ، وإمدادهم بالنظم ألتي عليهم الإلتزام بها ، مع تقديم التوجيه والإرشاد لهم متى اقتضى الأمر ، ثم تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل الرقابة الإدارية المتمثلة في المتابعة والمحاسبة والتي من خلالها تتم معاقبة كل من قصر في عمله أو تعدى حدود سلطته أو قام بما يوجب العقوبة .

وأُوضح أن الخليفة هو الذي كان يقوم بمهمة الرقابة الإدارية على كبار موظفي الدولة ، في حين يقوم كل مسؤول منهم بمراقبة من هو دونه حسب التدرج الوظيفي ، هذا مع وجود دواوين مستقلة ومجالس متخصصة أنشئت لمراقبة تصرفات الموظفين في مختلف الأعمال .

واخيراً أُوضح أن للرقابة طرقاً ووسائل يمكن من خلالها التعرف على تصرف موظفي الدولة يأتي في مقدمتها دور ولاة البريد وأصحاب الأخبار ، كما تعين تظلمات الرعية على كشف جانب من تصرفات الموظفين ، إضافة إلى ما ينقلة الوفود ويكتب به الأمناء إلى الخليفة من أحداث .

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
حسن علي عون ذوى علي الحارثي الشريف	ا . د . مريزن سعيد عسيري	د . عابد السفياني

شكـــر وتقديـــر

شكر وتقدير :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الشكر لله اولاً وآخراً على ما أنعم به وتفضل من إنجاز هذا البحث ، فله الحمد وله الشكر وله الثناء الحسن .

ثم الشكر لأستاذي الفاضل سعادة الإستاذ الدكتور / إبراهيم نجيب محمد عوض – المشرف السابق – الذي بذل الكثير من وقته وجهده ، ولم يتوان في رعايتي وتوجيهي ، ليخرج هذا البحث على أحسن وجه ممكن ، وكان ولا يزال نعم المعلم والمربي ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور / مريزن سعيد عسيري – المشرف الحالي – الذي كان لترحيبه بالإشراف على رسالتي أكبر الأثر في نفسي فله مني كل شكر وتقدير ، وجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لمعالي مدير جامعة أم القرى ، ولسعادة عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، وسعادة رئيس قسم الحضارة والنظم الإسلامية ، على رعايتهم وإهتمامهم .

كما أتقدم بالشكر والإمتنان لكل من قدم لي يد العون من الأساتذة الأفاضل ، والاخوة الزملاء ، الذين أستفدت من آرائهم وأفكارهم ومكتباتهم .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بعظيم الشكر والعرفان لوالدي العزيز أمد الله في عمره ، الذي كان لرعايته وحسن توجيهه أكبر الأثر في مواصلة تعليمي ، وقد بذل كل ما في وسعه حتى أكون متفرغاً للدراسة ، وكان يتابع بأهتمام أخبار تقدمي في البحث أولاً بأول ، ويدعو الله لي دائما بالتوفيق والنجاح ، فله مني كل شكر وتقدير ، وأسأل الله أن يديم عليه نعمة الصحة والعافية ، وأن يضاعف أجره أنه سميع مجيب .

الباحث

مقدمة

وتشتمل على : سبب اختيار الموضوع

وبيان منهج البحث فيه

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :

ان دراسة موضوع الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية ، من الدراسات الحديثة ، التى تعرض لها ندرة من الكتاب المعاصرين ، مع انها تعد من أهم الموضوعات التى تمس الكيان التنظيمى للدولة الاسلامية .

فقد أرست الشريعة الاسلامية قواعدها التى تطورت مع احتياجات الدولة المزدهرة ، حتى أصبح لها مؤسسات خاصة ، تباشر رقابة فعالة ومستمرة ، تهدف الى حماية الادارة من العبث والضياع ، هذا بجانب الرقابة الذاتية التى غرستها العقيدة الاسلامية الصادقة فى نفوس المسلمين .

وهيكل الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية ، الذى يباشر الرقابة على أجهزة الدولة المختلفة ، عن طريق تنظيماته الفذة ، وما اتبعه من أساليب ووسائل تساعد على معرفة مايدور داخل الادارة ، لم يكن قيدا على حرية العاملين ، متى كانت تصرفاتهم تتمشى مع المنهج السوى .

والرقابة الادارية ليست مقتصرة على ملاحظة تصرفات العاملين فحسب ، وانما تتعدى ذلك ، حيث تبدأ باختيار الموظف المناسب فى المكان المناسب ، كل حسب كفاءته وملاءمته لطبيعة عمله ، وهى المرحلة الأولى من مراحل الرقابة . ثم تأتى بعد ذلك مرحلة الاشراف والتوجيه ، ويقصد بها مباشرة المسؤولين لمهامهم ومعرفتهم لما يقوم به الموظفون من أعمال ، وامدادهم بالنظم التى عليهم الالتزام

بها ، مع تقديم التوجيه والارشاد لهم متى اقتضى الأمر ذلك . ثم تأتى المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل الرقابة المتمثلة فى المتابعة والمحاسبة ، والتى من خلالها يتم معاقبة كل من قصر فى عمله ، أو تعدى حدود سلطته ، أو قام بما يوجب العقوبة .

والرقابة الادارية فى الاسلام منوطة أصلا بولى أمر المسلمين يباشرها بنفسه ، ويستعين بمن يثق فى أمانته وعدالته ، غير أنه نظرا لاتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وماتبع ذلك من كثرة موظفى الدولة من وزراء وولاة وقضاه وعمال حرب وخراج وكتاب دواوين ... وغير ذلك ، اقتصر ولى الأمر على مراقبة كبار موظفى الدولة ، فى حين يقوم كل مسؤول من هؤلاء بمراقبة من هو دونه حسب التدرج الوظيفى ، هذا مع وجود دواوين مستقلة ، ومجالس متخصصة انشئت لمراقبة تصرفات موظفى الدولة فى مختلف الأعمال .

وللرقابة طرق ووسائل يمكن من خلالها التعرف على تصرفات موظفى الدولة ، يأتى فى مقدمتها دور ولاة البريد وأصحاب الأخبار ، كما تعين تظلمات الرعية على كشف جانب من تصرفات الموظفين ، اضافة الى ماينقله الوفود ويكتب به الأمناء الى ولى الأمر من أحداث .

وقد لفت نظرى وشد انتباهى هذا النظام الرائع للرقابة الادارية فى الاسلام ، فعقدت العزم على دراسة هذا الموضوع ، حيث كان عنوان بحثى "الرقابة الادارية فى الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وحتى سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م" .

وكان من الممكن البدء فى دراسة موضوع الرقابة الادارية منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين ، أو فى عصر بنى أمية ، غير أن ذلك كان موضوع

بحث لزميل لي في مرحلة الدكتوراه – مع المشرف السابق – بعنوان "الرقابة الادارية في الدولة الاسلامية منذ قيامها حتى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م" .

وكنت قد عرضت الموضوع على أستاذي المشرف فوافق عليه بعد أن طلب مني بذل الجهد في مراجعة قوائم الرسائل الجامعية داخل المملكة وخارجها ، للتأكد بأن موضوع الدراسة لم يبحث من قبل .

وبعد سنة كاملة قضيتها بين البحث والقراءة حول الموضوع ، لم أجد مايشير الى أن موضوع الدراسة سبق بحثه ، سواء في رسالة علمية أو مؤلف مستقل . عندها استعنت بالله وقمت بتسجيله .

وقد كنت بحمد الله موفقا عند اختياري فترة دراسة هذا الموضوع ، فخلفاء هذه الفترة من بني العباس كانوا في الغالب أقوياء بيدهم زمام الأمور ، في حين نجد أنه بعد مقتل المتوكل في سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م تغلب القواد الأتراك على الدولة ، وتسلطوا على شئون الخلافة . وفي ذلك يقول ابن طباطبا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) "أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة في أيديهم كالأسير ، ان شاؤوا أبقوه ، وان شاؤوا خلعوه ، وان شاؤوا قتلوه". (١) ويقول المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) ان المتوكل "قتله الأتراك وتحكموا من حيئذ في ممالك الدنيا" (٢)

---

(١) ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) . الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م ص/٢٤٣ .

(٢) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زيادة . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م ١٧/١ .

ولقد اعتاد بعض المؤرخين ، أن ينهوا العصر العباسى الأول بموت الواثق سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ، ولعله من الأصح أن ينتهى بمقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م "فان عهد هذا الخليفة كان تتمة فى نواحيه السياسية خاصة ، وفى النواحى الفكرية والاجتماعية للعصر الذهبى الأول" (١) . يقول الثعالبى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) أن مقتل المتوكل كان "ثلمة الاسلام ، وعنوان سقوط الهيبة ، وتاريخ تراجع الخلافة" (٢) .

ان قوة شخصية الخليفة ، تعنى قيامه بمهمة الرقابة على شئون دولته ، وهذا بلاشك يجعل لدينا الكثير من الشواهد التاريخية ، التى تثرى البحث فى هذا الجانب .

اضف الى ذلك ، فان هذه الفترة من العصر العباسى ، شهدت ظهور مناصب هامة فى الدولة كالوزارة وقضاء القضاه ، ولكل منهما دور محدد فى الرقابة ، هذا مع بروز دواوين جديدة ذات مهمة رقابيمة خاصة ، كديوان المظالم ، ودواوين الأزمة ، وديوان زمام الأزمة .

ولعل الأسباب السابقة هى التى جعلتنى أختار موضوع البحث محددا فى اطاره التاريخى المقترح ، اضافة الى الرغبة الأكيدة فى اظهار الوجه المشرق للدولة الاسلامية ، والرد على اباطيل المغرضين ، حيث وضعت له خطة تتكون من

---

(١) د. شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م ٤٠٩/٢ .

(٢) الثعالبى : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) . ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف ، القاهرة ، بدون ، ص/١٩٠ .

ثلاثة فصول رئيسية ، ومقدمة وتمهيد وخاتمة . جاءت مفصلة على النحو التالى :

مقدمة : وتشتمل على سبب اختيار الموضوع وبيان منهج البحث فيه .

تمهيد : ويتضمن مايلى :

أولا : تعريف الرقابة الادارية وبيان أنواعها . حيث تحدثت عن المدلول اللغوى لكلمة الرقابة ، ومن ثم تحديد مفهوم الرقابة فى الادارة المعاصرة ، ثم بيان أنواع الرقابة الادارية .

ثانيا : مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام . وقد أوردت مايثبت مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام ، مدللا على ذلك ببعض الشواهد من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، كما سقت مجموعة من أقوال الفقهاء فى هذا الخصوص .

ثالثا : نبذة عن نشأة الرقابة الادارية وتطورها فى الدولة الاسلامية قبل فترة البحث . وقد تحدثت عن ذلك بشكل موجز حيث أوضحت كيفية الأخذ بمبدأ الرقابة الادارية ، وماحدث لها من تطور خلال عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بنى أمية .

الفصل الأول : رقابة الخليفة . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اختيار العمال . وقد تناولت فى هذا المبحث ضوابط اختيار كبار موظفى الدولة ، مراعيا فى ذلك الترتيب الزمنى للخلفاء ، وهو نفس الأسلوب الذى اتبعته فى المبحثين التاليين .

المبحث الثاني : الاشراف والتوجيه . وفيه تعرضت للحديث عن مدى اضطلاع الخلفاء بتدبير شئون دولتهم ،



ومعرفتهم بما يجرى فيها من أحداث ، ومايصدر عن كبار الموظفين من تصرفات .

المبحث الثالث : المتابعة والمحاسبة . وفيه أوردت نماذج لأهم حالات الرقابة خلال فترة البحث ، وقد أغناني ذلك عن تكرار المعلومات في الفصل الرابع والأخير الذى كان مقترحا في الخطة بعنوان "نماذج من تطبيقات الرقابة الادارية في فترة البحث" ، وقد أوضحت في هذا المبحث أيضا أسباب المحاسبة وأنواعها .

الفصل الثاني : رقابة العمال والدواوين . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : رقابة الوزير والوالي والمشرف . وقد تحدثت فيه عن الدور الرقابي لكل مسؤول من هؤلاء ، كل داخل مجال عمله ، وحدود سلطته ، ونوع اختصاصه ، مع بيان التفاوت في السلطات الممنوحة لهم ، والتي تختلف من عهد خليفة لآخر .

المبحث الثاني : رقابة قاضي القضاه والقاضي والمحتسب وفيه تناولت الحديث على غرار المبحث السابق .

المبحث الثالث : رقابة الدواوين . وفيه تحدثت عن أهم الدواوين ذات الوظيفة الرقابية مثل ديوان المظالم ، ودواوين الأزمة ، وديوان زمام الأزمة ، حيث أوضحت مهامها التي أنشئت من أجلها ، كما أوردت أهم المجالس المتخصصة داخل الدواوين بشكل عام التي لها مهمة رقابية ، وكذلك الدفاتر والمستندات الحسابية .

الفصل الثالث : طرق ووسائل الرقابة الادارية . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ديوان البريد . وقد تحدثت فيه عن دور ولاة البريد وأصحاب الأخبار فى نقل المعلومات الى الخليفة ، وكيفية مراقبتهم لكبار الموظفين فى جميع البلدان ، ومختلف الأعمال .

المبحث الثاني : التظلم والاستعداء . وقد أوضحت فيه ماللشكوى من دور فى تحريك الرقابة ، وذلك من خلال عرض بعض النصوص التى احتفظت بها روايات المصادر فى هذا الخصوص .

المبحث الثالث : الوفود والأمناء . وقد تناولت فيه الحديث على غرار المبحث السابق .

خاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث .

وختاما أسأل الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فى تناول هذا الموضوع ، واستيفائه على الوجه المطلوب ، والحمد لله رب العالمين .

التعريف بأهم المصادر والمراجع

التعريف بأهم المصادر والمراجع

أولا : التعريف بأهم المصادر .

(١) كتاب الخراج (*) :

لأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصارى الكوفى البغدادى (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) ، وهو من أشهر الكتب التى وصلت الينا عن الخراج وغيره من موارد الدولة المالية مثل العشور والصدقات والجوالى ، اضافة الى تعرضه لمواضيع أخرى خاصة بالجنايات والعلاقات الدولية وغير ذلك من الأمور الفقهية ، وقد عرض الكتاب بأسلوب السؤال والجواب ، حيث قام الرشيد بطرح عدة أسئلة على أبى يوسف فجاءت أجوبته عليها مشتملة على مواضيع الكتاب ، والهدف من ذلك رغبة الرشيد فى استتباب الأمن والعدالة فى دولته ، ورفع الظلم عن الرعية ، واصلاح أمورهم ، وقد جاء فى الكتاب نصائح قيمة وجهت للرشيد فيما يخص ادارة الدولة ومحاسبة العمال ، وقد أفاد البحث من هذا الموضوع عند تناول موضوع مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام ، وكذلك فى مبحث الاشراف والتوجيه ومبحث المتابعة والمحاسبة ، حيث أورد أبو يوسف بعض الشواهد التى تدل على أهمية الرقابة الادارية وضرورة اعمال ولى الأمر لها ، مع تأكيده على محاسبة العمال حتى لاينتشر الظلم ، كما تحدث أيضا عن موضوع المظالم ، وضرورة جلوس الخليفة لها ، لكى ينتهى العمال عن ظلم الرعية ، وقد أفاد من ذلك فى مبحث التظلم والاستعداء ، كما أفاد أيضا من

(*) تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، طبعة دار الاصلاح (بدون)

المعلومات التى قدمها عن البريد ودوره فى الرقابة فى المبحث الخاص بديوان البريد .

وقد تعرض أبو يوسف للانحرافات التى كانت سائدة فى الدولة آنذاك ، وقدم الى الرشيد مقترحات عملية باصلاحها على مايوافق العدل ، وقد أفاد البحث من ذلك فى موضوع مراقبة العمال وبث العيون عليهم ومعرفة أخبارهم .

والكتاب فى مجمله يدل على اهتمام الرشيد بشؤون دولته والاشراف عليها ، وحرصه على رفع الظلم عن الرعية ، واصلاح الاخطاء والانحرافات الموجودة بها .

(٢) كتاب بغداد (*) :

لابن طيفور أحمد بن طاهر الكاتب (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) وهو كتاب تاريخى خاص بعهد الخليفة المأمون ، اشتمل على أحداث شتى ، أفيد منه فى التعرف على شخصية المأمون وكيفية ادارته للدولة ، حيث قدم معلومات هامة فى هذا الجانب ، كما أفيد منه فى مبحث اختيار العمال ، ومبحث الاشراف والتوجيه وكذلك مبحث المتابعة والمحاسبة ، حيث أشار الى المؤهلات التى كان يمتاز بها العمال سواء الوزراء والولاه أو القضاه وغير ذلك ، كما أوضح أسباب عزلهم وطريقة محاسبتهم ، وقدم معلومات هامة عن دور الوزراء فى الرقابة خلال عهد المأمون . اضافة الى تلك المعلومات التى قدمها عن البريد كأحد أهم طرق الرقابة الادارية .

(*) تصحيح محمد زاهد الكوثرى ، مراجعة عزت الحسينى ، طبع سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

(٣) كتاب تاريخ اليعقوبى (*) :

لليعقوبى أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ/بعد ٩٠٥م) عرض فيه تاريخ كل خليفة على حده ، وهو كتاب تاريخى شامل تحدث فيه عن شخصية الخلفاء وكيفية اشرافهم على شئون الدولة ، وبعض أحداث المتابعة والمحاسبة ، كما أورد أسماء بعض الدواوين ، وأمثلة لطرق ووسائل الرقابة الادارية ، وكان يختم عهد كل خليفة بذكر عماله ، وأصحاب النفوذ فى دولته ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب فى أغلب فصوله ومباحثه .

(٤) كتاب أخبار القضاه (**) :

لوكيع محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) وهو كتاب خاص بأخبار القضاه ، من حيث التعريف بهم ، ومايتصفون به من العلم والفقه ، وسرد بعض أقضيتهم ، ومعرفة سيرهم ومذاهبهم ، وذلك فى معظم أقطار الدولة الاسلامية ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب فى معرفة أحوال القضاه وسبب اختيارهم وذلك فى موضوع اختيار القضاه ، وكذلك ماأشار اليه من سبب عزلهم ، وكيفية مراقبتهم من قبل الخلفاء ، وقد أفاد البحث منه فى مبحث المتابعة والمحاسبة ، وفصل طرق ووسائل الرقابة الادارية .

(٥) كتاب تاريخ الأمم والملوك (***) :

للطبرى محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، وهو من أشهر كتب التاريخ المتقدمة ، وقد رتبه الطبرى على منهج النظام

(*) طبعة دار صادر بيروت لبنان (بدون) .
(**) طبعة عالم الكتب بيروت لبنان (بدون) .
(***) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الرابعة (بدون) .

الحولى ، حيث يسرد أحداث كل حولية ثم يختتمها بذكر من أقام الحج للناس وأسماء الولاه على الأقاليم ، وقد ركز الطبرى عموما خلال تناوله لتاريخ العصر العباسى على أخبار المشرق وبلاد الحجاز والشام ، أما مصر وشمال افريقيا والأندلس فلم يتعرض لتاريخها الا لمما ، وعند ذكر الطبرى لوفاة أحد الخلفاء يورد جملا من أحواله وأقواله ، وكان هذا العمل ترجمة لحياته ويطيل فى بعضها ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب الهام فى أغلب فصوله ومباحثه ، فقد قدم معلومات عن شخصية الخلفاء وكيفية ادارتهم للدولة ، ومدى قوتهم وضعفهم ، كما أورد أسماء جملة من العمال على اختلاف مناصبهم ، وظروف تعيينهم وعزلهم ، والأحداث المرافقة لذلك فأوضح الهدف من اختيار العمال ، وسبب عزلهم ، كما أورد عدة شواهد على أعمال المتابعة والمحاسبة ، ومدى سلطة الوزراء والولاه ، وبعض المعلومات الهامة عن الدواوين ، ودور البريد فى الرقابة الادارية وكذلك دور التظلم والاستعداء والوفود والأمناء .

(٦) كتاب الوزراء والكتاب (*) :

للجهشيارى محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) ، تحدث فيه مؤلفه عن أخبار الكتاب منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية العصر الأموى ، ثم تحدث عن أخبار الوزراء منذ بداية العصر العباسى وحتى عهد المأمون ، كما تحدث أيضا عن بعض التنظيمات الادارية لاسيما الدواوين ، وقد أفاد البحث منه فى موضوع اختيار الوزراء ومبحث الاشراف والتوجيه ، ومبحث المتابعة والمحاسبة فيما يخص الوزراء ، كما أفاد

(*) تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

البحث في موضوع رقابة الوزراء ، ومعرفة مدى نفوذهم وقوة سلطانهم ، وكذلك في مبحث رقابة الدواوين . والكتاب عموما يعد من أهم المصادر المتقدمة التي تحدثت عن النظم الاسلامية .

(٧) كتاب الخراج وصناعة الكتابة (*) :

لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت نحو ٣٣٧هـ/٩٤٨م) وهو يعد من أهم الكتب التي تحدثت عن النواحي الادارية في الدولة الاسلامية ، وقد أفاد البحث من المنزلة الخامسة من هذا الكتاب ، التي تناول فيها قدامة الحديث عن أهم الدواوين التي كانت قائمة في العصر العباسي ، وفصل في بيان المجالس التي تشتمل عليها ، ومهمة كل مجلس منها ، كما تحدث عن البريد ودوره في الرقابة الادارية .

(٨) كتاب الولاه وكتاب القضاه (**) :

للكندي محمد بن يوسف (ت نحو ٣٥٠هـ/نحو ٩٦١م) وهو كتاب مهم خاص بأخبار ولاة مصر وقضاتها ، تحدث فيه الكندي عن سيرة الولاه والقضاه ، وأرخ لفترة ولايتهم ، وسجل أهم أعمالهم ، واهتم بأحداث عزلهم ، والأسباب المؤدية الى ذلك كما تعرض لموضوع البريد ودوره في الرقابة على الولاه والقضاه ، وقد أفاد البحث من هذه المعلومات في موضوع اختيار الولاه وكذلك اختيار القضاه ، ومبحث الاشراف والتوجيه ومبحث المتابعة والمحاسبة ، وفصل طرق ووسائل الرقابة الادارية .

(*) شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي ، طبع دار الرشيد للنشر العراق سنة ١٩٨١م .

(**) تصحيح رفن كست ، طبع مؤسسة قرطبة ، القاهرة (بدون) .

(٩) كتاب مفاتيح العلوم (*) :

للخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) وهو كتاب خاص بشرح المصطلحات والألفاظ اللغوية المتداولة عند أهل الملل والنحل ، والعلوم ، والادارة ، والصناعات ، وقد أفاد منه البحث في مبحث رقابة الدواوين ، ومبحث ديوان البريد ، وذلك من خلال الفصل الذى خصصه المؤلف للحديث عن أسماء "الدفاتر والأعمال المستعملة فى الدواوين" والفصل الخاص "بديوان الخراج" وفصل "ديوان البريد" وفصل "ديوان الجيش" و"ديوان الرسائل والانشاء" .

(١٠) كتاب تاريخ بغداد – أو مدينة السلام – (**) :

للخطيب البغدادى أحمد بن على (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وهو كتاب تراجم للأعلام الذين سكنوا بغداد واقليم العراق عموما أو من دخلها وحدث بها ، وقد افاد البحث منه من خلال المعلومات التى قدمها عن الخلفاء وسيرهم ، كذلك الوزراء والولاه والقضاه والحجاب والقادة وولاة الشرط والحرس وغيرهم وذلك فى المبحث الخاص باختيار العمال ، وكذلك مبحث الاشراف والتوجيه ، ومبحث المتابعة والمحاسبة .

(١١) كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية (***) :

للماوردى على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) وهو كتاب يجمع بين المسائل الشرعية والسياسية والادارية ، وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التى قدمها عن مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام كما أفاد البحث منه فى موضوع

(*) طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان (بدون) .
(**) صححه محمد سعيد العرفى ، طبع دار الكتاب العربى بيروت لبنان (بدون) .
(***) طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

رقابة الوزراء ، وموضوع رقابة الولاه ، وموضوع رقابة المشرف على العمال ، ومبحث الدواوين ، وموضوع رقابة المحتسب .

(١٢) كتاب الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية (*) :

لابن طباطبا محمد بن على (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، وقد تحدث الكتاب عن الأمور السلطانية والسياسات الملكية ، ثم تناول الحديث عن الدولة الاسلامية ، وتاريخ الخلفاء وفق التسلسل الزمنى ، حيث يورد تاريخ كل خليفة على حده ، مع تركيزه على سيرة الوزراء خاصة ، فكان يعرف بقدراتهم وكفاءاتهم ، وذكر أسباب عزلهم فى بعض الأحيان ، وقد أفاد البحث من هذه المعلومات فى الموضوع الخاص باختيار الوزراء ، ومبحث الاشراف والتوجيه ، ومبحث المتابعة والمحاسبة ، وموضوع رقابة الوزراء ، كما أفاد البحث أيضا من المعلومات التى قدمها عن البريد ودوره فى الرقابة .

(*) طبع دار بيروت ، بيروت ، لبنان (بدون) .

ثانيا : التعريف بأهم المراجع .

(١) كتاب الرقابة على أعمال الادارة فى الشريعة الاسلامية والنظم المعاصرة (*) :

تأليف د. سعيد عبد المنعم الحكيم ، وهو من الدراسات السابقة لموضوع البحث ، غير أن المؤلف تناول فيه الحديث عن الرقابة بشكل عام سواء الرقابة الشعبية ، أو الرقابة القضائية ، أو الرقابة الادارية ، وذلك فى النظام الاسلامى مقارنا بالنظم الوضعية المعاصرة ، والذى يهمنا من هذا الكتاب هو الجزء الخاص بالرقابة الادارية فى الاسلام ، وقد ضمنه المؤلف أمثلة تاريخية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، وعصر بنى أمية ، وعصر بنى العباس للدلالة على مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام ، واستمرار الأخذ بها على مر العصور ، كما تحدث أيضا عن بعض الدواوين الرقابية مثل ديوان المظالم ، وقد أفاد البحث منه عند تناول موضوع مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام ، ومبحث رقابة الدواوين ، ودور البريد فى الرقابة الادارية .

(٢) كتاب الرقابة المالية فى الاسلام (**) :

تأليف د. عوف محمود الكفراوى ، وهو من الدراسات السابقة لموضوع البحث أيضا ، وان كان المؤلف قد اهتم بجانب الرقابة المالية فقط ، وقد أفاد البحث من هذا

(*) طبع دار الفكر العربى ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م .
(**) طبع مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، مصر ، عام ١٩٨٣م

الكتاب في موضوع أنواع الرقابة الادارية ، ومبحث رقابة الدواوين ، وموضوع رقابة المحتسب حيث فصل في هذا الموضوع بأسلوب علمي جيد .

(٣) كتاب العصر العباسي الأول (*) :

تأليف د. عبد العزيز الدوري ، وهو كتاب يبحث في التاريخ السياسي والاداري والمالي للعصر العباسي الأول ، وقد تناول فيه المؤلف تاريخ كل خليفة على حده وفق التقسيمات التي أشرنا اليها آنفا ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب في مواضيع شتى من البحث ، وذلك من خلال التحليلات والاستنتاجات التي يقدمها للأحداث التاريخية المختلفة .

(٤) مقال الرقابة الادارية في النظام الاداري الاسلامي :

تأليف د. محمد طاهر عبد الوهاب ، قدمه ضمن وقائع ندوة النظم الاسلامية التي نظمها مكتب التربية العربي لدول الخليج - أبو ظبي ١٨/٢٠ صفر ١٤٠٥هـ/١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤م - وقد أفاد البحث منه من خلال المعلومات التي قدمها عن أنواع الرقابة الادارية ومشروعيتها في الاسلام ، والتعريف بالاشراف والتوجيه ، والمتابعة والمحاسبة ، وأهمية اختيار العمال في الرقابة الادارية في الاسلام ، وكذلك المعلومات التي قدمها عن ديوان البريد ودوره في الرقابة الادارية .

(*) طبع دار الطليعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م

تمهيد

ويتضمن مايلى :

أولا : تعريف الرقابة الادارية وبيان أنواعها .

ثانيا : مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام .

ثالثا : نبذة عن نشأة الرقابة الادارية وتطورها فى الدولة الاسلامية قبل فترة البحث .

أولا : تعريف الرقابة الادارية وبيان أنواعها .

(١) المدلول اللغوى لكلمة الرقابة :

أوردت المعاجم اللغوية ، عدة معان فى أصل اشتقاق كلمة الرقابة ، نذكر منها مايتعلق بموضوع البحث وهى :

* الحفظ والحراسة[(١)] . الرقيب : الحافظ . وفى أسماء الله تعالى الرقيب وهو الحافظ الذى لايغيب عنه شىء – فعيل بمعنى فاعل –[(٢)] . والرقيب : الحفيظ[(٣)] . ورقب الشىء : حرسه ، ورقيب القوم : حارسهم . فالرقيب : الحارس الحافظ[(٤)] .

* الانتظار والتوقع والرصد . رقبت الشىء : انتظرت وقوله تعالى : {لم ترقب قولى}[(٥)] أى : لم تنتظر[(٦)] ، والترقب : تنظر الشىء وتوقعه ، وترقبه وارتقبه : انتظره ورصده[(٧)] . تقول : رقبت الشىء اذا رصدته[(٨)] .

* الخوف والحذر . راقب الله تعالى فى أمره : خافه[(٩)]

---

(١) الفراهيدى : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ-٧٨٦م) ، كتاب العين ، تحقيق د. مهدى المخزومى ، د. ابراهيم السامرائى ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢م ١٥٥/٥ ، الجوهرى : اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) ، الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ١٣٧/١ .

(٢) ابن منظور : محمد بن مكرم بن على الأنصارى (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) ، لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلى ، دار لسان العرب ، بيروت لبنان ، بدون ١٢٠٤/١ .

(٣) المصدر السابق ١٢٠٤/١ ، ابن فارس : أبو الحسين أحمد ابن زكريا (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ٤٢٧/٢ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ١٢٠٤/١ .

(٥) سورة طه : آية ٩٤

(٦) الفراهيدى : كتاب العين ١٥٤/٥ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ١٢٠٤/١ .

(٨) الجوهرى : الصحاح ١٣٧/١ .

(٩) ابن منظور : لسان العرب ١٢٠٤/١ ، الجوهرى : الصحاح ١٣٨/١ .

ورقبه وراقبه : حاذره . لأن الخائف يرقب العقاب ويتوقعه[(١)] .

(٢) مفهوم الرقابة فى الادارة المعاصرة :

ان الوظيفة الادارية للرقابة هى : قياس أداء المرؤوسين وتصحيحه من أجل التاكد من أن الأهداف والخطط المرسومة لبلوغها قد نفذت . فهى الوظيفة التى يمكن عن طريقها التاكد من ان ماتم فعله هو الذى كان يقصد اتمامه[(٢)] ، أو بمعنى آخر : التحقق مما اذا كان كل شىء يسير وفقا للخطط المرسومة والتعليمات الصادرة والقواعد المقررة[(٣)] .

ولم تخرج تعريفات الرقابة الادارية ـ على كثرتها ـ عن كونها : ذلك النشاط الذى تقوم به الادارة لمتابعة تنفيذ السياسات الموضوعة وتقييمها ، والعمل على اصلاح ماقد يعتريها من ضعف حتى يمكن تحقيق الأهداف المنشودة[(٤)] ، حيث تقوم بالكشف عن الانحرافات أيا كان موقعها والعمل على مواجهتها بالأسلوب الملائم حتى تصحح وحتى لاتظهر مرة أخرى فى المستقبل[(٥)] ، وبالتالى فانها تقوم بمتابعة عمليات التنفيذ

---

(١) الزمخشرى : جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، اساس البلاغة ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ص/٢٤٤ .

(٢) هارولد كونتز ، وسيريل اودونل : مبادىء الادارة ـ تحليل للوظائف والمهمات الادارية ـ ترجمة محمود فتحى عمر ، وموريس تابرى ، مراجعة على عبد المتعال ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت نيويورك "مكتبة لبنان" ١٩٦٧م ٣٠٧/٢ ، د. سامى حماد : أصول علم الادارة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص/٢٤٥ ، د. محمود عساف : أصول الادارة ، دار المطبوعات الجديدة ، الاسكندرية ١٩٨٢م ص/٥٥٩ ، د. جميل أحمد توفيق : ادارة الأعمال ، مركز الكتب الثقافية ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص/٣٧٩ .

(٣) د. ابراهيم عبد العزيز شيحا : الادارة العامة ، دار الراتب الجامعية للطباعة والنشر ١٩٨٣ ص/٤١٥-٤١٦ ، د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٥٥٩ .

(٤) د. حسن احمد توفيق : الادارة العامة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص/١٨٣

(٥) د. ابراهيم شيحا : الادارة العامة ص/٤١٥-٤١٦ ، نقلا عن د. عبد الفتاح حسن : مبادىء الادارة العامة ، طبعة ١٩٧٢م ص/٢٧٥ .

لتبين مدى تحقيق الأهداف المراد ادراكها فى وقتها المحدد (١) ، وتحديد مسؤولية كل ذى سلطة ، والكشف عن مواطن العيب والخلل حتى يمكن تفاديها ، والوصول بالادارة الى اكبر كفاءة ممكنة (٢) .

اذا فالرقابة تعتبر الأداة التى تساعد المسؤولين عن ادارة النظام فى الكشف عن الانحرافات وتصحيحها قبل أن تستفحل ، الى جانب اتخاذ مايلزم من اجراءات أو تدابير ، لمنع حدوث مثل هذه الانحرافات أو الأخطاء فى المستقبل ، مع التأكد بأن الخطط التى تم وضعها تنفذ باحكام طبقا للمعايير أو المؤشرات المحددة . فهى عملية مستمرة مهمتها التحقق من أن مايتحقق أو ماتحقق فعلا مطابق للمقاييس والغايات التى سبق وأن تقررت (٣) .

وترتبط الرقابة بعناصر العملية الادارية ، ويزيد ارتباطها بالتنظيم الادارى ، لدرجة أن بعض علماء الادارة يصفون التنظيم بأنه الرقابة (٤) ، ذلك أن الادارة تتطلب فى التنظيم نظاما محددا وسلوكا سديدا يمكن التعبير عنه بالرقابة الحكيمة (٥) . وعليه فانه لايمكن مناقشة الرقابة من

---

(١) د. ماجد راغب الحلو : علم الادارة العامة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٧٣م ص/٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص/٢٢٩ ، د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٤٥ .

(٣) د. خليل محمد حسن الشماع وآخرون : مبادىء ادارة الأعمال ، راجعه نعمة جواد الشكرجي ، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، الجمهورية العراقية ، بدون ص/١٤٥ .

(٤) د. فرناس عبد الباسط البنا : التنظيم الادارى فى الدولة الاسلامية منهجا وتطبيقا ـ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وقائع ندوة "النظم الاسلامية" ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، أبو ظبى ١٨-٢٠ صفر ١٤٠٥هـ/١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤م ص/١٩١ .

(٥) د. محمد سعيد عبد الفتاح : ادارة الأعمال ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٧١م ص/٣٠٣ .

فراغ ، حيث انها تفترض أصلا وجود نظام ادارى قائم ، يمارس نشاطا يؤدى الى تحقيق الهدف ، داخل اطار من القواعد الحاكمة ، مع توافر بناء تنظيمى يحدد الوظائف والعلاقة بينها ، والمستويات والاختصاصات ، والواجبات ، والمسؤوليات (١)

والرقابة ليست من الأعمال الخاصة بالادارة العليا وحدها ، ولكنها عملية تقوم بها كل المستويات الادارية الأخرى (٢) ، كما انها تغطى كافة المجالات الادارية ، ولايمكن القول ان هناك مجالا لايحتاج الى الرقابة ، مهما كانت صفته ودرجته وأهميته (٣) . ويخطىء البعض عندما ينظر الى الرقابة على انها تدور حول المسائل المالية فقط ، ذلك انها تتعلق بكافة أنشطة الادارة (٤) ، حيث تستهدف تحقيق الصالح العام من خلال السهر على مايحدث من اساءات للسلطة الوظيفية (٥) .

(٣) أنواع الرقابة الادارية :

تنقسم الرقابة الادارية الى أنواع متعددة وفقا لعدد من العوامل ، مثل الزمن الذى تتم فيه ، ونوع النشاط والمكان الذى تجرى فيه ، وغير ذلك من العوامل (٦) ، فليس هناك نوع واحد للرقابة ، وانما تتعدد أنواعها وانماطها (٧) ، وسوف نذكر اهم هذه الأنواع .

* تنقسم الرقابة من حيث الوقت الذى تتم فيه الى :

---

(١) د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٤٦ .
(٢) د. حسن توفيق : الادارة العامة ص/١٨٣ .
(٣) د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٦٠٣ .
(٤) د. حسن توفيق : الادارة العامة ص/١٨٣ .
(٥) د. ابراهيم الرويش : التحليل الادارى ، دار النهضة العربية ، مصر ١٩٧٣م ص/٦٣٧ .
(٦) د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٥٧٢ ، د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦٣ ، د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٨ .
(٧) د. ابراهيم الرويش : التحليل الادارى ص/٦٤١ .

(أ) الرقابة المسبقة أو القبلية :

وهى التى تتم قبل التنفيذ ، ومهمتها أن تمنع وقوع الأخطاء ، أو ارتكاب الانحرافات منذ البداية (١) ، وذلك عن طريق مد القائمين على التنفيذ بالمعلومات والبيانات المتصلة بنصيبهم من الخطة ، على هيئة أهداف كمية أو نوعية ، وانه سوف يحاسب كل منهم على ماحققه منها بعد ذلك (٢) ، فمهمتها منع وقوع الأخطاء ، لهذا فهى تعرف أحيانا بالرقابة المانعة او الرقابة الوقائية (٣) .

(ب) الرقابة أثناء عملية التنفيذ :

وهى رقابة ذاتية تقوم بها أجهزة داخل الوحدة الادارية للتأكد من أن مايجرى عليه العمل داخلها يتم وفقا للخطط والسياسات الموضوعة ، وتتميز بالاستمرار والشمول ، حيث تبدأ مع العمل وتساير خطوات تنفيذه (٤) .

(ج) الرقابة اللاحقة أو البعدية :

وهى تتم بعد التنفيذ كله أو بعد انجاز مرحلة من مراحل جزئية من جزئياته ، وذلك عن طريق متابعة الأعمال وحصرها ومقارنتها بالمعايير ، من أجل تعديل الخطأ بعد وقوعه (٥) . وهنا تصبح مهمة الرقابة عندئذ أن تمنع تكراره ، فهى ذات طابع تقويمى أو تصحيحى ، باعتبار أن مهمتها تنحصر فى الحيلولة دون وقوع الأخطاء والانحرافات ثانية (٦) .

---

(١) د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٥٧٢ ، د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦٣ .
(٢) د. محمود عساف : المرجع السابق ص/٥٦٠ ، د. سامى حماد المرجع السابق ص/٢٥٠ .
(٣) د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٨ .
(٤) د. عوف محمود الكفراوى : الرقابة المالية فى الاسلام ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ١٩٨٣م ص/٢٤ .
(٥) د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦٣-٢٦٤ .
(٦) د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٨ .

* وتنقسم الرقابة من حيث المصدر الذى يتولى القيام بها الى :

(أ) <u>الرقابة الداخلية</u> :

ويقصد بها أنواع الرقابة التى تمارسها كل ادارة على أوجه النشاط الذى تؤديه ، حيث تمتد الى جميع العمليات التى تؤديها الوحدة ، كما تمتد خلال مستويات التنظيم المختلفة ، والى جانب هذه الرقابة المفروضة بحكم التدرج الرئاسى ، يوجد فى كثير من الوحدات الادارية أجهزة متخصصة للرقابة والتفتيش (١) . أى أن الرقابة تتم داخل الوحدة الادارية عن طريق السلطات الرئاسية فى اطار السلم الوظيفى بالوحدة (٢) ، كما تتم أيضا عن طريق أجهزة داخلية تخصص لهذا الغرض (٣) .

(ب) <u>الرقابة الخارجية</u> :

ويمارس هذا النوع من الرقابة غالبا بواسطة جهاز مستقل يقوم بمهمة الرقابة المركزية الخارجية على نشاط الأجهزة الحكومية المختلفة ، وعادة مايتبع الجهاز التنفيذى وهذا يعطيه مكانة مرموقة ، وقوة دفع عالية ، واستقلالاً يمكنه من حرية العمل (٤) ، ويهدف الى التحقق من قيام - الوحدة الادارية - بواجبها حيال المجتمع بالشكل الصحيح (٥) .

---

(١) د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦١ . ومن أمثلة أجهزة الرقابة الداخلية : وحدة التفتيش العام ، والتفتيش الفنى ، وحدة الرقابة المالية ، وحدة التنظيم والادارة ، وحدة شئون العاملين ، وحدة الحسابات .
(٢) د. ابراهيم شيحا : الادارة العامة ص/٤٤٠ .
(٣) د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٩ .
(٤) د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦٢،٢٦٣ . ومن أمثلة أجهزة الرقابة الخارجية : ديوان المراقبة العامة ، وهيئة الرقابة والتحقيق .
(٥) د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٩ .

وتأتى الرقابة الخارجية متممة للرقابة الداخلية ، ذلك انه اذا كانت الرقابة الداخلية على درجة عالية من الاتقان بما يكفل حسن الأداء ، فانه ليس ثمة داع عندئذ الى رقابة أخرى خارجية (١) .

* وتنقسم الرقابة من حيث الوسائل والطرق الى :

(أ) الرقابة المستندية :

وهى التى تعتمد على فحص المستندات والوثائق والسجلات والتثبت من صحة اعدادها وأنواعها ، وفقا للتعليمات والاجراءات المرسومة .

(ب) الرقابة الشخصية :

وتعتمد على الملاحظة الشخصية لسلوك الأفراد العاملين ، أثناء قيامهم بأداء المهمات أو الأعمال المنوطة بهم (٢) .

* وتنقسم الرقابة من حيث مجال السلطة الى :

(أ) الرقابة العامة : وهى التى يجريها المستوى الادارى الأعلى ، للتأكد والتثبت من حسن الاتجاهات وسلامتها .

(ب) الرقابة الخاصة : وتتعلق بنشاط معين ، حيث يكون موضوعها ذلك النشاط وحده (٣) .

---

(١) د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٥٩٣ ، وتجدر الاشارة الى أنه عند دراسة موضوع الرقابة نجد أنها تنقسم غالبا الى الرقابة الداخلية والرقابة الخارجية . انظر : د. محمد عبد الفتاح : ادارة الأعمال ص/٣٠٤ ، ويقول د. سامى حماد : الرقابة الداخلية والرقابة الخارجية هى أهم أنواع الرقابة . أصول علم الادارة ص/٢٦٥ .

(٢) د. خليل الشماع : مبادىء ادارة الأعمال ص/١٤٩ ، د. سامى حماد : أصول علم الادارة ص/٢٦٥ ، د. محمود عساف : أصول الادارة ص/٥٧٣ .

(٣) د. سامى حماد : المرجع السابق ص/٢٦٤ ، د. محمود عساف المرجع السابق ص/٥٧٣ . وهناك أنواع أخرى من الرقابة مثل : الرقابة المكتبية ، الحقلية ، الكمية ، الكيفية ، التشغيلية أو التنفيذية ، التخطيطية ، ...

ثانيا : مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام .

ان كل نظام من نظم الحكم ، يختلف فى تناوله للأساليب التى يأخذ بها لتنظيم أوجه النشاط المختلفة فى المجتمعات التى يحكمها ، طبقا لاختلاف المبادىء التى يقوم عليها ، والأهداف المتوخاه من وراء تطبيق ذلك النظام عموما[١] .

وعلى ذلك فان الأساس الشرعى لنظام الرقابة الادارية فى الاسلام ، ينبع من مفهوم الولايات ومقصودها فى نظره ، والتى يتضح أنها تهدف الى اعلاء كلمة الله وتطبيق شرعه ، من خلال اعمال مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م) : "ان جميع الولايات فى الاسلام ، مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا"[٢] ، ويقول فى موضع آخر : "جميع الولايات الاسلامية ، انما مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، سواء كان ذلك ولاية الحرب الكبرى مثل نيابة السلطنة ، والصغرى مثل ولاية الشرطة ، وولاية الحكم ، أو ولاية المال وهى ولاية الدواوين المالية ، وولاية الحسبة ..."[٣] .

---

(١) د. على محمد حسنين : رقابة الأمة على الحكام – دراسة مقارنة – المكتب الاسلامى ، بيروت ، ومكتبة الخانى ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص/٥٥ .

(٢) ابن تيمية : تقى الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدى الحنبلى ، اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، بدون ٦١/٢٨ ، أيضا ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون ص/٣ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ٦٦/٢٨ ، الحسبة ص/٦ . وقال مفصلا "الولايات كلها الدينية مثل امرة المؤمنين ومادونها ، من ملك ووزارة ، وديوانية ، سواء كانت كتابة خطاب أو كتابة حساب لمستخرج أو مصروف فى أرزاق المقاتلة وغيرهم ، مثل امارة حرب أو قضاء وحسبة ، وفروع هذه الولايات انما شرعت للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" الحسبة ص/١٥ .

=

فجميع الولايات فى الاسلام ، تهدف الى تنفيذ شرع الله ، من خلال القائمين على الولايات ، حيث تخضع الادارة فى جميع تصرفاتها للتشريع الاسلامى ، فلايكون هناك قرار اداري الا بمقتضى الشريعة الاسلامية وتنفيذا لأحكامها أو تاكيدا لها[(١)].

لذا فانه من الطبيعي ، وجود نظام ادارى ، ذي مهمة رقابية ، يمكن من خلاله التعرف على تجاوزات وانحرافات قرارات وتصرفات الولاه والعمال ، التى تخالف أحكام الشرع ، ومن ثم العمل على اصلاحها ، ومنع حدوثها مرة أخرى ، الامر الذى يضمن خضوع الادارة لقواعد التشريع الاسلامى .

وتبرز مشروعية الرقابة الادارية فى النظام الاسلامى ، من خلال تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم العملية لهذه الرقابة ، ثم الاجماع على وجوب أعمالها من خلال تطبيقات الخلفاء الراشدين ، وولاة الأمور فى الدولة الاسلامية من بعدهم ، وتاكيدات رجال الفقه الاسلامى على ضرورة اعمالها ، دون أن ينقل عن أحد منهم انكارها[(٢)].

فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم "كان يستوفى الحساب على عماله ، يحاسبهم على المستخرج والمصروف"[(٣)] ،

= أيضا انظر : ابن قيم الجوزية : محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) : الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، تحقيق محمد حامد الفقى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ص/٢٣٨ ، حيث قال : "جميع الولايات الاسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" .

(١) د. محمد طاهر عبد الوهاب : الرقابة الادارية فى النظام الادارى الاسلامى ـ وقائع ندوة النظم ص/٢٥٢ .

(٢) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ـ ندوة النظم الاسلامية ص/٢٦٠ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ٨١/٨ ، الحسبة ص/١٥ ، ابن القيم : الطرق الحكمية ص/٢٤٨ ، عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ـ المسمى بالتراتيب الادارية ـ بدون ٢٣٧/١ .

ومن ذلك ماجاء فى الصحيحين من حديث أبى حميد الساعدى رضى الله عنه (١) ، أنه قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بنى سليم يدعى ابن اللتبية ، فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم ، وهذا هدية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا" ثم خطبنا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : "أما بعد ، فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول : هذا مالكم ، وهذا هدية أهديت لى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ، والله لايأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاه تيعر" (٢) .

---

(١) أبو حميد الساعدى ، الصحابى المشهور ، اسمه عبد الرحمن بن سعد ويقال عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ، وقيل غير ذلك . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ، وله ذكر فى الصحيحين ، من فقهاء الصحابة ، شهد أحدا ومابعدها ، وتوفى فى آخر خلافة معاوية بن أبى سفيان وأول خلافة يزيد بن معاوية .
انظر : ابن الأثير : عز الدين على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون ٧٨/٥-٧٩ ، ترجمة رقم ٥٨٢٢ ، الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٤٨١/٢ ، ترجمة رقم ٩٧ ، ابن حجر : أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) : الاصابة فى تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون ٤٦/٧ ، ترجمة رقم ٣٠١ .

(٢) البخارى : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) : صحيح البخارى ، ضبطه د. مصطفى البغا ، دار القلم دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٢٥٥٩/٦-٢٥٦٠ ، حديث رقم ٦٥٧٨ . كتاب الحيل ، باب احتيال العامل ليهدى له .
مسلم : مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) : صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م ١٤٦٣/٣-١٤٦٤ ، حديث رقم ١٨٣٢ .

كما حرص الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم ، بالسير على هذا النهج القويم ، حيث كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه (١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م)(١) يراقب عماله ويتابع أعمالهم ويحاسبهم . ومما روى عنه فى ذلك ، أنه حاسب معاذ بن جبل رضى الله عنه(٢) ، عندما قدم من اليمن ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له : ارفع حسابك ، فقال معاذ : أحسابان ، حساب من الله وحساب منكم ؟ لاوالله لا الى لكم عملا أبدا(٣) .

وقد اشتهر من سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)(٤) أنه كان يحاسب عماله محاسبة دقيقة ،

---

(١) عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى . أبو بكر ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، ولد بمكة ، ونشأ سيدا من سادات قريش ، بويع بالخلافة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١١هـ/٦٣٢م لقبه الصديق ، وأخباره كثيرة .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٢٠٥/٣-٢٣١ ترجمة رقم ٣٠٦٤ ، ابن حجر : الاصابة ١٠١/٤-١٠٤ ترجمة رقم ٤٨٠٨ ، خير الدين الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة السابعة ١٩٨٦م ١٠٢/٤ .

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو الأنصارى الخزرجى ، أبو عبد الرحمن ، صحابى جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام شهد العقبة ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضيا ومرشدا لأهل اليمن ، توفى سنة ١٨هـ/٦٣٩م .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٤١٨/٤-٤٢١ ترجمة رقم ٤٩٥٣ ، الذهبى : سير ٤٤٣/١-٤٦١ ترجمة رقم ٨٦ ، ابن حجر : الاصابة ١٠٦/٦-١٠٧ ترجمة رقم ٨٠٣٢ .

(٣) الخزاعى : على بن محمد التلمسانى (ت ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) : تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، جمهورية مصر العربية ، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص/٢٥٣ ، الكتانى : التراتيب الادارية ٢٣٧/١ .

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، أبو حفص الفاروق ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأول من لقب بأمير المؤمنين ، صحابى جليل ، يضرب بعدله المثل ، شهد الوقائع ، بويع بالخلافة يوم وفاة أبى بكر الصديق سنة ١٣هـ/٦٣٤م . وفى عهده كانت فتوحات واسعة ، قتل فى سنة ٢٣هـ/٦٤٣م .
=

ويقاسمهم أموالهم التى جمعوها ، اذا تبين أن دخلهم لايسمح بتوفيرها (١) ، وكان يأخذ عماله بموافاته كل سنة فى موسم الحج (٢) وقد روى "أنه كان اذا قدم عليه الوفد ، سألهم عن حالهم وأسعارهم ، وعمن يعرف من أهل البلد ، وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فان قالوا نعم ، حمد الله تعالى ، وان قالوا لا ، كتب اليه : أقبل" (٣) ، وكان يبعث من يثق به ليكشف عن حال ولاته ، حتى قيل ان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته ، كعلمه بمن بات معه فى مهاد واحد (٤) .

= انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٦٤٢/٣-٦٧٨ ترجمة رقم ٣٨٢٤ ، ابن حجر : الاصابة ٢٧٩/٤-٢٨٠ ترجمة رقم ٥٧٣١ ، الزركلى : الأعلام ٤٥/٥-٤٦ .

(١) انظر : ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) : كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ص/٣٤٢ ، ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠م) : فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون للطبع والنشر ، بدون ص/١٩٨-١٩٩ ، ابن عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) : العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ٤٤/١-٤٩ ، الطرطوشى : أبو بكر محمد بن الوليد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) سراج الملوك ، المطبعة الوطنية ، الاسكندرية عام ١٢٨٩هـ ص/٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) انظر : الخزاعى : الدلالات السمعية ص/٢٥٤ ، الكتانى : التراتيب الادارية ٢٣٧/١-٢٣٨ . أيضا محمد عبد الله الشبانى : نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية ، الناشر عالم الكتب ، القاهرة ، بدون ص/٢١،٢٢ .

(٣) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) : عيون الأخبار ، تحقيق أحمد زكى العدوى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، بدون ١٤/١ ، أيضا الطبرى : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) : تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم دار سويدان ، بيروت لبنان ، بدون ٢٢٦/٤ - مع اختلاف فى الرواية - .

(٤) انظر : الجاحظ : عمرو بن بحر البصرى (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) : التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى باشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ص/١٦٨ ، أيضا الماوردى : أبو الحسن على بن محمد البصرى (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) : نصيحة الملوك ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص/٢١٤ .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه (١) (٢٣-٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م) بعث فى آخر سنة من خلافته ، رجالا من الصحابة الى الأمصار ، حتى يرجعوا اليه بأخبار ولاته (٢) ، وكان قد كتب الى أهل الأمصار : "أما بعد ، فانى آخذ عمالى بموافاتى فى كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلايرفع على شىء ، ولاعلى أحد من عمالى الا أعطيته ..." (٣) .

وهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه (٤) (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م) يكتب الى عامله كعب بن مالك (٥) "أما بعد ، فاستخلف على

---

(١) عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية القرشى ، أمير المؤمنين ، ذو النورين ، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، من كبار الرجال الذين اعتز بهم الاسلام ، صارت اليه الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ٢٣هـ/٦٤٣م ، فى عهده كانت فتوحات عظيمة فى المشرق ، قتل سنة ٣٥هـ/٦٥٥م .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٣/٤٨٠-٤٩٢ ترجمة رقم ٣٥٨٣ ، ابن حجر : الاصابة ٤/٢٢٣-٢٢٤ ترجمة رقم ٥٤٤٠ ، الزركلى : الأعلام ٤/٢١٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤/٣٤١ . فقد بعث محمد بن مسلمة الى الكوفة ، وأسامة بن زيد الى البصرة ، وعمار بن ياسر الى مصر ، وعبد الله بن عمر الى الشام ، ورجالا سواهم .

(٣) المصدر السابق ٤/٣٤٢ .

(٤) على بن أبى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ، أبو الحسن ، أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وصهره ، وأحد الشجعان الأبطال ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وأول الناس اسلاما بعد خديجة رضى الله عنها ، ولى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٣٥هـ/٦٥٥م ، قامت فى عهده بعض الفتن وقتل سنة ٤٠هـ/٦٦٠م .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٣/٥٨٨-٦٢٢ ترجمة رقم ٣٧٨٣ ، ابن حجر : الاصابة ٤/٢٦٩-٢٧٠ ترجمة رقم ٥٦٨٢ ، الأعلام ٤/٢٩٥-٢٩٦ .

(٥) كعب بن مالك بن أبى كعب الأنصارى ، السلمى المدنى ، صحابى مشهور ، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا فى غزوة تبوك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف الا عن بدر وتبوك ، وهو أحد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم . توفى فى خلافة على رضى اله عنه ، وقيل بل توفى بالشام فى خلافة معاوية رضى الله عنه . =

عملك ، وأخرج في طائفة من أصحابك ، حتى تمر بأرض السواد (١) كوره كوره (٢) ، فتسألهم عن عمالهم ، وتنظر في سيرتهم (٣) " .

وقد سار من جاء بعد ذلك من حكام المسلمين ، على هذا النهج في الرقابة الادارية ، فاقتفى معاوية رضى الله عنه (٤) (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في العلم بأخبار رجاله ورعيته ، وكان عمر بن عبد العزيز (٩٩-

---

= انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ١٨٧/٤-١٨٩ ترجمة رقم ٤٤٧٨ ، ابن حجر : الاصابة ٣٠٨/٥-٣٠٩ ترجمة رقم ٧٤٢٧ ، تقريب التهذيب ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، بدون ١٣٥/٢ .

(١) السواد : يراد به رستاق العراق - أي موضع المزارع والقرى - وضياعها التي افتتحها المسلمون ، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنه تاخم جزيرة العرب التي لازرع فيها ولاشجر ، فكانوا اذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سوادا . انظر : ياقوت : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ٢٧٢/٣ .

(٢) الكوره : اسم فارسي ، وهو كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر ، يجمع اسمها ذلك اسم الكوره . المصدر السابق ٣٦/١-٣٧ .

(٣) أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) كتاب الخراج ، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع ، مصر ١٩٨١م ص/٢٤٦ .

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي ، مؤسس الدولة الأموية في الشام ، صحابي جليل ، كان أحد دهاة العرب المتميزين الكبار ، فصيحا حليما وقورا ، أسلم يوم الفتح سنة ٨هـ/٦٢٩م وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولى قيادة بعض الجيوش ، كما ولي الأردن ودمشق زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وولاه عثمان الديار الشامية كلها ، تولى الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ٤١هـ/٦٦١م ودامت خلافته طويلا حتى توفي سنة ٦٠هـ/٦٧٩م . انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٤٣٣/٤-٤٣٦ ترجمة رقم ٤٩٧٧ ، الذهبي : سير ١١٩/٣-١٦٢ ترجمة رقم ٢٥ ، ابن حجر : الاصابة ١١٢/٦-١١٤ ترجمة رقم ٨٠٦٣ ، الزركلي : الأعلام ٢٦١/٧-٢٦٢ .

١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م) يبعث بمفتشين للكشف عن عماله[1] ، واقتفى هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م)[2] سيرته في ذلك[3] حيث ظلت سياسة كشف أحوال الولاة ، ومراقبتهم وعزلهم ، والضرب على أيدي المسيئين منهم بعامة ، والخارجين على السلطان والطاعة بخاصة ، سنة الخلفاء من بعد ، لاسيما الأقوياء منهم[4] .

ويؤكد علماء الفقه الاسلامي ، على مشروعية الرقابة الادارية في الاسلام ، وضرورة قيام ولي الأمر باعمالها ، ذلك "أن تقسيم العمل بين العاملين ، وتحديد وظائفهم سواء كانت تفويضية أو تنفيذية ، ليس معناه بعد ولي الأمر عن الاشراف على سير العمل ، ومتابعته ، لمعرفة نجاحه ، بل لابد لولي الأمر من أن يشرف على أعمال كبار موظفيه ، وأن يتابعهم ويراقب أعمالهم ، مراقبة يقصد منها الاطمئنان على قيامهم

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، الخليفة الصالح ، والملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم ، ولي الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ/٧١٧م ، ولم تطل مدة خلافته حيث توفي سنة ١٠١هـ/٧١٩م .
انظر : الذهبي : سير ١١٤/٥-١٤٨ ترجمة رقم ٤٨ ، الزركلي : الأعلام ٥٠/٥ .

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان ، من خلفاء الدولة الأموية في الشام ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م ، نشبت في أيامه حروب هائلة مع خاقان الترك في ماوراء النهر ، كان حسين السياسة ، يقظا في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه ، استمر على الخلافة حتى توفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م .
انظر : الزركلي : الأعلام ٨٦/٨ .

(٣) انظر : البيهقي : ابراهيم بن محمد ، كان حيا سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م : المحاسن والمساوئ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص/١٤٣،١٤٤ ، أيضا : د. سعيد عبد المنعم الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم المعاصرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م ص/٤٠٧ .

(٤) د. محمد ضيف الله بطاينه : في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ٧٧/١ .

بواجبهم ، وأن يحاسب من قصر في عمله ، أو اعتدى على غير حقه ، أو تجاوز حدود وظيفته " (١) .

يقول الامام الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) : على ولى الأمر "أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور ، وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة ، وحراسة الملة ، ولايعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ، ويغش الناصح" (٢) . ويضيف أن على ولى الأمر أيضا أن يجعل على كل واحد من ولاته وعماله "عيونا ومشرفين وأزمة ، سرا وعلانية" (٣) حتى "لاتنطوى عنه أخبارهم ، ولاتخفى عليه آثارهم ، وهم رعاة دولته ، وحماة رعيته" (٤) . كما يؤكد الماوردي على ولى الأمر "أن لايجعل بحثه عن الأمور واطلاعه عليها ... لعبا ولهوا ، وسلبا وهزلا ، بل لمعرفة الحقائق وقضاء الحقوق ، واثابة المحسن ، وعقوبة المسئ ، وتقريب الناصح البعيد ، وتبعيد الغاش القريب ، واقامة الأود ، وسد الخلل ، وانتهاز الفرص ، ومبادرة مايخاف فوته ، ومعاجلة مايضر تأخيره" (٥) .

---

(١) د. عبد الله أحمد قادرى : الكفاءة الادارية فى السياسة الشرعية ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص/١١٩ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص/١٦ ، أبو يعلى الفراء : محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) : الأحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص/٢٨ ، القلقشندى : أحمد بن عبد الله (ت ٨٢٠هـ/١٤١٧م) : مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٤م ، أعيد طبعه بالأوفست ١٩٨٠م ٦٠/١-٦١ .

(٣) الماوردى : نصيحة الملوك ص/١٩٠ .

(٤) الماوردى : تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ص/٢١٩ .

(٥) الماوردى : نصيحة الملوك ص/٢١٨ .

ويقول الامام أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) : الواجب على ولي الأمر "أن يتفقد أمور عماله ، حتى لايخفى عليه احسان محسن ، ولااساءة مسيء ، لأنه اذا جنى عليه عماله لم يكن قائما بالعدل" (١) . ويرى البستي أن يختار ولي الأمر "من رعيته أقواما أمناء ، يبعث بهم في كل سنة الى المدن ، ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق" (٢) .

ويقول الامام أبو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) ناصحا ولي الأمر "احرص كل الحرص ، أن تكون خبيرا بأمور عمالك ، فان المسيء يفرق من خبرتك به ، قبل أن تصيبه عقوبتك ، والمحسن يستبشر بعلمك به ، قبل أن يأتيه ثوابك" (٣) .

ويقول الفقيه عبد الرحمن الشيزري (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) لابد لولي الأمر "أن يكون بلطفه وحذق جواسيسه وعيونه ، محيطا بمعرفة أحوال رعيته ، وقواده ، وولاة ثغوره وأعماله وحاشيته وجنده" (٤) .

ويخاطب فقيه آخر هو محمد بن علي القلعي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ولي الأمر بقوله : "اعلم أن معايب عمالك والمتصرفين في أعمالك ، من أقبح معايبك ، ومآثرهم ومناقبهم ، من أحسن مآثرك ومناقبك .. فدم على مراعاة أحوالهم ، ولاتهمل مكافأة أفعالهم ، فأول المحسن مايستحق من حسن الولاء ، والمسيء

---

(١) أبو حاتم البستي : محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م) : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بدون ص/٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص/٢٧٢ .

(٣) الطرطوشي : سراج الملوك ص/٩٣ .

(٤) الشيزري : عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر الشيزري (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) : المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق علي عبد الله الموسى ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص/٥٣٢-٥٣٣ .

مايستوجبه من سوء الجزاء ، ليتصرفوا لك في الأمانة ، ويتعففوا عن الخيانة " (١) .

والحق أنه من غير الممكن تتبع أقوال جميع الفقهاء ، التي تدعو الى ضرورة قيام ولي الأمر ، بمهمة الرقابة الادارية ، الا أنه يجدر بنا أن نورد ماذكره في هذا الخصوص فقيهان من قضاة الدولة العباسية ، هما القاضي عبيد الله ابن الحسن العنبري (ت ١٦٨هـ/٧٨٤م) (٢) ، وقاضي القضاة (٣) أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) (٤) .

---

(١) القلعي : محمد بن علي بن الحسن (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق ابراهيم مصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص/١٣٩ .

(٢) عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري ، من تميم ، قاضي من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، قال ابن حبان : من ساداتها فقها وعلما ، ولي قضاءها سنة ١٥٧هـ ، وعزل سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م ، وتوفي فيها سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م .
انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ٥٣١/١ ، الزركلي : الأعلام ١٩٢/٤ .

(٣) قاضي القضاة : هو بمثابة وزير العدل اليوم ، وكان يقيم في حاضرة الدولة - العاصمة - ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار ، وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم في عهد هارون الرشيد .
انظر : د. حسن ابراهيم حسن ، ود. علي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون ص/٢٨٠ ، أيضا أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ص/١٢١ ، أنور الرفاعي : النظم الاسلامية ، دار الفكر ، بدون ص/١١٣ .

(٤) يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي ، أبو يوسف صاحب الامام أبي حنيفة ، وتلميذه وأول من نشر مذهبه ، كان فقيها علامة ، من حفاظ الحديث ، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد ومات في خلافته ببغداد ، وهو على القضاء ، وهو أول من دعي بقاضي القضاه . توفي سنة ١٨٢هـ/٧٨٤م .
انظر : الذهبي : سير ٥٣٥/٨-٥٣٩ ترجمة رقم ١٤١ ، الزركلي : الأعلام ١٩٣/٨ .

فقد بعث القاضي العنبري كتابا مطولا الى الخليفة المهدي (١) (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م) جاء فيه "أما الخصلتان اللتان تصلحان بهم باذن الله ان شاء الله ، فالمسألة لأهل الذكر ، والأمانة عن قاصي عمال أمير المؤمنين ودانيهم ، ثم اللحاق بكل ماهو أهله ، من جزاء المحسن باحسانه ، وتأديب المسيء منهم باساءته ، أو عزله والاستبدال به ، على قدر مايستحقون من التأديب والعزل" (٢) .

كما ضمن القاضي أبو يوسف كتابه "الخراج" (٣) الذي ألفه للخليفة هارون الرشيد (٤) (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م) قوله : ياأمير

---

(١) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي ، أبو عبد الله ، المهدي بالله ، من خلفاء الدولة العباسية في العراق ، ولد بايذج من كور الأهواز ، وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م . وأقام في الخلافة عشر سنين وشهرا ، ومات في ماسبذان ، كان محمود العهد والسيرة ، محببا الى الرعية .
انظر : الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : تاريخ بغداد - أو مدينة السلام - عني بتصحيحه محمد سعيد العرفي ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، بدون ٢/٣٩١-٤٠١ ترجمة رقم ٢٩١٧ ، الذهبي : سير ٧/٤٠٠-٤٠٣ ترجمة رقم ١٤٧ ، الزركلي : الأعلام ٦/٢٢١ .

(٢) وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) : أخبار القضاه ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون ٢/١٠٥ .

(٣) الخراج : يأتي بمعان عدة . ذلك أن كلمة خراج كانت ذات معنى عام ومعنى خاص ، ففي المعنى العام ، ترادف كلمة الأموال ، لأنها تعني الايرادات العامة للدولة . أما المعنى الخاص فهو ضريبة الأرض التي افتتحت عنوة وتركت في أيدي أهلها مثل السواد .
انظر : د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م ص/٨-١٠،١١٦-١٢٤ .

(٤) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، أبو جعفر ، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم ، ولد بالري سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م ، ولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م ، فقام بأعبائها ، وازدهرت الدولة في أيامه ، يوصف بالعلم والأدب ، والحزم والشجاعة ، كان يحج سنة ويغزو سنة . توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٤/٥-١٣ ترجمة رقم ٧٣٤٧ ، الذهبي : سير ٩/٢٨٦-٢٩٥ ترجمة رقم ٨١ ، الزركلي : الأعلام ٨/٦٢ .

المؤمنين "أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ، ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال ، وماعملوا به في البلاد ، وكيف جبوا الخراج ، على ماأمروا به ، أو زادوا على أهل الخراج ؟ فان كانوا زادوا على ماأمروا به ، وعلى ماوظف على أهل الخراج ، واستقر ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ ، حتى يردوه ، بعد العقوبة الموجعة والنكال ، حتى لايتعدوا ماأمروا به ، ومايتعهد اليهم فيه ، فان كل ماعمل به والي الخراج من الظلم والتعسف ، فانما يحمل على أنه أمر به – وقد أمر بغيره – فان أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة ، انتهى غيره ، واتقى وخاف ، وان لم يفعل هذا بهم ، تعدوا على أهل الخراج واجترؤوا على ظلمهم وتعسفهم ، وأخذهم بما لايجب عليهم" (١) .

كما يضيف أبو يوسف قوله "واذا صح عندك من العامل والوالي تعد وظلم وعسف ، وخيانة لك في رعيتك ، واحتجان شيء من الفيء ، أو خبث طوية ، أو سوء سيرة ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، أو أن تقلده شانا من أمور رعيتك ، أو تشركه في شيء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك ، عقوبة تردع غيره ، من أن يتعرض لمثل ماتعرض له" (٢) .

وفي معرض حديث أبي يوسف عن ولاة "العشور" (٣) قال : "أما العشور ، فرأيت أن توليها قوما من أهل الصلاح والدين ، وتأمرهم أن لايتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص/٢٣٤ .
(٢) أبو يوسف : الخراج ص/٢٣٤ .
(٣) العشور : من أموال الفيء ، وهي الرسوم التي تؤخذ على أموال وعروض تجار أهل الحرب ، وأهل الذمة ، المارين على ثغور الاسلام ، وأول من وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
انظر : د. الريس : الخراج ص/١٢٧ .

ولايظلموهم ، ولاياخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم ، وأن يمتثلوا مارسمناه لهم ، ثم يتفقد بعد أمرهم ، ومايعاملون به فيما يمر بهم ، وهل يجاوزون ماقد أمروا به ؟ فان كانوا قد فعلوا ، عزلت وعاقبت ، وأخذتهم بما يصح عندك عليهم مظلوم ، أو ماخوذ منه أكثر مما يجب عليه ، وان كانوا قد انتهوا الى ماأمروا ، وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد ، اثبتهم على ذلك ، وأحسنت اليهم ، فانك متى أثبت على حسن السيرة والأمانة ، وعاقبت على الظلم والتعدى لما تامر به فى الرعية ، يزيد المحسن فى احسانه ونصيحته ، ويؤدب الظالم على معاودة الظلم والتعدى" (١) .

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص/٢٧١ . وتجدر الاشارة الى ماقرره علماء الفقه الاسلامى من أنه نظرا لاتساع رقعة الدولة الاسلامية ، وكثرة عمالها فى مختلف الوظائف ، فقد أصبحت مهمة ولى الأمر ، التركيز على مراقبة كبار الموظفين فى الدولة ، فى حين يجب على كل واحد من هؤلاء ، مراقبة من هو دونه ، على هذا النحو يستمر العمل بمبدأ الرقابة على جميع أعمال الادارة ، من خلال مراقبة كل طبقة ادارية للطبقة التى دونها وذلك تمشيا مع تدرج السلطة الوظيفية فى الجهاز الادارى الاسلامى . انظر : أبو يوسف : الخراج ص/١٧٦، ٣٦١ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٣٧، ٧١ ، قوانين الوزارة ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، ود. محمد سليمان داود ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص/٢٤، ١٤١-١٤٢، ١٤٥ ، ابن تيمية الفتاوى ٢٤٧/٢٨ ، السياسة الشرعية ، تحقيق بشر محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص/١٣ ، ابن جماعة : بدر الدين محمد بن ابراهيم (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص/٧٦، ٨٥ . انظر أيضا : د. عبد الكريم زيدان : نظام القضاء فى الشريعة الاسلامية ، مطبعة العانى ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص/٧٧ ، نقلا عن الامام ابن فرحون المالكى (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) : تبصرة الحكام فى الأقضية ومناهج الأحكام ٧٧/١ ، وأبو عبد الله الشهير بالمواق (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م) : التاج والاكليل لمختصر خليل ـ فقه مالكى ـ ١١٤/٢ .

ومن خلال عرضنا لما تقدم ، من تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم للرقابة الادارية ، ومتابعة الخلفاء الراشدين ، وولاة الأمور فى الدولة الاسلامية من بعدهم للنهج النبوى الشريف فى ذلك ، وتأكيد فقهاء المسلمين على ضرورة أعمالها ، وخطورة اهمالها ، نستطيع القول ، بأن الرقابة هى احدى الأسس الثابتة فى النظام الادارى الاسلامى منذ نشأته مما يعطى هذا النظام المشروعية بين النظم الاسلامية الأخرى .

ثالثا : نبذة عن نشأة الرقابة الادارية وتطورها في الدولة الاسلامية قبل فترة البحث .

قامت الدولة الاسلامية ، بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة واستقراره بها ، حيث اتخذها مقرا للدولة الناشئة ، ووضع سياسة هذه الدولة على أسس واضحة مستقيمة محددة (١) ، فكان النظام فيها وافيا بحاجات المجتمع (٢) .

وعلى الرغم من البساطة التي كانت تتسم بها الادارة الاسلامية ، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا أنها وضعت للمجتمع الاسلامي نواة التنظيم الاداري الذي سار عليه الخلفاء الراشدون ، الذين أضافوا الى هذا التنظيم ماوجدوه ضروريا ، وماأملته عليهم ظروف حياتهم العملية (٣) .

وقد عرف النظام الاداري الاسلامي منذ نشأته الأولى الرقابة الادارية ، وأحاط بكلياتها ومظاهرها ، في شمول وفاعلية ، لم تصل اليها النظم الوضعية القديمة والمعاصرة وهو الأمر الذي يعزى في الواقع ، الى الذاتية الخاصة بالنظام الاسلامي ، وجوانبه الروحية السامية ، التي يمتد أثرها الى بنيان الفرد المسلم وأخلاقياته ، لتقيم داخله وازعا طبيعيا تلقائيا ، يجعل الخضوع والالتزام بالشريعة الاسلامية ، يسود ويحكم كل تصرفاته (٤) .

---

(١) د. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ص/٨٩ .
(٢) د. محمد سلام مدكور : معالم الدولة الاسلامية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص/١٦٥ .
(٣) د. فتحية النبراوي : تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص/٨٤ .
(٤) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية – ندوة النظم ص/٢٤٦.

والمتأمل فى النظام الادارى الاسلامى ، يجد أن الرقابة فيه لاتخرج عن ثلاثة أنواع : الرقابة الذاتية (١) ، والرقابة الرئاسية (٢) ، ورقابة الأجهزة – أو المؤسسات – الادارية (٣) ، وقد ارتبط ظهور كل نوع من هذه الأنواع ، بالنمو والتطور الذى اتسم به النظام الادارى الاسلامى من حيث اتساعه وتشعب أعماله فالجهاز الادارى اذا كان بسيطا ، فان الرقابة الادارية ، تكاد تنحصر فى الرقابة الذاتية والرقابة الرئاسية ، واذا كان الجهاز الادارى معقدا ومتشعبا ، نظرا لتعدد الأعمال ، فان السلطة الادارية لاتكتفى بالرقابة الذاتية ، والرقابة الرئاسية ، بل تصبح هناك أجهزة – أو مؤسسات – تكون مهمتها الرقابة على مختلف الأجهزة الادارية (٤) .

فعندما نشأت الدولة الاسلامية ، كان تنظيمها الادارى بسيط التكوين ، محدود المهام ، ومن ثم فقد كان الأخذ بالرقابة الذاتية ، والرقابة الرئاسية ، كافيا فى ذلك العهد ، لتحقيق الأهداف المنشودة من الرقابة الادارية ، واحكام الاشراف على أعمال الادارة وعمالها ، وانصاف الرعية

---

(١) الرقابة الذاتية ، أو التلقائية : وهى التى تجريها الادارة من تلقاء نفسها وهى بصدد مراجعة أعمالها والتفتيش عليها ، وتتم من خلال مصدر العمل الادارى ذاته . وتعرف أيضا بالرقابة الولائية ، كما يقصد بها مراقبة الموظف لنفسه . المرجع السابق ص/٢٤٥-٢٤٦، ٢٨٤،٢٥٤ .

(٢) الرقابة الرئاسية : هى التى تتم عن طريق الرئيس الادارى . المرجع السابق ص/٢٩٢،٢٤٦ .

(٣) رقابة الأجهزة – أو المؤسسات الادارية : هى التى تتم بواسطة هيئة أو هيئات ادارية متخصصة ، يوكل اليها مراقبة أوجه النشاط الادارى الذى تمارسه جهات الادارة المختلفة . المرجع السابق ص/٣٠٨،٢٤٦ . وقد عرف النظام الادارى الاسلامى الوسائل المختلفة للرقابة الادارية من رقابة ذاتية ، ورقابة رئاسية ، ورقابة الأجهزة الادارية المتخصصة ، ممثلة فى الدواوين . ص/٢٥٣ .

(٤) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٦٥ .

من تجاوزات وانحرافات الولاه والعمال [١] .

وقد سبقت الاشارة الى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، باشر بنفسه مهمة الرقابة الادارية الرئاسية على عمال الدولة فى عصره [٢] ، هذا مع ممارسة العمال الرقابة الذاتية على أنفسهم ، فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يبعث السعاه على الأموال الزكوية ، فيأخذونها ممن تجب عليه ويدفعونها الى مستحقيها ، فيرجع الساعى الى المدينة ، وليس معه الا سوطه ، ولايأتى بشىء من الأموال ، اذا وجد لها موضعا يضعها فيه [٣] . وعلى ذلك فان الرقابة الادارية فى الدولة الاسلامية ، خلال عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت تقتصر على الرقابة الذاتية التى يمارسها العامل على نفسه ، وعلى الرقابة الرئاسية ، التى كان المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يباشرها على عماله [٤] .

وقد استمرت الرقابة الادارية على هذا النحو ، فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، نظرا لعدم تغير ظروف الدولة الاسلامية ، عما كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم [٥] . فقد كان أبو بكر رضى الله عنه ، حريصا على ادارة شؤون الدولة الاسلامية فى عهده ، على النهج الذى وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع احتفاظه بالعمال الذين استعملهم رسول الله ، والأمراء الذين أمرهم [٦] . فالنظام

---

(١) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ـ ندوة النظم ص/٢٥٤.
(٢) انظر مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام : البحث ص/٣١
(٣) ابن تيمية : الفتاوى ٨١/٢٨ ، الحسبة ص/١٥ ، ابن قيم الطرق الحكمية ص/٢٤٨ .
(٤) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٦٩ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ـ ندوة النظم ص/٢٥٤.
(٥) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٦٩ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ـ ندوة النظم ص/٢٥٥.
(٦) على على منصور : نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص/١٢١ =

الادارى فى عهد الصديق رضى الله عنه ، يعتبر امتدادا للنظام الادارى فى عصر النبوة [١] .

وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، نجد أن أحوال الدولة الاسلامية قد تغيرت عقب الفتوحات ، حيث اتسعت مساحة الدولة ، وكثرت أموالها ، وزاد عدد سكانها وتنوعت أجناسهم ودياناتهم ، الأمر الذى أدى الى زيادة حجم المسؤوليات الملقاه على كاهل الادارة تبعا لذلك ، فبرزت الحاجة الى تطوير النظام الادارى الاسلامى ، ليواكب الأوضاع الجديدة التى طرات على حال الدولة ، ويواجه مشاكل التنظيم الادارى ، التى ظهرت نتيجة اتساع الفتوحات الاسلامية ، خاصة فى ظل زيادة عدد العمال ، الذين يتم الاستعانة بهم لادارة دفة الأمور ، فى الدولة الاسلامية النامية [٢] . لذا فاننا نلاحظ أنه مع استمرار الرقابة الذاتية [٣] فان عمر رضى الله عنه اهتم بالرقابة الادارية الرئاسية [٤] ، وتشدد فى أعمالها .

وفى عهد الخليفتين الراشدين ، عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبى طالب – رضى الله عنهما – سارت الرقابة الادارية على نهج من سبقهما [٥] .

= انظر ايضا : د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية فى الاسلام ص/١٢١ ، محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م ٢/ ١٠٧، ١٠٨-١٠٩ .

(١) د. فتحية النبراوى : تاريخ النظم ص/٨٤ .

(٢) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٧٠-٣٧١ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية – ندوة النظم ص/٢٥٥ .

(٣) عن أمثلة الرقابة الذاتية فى عهد عمر رضى الله عنه انظر : ابن سلام : الأموال ص/٧١٠-٧١١ ، أيضا الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية ص/٥٨١-٥٨٣ .

(٤) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية – ندوة النظم ص/٢٥٦.

(٥) المرجع السابق ص/٢٥٦ .

وفي عصر الدولة الأموية ، لاقت الادارة عناية بالغة ، شملت كل مرافق الدولة الاسلامية (١) ، ذلك أنه لم يعد من الممكن الاكتفاء بالرقابة الذاتية ، والرقابة الرئاسية ، لتحقيق الاشراف الفعال على كافة شئون الدولة ، فمساحة الدولة الاسلامية ازدادت ، وتبع ذلك انضمام شعوب وأجناس جديدة ، مختلفة المشارب والثقافات ، فأنشأت الدولة أجهزة ادارية متخصصة ـ الدواوين ـ للاضطلاع بمهام الرقابة الادارية ، هذا مع الأخذ بالرقابة الذاتية ، والرقابة الرئاسية (٢) .

ويتضح من روايات المصادر أن معظم خلفاء بني أمية ، كانوا قد أولوا الرقابة الادارية اهتماما بالغا ، لاسيما الأقوياء منهم (٣) ، أمثال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) (٤) ، وعمر بن عبد

---

(١) د . فتحية النبراوي : تاريخ النظم ص/٨٨ .

(٢) د . سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٧٣ ، د . محمد طاهر : الرقابة الادارية ـ ندوة النظم ص/٢٥٧-٢٥٨ ، وعن أهم الدواوين في العصر الأموي انظر : نجدة خماش : الادارة في العصر الأموي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص/٢٥٦-٢٩٠ .

(٣) انظر : الطبري : تاريخ ٢٩٣/٥ ، الجهشياري : محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) : الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م ص/٢٤-٢٥ ، البيهقي : المحاسن والمساوىء ص/١٤٤ ، الماوردي : نصيحة الملوك ص/٢١٤ .

(٤) انظر : الجاحظ : التاج ص/١٦٩ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص/٤٣،٤٤ ، الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) : الأغاني ، شرحه سمير جابر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ٣٣٥/٣ ، البيهقي : المحاسن والمساوىء ص/١٤٤ ، الماوردي : نصيحة الملوك ص/٢١٥ ، ابن حمدون : محمد بن الحسن بن محمد (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) التذكرة الحمدونية ، تحقيق احسان عباس ، معهد الانماء العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ٣٠٤/١، ٣٠٧-٣٠٨،٤٢٠ ، ابن هذيل : علي بن محمد بن عبد الرحمن (ت بعد ٧٦٣هـ/١٣٦١م) : عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص/١٦٧-١٦٨ .
=

العزيز[1] ، وهشام بن عبد الملك[2] . غير أن الرقابة لم تلق الاهتمام نفسه ، من خلفاء أواخر العصر الأموى ، فكان ذلك أحد الأسباب التى أدت الى سقوط الدولة الأموية[3] .

= وعبد الملك هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى القرشى ، أبو الوليد ، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ، انتقلت اليه الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، فضبط أمورها ، وظهر بمظهر القوة ، فكان جبارا على معانديه قوى الهيبة . توفى سنة ٨٦هـ/٧٠٥م .
انظر : الذهبى : سير ٢٤٦/٤-٢٤٩ ترجمة رقم ٨٩ ، الزركلى : الأعلام ١٦٥/٤ .

(١) انظر : ابن سلام : الأموال ص/٧٢ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٧/١ ، وكيع : أخبار القضاه ٧٨/١ ، الطرطوشى سراج الملوك ص/٢٤٤ ، ابن حمدون : التذكرة ٣٢٢/١ .

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ ٢٠٣/٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤٤٨/٤ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٦٠،٦١،٦٤ .

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ ٨٠/٨ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٥٥ ، الخطيب الاسكافى : محمد بن عبد الله (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : لطف التدبير ، حققه أحمد عبد الباقى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٤م ص/١٢ ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمرى القرطبى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، بدون ٣٥١/١ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/١٨٨-١٨٩ ، ابن هذيل : عين الأدب ص/١٦٢ .

الفصل الأول

رقابة الخليفة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اختيار العمال .

المبحث الثاني : الاشراف والتوجيه .

المبحث الثالث : المتابعة والمحاسبة .

المبحث الأول

اختيار العمال

اختيار العمال :

الاختيار احد مظاهر الرقابة الادارية الرئاسية الاسلامية والحلقة الأولى من حلقاتها المحكمة ، فهى تستهدف ايجاد العنصر البشرى الادارى المناسب للقيام بالعمل المطلوب منه على خير وجه[١] .

والخليفة هو ولى أمر المسلمين المسؤول عن مصالحهم وجلبها ودرء المفاسد عنهم ، والأصل أن يقوم هو باختيار موظفى الدولة . ولكنه لما كان من الصعب عليه أن يباشر اختيار جميع الموظفين .. وجب عليه أن يباشر اختيار ذوى الرتب العالية ، كالوزراء وغيرهم ، وأن يحسن اختيارهم ، ويبحث لكل ولاية من الولايات عن أصلح الناس للقيام بها ، وأن لايألو جهدا فى البحث والاختيار لأن نجاحه فى اختيارهم يترتب عليه نجاحه فى سياسته ، واخفاقه فى اختيارهم يترتب عليه فشله فى سياسته[٢] .

وهناك أسس وقواعد ينبغى مراعاتها عند الاختيار "فولى الأمر ليس مطلق الحرية يختار من يشاء وفق ارادته وهواه ، بل يجب عليه أن يولى كل عمل من أعمال الدولة أصلح من يجده لذلك العمل ، أى أنه يجب عليه أن يختار الأكفاء القادرين على انجاز العمل على خير وجه ، ولايولى أحدا محاباة أو مجاملة"[٣] .

---

(١) د. محمد طاهر عبد الوهاب : الرقابة الادارية ــ ندوة النظم الاسلامية ص/٢٩٤ .
(٢) د. عبد الله أحمد قادرى : الكفاءة الادارية ص/١٦١ .
(٣) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٣٨٧-٣٨٨ .

يقول الامام الماوردى : يلزم ولى الأمر من الأمور العامة عشرة أشياء منها "... استكفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوض اليهم من الأعمال ، ويكله اليهم من الأموال ، لتكون الأعمال بالكفاة مضبوطة ، والأموال بالأمناء محفوظة " (١) .

ويقول الامام الطرطوشى ناصحا ولى الأمر : "يجب أن تولى الأعمال أهل الحزم والكفاية ، والصدق والأمانة ، وتكون التوليه للغنى لاللهوى" (٢) .

ويرى الشيزرى أن العدل لايتحقق لولى الأمر الا بلزوم عشر خصال منها : "اختيار خلفائه فى الأمور ، وولاته وقضاته وعماله ، بأن يكونوا من أهل الكفاية والأمانة ، والحذق والدراية ، فيما هم بصدده " (٣) .

ويقول ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : ان من حقوق الرعية على السلطان ، أن يقلد عليها الولاه والحكام لقطع المنازعات بين الخصوم ، وكف الظالم عن المظلوم "ولايولى ذلك الا من يثق بديانته وأمانته وصيانته ، من العلماء والصلحاء والكفاه والنصحاء" (٤) .

كما يفصل أبو الفضل ابن الأعرج (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) فى موضوع الاختيار بقوله : ان على ولى الأمر "أن يستعين فى الأعمال بكفاه العمال ، ويعتمد فى المهمات الثقال بأجلاد

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/١٦ ، انظر أيضا : ابا يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٨ ، ابن الأعرج : محمد بن عبد الوهاب (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) : تحرير السلوك فى تدبير الملوك ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، بدون ص/٢٧ .

(٢) الطرطوشى : سراج الملوك ص/٢٣٩ .

(٣) الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٢٥٣ .

(٤) ابن جماعة : تحرير الأحكام ص/٦٦ .

الرجال ، فيفوض كل عمل الى من قدمته قدم راسخة فى معرفته وأيدته يد باسطة فى درايته وتجربته ، ولايفوض عمل عالم الى جاهل ، ولاعمل نبيه الى خامل ، ولاعمل متيقظ الى غافل ، ولاعمل ذى جلبه الى عاطل .. وليحذر كل الحذر من أن يولى احد الخلق أمرا دينيا أو دنيويا بشفاعة ، أو رعاية لحرمه أو لقضاء الحق ، اذا لم يكن أهلا للولاية ، ولاناهضا تحمل بتقليده الكفاية ، فان أحب مكافأة من هذه صفته كافأه بالمال والصلات ، وقطع طمعه عما لايصلح له من الولايات" (١) .

ويؤكد ابن تيمية أن على ولى الأمر أن يبحث عند اختياره عن الأصلح فى كل منصب (٢) ، وأن لايقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق فى الطلب ، أو لقرابة أو حرمه (٣) ، فان لم يجد الأصلح للولاية اختار الأمثل فالأمثل فى كل منصب بحسبه (٤) .

وقد أوضح علماء الشريعة الاسلامية ، أن هناك شروطا يجب مراعاتها فى الرجل الذى يختار لوظيفة فى الدولة ، وفصلوا فى ذلك تفصيلا وافيا (٥) .

---

(١) ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٣٦ .

(٢) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص/٢٠ ، وقد فصل فى ذلك تفصيلا وافيا . انظر الصفحات ص/٢٠-٢٨ ، أيضا الفتاوى ٣٢٩/١٥-٣٣٠ ، ٢٤٧/٢٨، ٢٥٣، ٢٦٠ ، وانظر ابن القيم : الطرق الحكمية ص/٢٣٨-٢٣٩ .

(٣) ابن تيمية : الفتاوى ٢٤٧/٢٨-٢٤٨ ، السياسة الشرعية ص/١٤ .

(٤) ابن تيمية : الفتاوى ٢٥٢/٢٨ ، السياسة الشرعية ص/١٩.

(٥) انظر فى ذلك : أبو يوسف : الخراج ص/١٧٦، ٢٠٢، ٢٢٦-٢٣٣، ٢٧١، ٣٦٠-٣٦٢ ، البستى : روضة العقلاء ص/٢٧٠-٢٧١ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٧ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٣، ٢٩٩ ، الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق د. السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، بدون ص/٦، ١١ ، ابن تيمية : الحسبة ص/٦-٧ ، الفتاوى ٦٦/٢٨-٦٨ ، ابن جماعة : تحرير الأحكام ص/٨٥-٩٠ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٣٨ .

ولما كانت ضوابط الاختيار وقواعده نابعة من الشريعة الاسلامية ، فقد نالت اهتماما بالغا من قبل معظم خلفاء بنى العباس خلال فترة هذه الدراسة ، حيث أصبحت واقعا متجسدا نلمسه من خلال تتبعنا لما كان عليه حال هؤلاء الخلفاء .

وسنتناول فيما يلى قواعد اختيار كبار موظفى الدولة فى العصر العباسى كأساس من أسس الرقابة الادارية الرئاسية الواجبة على ولى الأمر .

أولا : اختيار الوزراء .[1]

تعتبر الوزارة من المناصب الادارية الهامة التى أصبحت واضحة المعالم فى العصر العباسى الأول . يقول ابن طباطبا : "والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها الا فى دولة بنى العباس ، أما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولامقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فاذا حدث امر استشار ذوى الحجا والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير . فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا" .[2]

ويؤيد ذلك ماذكره السخاوى (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) حيث يقول "ان الخلفاء العباسيين أول من استوزر الوزراء لأن بنى أمية كانوا يفوضون أمر الأموال وجبايتها وتقسيطها الى كتاب البلاد من قبل أمرائهم فى النواحى .. وكان بنو أمية لايستوزرون بل يتخذون أديبا من وجوه العرب ممن يرجع اليه فى الرأى والتدبير" .[3]

---

(١) الوزارة : قيل من الوزر وهو الملجأ ، أو من الوزر وهو الاثم والثقل . فالوزير اما مأخوذاً من الوزر فيكون المعنى أنه يحمل الثقل أو يكون مأخوذ من الوزر فيكون المعنى أنه يرجع ويلجأ الى رأيه وتدبيره .
انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤ ، ابو يعلى : الأحكام السلطانية ص/٢٩ ، الثعالبى : تحفة الوزراء (منسوب اليه) تحقيق حبيب على الراوى ، د. ابتسام القنعار ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٧٧م ص/٣٩-٤٠ ، الرازى : محمد بن أبى بكر (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٨م) : مختار الصحاح ، المركز العربى للثقافة والعلوم ، بيروت ، بدون ، ص/٥٢٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٢٣ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٣ .

(٣) السخاوى : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتاب العربى بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص/٩٧ .

ويدلنا هذا على أن منصب الوزارة في العصر العباسي الأول كان تطورا طبيعيا لمنصب الكاتب أو المشير . وفي ذلك يقول المسعودي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : "استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيرا" (١) .

ولما كان الوزير وسيطا بين الملك ورعيته (٢) "لم يكن الخلفاء والملوك تستوزر الا الكامل من كتابها ، والأمين العفيف من خاصتها ، والناصح الصادق من رجالها ، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها ، وتثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في أمورها .." (٣) .

عهد السفاح :

نجد أن أبا سلمة الخلال (٤) أول وزير في الدولة العباسية (٥) الذي كان يلقب بوزير آل محمد (٦) ، اختير لمنصب الوزارة نظرا

---

(١) المسعودي : علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) : التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت ، بدون ص/٢٩٤ .
(٢) ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٢ .
(٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ص/٢٩٤ .
(٤) هو حفص بن سليمان الهمذاني الخلال ، أبو سلمة ، أول من لقب بالوزارة في الاسلام . كان من مياسير أهل الكوفة وكان ينفق ماله على رجال الدعوة . تولى الوزارة لأبي العباس السفاح ولقب بوزير آل محمد وكتب بذلك على كتبه . استمر على الوزارة حوالي أربعة أشهر ثم اغتيل سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م .
انظر : ابن خلكان : أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان ، تحقيق د. احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون ١٩٥/٢-١٩٦ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٣-١٥٤ ، الذهبي : سير ٧/٦-٨ ، ترجمة رقم ٣
(٥) انظر : الدينوري : أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) : الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م ، ص/٣٧٠ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص/٢٩٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ ، أبو زكريا الأزدي : يزيد بن محمد بن اياس (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م) : تاريخ الموصل ، تحقيق د. علي حبيبه ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص/١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٢٢/١ ، ١٩٥/٢-١٩٦ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٣ .
(٦) اليعقوبي : أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر بيروت ، بدون ٣٥٢/٢ ، الطبري : تاريخ ٤٥٠/٧ ، المسعودي : تنبيه ص/٢٩٣ ، مروج الذهب ، تدقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة السادس ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ٢٧١/٣ ، =

لما يتمتع به من ادب وعلم بالسياسة والتدبير (١) ، مع فصاحة في اللسان ، وعلم بالأخبار والأشعار والجدل وتفسير القرآن ، وحضور الحجة وكثرة الجِد (٢) . اضافة الى دوره البارز أثناء الدعوة العباسية (٣) ، وتقدير الخليفة أبي العباس ـ السفاح ـ (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) (٤) لجهوده تلك (٥) ، كل ذلك جعل من أبي سلمة أهلا لتولي منصب الوزارة (٦) .

= الصابي : هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) : رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص/٣٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٥ .

(١) المسعودي : مروج الذهب ٢٧١/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩٦/٢ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص/٨٦ ، أيضا ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٥ .

(٣) الجهشياري : الوزراء ص/٨٤-٨٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٧٠/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩٦/٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٤ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، أبو العباس ، أول خلفاء الدولة العباسية ، بويع بالخلافة جهرا بالكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، لقب بالسفاح وكانت اقامته بالانبار حيث بنى مدينة سماها "الهاشمية" وجعلها مقر خلافته . توفي سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م . انظر : الخطيب : بغداد ٤٦/١٠-٥٣ ترجمة رقم ٥١٧٨ ، الذهبي : سير ٧٧/٦-٨٠ ترجمة رقم ١٨ ، الزركلي : الأعلام ١١٦/٤ .

(٥) الجهشياري : الوزراء ص/٨٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٧٠/٣ ، الأزدي : علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) : أخبار الدول المنقطعة ـ تاريخ الدولة العباسية ـ تحقيق د. محمد مسفر الزهراني ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص/٨٠ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ .

(٦) على الرغم مما أثير في بعض الروايات من أن أبا سلمة الخلال تولى الوزارة قبل أن يبايع الخليفة السفاح . انظر في ذلك : الطبري : تاريخ ٤١٥/٧،٤١٨،٤١٩ ، الجهشياري : الوزراء ص/٨٤-٨٧ ، وتشير روايات أخرى الى أن أبا سلمة تولى الوزارة على كره من الخليفة . انظر : المسعودي : مروج ٢٧٠/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٩٦/٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٥ ، في حين تنص روايات أخرى الى أن السفاح هو الذي ولى أبا سلمة الوزارة فور مبايعته بالخلافة . انظر : الدينوري : الأخبار ص/٣١٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٥ ، الاربلي عبد الرحمن بن سنبط قنيتو (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك . صححه مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون ص/٥٥ .

وبعد مقتل ابى سلمة (١٣٢هـ/٧٤٩م) وزر للسفاح خالد بن برمك[1] وان لم يسم وزيرا تطيرا مما جرى لابي سلمه[2] . وكان خالد قبل ذلك من رجال الدعوة العباسية البارزين[3] ، حيث كان في عسكر قحطبة بن شبيب[4] يتقلد خراج كل ما افتتحه قحطبة من الكور ، وتقلد الغنائم وقسمها بين الجند ، فقسط الخراج وأحسن الى أهله[5] .

---

(١) تذكر أغلب المصادر أن خالد بن برمك وزر للسفاح عقب مقتل أبى سلمة الخلال .
انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ ، المسعودى التنبيه والاشراف ص/٢٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٩/٦-٢٢٠ ، ابن الكازرونى : على بن محمد (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) : مختصر التاريخ ، تحقيق د. مصطفى جواد ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص/١١٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك ص/٥٩ ، الذهبى : سير ٢٢٩/٧ ، العبر فى خبر من غبر ، تحقيق محمد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٨٩/١ ، اليافعى : عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) : مرآة الجنان ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ٤٠٧/١ ، ابن دحية : عمر بن الحسن (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، صححه عباس الغزاوى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م ص/٣٨ الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ص/٩٢-٩٣،١٣٩-١٤٠ .
وقد أشار ابن طباطبا الى أن هناك من تولى الوزارة للسفاح بعد مقتل أبى سلمة قبل خالد بن برمك . الفخرى ص/١٥٦ . انظر أيضا : الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٠ .
وهو خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف أبو البرامكة وأول من تمكن منهم فى دولة بنى العباس . كان أبوه برمك من مجوس بلخ . وكان خالد سخيا سريا عاقلا فيه نبل . ت ١٦٣هـ/٧٨٠م .
انظر : الذهبى : سير ٢٢٨/٧-٢٢٩ ، ترجمة رقم ٨١ ، الزركلى : الأعلام ٢٩٥/٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٦ .

(٣) انظر : الدينورى : الأخبار ص/٣٦٤ ، الطبرى : تاريخ ٣٦٣/٧،٣٩٠ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٣٩/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٢٠/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٥/١ .

(٤) هو قحطبة بن شبيب الطائى قائد شجاع ، صحب أبا مسلم الخراسانى وناصره فى اقامة الدعوة العباسية بخراسان وكان أحد النقباء الاثنى عشر الذين اختارهم محمد بن على ممن استجاب له فى خراسان (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م) . الزركلى : الأعلام ١٩١/٥ .

(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/٨٧ ، وانظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٢٤٣/٢ .

ولما عقدت البيعة لأبى العباس السفاح ، وحضر خالد بن برمك لمبايعته ، رأى السفاح فصاحته ، فاعجب به ، وأقره على ماكان يتقلد من الغنائم ، وولاه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند ، "فكثر حامده وحسن أثره" (١) .

ويبدو أن تفوق خالد بن برمك فى الشئون الادارية حدا بأبى العباس الى أن يوليه منصب الوزارة . وفى ذلك يقول الجهشيارى (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م) : "كان سبيل مايثبت فى الدواوين ، أن يثبت فى صحف ، فكان خالد أول من جعله فى دفاتر ، فخص بأبى العباس وحل محل الوزير" (٢) .

وقد وصف خالد بالفطنة وحسن الرأى (٣) . كما يقول عنه ابن طباطبا : انه كان "فاضلا جليلا كريما حازما يقظا" (٤) . ويضيف ابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) قوله : "كان داهية الرجال كافيا فصيحا حسن السيرة" (٥) . ولم يزل خالد بن برمك على الوزارة حتى توفى السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م (٦) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٨٩ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٨٩ . ولمزيد من المعلومات انظر الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ص/٩٢ ، محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م ١٩٦/٢ ، د. محمد ضيف الله بطاينه : فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ١٦٤/١ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٨٨ . انظر أيضا المسعودى : مروج الذهب ٣٦٨/٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢٢٠/٦ اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٥/١ ، الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ص/٩٢-٩٣ .

(٤) الفخرى ص/١٥٦ .

(٥) ابن العمرانى : محمد بن على (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) : الانباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائى دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص/٦٨ ، وانظر الذهبى : سير ٢٢٩/٧ .

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٢/١ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٩٣ .

عهد المنصور :

لما تولى المنصور الخلافة (١) (١٣٧-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٤م) أقر خالدا على وزارته سنة وبضعة أشهر (٢)، ثم ولاه (٣) امرة بلاد فارس (٤) واستوزر بعده أبا أيوب الموريانى (٥).

وهناك عدة روايات حول كيفية اتصال أبى أيوب الموريانى بالمنصور حتى اختاره للوزارة. فيذكر ابن طباطبا أن المنصور كان قد اشتراه صبيا قبل الخلافة وثقفه، فأرسله الى أخيه السفاح وهو خليفة فأعجب بفصاحته، فاحتبسه عنده وكتب الى المنصور يعلمه أنه قد أخذه وأعتقه واختص بالسفاح مدة خلافته، ثم نمت حاله حتى قلده المنصور وزارته (٦). ويقول الجهشيارى (٧): ان عبد الملك بن حميد كان يكتب لأبى جعفر المنصور، وكانت له منزلة من أبى جعفر خاصة

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن على بن العباس، أبو جعفر، المنصور، ثانى خلفاء بنى العباس، ولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، وهو بانى مدينة بغداد وجعلها دار ملكه، كان بعيدا عن اللهو والعبث كثير الجد والتفكير، توفى ببئر ميمون – قرب مكة – محرما بالحج، ودفن فى الحجون بمكة وذلك فى سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م.
انظر : الخطيب : تاريخ بغداد ١٠/٥٣-٦١ ترجمة رقم ٥١٧٩، الذهبى : سير ٧/٨٣-٨٩.

(٢) ابن دحية : النبراس ص/٣٨، ابن خلكان : وفيات ١/٣٣٢ ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١١٧، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٦، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢، الذهبى : سير ٧/٢٢٩، الأزدى : أخبار الدول ص/١٣٩-١٤٠.

(٣) ابن خلكان : وفيات ١/٣٣٢، الذهبى : سير ٧/٢٢٩.

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٩، الذهبى : سير ٧/٢٢٩.

(٥) هو سليمان بن مخلد الموريانى الخوزى أبو أيوب. أصله من موريان احدى قرى الأهواز. ت ١٥٤هـ/٧٧١م.
ابن خلكان : وفيات ٢/٤١٠-٤١٤، ترجمة ٢٧٦.

(٦) الفخرى ص/١٧٥، وانظر : الحميرى : محمد بن عبد المنعم (ت نحو ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) : الروض المعطار، تحقيق د. احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م ص/٥٦٣.

(٧) هو عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى من أهل حران كان كاتبا متقدما. طلب المنصور كاتبا فوصف له فأمر باحضاره فأحضر فقلده كتابته ودواوينه.
الجهشيارى : الوزراء ص/٩٦.

عنده ، وكان عبد الملك ربما تثاقل عنه وتعلل عليه ، فاستثقل المنصور ذلك منه ، مع استصلاحه له وسكونه اليه ، وامره باتخاذ من ينوب عنه اذا غاب عن حضرته ، فاتخذ أبا أيوب الموريانى ، وهو فتى حدث ، كان ظريفا خفيفا على القلب ، متأتيا لما يريده منه أبو جعفر . وكان له بابى جعفر حرمه رعاها (١) فخف على قلبه ، واعتل عبد الملك من نقرس كان به فلزم منزله ، فلم يزل أمر أبى أيوب يعلو ، ومحله من أبى جعفر يزيد ، حتى قلده وزارته ، وفوض اليه أمره كله كما قلده الدواوين مع الوزارة ، وغلب عليه غلبة شديدة (٢) .

ويرى ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) أن وصول الموريانى الى الوزارة كان عن طريق ابعاد خالد بن برمك عن وجه المنصور ، حيث أنه أشار على المنصور بأن يوليه بلاد فارس ، "فلما بعد خالد عن الحضره استبد أبو أيوب بالأمر" (٣) فى حين ينص الجهشيارى على أن المنصور هو الذى صرف خالدا عن الوزارة وقلده بلاد فارس (٤) .

وعلى الرغم مما أشارت اليه روايات المصادر من أحداث تفسر لنا كيفية اتصال الموريانى بأبى جعفر ومعرفته اياه ،

---

(١) تذكر المصادر أن أبا أيوب الموريانى خلص أبا جعفر من يد سليمان بن حبيب المهلبى عندما أراد ضربه وحبسه وكان الموريانى كاتبا لسليمان فحفظ المنصور ذلك له فاستوزره .
انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٨٩/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٨-٩٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٨٥/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٤١٠/٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٨٦ الحميرى : الروض ص/٥٦٣ . وقد أشار الطبرى الى أن أبا أيوب كان يكتب للمنصور قبل توليه الخلافة ، تاريخ ٤٨١،٤٨٠/٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧،٩٦ .

(٣) ابن خلكان : وفيات ٣٣٢/١ ، وانظر أيضا الأزدى : أخبار الدول ص/١١٠ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٩ ، ويذكر أنه بعد عزل المنصور لخالد أخذ الموريانى يسعى به .

الا أن ذلك لايعد الدافع الأساسي وراء اختياره للوزارة . فالمنصور لايولي أحدا منصبا اداريا من أجل حرمه رعاها له لاسيما الوزارة ، فهو يرى أن قضاء الحقوق يكون بالأموال الخاصة ، أما المناصب فتعطى للكفاءات (١) .

فالواضح أن مقدرة أبي أيوب المورياني الكتابية والادارية ، هي التي جعلت المنصور يختاره لوزارته . فهناك روايات تشير الى اشتغال المورياني في الادارة منذ أواخر العصر الأموي ، اضف الى ذلك مايتمتع به من خلال حسنه جعلته أهلا لتولي هذا المنصب المهم ، حيث يقول الجهشياري : "كان ظريفا خفيفا على القلب متأتيا لما يريده منه أبو جعفر ، وقد كان أخذ من كل شيء طرفا ، وكان يقول : ليس من شيء الا وقد نظرت فيه الا الفقه فلم أنظر فيه قط ، وقد نظرت في الكيمياء والطب والنجوم والحساب والسحر" (٢) . ويقول عنه ابن طباطبا : "كان لبيبا بصيرا بالأمور عاقلا فطنا ذكيا فاضلا كريما غزير المروءة" (٣) . فاستمر المورياني على وزارة المنصور حتى عزله عنها سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م (٤) .

---

(١) ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١ . حيث روى أن المنصور "قال له الربيع ان لفلان حقا فان رأيت أن تقضيه وتوليه ناحية ، فقال ياربيع ان لاتصاله بنا حقا في أموالنا لافي أعراض المسلمين وأموالهم . انا لانولي للحرمة والرعاية بل للاستحقاق والكفاية ولانؤثر ذا النسب والقرابة على ذوي الدراية والكفاية فمن كان منكم كما وصفنا شاركنا في أعمالنا ومن كان عطلا لم يكن لنا عند الناس عذر في توليتنا اياه . وكان العذر في تركنا له وفي خاص أموالنا مايسعه" .
ويذكر الطبري أن المنصور سأل اسماعيل بن عبد الله قائلا : "فمن ينبغي للملك أن يتخذ وزيرا ، قال : أسلمهم قلبا وأبعدهم من الهوى" . تاريخ ٧١/٨ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص/٩٧ .

(٣) الفخري ص/١٧٥ .

(٤) الجهشياري : الوزراء ص/١٢٤ ، أيضا ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١١٧ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٦١ .

ثم استوزر المنصور بعد أبى أيوب الربيع بن يونس مولاه (١) وكان قبل ذلك على حجابته (٢) وكان الربيع مقدما فى عمله قبل أن يلى الوزارة . يقول الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : "ذكروا أنه لم يرق الحجابة أعرق من ربيع وولده" (٣) . ويقول ابن العمرانى : "كان كافيا حسن التدبير منفذا للأمور ، جلدا فى حالتى الحجابة والوزارة" (٤) . وقد ذكر أن المنصور "كان كثير الميل اليه ، حسن الاعتماد عليه" (٥) . كما وصف أيضا بأنه "أعقل الناس ، وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين" (٦) .

والحق أن نظرة لما وصف به الربيع بن يونس تريبنا أن المنصور راعى فى اختياره شروط الوزارة . فالمنصور يبحث عن الرجل الكفؤ ليوليه المنصب الملائم له . والوزير فى هذه

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٤/٥ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٤١٤/٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٦٨ ، ابن الكازرونى مختصر التاريخ ص/١١٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١١٠ ، مجهول : العيون والحدائق ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٦٩م ٢٦٨/٣ .
وهو الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة كيسان . من موالى بنى العباس . تولى الحجابة والوزارة للمنصور وعاش الى خلافة المهدى وحظى عنده ثم صرفه الهادى عن الوزارة وأقره على دواوين الأزمة فلم يزل عليها حتى توفى سنة ١٦٩هـ/٧٨٦م .
انظر : الذهبى : سير ٣٣٥/٧ ترجمة رقم ١٢٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٤١٤/٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٦٨ ابن خلكان : وفيات ٢٩٤/٢ .
والحجابة : يراد بها حجب الخليفة عن الناس ، ويقوم بها الحاجب وهو موظف كبير يشغل منصبا ساميا فى البلاط ومهمته ادخال الناس على الخليفة بحسب أهمية مراكزهم وقد ظهرت فى العصر الأموى زمن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .
انظر : د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/١٤٦ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٦٩ .

(٣) تاريخ بغداد ٤١٤/٨ .

(٤) الانباء ص/٦٨ .

(٥) ابن خلكان : وفيات ٢٩٤/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٥٩/١ .

(٦) ابن خلكان : وفيات ٢٩٩/٢ .

الفترة من تأسيس الدولة العباسية ، لم يكن أكثر من كاتب حصيف ، ذى معرفة بالأمور الادارية لاشرافه على بعض مؤسسات الدولة ، وفهم فى السياسة لدوره فى الشورى . لذا نجد المنصور يركز على هذه الصفات كأساس لاختيار الوزير . يقول ابن طباطبا : ان الربيع بن يونس كان "جليلا نبيلا ، منفذا للأمور ، مهيبا فصيحا حازما ، عاقلا فطنا خبيرا بالحساب والأعمال ، حاذقا بأمور الملك ، بصيرا بما يأتى ويذر ، محبا لفعل الخير" (١) .

ولم يزل الربيع وزيرا الى أن مات المنصوروهو آخر وزرائه (٢) .

عهد المهدى :

عندما تولى المهدى الخلافة لم يستوزر الربيع (٣) ، على الرغم من حسن رأيه فيه (٤) ، حيث استوزر كاتبه ونائبه قبل الخلافة معاوية بن يسار (٥) . وكان المنصور قد اختاره لتربية ابنه المهدى والكتابة له ، ويقال انه عزم على أن يستوزره ولكنه آثر ابنه به (٦) ، وقد جعل المهدى أموره اليه قبل

---

(١) الفخرى ص/١٧٨ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٨ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١١٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١ .
(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٤١٤/٨ .
(٤) انظر ابن بكار : الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) : جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٣٨١هـ ص/١٢٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٩٥/٢ .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٦/٥ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٤١ ، البغدادى : تاريخ ١٩٦/١٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٧٢ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٢٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٢ ، الأزدى: الدول المنقطعة ص/١٢١ ، وذكر الطبرى اتصاله بالمهدى زمن المنصور ، تاريخ ١٣٧/٨ .
وهو معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعرى بالولاء أبو عبيد الله ، من كبار الوزراء ، كان أوحد الناس فى عصره حذقا وخبرة وكتابة ، ت ١٧٠هـ/٧٨٦م .
انظر : الذهبى : سير ٣٩٨/٧ ، ترجمة رقم ١٤٤ .
(٦) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٢ .

الخلافة ، وكان يعظمه ولايخالفه في شيء يشير به [(١)] ، وقد اكتسب معاوية بن يسار خبرة ادارية في هذه الفترة حيث كان على الخراج زمن المنصور ، والمهدى نائبا لأبيه على بغداد . كما ضمه المنصور الى ابنه المهدى عندما أنفذه الى الرى ، وأذن له في الانفاق والتصرف في بيت المال [(٢)] .

وعلى الرغم من أن المهدى ولى وزارته معاوية بن يسار نظرا لعلاقته القوية به قبل الخلافة ، الا أنه راعى في اختياره شروط الكفاءة ، فقد عرف عن المهدى أنه "لايتكل في الأمور على غير ثقة" [(٣)] . ولهذا السبب نجد وزراءه ذوى كفاءات عالية . يقول ابن طباطبا : في أيام المهدى ظهرت أبهة الوزارة "بسبب كفاءة وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار فانه جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان وقرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة" [(٤)] . ويفصل ابن طباطبا ماأجمله من وصف أبي عبيد الله بتقدمه في أمور الخراج حيث يقول : ان المهدى "فوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه الدواوين ، وكان مقدما في صناعته فاخترع أمورا منها أنه نقل الخراج الى المقاسمة ، وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجا مقررا ولايقاسم ، فلما ولى ابو عبيد الله الوزارة قرر أمر المقاسمة ، وجعل الخراج على النخل والشجر .. وصنف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده ، وهو أول من صنف كتابا في الخراج وتبعه الناس بعد ذلك فصنفوا كتب الخراج" [(٥)] .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٨ ، الخطيب : تاريخ ١٣/١٩٦
ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٢ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٣، ١٢٦، ١٢٧ .
(٣) المسعودى : التنبيه ص/٢٩٧ .
(٤) الفخرى ص/١٨١ .
(٥) الفخرى ص/١٨٢ .

كذلك فقد وصف أبو عبيد الله بخلال حسنة تزيد من قدره حيث يقول البغدادي : "كان خيرا فاضلا عابدا" (١) . كما يقول عنه الجهشياري : "كان أبو عبيد الله يضبط أمور المهدي ويشير عليه بالاقتصاد وحفظ الأموال" (٢) . كما روى عن المهدي قوله : "مارأيت أحزم ولا أفهم ولا أكفا ولا أعف من أبي عبيد الله" (٣) ، بل أن أعداءه الذين سعوا به عند المهدي لم يجدوا عليه مطعنا في كفاءته" (٤) .

وعلى الرغم من كفاءة أبي عبيد الله الكتابية والادارية الا أن وزارته لم تدم طويلا حيث صرفه المهدي سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م ، واقتصر به على ديوان الرسائل ، وولى مكانه يعقوب بن داود (٥) .

---

(١) البغدادي : تاريخ بغداد ١٣/١٩٦ . ويقول عنه أيضا : كتب الحديث وطلب العلم "روى وحدث" . ويقول الذهبي : "كان من خيار الوزراء صاحب علم وعبادة وصدقات .." العبر ٢٠٠/١ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص/١٥٨ . "وكان المنصور خلف في بيوت الأموال عند وفاته تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم" .

(٣) التنوخي : المحسن علي (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، طبع ١٣٩١هـ/١٩٧١م ١٣٦/٨ .

(٤) عندما أراد الربيع أن يسعى بأبي عبيد الله عند المهدي قال : "أي شيء يقال في أبي عبيد الله ؟ يقال هو جاهل بصناعته ، فأبو عبيد الله أحذق الناس . أو يقال هو ظنين فهو أعف الناس ، ثم عدد دينه وأمانته على الدولة . ولم يجد عليه طريقا الا من ناحية ابنه حيث رماه بالزندقة حتى قتله المهدي ، ثم استوحش من أبي عبيد الله من أجل ذلك فصرفه عن الوزارة . انظر : الطبري : تاريخ ١٣٩/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٣ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٨٣ ، العيون والحدائق ٢٧٥/٣ .

(٥) الجهشياري : الوزراء ص/١٥٦ ، وأشار الى وزارة يعقوب كل من ابن العمراني : الانباء ص/٧٢ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢/٧ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١٢٠ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٩٢ ، العيون والحدائق ٢٧٥/٣ . وهو يعقوب بن داود بن طهمان ، السلمي بالولاء أبو عبد الله كاتب من أكابر الوزراء . توفي سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م . انظر : ابن خلكان : وفيات ١٩/٧-٢٦ ترجمة رقم ٨٣٠ ، الذهبي : سير ٣٤٦/٨ ترجمة رقم ٩٣ ،

ان تاريخ يعقوب بن داود يدلنا على عراقته هو واسرته في الكتابة وأعمال الادارة . وهذا يفسر لنا جانبا من أسباب اختيار المهدي له ، فقد كان داود بن طهمان – والد يعقوب – واخوته كتابا لنصر بن سيار – عامل خراسان زمن بني أمية – (١) ولما قامت الدولة العباسية وتوفي داود خرج ولده أهل أدب وعلم بأيام الناس وسيرهم وأشعارهم (٢) . كما عمل يعقوب كاتبا بين يدي عبد الحميد بن يحيى – الكاتب الأموي المعروف – وكان ممن تخرج عليه وتعلم منه (٣) . كما كتب للوزير السابق أبي عبيد الله (٤) " .

وتذكر روايات المصادر كيفية اتصال يعقوب بن داود بالمهدي ، وتجعل من ذلك أحد الأسباب الهامة التي حدت بالمهدي الى اختياره للوزارة ، حيث يقول الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) : ان يعقوب بن داود واخوته عندما رأوا أنه ليست لهم عند بني العباس منزلة لحال أبيهم من كتابة نصر ، أظهروا مقالة الزيدية ، ودنوا من آل الحسن ، وكان يعقوب يطلب البيعة في البلاد لمحمد بن عبد الله (٥) ثم حبس المنصور يعقوب

---

(١) الطبري : تاريخ ١٥٤/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٥ ، ابن خلكان : وفيات ٢٠/٧ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٨٤ أبو الفداء : اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت (بدون) ١٠/٢ ، الصفدي : خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نكت الهميان ، نشر أحمد زكي بك ، المطبعة الجمالية مصر ١٣٢٩هـ/١٩١١م ص/٣١٠ .

(٢) انظر الطبري : تاريخ ١٥٥/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٥ .

(٣) ابن خلكان : وفيات ٢٢٩/٣، ٢٣١ .

(٤) الاسكافي : لطف التدبير ص/٢١٠ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله الملقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية . أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين ، ولد ونشأ بالمدينة المنورة . توفي سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م . الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ص/ ٢٣٢ .

فى المطبق بعد أن قتل محمداً وابراهيم (١). ولما تولى المهدى من عليه وأخلى سبيله . ثم "مكث المهدى برهة يطلب عيسى بن زيد والحسن بن ابراهيم بن عبد الله بعد هرب الحسن من حبسه (٢). فقال المهدى يوما لو وجدت رجلا من الزيدية له معرفة بآل حسن ، وبعيسى بن زيد وله فقه فاجتلبته الى عن طريق الفقه فيدخل بينى وبين آل حسن وعيسى بن زيد ، فدل على يعقوب بن داود" (٣).

وعلى الرغم من تناقل بعض المصادر لرواية الطبرى هذه التى تجعل اختيار يعقوب بن داود لأسباب سياسية (٤) ، وتأثر بعض الباحثين بها (٥) ، فان الطبرى نفسه يعود ليشكك فى صحة هذه الرواية حيث يقول : ".. فأدخل عليه .. فكلمه وفاتحه فوجده رجلا كاملا . فسأله عن عيسى بن زيد ، فزعم الناس أنه وعده الدخول بينه وبينه ، وكان داود يتنفى من ذلك ، الا أن الناس قد رموه بأن منزلته عند المهدى انما كانت للسعاية بآل على" (٦).

---

(١) هو ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أحد الأمراء الأشراف الشجعان . خرج بالبصرة على المنصور العباسى ، قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م . الاصفهانى : مقاتل الطالبيين ، ص/ ٣١٥ ، الزركلى : الأعلام ٤٨/١ .

(٢) هو عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب من كبار الطالبيين . كنيته أبو يحيى . ولد ونشأ بالمدينة المنورة وصحب محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم . توفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م . الاصفهانى : مقاتل الطالبين ، ص/ ٤٠٥ ، الزركلى : الأعلام ١٠٢/٥-١٠٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨ .

(٤) انظر : الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٤ ، العيون والحدائق ٢٧٠/٣ .

(٥) انظر : د. توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة ، نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ١٣٢-٤٤٧هـ ، دار الكتب ، جامعة الموصل ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ص/ ٨٦ .

(٦) الطبرى : تاريخ ١٥٥/٨-١٥٦ .

وهذا يجعلنا نرجح رواية أخرى تذكر أن الربيع بن يونس كان يثني على يعقوب بن داود في الخلوات عند المهدي "فطلب المهدي أن يراه ، فلما حضر بين يديه رأى أكمل الناس خلقا وفضلا . ثم قال له : ياأمير المؤمنين هاهنا أمور لاتنتهي الى علمك فان وليتني عرضها عليك بذلت جهدي في نصيحتك ، فقربه وأدناه ، فصار يعرض عليه من المصالح والمهمات والنصائح الجليلة ، مالم يكن يعرض عليه من قبل ، فاستخصه وكتب كتابا بأنه أخوه في الله تعالى ، واستوزره وفوض اليه الأمور كلها وسلم اليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس" (١) .

ان الكفاءة الادارية من وجهة نظري هي التي أدت الى أن يتولى يعقوب بن داود منصب الوزارة . بل ان المهدي اختبره ليعلم حاله فوجده رجلا كاملا فاضلا (٢) . كما تشير المصادر الى أن يعقوب قضى فترة من الزمن بالقرب من المهدي قبل أن يستوزره (٣) . فجاء اختياره نتيجة اقتناع المهدي به وبقدراته (٤) .

ولما عزل المهدي وزيره يعقوب بن داود سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م (٥) ـ بعد أن وشى به أعداؤه ـ ولى الفيض بن أبي صالح الوزارة

---

(١) ابن طباطبا : الفخري ص/١٨٤ . انظر أيضا الطبري : تاريخ ١١٧/٨،١١٩ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٥ ، الصفدي : نكت الهميان ص/٣١٠ ، العيون والحدائق ٢٧٠/٣-٢٧١ .

(٢) انظر : الطبري : تاريخ ١٥٥/٨ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٨٤ . وعن صفاته انظر أيضا اليعقوبي : تاريخ ٤٠١/٢ الخطيب البغدادي : تاريخ ٢٦٢/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٠/٧ .

(٣) الطبري : تاريخ ١٥٦/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٥ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٨٤ .

(٤) الطبري : تاريخ ١٥٤/٨ .

(٥) الجهشياري : الوزراء ص/١٦٤ ، ابن العمراني : الانباء ص/٧٢ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١٢٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦/٧ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٢١ ، وقال اليعقوبي : ولى المهدي مكان يعقوب محمد بن الليث صاحب البلاغة ، تاريخ ٤٠١/٢ .
وهو الفيض بن أبي صالح شيرويه أبو جعفر الفارسي . أسلم وكان نصرانيا فوزر للمهدي في أواخر خلافته . توفي سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م .
الذهبي : سير ٢٧٥/٨ ، ترجمة رقم ٦٨ .

وكان من غلمان عبد الله بن المقفع (١) ، وقد وصف للمهدى لما عزم على عزل يعقوب بن داود ، فلما قبض عليه أحضر الفيض واستوزره وفوض اليه الأمور (٢) . يقول عنه الجهشيارى : "وكان سخيا سريا كثير الأفضال واسع الحال" (٣) ، كما وصف بأنه كان "متكبرا متجبرا مترفعا" (٤) ، غير أنه من الواضح أن المهدى قد اختاره لتقدمه فى العلم والادارة والسياسة ، وظل الفيض وزيرا حتى وفاة المهدى (٥) .

عهد الهادى :

عندما تولى الهادى الخلافة (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م) (٦) لم يستوزر الفيض (٧) ، ويرى بعض الباحثين أن الهادى لم يكن له وزير حيث قام بتدبير الأمور بنفسه (٨) ، فى حين تؤكد أهم المصادر المتقدمة أن الهادى استوزر أكثر من وزير ، على الرغم من قصر فترة خلافته ، فقد ولى الربيع بن يونس وزارته وتدبير أموره (١٠) ، وماكان عمر بن بزيع (٩) يتولاه من دواوين الأزمة

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٢٦/٧ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٨ .
(٣) الوزراء ص/١٦٤ ، أيضا ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٧ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦/٧ ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٧ .
(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٨ .
(٦) هو موسى – الهادى – بن محمد – المهدى – بن أبى جعفر المنصور ، أبو محمد . من خلفاء الدولة العباسية ببغداد . ولد بالرى سنة ١٤٤هـ/٧٦١م ، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م . ولم تطل مدة خلافته حيث توفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م .
انظر : الخطيب : تاريخ بغداد ٢١/١٣-٢٥ ترجمة رقم ٦٩٨٥ ، الذهبى : سير ٤٤١/٧-٤٤٤ .
(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٨ .
(٨) انظر : د. توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/٥٦ .
(٩) هو عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين المهدى . ولاه سنة ١٦٢هـ دواوين الأزمة . الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ .
(١٠) الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٧ ، المسعودى : التنبيه ص/٢٩٨ ، مروج الذهب ٣٢٦/٣ . انظر أيضا عن تولى الربيع الوزارة ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٦/٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٧٤ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٢٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٠٥ . =

ثم صرف الربيع عن الوزارة ، وقلدها ابراهيم بن ذكوان الحراني .. وأقر الربيع على دواوين الأزمة فلم يزل عليها حتى مات سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م فقلد الهادى ديوان الأزمة ابراهيم ابن ذكوان أيضا (١) . كما ولى عمر بن بزيع الوزارة وديوان الرسائل (٢) .

وعند استعراضنا لوزراء الهادى نجد أن الربيع بن يونس كان حاجبا ، ثم وزيرا للخليفة المنصور ، وقد سبقت الاشارة الى كفاءته الادارية وحسن سيرته (٣) ، كما عمل حاجبا للخليفة المهدى (٤) . ويبدو أن الهادى قد راعى فى الربيع خدمته الطويلة للدولة ، وتمرسه فى الأعمال الادارية . أضف الى ذلك دوره فى القيام بأمر البيعة له فى بغداد ، حيث كان الهادى عند وفاة والده يقيم بجرجان (٥) . فاتخذه وزيرا له .

أما ابراهيم بن ذكوان فتشير المصادر الى اتصاله بالهادى قبل توليه الخلافة ، حيث كان مقربا من والده المهدى . يقول الجهشيارى : "كان ابراهيم خاصا بالمهدى

= وديوان الأزمة من الدواوين التى كان يعمل بها فى العصر العباسى الأول فى خلافة المهدى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م . ومعنى ديوان الأزمة أن يكون لكل ديوان زمام وهو رجل يضبطه . انظر الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨،١٦٧ .

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٧ ، أيضا المسعودى : التنبيه ص/٢٩٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٢ . قارن مع ماذكره الطبرى : تاريخ ٢٢٨/٨ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٣٢٦/٣ ، وقد جعله بعد الربيع فى الوزارة ، انظر أيضا : الطبرى : تاريخ ٢٢٨/٨ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٢٩ ، العيون والحدائق ٢٨٩/٣-٢٩٠ .

(٣) انظر ص/٦٦ من هذا البحث .

(٤) الخطيب : تاريخ ٤١٤/٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ١٨٧/٨-١٨٨،١٨٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٧ .
وجرجان مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان . قيل ان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . ياقوت : معجم البلدان ١١٩/٢ .

فلما أنفذ المهدي موسى الى جرجان أنفذ معه ابراهيم الحراني ، فخص بموسى ولطف موقعه منه " (١) . ويؤكد صاحب الفخري على هذه العلاقة بقوله : "كان ابراهيم قد اتصل بالهادي في أيام حداثته ، كان يدخل اليه مع معلم كان يعلم الهادي فخف ابراهيم على قلب الهادي وألفه ، وصار لايصبر عنه .. وجلس الهادي على سرير الخلافة ثم بعد ذلك بمديدة استوزر الحراني ولم تطل الأيام حتى مات الهادي" (٢) .

فالعلاقة التي كانت تربط ابراهيم بن ذكوان بالهادي هي التي جعلته يصل الى الوزارة ، ولم تشر المصادر الى حال هذا الوزير ومايتمتع به من كفاءة .

أما عمر بن بزيع فقد تولى دواوين الأزمة زمن المهدي (٣) مما أعطاه خبرة ادارية أهلته لتولي منصب الوزارة .

عهد الرشيد :

لما تولى الرشيد الخلافة استوزر كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة يحيى بن خالد بن برمك (٤) ، ومعه ابناه الفضل وجعفر (٥)

---

(١) الوزراء ص/١٦٧ .
(٢) ابن طباطبا : الفخري ص/١٩٢ .
(٣) الطبري : تاريخ ١٤٢/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٤٦ ، المسعودي : مروج ٣٢٦/٣ .
(٤) ابن طباطبا : الفخري ص/١٩٧ ، وقال الطبري أنه في سنة ١٦١هـ عين المهدي يحيى بن خالد كاتبا ووزيرا لابنه هارون ، تاريخ ١٤٠/٨ .
وهو يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل الوزير مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه . توفي سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م انظر : الذهبي : سير ٨٩/٩ ترجمة رقم ٢٨ .
(٥) أشار الى تولي الفضل وجعفر الوزارة كل من ابن عبد ربه : العقد ١١٨/٥ ، ابن خلكان : وفيات ٣٢٨/١ ، ٢٧/٤ ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١٢٩ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٠٥ ، الذهبي : العبر ٢٣٠/١ ، ابن دحية : النبراس ص/٣٨-٣٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٧١ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٤٠،١٤٦ ، العيون والحدائق ٣١٦/٣ .
وهو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الخليفة الرشيد وأخوه في الرضاعة . استوزره الرشيد مدة قصيرة ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م . توفي سنة ١٩٣هـ/٨٠٨م .
=

وكان المهدى قد ضم هارون الى خالد بن برمك وجعله فى حجره (١) وعندما وجه المهدى الرشيد لغزو الروم وهو ولى للعهد وجه معه على أمر العسكر ونفقاته وكتابته والقيام بأمره يحيى ابن خالد "وكان أمر هارون كله اليه" (٢) . كما وصف يحيى بن خالد بأنه كان من كتاب أبناء الدعوة حيث انه لم يكن خامل الذكر . يقول الطبرى : "لما ندب المهدى هارون الرشيد لما ندبه له من الغزو أمر أن يدخل عليه كتاب أبناء الدعوة لينظر اليهم ويختار له منهم رجلا ، قال يحيى : فادخلونى عليه معهم ... فقال لى انى تصفحت أبناء شيعتى وأهل دولتى واخترت منهم رجلا لهارون ابنى أضمه اليه ليقوم بأمر عسكره ويتولى كتابته فوقعت عليك خيرتى له ، ورأيتك أولى به اذ كنت مربيه وخاصته وقد وليتك كتابته وأمر عسكره ..." (٣) .

واستمرت علاقة الرشيد بيحيى بن خالد تزداد توثقا فعندما ولى المهدى هارون المغرب كله ـ من الانبار (٤) الى افريقية (٥) ـ "أمر يحيى بن خالد أن يتولى لهارون ذلك كله

= انظر : الذهبى : سير ٩١/٩ ، ترجمة رقم ٢٩ ،

وجعفر هو أبو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وزير الخليفة الرشيد وأحد مشهورى البرامكة ومقدميهم . قتل سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م .
انظر : الذهبى : سير ٥٩/٩ ترجمة رقم ١٨ ، الزركلى : الأعلام ١٣٠/٢ .

(١) الخطيب : تاريخ ١٢٨/١٤-١٢٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٦/١ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٤٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٠ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٤٧/٨ .
(٤) الانبار : أكثر من موضع ويقصد بها هنا مدينة على الفرات غربى بغداد .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٢٥٧/١ .
(٥) افريقية : اسم لبلاد واسعة تمتد من طرابلس الغرب الى بجاية وقيل الى مليانة .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ٢٢٨/١ .

فكانت اليه أعماله ودواوينه "[1] .

وكان لموقف يحيى بن خالد من الرشيد ومساندته له فى التمسك بولايته للعهد فى خلافة أخيه الهادى الذى أمر على تنحيته[2] ، أكبر الأثر فى نفس الرشيد ، وكان ذلك من الأسباب الهامة التى أدت الى تولية يحيى الوزارة . يقول الجهشيارى "لما تقلد هارون الخلافة دعا يحيى بن خالد وكان يخاطبه بالأبوة ، وعلى ذلك اجراه فى خلافته فقال له : ياأبة أنت أجلستنى ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنقى اليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وافرض من رأيت واسقط من رأيت فانى غير ناظر معك فى شىء ، فكان يحيى وابناه الفضل وجعفر يجلسون للناس جلوسا عاما فى كل يوم الى انتصاف النهار ينظرون فى أمور الناس وحوائجهم .. وقام يحيى بالأمور .. وكانت الدواوين كلها الى يحيى مع الوزارة سوى ديوان الخاتم فانه كان الى أبى العباس الطوسى .. وكان يحيى أول من أمر من الوزراء "[3] .

واضافة لما سبق ذكره من ظروف اختيار يحيى بن خالد ، وابنيه جعفر والفضل للوزارة ، حيث كان لخدمة يحيى للرشيد ومساعدته اياه فى البقاء وليا للعهد دور فى توليهم الوزارة ، فان كلا من يحيى وابنيه جعفر والفضل ، كانوا على

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٨٧/٨ ، أيضا العيون والحدائق ٢٨٢/٣ وقال الجهشيارى ان الذى تولى ذلك خالد بن برمك ، الوزراء ص/١٥٠ .

(٢) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٠٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٠٧/٨ ،٢١٠، ٢٣٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٩-١٧٠، ١٧٧ ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٧ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ ، وانظر أيضا الطبرى : تاريخ ٢٣٣/٨ ، المسعودى : مروج ٣٣٧/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٦/١ .

قدر عال من الكفاءة في الكتابة والادارة والسياسة ، فلم يكن وصولهم للوزارة كما يصوره بعض الباحثين على انه نتيجة لضعف شخصية الرشيد (١) .

لقد وصفت المصادر الرشيد بأنه كان حصيفا يقتفي آثار جده المنصور ويطلب العمل بها (٢) . كما كان على علم بأخبار الرجال ومعرفة أحوالهم (٣) ، وتذكر الشواهد التاريخية أيضا مايشير الى التزام الرشيد بضوابط الاختيار وقواعده ، يقول الاصطخري (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ان الرشيد عندما وفد عليه جعفر بن أبي زهير (٤) - في ملوك فارس - قال فيه : "لولا طرش به لاستوزرته" (٥) . وفي رواية ياقوت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) "لولا شربه لاستوزرته" (٦) .

فالراجح أن اختيار البرامكة للوزارة كان على ما أوضحته روايات المصادر التي ذكرت تربية يحيى بن خالد للرشيد ، وتوليه أموره قبل الخلافة ، وثقة الرشيد به لاسيما

---

(١) انظر : د. فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد - العراق ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ص/١١١ .

(٢) الطبري : تاريخ ٣٤٧/٨ ، أيضا السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ص/٢٦٥ .
وانظر : ابن أعثم : أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م) : كتاب الفتوح ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الدكن ، الهند ، بدون ٢٨٦/٨ حيث قال عن الرشيد : "كان في الهيبة والسياسة مثل المنصور" .

(٣) انظر : الزبيري : مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت ٢٣٦هـ ٨٥٠م) : نسب قريش ، نشر ا. ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية (بدون) ص/٢٤٣ ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٠٧ ، الخطيب : تاريخ ٤٦٦/٨ .

(٤) لم أعثر له على ترجمة . وقد ذكر ياقوت أنه كان يلي بلاد فارس في عهد المأمون . معجم البلدان ٢٩٨/٣ .

(٥) الاصطخري : ابراهيم بن محمد : مسالك الممالك ، بدون ص/١٤١ .

(٦) معجم البلدان ٢٩٨/٣ .

اثر مساعدته في الحفاظ على منصبه وليا للعهد . اضافة الى تقدم يحيى بن خالد وابنيه جعفر والفضل في الادارة والسياسة والكتابة حتى اشتهر عنهم ذلك .

يقول ابن طباطبا في وصف يحيى بن خالد بعد أن ولاه الرشيد الوزارة "نهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض وسد الثغور وتدارك الخلل ، وجبى الأموال وعمر الأطراف وأظهر رونق الخلافة ، وتمدى لمهمات المملكة ، وكان كاتبا بليغا لبيبا أديبا سديدا صائب الآراء حسن التدبير ضابطا لما تحت يده قويا على الأمور ، جوادا .. ممدحا بكل لسان حليما عفيفا وقورا مهيبا" (١) . ويقول المسعودي : "كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر ..." (٢) . ويقول ابن خلكان : "أما يحيى فكان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال" (٣) ووصفه أيضا بأنه "كان من العقلاء الكرماء البلغاء" (٣) . كما ينقل البغدادي عن يحيى بن أكثم (٤) أنه سمع المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) (٥) يقول : "لم يكن كيحيى بن خالد وكولده في الكتابة والبلاغة والجود والشجاعة ..." (٦) . وهناك عدة أقوال

---

(١) الفخري ص/١٩٨ .
(٢) مروج الذهب ٣٧٠/٣ .
(٣) وفيات ٢٢١/٦ .
(٤) هو يحيى بن أكثم بن محمد التميمي الأسدي المروزي أبو محمد ، قاض رفيع القدر عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء يتصل نسبه بأكثم بن صيفي . توفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٧م . الذهبي : سير ٥/١٢ ترجمة رقم ١ .
(٥) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أبو العباس سابع الخلفاء من بني العباس في العراق . ولي الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م . توفي سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٨٣/١٠-١٩٢ ، ترجمة رقم ٥٣٣٠ الذهبي : سير ٢٧٢/١٠ ، ترجمة رقم ٧٢ ، الزركلي : الأعلام ١٤٢/٤ .
(٦) الخطيب : تاريخ ١٣٠/٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤٢٦/١ .

مشهورة من كلام يحيى بن خالد تدل على رجاحة عقله وحسن رأيه (١) .

وقد أسهب سهل بن هارون – الكاتب – فى وصف يحيى بن خالد وولده جعفر وأوضح مدى بلاغتهما وفصاحتهما وتسليم أهل عصرهما زمام البلاغة اليهما (٢) .

كما اثنت روايات المصادر على جعفر بن يحيى فى عدة مواضع ، يقول اسحاق بن ابراهيم الموصلى انه "مارأى أذكى من جعفر بن يحيى قط ولا أفطن ولا أعلم .. ولا أفصح لسانا ولا أبلغ فى مكاتبة" (٣) . ووصفه ثمامة بن أشرس (٤) بقوله : "مارأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون" (٥) . ويقول ابن طباطبا : "كان جعفر بن يحيى فصيحا لبيبا ذكيا فطنا كريما حليما" (٦) .

ويوضح الجهشيارى كفاءة جعفر الادارية ومقدرته الكتابية بقوله : "كان جعفر بليغا كاتبا وكان اذا وقع ، نسخت توقيعاته وتدورست بلاغاته .." ، وقد روى أنه جلس للمظالم

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٠-٢٠٣ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠١ .

(٢) انظر ابن قتيبة : الامامة والسياسة (منسوب) تحقيق د. طه محمد الزينى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (بدون) ١٦٦/٢ ، القيروانى : ابراهيم بن على الحصرى (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م) : زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة (بدون) ٤٢٠/٢-٤٢١ .

(٣) الأصفهانى : الأغانى ٣١٩/٤-٣٢٠ .

(٤) هو ثمامة بن أشرس النميرى ، أبو معن ، من كبار المعتزلة وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين ، توفى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٤٥/٧-١٤٨ ترجمة رقم ٣٦٠١ ، الذهبى : سير ٢٠٣/١٠ ترجمة رقم ٤٧ .

(٥) الخطيب : تاريخ ١٥٢/٧ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٠٢ ، وقد وصفه ثمامة أيضا فى موضع آخر بأسلوب بليغ يدل على مدى فصاحة جعفر . انظر : الجاحظ : البيان والتبيين ، دار الفكر للجميع ١٩٦٨م ٧٥/٢-٧٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٤ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص/٢٠٤ ، القيروانى : زهر الآداب ١٥١/١ ، ٤٢٠/٢ .

(٦) الفخرى ص/٢٠٥ .

فوقع في ألف قصة ونيف ثم أخرجت فعرضت على العمال والقضاة والكتاب ، وكتاب الدواوين فما وجد فيها شيء مكرر ولاشيء يخالف الحق (١) . وقد حفظت لنا روايات المصادر أقوالا لجعفر تدل على فصاحته وبلاغته (٢) .

ولم تصف لنا المصادر شخصية الفضل بن يحيى ومدى تقدمه في الأمور الادارية والسياسية ، الا أن ابن خلكان عندما ترجم له اثبت له صفة الكتابة ، مع تقديمه أخاه جعفر عليه حيث قال : "كان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه" (٣) .

وعندما عزل الرشيد البرامكة عن الوزارة استوزر حاجبه الفضل بن الربيع (٤) ، وكان الفضل قد تقلد منصب الحجابة لعدد من خلفاء بني العباس (٥) . فنال ثقتهم وتقدم عندهم نظرا لما يتمتع به من علم وأدب (٦) ، يقول ابن طباطبا : "كان الفضل بن الربيع شهما خبيرا بأحوال الملوك وآدابهم" (٧) .

وقد وصفت بعض روايات المصادر الفضل بن الربيع بأنه كان يحسن مجالسة الخلفاء وخدمتهم في حين أنه لم يكن على قدر عال من الكفاءة الادارية . يقول الجهشياري : "ولما

---

(١) الوزراء ص/٢٠٤ . انظر أيضا الخطيب : تاريخ ١٥٢/٧ ، ابن خلكان : وفيات ٣٢٨/١-٣٢٩ .
(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٣/١ ، ١٧٣/٢ ، القيرواني : زهر الآداب ١٥٠/١ .
(٣) وفيات ٢٧/٤ .
(٤) هو الفضل بن الربيع بن يونس أبو العباس ، وزير أديب حازم . استحجبه المنصور ، ووزر للرشيد والأمين . توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٤٣/١٢-٣٤٤ ، ترجمة رقم ٦٧٨٥ ابن خلكان : وفيات ٣٧/٤-٤٠ ترجمة رقم ٥٢٨ ،
(٥) ابن طباطبا : الفخري ص/٢١٠-٢١١ . وقد تولى حجابة المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد . وقد ذكر وزارته للرشيد أيضا الأزدي : أخبار الدول ص/١٤٦ ، العيون والحدائق ٣١٩/٣ .
(٦) الخطيب : تاريخ ١٣٣/١٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢١١.
(٧) الفخري ص/٢١١ .

انقضى أمر البرامكة .. اختلت الأمور وقصد الفضل بن الربيع لحفظ خدمة الرشيد فى حضرته ، وأضاع ماوراء بابه" . وذكر الفضل بن مروان (١) : "أن أمور البريد والأخبار فى أيام الرشيد كانت مهملة ، وأن مسرورا الخادم (٢) كان يتقلد البريد والخرائط ، ويخلفه عليه ثابت الخادم قال : فحدثنى ثابت أن الرشيد توفى وعندهم أربعة آلاف خريطة لم تفض" (٣) .

غير أن الاختلال الذى طرأ على ادارة الرشيد لم يكن الفضل بن الربيع هو المسؤول الوحيد عنه . وبالتالى فانه لايمكن الاستدلال بذلك على سوء اختيار الرشيد للفضل ، الذى لم يكن مسؤولا عن جميع مؤسسات الدولة . وهذا ما أشار اليه الجهشيارى نفسه حيث يقول : "لما شخص الرشيد الى خراسان .. شخص معه اسماعيل بن صبيح (٤) ، وكان يتقلد ديوان الرسائل ، وديوان الموافى ، وديوان السر ، وشخص معه أيوب بن أبى سمير (٥) ، يعرض عليه ، وكان الفضل بن الربيع أيضا يعرض عليه".

---

(١) هو الفضل بن مروان بن ماسرجس ، وزير حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الانشاء وزر للخليفة العباسى المعتصم ، له ديوان رسائل ، وكتاب جمع فيه الأخبار التى علم بها والمشاهدات التى رآها . توفى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م .
انظر : ابن خلكان : وفيات ٤/٤٥-٤٧ ترجمة رقم ٥٣٠ ، الذهبى : سير ٨٣/١٢ ترجمة رقم ٢٥ .

(٢) هو أبو هاشم مسرور الخادم الملقب مسرور الكبير ، كان يخدم الخليفة المهدى ، ثم خدم الرشيد ، وكان أثيرا عنده ، موضع سره ومنفذ أمره .
انظر : الطبرى : تاريخ ١٦٩/٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٢٣ .

(٣) الوزراء ص/٢٦٥ ، ولم تخل الروايات التى تحدثت عن نكبة البرامكة من مبالغات الشعوبيين . انظر أيضا فى ذلك مانقله نفس المصدر ص/٢٥٨ ، المسعودى : تنبيه ص/٢٩٩ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٨٦ .

(٤) اسماعيل بن صبيح : كان يلى زمام ديوان الخراج للمهدى ثم كتب ليحيى بن خالد فى أيام الهادى ، وولى زمام ديوان الشام وماليها ، ولما استخلف الرشيد عاد الى كتابة يحيى ، استوزره الأمين .
انظر : الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٨٣-٢٨٦، ٣٣٢-٣٣٧، ٤٠٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٠، ١٦٨ .

(٥) الوزراء ص/٢٦٦ .

توفى الرشيد والفضل بن الربيع مستمر على وزارته[1]، وكان فى صحبته بطوس[2]، فقرر الأمور للأمين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م)[3] ولم يعرج على المامون وهو بخراسان[4]، حيث جمع العسكر ومافيه ورجع الى بغداد[5].

<u>عهد الأمين :</u>

لما تولى الأمين الخلافة قدر للفضل جهوده فى أخذ البيعة له فاستوزره[6]. وفوض أموره اليه[7]. وقد كان الأمين يجله ويقدره ويتضح ذلك من خلال الكتاب الموجه من قبل الأمين الى أخيه صالح بن الرشيد، وكان بطوس، حيث جاء فيه : "واضمم الى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله .. واياك أن تنفذ رأيا أو تبرم أمرا الا برأى شيخك وثقة آبائك الفضل بن الربيع .. وان أمرت لأهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه بحضرة من أصحاب الدواوين

---

(١) ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٢٩، ابن خلكان : وفيات ٣٨/٤، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١١، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١١٣ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٣٤٣/١٢، ابن خلكان : وفيات ٣٨/٤، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١١ .
وطوس مدينة بخراسان فتحت فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه . ياقوت : معجم البلدان ٤٩/٤ .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور . بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه بعهد منه . بدأ النزاع بينه وبين أخيه المأمون حول الخلافة سنة ١٩٥هـ/٨١٠م، وانتهى النزاع بمقتل الأمين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م .
انظر : الخطيب البغدادى : تاريخ ٣٣٦/٣-٣٤٢، ترجمة رقم ١٤٥٠ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧٧، ابن خلكان : وفيات ٣٨/٤

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١١ .

(٦) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٢ . أشار الى وزارة الفضل كل من ابن قتيبة : المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة (بدون) ص/٣٨٤، الطبرى : تاريخ ٤٩٣/٨، ابن عبد ربه : العقد ١١٩/٥، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٦/٨، الخطيب : تاريخ ١١٣/١٢ .

(٧) الخطيب : تاريخ ١٣٣/١٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٨/٨ .

فان الفضل بن الربيع لم يزل يتقلد مثل ذلك لمهمات الأمور". (١)

ويذكر الخطيب البغدادى رواية تبين سبب اختيار الأمين للفضل بن الربيع لمنصب الوزارة فيقول : "لما قدم الفضل بن الربيع بغداد الى محمد بعد موت الرشيد بالأموال والقضيب والخاتم واشتد فرحه وسروره قربه وألطفه وقلده أموره وأعماله وفوض اليه ماوراء بابه فكان هو الذى يولى ويعزل". (٢)

ان اقتناع الأمين بشخصية الفضل بن الربيع ، كان الدافع وراء اختياره للوزارة ، اضافة الى جهود الفضل فى توطيد الخلافة له ، ومايتصف به من خصال الخير ، ومعرفة بخدمة الملوك وآدابهم (٣) . واستمر الفضل وزيرا للأمين مدة خلافته (٤) . حيث لم يستوزر أحدا غيره (٥) .

عهد المأمون :

عندما تولى المأمون الخلافة سار على نهج من سبقه من الخلفاء ، فاختار لوزارته كاتبه ووزيره قبل الخلافة

---

(١) الطبرى : تاريخ ٣٦٩/٨ ، انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧٦ .
(٢) تاريخ بغداد ٣٤٤/١٢ .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١١ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد ١١٩/٥ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٣٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٣ .
وذكر الأزدى أن الأمين استوزر بعد اختفاء الفضل بن الربيع اسماعيل بن صبيح . أخبار الدول ص/١٥٣ ، أيضا العيون والحدائق ٣٤٢/٣ .
فى حين تشير مصادر أخرى الى تولى اسماعيل بن صبيح بعض الأعمال الادارية الأخرى ولم تذكر وزارته . فقد تولى للأمين ديوان التوقيعات والرسائل ، كما كان كاتب سره .
انظر : ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٤ ، ابن منظور : ملحق الأغانى لأبى الفرج الالأصفهانى ، شرحه عبد على مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ٨٢/٢٥-٨٣ .
(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٥ .

الفضل بن سهل (١) ، وكان اتصال الفضل بالمأمون منذ وقت مبكر ، حيث كان أبوه سهل يتقهرم (٢) ليحيى بن خالد بن برمك ، وقد أسلم هو وابناه الفضل والحسن فى أيام هارون الرشيد ، فاتصل الفضل والحسن ابنا سهل بالفضل وجعفر ابني يحيى بن خالد . فضم جعفر بن يحيى الفضل بن سهل الى المأمون وهو ولى عهد (٣) .

ويذكر الجهشيارى أن الفضل بن سهل نقل ليحيى بن خالد كتابا من الفارسية الى العربية ، فأعجب بفهمه وبجودة عبارته ، فقال له : انى أراك ذكيا وستبلغ مبلغا رفيعا ، فأسلم حتى أجد السبيل الى ادخالك فى أمورنا والاحسان اليك فقال : نعم أصلح الله الوزير أسلم على يدك ، فقال له يحيى لا ، ولكن أضعك موضعا تنال به حظا من دنيانا ، ودعا بسلام مولاه ، فقال خذ بيد هذا الفتى وامض به الى جعفر وقل له

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٢ .
وهو الفضل بن سهل السرخسي أبو العباس ، اتصل بالمأمون فى صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م وكان مجوسيا ، وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، ولقبه بذى الرياستين . قتل سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٢/٣٣٩-٣٤٣ ، ترجمة رقم ٦٧٨٤
ابن خلكان : وفيات ٤/٤١-٤٤ ، ترجمة رقم ٥٢٩ .

وأشار الى وزارة الفضل : اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٥١ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٣ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٦٨ .

(٢) قهرمان : القهرمان : هو كالخازن ، والوكيل ، والحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجال بلغة الفرس . كما يأتى بمعنى الأمر صاحب الحكم .
انظر : د. صلاح الدين المنجد : المفصل فى الألفاظ الفارسية المعربة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص/١٤١ ، أيضا السيد ادى شير : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨م ص/١٣٠ .

(٣) انظر : الخطيب : تاريخ ٧/٣٢٠ ، ١٢/٣٣٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢/١٢١ ، أيضا مع اختلاف يسير : الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢١ .

يدخله الى المأمون - وكان فى حجر جعفر - حتى يسلم على يده فأدخله جعفر الى المامون فأسلم على يده فوصله واحسن اليه واجرى عليه رزقا مع حشمه ، ولم يزل ملازما للفضل بن جعفر حتى أصيب البرامكة فلزم المأمون .(١)

ويقال ان يحيى بن خالد وصف الفضل بن سهل للرشيد وهو غلام وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى ابنه المامون بعد أن اختبره وأعجبب بفهمه .(٢)

ومهما يكن من أمر اتصال الفضل بن سهل بالمأمون ، فان ذلك لايعد دافعا أساسيا وراء اختياره للوزارة ، فالمأمون الذى اشتهر بالبلاغة والفصاحة وشغفه بالعلم وأهله ،(٣) وضع معايير خاصة للشخص الذى يختاره للوزارة . حيث روى عنه انه قال : "انى التمست لأمورى رجلا جامعا لخصال الخير ، ذا عفة فى خلائقه ، واستقامة فى طرائقه ، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، ان أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلد مهمات الأمور نهض فيها ، يسكته الحلم وينطقه العلم ، وتكفيه اللحظة ، وتغنيه اللمحة ، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، ان أحسن اليه شكر وان

---

(١) الوزراء ص/٢٣٠-٢٣١ . انظر أيضا : الخطيب : تاريخ ٣٤٠/١٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٤٠ .

(٢) الجاحظ : المحاسن والأضداد ، مراجعة د. عصام عيتانى ، دار احياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص/١٥ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣١ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٤٣٧-٤٣٨ ، القيروانى : زهر الآداب ٣٥٤/٢ ، ابن خلكان : وفيات ٤١/٤ .

(٣) انظر : الجاحظ : المحاسن ص/١٤،١٦ ، ابن قتيبة : الامامة ١٦٦/٢ ، الدينورى : الأخبار ص/٤٠١ ، الخفاجى الحلبى : عبد الله بن محمد (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م) : سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص/٢١٢ ، الخطيب : تاريخ ١٩٧/١٤ ، ابن ظفر المكى : محمد بن محمد (ت ٥٦٧هـ/١١٧١م) : أنباء نجباء الأبناء ، نشر مصطفى القبانى (بدون) ص/١٣٨ .

ابتلى بالاساءة صبر ، لايبيع يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه " (١) .

وتشير روايات المصادر الى أن المأمون كان يطمح دائما أن يولى منصب الوزارة الكفء المناسب . يقول الخطيب البغدادي : "قال المأمون لأبى حفص عمر بن الأزرق الكرماني ، أريدك للوزارة ، قال لاأصلح لها ياأمير ، قال ترفع نفسك عنها ، قال ومن يرفع نفسه عن الوزارة ؟ ولكني قلت هذا رافعا لها وواضعا لنفسي عنها ، قال المأمون : انا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال" (٢) . كما أراد المأمون ثمامة بن أشرس على الوزارة أيضا فلم يرغب فيها واعتذر ، وكان ثمامة من الكتاب البلغاء (٣) .

لقد كان المأمون يدرك أن صلاح الأعمال بتولي الأكفاء ، وأن المناصب لاتولى لقرابة أو حرمة . فقد روى عنه قوله : "الأعمال للكفاة من العمال ، وقضاء الحقوق على بيت المال" (٤) .

اذا فالدافع وراء اختيار المأمون الفضل بن سهل لوزارته ، كان لتمتعه بالصفات التي يرى المأمون ضرورة توفرها فيمن يختار لمنصب الوزارة . يقول ابن طباطبا : "كان الفضل سخيا كريما .. شديد العقوبة ، سهل الانعطاف ، حليما بليغا عالما بآداب الملوك بصيرا بالحيل جيد الحدس محصلا للأموال" (٥) . ويشير الدينوري (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) الى سبب

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٢٢ ، الشيزري : المنهج المسلوك ص/٢١٢-٢١٣ .
(٢) تاريخ ١٠/١٨٦ .
(٣) ابن طيفور : أحمد بن طاهر (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) : كتاب بغداد ، تصحيح محمد الكوثري ، طبع سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ص/١١٨،١٢٥ ، ابن النديم : محمد بن اسحق (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) : الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، بدون ص/٣ .
(٤) ابن حمدون : التذكرة ١/٤١٥ .
(٥) الفخري ص/٢٢١ .

قرب الفضل من المأمون واختصاصه به بقوله : "قد جرب منه وثاقة رأى وفضل وحزم" (١) . كما وصفه الخطيب بقوله : "أكرم الناس عهدا وأحسنهم وفاء وودا ، وأجزلهم عطاء وبذلا ، وأبلغهم لسانا وأكتبهم يدا" (٢) . ويروى سهل بن هارون بعض أقوال الفضل وتوقيعاته التى تدل على قدرته البلاغية ويثنى عليه بقوله : ان كلام الفضل "مما رأينا تخليده فى الكتب ، ليؤتم به ، وينتفع بمقول حكمته" (٣) . كما أورد الجهشيارى اشارة الى بعض أعمال الفضل الادارية حيث أنه قام بتوسيع الجارى من أرزاق الكتاب والعمال (٤) .

وعلى الرغم من أن المأمون قد راعى فى اختياره الفضل ابن سهل شروط الكفاءة ، التى كان يطمح أن تكون فى وزيره ، الا أن طموحات الفضل السياسية حالت دون استمراره فى منصبه حيث قتل سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م (٥) .

ولم يقطع المأمون صلته بآل سهل حيث بعث الى الحسن بن سهل يعزيه فى أخيه الفضل (٦) ويخبره أنه استوزره مكانه ، ولقبه بذى الكفايتين (٧) ، وكان الحسن قبل توليه الوزارة قد

---

(١) الأخبار الطوال ص/٣٩٥ .
(٢) تاريخ ٣٤٠/١٢ . أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٤ .
(٣) الحصرى : زهر الآداب ٥٩٩،٣٥٦،٣٥٥/٢ .
(٤) الوزراء ص/١٢٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٥٦٤/٨-٥٦٥ ، مسكويه : أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) : تجارب الأمم ، نشر دى غويه ، ١٨٦٩م مكتبة المثنى ، بغداد ٤٤١/٦-٤٤٢ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٣/١٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٥ .
(٦) الخطيب : تاريخ ٣٢٠/٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٢١/٢ . اشار الى وزارته اليعقوبى : تاريخ ٤٧٠/٢ ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٠/٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٢ . وهو الحسن بن سهل السرخسى ، أبو محمد ، وزر للمأمون وكان أحد كبار القادة والولاة فى عصره ، توفى فى سرخس سنة ٢٣٦هـ/٨٥١م . انظر : الخطيب ٣١٩/٧-٣٢٣ ترجمة رقم ٣٨٢٩ ، ابن خلكان وفيات ١٢٠/٢-١٢٣ ترجمة رقم ١٧٧ .
(٧) الصابى : رسوم دار الخلافة ص/١٣٠ . اي كفاية السيف والقلم .

تنقل فى عدة وظائف ادارية من ذلك توليه ديوان الخراج سنة ١٩٦هـ/٨١١م ، عندما كان المأمون فى خراسان (١). وفى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، ولاه المأمون جميع مافتتحه طاهر بن الحسين (٢) من البلدان. وقدم الحسن بغداد سنة ١٩٩هـ/٨١٤م (٣) ، وكان اليه ولاية الحرب والخراج (٤). فسلم هرثمة بن أعين (٥) اليه أيضا ماكان بيده من الأعمال (٦).

ويبدو أن اختيار الحسن بن سهل للوزارة كان تألفا من المأمون له وجبرا لمصابه بقتل أخيه (٧) ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان المأمون مشغولا بتثبيت دعائم دولته بعد انتقاض عدة مناطق منها ، حيث تصدى للقيام بأعماله بنفسه ، ولم يحتج لوزير فكان الحسن وزيرا بالتشريف. يقول المسعودى : "لم يملك المأمون بعد الفضل بن سهل كتابه أمره لقيامه بالملك واضطلاعه به . ولم ير أحد أنه مفتقر الى وزير يشركه فى تدبيره" (٨).

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٢٤/٨ ، أبو الفداء : المختصر ٢٠/٢ .

(٢) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى أبو الطيب وأبو طلحة . من كبار القواد وهو الذى وطد الملك للمأمون . توفى سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٥٣/٩-٣٥٥ ، ترجمة رقم ٤٩١٣ ، ابن خلكان : وفيات ٥١٧/٢-٥٢٣ ، ترجمة رقم ٣٠٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥٢٧/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٨/٦-٤١٩ ، العيون والحدائق ٣٤٤/٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٥٢٨/٨ ، مسكويه : تجارب ٤١٩/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص١٩٧ .

(٥) هو هرثمة بن أعين أمير من القادة الشجعان ، تولى للرشيد والمأمون قيادة عدة معارك . توفى سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م .
الزركلى : الأعلام ٨١/٨ .

(٦) مسكويه : تجارب ٤٢١/٦ .

(٧) انظر : ابن طباطبا : الفخرى ص٢٢٢ .

(٨) التنبيه والاشراف ص٣٠٤ . وقد أشار غيره من المصادر الى تولى عدة وزراء بعد الفضل بن سهل ، ويبدو أن المسعودى أراد التأكيد على اضطلاع المأمون بالحكم وأن وزراءه كانوا وزراء تنفيذ لاتفويض .

واضافة الى ماسبق فان المأمون راعى فى اختيار الحسن ابن سهل أيضا صفات الوزير المتقدم فى صناعة الكتابة [١] ، هذا مع ماشتهر به من الذكاء المفرط والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات [٢] . غير أن فترة وزارة الحسن لم تدم طويلا ، حيث انه مرض فى سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م ، ولزم منزله [٣] . وصرف عن الوزارة .

ثم استوزر المأمون أحمد بن أبى خالد الأحول [٤] . وكان أحمد ينوب عن الحسن بن سهل لدى المأمون [٥] ، ويكتب له فى جملة من الكتاب وصفوا بتقدمهم فى صناعتهم [٦] . كما كان أحمد يتولى فض الخرائط بين يدى المأمون [٧] ، فعرض عليه المأمون الوزارة بعد أن أشار عليه برأى دل على رجاحة عقله [٨] .

---

(١) انظر : الحصري : زهر الآداب ١٩٦/١، ٢٥٥ .

(٢) الزركلى : الأعلام ١٩٢/٢ .

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ ٥٦٨/٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٢٣/٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٧ .

(٤) انظر : ابن خلكان : وفيات ١٢٣/٢ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٣٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٩٤ ، وأشار الى وزارته أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٧٠/٢ ، المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٣ ، وقد ذكر الطبرى مشاركة أحمد بن أبى خالد فى الأحداث منذ سنة ٢٠٤هـ فى اشارة الى أنه وزير ، تاريخ ٥٧٥/٨ ، وقال الشابشتى : كان يعرض الرقاع على المأمون . الشابشتى : على بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) : الديارات ، تحقيق كوركيس عواد مطبعة المعارف ، بغداد ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ص/٣٧ ، والراجح أن ذلك وصف له بعد توليه الوزارة .
وهو : أحمد بن أبى خالد الأحول الكاتب ، أبو العباس ، كان أبوه كاتبا لوزير المهدى ، أصله من الأردن ، وتولى أحمد الوزارة للمأمون . توفى سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م . انظر : الذهبى : سير ٢٥٥/١٠-٢٥٦ ترجمة رقم ٦٦ .

(٥) انظر : المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، الحصري : زهر الآداب ٧٢٦/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٣ .

(٦) المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ .

(٧) الأصبهاني : الأغانى ٢٢٦/١٥ .

(٨) القيروانى : زهر الآداب ٧٢٦/٣ .

فاعتذر أحمد من الوزارة وقال : يا أمير المؤمنين اعفني من التسمي بالوزارة وطالبني بالواجب فيها ، واجعل بيني وبين العامة منزلة يرجوني لها صديقي ، ويخافني لها عدوي فما بعد الغايات الا الآفات (١) . فاستحسن المأمون جوابه وقال : لابد من ذلك واستوزره (٢) .

وتذكر بعض المصادر أن ثمامة بن أشرس عندما أراده المأمون للوزارة ، اعتذر له واشار عليه بتولية أحمد بن أبي خالد بدلا منه (٣) ، مما يعطي للشورى دورا في اختيار الوزراء .

وقد وصف أحمد بن أبي خالد بانه كان "جليل القدر من عقلاء الرجال . وكان كاتبا سديدا فصيحا لبيبا بصيرا بالأمور" (٤) .

وعندما توفي أحمد بن أبي خالد (٥) ، استشار المأمون الحسن بن سهل (٦) فيمن يوليه الوزارة فاشار عليه بأحمدبن يوسف

---

(١) المسعودي : التنبيه ص/٣٠٤ ، الحصري : زهر الآداب ٧٢٦/٣ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٤ .

(٢) الحصري : زهر الآداب ٧٢٦/٣ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٤ .

(٣) انظر ابن طيفور : بغداد ص/١١٨ ، ابن النديم : الفهرست ص/٣ . وقال القيرواني : ان المامون استشار الحسن بن سهل في أحمد بن ابي خالد فرشحه للوزارة . زهر الآداب ٧٢٦/٣ .

(٤) ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٤ ، ويقول الذهبي : "كان جوادا ممدحا شهما داهية سائسا" سير ٢٥٥/١٠ ، وقال ابن تغري بردي : "كان جوادا فاضلا مدبرا ذا رأي وفطنة" ، ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، بدون ٢٠٣/٢ .

(٥) قال ابن طباطبا : توفي سنة ٢١٠هـ ، وقال الذهبي وابن تغري بردي سنة ٢١٢هـ . انظر : الفخري ص/٢٠٥ ، سير ٢٥٦/١٠ ، النجوم الزاهرة ٢٠٣/٢ .

(٦) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء ، المعروف بالكاتب ، من أهل الكوفة ، توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٢١٦/٥-٢١٨ ترجمة رقم ٢٦٩٢ ، الزركلي : الأعلام ٢٧٢/١ .

وأبى عباد بن يحيى[1] وقال هما أعرف الناس بطبع أمير المؤمنين ، فقال له اختر لى أحدهما ، فاختار له أحمد بن يوسف ، ففوض المأمون اليه وزارته[2] ، وكان أحمد بن يوسف من خيرة الكتاب وأجودهم خطا[3] ، وقد سبق له أن تولى ديوان الرسائل للمأمون ، وكذلك ديوان السر[4] ، وبريد خراسان ، وصدقات البصرة . وكان المأمون معجبا بفصاحته ومقدرته الكتابية[5] . يقول الحصري (٤٥٣هـ/١٠٦١م) كان احمد بن يوسف "عالى الطبقة فى البلاغة ولم يكن فى زمانه أكتب منه"[6] ويقول ابن طباطبا : "كان كاتبا فاضلا ، أديبا شاعرا ، فطنا بصيرا بأدوات الملك وآداب السلاطين"[7] . ويقول الخطيب عن أحمد بن يوسف : "... كان من أفاضل كتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم وأجمعهم للمحاسن ، وكان جيد الكلام فصيح اللسان

---

(١) هو ثابت بن يحيى بن يسار الرازى ، أحد الكفاه البارعين فى الحساب والتصرف والمعرفة ، وبذلك ساد وتقدم ، نهض بأمور الأموال لمخدومه أتم مايكون ، ثم انه عجز من استيلاء النقرس واستعفى . توفى سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م .
الذهبى : سير ١٩٩/١٠ ، ترجمة رقم ٤٤ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٥ . وقد ذكر فى اختياره غير ذلك انظر الحصري : زهر الآداب ٤٨٣/٢-٤٨٥ ، وأشار الى وزارته المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، ابن العمرانى الانباء ص/١٠٣ ، العيون والحدائق ٣٧٩/٣ .

(٣) الثعالبى : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، تحقيق شاكر العاشورى ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، الجمهورية العراقية ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص/٨٤-٨٥ ، الخطيب : تاريخ ٢١٦/٥ .

(٤) الأصبهانى : الأغانى ١٢٧/٢٣ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٨-١٢٩ وقد أشار الى تنقله فى المناصب ، ومدى تقدمه فى الكتابة ، وأشار ابن طباطبا الى أن أحمد بن يوسف كان أحد كتاب الحسن بن سهل الذين كتبوا بين يدى المأمون عندما تثاقل الحسن فى الحضور لمجلس المأمون . الفخرى ص/٢٢٣ .

(٦) زهر الآداب ٤٨٣/٢ . وأورد له أقوالا تدل على بلاغته ، انظر ٤٨٣/٢،٤٨٥-٤٨٩ ، وعن تقدمه فى الكتابة انظر المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، ويقول الأصفهانى : "كان مذهبه الرسائل والانشاء وله رسائل معروفة" . الأغانى ١٢٧/٢٣ .

(٧) الفخرى ص/٢٢٥ .

حسن اللفظ مليح الخط" .(١)

وبعد عزل أحمد بن يوسف استوزر المأمون القاضي يحيى ابن أكثم(٢) ، وكان من جملة العلماء والفقهاء . فكان اليه تدبير المملكة والقضاء وقلما اجتمعا في شخص واحد(٣) . ويشير الثعالبي الى اتصال ابن أكثم بالمأمون منذ وقت مبكر ، وذلك عندما كان المأمون بمرو(٤) ، فاختص به ، واستولى على قلبه وصحبه الى بغداد وأحله منه محل الأقارب وأقرب . وكان متقدما في الفقه وآداب القضاه ، حسن العشرة عذب اللسان ، وافر الحظ من الجد والهزل ، كان قد ولاه المأمون قضاء القضاة ، وأمر أن لايحجب عنه ليلا ولانهارا ، وأفضى اليه بأسراره وشاوره في مهماته(٥) . ويروى أن يحيى بن خاقان(٦) أوصله بالحسن بن سهل ، وقربه من قلبه وأكبره في صدره حتى ولاه قضاء البصرة ثم استوزره المأمون ، وقيل بل ان سبب وصوله الى المأمون ثمامة بن أشرس ، وذلك منذ أن تولى يحيى قضاء البصرة ، وكان يريد أن يرشحه لوزارة المأمون بعد أحمد بن أبي خالد(٧) .

---

(١) تاريخ ٢١٦/٥ .
(٢) أشار الى وزارته ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ ، ولم تشر المصادر الى سنة عزل أحمد بن يوسف وقد سبق الاشارة الى أنه تولى الوزارة بعد وفاة أحمد بن أبي خالد الأحول المختلف في وفاته قيل سنة ٢١٠هـ وقيل ٢١٢هـ ، وقد توفي أحمد بن يوسف على ماذكره الخطيب سنة ٢١٣هـ تاريخ ٢١٨/٥ .
(٣) الخطيب : تاريخ ١٩١/١٤، ٩٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٤٧/٦-١٤٨ .
(٤) مرو : أكثر من موضع يقصد بها هنا مرو الشاهجان ، العظمى ، أشهر مدن خراسان ، وقصبتها . ياقوت : معجم البلدان ١١٢/٥ .
(٥) ثمار القلوب ص/١٥٦ .
(٦) هو : يحيى بن خاقان الخراساني ـ مولى الأزد ـ أخو الفتح بن خاقان ، ووالد عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل .
انظر : التنوخي : النشوار ٥١/٨-٥٣ .
(٧) ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ .

لقد تقلب يحيى بن أكثم فى عدد من المناصب قبل توليه الوزارة ، فكان على ديوان الصدقات على الاضراء [(١)] ، كما تولى قضاء البصرة [(٢)] ، وبغداد وقضاء القضاة [(٣)] ، ومنذ اللحظة الأولى لاختياره فى الادارة اختبر المأمون علمه وعقله فوجده فوق مايريد [(٤)] ، وهذا مايؤكده الخطيب البغدادى بقوله : ان يحيى ابن أكثم "غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا ، وكان المأمون ممن برع فى العلوم فعرف من حال يحيى بن أكثم ، وماهو عليه من العلم والعقل ماأخذ بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة وتدبير أهل مملكته فكان الوزراء لايعملون فى تدبير الملك شيئا الابعد مطالعة يحيى ابن أكثم [(٥)] " .

كما استوزر المأمون أبا عباد ثابت بن يحيى بن يسار الرازى [(٦)] . وكان واحدا ممن أشار بهم الحسن بن سهل على المأمون لتولى منصب الوزارة بعد أحمد بن أبى خالد [(٧)] .

وقد وصف أبو عباد بأنه كان شديد الحدة سريع الغضب [(٨)] ، الأمر الذى دفع بعض الباحثين الى القول بأنه : "لم يكن على

---

(١) الخطيب : تاريخ ١٤/١٩٤ .
(٢) ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ ، ابن خلكان : وفيات ٦/١٤٨-١٤٩ .
(٣) الخطيب : تاريخ ١٤/١٩١،١٩٧-١٩٨ .
(٤) الطرطوشى : سراج الملوك ص/٢٣٧ .
(٥) تاريخ ١٤/١٩٧-١٩٨ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٦/١٤٧-١٤٨ . ويقول ابن طيفور : "كان من حاله ونبله ومن فهمه ومن صيانته نفسه ماحرك المأمون على اجتنائه واختياره" . بغداد ص/١٢٤ .
(٦) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٦ ، وقد ذكره عقب أحمد بن يوسف ، وأشار الى وزارة ثابت بن يحيى أيضا المسعودى التنبيه ص/٣٠٤ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٣ ، العيون والحدائق ٣/٣٧٩ .
(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٥ . وذكره المسعودى ضمن الكتاب المتقدمين فى مجال عملهم . التنبيه ص/٣٠٤ .
(٨) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٦ .

جانب من الكفاءة والمقدرة "[1] ، على الرغم مما وصف به من الكتابة ، والحذق بالحساب[2] ، اضافة الى نهوضه بامور الأموال على أتم مايكون[3] . مما يرجح من أن تمتع أبى عباد ثابت بالكفاءة هو الذى دفع المأمون الى استيزاره .

واستوزر المأمون بعد أبى عباد واحدا من الكتاب المتقدمين هو عمرو بن مسعدة[4] ، الذى لم يشذ عن غيره من الوزراء الذين اختارهم المأمون ، حيث تمرس فى الأعمال الادارية كما اتصف بالبلاغة والكتابة . ويشير القيروانى الى أن عمرو بن مسعدة كان قد تولى بلاد فارس وكرمان[5] ، كما يتحدث ابن مسعدة عن نفسه فيقول : "كنت أوقع بين يدى جعفر ابن يحيى البرمكى"[6] ، كما سبق له أن تقلد ديوان الرسائل للمأمون[7] .

أما عن تقدمه فى مجال الكتابة والبلاغة فمن الأمور التى اشتهر بها . يقول عنه ابن النديم (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) "كان بليغا شاعرا مترسلا ، وله كتاب رسائل كبير"[8] . ويقول

---

(١) انظر : د. توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/٦٥ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٦ .
(٣) الذهبى : سير ١٠/١٩٩ .
(٤) هو : عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ، أبو الفضل الصولى . أحد الكتاب البلغاء ، كان مذهبه فى الانشاء الايجاز واختيار الجزل من الألفاظ، وفى كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته . توفى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م .
انظر : الخطيب ١٢/٢٠٣-٢٠٤ ترجمة رقم ٦٦٦٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣/٤٧٥-٤٧٨ .
وقد أشار الى وزارته : المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، مروج الذهب ٣/٤١٧ ، ابن النديم : الفهرست ص/١٧٨ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ، حققه عبود الشالجى ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ٣/٣٠٧ ، ابن خلكان : وفيات ٣/٤٧٥ .
(٥) زهر الآداب ٤/١٠٣١ .
(٦) ابن خلكان : وفيات ٤/١٠٣١ .
(٧) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٩ .
(٨) الفهرست ص/١٧٨ .

ابن خلكان : "كان كاتبا بليغا جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني" [(١)] .

وتظهر روايات المصادر مدى اعجاب المأمون ببلاغة عمرو ابن مسعدة ، وذلك بذكر كتاب كان قد بعث به ابن مسعدة للمأمون يستعطفه على الجند . يقول أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون وفي يده كتاب وهو يعاود قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويصوبه ، فالتفت الى وقد لحظني في أثناء قراءته الكتاب ، فقال أراك مفكرا فيما تراه مني . فقلت : نعم وقى الله أمير المؤمنين المخاوف ! قال : لامكروه ان شاء الله ، ولكني قرأت كتابا وجدته نظير ماسمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فاني سمعته يقول البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وماكنت أتوهم أن أحدا يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة الينا . فاذا فيه : "كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانقياد على أحسن ماتكون عليه طاعة جند تأخرت أعطياتهم واختلت أحوالهم" . ألا ترى يا أحمد الى ادماجه المسألة في الأخبار ، واعفائه سلطانه من الاكثار" [(٢)] .

وكان آخر وزراء المأمون أبو عبد الله محمد بن يزداد ابن سويد [(٣)] الذي ظل يتولى الوزارة حتى مات

---

(١) وفيات ٤٧٥/٣ .

(٢) القيرواني : زهر الآداب ٨٩٣/٣-٨٩٤ ، انظر أيضا مع اختلاف يسير في العبارات الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/١٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٧٢/٢ ، الخفاجي الحلبي : سر الفصاحة ص/٢١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٤٧٨/٣ . وهناك أمثلة أخرى لفصاحته في المصادر .

(٣) هو : محمد بن يزداد بن سويد المروزي ، أبو عبد الله من أهل خراسان ، تأدب محمد وبرع في كل شيء ، وكان شاعرا فصيحا .
انظر : ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٧-٢٢٨ ،

المأمون" [١] . وكان محمد بن يزداد أيضا من البلغاء الفصحاء يقول عنه ابن النديم "كان بليغا مترسلا شاعرا ، وله من الكتب كتاب رسائل وكتاب ديوان شعر" [٢] .

عهد المعتصم :

لما تولى المعتصم الخلافة [٣] (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) استوزر كاتبه قبل الخلافة الفضل بن مروان [٤] ، وكان قد تولى بعض الأعمال الادارية قبل ذلك ، يقول عنه التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) انه كان من صغار الكتاب فى الدواوين أيام الرشيد ، ثم تعطل لما وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون . وبعدها اتصل بالمعتصم وهو ولى عهد فاستكتبه وقلده بعض أموره ثم تزايدت حاله عنده الى ان جمع له أمره ورياسته ، ثم خلطه بخدمة المأمون – وهو اذ ذاك خليفة – فولاه ديوان الخراج والضياع اضافة الى كتبة أخيه . ولما استخلف المعتصم تمكن منه تمكنا تاما واستوزره [٥] . ويقول أبو زكريا الأزدى (ت٣٣٤هـ ٩٤٥م) انه فى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م ، ولى المأمون الفضل بن

---

(١) انظر : المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٨ ، وذكر وزارته أيضا : ابن العمرانى الانباء ص/١٠٣ ، العيون والحدائق ٣٧٩/٣ . ويقول المسعودى وزر للمأمون بعد موت ابن مسعده سنة ٢١٧هـ . مروج الذهب ٤١٧/٣ .

(٢) الفهرست ص/١٧٩ ، انظر أيضا ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٨ .

(٣) هو : محمد بن هارون الرشيد بن المهدى بن المنصور ، أبو اسحاق ، المعتصم بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م ، وهو بانى مدينة سامراء . توفى سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٤٢/٣-٣٤٧ ترجمة رقم ١٤٥١ ، الذهبى : سير ٥٣٥/١٢ ، ترجمة رقم ٢٠٩ .

(٤) انظر : الطبرى : تاريخ ١٩/٩ ، المسعودى : التنبيه ص/٣٠٨ ، التنوخى : نشوار ٤٧/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٧٩/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٢ ، وأشار الى وزارته ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢١/٥ ، التنوخى الفرج ١٢٧/٢ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٠ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤١ .

(٥) نشوار المحاضرة ٤٧/٨ .

مروان الدواوين والخاتم[1] .

ويرى ابن خلكان أن المعتصم رعى للفضل قيامه بأخذ البيعة له ببغداد عندما كان ببلاد الروم ، وقبل ذلك طول خدمته اياه قبل الخلافة فاستوزره لذلك حيث يقول : انه عندما توفى المأمون فى بلاد الروم ، كان فى صحبته المعتصم فأخذ الفضل بن مروان البيعة للمعتصم ببغداد "واعتد له المعتصم بها يدا عنده ، وفوض اليه الوزارة يوم دخوله بغداد .. وخلع عليه ، ورد أموره كلها اليه ، فغلب عليه بطول خدمته وتربيته اياه واستقل بالأمور ، وكذلك كان فى أواخر ولاية المأمون فانه غلب عليه كثيرا"[2] .

ان اختيار المعتصم الفضل بن مروان لوزارته يعد تحولا خطيرا فى تاريخ الوزارة العباسية ، حيث لم يكن الفضل على قدر من الكفاءة التى تمتع بها أسلافه من الوزراء . غير أنه لم يكن بالسوء الذى نعته به ابن طباطبا حيث قال عنه : "كان عاميا لاعلم عنده ولامعرفة ، وكان ردىء السيرة جهولا بالأمور"[3] .

فالمعتصم وان كان قد ركز اهتمامه على الجيش وتدريبه واعداده واختيار قادته ، أكثر من اهتمامه بمؤسسات الدولة الأخرى ، وذلك باعتباره رجلا عسكريا بالدرجة الأولى ، فانه لم يهمل اختيار الوزراء بالصفة التى ذكرها ابن طباطبا . فمامن شك أن الفضل بن مروان كان أقل فى المعرفة والعلم ممن سبقوه فى منصب الوزارة ، الا أنه وصف بحسن معرفة خدمة

---

(١) تاريخ الموصل ص/٤٠٨ ، ويشير ابن النديم الى أنه خدم المأمون ولم يحدد نوع الخدمة ، الفهرست ص/١٨٤ .

(٢) وفيات ٤٥/٤ ، وانظر عن تفاصيل تنقله فى خدمة المعتصم وكيفية اتصاله به . الطبرى : تاريخ ١٨/٩-١٩ ، مسكويه تجارب ٤٧٩/٦ ، العيون والحدائق ٣٨٤/٣ .

(٣) الفخرى ص/٢٣٢ .

الخلفاء ، كما ذكر له كتاب ضمنه رسائله مما يدلنا على قدرته الكتابية والبلاغية ، يقول عنه ابن النديم : "كان قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء وله من الكتب كتاب المشاهدات والأخبار التى شاهدها ورآها ، وكتاب رسائله" (١) .

وفى سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م غضب المعتصم على الفضل بن مروان وحبسه (٢) ، واستوزر مكانه احمد بن عمار بن شاذى (٣) . وكان المعتصم قد جعله زماما على نفقاته الخاصة عندما أراد أن يتغير على وزيره السابق الفضل بن مروان (٤) ، ويذكر ابن طباطبا أن الفضل بن مروان كان قد وصفه بالأمانة عند المعتصم ـ وكان من اثرياء أهل بغداد ، كثير الصدقة ـ فلما نكب الفضل ، لم يقع نظر المعتصم على غير احمد بن عمار فاستوزره ، وكان جاهلا بآداب الوزارة (٥) .

وقد استمر أحمد بن عمار فترة من الزمن فى وزارة المعتصم ، ثم تذكر المصادر حادثة جرت له مع المعتصم ، دلت على قلة معرفته ببعض آداب الوزارة ، على اثرها نحاه المعتصم عن منصبه ، حيث ادرك أنه لايتمتع بالكفاءة اللازمة للوزارة ، ورأى الاستفادة من أمانته فجعله على الدواوين

---

(١) الفهرست ص/١٨٤ ، انظر أيضا ابن خلكان : وفيات ٤٥/٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٨/٩ ، وقيل سنة ٢١٩هـ ٢٠/٩ ، وقال ابن خلكان : سنة ٢٢١هـ ، وفيات ٤٦/٤ ، وقال الأزدى سنة ٢٢٢هـ . الموصل ص/٤٢٤ .

(٣) المسعودى : التنبيه ص/٣٠٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، وذكر وزارته ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢١/٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٠ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٣ .
وهو : أحمد بن عمار بن شاذى البصرى ، أبو العباس ، كان رجلا موسرا من أهل المذار ، فانتقل الى البصرة ، ثم صعد الى بغداد واتسع حاله ، كان كثير البر والصدقة . توفى سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م .
انظر : ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، الذهبى : سير ١٦٥/١١ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٢٠/٩ .

(٥) الفخرى ص/٢٣٣ ، وقال ابن خلكان : "كان قليل المعرفة" وفيات ٩٤/٤ . ووصفه الذهبى بقوله : "الوزير الكامل أبو العباس أحمد بن عمار بن شاذى .. وقور رزين مهيب ذو عفة وصدق وخير" . سير ١٦٥/١١ .

بدلا من العرض عليه (١) . فقد ورد على المعتصم كتاب من بعض عماله يذكر فيه "خصب الناحية وكثرة الكلأ فسأل المعتصم أحمد بن عمار عن الكلأ ، وكان أحمد يتولى العرض عليه فى الحضرة ، فلم يدر مايقول . فدعا محمد بن عبد الملك الزيات (٢) وكان أحد خواصه واتباعه فسأله عن الكلأ فأجابه وفصل فى ذلك فقال المعتصم لأحمد بن عمار : انظر أنت فى الدواوين وهذا يعرض الكتب ثم استوزره وصرف ابن عمار صرفا جميلا" (٣) .

والذى يتضح مما سبق أن المعتصم اختار احمد بن عمار لأمانته ، ويبدو أنه لم يراع فيه شروط الوزارة الأخرى كالكتابة والبلاغة .

وهكذا عزل المعتصم أحمد بن عمار عن الوزارة ، وولى بدلا منه محمد بن عبد الملك الزيات (٤) ، الذى ذكر أنه كان أحد

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، ويقول الثعالبى : "كان من عليه الناس فلما عزله المعتصم عن الوزارة أمر أن يولى الأزمة على الدواوين فاستعفى" . ثمار القلوب ص/٢٠٤ .

(٢) هو : محمد بن عبد الملك بن ابان بن حمزة ، أبو جعفر المعروف بابن الزيات ، وزر للمعتصم والواثق والمتوكل كان ذا علم باللغة والأدب ، من بلغاء الكتاب والشعراء مات سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٤٢/٢-٣٤٤ ترجمة رقم ٨٤٦ ، ابن خلكان : وفيات ٩٤/٥-١٠٣ ، الذهبى : سير ١٧٢/١١ ترجمة رقم ٧٤ .

(٣) القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٩٤/٥-٩٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، ويقول الذهبى "ورد كتاب بليغ من الأمير عبد الله بن طاهر ، فقال المعتصم – لابن عمار – أجبه عنه سرا لاتعلم به أحدا ، فعجز واحتاج الى كاتب ، وعرف ذلك المعتصم فصرفه" . سير ١٦٥/١١ .

(٤) ذكر وزارته ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢١/٥ ، الأزدى : الموصل ص/٤٢٩ ، وقال وزر فى سنة ٢٢٤هـ ، المسعودى : التنبيه ص/٣٠٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٠ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/٢٢٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ .
ويقول اليعقوبى وزر بعد الفضل بن مروان ، تاريخ ٤٧٨/٢ ، وقال ذلك الطبرى : تاريخ ٢٠/٩ ، مسكويه ٤٨١/٦ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٢/٢ .

خواصه واتباعه[١] . كما يقول ابن خلكان أيضا انه كان "أول أمره من جملة الكتاب"[٢] .

وقد اثنت روايات المصادر على ابن الزيات وأوضحت مدى معرفته بآداب الوزارة ، وتقدمه فى آداب شتى ، مما يدل على أن اختياره للوزارة كان اختيارا موفقا . يقول الجهشيارى : "كان نادرة وقته عقلا وفهما وذكاء وكتابة وشعرا وأدبا وخبرة بآداب الرئاسة وقواعد الملوك ، نهض بأعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من أحزابه وله ديوان شعر"[٣] . ويقول البغدادى : "كان أديبا فاضلا عالما بالنحو واللغة"[٤] .

واستمر محمد بن عبد الملك الزيات على الوزارة حتى وفاة المعتصم[٥] .

عهد الواثق :

لما تولى الواثق الخلافة[٦] (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م) استوزره ابن الزيات الذى ظل فى الوزارة حتى وفاة الواثق حيث لم يستوزر أحدا غيره[٧] .

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، انظر عن اتصاله بالمعتصم : الطبرى : تاريخ ٢٠/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٨١/٦ ، القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ .

(٢) وفيات ٩٤/٥ .

(٣) د. توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/١٣٠ ، نقلا عن كتاب "نصوص ضائعة من كتاب الوزراء للجهشيارى" جمع كوركيس عواد ص/٦٤ ، قارن أيضا مع ماذكره ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣-٢٣٤ .

(٤) تاريخ ٣٤٢/٢ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٩٤/٥ .

(٥) القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٣ .

(٦) هو : هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد أبو جعفر ، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م كان يذهب فى كثير من أموره مذهب المأمون ، توفى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٥/١٤-٢١ ترجمة رقم ٧٣٥١ ، الذهبى : سير ٣٠٦/١٠ ترجمة رقم ٧٤ .

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٤،٢٣٦ ، وأشار الى وزارته للواثق : ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٢/٥ ، ابن النديم : الفهرست ص/١٧٧ ، المسعودى : مروج ٤٧٧/٣ ، البغدادى : تاريخ ٣٤٢/٢ ، القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ .

وتذكر المصادر سبب ابقاء الواثق لابن الزيات على الوزارة ، بما يدل على رجاحة عقل الواثق وحسن تصرفه ، ومدى تقدم ابن الزيات فى أعمال الوزارة وآدابها . فقد كان الواثق ساخطا على ابن الزيات ، ذلك أن المعتصم كان قد أمر له بمال – وهو ولى العهد – فأشار عليه ابن الزيات بأن لايعطيه ، فقبل المعتصم قوله ، ورجع فيما كان أمر به ، فحلف الواثق ان ولى الخلافة ليقتلن ابن الزيات ، فلما مات المعتصم وتولى الخلافة الواثق ، ذكر حديث ابن الزيات فأراد أن يعاجله فخاف ألا يجد مثله . فقال للحاجب : أدخل على عشرة من الكتاب ، فلما دخلوا عليه اختبرهم فما كان فيهم من يرضاه ، فقال للحاجب : "ادخل من الملك محتاج اليه – محمد بن الزيات – فأدخله فوقف بين يديه خائفا .. فقال الواثق : والله ماأبقيتك الا خوفا من خلو الدول من مثلك وسأكفر عن يمينى ، فانى أجد عن المال عوضا ولاأجد عن مثلك عوضا ، ثم كفر عن يمينه واستوزره وقدمه وفوض الأمور اليه". (١)

عهد المتوكل :

عندما تولى المتوكل (٢) الخلافة (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)

---

(١) انظر : التنوخى : نشوار ١٧/٨-١٩ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٦٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٤ .
ويقول التنوخى ان الواثق كان يقول : "السلطان الى محمد بن عبد الملك أحوج من محمد الى السلطان" . نشوار ١٩/٨ .

(٢) هو : جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ، أبو الفضل ، بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ، كان جوادا ممدحا محبا للعمران ، وهو الذى أنهى محنة خلق القرآن ، اغتيل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٦٥/٧-١٧٢ ترجمة رقم ٣٦١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٥٠/١-٣٥٦ ، الذهبى : سير ٣٠/١٢ ترجمة رقم ٧ .

أبقى ابن الزيات على وزارته أياما ثم قبض عليه وقتله (١) .

وقد ندم على قتله ابن الزيات حيث لم يجد شخصا عوضا عنه (٢) . وكان يقول : "لقد كان الملك مفتقرا الى ابن الزيات وانما وقف قبح أفعاله في وجهي فحملني على اهلاكه ، وكان أخي الواثق يعظمه الا أنه لم يقابل نعمة الله بالشكر" (٣) .

وتجدر الاشارة الى أن ابن الزيات هو الوزير الوحيد خلال هذه الفترة الذى اختير وزيرا لثلاثة خلفاء متتاليين دون انقطاع (٤) .

ثم تخير المتوكل رجلا من كتابه يقال له أبو الوزير - واسمه أحمد بن خالد - من غير أن يسميه بالوزارة ، فكتب له مدة يسيرة ، ثم عزله (٥) .

واختار المتوكل لوزارته ابا جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي (٦) ، وقد قيل في وصفه أنه كان شيخا ظريفا حسن الأدب

---

(١) انظر : اليعقوبي : تاريخ ٤٨٤/٢ ، وقال بعد أربعين صباحا ، الطبرى : تاريخ ٢٠/٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٥/٤ وقال بعد أشهر ، ابن النديم : الفهرست ص/١٧٧ ، وذكر رواية اليعقوبي ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٢ ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٧ . وأشار الى وزارته للمتوكل ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٢/٥ ، ابن العمراني : الانباء ص/١٢٠ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١٤٨ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٢٧ .

(٢) انظر : ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ .

(٣) ابن العمراني : الانباء ص/١١٧ . انظر أيضا ماذكر التنوخي : نشوار ١٩/٨ .

(٤) انظر : ابن النديم : الفهرست ص/١٧٧ ، التنوخي : نشوار ١٩/٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٠١/٥ .

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٧ ، أشار المسعودى الى أنه قلد بعد ابن الزيات وان أيامه في الوزارة كانت يسيرة مروج الذهب ٦٠٥/٤ ، ويقول اليعقوبي في سنة ٢٣٤هـ سخط المتوكل على أحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير . تاريخ ٤٨٥/٢ ، ويقول الطبرى ان ذلك في سنة ٢٣٣هـ . تاريخ ١٦٢/٩ .

(٦) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٧ ، ذكر وزارته ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٢/٥ ، المسعودى : مروج الذهب ٦/٤ ، ابن العمراني : الانباء ص/١٢٠ ، ابن الكازروني مختصر التاريخ ص/١٤٨ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٢٧ ، =

عالما بالغناء مشتهرا به فخف على قلب المتوكل فاستوزره مدة يسيرة ، ثم كثرت السعايات به فعزله (١) .

يتضح أن المتوكل لم يكن اختياره موفقا عندما ولى وزارته الجرجرائى (٢) ، الا أنه لم يمض وقت طويل حتى سخط عليه وعزله (٣) ، واختار بدلا عنه عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

يقول ابن طباطبا عن سبب اختيار ابن خاقان للوزارة أن المتوكل لما عزل الجرجرائى قال : "... أريد حدثا استوزره فأشير عليه بعبيد الله بن يحيى بن خاقان" . وكان "حسن الخط ، وله معرفة بالحساب والاستيفاء .. كريما حسن الأخلاق ، وكان كرمه يستر كثيرا من عيوبه وكان فيه تعفف .. وكانت سيرة عبيد الله هينة والجند يحبونه" (٤) .

= وقال اليعقوبى انه "كاتب ديوان التوقيع" تاريخ ٤٨٨/٢ ويقول الطبرى فى سنة ٢٣٣هـ استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجرائى ، تاريخ ١٦٢/٩ .
وهو : محمد بن الفضل الجرجرائى ، أبو جعفر ، وزير المتوكل ، ثم المستعين بالله العباسى ، كان قبل الوزارة يكتب للفضل بن مروان . توفى سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م . انظر : الزركلى : الأعلام ٣٢٩/٦-٣٣٠ .

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ .

(٢) انظر أسباب عزل الجرجرائى فى المبحث الثالث من هذا الفصل ، ففيها مايدل على عدم كفاءته .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٨/٢ ، وقال عزل الجرجرائى سنة ٢٣٧هـ وولى ابن خاقان ، وقال الطبرى : فى سنة ٢٣٦هـ عزل الجرجرائى ، واستكتب عبيد الله بن خاقان ، تاريخ ١٨٥/٩ .
وهو : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، أبو الحسن ، وزير من المقدمين فى العصر العباسى ، استوزره المتوكل والمعتمد ، كان عاقلا حازما ، توفى سنة ٢٦٣هـ ٨٧٦م .
انظر : الذهبى : سير ٩/١٣ ترجمة رقم ٥ .
وقد أشار الى وزارته اليعقوبى : تاريخ ٤٨٩/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢١٤/٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٢٢/٥ ، ويقول ابن العمرانى : استوزر الفتح ابن خاقان بعد الجرجرائى وينوب عنه عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الانباء ص/١٢٠ ، وأشار الى وزارة عبيد الله أيضا ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٧ .

(٤) الفخرى ص/٢٣٨ .

ويفصل التنوخي في كيفية تدرج عبيد الله بن خاقان في أعمال الادارة حتى اختاره المتوكل وزيرا له حيث يقول : كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى طلب المتوكل لحدث من أولاد الكتاب يوقع بحضرته في الأبنية (١) ، والمهمات لأنه كان قد أسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائي واقتصر على أصحاب الدواوين ، وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم ، وجعل التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي (٢) ، وانتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها ، فأسمى له جماعة فاختار عبيد الله من بينهم ، وتدلنا رواية التنوخي على تواضع عبيد الله وكفاءته ، كما تشير الى أن المتوكل اختبره عندما أدخل عليه حيث طلب منه فورا أن يكتب بين يديه ، فأعجب به ، وقوى أمر عبيد الله مع الأيام ، حتى صار يعرض الأعمال ، كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير والتاريخ لوصيف ، ثم ان المتوكل رفعه عندما علم موقف ايتاخ (٣) منه وعداوته اياه ، "فأمر أن يخلع على عبيد الله وأن لايعرض أحد من أصحاب الدواوين عليه شيئا ، وأن يدفعوا أعمالهم اليه

---

(١) لقد اهتم المتوكل ببناء القصور . انظر عن ذلك اليعقوبي : تاريخ ٤٩١/٢ .

(٢) هو : وصيف القائد التركي ، من موالي المعتصم وأحد قواده الكبار ، كان يحب المعتصم وعند وفاة الواثق اشترك في استخلاف المتوكل وتولى حجابته ، كما اشترك في قتله ، وسيطر على الدولة مشاركا للقائد بغا . وقتل سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م .
انظر : الطبري ٣٧٤/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٨٥/٦-٥٧٨ ، العيون والحدائق ٤٠٩/٣ .

(٣) هو : ايتاخ القائد الخزري ، ولي الأعمال الكبار في خلافة المعتصم والواثق ولما تولى المتوكل كان الى ايتاخ : الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة . سجنه المتوكل حتى مات سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م .
انظر : اليعقوبي : تاريخ ٤٧٩/٢، ٤٨٠ ، الطبري : تاريخ ٢٩/٩، ٥٧، ١٦٦-١٦٧، ١٦٩، ١٨٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٣٢/٦، ٥٤٢-٥٤٥ .

ليعرفها ، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم .. وقوى أمر عبيد الله حتى حذف بنفسه من غير أمر اسم وصيف من التاريخ وأثبت اسمه ، ثم أمر له المتوكل برزق الوزراء حتى خوطب بالوزارة بعد مديدة" (١) . وظل عبيد الله بن خاقان على الوزارة حتى قتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م (٢) .

وقد أعاد المتوكل للوزارة هيبتها باختياره عبيد الله ابن خاقان ، الذى كانت له كفاءة في مجال عمله ، بعد أن تولى الوزارة من ليس له علم بآدابها .

---

(١) نشوار ٨/١٢-١٦ . ويذكر أن المتوكل استكتبه قبل أن يوليه الوزارة منذ سنة ٢٣٦هـ . نشوار ٨/٣ ، في حين يقول المسعودى استكتبه المتوكل سنة ٢٣٣هـ ، مروج الذهب ٤/٦ ، ويذكر التنوخي في موضع آخر نفس رواية تدرج عبيد الله بن خاقان في السلطة مع اختلاف في بعض العبارات . كما يشير الى أن الصدفة كانت الطريق الى معرفة المتوكل به . انظر : نشوار المحاضرة ٨/٥١-٥٣ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ .

ثانيا : اختيار الولاة .

اهتم العباسيون بادارة أقاليم الدولة الاسلامية منذ أن تسلموا أمر الخلافة ، فعملوا على تعيين الولاة على البلدان وذلك حتى يتسنى لهم ضبط أحوالها ورعاية شئونها .

عهد السفاح :

في عهد الخليفة أبي العباس السفاح ، كانت الدولة في مرحلة التأسيس ، وبداية النشأة والتكوين والأقاليم لاتزال مضطربة (١) ، فاعتمد السفاح في ولاياته على أبناء البيت العباسي ، وكبار قادة جيوش الدعوة العباسية ، والذين كانوا غالبا من العرب ، وذلك لثقته بهم ، وحاجة الدولة في ذلك الوقت الى تثبيت دعائم الاستقرار في نواحيها المختلفة مع الاعتناء باختيارهم على أساس الكفاءة والاخلاص .

فولي على الكوفة وسوادها : عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، ثم عزله في نفس السنة وولي بدلا منه ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذى استمر واليا على الكوفة وسوادها طول فترة خلافة السفاح (٢) .

وكان يلي البصرة (٣) سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، سفيان بن معاوية

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ ٤٤٣/٧-٤٤٦ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٨٥-٨٧ .

(٢) انظر : ابن خياط : خليفة بن خياط الليثى (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) : تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ص/٤١٢ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٥١/٢ ، وكيع : أخبار القضاة ٩٧/٣ ، الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٣ .

(٣) البصرة أكثر من موضع يقصد بها هنا مدينة بالعراق بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ياقوت : معجم البلدان ٤٣٠/١ .

المهلبي (١) ، فعزله السفاح وولى مكانه عمر بن حفص (٢) ، ثم عزله سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م (٣) . وولى عمه سليمان بن علي (٤) فترة خلافته كما أضاف اليه ولاية أعمالها ، وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجانقذق (٥) .

وولى على الجزيرة (٦) وأذربيجان (٧) وارمينية (٨) ، أخاه أبا جعفر المنصور وذلك سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م (٩) . وفي سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م ، اقتصرت ولاية المنصور على اقليم الجزيرة وذلك حتى سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م (١٠) ، حيث أمره السفاح بالمسير الى مكة ليقيم الحج فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العتكي (١١) حتى آخر خلافة السفاح (١٢) .

---

(١) انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٢ ، الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٤٠ .
هو سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب من رجالات الدعوة العباسية وقادة جيوشها . كان ممن نادى بالدعوة الى البيعة لبني هاشم بالبصرة سنة ١٣٢هـ .
انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٠٢-٤٠٣،٤٠٥ .

(٢) هو عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المعروف بهزارمرد أي ألف رجل . من رجال الدعوة العباسية وقادتها .
أبو الفداء : المختصر ٦/٢ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٢ .

(٤) انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٢ ، الطبري : تاريخ ٤٥٩/٧،٤٦٠،٤٦٥،٤٦٧،٤٧٣ .

(٥) الطبري : تاريخ ٤٥٩/٧،٤٦٠ .

(٦) الجزيرة هي جزيرة أقور . تقع بين دجلة والفرات ولذلك سميت الجزيرة .
ياقوت : معجم البلدان ١٣٤/٢ .

(٧) أذربيجان : اقليم واسع من أشهر مدنه تبريز . من أقاليم الدولة الاسلامية الشرقية .
ياقوت : معجم البلدان ١٢٨/١ .

(٨) أرمينية : اسم لصقع عظيم واسع يقع شمال أذربيجان .
ياقوت : معجم البلدان ١٦٠/١ . كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/٢١٦ .

(٩) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٤ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٥٤/٢،٣٥٨ ، الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٤٠ .

(١٠) الطبري : تاريخ ٤٦٠/٧،٤٦٥،٤٦٧،٤٧٠ .

(١١) هو أحد قادة جيوش الدعوة العباسية .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١١ ، الطبري : تاريخ ٣٨٩/٧،٣٩٠ .

(١٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٤ ، الطبري : تاريخ ٤٧٠/٧ .

وجعل ولاية أرمينية الى صالح بن صبيح ، وأذربيجان الى مجاشع بن يزيد منذ سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م ، وحتى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م (١) حيث عزل صالح بن صبيح عن أرمينية وولى مكانه يزيد بن أسيد (٢) وعزل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان وولى بدلا منه محمد بن صول (٣) .

وولى على الموصل (٤) : محمد بن صول - مولى خثعم - سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م فلم يقبل به أهل الموصل لأنه من الموالى ومنعوه من الدخول الى الموصل ، فولى أبو العباس بدلا منه أخاه يحيى بن محمد بن على سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م (٥) ، وظل واليا عليها حتى سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م (٦) ، حيث عزله السفاح واستعمل بدلا منه عمه اسماعيل بن على ، والى استمر واليا عليها طول فترة خلافته (٧) .

---

(١) صالح بن صبيح ومجاشع بن يزيد ، لم أعثر لهما على ترجمة والراجح انهما من قادة جيوش الدعوة العباسية .

(٢) هو يزيد بن أسيد بن زفر بن أسماء السلمى ، وال من رجال الدعوة العباسية .
انظر : الزركلى : الأعلام ١٧٩/٨ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٤٦٠/٧، ٤٦٥، ٤٦٧ . وذكر ولايتهما حتى سنة ١٣٥هـ ، ويبدو أنهما استمرا حتى نهاية خلافة السفاح .
ومحمد بن صول هو أحد قادة جيوش الدعوة العباسية وكان مع عبد الله بن على حين افتتح الشام .
انظر الطبرى : تاريخ ٤٣٣/٧ .

(٤) الموصل : مدينة مشهورة سميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة - الفراتية - والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات وقيل غير ذلك ، تقع فى الجزء الشمالى الغربى من العراق .
ياقوت : معجم البلدان ٢٢٣/٥ .

(٥) انظر : الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٥-١٤٦ ، وذكر الطبرى تولى محمد بن صول الموصل عندما افتتحت على يد عبد الله بن على وربما هو الذى ولاه ، تاريخ ٤٣٩/٧ .

(٦) الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠ ، ويذكر اليعقوبى ولاية يحيى للموصل كانت سنة ١٣٣هـ ، تاريخ ٣٥٧/٢ ، ويقول الأزدى : ولى يحيى سنة ١٣٣هـ ، وعزل سنة ١٣٤هـ . تاريخ الموصل ص/١٥٦ .

(٧) الطبرى : تاريخ ٤٦٠/٧، ٤٦٥، ٤٦٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٥٦، ١٦١ .

وولى على السند(١) منصور بن جهور(٢) ، وذلك منذ سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، حتى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م حيث ولى بدلا منه موسى بن كعب(٣) .

وولى على خراسان والجبال أبا مسلم الخراساني(٤) . وعلى كور الأهواز عمه اسماعيل بن علي(٥) .

كما جعل ولاية الشام الى عميه عبد الله وصالح ابني

---

(١) السند : بلاد واسعة تقع بين الهند وكرمان وسجستان من أشهر مدنها المنصورة وديبل . وهي من الأقاليم الشرقية للدولة الاسلامية .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ٢٦٧/٣ .

(٢) هو منصور بن جهور بن حصن بن عمرو الكلبي ، من فرسان العصر الأموي ، كان متغلبا على السند حتى قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ ، فأصبح أحد رجال الدولة العباسية . توفي نحو ١٣٤هـ/٧٥١م .
انظر : الطبري : تاريخ ٣٧٢/٧-٣٧٣ ،

(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٣ ، وقال ظل موسى بن كعب حتى وفاة السفاح . الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٥ .
أيضا انظر اليعقوبي : تاريخ ٣٥٨/٢ .
وهو موسى بن كعب بن عيينة التميمي ، أبو عيينة وال ، من كبار القواد ، وأحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية ، كان مع أبي مسلم في خراسان وجعله محمد بن علي في حمله النقباء الاثنى عشر في عهد بني أمية فأقام يبث الدعوة لبني العباس ، شهد وقائع كثيرة ، ولي شرطة المنصور اضافة الى ولاية الهند ومصر توفي سنة ١٤١هـ/٧٥٨م . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٣٤٢/١-٣٤٥ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٣ ، الطبري : تاريخ ٤٥٨/٨، ٤٦٠، ٤٦٥ .
وهو عبد الرحمن بن مسلم المروزي ، أحد كبار القادة في الدولة العباسية . اتصل بابراهيم الامام - محمد بن علي - فأرسله الى خراسان داعية . وبذل جهودا كبيرة في الدعوة العباسية ، ظل ذا شأن عظيم طول فترة خلافة السفاح ، ولما تولى المنصور الخلافة لم يرض بتسلطه ونفوذه ، فقتله سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٢٠٧/١٠-٢١١ ترجمة رقم ٥٣٥٢ ، ابن خلكان : وفيات ١٤٥/٣-١٥٥ ، الذهبي : سير ٤٨/٦ ترجمة رقم ١٥ ، الزركلي : الأعلام ٣٣٧/٧، ٣٣٨ .

(٥) الطبري : تاريخ ٤٥٩/٧، ٤٦٠ .

على بن عبد الله بن عباس حيث ولى عبد الله بن على ، قنسرين وحمص وكور دمشق والجولان وبعلبك والغوطة وحوران والأردن ، وولى صالح بن على ، البلقاء وفلسطين . (١)

وولى مكة والمدينة واليمن واليمامة عمه داود بن على سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م حتى سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م حيث توفى داود ، وكان قد استخلف ابنه موسى بن داود على عمله ، فلما بلغت أبا العباس وفاته ولى على المدينة ومكة والطائف واليمامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله ابن عبد المدان الحارثى ، وولى اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان ، فظل واليا عليها حتى توفى سنة ١٣٤هـ/٧٥١م ، فولى السفاح مكانه على بن الربيع بن عبيد الله الحارثى ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة ، ثم ان السفاح عزل زياد بن عبيد الله عن مكة فقط سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م ، وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس . (٢)

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٣، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٣ ، وأشار الى أن زياد بن عبيد الله ظل واليا على المدينة حتى وفاة السفاح ، وكذلك العباس بن عبد الله ابن معبد والى مكة .
انظر أيضا ابن خياط : تاريخ ص/٤١٢-٤١٣، ٤١٤ . وقال ان السرى بن عبيد الله الحارث بن العباس ولى اليمامة بعد داود بن على . وذكر ولاية داود بن على المدينة كل من ابن سعد : محمد بن سعد الزهرى (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) : الطبقات الكبرى ، القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم ، تحقيق د. زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكمة ، المدينة المنورة ، ط/الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ص/٢٤٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٢٤/١-٣٢٥ ، وقال اليعقوبى ولى داود الحجاز ٣٥١/٢ ، وأشار الى ولاية زياد بن عبيد الله مكة كل من وكيع : أخبار القضاه ٢٠٠/١ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٢٤/١، ٣٢٥ وقال أيضا ولى على اليمن ابن خاله محمد بن زياد بن عبيد الله ٣٢٥/١ ، وذكر ولاية موسى بن داود بن على المدينة ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٢٥/١ ، ويقول ابن خياط : ولى اليمن بعد داود بن على ، عمر ابن عبد الحميد الخطابى : تاريخ ص/٤١٣ ، وقال الزبيرى انه ولى مكة : نسب قريش ص/٣٦٤ .

وولى على مصر عمه صالح بن على فى المحرم سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م ، ثم ورد عليه كتاب السفاح بامارته على فلسطين ويأمره بالاستخلاف على مصر ، فاستخلف عليها أبا عون عبد الملك بن يزيد (١) مستهل شعبان سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م وحتى سنة ١٣٦هـ ٧٥٣م حيث ورد الكتاب من السفاح بولاية صالح بن على مصر وفلسطين وأفريقية (٢) .

ان وضع السفاح أقاليم الدولة الاسلامية فى هذه الفترة تحت ادارة ولاة عباسيين ، وأنصار موثوق بهم سواء كانوا من العرب أو من غيرهم هو أمر فرضته ظروف المرحلة التى تمر بها الدولة فى ذلك الوقت . بل ان ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) يرى أن فعل ذلك كان ضروريا فى بداية تأسيس الدول حيث يقول : "... ان عصابة الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها لابد من توزيعهم حصصا على الممالك والثغور التى تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء أحكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك" (٣) .

وقبل أن نختم الحديث عن اختيار الخليفة أبى العباس السفاح لولاته لابد من الاشارة الى أن بعض الأقاليم الشرقية

---

(١) هو : عبد الملك بن يزيد الأزدى الخراسانى ، من قدماء الدعاة العباسيين ، وأحد قادة جيوشها كان مع أبى مسلم الخراسانى وقحطبة بن شبيب ، انظر الطبرى : تاريخ ٣٩١/٧،٤٣٢،٣٨٩ .

(٢) الكندى : محمد بن يوسف (ت بعد ٣٥٠هـ/٩٦١م) : الولاه وكتاب القضاه ، صححه رفن كست ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، بدون ص/٩٧،١٠٠-١٠١،١٠٢ ، نقلها ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٢٣/١،٣٢٤،٣٢٨،٣٣١ ، ويقول الطبرى فى سنة ١٣٢هـ ، ولى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ٤٥٨/٧ ، أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٠ ، ويذكر الطبرى استمرار أبى عون على ولاية مصر حتى سنة ١٣٥هـ . ثم يذكر ولاية صالح بن على سنة ١٣٦هـ : تاريخ ٤٥٨/٧،٤٥٩،٤٦٠،٤٦٥،٤٦٧،٤٧٣ .

(٣) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : المقدمة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص/١٦١ .

من الدولة العباسية لم يكن للسفاح دور رئيسي في اختيار ولاتها ، وذلك لنفوذ أبي مسلم الخراساني وسيطرته على تلك المنطقة بل انه تعدى حدود ولايته - خراسان والجبال - حيث ولي على اقليم فارس أحد رجال الدعوة العباسية ، وقادة جيوشها وهو محمد بن الأشعث (١) ، وذلك في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، وكان السفاح قد وجه في نفس السنة عمه عيسى بن علي لتولي أمر فارس الا أنه لم يتمكن من ذلك لوجود محمد بن الأشعث عليها ، الذي امتنع من تسليم ولاية فارس لعيسى بن علي امتثالا لأمر أبي مسلم (٢) .

وقد أبقى السفاح على أبي مسلم لمعرفته بمدى طاعة أهل بلاد المشرق له ، وصرف جهوده الى تثبيت دعائم الاستقرار في دولته الوليدة .

عهد المنصور :

عندما تولى الخلافة أبو جعفر المنصور سار على نهج أخيه السفاح في اختيار ولاته ، كما أنه أبقى على معظم ولاته على البلدان ، يقول الطبري انه في سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م كان واليه على الموصل اسماعيل بن علي ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد

---

(١) هو : محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ، وال ، من كبار القواد له دور بارز في الدعوة العباسية ، توفي سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م .
انظر : الطبري : تاريخ ٣٧٢/٧،٣٨٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٣٤٧/١ ، الزركلي : الأعلام ٣٩/٦ .

(٢) الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧ ، ويذكر أن أبا العباس وجه بعد ذلك اسماعيل بن علي واليا على فارس ويبدو أن ذلك بعد توجه محمد بن الأشعث الى افريقية سنة ١٣٣هـ حيث ذكر ولاية ابن أشعث على فارس عند سرده لولاة السفاح سنة ١٣٢ و١٣٣هـ . تاريخ ٤٥٨/٧-٤٦٠ . انظر أيضا : الأزدي ذكر ولاية اسماعيل بن علي فارس سنة ١٣٣هـ : تاريخ الموصل ص/١٤٠ ، العيون والحدائق ٢٠٨/٣ ، وقد ذكر رواية الطبري أيضا الدينوري : الأخبار الطوال ص/٣٧٦-٣٧٧ .

وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان ابن على ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن ابراهيم (١) - بعد مقتل أبى مسلم - وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة (٢) ، وعلى مصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس (٣) .

كما يتضح من قائمة الأسماء التى أوردها ابن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) لعمال أبى جعفر المنصور طول فترة خلافته أن غالبيتهم كانوا من العرب - سواء من أبناء البيت العباسى أو قادة الجيوش كما فعل السفاح (٤) ، ويؤكد ذلك اليعقوبى بقوله : "وولى أبو جعفر أهل بيته البلدان فولى اسماعيل بن على فارس ، وسليمان بن على البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة وصالح بن على قنسرين والعواصم ، والعباس بن محمد الجزيرة وعبد الله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمد بن ابراهيم الأردن ، وعبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين ، والسرى ابن عبد الله بن تمام بن العباس مكة ، وجعفر بن سليمان المدينة ، ويحيى بن محمد الموصل ثم صرفه وولى ابنه جعفرا ... وكان عماله من العرب - أى على البلدان - يزيد بن حاتم المهلبى ومحمد بن الاشعث الخزاعى ، وزياد بن عبيد الله

---

(١) هو : خالد بن ابراهيم الذهلى ، أبو داود ، ولى خراسان فى زمن المنصور ، كان من الغزاه ، له وقائع وأخبار . شارك فى دعوة بنى العباس منذ بدايتها سنة ١٠٠هـ ، وله جهود محمودة فيها ، توفى سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م انظر : الطبرى : تاريخ ٥٦٢/٦ ، ١٠٧/٧،٣٥٥،٣٦٠ ، الزركلى : الأعلام ٢٩٣/٢-٢٩٤ .

(٢) هو : حميد بن قحطبة بن شبيب الطائى ، أمير ، من القادة الشجعان ، كان فى الجيش الذى قاده أبوه قحطبة لحرب الأمويين ، ووقف موقفا شديدا من أجل مبايعة أبى العباس السفاح . توفى سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م . انظر : الطبرى : تاريخ ٤١٤/٧،٤١٩،٤٣١،٤٣٧،٤٤٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٤ ، الزركلى : الأعلام ٢٨٣/٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٤٩٦/٧ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٠-٤٣٤ .

الحارثى ، ومعن بن زائدة الشيبانى ، وخازم بن خزيمة التميمى ، وعقبة بن مسلم الهنائى ، ويزيد بن أسيد السلمى وروح بن حاتم المهلبى ، والمسيب بن زهير الضبى ، وعمر بن حفص المهلبى ، والحسن بن قحطبة الطائى ، ومسلم بن قتيبة الباهلى ، وجعفر بن حنظلة البهرانى ، والربيع بن زياد الحارثى ، وهشام بن عمرو التغلبى . فكان ينقل هؤلاء لثقته بهم واعتماده عليهم ..." (١) .

وكما أن المنصور اعتمد فى معظم ولاياته على العرب ، مع تركيزه على أبناء البيت العباسى ، قدم أيضا أهل اليمن على غيرهم واختارهم ولاة لأقاليمه الهامة . يقول الأزدى : "... لما استعمل أبو جعفر يزيد بن حاتم بن قبيصة على أفريقية – وكان من أهل اليمن – تكلمت المضرية .. واجتمعت الى شبه بن عقال التميمى فذكروا ماعليه المنصور من حب لأهل اليمن والايثار لهم – وعددوا ولاته من أهل اليمن على

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ص/٣٨٤ . غير أنه لم يكن اختيار قادة جيوش الدعوة لتولى البلدان أمرا ملزما خاصة اذا اتضح عدم ملاءمتهم لمنصب الولاية ، فهذا موسى بن كعب ولاه المنصور مصر فأظهر الشدة والحزم حتى أخاف الجند من الوصول اليه ، حيث تعدى حدود الحزم الذى يناسب طبيعة الادارة ، فعزله المنصور ورده على شرطه مرة أخرى ، مع مالموسى بن كعب من منزله عالية اكتسبها من جهوده فى قيام الدولة العباسية فهو أحد نقباء الدعوة البارزين .
انظر : الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٢/١-٣٤٤ .
واعتماد المنصور على العنصر العربى ينفى الروايات التى تذكر أنه كان استخد م مواليه عمالا له ، حيث قدمهم ورفع منهم وهذا ماذكره التنوخى وتأثر به بعض الباحثين . انظر التنوخى : نشوار ٤١/٢ ، محمد الشبانى : نظام الحكم ص/١٠٤ ، كرد على : الاسلام والحضارة ١٩٨/٢، ٤٢٤ . ولعل الصواب فى ذلك ماذكره الطبرى من أن المنصور استخدم مواليه فى نقل الأخبار اليه حيث يقول ان المنصور اراد "أن يستعين فى الأخبار بأهل بيته ثم قال أضع من أقدارهم فاستعان بمواليه" . تاريخ ٨٠/٨ .

البلدان - افريقية ، أرمينية ، مصر ، فارس ، السند ، خراسان ، الجبال ، البحرين ، اليمامة - فذهب شبه الى المنصور وأشار عليه أن يولى أفريقية رجلا من أهل بيت المنصور - فذكر له المنصور فضل اليمن منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه وبنى أمية وبني العباس - ثم التفت الى ابنه المهدى فقال : أى بنى انى أعرف بالناس منك وأطول تجربة ، فعليك بأهل اليمن والاقبال عليهم بوجهك وبرك واعرف حقهم فانهم دعائم النبوة وعدد الاسلام ..." .(١)

والحق أن روايات المصادر تدلنا على أن المنصور كان يسعى أبدا الى أن يعين على رأس كل ولاية عاملا كفؤا . فالقرابة والمعرفة ليست سبب تولى المناصب وانما كانت طريقة الى معرفة الأصلح لها ، فقد ذكر أن الربيع بن يونس قال له : "ان لفلان حقا فان رأيت أن تقضيه وتوليه ناحية ، فقال : ياربيع ان لاتصاله بنا حقا فى أموالنا لافى أعراض المسلمين وأموالهم ، انا لانولى للحرمة والرعاية بل للاستحقاق والكفاية ، ولانؤثر ذا النسب والقرابة على ذوى الدراية والكفاية ، فمن كان منكم كما وصفنا شاركنا فى أعمالنا ، ومن كان عطلا لم يكن لنا عند الناس عذر فى توليتنا اياه ، وكان العذر فى تركنا له ، وفى خاص أموالنا مايسعه " .(٢)

وكان المهدى سأله أن يولى يحيى بن زياد الحارثى(٣) عملا فلم يجبه وقال : هو خليع متخرق فى النفعة ماجن ، فقال له

---

(١) تاريخ الموصل ص/٢١٨،٢٢٢ .
(٢) ابن حمدون : التذكرة ١/٤١٥ .
(٣) هو : يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثى ، أبو الفضل شاعر ماجن ، يرمى بالزندقة ، من أهل الكوفة ، وهو ابن خال السفاح . توفى نحو ١٦٠هـ/٧٧٦م .
الزركلى : الأعلام ٨/١٤٥ .

المهدى : قد تاب ، وتضمن عنه مايحب فولاه بعض أعمال الأهواز .(١)

كما عرف المنصور قدر الليث بن سعد(٢) ، فعرض عليه أن يلى مصر فاعتذر منه . يقول البغدادى : "... قال الليث : قال لى أبو جعفر : تلى لى مصر ؟ قلت لا يا أمير المؤمنين انى أضعف عن ذلك انى رجل من الموالى . فقال مابك ضعف معى ولكن ضعفت نيتك فى العمل عن ذلك لى ..."(٣) .

كما رضى المنصور عن معن بن زائدة(٤) وعفا عنه عندما رأى فيه كفاءة عالية ، وولاه عدة مناطق بعد أن كان يطلبه ، فتذكر المصادر أن المنصور عندما كان فى حربه مع الراوندية(٥)

---

(١) الأصفهانى : الأغانى ١٤/٣٥٥ .

(٢) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، بالولاء ، أبو الحارث ، امام أهل مصر فى عمره حديثا وفقها أصله من خراسان ، أخباره كثيرة وله تصانيف ، توفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٣/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٤/١٢٧-١٢٩ ، الزركلى : الأعلام ٥/٢٤٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١٣/٥ ، انظر أيضا ابن خلكان : وفيات ٤/١٢٩-١٣٠ ، اليافعى : مرآة الزمان ١/٣٦٩ .

(٤) هو : معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر الشيبانى ـ أبو الوليد ـ من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان الفصحاء ، أدرك العصرين الأموى والعباسى ،تنقل فى الولايات فى عهد المنصور ، أخباره كثيرة ، قتل على يد الخوارج سنة ١٥١هـ وقيل ١٥٢هـ وقيل بل ١٥٨هـ .
انظر : المسعودى : مروج الذهب ٣/٣٤٩ ، الخطيب : تاريخ ١٣/٢٣٥-٢٣٦ ، ابن خلكان : وفيات ٥/٢٤٤-٢٤٧،٢٤٩ الزركلى : الأعلام ٧/٢٧٣ .

(٥) الراوندية : أصحاب أبى القاسم بن راوند ، وهم من فرق الشيعة الذين يقال لهم الشيعة العباسية ، ينسبون الى آل العباس بن عبد المطلب . وهم صنفان الراوندية ، والخلالية أصحاب أبى سلمة الخلال . وكان خروج الراوندية على المنصور فى سنة ١٤١هـ ـ وقيل سنة ١٣٧هـ أو ١٣٦هـ وهم قوم من أهل خراسان على رأى أبى مسلم ـ صاحب الدعوة ـ يقولون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم عليه السلام فى عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل . وكانوا قد أتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون : هذا ربنا . =

رأى رجلا يقاتل ببسالة فاعجب به وعندما سأله المنصور قال : "طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال : قد أمنك الله على نفسك وأهلك ومالك ومثلك يصطنع واحسن اليه وولاه اليمن" (١) كما ولاه بعد ذلك سجستان (٢) واذربيجان (٣) .

وولى المدينة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب ـ أحد الطالبيين ـ خمس سنوات لكفاءته وحسن سيرته (٤) .

وكان المنصور يعلم أن صلاح الولايات باختيار الرجال (٥) ، وكان يسأل عن الصفات التى تؤهل الشخص للولاية . فقد قال لاسماعيل بن عبد الله ، اى الولاة أفضل ؟ قال الباذل للعطاء والمعرض عن السيئة ، قال فايهم أخرق ؟ قال انهكهم للرعية

= انظر تفاصيل ذلك فى : الطبرى : تاريخ ٥٠٥/٧-٥٠٨ ، أيضا عن تعريف الراوندية انظر الخوارزمى : محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) : مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، نشر عباس الباز ، مكة المكرمة ، بدون ص/٢١-٢٢ .

(١) الأصفهانى : الأغانى ١٠٧/١٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦١ .

(٢) وسجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، من الاقاليم الشرقية للدولة العباسية . انظر ياقوت : معجم البلدان ١٩٠/٣-١٩٢ .

(٣) الخطيب : تاريخ ٢٣٦/١٣، ٢٤١ ، ابن خلكان : وفيات ٢٤٩/٥ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٥٨ .
ومن أمثلة تولية المنصور الرجل لاخلاصه ومايقدمه من خدمات ، انه ولى فى سنة ١٣٧هـ أبا داود خالد بن ابراهيم خراسان لأنه ساعده فى الاغراء بأبى مسلم حتى يرجع اليه ، وكان أبو داود وكيل أبى مسلم على خراسان كما ولى المنصور سالم بن غالب القمى رامهرمز ثوابا له على مساعدته خازم بن خزيمة الذى وجهه المنصور لقتال ابراهيم بن عبد الله بالأهواز .
انظر : الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (بدون) ص/٣٢٨-٣٢٩، ٣٢٤-٣٢٥ ، العيون والحدائق ٢٢١/٣، ٢٢٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ تتمة ص/٣٨٦ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٥ ، الخطيب : تاريخ ٣٠٩/٧ ، الذهبى : العبر ١٩٤/١ ، دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م ١١٢/١ .

(٥) انظر الطبرى : تاريخ ٦٩/٨ ، ياقوت : معجم البلدان ٢٣١/١ .

واتبعهم لها بالخرق والعقوبة .." .(١)

وكان يستشير فيمن يولى من رجاله . فعندما انتقضت الموصل استشار خاصته عن أصلح من يولى عليها . فأشير عليه بخالد بن برمك نظرا لما يتمتع به من الهيبة والوقار فأغناه ذلك عن استخدام القوة لاعادتها . يقول أحمد بن محمد ابن سوار الموصلى : "ماهبنا قط أميرا هيبتنا خالد بن برمك من غير أن تشتد عقوبته ولانرى منه جبريه ، لكن هيبة كانت له فى صدورنا " .(٢)

كما استشار المنصور عيسى بن موسى فيمن يولى على المدينة ، حيث لم يجد الرجل المناسب الذى يعيد الاستقرار اليها ، ويقبض له على محمد وابراهيم - ابنى عبد الله بن الحسن - وكان يحاوره ويناقشه . حيث قال له عيسى : أرى أن تولى عليها رجلا من أهل بيتك له فكر ومكر وتأمره بطلبهما ، والبحث عنهما ، واذكاء العيون عليهما حتى يظفر بهما ، قال ياأبا موسى ان عداوتهما لنا باطنة ان لم يظهراها ، فان استكفيت أمرهما رجلا من أهل بيتى منعه الرحم من مكروههما وحجرته القرابة عن طلبهما . قال فول المدينة رجلا من أهل خراسان له جد وجد ومره أن يقعد لهما بكل مرصد فلايفتر عن طلبهما حتى يظفر بهما ، فقال ياأبا موسى محبة آل أبى طالب فى قلوب أهل خراسان ممتزجة بمحبتنا وان وليت أمرهما رجلا من أهل خراسان حالت محبته لهما بينه وبين طلبهما . ولكن

---

(١) الطبرى : تاريخ ٧٠/٨-٧١ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥٦/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٠٨-٢٠٩ ، كما ولى المنصور على الكوفة محمد بن سليمان بن على بمشورة عيسى بن على . انظر : الطبرى : نفس المصدر ٤٧/٨-٤٨ .

أهل الشام قاتلوا عليا على ألا يتأمر عليهم لبغضهم اياه (١) ثم مات على ، وهلك الذين قاتلوه فقام بنوه من بعده يطلبون الأمر فقام أبناء الذين قاتلوه فمنعوا بنيه الأمر وسفكوا دماءهم للبغض الذى ورثوه عن آبائهم ، فالرأى أن أولى المدينة رجلا من أهل الشام ، فولى رياح بن عثمان المرى المدينة وشحذه على طلب محمد وابراهيم" (٢) . وكان الرأى ما رآه المنصور اذ ظهر محمد بن عبد الله فى ولاية رياح بن عثمان (٣) .

---

(١) لاشك أن هذه الرواية فيها نظر ولكن أوردناها هنا للدلالة على دور الشورى فى اختيار الولاه .

(٢) العيون والحدائق ٢٤٧/٣ . ويقول الطبرى : انه لما اشتد أمر محمد وابراهيم على المنصور رأى أن يستعمل على المدينة رجلا صعيليكا من العرب "فيفعل ماقلت ، فبعث رياح بن عثمان بن حيان" ـ ولى بعد محمد بن خالد القسرى ـ وقد ذكر له المنصور سبب توليته اياه "فذكر له مابلاه من غش زياد وابن القسرى فى ابنى عبد الله ووله المدينة" ويشير الطبرى الى دور الاستشارة فى التولية ، واهتمام المنصور بها بقوله : "اشتد أمر محمد وابراهيم على أبى جعفر فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان فقال : ويلك ! اشر على فى أمر هذين الرجلين فقد غمنى أمرهما ، قال : أرى لك أن تستعمل رجلا من ولد الزبير أو طلحة ، فانهم يطلبونهم بذحل ، فاشهد لايلبثونهما أو يخرجوهما اليك ، قال : قاتلك الله ما أجود رأيا جئت به ! والله ماغبى هذا على ، ولكن أعاهد الله ألا أثئر من أهل بيتى بعدوى وعدوهم" ودعا يزيد بن أسيد السلمى ثم قال له : "أما تدلنى على فتى من قيس مقل ، أغنيه واشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به ؟ يعنى القسرى ، قال : بلى قد وجدته يا أمير المؤمنين قال : من هو ؟ قال : رياح بن عثمان ابن حيان المرى ، قال : فلاتذكر هذا لأحد ، فولاه المدينة . تاريخ ٥٣١/٧-٥٣٢ .
وانظر عن اهتمام المنصور بأمر محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن حسن ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ تتمة ص/٢٥٤،٣٧٥ ، الطبرى : تاريخ ٥١١/٧،٥١٨،٥٢٢،٥٢٨-٥٣٢، ٥٥٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ تتمة ص/٢٥٤،٣٧٥-٣٧٦ . وتصور بعض المصادر اختيار المنصور لولاته على نحو من سوء التدبير حيث تجعل اختياره لمعن بن زائدة واليا على اليمن بقصد بسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن وتشير الى أن معناً نفذ ذلك للمنصور .
انظر : الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٧٤-١٧٥ ، الأصفهانى : الأغانى ١٠٧/١٠ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٥٤/٤ . =

أمـــا اختيار أبى جعفر لولاته على أفريقية ، فانه يتضح أن لأهـــل أفريقيــة دور فـــى تعييـــن الـــولاة عليهـــم خلال فترات متباينـــة مـــن عهـــد المنصـــور ، بـــل ان المنصـــور أقـــر بعـــض المتغلبيـــن عليهـــا خوف استمرار اضطرابها . كما فعل بالحسن ابن حرب (١) ، حيث أبقاه حتى استقرت أفريقية ، ثم بعد ذلك ولى عليهـــا عمـــر بـــن حفص المهلبى فاضطربت البلد واستمرت ثورات أهـــل أفريقيـــة على الولاة الذين كان يختارهم المنصور ، حيث لـــم يكونـــوا بالقوة التى تمكنهم من البقاء فى مناصبهم حتى اختـــار لهـــا المنصـــور أحـــد قادته المشهورين ، وهو يزيد بن حاتم المهلبى (٢) الذى استطاع أن يعيد أفريقية الى الطاعة (٣) .

عهد المهدى :

لاشـك أن أبـــا جـعفـر الـمنصـــور استطاع ضبط أمور الخلافة العباسـيـة فى عصره ، فآلت الخلافة الى ابنه المهدى وهى على أحسن ماتكون من الاستقرار والتنظيم ، فسار على نهج أبيه فى معظم أحوالـــه . فـــأقر عـــلـى ولاية أفريقيـــة يزيـــد بن حاتم

= كمـــا يشـيـر الأزدى ـ وهـــو مـــؤرخ متعصـب ضد خلفاء بنى العبـاس ـ ان المنصور "دعا عقبة بن مسلم الهنائى وهو مـــن الأزد وذلـك بعـد ولايـــة معن لليمن ، فقال له : قد علمت مافعل بكم معن فان وليتك اليمامة والبحرين تشفى مـــن ربيعـــة قال : كفيتك ياأمير المؤمنين ، فولاه فخرج اليهـــا فأبـادهم وقال : أتانى قضاء معن ..." . تاريخ الموصل ص/١٧٥ .

(١) هـــو : الحسن بن حرب الكندى ، ثائر شاعر من الشجعان ، مـــن أهـــل تونس ، خرج على أمير أفريقية الأغلب بن سالم والتف حوله كثير من الجند فقاتله الأغلبى فى القيروان وأصابه سهم قتله سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م .
الزركلى : الأعلام ١٨٧/٢ .

(٢) هـــو : يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبى صفرة الأزدى ـ أبـــو خـــالـد ـ أمـيـر من القادة الشجعان ، ولى الـديـــار المصريــة سنة ١٤٤هـ للمنصور وصرفه سنة ١٥٢هـ وولاه افريقية سنة ١٥٤هـ واستمر واليا عليها خمس عشرة سنة . قضى خلالها على كثير من الفتن . توفى بالقيروان سنة ١٧٠هـ/٧٨٧م .
انظر : الذهبى : سير ٢٣٣/٨ ترجمة رقم ٤٦ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٨٥/٢-٣٨٧ .

المهلبي طول فترة خلافته ، فاستطاع أن يخمد ثوراتها المتتالية (١) . كما ركز أيضا عند اختيار ولاته بأن يكونوا من أبناء البيت العباسي ، وقادة الجيوش الذين كان أغلبهم من العرب (٢) ، هذا مع اختياره لبعض مواليه دون الاكثار منهم (٣) .

وكان المهدي دقيقا في اختيار ولاته ، حيث ولى أفاضل أهل بيته (٤) ، ووجوه العرب ورجالاتها (٥) . وكان يختار أهل الكفاءات وينقلهم في ولاياته المختلفة لثقته بهم . وهذا يفسر لنا سبب كثرة الولاية والعزل في عهده (٦) ، مع اعتماده على بعض مواليه ، كما كان يراعي بلوغ الشخص المختار سنا (٧) معينة تضيف الى كفاءته خبرة وعلما لينقله الى الولايات الهامة في الدولة . يقول الأزدي : قال المهدي : ـ عندما اطلع على حسن سيرة موسى بن مصعب الخولاني وكان واليا على

---

(١) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤١ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٨٦/٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٠٦/٢ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٠-٤٤١ ، الطبري : تاريخ ١١٦/٨، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٥-١٦٦ . وقد ذكر الطبري أيضا أن المهدي كان قد ولى ابنه هارون المغرب كله من الأنبار الى أفريقيا . نفس المصدر ١٨٧/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٥٠ ، كما ولى ابنه الهادي الأقاليم الشرقية كلها . انظر شاكر مصطفى : دولة بني العباس ٥٥٩/١ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ٥٤/٥-٥٥ .

(٤) الخطيب : تاريخ ٢٩١/٥ ، العيون والحدائق ٢٧٨/٣ .

(٥) انظر مثالا على ذلك ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ تتمة ص/٤٣٢ ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٢٤، ٢٤٢، ٢٤٣ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٩٨/٢-٣٩٩ ، الخطيب : تاريخ ١٧٣/١٠-١٧٤ ، انظر الكتاب الذي بعث به القاضي عبيد الله بن الحسن العنبري الى المهدي يوضح له فيه كيفية اختياره للولاه كل حسب أهمية ولايته . وكيع : اختيار القضاه ١٠٠/٢ .

(٦) انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٠-٤٤١ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٩٨/٢-٣٩٩ . وهذا يجعلنا ننفي رواية المسعودي المتناقضة التي يقول فيها ان المهدي : "لايتكل في الأمور على غير ثقة ، كثير الولاية والعزل لغير سبب" . التنبيه والاشراف ص/٢٩٧ .

(٧) انظر : اليعقوبي : تاريخ ٣٩٨/٢ ، الطبري : تاريخ ١٥١/٨، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٦ .

الموصل - "ان كان موسى بلغ الأربعين قلدته مصر" فلما سأله اجاب بأن عمره اثنان وأربعون فقلده مصر . (١)

وكان يستشير فيمن يولى ففى سنة ١٥٩هـ/٧٥٥م توفى معبد ابن الخليل بالسند وهو عامل المهدى عليها فاستعمل مكانه روح بن حاتم بمشورة أبى عبيد الله وزيره . (٢)

وسيرة المهدى تدلنا على أنه كان يستشير فى أموره كلها ، وكان يجمع لذلك كبار أهل بيته ووزرائه ومن يثق برأيه ، لكى يعينوه على أخذ القرارات الصائبة فيما يعن له من أمور ، ومن ذلك اختياره لأصحاب المناصب الهامة فى الدولة . وينقل لنا ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) كيفية انعقاد مجلس الشورى ومن يحضره ، وكيف تعرض فيه الآراء وكيف تناقش ، وحضور الخليفة ، وسؤاله عن كل مايعرض ، حتى يستخلص من هذه الآراء مافيه المصلحة ، ثم أخذه للقرار المناسب فى حينه ، حيث كان يحلل ويناقش ويستفهم ويداول الآراء . (٣)

عهد الهادى :

نظرا لقصر فترة خلافة الهادى ، فانه لم يجر هناك تحولا كبيرا فى طريقة اختيار الولاة خلال هذه الفترة ، بل

---

(١) تاريخ الموصل ص/٢٤٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١١٧/٨ ، انظر أيضا توليته اسحاق بن الصباح الكندى الكوفة وأحداثها ، بمشورة شريك بن عبد الله قاضى الكوفة . نفس المصدر ١٢٠/٨ .
وروح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدى : أمير من الأجواد الممدوحين ، كان حاجبا للمنصور ، وولاه المهدى السند ، ثم نقله الى البصرة فالكوفة ، وولاه الرشيد على فلسطين ، ثم صرفه عنها فتوجه الى بغداد ، ثم ولى القيروان بعد موت أخيه يزيد بن حاتم سنة ١٧١هـ ، واستمر الى أن مات سنة ١٧٤هـ/٧٩١م .
انظر : ابن خلكان : وفيات ٣٠٥/٢-٣٠٧ ، الذهبى : سير ٤٤١/٧ .
(٣) العقد الفريد ١٩١/١-٢١٢ .

انه أبقى بعض ولاة أبيه على ماكانوا عليه من الولايات .(١)

غير أنه لم يوفق فى اختيار والى اقليم خراسان ـ وهو من الأقاليم الهامة فى الدولة العباسية ـ حيث اختار لولايته خاله الغطريف بن عطاء ، الذى قدم خراسان كما يقول اليعقوبى : "وكانت هادئة الأمور ساكنة والملوك فى الطاعة . فظهر منه أمور قبيحة وضعف شديد فاضطربت البلد ..."(٢) .

عهد الرشيد :

أما الرشيد فانه فى مفتتح خلافته اعتمد على آل برمك فى معظم ولاياته ، حيث ولى جعفر بن يحيى المغرب كله من الأنبار الى أفريقية ، وولى الفضل بن يحيى المشرق كله من النهروان(٣) الى أقصى بلاد المشرق(٤) . كما ولى محمد بن خالد بن برمك الجزيرة(٥) وأرمينية(٦) .

وكان لتفويض الرشيد يحيى بن برمك ادارة شؤون دولته أثر فى اختيار ولاة البلدان ، الا أن ذلك لايعنى بعد الرشيد نهائيا عن الادارة(٧) .

وعلى الرغم من تولى البرامكة لأقاليم واسعة خلال صدر خلافة الرشيد وحتى زوال سلطانهم سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م ، فان

---

(١) انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٦ ، كما استخدم بعض مواليه على الولايات . الطبرى : تاريخ ٢٠٤/٨ .
(٢) تاريخ ٤٠٤/٢ .
(٣) والنهروان : ثلاثة نهر وانات الأعلى والأوسط والأسفل ، وهى كوره واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى حدها الأعلى متصل ببغداد . ياقوت : معجم البلدان ٣٢٥/٥ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/١٩٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢٩/٤ العيون والحدائق ٢٩٣/٣، ٢٩٦ ، وكان كل واحد منهما يختار ولاته على البلدان والأقاليم التى تتبع ادارته . انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٢-٤٦٣ .
(٥) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٣ .
(٦) القيروانى : زهر الآداب ٣٥٥/٢ .
(٧) انظر مايلى من البحث ، المبحث الثانى من الفصل الأول الاشراف والتوجيه .

الرشيد حاول السير على نهج من سبقه من الخلفاء طول فترة خلافته حيث اعتمد على بعض أبناء البيت العباسي ورجالات العرب وقادة جيوشه (١) . كما انه ولى بعض الموالى حيث اختار لولاية السند مولاه الليث ، ومن بعده سالما اليونسى مولى اسماعيل بن على (٢) ، وولى الخطيب بن عبد الحميد بن الضحاك جرجان (٣) ، وحماداً البربرى مولاه مكة واليمن ، ومنصور بن عطاء الخراسانى مولى بنى ليث الكوفة (٤) ، بل انه جمع للمعلى بن طريف مولى المهدى ـ وكان من كبار قواده ـ مالم يجمع لغيره من الأعمال حيث ولاه البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين (٥) .

---

(١) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦١-٤٦٤ ، الطبرى : تاريخ ٣٤٦/٨-٣٤٧ ، ابو الفداء : المختصر ١٦/٢ .
لقد ولى الرشيد بعض أهل بيته ولايات كبيرة ، مثل توليته الحسن بن سليمان بن على أعمال البصرة وكور دجلة والأعمال المفردة والبحرين والعوص وعمان واليمامة وكور الأهواز وكور فارس . ولم يجمع ذلك لأحد غيره . انظر : الخطيب : تاريخ ٢٩١/٥ ، كما عقد لابنه الأمين على الشام والعراق وللمامون على المشرق من همذان الى آخر عمل المشرق . انظر الطبرى : تاريخ ٢٧٥/٨ . وكان يختار خيار اهل بيته مثل عبد الملك بن صالح ـ تولى الموصل والمدينة المنورة ـ والعباس بن محمد بن علي ـ ولى الجزيرة ـ وعيسى بن جعفر بن أبى جعفر ـ ولى امارة البصرة ـ واسحاق بن سليمان بن على ـ ولى المدينة المنورة والبصرة ومصر والسند ـ .
انظر : الازدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٤ ، القيروانى : زهر الآداب ٧١٤/٣،٧١٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٢٩/٦ ، ١٥٧/١١ ، ١٢٤/١٢،١٢٥ .
ومن رجالات العرب وقادة الجيوش ولى الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانى ـ امارة اليمن ـ وولى جعفر بن الأشعث ـ خراسان ، وولى هرثمة بن أعين مصر .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٢،٤٦٣ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ١١٦/٤-١١٧ ، الخطيب : تاريخ ٣٣٤/١٤،٣٣٧ .
(٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٣ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠٩/٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات ١٨٨/١ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦١،٤٦٢ .
(٥) ياقوت : معجم البلدان ٣٢٤/٥ .

وكان الرشيد يستشير فيمن يولى (١)، ويطمح دائما الى اختيار ذوي الكفاءات ويحرص على ذلك . فقد عرض ولاية المدينة على عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيرى ـ وهو ممن عرف بالصلاح وحسن السيرة وجلالة القدر ـ فأبى أن يليها لأنه يكره الولاية ، فألزمه الرشيد وأقام على ذلك ثلاث ليال ، يلح عليه فى قبول ولايتها . حتى قال له فى الليلة الثالثة : اغد على بالغداة ان شاء الله ، فغدا عليه فدعا الرشيد بقناة وعمامة فعقد اللواء بيده ثم قال له : عليك طاعة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فخذ هذا اللواء فأخذه وولى المدينة نحو ثلاث عشرة سنة ، ثم زاده الرشيد أيضا ولاية اليمن وعك (٢).

كما ولى وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله ـ أبا البخترى القرشى المدنى ـ المدينة على صلاتها وقضائها وحربها . وهو أحد العلماء الأجواد الأسخياء (٣).

ويتضح من سرد اليعقوبى للأحداث الداخلية لبعض الولايات فى عصر الرشيد ، دور الاختيار الموفق فى كسب ولاء أهل البلدان ، فى حين أن اضطراب بعض المناطق عائد الى تصرفات بعض الولاة الذين يفتقرون الى الكفاءة فى مجال عملهم . وهذا يفسر لنا جانبا من أسباب كثرة التولية والعزل (٤).

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٥٨/٢ .(منسوب)

(٢) الزبيرى : نسب قريش ص/٢٤٢ ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٢٤، ١٢٩-١٣٠ ، الخطيب : تاريخ ١٧٣/١٠-١٧٦ . وكان ولى اليمامة للمهدى . وقد وصف ابن بكار مايتمتع به من خلال حسنه . المصدر نفسه ص/١٦٣-١٦٥ .
و"عك" : قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن ومقابله مرساها دهلك .
والمخلاف يعنى كوره تشتمل على عدة قرى يسمى باسم القبيلة التى تسكنه .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٦/١-٣٧ ، ١٤٢/٤ .

(٣) الخطيب : تاريخ ٤٥١/١٣ .

(٤) تاريخ ٤٠٩/٢، ٤١٢-٤١٣، ٤٢٦-٤٢٧ . انظر أيضا ابن أعثم : الفتوح ٢٧٨/٨-٢٧٩ .

وفي خلافة الرشيد ظهر مبدأ وراثة الولاية في أبناء الأسرة الواحدة ، مما أثر على أعمال مبدأ الاختيار ، وكان ذلك في ولاية أفريقية التي اضطربت مرة أخرى في عهد الرشيد فتعاقب عليها مجموعة من الولاه . كما استولى عليها بعض الثوار فيما بين ذلك والذين لم يرض بهم الرشيد ، حتى كانت ولاية ابراهيم بن الأغلب(١) عليها من قبل أهلها والذي استطاع ضبط أمورها . فلما بلغ الرشيد ذلك كتب اليه بعهده على أفريقية(٢) ، وأصبحت ولاية أفريقية يتوارثها ولده من بعده .

عهد الأمين :

عندما تولى الأمين الخلافة أبقى على بعض ولاة أبيه على البلدان(٣) ، كما سار على نهجه في الاعتماد على أبناء البيت العباسي(٤) ، ورجالات العرب وقادة الجيوش(٥) ، الا أنه اصطنع بعض من نبذهم أبوه الرشيد ، وكان أقصاهم لسوء سيرتهم(٦) . فقد

---

(١) هو : ابراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي ، ثاني الأغالبة ولاه افريقية لبني العباس ، كان أبوه "الأغلب" قد وليها سنة ١٤٨-١٥٠هـ وقتله ثائر ، فوجه اليها عدة ولاة غلبتهم الفتن ، ووليها محمد بن مقاتل ، وتغلب عليه أحد عماله سنة ١٨١هـ ، وكان ابراهيم عاملا على "الزاب" فقام بنصره ابن مقاتل ورده الى امارته فورد عهد الرشيد بعزل ابن مقاتل وتولية ابراهيم امارة افريقية في نفس السنة . كان ذا علم بالآداب والفقه ، شاعرا خطيبا شجاعا ، استمرت امارته ١٢ سنة ومات بالعباسية سنة ١٩٦هـ/٨١٢م .
انظر : الذهبي : سير ١٢٨/٩ .

(٢) اليعقوبي : تاريخ ٤١١/٢-٤١٢ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٣٥/٢ ، الخطيب : تاريخ ٣٢٩/٦ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٤٣٥/٢ ، الطبري : تاريخ ٤١٧/٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٩٥/٨ . فقد ولى العباس بن موسى الهادي ـ الكوفة ـ ومنصور بن المهدي ـ البصرة ـ واسحاق بن سليمان بن علي ـ أرمينية ـ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٣٥/٢،٤٣٩ ، أمثال يزيد بن مزيد الشيباني ـ ولي أرمينية ـ وعلي بن عيسى بن ماهان ـ كور الجبال كلها ونهاوند وقم وأصبهان حربها وخراجها ومحمد بن سعيد الكناني ـ اليمن ـ ومن بعده جرير بن يزيد البجلي ، وعلى مصر هاشم بن هرثمة بن أعين ثم جابر بن الاشعث .

(٦) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة ٢٢١/٢ ، يقول المسعودي ـ عن الأمين ـ : "اتكل في جليلات الخطوب على غيره ، ويثق بمن لاينصحه" . التنبيه ص/٣٠٢ .

أخرج عبد الملك بن صالح بن علي (١) من الحبس - وكان محبوسا زمن الرشيد لاتهامه بمحاولة خروجه واستقلاله عن الدولة - وولاه جميع ما كان اليه من الجزيرة وجند قنسرين (٢) والعواصم والثغور (٣)، كما أخرج أيضا علي بن عيسى بن ماهان (٤) من الحبس، وولاه كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم واصفهان حربها وخراجها (٥).

---

(١) هو : عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ولاه الهادي امرة الموصل سنة ١٦٩هـ وعزله الرشيد سنة ١٧١هـ ثم ولاه الصوائف، وولاه مصر مدة قصيرة فلم يذهب اليها، وولاه دمشق فأقام فيها أقل من سنة، وبلغ الرشيد أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٨٧هـ، ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣هـ، فأقام بالرقة أميرا حتى توفي سنة ١٩٦هـ/٨١١م.
انظر : ابن خلكان : وفيات ٣٠/٦، الذهبي : سير ٢٢١/٩

(٢) و"جند قنسرين" : من أجناد الشام التي تشتمل على كور ياقوت : معجم البلدان ١٠٣/١.

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٣٤/٢، وقال الطبري : ولاه الأمين بلاد الشام. تاريخ ٣٠٥/٨، وقال صاحب العيون والحدائق ٣٢٨/٣ انه لما أخرج الأمين عبد الملك بن صالح من الحبس ولاه الشام لأنه كان قد قال له ان أهل الشام مسارعون الى طاعتي فان وجهني أمير المؤمنين اتخذت له جندا تعظم مكاتبتهم في عدوه في كلام طويل فولاه الأمين الشام واستحثه.
و"العواصم" : جمع عاصم وهو المانع، وهي حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها أنطاكية من بلاد الشام، تضم منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية ويتزين ومابين ذلك من الحصون.
و"الثغور" : كل موضع قريب من أرض العدو، كانه ماخوذ من الثغرة وهي الفرج في الحائط وهي في مواضع كثيرة منها ثغر الشام وهو عدة بلاد منها أذنه والمصيصة وطرسوس. ياقوت : معجم البلدان ٧٩/٢، ١٦٥/٤.

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٤٣٥/٢، وهو علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين، وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري فقتل ابن ماهان وانهزم أصحابه. انظر : الزركلي : الأعلام ١٣١٧/٤ الخطيب: تاريخ ١٦/١٢.

(٥) الطبري : تاريخ ٣٨٩/٨-٣٩٠. وذلك سنة ١٩٥هـ. وتجدر الاشارة الى أن فترة خلافة الأمين مرت باضطرابات وفتن عديدة أدت الى خروج مناطق هامة من الدولة عن سيطرته وتغلب بعض الولاة على مناطقهم، وموالاة البعض الآخر للمأمون، كما كان للجند دور في ترشيح واختيار ولاة =

وفيما يخص ولاية افريقية فقد ظل ولاتها من بنى الأغلب .(١)

عهد المأمون :

أما خلافة المأمون فهى أشبه بقيام دولة وبداية عهد جديد ، فوزع ولاياته على أنصار دولته وقادة جيوشه .

فمنذ أن بلغه انتصار طاهر بن الحسين ، وهزيمته لجيوش أخيه الأمين سنة ١٩٦هـ/٨١١م ، دعا الفضل بن سهل وزيره ، وكان حسن الرأى فيه ، فعقد له على بلاد المشرق من جبل همذان(٢) الى جبل سقينان والتبت(٣) طولا ، ومن بحر فارس والهند الى بحر الديلم وجرجان عرضا(٤) ، وعقد له لواء على سنان ذى شعبتين وأعطاه علما وسماه ذا الرياستين - رياسة الحرب ورياسة التدبير -(٥) .

كما رعى لطاهر بن الحسين مناصحته وخدمته(٦) ، وجهده فى اقامة خلافته كقائد لجيوشه ، فولاه أيضا فى نفس السنة ١٩٦هـ ٨١١م مافتتحه من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن واستمر واليا عليها حتى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م حيث صرفه المأمون عنها وأمره بالمسير الى

= بعض المناطق - مثل مصر - انظر فى ذلك مثلا : اليعقوبى تاريخ ص/٤٣٨-٤٣٩ . أيضا مبحث الاشراف والتوجيه من هذا الفصل .

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤١٢/٢ .

(٢) و"همذان" : مدينة من عراق العجم من كور الجبل . الحميرى : الروض المعطار ص/٥٩٦ .

(٣) التبت : بلد بأرض الترك فى الاقليم المتاخم لبلاد الهند وقيل متاخمة لبلاد الصين ومن احدى جهاتها لأرض الهند ومن جهة لبلاد الهياطلة ومن جهة لبلاد الترك . ياقوت : معجم البلدان ١٠/٢ .
أما سقينان : فلم أجد لها تعريفا فيما تيسر لى من مصادر .

(٤) بحر "فارس والهند" : يعرف اليوم بالخليج العربى - على ماوصفه - ياقوت . كما يفهم أن بحر "الديلم" هو بحر الخزر أو مايعرف اليوم ببحر قزوين شمال ايران . انظر المصدر السابق ٣٤٢/١-٣٤٣ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٤٢٤/٨ ، أبو الفداء : المختصر ٢٠/٢ ، العيون والحدائق ٣٢٧/٣-٣٢٨ .

(٦) ابن خلكان : وفيات ٥١٨/٢ .

الرقة وولاه الموصل والجزيرة الفراتية والشام والمغرب (١).

لقد اختار المأمون للولايات التى صرف عنها طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ/٨١٣م - كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن - الحسن بن سهل أخا وزيره الفضل بن سهل ، وقد أثار ذلك غضب بنى هاشم فى بغداد (٢). وتحدث الناس بالعراق أن الفضل بن سهل يدبر الأمور على هواه ويستبد بالرأى دون المأمون . ولم يرضوا بولاية الحسن بن سهل عليهم ، وبايع بنو هاشم منصور بن المهدى سنة ٢٠١هـ/٨١٦م خليفة للمأمون وأميرا عليهم ، ثم بعد ذلك فى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م بايعوا ابراهيم بن المهدى بالخلافة وخلعوا المأمون . وهاجت الفتن فى الأمصار (٣).

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٢٧/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٥٢٠/٢ .
و"الجبال" : جمع جبل اسم علم للبلاد المعروفة باصطلاح العجم بالعراق وهى مابين أصبهان الى زنجان ، وقزوين وهمدان والدينور وقرميسين والرى .
و"الأهواز" جمع هوز وأصله هوز ، وهو اسم لكورة من بلاد المشرق قرب البصرة من أرض العراق شمال الخليج العربى
و"الكوفة" من مدن العراق المشهورة مصرت فى الاسلام حيث أمر ببنائها عمر بن الخطاب رضى الله عنه تقع بالجنوب الغربى للعراق .
و"الرقة" مدينة مشهورة على الفرات من أرض الجزيرة فى الناحية الغربية منها وموقعها على الجانب الشرقى لنهر الفرات .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ٢٨٤/١ ، ٩/٢ ، ٥٩/٣ ، ٤٩٠/٤ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥٢٧/٨-٥٢٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٣٣٠/٨ مسكويه : تجارب الأمم ٤١٨/٦،٤١٩ ، ابن خلكان : وفيات ٥٢٠/٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٨٨،١٩٧ ، أبو الفداء المختصر ٢١/٢ ، انظر أيضا ماذكره اليعقوبى : تاريخ ٤٤٥/٢،٤٤٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٥ .
وقال مسكويه : "كان هرثمة لما قدم الحسن بن سهل العراق واليا من قبل المأمون ، سلم اليه ماكان بيده من الأعمال ، وتوجه نحو خراسان مغاضبا" . المصدر السابق ٤٢١/٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥٢٨/٨،٥٢٩،٥٤٩،٥٥٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦،٤٢٠،٤٣٢،٤٣٦،٤٣٧ . انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٤٥/٢-٤٥٠ .
=

لقد كان للفضل بن سهل دور فى تصريف الأمور خلال فترة وجود المأمون فى خراسان من سنة ١٩٦ - ٢٠٢هـ ، وبالتالى فان اختيار الولاة كان برأيه ، فهو الذى كان يشير على المأمون بمن يولى .

وعندما عاد المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م ، وباشر مهام الخلافة بنفسه ، عرف لطاهر بن الحسين حقه ، وقدر له اخلاصه ، فولاه سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م بلاد المشرق من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق ، اضافة الى ماكان يليه من بلاد الجزيرة (١) .

وكان المأمون قد جرب من طاهر كفاءة عالية ، حيث وصفه بقوله : "ماحابى طاهر فى جميع ماكان فيه أحدا ، ولامالأ أحدا ، ولاداهن ، ولاوهن ، ولاونى ولاقصر فى شىء ، وفعل جميع ماركن اليه ، ووثق به فيه ، أكثر مما ظن به ، وأمل ، وانه لايعرف أحد من نصحاء الخلفاء وكفاتهم فيمن سلف عصره ومن بقى فى أيام دولته على مثل طريقته ، ومناصحته وغنائه

= انظر أيضا الاضطرابات التى كانت قائمة خلال فترة الفتنة بين الأمين والمأمون ومدة بقاء المأمون فى خراسان ، حيث تحكم الجند فى بعض المناطق وأصبح اختيار الوالى عائدا اليهم .
انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٣٨/٢-٤٣٩ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٤٩،١٥٢،١٥٣،١٥٤،١٦١،١٦٥-١٦٦،١٦٧ .
وبالنسبة لمصر فقد استمرت الاضطرابات فيها الى أن أعاد الاستقرار اليها عبد الله بن طاهر سنة ٢١١هـ .
انظر المصدر السابق ص/١٧٢،١٧٣،١٨٠ .

(١) الطبرى : تاريخ ٥٧٧/٨ ، الأصفهانى : حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون) ص/١٦٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٤٨/٦ .
وذكر ولاية طاهر بن الحسين لخراسان والجزيرة سنة ٢٠٥هـ ابن طيفور : بغداد ص/٢٠،٣٥ ، وقال أيضا : "عقد المأمون لواء ذى اليمينين طاهر بن الحسين على المغرب كله بعد قدومه مدينة السلام بشهر" ص/٣٥ .
أما اليعقوبى فقال : انه فى سنة ٢٠٦هـ ولى المأمون طاهر بن الحسين خراسان . تاريخ ٤٥٦/٢ .

واجرائه ..." .(١)

ويبدو أن المأمون قد ركز في اختيار ولاته على أسرة آل طاهر حيث أوكل اليهم ادارة أقاليم واسعة من بلدان الخلافة . ففي سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين الجزيرة(٢) والشام ومصر والمغرب(٣) ، وكان عبد الله مقدما عند المأمون لما يتصف به من الأدب والعلم والنبل والشجاعة والشهامة والجود(٤) ، والعفة(٥) ، فبلغ عنده منزلة عظيمة(٦) .

كما ولى المأمون طلحة بن طاهر بن الحسين خراسان بعد وفاة والده طاهر سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م(٧) ، وظل واليا عليها مدة سبع سنوات(٨) ، حيث توفي طلحة فولى المأمون على خراسان عبد الله بن طاهر سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م(٩) ، كما أضاف اليه ولاية كور

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٦٩ .

(٢) هو : عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي - بالولاء - أبو العباس ، أمير خراسان ، ومن أشهر الولاه في العصر العباسي ، ولى أيضا الشام ومصر والدينور في فترات مختلفة . توفي بنيسابور وقيل بمرو سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٤٨٣/٩ ، ابن خلكان : وفيات ٨٣/٣-٨٩ ، الذهبي : سير ٦٨٤/١٠ ، الزركلي : الأعلام ٩٣/٤-٩٤ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٥٦/٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٥١/٦ وقال الخطيب : ولى الشام . تاريخ ٤٨٣/٩ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص/١٧٠ ، ابن خلكان : وفيات ٨٣/٣ ، ياقوت : معجم البلدان ٢٥١/٢ .

(٥) انظر : ابن طيفور : بغداد ص/٨٣ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٣٧٣ ، البيهقي : المحاسن ص/١٥٠ ، الابشيهي : المستطرف ١٣٥/١ .

(٦) ابن طيفور : بغداد ص/٩٢ ، الأصفهاني : الأغاني ١٢١/١٢.

(٧) اليعقوبي : تاريخ ٤٥٧/٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/٧٤ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/٣ .

(٨) ابن طيفور : بغداد ص/٧٤ . ويقول ابن خياط أن المأمون ولى عبد الله بن طاهر خراسان بعد موت أبيه فولاها أخاه طلحة . تاريخ ص/٤٧٢ . أيضا الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ص/١٦٧ .

(٩) اليعقوبي : تاريخ ٤٦٣/٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/٧٤-٧٥ الطبري : تاريخ ٦٢٢/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٦٣/٦-٤٦٤ . وكان طلحة توفي سنة ٢١٣هـ . الطبري : المصدر السابق ٦٢٠/٨ .

الجبال وارمينية وأذربيجان (١) .

ولم يغفل المأمون عند اختيار ولاته أبناء البيت العباسي حيث ولى رجالا منهم أقاليم واسعة . ومن ذلك توليته أخاه المعتصم الشام ومصر ، وابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم (٢) . وولى عبيد الله بن العباس بن عبيد الله بن العباس المدينة ومكة (٣) ، والعباس بن موسى بن عيسى الهاشمي مصر (٤) ، وغير ذلك .

كما اختار المأمون أيضا لولاياته رجالا من قادة جيوشه من ذلك توليته علي بن هشام الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان (٥) ، وشبيب بن حميد بن قحطبة قومس (٦) ، وخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الموصل وديار ربيعة (٧) . في حين ظل بنو الأغلب يتوارثون ولاية أفريقية (٨) .

والملاحظ من روايات المصادر أن المأمون كان يستخير الله فيمن يولي ، كما أنه يحرص على استشارة خاصته في ذلك فعندما أراد أن يولي عبد الله بن طاهر الرقة سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م استخار الله مدة شهر (٩) . كما استشار وزيره أحمد بن أبي

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٤٦٣/٢ . انظر أيضا ياقوت : معجم البلدان ٢٥١/٢ ، حيث أشار الى المناطق التي كان يتولاها عبد الله بن طاهر .
(٢) الطبري : تاريخ ٦٢٠/٨ . وقال سنة ٢١٣هـ ، أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٤٦٣/٦ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/٣ وأشار اليعقوبي الى ولاية المعتصم لمصر والمغرب وولاية المعتصم لمصر والمغرب وولاية العباس بن المأمون الجزيرة : تاريخ ٤٦٥/٢ ، وقال ابن دحية : ولي المعتصم مصر . النبراس ص/٦٣ ، أيضا الأزدي : أخبار الدول ص/١٧٥ .
(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤٧٥ .
(٤) اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢ ، وقال في سنة ١٩٩هـ .
(٥) الطبري : تاريخ ٦٢٢/٨ . ويذكر الطبري أيضا أن المأمون ولى علي بن هشام الجبل وأذربيجان وكور أرمينية . المصدر نفسه ٦٢٨/٨ ، وقلد المأمون الجبال بعد علي بن هشام ، طاهر بن ابراهيم . ابن طيفور : بغداد ص/١٤٥ .
(٦) اليعقوبي : تاريخ ٤٧٠/٢ .
(٧) ابن خلكان : وفيات ٣٤٢/٦ .
(٨) اليعقوبي : تاريخ ٤١٢/٢ .
(٩) ابن طيفور : بغداد ص/٢٥ ، الطبري : تاريخ ٥٨١/٨ ،

خالد فيمن يولى على خراسان فاشار عليه بطاهر بن الحسين .(١)
وعندما أراد أن يولى غسان بن عباد(٢) السند عرض ذلك على
خاصته مستشيرا اياهم فيه حيث قال لهم : "أخبرونى عن غسان
ابن عباد فانى أريده لأمر جسيم"(٣) . وتذكر المصادر أنه كان
فى بعض خاصة المأمون من مهمته ابداء الرأى فيمن يولى ،
حيث جعلهم يداومون حضور مجلسه لاستشارتهم فى ذلك .(٤)

وقد كان المأمون يحرص على تولية أهل الصلاح والتقوى ،
ومن ينفذ أوامره باخلاص ،(٥) كما يسعى الى تولية أهل الشجاعة
والحزم من رجاله . وقد ذكر يوما شجاعة موسى بن يحيى
البرمكى فقرر اختياره لولاية السند(٦) . فهو يعلم أن أساس
استقرار البلدان باختيار الأكفاء حيث أثر عنه قوله :
"الأعمال للكفاة من العمال ، وقضاء الحقوق على بيت المال"(٧)
وقوله أيضا : "مما ينبغى للملوك : الاحتياط فى اختيار
الكفاة والأعوان ، وانزالهم منازلهم ، والاقتصار بهم على
مايطيقونه"(٨) . ولهذا فهو يرى أن انتقاض البلدان وظهور

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٥٥/٢-٤٥٦ ، ابن طيفور : بغداد ص/٧٤ ، الطبرى : تاريخ ٥٧٩/٨ ، مسكويه تجارب الأمم ٤٥٠/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٤ .

(٢) هو : غسان بن عباد بن أبى الفرج ، وال من رجال المأمون ، وهو ابن عم الفضل بن سهل ، ولاه المأمون السند سنة ٢١٣هـ . توفى بعد سنة ٢١٦هـ/٨٣١م . الزركلى : الأعلام ١١٩/٥ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/٣٠ ، القيروانى : زهر الآداب ٤٨٣/٢ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٥ ، التوحيدى : أبو حيان على ابن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ/١٠١٠م) : الامتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان (بدون) ٢٠١/٣ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ص/١٤٦ ، الطبرى : تاريخ ٦٢٧/٨ .

(٦) الخطيب : تاريخ ١٣٠/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢٢/٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٦/١ . وقد ولى موسى بن يحيى السند سنة ٢٠٧هـ . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٥٨/٢ .

(٧) ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١ .

(٨) الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٩٢ .

الثورات سببه اختيار ولاة لم يراع فيهم مبدأ الكفاءة . حيث يقول : "ماانفتق على فتق الا وجدت سببه جور العمال"(١) .

عهد المعتصم :

عندما تولى المعتصم الخلافة أقر عمال أخيه المأمون على أعمالهم ثلاثة أشهر – على ماذكره اليعقوبي – "ثم استبدل بهم"(٢) . وذلك باستثناء خراسان وأعمالها والسواد والرى وطبرستان ومايتصل بها وكرمان حيث ظل واليا عليها عبد الله بن طاهر بن الحسين(٣) ، كما استمر بنو الأغلب ولاه لافريقية(٤) .

ولم تفصل المصادر في ذكر ولاة المعتصم على البلدان ، الا أنها تشير الى تقديم المعتصم قادة جيوشه ، واختيارهم لتولى أقاليم هامة في الدولة العباسية . فقد ولى المعتصم قائد جيشه الافشين(٥) الجبال والسند(٦) ، وأرمينية(٧) ، وولى جعفر ابن دينار – أحد قادة جيشه أيضا – اليمن(٨) .

وكذلك توليه أشناس التركى(٩) سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م كل بلد

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص/٣٠٣ . ومع ماسبق ذكره من ضوابط الاختيار فان بعض المصادر تنقل روايات مفادها أن المأمون كان يولى بعض الأشخاص لمجرد اطرابه له بروائع من الشعر ، الأمر الذى لايمكن تصديقه . انظر : الأصفهاني : الأغاني ١٧٧/١٤، ١٧٨ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٩١ .

(٢) تاريخ ٤٧١/٢ . وقد أشار الى أن المعتصم ولى غسان بن عباد في أول خلافته على الجزيرة وقنسرين والعواصم .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٧٢/٢ ، الطبري : تاريخ ٨٠/٩، ١٠٠ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ٤١٢/٢ .

(٥) هو : خيذر بن كاوس ، أبو الحسن – يلقب بالافشين – من القادة المشهورين في عهد المعتصم أصله من أشروسنه ، أوكل اليه المعتصم أمر القضاء على بابك الخرمي . اعتقله المعتصم بتهمة الخيانة وتوفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م . انظر الطبري : تاريخ ١٠٤/٩-١١٤ .

(٦) الطبري : تاريخ ١١/٩، ١٠٢ ، العيون والحدائق ٣٨٨/٣ .

(٧) اليعقوبي : تاريخ ٤٧٥/٢ .

(٨) الطبري : تاريخ ١٠١/٩ . سنة ٢٢٤هـ .

(٩) هو : أبو جعفر أشناس – القائد التركي ، من مماليك المعتصم ، وتولى الحجابة له ، قام بقيادة حملات عسكرية منذ عهد المأمون وكذلك في عهد المعتصم . توفي سنة ٢٣٠هـ/٩٤١م . انظر : الطبري : تاريخ ٥٥٨/٨، ٦٢٣ ، ١٠/٩، ٥٧، ٧٣-٧٨، ١٠١، ١١٤، ١١٥، ١٢٤، ١٣١ .

دخلها في طريقه الى الحج من سامراء الى مكة والمدينة ، وكان على ولايتها الى أن رجع الى سامراء [(١)] . وولى أيضا غسان ابن عباد الجزيرة وقنسرين والعواصم [(٢)] . وكلاهما من قادة الجيوش .

ولم تشر المصادر الى تولية المعتصم آل بيته ولاياته المختلفة ، اذ لم يعتمد عليهم كما كان حال من سبقه من خلفاء بني العباس ، سوى ماذكره الطبرى عن توليته محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن عبد الله بن عباس مكة سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م [(٣)] .

وعلى الرغم من أن المعتصم جعل ادارة أقاليم واسعة من الدولة العباسية تحت ولاية بعض قادة جيوشه ، والذين كان اليهم اختيار نوابهم على بلدان تلك الأقاليم المتعددة ، فانه لم يدع لهم الاختيار المطلق للولاة التابعين لاداراتهم متى أدرك أنهم لايتمتعون بالكفاءة المطلوبة ، فيذكر اليعقوبى أن المعتصم عين على أرمينية سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م خالد ابن يزيد بن مزيد الشيباني ـ وكانت أرمينية تابعة لولاية الأفشين ـ وذلك عندما بلغه ضعف واليها من قبل الأفشين على ابن الحسين بن سباع القيسى ـ الذى كان يسمى اليتيم لضعفه ومهانته ـ [(٤)] .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٩/١١٤-١١٥ ، ويتضح مما يرويه الكندى أن اشناس كان يلى أعمال مصر حيث كان تنصيب الولاه من قبله من سنة ٢١٩-٢٢٧هـ ـ أى حتى وفاة المعتصم ـ الولاه والقضاه ص/١٩٥-١٩٦ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٧١ .

(٣) تاريخ ٩/٢٨ .

(٤) تاريخ ٢/٤٧٥ ، وعن اعتماد المعتصم على القادة الأتراك انظر ابن خلدون : المقدمة ص/١٥٥ ، انظر د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسي الأول ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٨م ص/١٧٧-١٧٩ .

وكان المعتصم يستشير من يثق به فيمن يولى . يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) : ان عبد الله ابن الحسن بن حفص بن الفضل الهمذانى - وكان خيرا فاضلا انتهت اليه رياسة البلد فى الدين والدنيا - كان الخلفاء يكاتبونه ويخاطبونه بمختار البلد - أصبهان - ومن هؤلاء المعتصم (١) .

عهد الواثق :

سار الواثق على نهج أبيه فى اختيار ولاته ، فجعل على ولاياته كبار قادة الجيوش حيث يقول اليعقوبى : "كان أول من عقد له الواثق من قواده أشناس التركى ولاه من بابه الى آخر عمل المغرب فوجه عماله .." (٢) . وعندما توفى أشناس سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م صير الواثق على مرتبته وأكثر أعماله ايتاخ التركى - وهو من القادة العسكريين أيضا - (٣) .

كما ولى الواثق أيضا من قادة جيوشه جعفر بن دينار ولاه اليمن سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م (٤) ، كما ولى محمد بن ابراهيم بن

---

(١) الأصبهانى : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) : ذكر أخبار أصبهان ، الناشر الدار العلمية الهند دلهى ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ٢ /٥٣ .

(٢) تاريخ ٢ /٤٧٩ . ويؤيد ذلك ماذكر الكندى من أن ولاة مصر من سنة ٢٢٧هـ حتى ٢٣٠هـ - السنة التى مات فيها اشناس - كان ولاة مصر من قبل أشناس . الولاه والقضاه ص/١٩٥-١٩٦ ، ويقول اليعقوبى : أن أحمد بن الخصيب كاتب أشناس كان يلى أعمال الجزيرة والشامات ومصر والمغرب ، نفس المصدر ٢ /٤٨١ . والذى يتضح أن ولاة الأقاليم الكبيرة يقومون باختيار الولاه التابعين لادارتهم . انظر عن ذلك اليعقوبى : نفس المصدر ٢ /٤٤٦، ٤٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٩ /١٢٨ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٢ /٤٨٠ ، ويضيف أن الواثق ولى ايتاخ خراسان والسند وكور دجلة وكانت السند قد اضطربت ، نفس المصدر ٢ /٤٧٩ ، وربما قصد أنه تولى حرب هذه المناطق والقضاء على الفتن فيها أو فى بعض أطرافها ذلك أن آل طاهر كانوا قد تعاقبوا على ولاية خراسان منذ عهد المأمون . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٦ ، ويشير الطبرى الى ولاية أخرى لايتاخ حيث يذكر أنه فى سنة ٢٢٩هـ ولى ايتاخ اليمن شارباميان . تاريخ ٩ /١٢٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٩ /١٤٠ .

مصعب فارس .(١)

أما مايخص ولاية خراسان وأعمالها والسواد والرى وطبرستان ومايتصل بها وكرمان ، فانها أصبحت وراثية فى آل طاهر - منذ عهد المأمون - فعندما توفى عبد الله بن طاهر سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م ، ولى الواثق أعماله كلها ابنه طاهرا .(٢) وكذا الحال بالنسبة لبلاد افريقية ، فانها ظلت ولايتها وراثية فى أسرة بنى الأغلب - التى حكمت منذ عهد الرشيد - حيث كتب اشناس التركى الى محمد بن ابراهيم بن الأغلب بولاية المغرب من قبله .(٣)

غير أن مايلفت النظر هو ماأشار اليه الطبرى من تدخل الوزير فى اختيار الولاة مما يعد ظاهرة جديدة فى تاريخ الدولة العباسية خلال هذه الفترة ، لاسيما أولئك الولاة التابعين للادارة المحلية لعاصمة الدولة حيث يقول : فى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م : "عقد محمد بن عبد الملك الزيات لاسحاق بن ابراهيم بن أبى خميصة مولى بنى قشير .. على اليمامة والبحرين وطريق مكة ، مما يلى البصرة فى دار الخلافة ، ولم يذكر أن أحدا عقد لأحد فى دار الخلافة الا الخليفة ، غير محمد بن عبد الملك الزيات" .(٤)

وتجدر الاشارة الى أن الواثق كان يستشير من يثق به عند اختياره للولاه .(٥)

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٠/٩ . وهو من القادة العسكريين انظر نفس المصدر ٥٧/٩ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٠/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٣١/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٢٩/٦ . وقد استمر طاهر بن عبد الله على ولايته حتى توفى سنة ٢٤٨هـ . انظر الذهبى : دول الاسلام ١٤٩/١ . وعن سبب استمرار آل طاهر على ولاية خراسان انظر ماذكره الطبرى ومانقله القيروانى من نصيحة ابن أبى دؤاد للواثق بأن يبقيهم على ولايتهم لأن الحكمة تقتضى ذلك ، تاريخ ١٣١/٩ ، زهر الآداب ٤٣١/٢-٤٣٢ . ويقول الخطيب : توفى عبد الله بن طاهر وهو يلى خراسان وجرجان والرى وطبرستان وقيل نيسابور . تاريخ ٤٨٨/٩ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٧٩/٢ .

(٤) تاريخ ١٤٠/٩ .

(٥) ذكر الأصبهانى أن الواثق كان يستشير عبد الله بن الحسن الهمذانى بمختار البلد . أخبار أصبهان ٥٣/٢ . ويذكر صاحب الأغانى حادثة يستفاد منها أن الواثق لايولى من لايستحق الولاية . الأصفهانى : الأغانى ٣٧٣/٣-٣٧٤ .

عهد المتوكل :

عندما تولى المتوكل الخلافة سار على نهج أخيه الواثق في اختيار ولاته من قادة الأتراك العسكريين ، حيث لم يستطع في البداية أن يغير شيئا من الوضع القائم نظرا لتمكن الأتراك من أمور الخلافة (١). كما استمر آل طاهر في توارث امارة خراسان ومايتبعها (٢). وكذا الحال بالنسبة لأفريقية التي استبد بها بنو الأغلب أيضا (٣). وكانت الحكمة تقتضي بقاء آل طاهر وبني الأغلب على تلك المناطق نظرا لما يتمتعون به من ولاء أهلها لهم ، مع ماهم عليه من الكفاءة الملائمة .

أما بلاد الحجاز - مكة والمدينة - فقد دأب المتوكل على اختيار ولاتها من آل البيت العباسي (٤)، كما احتفظ باختيار الولاة التابعين لادارة عاصمة الخلافة (٥)، بعد أن كان للوزير دور في اختيارهم في عهد الواثق (٦)، هذا مع عناية المتوكل باختيار ولاته عموما (٧)، والاستشارة في أمر اختيارهم (٨).

وبعد أن قضى المتوكل على ايتاخ سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م (٩) أكثر الأتراك نفوذا - قسم ولايات الدولة على بنيه الثلاثة بعد أن أخذ لهم البيعة بولاية العهد على التوالي ، يقول الطبري : ان المتوكل "ضم الى ابنه محمد المنتصر من ذلك أفريقية

---

(١) انظر اليعقوبي : تاريخ ٤٨٥/٢، ٤٨٦ ، الطبري : تاريخ ١٦٦/٩-١٦٧، ١٨٥ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٩٧ .
(٢) ابن العمراني : الانباء ص/١٢٢ ، الذهبي : دول الاسلام ١٤٩/١ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤١٢/٢ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٢٣٥/١ .
(٤) الطبري : تاريخ ١٦٢/٩، ١٩١ ، القلقشندي : مآثر الانافة ٢٣٥/١ .
(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٨/٢ ، الطبري : تاريخ ١٨٨/٩ ، الخطيب : تاريخ ٤١٨/٥ .
(٦) الطبري : تاريخ ١٤٠/٩ .
(٧) انظر : الطبري : تاريخ ٢٣٠/٩ ، الأصفهاني : الأغاني ١٩٣/١٤ ، الشابشتي : الديارات ص/٢٢، ١٢٦، ١٣٢ ، الخطيب تاريخ ٤١٨/٥ ، ابن خلكان : وفيات ٩٢/٥ .
(٨) الأصبهاني : أخبار أصبهان ٥٣/٢ .
(٩) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٦/٢ ، الطبري : تاريخ ١٦٨/٩-١٦٩ مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٣/٦-٥٤٥ .

والمغرب كله من عريش مصر الى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا وكور باجرمى وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعك وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقندابيل وفرج بيت الذهب وكور الأهواز والمستغلات بسامرا وماه الكوفة وماه البصرة وماسبذان ومهرجان قذق وشهرزور ودراباذ والصامغان وأصبهان وقم وقاشان وقزوين وأمور الجبل والضياع المنسوبة الى الجبال وصدقات العرب بالبصرة .

وكان ماضم الى ابنه المعتز كور خراسان ومايضاف اليها وطبرستان والرى وأرمينية وأذربيجان وكور فارس ... وكان ماضم الى ابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند فلسطين" (١) .

وتشير المصادر الى أن كل واحد من أبناء المتوكل هؤلاء كان يختار الولاة للأقاليم والبلدان التابعة لادارته (٢) .

---

(١) تاريخ ١٧٦/٩ ، ويقول اليعقوبى : ان المتوكل صير الى المنتصر مصر والمغرب ، وصير الى المعتز خراسان والجبل ، وصير الى المؤيد الشامات وأرمينية وأذربيجان . تاريخ ٤٨٧/٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٨٣/٩ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٨-٢٠٢ . الا أن هذا التقسيم لم يغير الوضع الوراثى القائم فى ولاية خراسان ومايتبعها ، وولاية أفريقية — المغرب — .

ثالثا : اختيار القضاة .[1]

القضاء ولاية عظيمة الخطر ، جليلة القدر ، وقد أدرك خلفاء بني العباس منزلة هذه الولاية ، كما أدركها من كان قبلهم من الخلفاء خلال عصور الاسلام المختلفة فاختاروا لها أهل الصلاح والعلم والفقه .

عهد السفاح :

نظرا للعناية بمنصب القضاء خلال العصر الأموى ، والحرص على أن يكون القضاه من ذوى الكفاءات العالية ، فانه عندما انتقلت الخلافة الى بنى العباس لم يتبع ذلك تغيير للقضاة واستبدال لهم كما هو الحال بالنسبة للولاة والقادة وغيرهم من العمال . فتذكر المصادر استمرار قضاة بنى أمية خلال عهد أبى العباس السفاح ، ومن هؤلاء قاضى الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، الذى وصف بأنه افقه أهل الكوفة . يقول عنه عبد الله بن الحارث : "ماظننت

---

(١) لم يفرد موضوع خاص باختيار قضاة المظالم ، وقضاة القضاه ، ذلك أنه كان يختار لهذين المنصبين من سبق له أن تولى القضاء ، وقد يتولى البعض قضاء المظالم أولا ثم يتولى القضاء بعد ذلك ، والحديث عن اختيار قضاه المظالم وقضاه القضاه ، يجعل هناك تكرارا فى المعلومات ، غير أن مايمكن قوله هنا هو أن قضاه القضاه كانوا يختارون ممن تمرس فى ولاية القضاء ، مع العلم أن هذا المنصب ظهر لأول مرة فى عهد الخليفة الرشيد واستمر بعد ذلك . وكذلك قضاء المظالم كان الخلفاء يباشرونه بأنفسهم ، كما فوضوا فى بعض الأوقات لوزرائهم النظر فى المظالم كما هو الحال منذ عهد الرشيد ، وقد تولاه بعد ذلك بعض القضاه أصحاب الخبرة وغيرهم فى عاصمة الدولة وبلدانها المختلفة . انظر عن هذا الموضوع بشكل عام :
اليعقوبى ٤٨٩/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ١٧٣/٣-١٧٤،٢٦٨،٢٩٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧،٢٠٤،٢١١ ، الخطيب : تاريخ ١٧٢/٢ ، ٢٤/٤-٢٥ ، ٤٠٩/٥ ، ٢٢٩/٦-٢٣٠،٢٣٥،٢٣٦، ٢٣٩ ، ١٦٣/٧ ، ٢٨٥/٨ ، ٢٤٣/٩ ، ٣٠٦/١٠،٧٣ ، ٤٤٣/١١ ، ٤٤٥،٤٤٦ ، ١٧٣/١٢-١٧٤ ، ١٩٧/١٤،٢٠١،٢٤٣ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، ابن خلكان : وفيات ٨٨/١-٨٩ ، ٣٧/٦ ، الذهبى : العبر ٢٤٠/١،٢٣٤ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٢١٣ .

أنه بقي في الناس مثل هذا " (١) ، وغيره من الكفاءات مثل يحيى ابن سعيد الأنصاري المدني ، وكان يتولى القضاء بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) ، وعبد الرحمن بن سالم بن أبي سالم الجيشاني قاضي مصر (٣) .

وفي عهد السفاح أيضا استمرت سياسة بني أمية في تخويل الولاة تعيين قضاة بلدانهم (٤) ، واقتصر السفاح على اختيار قضاة دار الخلافة ـ العاصمة ـ ومايتبعها من المناطق في الادارة المحلية (٥) .

عهد المنصور :

في أول خلافة المنصور سارت الأمور على ماكانت عليه في عهد السفاح ، فقد أبقى على قضاة البلدان الذين كانوا زمن أخيه السفاح (٦) ، ومن بينهم قضاة منذ عهد بني أمية (٧) ، كما ترك

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت (بدون) ٣٥٨/٦ ، وكيع : أخبار القضاه ١٣٠/٣، ١٣١، ١٤٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٧٩/٤، ١٨٠، ١٨١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ـ ص/٣٣٦-٣٣٧ ، الخطيب : تاريخ ١٠١/١٤، ١٠٢ .

(٣) وكيع : أخبار القضاه ٢٣٢/٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٥٣-٣٥٤ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٣٣٧، ٤٥٨-٤٥٩ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤١٤-٤١٥ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٠٠/١ ، ٥٠/٢، ٥٣، ٥٥ ، ٢٣٢/٣، ٣١٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٥٨ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦ ، وعن تفويض خلفاء بني أمية ولاتهم تولية القضاه التابعين لادارتهم انظر : ابن سعد : المصدر السابق ص/٣٣٦-٣٣٧ ، وكيع : المصدر السابق ١٤٥/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٠٣/١٤ .

(٥) الخطيب : تاريخ ٢٣٣/٨-٢٣٤ ، ١٠٢/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٥/٢، ٥٥، ٥٦، ١٩٥ ، وكانت عاصمة الدولة العباسية آنذاك هاشمية الانبار فولى السفاح على قضاء الانبار ربيعة الرأي ، وولى على قضاء البصرة يحيى بن سعيد الانصاري .

(٦) وكيع : أخبار القضاه ٢٤١/٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٥٦-٣٥٩ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٣٣٧، ٣٩٣ الزبيري : نسب قريش ص/٢٩٠ ، وكيع : أخبار القضاه ١٨١/١-١٩٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٧٦ .

للولاة اختيار قضاتهم (١) ، فى حين كان يختار قضاة دار الخلافة فقط (٢) .

ثم لم يلبث أن زاد فى عنايته واهتمامه بالقضاء ، فتولى بنفسه اختيار القضاه فى جميع البلدان ، ولم يعول على ولاته فى ذلك . يقول اليعقوبى : ان أبا جعفر "أول من ولى القضاة الأمصار من قبله وكان يوليهم أصحاب المعاون" (٣) .

وكان المنصور يرى أن اختيار القضاه بنفسه من حقوق الرعية الواجبة عليه ، وأن ذلك من أسباب استقرار الحكم وانتشار العدل ، فقد روى عنه قوله : "الذى على للرعية أن أحفظ سبلهم فينصرفون آمنين فى سبيلهم ولايصدون عن حجهم وأداء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم وأحصنها من عدوهم ، وأن أختار قضاتهم وأعزهم بالحق كى لايميل ظلم بعضهم الى بعض ،

---

(١) الزبيرى : نسب قريش ص/٣٦٢ ، وكيع : أخبار القضاه ١/٢٠٠،٢٠٢،٢١١،٢١٣،٢٢٢،٢٢٣،٢٢٤،٢٢٦،٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩ ، ٣/١٢٤،٢٠٨،٣١٢ ، الأصفهانى : الأغانى ١٨/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٩،٣٦٣،٣٦٨ .

(٢) الخطيب : تاريخ ١٤/١٠٢ ، ابن خلكان : وفيات ١٨١/٤ .

(٣) تاريخ ٢/٣٨٩ ، أيضا ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠ وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٣٥ ، الخطيب : تاريخ ١٤/١٠٣ وقال : "ولاة الأمصار كانوا يستقضون القضاه ويولونهم دون الخلفاء حتى استخلف أبو جعفر" ، ابن خلكان : وفيات ٣/٣٨-٣٩ ، ابن حجر العسقلانى : أحمد بن على بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) : رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق د. حامد عبد المجيد ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، الادارة العامة للثقافة – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة ١٩٦١م ٢/٢٨٧-٢٨٨، ٢٩١-٢٩٢ "وصاحب المعونة : هو الأمير دون الحاكم" . انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٣٢ . أى أنه والى البلد ويدلنا على ذلك رواية الخطيب سالفة الذكر وايضا قول الزبيرى : "كانت الأمراء هم الذين يولون القضاه" نسب قريش ص/٢٨٤ .
وتجدر الاشارة الى أن أول من ولى القضاء من قبل المنصور على البلدان سوار بن عبد الله العنبرى وذلك سنة ١٣٨هـ حيث ولاه قضاء البصرة . وكيع : أخبار القضاه ٢/٥٧-٨٠ ، ومن أمثلة تولية المنصور القضاه بنفسه انظر وكيع : المصدر السابق ٣/١٤٨-١٤٩،٢٣٥،٢٤١، ٢٤٥،٢٤٩ .

وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم وأكف جهالهم عن حكمائهم " .(١)

وكان يقول : "ماكان أحوجني الى أن يكون على بابي أربعة نفر لايكون على بابي أعف منهم ، قيل له ياأمير المؤمنين من هم ؟ قال هم أركان الملك ولايصلح الملك الا بهم كما أن السرير لايصلح الا بأربع قوائم ان نقصت واحدة وهى ٥ أما احدهم ـفقاض لاتأخذه فى الله لومة لائم .." .(٢)

لقد كان المنصور يتخير أفقه الناس وأفضلهم لهذا المنصب الخطير ، وكان يستشير أهل البلد عن أعلم الناس وأجدرهم لولاية القضاء ، يقول ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) : "كان ابن حديج(٣) يومئذ بالعراق ، قال : فدخلت على أمير المؤمنين أبي جعفر فقال لى : يابن حديج لقد توفى ببلدك رجل أصيبت به العامة ! قال : قلت ياأمير المؤمنين ذاك اذا أبو خزيمة(٤) ، فقال : نعم فمن ترى أن نولى القضاء بعده ؟ قلت : أبو معدان اليحصبى ياأمير المؤمنين ، قال : ذاك رجل أصم(٥) ، ولايصلح للقاضى أن يكون أصم ، قال : قلت

---

(١) ابن عبد البر : بهجة المجالس ٣٣٥/١ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٦٧/٨ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/١٢-١٣ .
(٣) هو : محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى أحد من ولى امرة مصر ، كان فيها مع أخيه عبد الله ، وله مواقف ، واستخلفه عليها أخوه سنة ١٥٥هـ ، فأقره الخليفة أبو جعفر المنصور ، فأقام بها ثمانية أشهر ونصفا ، وتوفى وهو على الولاية فى نفس السنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢/ ٢٣ ، الزركلى : الأعلام ١٨٩/٦ .
(٤) هو : ابراهيم بن يزيد ـ أبو خزيمة ـ تولى قضاء مصر من قبل الأمير يزيد بن حاتم سنة ١٤٤هـ ، كان فقيها عالما ، استمر على قضاء مصر حتى توفى سنة ١٥٤هـ . الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٣-٣٦٤،٣٦٨ .
(٥) يتضح من رواية ابن حجر أن أبا معدان كان به بعض الصمم ، وقد أثر ذلك على عدم اختياره لمنصب القضاء . رفع الاصر ٢٩٢/٢ .

فابن لهيعة يا أمير المؤمنين ، قال : ابن لهيعة على ضعف (١) فيه ، فأمر بتوليته .." (٢) .

وتشير روايات المصادر الى أن المنصور كان يسعى أيضا الى تولية القضاء الكفاة من الناس ، فقد ألح على الامام أبي حنيفة لكي يلي له القضاء ، وحلف عليه (٣) ، الا أن أبا حنيفة اعتذر واستعفى (٤) .

كما استطاع أن يكره على القضاء شريك بن عبد الله النخعي الكوفي - الفقيه العالم المعروف - (٥) حيث أقعد معه جماعة من الشرط يحفظونه حتى اقتنع وأصبح يجلس بنفسه (٦) .

---

(١) هو : عبد الله بن لهيعة بن فرغان الحضرمي المصري - أبو عبد الرحمن - قاضي مصر وعالمها ومحدثها في عصره أثنى عليه جماعة من الأئمة ، تولى قضاء مصر سنة ١٥٤هـ وصرف سنة ١٦٤هـ ، وتوفي سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م .
انظر : ابن خلكان : وفيات ٣/٣٨-٣٩ ، الذهبي : سير ٨/١١ ،

(٢) فتوح مصر ص/١٦٠ ، وهو أول قاضي يولى من قبل الخليفة على مصر . انظر أيضا وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٣٥ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٦٨-٣٦٩ ، ابن خلكان : وفيات ٣/٣٨-٣٩ ، ابن حجر : رفع الاصر ٢/٢٨٧-٢٨٨، ٢٩١-٢٩٢ .

(٣) هو : النعمان بن ثابت التميمي - بالولاء - الكوفي أبو حنيفة ، امام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ ٧٣٦م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٣/٣٢٣-٤٢٣ ، ابن خلكان : وفيات ٥/٤٠٥-٤١٥ ، الذهبي : سير ٦/٣٩٠

(٤) الطبري : تاريخ ٧/٦١٩ ، ابن العمراني : الانباء ص/٢٦١ ابن خلكان : وفيات ٥/٤٠٦-٤٠٧ ، ابن دحية : النبراس ص/٢٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٧٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ١/٣١١-٣١٢ .

(٥) هو : شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي - أبو عبد الله - عالم بالحديث ، فقيه اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاه المنصور على الكوفة سنة ١٥٣هـ ثم عزله وأعاده المهدي فعزله الهادي ، وكان عادلا في قضائه . توفي بالكوفة سنة ١٧٧هـ/٧٩٤م .
الخطيب : تاريخ ٩/٢٧٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢/٤٦٤-٤٦٨
الذهبي : سير ٨/٢٠٠ ،

(٦) الخطيب : تاريخ ٩/٢٧٩، ٢٨٦ .

وعندما رأى المنصور كفاءة عبيد الله بن الحسن العنبرى ، ولاه قضاء البصرة ـ وهو ممن عرف له قدر وشرف وعفة ـ وقد جاء فى الكتاب الذى كتبه اليه المنصور عندما ولاه القضاء قوله : ".. انى لم آل جهدا اذ وليتك ، لما ظهر لى منك ، من حسن فعلك ، وعلى الله اصلاح باطنك ، لا أعلم الغيب فلا أخطى ، ولا أدعى معرفة مالم يعلمنى ربى ، فاتق الله .." (١) . وهذا سوار بن عبد الله العنبرى (٢) ، اختاره المنصور بعد أن عرفه فى موقف صادق له فقد انتدب فى وفد من أهل البصرة الى المنصور ـ عندما أراد أن يسكر نهر ابن عمر (٣) ـ فأعجب به وولاه قضاء البصرة ، فظهرت منه كفاءة عالية (٤) ، ولقد ساعد المنصور على الاختيار معرفته بالناس وأقدارهم ومؤهلاتهم (٥) .

وكان المنصور يسأل عن الرجل قبل أن يوليه فهذا شريك ابن عبد الله النخعى عندما أراد المنصور أن يوليه قضاء الكوفة سأله عن أصله وعن بلده التى ولد فيها وعن البلد التى نشأ بها (٦) .

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٢/٨٨،٩١ .

(٢) هو : سوار بن عبد الله بن قدامة التميمى ، هو أول من ولى القضاء من قبل الخلفاء من لدن عثمان بن عفان رضى الله عنه الى وقته ، ولاه المنصور قضاء البصرة ، ثم زاده أيضا الصلاة والأحداث مع القضاء فلم يزل على ذلك حتى مات أميرا قاضيا ، وكان قد تولى القضاء سنة ١٣٨هـ . توفى فى أواخر خلافة المنصور .
انظر وكيع : أخبار القضاه ٢/٥٧،٨٠،٨١،٨٤ .

(٣) نهر ابن عمر : نهر بالبصرة منسوب الى عبد الله بن عمر ابن عبد العزيز وهو أول من احتفره عندما قدم البصرة واليا على العراق من قبل يزيد بن الوليد بن عبد الملك .
ياقوت : معجم البلدان ٥/٣١٥ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٢/٥٩،٦١-٦٢ .

(٥) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/٢٣٨ . أيضا انظر ماسبق ذكره عن اختياره لابن لهيعة .

(٦) وكيع : أخبار القضاه ٣/١٥٠-١٥١ .

كما شجع المنصور علماء أهل المدينة على المجيء الى بغداد ، وكان ممن قدمها منهم محمد بن اسحاق (ت ١٥١هـ/٧٦٧م) - مؤلف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٣م) - صاحب المغازي - .. فكان معظم قضاة بغداد خلال قرن من تأسيسها من علماء الحجاز (١) .

ان حرص المنصور على اختيار قضاته بنفسه أدى الى بروز مجموعة من القضاة المشهورين الذين تخلد ذكرهم في المصادر (٢) .

غير أن بعض الروايات تزعم أنه كان للاتجاهات السياسية دور في عدم اختيار بعض الكفاءات . فهذا عبد الله بن جعفر ابن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، وكان من رجال أهل المدينة علما بالفقه ، وصدقا بالحديث ، وتقدما بالفتوى ،

---

(١) د. صالح أحمد العلي : بغداد مدينة السلام ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٥م ٩٠/١-٩٢ ، انظر أيضا عن ترجمة بعض علماء مكة الذين تولوا القضاء ببغداد الخطيب : تاريخ ٣٠٦/١ ، ٣٤٥/٧ .

(٢) من هؤلاء القضاه شريك بن عبد الله النخعي ، وأبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبره ، وسوار بن عبد الله العنبري ، ومحمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن سليمان الأحول ، وعبد الله بن لهيعة ، وعبد الله بن الحسن العنبري ، ومحمد بن عمران التميمي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعثمان بن عمر التميمي ، وعبد الله بن صفوان الجمحي ، وعمر بن عسار السلمي ، وعبد العزيز بن المطلب المخزومي ، والحارث بن الجارود العتكي ، وغيرهم انظر عن ذلك : ابن سعد : الطبقات الكبرى - القسم المتمم ص/٤٦١ ، الزبيري : نسب قريش ص/٢٧١، ٤٢٨-٤٢٩، ٤٣٠ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٨٩/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٤٣/٣، ٢٤٤ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٩٩ ، الأصفهاني : أخبار أصفهان ٢٠٧/١ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٩/٢ ، ٢٤٣/١٢-٢٤٥ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١١٧ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٦١، ٧٦-٨٧ ، المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٥م ص/٤١-٤٢ .

وكان يرشح للقضاء الا أنه كان قد خرج مع محمد بن عبد الله ابن الحسن - من آل أبى طالب - وكان من ثقاة أصحاب محمد الذى خرج على المنصور . يقول الواقدى : "لقد حدثنى ابن أبى الزناد أنه مامات قاض بالمدينة ولاعزل ، الا ظنوا أن عبد الله بن جعفر يتولى مكانه ، لكمال علمه ، ومروءته وفضله ، فمات وماولى القضاء ، ولاقعد به عن ذلك عندهم الا خروجه اليهم مع محمد .." (١) .

عهد المهدى :

سار المهدى على نفس سياسة والده المنصور فى تعيين القضاه ، حيث كان يختار قضاته بنفسه ، ولم يدع ذلك لولاة البلدان الا فى حالات نادرة (٢) ، بل انه أبقى على قضاة أبيه (٣) ولم يستبدل غيرهم الا بعد فترة طويلة من خلافته (٤) .غير أن مايلفت النظر هو قيام الوزير يعقوب بن داود باختيار بعض

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص/٢٩١ . لاشك أن مثل هذه الرواية لاتقف أمام الروايات الأخرى الموثوق بها التى تدلنا على حسن اختيار المنصور لقضاته وحرصه على أهل الكفاءات حتى وان كانوا من قضاة الدولة الأموية . وهذه الرواية ينقلها الأصفهانى عن الواقدى وكلاهما تعد رواياتهم التاريخية ضعيفة خاصة اذا انفرد بها ، على الرغم من أن هذا الاجراء يعد من التدابير الصائبة فى الادارة .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤١-٤٤٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٢٧/١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٢ ، ١٢٢/٢، ١٢٣، ١٣٣ ، ١٥٤/٣، ٢١٩، ٢٤٩، ٢٥١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٧ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٢٨/١ الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٩ ، الخطيب : تاريخ ٢٧٦/١١-٢٧٧ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٢ ، وكيع : أخبار القضاه ١٤٩/٣، ١٥٧ ، الطبرى : تاريخ ٥٢/٨، ١١٥، ١٢٠، ١٣٤، ١٥١، ١٥٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٣١٠/٣ ، الأصبهانى : أخبار أصبهان ٢٠٧/١ ، الخطيب : تاريخ ٣٠٦/١٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧٠ ، ابن خلكان : وفيات ٤٦٤/٢ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٩٢ ، حيث يقول عن أول فترة خلافة المهدى "وقضاته قضاة أبيه" ، انظر أيضا ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٢٠ ، الذهبى : العبر ١٨٣/١ .

القضاه .[1]

لقد حرص المهدى على اختيار قضاته من ذوى الكفاءات العالية من أهل القدر والفضل ، مع العزم عليهم لتولى هذا المنصب اذا لم تكن لهم رغبة فى ذلك . فهذا عثمان بن طلحة ابن عمر بن عبيد الله التيمى ولاه المهدى القضاء بالمدينة النبوية ولم يكن يأخذ عليه رزقا[2] . وكان محمود السيرة جميل الذكر ، وقد روى الخطيب البغدادى أنه أكره على القضاء حتى ضرب بالسياط من قبل والى المدينة ، فقضى بين الناس مدة عشرة أشهر فلما قدم المهدى المدينة حاجا دخل عليه عثمان ابن طلحة فسأله أن يعزله عن القضاء ، فقال : ليس الى ذلك سبيل فلم يزل يلح على المهدى حتى عزله[3] .

كما أراد المهدى المنذر بن عبد الله بن المنذر الخزامى على قضاء المدينة أيضا[4] وكان من سادة قريش فأبى أن يليها[5] . يقول الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) : ان المنذر ابن عبد الله : ".. كان من سروات قريش وأهل الهدى والفضل .. أخبرنى الفضل بن الربيع قال : دعاه أمير المؤمنين

---

(١) انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧٣ ، حيث ذكر أن قاضى مصر اسماعيل بن اليسع الذى تولى القضاء سنة ١٦٤هـ "ولى باختيار يعقوب بن داود" .

(٢) الزبيرى : نسب قريش ص/٢٩٠ ، الخطيب : تاريخ ٢٧٧/١١ .

(٣) تاريخ بغداد ٢٧٦/١١-٢٧٧ . ويفهم من رواية البغدادى أن الذى استقضى عثمان بن طلحة هو أحد ولاة المدينة فى حين ينص الزبيرى على أن المهدى هو الذى ولاه ، ويمكن أن نجمع بين الروايتين بأن المقصود هو تولى عثمان القضاء من قبل والى المدينة فى زمن الخليفة المهدى ، وعلى ذلك يكون ولاة المهدى الذين فوض اليهم اختيار قضاة بلدانهم كانوا يحرصون كما هو حال المهدى على اختيار أهل الكفاءات لمنصب القضاء .

(٤) هو من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم بغداد زمن المهدى وأقام بها مدة وحدث وروى . الخطيب : تاريخ ٢٤٤/١٣ .

(٥) الخطيب : تاريخ ٢٤٤/١٣ .

المهدى الى قضاء المدينة ، فلم أر رجلا قط كان أصح استعفاء منه ، قال لأمير المؤمنين المهدى : انى كنت وليت ولاية فخشيت أن لا أكون سلمت منها فأعطيت الله عهدا أن لا ألى ولاية أبدا ، وأنا أعيذ أمير المؤمنين بالله ونفسى على أن أخيس بعهد الله ، قال له المهدى : فوالله لقد أعطيت هذا من نفسك قبل أن أدعوك ؟ قال : والله لقد أعطيت هذا من نفسى قبل أن تدعونى ، قال : فقد أعفيتك" (١) .

ويذكر ابن بكار رواية أخرى عن اختيار المنذر بن عبد الله تدل أيضا على حرص المهدى على اختيار ذوى الكفاءات ، ودور الشورى فى ذلك ، حيث يقول : ان المهدى عرض على المنذر "مائة ألف درهم على أن يلى له القضاء فاستعفاه فقال له لا أعفيك حتى تدلنى على انسان أستقضيه ، فدله على عبد الله بن عمران فاستقضاه (٢) .

وتشير بعض المصادر الى أن الأحداث أثبتت للمهدى أن لمذهب أهل البلد دوراً فى اختيار القاضى ، ففى سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م ولى قضاء مصر اسماعيل بن اليسع الكوفى وعزل فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م . يقول عنه ابن عبد الحكم : "كان محمودا عند أهل البلد الا أنه كان يذهب الى قول أبى حنيفة ، ولم يكن أهل البلد يومئذ يعرفونه .. فكتب فيه الليث بن سعد الى أمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين انك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا مع أنا ماعلمناه

---

(١) نسب قريش ص/٣٩٥-٣٩٦ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٤/١٣ .

(٢) نسب قريش ص/٣٩٦ . وعبد الله بن عمران لم أجد له ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

في الدينار والدرهم الا خيرا .. فكتب بعزله " .[1]

وتزعم رواية لبعض المصادر ان المهدى سار على نهج أبيه أيضا في عدم تولية الخارجين عن سلطان الدولة ، والمشاركين في الثورات - مع كفاءتهم - لعدم الثقة بولائهم - فعندما طلب رأى محمد بن علاثة[2] فيمن يولى القضاء بمدينة الوضاح[3] قال له ابن علاثة : "قد أصبته عباد بن العوام"[4] فقال له - المهدى - كيف مع مافي قلوبنا عليه"[5] - ذلك انه خرج مناصرا قائد ابراهيم بن عبد الله بن الحسن على واسط هارون ابن سعد .[6]

ان مطالعتنا لما كتبه القاضي عبيد الله بن الحسن العنبري عن اختيار القضاه في الكتاب الذي بعث به الى المهدى[7] يفسر لنا جانبا من سبب بروز عدد من القضاة

---

(١) فتوح مصر ص/١٦٠ ، أيضا وكيع : أخبار القضاه ٢٣٦/٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧١ ، وقد أشارت المصادر الى الرأى الفقهي الذى كان القاضي يعمل به خلافا لرأى فقهاء أهل البلد أمثال الليث بن سعد .

(٢) هو : محمد بن عبد الله بن علاثه العقيلي الجزرى - أبو اليسير - من رواة الأحاديث ، ولى القضاء للمهدى ، وتوفي سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٨٨/٥-٣٩١ ، الذهبي : سير ٣٠٨/٧-٣٠٩ .

(٣) لم أجد لها تعريفا فيما تيسر لي من معاجم البلدان .

(٤) هو : عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله الكلابي الواسطي - أبو سهل - من رواة الأحاديث ، كان نبيلا من الرجال في كل أمره ، وذكر أنه كان يتشيع فأخذه هارون الرشيد فحبسه زمانا ، ثم خلى عنه وأقام ببغداد حتى توفي سنة ١٨٣هـ وقيل غير ذلك .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٠٤/١١-١٠٦ ، الذهبي : سير ٥١١/٨ .

(٥) الأصفهاني : الأغاني ص/٣٦٢ .

(٦) الأصفهاني : الأغاني ص/٣٥٩ . لاشك أن عمل المهدى هذا من التدابير الادارية الصائبة ، غير أن انفراد الأصفهاني بذكر هذه الرواية جعلني أشك في صحتها .

(٧) انظر الملحق السادس من هذا البحث .

المشهورين ذوى الكفاءات خلال[١] عهد المهدى . فقد جاء فى الكتاب قوله : "... فأما الحكام فقد علم أمير المؤمنين ان شاء الله أدنى مأموله أن يكون فى الحاكم الورع والعقل ، فان أحدهما ان أخطأه لم يقمه أهل العلم ، واختيار خيار مايشار به عليه فى ذلك فان كان له مع ذلك فهم وعلم من الكتاب والسنة كان بالغا ، فان كان مع ذلك ذا حكم وصرامة وفطنة بمذاهب الناس وغوامض أمورهم التى عليها يتظالمون فيما بينهم وبها يقارعونه عن دينه ودنياه ، كان ذلك هو الكامل التام ، فاذا وجد أحد أولئك استعين به ثم ثبت فعله وأعلى كعبه ، وشد ظهره وأزره ، وانفذ حكمه وأسبغ عليه وعلى أعوانه وكتابه من الأرزاق ، فان الحكم مهيمن على سائر الأعمال مقدم بين يديها امام لها ، وحكم عليها وقوام لها "[٢] .

وعندما تولى الهادى الخلافة أبقى على بعض قضاة أبيه وهم بلاشك من أهل الكفاءات العالية[٣] ، كما باشر بنفسه

---

(١) انظر عن مشاهير قضاة المهدى من الفقهاء اضافة الى ماسبق ايراده فى المتن أيضا ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٤٣٢،٤٥٩ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠١/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٢٧/١ ، ١٢٥/٢،١٣٣،١٣٤ ، ٢٣٧/٣،٢٥٦-٢٥٧،٢٦٤-٢٦٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٤،٢٤٨ ، التنوخى : نشوار ١٥١/٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٨٨/٥-٣٨٩ ، ٣٠٧/١٢-٣٠٩ ، ابن خلكان : وفيات ٣٠٦/٤ ، ٣٧٨/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٢٥ ، الذهبى : العبر ١٨٣/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٨٣/١ .

(٢) وكيع : أخبار القضاه ١٠١/٢-١٠٢ .

(٣) انظر مثالا على ذلك ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٧ ، وكيع : أخبار القضاه ١١٣/٢،١٣٣،١٣٧،٢٥٦،٢٥٧ ، الطبرى : تاريخ ٢٠٤/٨ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٢٤ الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٠٥ ، حيث يقول عن الهادى : "وقضاته قضاة أبيه " .

اختيار قضاته فى أغلب الأحوال (١) ، حيث قام بعض الولاة باختيار قضاة بلدانهم (٢) .

عهد الهادى :

على الرغم من قصر فترة خلافة الهادى الا أنه برز فى عهده عدد من القضاة أصحاب علم وفقه (٣) .

عهد الرشيد :

عندما تولى الرشيد الخلافة سار على نهج من سبقه من الخلفاء ، حيث باشر بنفسه اختيار القضاه (٤) ، كما أقر قضاة أبيه المهدى وأخيه الهادى (٥) ، وأعطى وزيره يحيى بن خالد حق اختيار بعض القضاة (٦) .

وقد كان الرشيد يحرص على تولية القضاء أهل الكفاءات حيث يقوم بالبحث عنهم وعرض القضاء عليهم ، والزام من زهد

---

(١) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٧ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٣/١ ، ٢٤٠ ، ١٧٥/٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٤ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٣ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٧٠/٢ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٧ ، وكيع : أخبار القضاه ١٧٧/٣

(٣) أمثال أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم ، ومحمد بن عبد الرحمن المخزومى ، والقاسم بن معن ، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحى ، ويوسف بن أبى يوسف ، وأبى الطاهر عبد الملك بن محمد الجرمى .
انظر عن ذلك : ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٤٦ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٧ ، وكيع : أخبار القضاه ١٧٥/٣، ١٨١، ١٨٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧ ، المسعودى مروج الذهب ٣٤٠/٣ ، التنبيه ص/٢٩٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٠٩/٢ ، ١٦١/١٤، ٢٤٥-٢٤٧ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٧٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٧٩/٦، ٣٨٢، ٣٨٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٢٩، ١٣١ ، الذهبى : العبر ١٨٣/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٨٣/١ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٢/٥-٤٢٣ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٤ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٢٩/١، ٢٣٣، ٢٤٤ ، ١٣٩/٢، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥ ، ١٨٤/٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩ ، الطبرى تاريخ ٢٣٩/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٦٦ ، الخطيب تاريخ ٤٦٧/١٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٨، ٣٩٤ . فقط فى أحوال طارئة لم تتكرر ، ولظروف خاصة ولى بعض الولاه قضاتهم بأنفسهم ، انظر وكيع : المصدر السابق ١٤٠/٢، ١٤١ ، الكندى : المصدر السابق ص/٣٨٤-٣٨٥ .

(٥) وكيع : أخبار القضاه ١٣٣/٢، ١٤٥ ، ١٧٥/٣-١٨٠، ١٨١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٦ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٤٠/٣ ، الخطيب : تاريخ ٣٠٩/٢ ، ١٩٦/١١ ، ٢٤٢/٤ ، ابن خلكان : وفيات ١٧٥/٣، ١٨٠، ٣٤٠ .

(٦) وكيع : أخبار القضاه ١٨٢/٣ .

فـي ولايته منهم ، الا من تحرج بايمان او احتال بعذر مقنع ، ومـن هؤلاء عبيد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب مـن أهل المدينة النبوية ، أقدمه الرشيد الى بغداد ليوليه قضاء المدينة فـأبى أن يتولاه ورجع الى بلده (١)، يقول مصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) "كـان مـن وجوه قريش ، وكان يلى صدقة عمـر بـن الخطاب رضى الله عنه ، وكان أمير المؤمنين هـارون قـد بعث اليه فقدم بغداد ، فـولاه قضاء المدينة فاستعفى فلـم يعفـه فعـرض ليحيى ابن خالد فقال : لاوالله ماأحسـن القضـاء ، فـان كـنت صادقا فما يسعكم أن تولوا من لايحسن القضاء ، وان كنت كاذبا فلايسعكم أن تولوا من يكذب ، فأعفى من القضاء وكان أمرءاً صالحا" (٢).

وعندمـا قدم بغداد وكـيع بن الجراح (٣)، وعبد الله بن ادريس (٤)، وحفص بن غياث (٥)، أراد الرشيد أن يولى أحدهم القضاء

---

(١) الخطيب : تاريخ ٣١٠/١٠ .

(٢) نسب قريش ص/٣٥٨ ، الخطيب : تاريخ ٣١٠/١٠ ، انظر أيضا عزمه على معاذ بن معاذ حتى ولى قضاء البصرة . وكيع : أخبار القضاه ١٣٩/٢ .

(٣) هـو : وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى ـ أبو سفيان ـ حـافظ للحديث ثبت ، كان محدث العراق فى عصره ، ولد بالكوفة ، وتفقـه وحفظ الحديث واشتهر ، له كتب منها "تفسير القرآن" و"السنن" و"المعرفة والتاريخ" و"الزهد" قال عنه الامام أحمد بن حنبل : "مارأيت أحدا أوعى منه ولاأحفظ ، وكيع امام المسلمين" . توفى سنة ١٩٧هـ/٨١٢م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٤٦٦/١٣ ، الذهبى : سير ١٤٠/٩

(٤) هـو : عبد الله بن ادريس بن يزيد الأودى الكوفى ـ أبو محمد ـ من أعلام حفاظ الحديث ، كان فاضلا عابدا ، حجة فى مايرويه ، توفى سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٤١٥/٩ ، الذهبى : سير ٤٢/٩ ،

(٥) هـو : حفص بن غياث بن طلق النخعى الكوفى ـ أبو عمر ـ من أهل الكوفة تولى القضاء ببغداد الشرقية للرشيد ثم ولاه قضاء الكوفة ومات فيها ، كان من الفقهاء حفاظ الحديث الثقات ، حدث بثلاثة أو أربعة آلاف حديث من حفظه وله كتاب فيه نحو ١٧٠ حديثا من روايته ، وهو صاحب أبى حنيفة .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٨٨/٨ ، الذهبى : سير ٢٢/٩ ،

فامتنع عليه وكيع وابن ادريس وأجابه حفص بن غياث[(١)] .

وقد روى أن الرشيد أحضر رجلا ليوليه القضاء فقال له : انى لاأحسن القضاء ولاأنا فقيه ـ يريد الاعتذار من الولاية ـ قال الرشيد فيك ثلاث خلال : فيك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ، ولك حلم والحلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ، وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه . وأما الفقه فسينضم اليك من تتفقه به ، فولى فما وجد فيه مطعنا[(٢)] " .

وكان الرشيد يختبر معرفة القاضى قبل أن يوليه . يقول على بن مسهر[(٣)] قاضى الموصل "لما ولانى هارون الرشيد قضاء الموصل دخلت عليه فقال لى ياعلى اذا أتاك شاهد الزور ماتفعل[(٤)] ؟" .

كما كان يحرص على مقابلة الشخص الذى يريد اختياره للقضاء ، فعندما أثنى والى المدينة أبو بكر بن عبد الله

---

(١) الخطيب : تاريخ ٨٩/٨ ، ٤١٥/٩،٤١٦-٤١٧ ، ٤٦٧/١٣ ، وقد ذكر ابن حجة الحموى أن الامام الشافعى يحدث عن نفسه أن الرشيد أراده للقضاء فلم يجبه الى ذلك .
انظر : ابن حجة الحموى : أبو بكر بن على بن محمد (ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م) : ثمرات الأوراق فى المحاضرات ، هامش كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى ، طبعة دار احياء التراث العربى ، الطبعة الأخيرة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ٢٤٢/١ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٧/١-١٨ ، ابن حمدون : التذكرة ٥٢٥/١ ، ابن هذيل : عيون الأدب ص/١٦٤-١٦٥ .

(٣) هو : على بن مسهر القرشى بالولاء ـ أبو الحسن ـ قاضى من حفاظ الحديث ، كان ثقة جمع الحديث والفقه وولى القضاء بالموصل ثم بارمينية ، له أحاديث فى الكتب الستة ، توفى سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م .
انظر : الذهبى : سير ٤٨٤/٨ ، ابن حجر : تقريب التهذيب ٤٤/٢ ،

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٦ . انظر وكيع : أخبار القضاه ٣١٦/٣،٢١٩-٢٢٠ ، حيث يجعل هذه الحادثة جرت فى زمن المهدى .

الزبيرى على هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومى بحضرة الرشيد - وكان الرشيد قادما المدينة فى موسم الحج - طلب ادخاله عليه فلما دخل هشام سلم على الرشيد "ودعا له وكلمه بكلام أعجبه ووعظه . فولاه قضاء المدينة "[(١)] .

وكان الرشيد يستشير أهل البلد فيمن يولي عليهم ، فعندما قدم عليه وفد أهل البصرة سألهم عن قاضيهم فلم يثنوا عليه خيرا ، فعزله وقال لهم "فمن تسمون ؟ ... قالوا معاذ بن معاذ"[(٢)] .

كما روى أيضا عن اختيار معاذ للقضاء أن الرشيد أرسل الى والى البصرة - محمد بن سليمان بن على - بترشيح رجل للقضاء بعد عمر بن عثمان[(٣)] "فسمى له أناس منهم معاذ بن معاذ فقال : ومن معاذ ؟ فقيل ابن عم سوار وعبيد الله فقال هذا فأرسل اليه .."[(٤)] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥/٤٢٢-٤٢٣ . وقد وصف هشام ابن عبد الله بانه من وجوه أهل المدينة ، محتسب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وقد ذكر ابن قتيبة حادثة أخرى فى عهد الرشيد تدل على حرص الرشيد على تولية أصحاب الكفاءات لمنصب القضاء ، كما تدل على أخذ رأى أهل البلد فيمن يختار لقضاء بلدهم . الامامة والسياسة ٢/١٦٢-١٦٣ .

(٢) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٤٥ .
وهو : معاذ بن معاذ بن نصر العنبرى التميمى - أبو المثنى - من الاثبات فى الحديث ، ولى قضاء البصرة زمن الرشيد سنة ١٧٢هـ ولم يوفق فشكاه أهلها الى الرشيد فصرفه ، فاظهر السرور وتصدق ، توفى بالبصرة سنة ١٩٦هـ/٨١٢م .
انظر : الخطيب : تاريخ ١٣/١٣١ ، الذهبى : سير ٩/٥٤ ، ابن حجر : تقريب التهذيب ٢/٢٥٧ ،

(٣) كان من وجوه قريش وبلغائها وعلمائها ، ولاه المهدى قضاء البصرة بعد خالد بن طليق فلم يزل حتى توفى المهدى وخلال خلافة الهادى حتى تولى الرشيد ، ثم انه خرج الى الحج فلم يرجع الى القضاء وأقام بالمدينة فأعفاه الرشيد .
انظر وكيع : أخبار القضاه ٢/١٣٣-١٣٤ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٣٩ . وقد كان سوار وعبيد الله قد توليا القضاء منذ زمن المنصور ، انظر ماسبق من هذا المبحث ص/١٤٦ .

ولعل أبرز مايطالعنا في عهد الرشيد هو ظهور منصب قاضي القضاة ، وكان أول من تولاه القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (١) ، وهو منصب يعطي متوليه حق اختيار وتعيين القضاة (٢) مما أثر على دور الخليفة في مباشرة اختيار القضاة بنفسه ، بل ان ابن حزم الاندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) يذكر أن تولى أبي يوسف منصب قاضي القضاة - وهو حنفي المذهب - جعله لايختار للقضاء الا من كان على مذهبه حيث يقول : "مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان . مذهب أبي حنيفة فانه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف يعقوب صاحب أبي حنيفة كانت القضاة من قبله ، فكان لايولي قضاء البلدان من اقصى المشرق الى أقصى افريقية الا أصحابه والمنتمين اليه ، والى مذهبه .." (٣) .

ويقول الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : ان أبا يوسف "أول من لقب قاضي القضاة ، وكان يقال له : قاضي قضاة الدنيا ، لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/١٤ ابن خلكان : وفيات ٣٧٩/٦ ، الأزدي : أخبار الدول ص/٢١٣ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٢٩ ، الذهبي : العبر ٢١٩/١ ، ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م ١٨٠/١٠ . وقد انفرد وكيع بذكر تولية المهدي قاضي قضاه في عهده . المصدر السابق ٣١٠/٣ .

(٢) انظر : د. عبد الكريم زيدان : نظام القضاء ص/٣٩ ، حيث يقول : "ان صاحب هذا المنصب يملك سلطة تعيين القضاه في أنحاء الدولة عن طريق التفويض والاذن من الخليفة " .

(٣) انظر : ابن خلكان : وفيات ١٤٤/٦ ، وتكملة الرواية تشير الى انتشار المذهب المالكي على يد قاضي القضاه في بلاد الأندلس يحيى بن يحيى الذي كان يشير على السلطان بتولية أصحابه ، وتجدر الاشارة الى تولى مجموعة من القضاه أصحاب المذهب الحنفي في عهد الرشيد انظر مثالا على ذلك الخطيب : تاريخ ١٨/٧-١٩،٤٢٦-٤٢٩ ، الذهبي : العبر ٢٣٧/١ ، الصفدي : نكت الهميان ص/٣٠١.

الخليفة .." .[1]

وعلى الرغم من مشاركة قاضي القضاة الرشيد في اختيار قضاته ، وربما الوزير وبعض الولاة أحيانا ، فان قضاة الرشيد كانوا كأسلافهم ممن اشتهر بالفقه والعلم والورع والزهد وغير ذلك من صفات الكفاءة المطلوبة لهذا المنصب الخطير .[2]

عهد الامين :

سار الأمين على نهج من سبقه من الخلفاء حيث أبقى بعض قضاة أبيه[3] ، كما اختار قضاته بنفسه ، وذلك عندما كان مستوليا بيده على زمام الأمور[4] ، وحرص أيضا أن يكون قضاته من ذوى الكفاءات العالية[5] ، مع تركيزه عند الاختيار على

---

(١) البداية والنهاية ١٨٠/١٠ .

(٢) انظر اضافة الى ماسبق ذكره من القضاه : ابن سعد : الطبقات الكبرى ص/٤٦٢، ٤٦٤ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٩، ٣٦٢، ٣٦٨، ٤٢١ ، وكيع : أخبار القضاه ١٨٠/٣-١٨٢، ١٨٤، ٢٥٦-٢٥٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٧٤ ابن النديم : الفهرست ص/٢٨٦، ٢٨٧ ، الخطيب : تاريخ ١٧٢/٢ ، ٤٠٨/٥، ٤٠٩، ٤١٢ ، ١٨٨/٨، ١٨٩، ١٩٢-١٩٤، ٢٠٠ ، ١٢٣/٩-١٢٤ ، ٤٥١/١٣، ٤٥٣، ٤٥٦ ، ٢٩٦/١٤ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٣، ٣٩٤ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٧/٢-٢٠٠ ، ٣٨٨/٦ ، الذهبى : العبر ٢٠٨/١، ٢٣٤ وعناية الرشيد باختيار ولاته تبطل مزاعم الأصفهانى الذى يذكر أن الرشيد ولى وهب بن وهب القضاء لأنه أباح له قتل يحيى بن عبد الله ، أى أنه لم يكن للكفاءة دور فى الاختيار . مقاتل الطالبيين ص/٤٨٠ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٤، ٤٦٨ ، وكيع : أخبار القضاه ١٨٨/٣-١٨٩، ٢٦٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٦ ، ٣١٤/٧ ، ذلك أنه عزل بعض قضاة أبيه فور توليه الخلافة ، انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١١ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٦، ٤٦٨ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٥٤/١ ، ١٨٨/٣، ١٩٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١١ . وعندما بدأ الخلاف بينه وبين أخيه المأمون واشتعلت الفتنة بينهماضعفت سلطته على بعض البلدان فقام الولاه الخارجون عليه باختيار قضاتهم بأنفسهم . انظر وكيع : المصدر السابق ٢٥٥/١، ٢٥٦ ، ١٨٩/٣، ١٩٠، ٢٣٩ ، الكندى : المصدر السابق ص/٤١٧ .

(٥) انظر مثالا على ذلك : الزبيرى : نسب قريش ص/٢٩٠ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٨ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٦٨/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٦-٢٤٤ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٩٥ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٥٤ .

أصحاب المذهب الحنفي .(١)

عهد المامون :

عندما تولى المامون الخلافة أبقى على بعض قضاة أبيه الرشيد وأخيه الأمين .(٢) كما قام باختيار قضاته بنفسه في معظم الأحيان ،(٣) والذين كانوا في الغالب من أصحاب المذهب الحنفي ،(٤) في حين تمتع بعض الولاة بحق اختيار قضاة بلدانهم(٥) اضافة الى دور قاضي القضاة في التعيين ،(٦) مع اعطائه وزيره

---

(١) انظر الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٦ ، ٣١٤/٧ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٣٠٩/٢، ٣١٠ ، ٣٤١/٥-٣٤٢ ، ٢٤٣/٦-٢٤٤، ١٢٣/٩-١٢٤ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١٣٧ ، وقال الاربلي : "قضاته قضاة أخيه" خلاصة الذهب ص/١٩٤ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٠/٥ ، الزبيري : نسب قريش ص/٢٧٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٥٩/١ ، ١٦٧/٢ ، ٢٤٠/٣، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٢٠ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٤٠٤ ، السهمي : حمزة ابن يوسف بن ابراهيم (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) ، تاريخ جرجان تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، الناشر عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص/٥٩-٦٠، ٢٨٠ ، الثعالبي ثمار القلوب ص/١٥٦ ، الخطيب : تاريخ ٣/٣-٤ ، ٢٧٥/٥ ، ٨٠/٧-٨١ ، ٣١٣/١٠، ٣١٤ ، ١٩٨/١١-١٩٩ ، ٣٦/١٣-٣٧ ، ١٤/ ١٣-١٤، ١٩١ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٤٤٣ ، الطرطوشي : سراج الملوك ص/٢٣٧ ، ابن خلكان : وفيات ٤١٩/١ ، ٣٤٨/٤، ٣٤٩، ٣٥١ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ١٦٧/٢ ، ٢٨٩/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٧٥/٥-٢٧٦، ٣٤١، ٣٤٢ ، ٨٠/٧-٨١ ، ٢٦٠/١٠، ٢٦١ ، ١٥٧/١١، ١٥٨ ، ٢٦٣/١٢، ٢٦٤ ، ٣٦/١٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٤٢٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢٠٥/٢ ، وهذا لايعني عدم تولي القضاء من أصحاب المذاهب الأخرى ولكن أصبح المذهب الحنفي هو المذهب الذي تسير عليه الدولة وعلى ذلك كان اختيار القضاه في الغالب ، ومن أمثلة تولي القضاء من أصحاب المذاهب الأخرى ـ مذاهب أهل السنة ـ تولية هارون بن عبد الله بن محمد الزهري المدني قضاء بغداد وتنقله في قضاء عدة مناطق مثل مصر والرقه ، كان من أصحاب المذهب المالكي . انظر الخطيب : المصدر السابق ١٣/١٤-١٤ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٠/٥ ، الزبيري : نسب قريش ص/٢٧٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٥٥/١-٢٥٨، ٢٦٨ ، ١٥٦/٢-١٥٧، ١٦٠ ، ٢٣٩/٣، ٢٦٩، ٣١٣، ٣٢٠ ، الخطيب : تاريخ ١٢٣/٩-١٢٤ ، ٣٥٧/١٢-٣٦٠ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٤١٧، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٣٣ .

(٦) السهمي : تاريخ جرجان ص/١٦٧ . حيث يفهم من روايته أن محمد بن عمر الواقدي تولى منصب قاضي القضاه وانه عين قاضي جرجان الأشعث بن هلال من قبله . أما عن دور ابن أبي دؤاد فانظر موضوع رقابة قاضي القضاه ضمن المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث .

الحسن بن سهل حق اختيار القضاه مدة وزارته القصيرة (١) .

لقد كان المأمون يستشير فيمن يولى القضاء فيذكر أنه ولى محمد بن أبى رجاء قضاء الجانب الشرقى من بغداد بمشورة ابن سماعة (٢) ، كما ولى عبد الرحمن بن اسحاق بن ابراهيم بن سلمة الضبى القضاء بالجانب الغربى من بغداد "وكان عبد الله بن طاهر سبب ولايته (٣) " .

ومع اهتمام المأمون بالشوررى فانه كان يختبر القضاة المرشحين ليعرف مدى كفاءتهم ، فالقاضى يحيى بن أكثم كان سبب اتصاله بالمأمون وتوليه القضاء يحيى بن خاقان (٤) ، الا أن المأمون اختبره قبل أن يوليه القضاء ، ليعرف علمه وعقله "وامتحنه بمسائل فوجده فوق مايريد (٥) .." .

وكان المأمون يبحث عمن يصلح لولاية القضاء ، فقد سأل يحيى بن أكثم عمن ترك بالبصرة من العلماء ، فوصف له مشايخ

---

(١) القيروانى : زهر الآداب ٤٧٨/٢ .

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٥٣ .
وابن سماعه هو محمد بن سماعه بن عبد الله التميمى ـ أبو عبد الله ـ حافظ للحديث ثقة ، ولى القضاء لهارون الرشيد ببغداد ، وضعف بصره فعزله المعتصم ، صنف كتبا منها "أذب القاضى" ، و"المحاضر والسجلات" ، و"النوادر" . توفى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٤١/٥ ، [illegible]

(٣) الخطيب : تاريخ ٢٦٠/١٠،٢٦١ . انظر أيضا دور الشورى فى تولية القضاه ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٥١ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ . ويذكر فى رواية أخرى أن سبب تولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة أن ثمامة بن أشرس كان وراء ذلك حيث أكبره فى صدر الحسن بن سهل فولاه القضاء .

(٥) الطرطوشى : سراج الملوك ص/٢٣٧ ، انظر أيضا عن اختبار المأمون لقضاته ، ابن طيفور : بغداد ص/١٤٠-١٤١ ، البيهقى : المحاسن ص/١٥١ .

منهم سليمان بن حرب[(١)] ، وقال : "هو ثقة حافظ للحديث عاقل فى نهاية الستر والصيانة" فأمره بحمله اليه فكتب اليه فى ذلك فقدم ، وولاه قضاء مكة فخرج اليها سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م فلم يزل عليها الى عهد المعتصم[(٢)] .

وحرص المأمون على تولية الأكفاء ، والالحاح عليهم حتى يوافقوا على تولى القضاء ، يقول أبو نعيم الأصبهانى : ".. عبد الله بن خالد الكوفى أكره على قضاء أصبهان ، قلده المأمون وكان من الفضلاء"[(٣)] . كما ولى المأمون عبيد الله بن جناد بن أعين الحلبى قضاء الرقة وحلب ، ولكنه امتنع واعتذر بكبر سنه وضعف قوته ، فقال له المأمون : "والله لتلين أو لأخضبن جناحك ، فلما سمع ذلك قال : سمعا وطاعة فكتب عهده وختم .."[(٤)] .

وكان شغف المأمون بالعلم وتقدير أهله ، الدافع وراء اختياره محمد بن عمر الواقدى[(٥)] لتولى قضاء عسكر المهدى

---

(١) هو سليمان بن حرب بن بجيل الأزدى الواشحى ـ أبو أيوب قاضى من أهل البصرة ، سكن مكة وولى قضاءها سنة ٢١٤هـ وعزل سنة ٢١٩هـ فرجع الى البصرة وتوفى بها ، كان ثقة فى الحديث .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣٣/٩ ، ابن خلكان : وفيات ٤١٨/٢-٤١٩ ،

(٢) ابن خلكان : وفيات ٤٢٠/٢ .

(٣) أخبار أصبهان ٤١٩/٢ .

(٤) الأزدى : تاريخ الموصل ص٤٠٤،٤٠٥ .
انظر أيضا عرضه القضاء على كفاءات أخرى مثل موسى بن سليمان الجوزجانى ـ من الفقهاء ـ الخطيب : تاريخ ٣٦/١٣-٣٧ ، أيضا كان المأمون يبقى على الكفاءات ولايقبل منهم الاعفاء ، انظر السهمى : تاريخ جرجان ص٥٩/٩-٦٠ .

(٥) هو : محمد بن عمر بن واقد السهمى الاسلمى بالولاء ، المدنى ـ أبو عبد الله ـ الواقدى ، من أقدم المؤرخين فى الاسلام ومن أشهرهم ، من حفاظ الحديث ، ولد بالمدينة المنورة ثم انتقل الى العراق سنة ١٨٠هـ فى أيام الرشيد ، ثم ولى القضاء ببغداد واستمر الى أن توفى فيها سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م . له عدة مصنفات .
انظر : الخطيب : تاريخ ٣/٣-٢١ ، الذهبى : سير ٤٥٤/٩

ببغداد ، فقد وصف الواقدى بأنه : ".. كان عالما بالمغازى والسير والفتوح وباختلاف الناس فى الحديث والأحكام ، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه ، وقد فسر ذلك فى كتب استخرجها ووضعها وحدث بها" (١) .

غير أن اشتهار اسحاق بن ابراهيم الموصلى (٢) بصنعة الغناء مع ماوصف به من تقدم فى علوم شتى ومن ذلك الفقه ، منع المأمون من اختياره لمنصب القضاء ، وقد روى عن المأمون قوله فى اسحاق الموصلى : "لولا ماسبق على ألسنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتى" (٣) .

ونظرا لحرص المأمون على تولى ذوى الكفاءات ، فانه برز فى عهده عدة قضاة اشتهروا بالفقه والعلم والزهد (٤) .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٥/٥ ، انظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٥٣ ، وقال سنة ٢٠٤هـ . أيضا الخطيب تاريخ ٣/٣-٦ ، أبو الفداء : المختصر ٢٨/٢ ، وعن اعجاب المأمون بالواقدى وعلمه انظر الخطيب : تاريخ ٥/٣،٦،٧،٩-١٩ ، ابن عبد البر : بهجة المجالس ١٦٥/١ ، ابن خلكان : وفيات ٣٤٩/٤ .

(٢) هو : اسحاق بن ابراهيم بن ميمون التميمى الموصلى ـ أبو محمد ابن النديم ـ من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ، راويا للشعر حافظا للأخبار ، شاعرا له عدة تصانيف ، فارسى الأصل ، مولده بغداد وتوفى بها سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م . انظر الخطيب : تاريخ ٣٣٨/٦ ، الزركلى : الأعلام ٢٩٢/١.

(٣) الأصفهانى : الأغانى ٢٧٨/٥-٢٧٩،٣٥١ ، ابن خلكان : وفيات ٢٠٤/١،٢٠٤ .

(٤) انظر اضافة الى ماسبق ذكره ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٠/٥ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٣٥٩ ، وكيع : أخبار القضاه ١٦١/٢،١٦٧،١٧٠ ، ١٩٠/٣،٢٤٠،٢٨٩ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٠٤ ، السهمى : تاريخ جرجان ص/٥٩،١٤٣، ٢٨٠ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص/١٥٦ ، الأصبهانى : أخبار أصبهان ٣٠١/١ ، ٤٩/٢ ، الخطيب : تاريخ ٢٧٥/٥، ٢٧٦،٣٤١-٣٤٢ ، ٢٤٣/٦-٢٤٤ ، ٨٠/٧،٨١،١٦٠،١٦١ ، ٣١٣/١٠ ٣١٤ ، ١٥٧/١١،١٥٨ ، ٢٦٣/١٢،٢٦٤ ، ١٩١/١٤،١٩٤،١٩٧ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/١٠٣ ، ابن خلكان ٢٠٥/٢ .

ولعل أبرز مايطالعنا في عهد المأمون هو ظهور مسألة خلق القرآن (١) ، وانعكاس ذلك على اختيار موظفي الدولة خلال هذه الفترة من خلافته لاسيما القضاة ، حيث اقتنع المأمون بهذه المسألة ورأى أنها من حق الدين ، وواجبه كامام للمسلمين أن يلزم الناس بها ، يقول الطبري : في سنة ٢١٨هـ "كتب المأمون الى اسحاق بن ابراهيم (٢) في امتحان القضاة والمحدثين وأمر باشخاص جماعة منهم اليه الى الرقة (٣) ، وكان أول كتاب كتب في ذلك ونسخه كتاب اليه : أما بعد فان حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في اقامة دين الله الذي استحفظهم ، ومواريث النبوة التي أورثهم ، وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيتهم" .. ثم

---

(١) مسألة خلق القرآن : أوضح الطبري من خلال ايراده لكتاب المأمون الذي بعث به لخليفته ببغداد اسحاق بن ابراهيم حقيقة هذه المسألة ، وأكد على أن المأمون طالب الناس باعتناق هذا الرأي في سنة ٢١٨هـ ، الا أنه ذكر قبل ذلك أن المأمون أظهر القول بخلق القرآن في سنة ٢٠٢هـ . تاريخ ٦١٩/٨، ٦٣١-٦٣٣ ، وخلق القرآن اعتقاد لدى المعتزلة يقول الامام الشهرستاني : اتفق المعتزلة أن كلام الله محدث مخلوق في محل ، وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه ، فان ماوجد في المحل عرض فقد وفني في الحال . محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) : الملل والنحل ، تحقيق أحمد فهمي المحامي ، دار السرور ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٤٨م/١٣٦٨هـ ٥٨/١ .
وتشير المصادر الى أن قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد الايادي المعتزلي المذهب هو رأس فتنة خلق القرآن ، وقد كان المأمون قربه منه وأعلى مرتبته . يقول الخطيب عن ابن أبي دؤاد : "حمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن" . تاريخ ١٤٢/٤ .

(٢) هو : اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب ، المصعبي الخزاعي – أبو الحسن – صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كان وجيها مقربا من الخلفاء ، ذا رأي وشجاعة ، استخلفه المأمون على بغداد حين بارحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ . وأضاف اليه ولاية السواد وحلوان وكور دجلة . توفي سنة ٢٣٥هـ ٨٥٠م .
انظر الزركلي : الأعلام ٢٩٢/١ .

(٣) ذلك أن المأمون عندما انتهى من غزو بلاد الروم توجه الى الرقة . الطبري : تاريخ ٦٣١/٨ .

أوضح وجهة نظره ودلل على ذلك ثم قال : ".. فاجمع من بحضرتك من القضاة واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا اليك فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون فى خلق الله القرآن واحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ولاواثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لايثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه" . حتى قال : "واكتب الى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم والأمر لهم بمثل ذلك .." ، فنفذ ابراهيم ماأمره به المأمون (١) .

عهد المعتصم :

فى عهد المعتصم لم يطرأ تغيير فى طريقة اختيار القضاة عما كان عليه الحال فى عهد المأمون ، فقد كان المعتصم يختار قضاته بنفسه (٢) . كما أنه كان معتقدا بمسألة خلق القرآن فاختار قضاته ممن يقول بهذا الرأى (٣) ، لذا أبقى بعض قضاة أخيه المأمون (٤) .

وقد حرص المعتصم على اختيار ذوى الكفاءات لمنصب القضاة مع أخذه بالتزكية ، فهذا عبد الله بن محمد بن أبى يزيد الخلنجى أحد أصحاب المذهب الحنفى وممن يرى خلق القرآن ، "وكان يصحب ابن سماعة وتقلد المظالم بالجبل ، فاخبر

---

(١) تاريخ ٦٣١/٨، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٦، ٦٣٧ . انظر أيضا : ابن طيفور : بغداد ص/١٨٢، ١٨٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٦٣/٦ ، وانظر نص الكتاب فى الملحق الخامس من هذا البحث .

(٢) وكيع : أخبار القضاه ١٩١/٣ ، الخطيب : تاريخ ٧٣/١٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٤٩ .

(٣) انظر : وكيع : أخبار القضاه ١٩١/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٩ ، ٧٣/١٠ ، ١٣/١٤-١٤ .

(٤) الزبيرى : نسب قريش ص/٢٧٢ ، الخطيب : تاريخ ١٦٠/٧-١٦٢ ، ١٣/١٤-١٤ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/ ٤٤٨-٤٤٩ ، ابن خلكان : وفيات ٤٢٠/٢ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤١ ، وقال عن المعتصم "ولم يعزل قضاة أخيه المأمون" . أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٣ .

ابن أبي دؤاد أنه مستقل عالم بالقضاء ووجوهه ، فسأل عنه ابن سماعة فشهد له ، فكلم ابن أبي دؤاد المعتصم فولاه قضاء همذان .." [(١)]. كما كان يختار القضاة لعفتهم وصدقهم [(٢)]، فبرز في عهده مجموعة من القضاه أصحاب الكفاءات [(٣)].

وتوضح النصوص أن دور قاضي القضاة في عهد المعتصم كان بمثابة المستشار فيمن يولى ، وأن الخليفة كان يختار قضاته بنفسه [(٤)].

عهد الواثق :

في عهد الواثق ظلت أيضا مشكلة خلق القرآن قائمة مع أخذ الناس بها ، واختيار القضاة وابقائهم على أساس اعتقادهم بهذه المسألة [(٥)]. مع مراعاة أن يكونوا من أصحاب المذهب الحنفي [(٦)] — ما أمكن — وتمتعهم بكفاءات عالية ، حيث حرص الواثق على أن يباشر اختيار القضاة بنفسه في أغلب الأحوال [(٧)]، كما أعطى قاضي قضاته حق اختيار القضاه أيضا [(٨)].

---

(١) الخطيب : تاريخ ١٠/٧٣-٧٤ . وقد وصف الخلنجي بأنه كان حاذقا بالفقه من أصحاب ابن أبي دؤاد ، ومن المجردين للقول بخلق القرآن المعلنين به .

(٢) انظر اختياره الحسن بن عبد الله العنبري قاضي البصرة وكيع : أخبار القضاه ٢/١٧٣-١٧٤ .

(٣) انظر : الزبيري : نسب قريش ص/٣٥٩ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص/٣٠٨ ، الخطيب : تاريخ ١٠/٧٣-٧٤ ، ابن العمراني : الانباء ص/١١٠ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٧٦ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٧٣-١٧٤ ، وانظر أيضا مايلي من البحث رقابة قاضي القضاه — المبحث الثاني من الفصل الثاني — .

(٥) الخطيب : تاريخ ١٠/٧٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٤٥٥-٤٦٢ .

(٦) الخطيب : تاريخ ٧/٣٦٤ ، ١٠/٧٣ حتى أن عبيد الله بن أحمد بن غالب متولي قضاء عسكر المهدي الذي وصفه الخطيب بأنه سيء السيرة قبيح الطريقة ، لأنه من أصحاب ابن أبي دؤاد ، قال عنه أيضا : "كان عبيد الله فقيها عالما على مذهب أهل العراق" . تاريخ بغداد ١٠/٣١٨-٣٢٠ .

(٧) وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٧٧،٢٩٠ ، الخطيب : تاريخ ٧/٣٦٤ ، ١٠/٧٣،٣١٩ .

(٨) الخطيب : تاريخ ٤/١٤٧ ، ابن خلكان : وفيات ١/٣٩٨ .

عهد المتوكل :

أما في عهد المتوكل فانه جرى تحول جذرى عما كان عليه الوضع منذ عهد المأمون ومن تلاه من الخلفاء ، حيث قضى المتوكل على مشكلة خلق القرآن (١) ، ولم يعد لها دور في تعيين القضاة وابقائهم . بل على العكس من ذلك فقد بادر المتوكل بعزل القضاه الدين شاركوا في امتحان الناس في مسألة خلق القرآن خلال الفترة السابقة لخلافته (٢) .

وقد باشر المتوكل اختيار قضاته بنفسه (٣) ، كما حرص على استعمال أهل الكفاءات (٤) ـ كما فعل من سبقه من الخلفاء ـ والالحاح عليهم . فقد روى أنه دعا محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب (٥) ، وأحمد بن المعذل (٦) ، وابراهيم التيمي (٧) من

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٩٠/٩ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٤/٢ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٧٣/١٠-٣١٨،٧٤-٣١٩ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٣ .

(٣) وكيع : أخبار القضاه ٢٦٠/١ ، ١٩٤/٣، ٢٧٧، ٢٧٨ ، الخطيب تاريخ ٣٤٥/٢ ، ١٠/٥، ٤٨ ، ١٥٠/٦ ، ٢٨٤/٨ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٧، ٤٧٦ ، ابن حجر : رفع الاصر ٣١٢/٢-٣١٣ .

(٤) انظر : وكيع : أخبار القضاه ٢٧٧/٣-٢٧٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٥/٢ ، ٣٧٥/٣-٣٧٧ ، ١٠/٥ ، ٣٥٦/٧-٣٥٧، ٣٦٠-٣٦١ ، ٤١٠-٤١١ ، ٢١٠/٩، ٢١٢ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٧ ابن خلكان : وفيات ٢٧٩/١-٢٨٠ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٧ ، ابن حجر : رفع الاصر ٣١٣/٢ .

(٥) محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ابن محمد بن عبد الله ، وقيل ان أبا الشوارب هو محمد بن عبد الله بن خالد الأموى ـ أبو عبد الله ـ من رواة الحديث وممن أخذ عنه هذا العلم ، وكان من جملة الفقهاء والمحدثين الذين أشخصهم المتوكل سنة ٢٣٤هـ عندما نهى عن الكلام في القرآن وقضى على مسألة خلق القرآن . فقدم سر من رأى وحدث بها ، ثم استأذن المتوكل في الرجوع الى البصرة حيث توفى بها سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م .
الخطيب : تاريخ ٣٤٤/٢-٣٤٥ ، الذهبى : سير ١٠٣/١١-١٠٤

(٦) أحمد بن المعذل بن غيلان بن حكم ، شيخ المالكية ـ أبو العباس ـ العبدى البصرى المالكى الأصولى ، كان من بحور الفقه ، صاحب تصانيف وفصاحة وبيان ، كان يقف في خلق القرآن .
الذهبى : سير ٥١٩/١١-٥٢١ .

(٧) ابراهيم بن محمد ـ أبو اسحاق ـ التيمى ، قاضى البصرة حدث بسر من رأى وروى عنه ، ولى القضاء سنة ٢٣٩هـ ، وتوفى سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م وهو على القضاء .
الخطيب : تاريخ ١٥٠/٦-١٥٢ .

البصرة وعرض على كل واحد منهم قضاء البصرة فاعتذروا منه حيث احتج ابن ابى الشوارب بالسن العالية ، وابن المعدل بضعف البصر ، وامتنع ابراهيم التيمى "فقال له المتوكل : لم يبق غيرك وجزم عليه فولى .." (١) .

وكان المتوكل يستشير الامام احمد بن حنبل (٢) فيمن يولى القضاء اذ كان يرسل اليه أسماء الرجال الذين يريد أن يختارهم (٣) ، وكذلك من سبق له اختيارهم (٤) ، ومن بقى من قضاة الفترة السابقة (٥) . يقول الخطيب البغدادى أنه بعد أن قضى المتوكل على مسألة خلق القرآن ، أمر "بمساءلة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء (٦) ، أضف الى ذلك فانه كان يأخذ برأى المخلصين ومشورتهم (٧) .

ويبدو أن المتوكل لم يكن يتعصب لمذهب معين يشترط فيمن يولى القضاء متى كان ذا كفاءة عالية (٨) .

وفى اشارة للخطيب البغدادى يتضح أن لأهل البلد دوراً فى اختيار قضاتهم ، على أن يكونوا أهلا لهذا المنصب حيث قال :

---

(١) الخطيب : تاريخ ٤٨/٥ ، ١٥٢،١٥٠/٦ .
(٢) الامام أحمد بن محمد بن حنبل ـ أبو عبد الله الشيبانى الوائلى ، امام المذهب الحنبلى ، وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والى سرخس ، وولد ببغداد ، له عدة مصنفات ، أخباره كثيرة ، توفى سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م .
انظر : الخطيب : تاريخ ٤١٢/٤ ، الذهبى : سير ١٧٧/١١
(٣) الخطيب : تاريخ ٣٥٢،٣٥١/٥ .
(٤) الخطيب : تاريخ ٣٤٥/٢ ، ١٥١/٦ .
(٥) وكيع : أخبار القضاه ١٦١/٢ .
(٦) تاريخ بغداد ٣٤٥/٢ ، ١٥١/٦ .
(٧) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٨ .
(٨) هناك قضاه على المذهب الحنفى ، انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٧٧ ، ابن خلكان : وفيات ٢٧٩/١ ، وقضاه على المذهب المالكى ، انظر : الخطيب : تاريخ ٢٨٤/٦ ، ٢١٦/٨ ، الذهبى : سير ٥١٩/١١-٥٢١ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٢١ .

"عـزل المتـوكل عبيـد اللـه بـن أحمد بن غالـب فى سنة أربع وثلاثيـن ومـائتين واستقضى ـ أى على بغداد ـ عبد السلام بن عبد الرحـمن بـن صخر ويعرف بالوابصى، وكان قبل ذلك على قضاء الرقة، ... وكان رجلا جميل الطريقة، وكان أهل بغداد قد ضجوا مـن أصحاب ابن أبى دؤاد وقالوا بعد أن عزل عبيد الله بن أحمد بن غالب: لايلى علينا الا من نرضى به، فكتب المتوكل العهد مطلقا ليس عليه اسم واحد وأنفذه من سر من رأى مـع يعقـوب قوصره ـ أحد الحجاب الكبار ـ وقال: أحضر عبد السلام والشيوخ واقرأ العهد فان رضوا به قاضيا فوقع على العهد اسمه، فقدم قوصره ففعل ذلك، فصاح الناس

---

(١) عبيد الله بن أحمد بن غالب ـ مولى الربيع الحاجب، ولى القضاء بعسكر المهدى فى أيام الواثق ـ وتنسب اليه سويقة غالب ببغداد ـ وقيل بل ولاه أبو الوليد بن أحمد بن أبى دؤاد عندما استخلفه أبوه على قضاء القضاه زمن المعتصم، كان فيه كبر وتجبر، وقد ولى الجانب الشرقى من بغداد زمن الواثق سنة ٢٢٨هـ. وقد كان عبيد الله بن أحمد فقيها على مذهب أهل العراق، وكان من أصحاب ابن أبى دؤاد، ولم يزل على القضاء الى أن عزله المتوكل سنة ٢٣٤هـ، وكان مذموم الولاية سىء السيرة قبيح الطريقة.
انظر الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/٣١٨-٣١٩.

(٢) عبد السلام بن عبد الرحمن بن صخر بن عبد الرحمن بن وابصة بن معبد ـ أبو الفضل الأسدى الرقى ـ روى وحدث ـ ولى قضاء الرقة ثم بغداد فى أيام المتوكل وقيل بل ولى قضاء بغداد أولا ثم الرقة ثم أعيد الى قضاء بغداد مرة أخرى، فولى قضاء بغداد مرتين. كان رجلا جميل الطريقة وقد كان قاضى القضاه يحيى بن أكثم عزله عن قضاء بغداد ـ فى ولايته الأولى ـ ثم ولى الرقة وأعاده المتوكل اليها بعد ذلك سنة ٢٣٤هـ واستمر قاضيا عليها حتى سنة ٢٣٧هـ حيث عزل فى هذه السنة. وتوفى بالرقة سنة ٢٤٧هـ أو ٢٤٩هـ.
انظر الخطيب: تاريخ ١١/٥٢-٥٣.

(٣) يعقوب بن ابراهيم المعروف بقوصره، نائب الديار المصرية من جهة المتوكل العباسى، قدمها من بغداد سنة ٢٣٥هـ واليا على بريدها وكانت على يده نكبة قاضيها محمد بن أبى الليث وآخرين أساءوا التصرف فى مال الدولة، ثم ولى الحجابة للمتوكل فى بغداد واستمر الى أن مات سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. الكندى: الولاة والقضاة ص ٤٥٥، ٤٦٢.
الزركلى: الأعلام ٨/١٩٤.

مانريد غير الوابصى فوقع فى الكتاب اسمه وحكم من وقته فى الرصافة .." .(١)

أما عن دور قاضى القضاه فقد كان يعين القضاه بعد أمر الخليفة بمن يراهم هو أنهم يصلحون للقضاء حيث لم يكن له ذلك الدور الذى تمتع به فى عهد الرشيد .(٢)

وقد كان قاضى القضاه يقوم باختيار القضاه قبل تعيينهم(٣) ، وذلك اذا فوض الخليفة اليه أمر الاختيار ، غير أن حق اختيار القضاه لم يدم طويلا فى يد قاضى القضاه ، حيث جعل المتوكل لوزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان حق اختيار القضاه فى بلدان الدولة المختلفة .(٤)

---

(١) تاريخ بغداد ٥٢/١١ . وذكر فى رواية أخرى أن عبد السلام كان قد تولى القضاء ببغداد قبل ذلك ثم صرفه يحيى بن أكثم فولى قضاء الرقة وكانت هذه الحادثة سبب توليه قضاء بغداد للمرة الثانية ٥٢/١١-٥٣ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٢٨٧/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٧٥ . وقد أشير الى أن قاضى القضاه يحيى بن أكثم كان يعزل القضاه ، مما يدل على أن له دوراً فى الاختيار انظر الخطيب : المصدر السابق ٥٢/١١ ، غير أن قاضى القضاه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى لم يكن يولى الا بأمر الخليفة ، كما واجه نفوذ الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، انظر المبحث الثانى من الفصل الثانى من البحث ـ موضوع رقابة قاضى القضاه ـ .

(٣) وكيع : أخبار القضاه ٢٧٨/٣ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٩/٢ .

رابعا : اختيار كتاب الخلفاء وولاة الدواوين .

الكتاب كانوا عادة هم الوزراء ، وقد سبقت الاشارة الى أن منصب الوزارة الذى استحدث فى العصر العباسى ، كان امتدادا طبيعيا لوظيفة الكاتب فى العصر الأموى ، ولم يختلف سوى مسمى الوظيفة ، ولذلك اختار الخلفاء من كتابهم وزراء .(١)

فالوزير أبو أيوب المورياني وصف بأنه كان كاتب المنصور ،(٢) كما أشير الى تولى الوزير الربيع بن يونس مهمة الكتابة أيضا ،(٣) يقول ابان بن صدقة : "كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور"(٤) .

ومع أن مجموعة من المصادر من بينها الطبرى ، تذكر أن يعقوب بن داود(٥) كان قد تولى الوزارة للخليفة المهدى ، الا أن الطبرى عند ايراده لأسماء من كان يكتب للخلفاء والولاه يذكر يعقوب بن داود ضمن كتاب المهدى .(٦) كما تذكر بعض

---

(١) انظر موضوع اختيار الوزراء فيما سبق من هذا المبحث ص/٥٨-٥٩ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٦٥/٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٨٦ ، كما اشار الجهشيارى الى أن أبا أيوب خلف عبد الملك بن حميد كاتب المنصور . الوزراء ص/٩٧ ويقول ابن خياط : ان أبا أيوب كان يتولى الرسائل . تاريخ ص/٤٣٥ .

(٣) ابان بن صدقة كان يكتب لأبى أيوب المورياني وزير المنصور ، وقد اتهم بالسعى على أبى أيوب حتى نكبه المنصور سنة ١٥٣هـ ، حيث كان مقربا منه . وفى سنة ١٦٠هـ صير المهدى ابان بن صدقة كاتبا لابنه هارون ووزيرا له ، وفى سنة ١٦١هـ صرفه المهدى عن هارون وجعله كاتبا لابنه موسى الهادى ووزيرا ، وظل على هذا المنصب حتى وجهه المهدى مع ابنه الهادى فى حملة عسكرية ضد صاحبى طبرستان ليكون متوليا للرسائل ، وذلك فى سنة ١٦٧هـ ، فتوفى فى نفس السنة بجرجان وهو كاتب موسى وعلى رسائله .
انظر الطبرى : تاريخ ٦٢٣/٧ ، ٤٢/٨، ٥٢، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٦٤، ١٦٥ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ٢٩٩/٢ .

(٥) انظر موضوع اختيار الوزراء فيما سبق من هذا المبحث ص/٦٩-٧١ .

(٦) تاريخ ١٨٣/٦ .

المصادر أن الأمين جعل اسماعيل بن صبيح كاتبه[(١)] وهو أحد وزرائه[(٢)] .

بل ان وزراء المأمون أشارت عدة مصادر الى كونهم كتابا[(٣)] ، لاسيما أولئك الذين تولوا الوزارة بعد الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل[(٤)] . كما وصف الطبرى محمد بن عبد الملك الزيات الذى تولى الوزارة للمعتصم بانه أصبح ".. وزيرا كاتبا"[(٥)] ، فى حين نجد أن ابن العمرانى عندما أفرد قائمة باسماء كتاب المعتصم ، ضمنها نفس الأسماء التى أوردها فى القائمة الخاصة باسماء الوزراء[(٦)] .

وينص الطبرى على أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كان فى عهد المتوكل على ديوان الرسائل[(٧)] ، كما يذكر أنه فى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م[(٨)] "استكتب المتوكل محمد بن الفضل الجرجرائى" وهو أحد الوزراء أيضا[(٩)] ، وعند ذكر اليعقوبى للوزيرين محمد ابن الفضل الجرجرائى وعبيد الله بن يحيى بن خاقان ينص على

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٤ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٦/٨ .

(٢) انظر موضوع اختيار الوزراء فيما سبق من هذا المبحث ص/٨٤ .

(٣) المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/١٠٣ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٦٨ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ص/١١٨ ، الأصفهانى : الأغانى ١٢٧/٢٣ الثعالبى : تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص/٨٥ ، الخطيب تاريخ ٢١٨/٥ ، ٢٠٣/١٢ .

(٥) تاريخ ٢٠/٩ .

(٦) الأنباء ص/١١٠ .

(٧) ديوان الرسائل : كان يسمى أحيانا بديوان الانشاء ، وهذا الديوان يعتبر من الدواوين المهمة فى الدولة الاسلامية اذ كانت تجرى فيه كتب العهود والتقليدات ، وكان يفترض فيمن يتولى هذا الديوان أن يكون متصرفا فى جميع فنون المكاتبات .
انظر : د. حسام الدين السامرائى : المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية ـ خلال الفترة من ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م ، دار الفكر العربى (بدون) ص/٢٧٥ .

(٨) تاريخ ١٥٥/٩، ١٦٢ .

(٩) انظر ماسبق من هذا المبحث : موضوع اختيار الوزراء ص/١٠٣ .

أنهما كانا يكتبان على ديوان التوقيع[1] حيث يقول : "سخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع .. فصير مكانه عبيد الله بن يحى بن خاقان"[2] .

ومما يؤكد لنا أن الوزراء كانوا كتابا بالدرجة الأولى ان الخلفاء كانوا يختارون وزراءهم على أساس تقدمهم فى مجال الكتابة[3] ، بل ان ابن عبد ربه الأندلسى يذكر جملة من الوزراء منذ عهد أبى العباس السفاح وحتى عهد الواثق ، يشير الى انهم كانوا كتابا للخلفاء[4] .

ولم تذكر المصادر فى الغالب أشخاصا كانت مهمتهم الكتابة بين يدى الخلفاء ، وانما ذكرت بعض الأشخاص الذين تولوا الكتابة دون أن توضح حقيقة عملهم ، فى حين أوردت أسماء بعض الكتاب الذين هم فى الواقع ولاة للدواوين ، كما أشارت الى من تولى من الكتاب مهام الكتابة والاشراف على أمور الدواوين ، وهى بلاشك أعمال كان يقوم بها الوزراء ، أى أن هؤلاء الكتاب كانوا يقومون بأعمال الوزراء دون أن يطلق عليهم مسمى الوزارة . كما تذكر المصادر تولى بعض من أسمتهم كتابا أكثر من منصب .

---

(١) ديوان التوقيع : كان صاحب هذا الديوان يقوم بالتعليق على الطلبات ، أو الرقاع التى كانت ترفع الى الخليفة وذلك بعد أن يكون الوزير قد تحرى الأمر وعلق على ذلك الطلب بشرح اعتمد فيه على ماأتاه عنه من الدواوين ، وبعد اطلاع الخليفة على المسألة كان صاحب ديوان التوقيع يقوم بصياغة رأى الخليفة عليها فى أبلغ مايستطيع من الكلام وأجزله ، ويدون ذلك على الطلب ، وقد كان هذا العمل فى البداية يقع ضمن اختصاصات صاحب ديوان الرسائل - أو ديوان الانشاء - .
انظر : د. حسام الدين السامرائى : المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية ص/٢٨٣ .

(٢) تاريخ ٤٨٨/٢ ، وقد وصف فى موضع آخر الوزير عبيد الله ابن يحيى بالكاتب ٤٩٢/٢ .

(٣) انظر ماسبق من هذا المبحث - موضوع اختيار الوزراء ص/٥٩-١٠٦.

(٤) العقد الفريد ١٦٥/٤ .

فيذكر الثعالبي أن عمارة بن حمزة كتب لأبي العباس[(١)] السفاح والمنصور وتولى لهما الدواوين[(٢)] ، غير أن الجهشياري يذكر أن عمارة كان على ضياع مروان وآل مروان زمن السفاح[(٣)] ، ونجد ابن النديم يشير الى أن عمارة كان يكتب للمنصور ، واستمر في تولي "الأعمال الكبار" الى عهد المهدي[(٤)] ، دون أن يحدد ماهي تلك الأعمال ، في حين نجد أن الطبري يذكر أن عمارة كان في سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م "على كور دجلة والأهواز وفارس" ، وفي سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م كان "على الأهواز وفارس" ، وفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م كان "على ديوان خراج البصرة وأرضها" ، وفي سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م كان عمارة "على أحداث البصرة[(٥)] ... وعلى كور دجلة وكور الأهواز وكور فارس"[(٦)] . فلم تكن لعمارة بن حمزة مهمة واحدة يختص بها ، وربما قصد بالكتابة هنا تولي أعمال الدواوين اذ كان يطلق على متولي الدواوين اسم الكتاب ، ومما لاشك فيه أن الكتابة بين يدي الخليفة لم تكن مهمة عمارة بن حمزة .

---

(١) هو عمارة بن حمزة بن ميمون ، من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، كاتب من الولاه الأجواد الشعراء الصدور ، كان المنصور والمهدي يرفعان قدره ، وكان من الدهاه ، جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين له في الكرم أخبار عجيبة وفيه تيه شديد يضرب بقه المثل "أتيه من عمارة !" ، له ديوان رسائل والرسالة الماهانية ورسالة الخميس . توفي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م .
انظر الزركلي : الأعلام ٣٦/٥-٣٧ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٦٤/٢

(٢) ثمار القلوب ص/٢٠١ .

(٣) الوزراء ص/٩٠ .

(٤) الفهرست ص/١٧١ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٣١/٤-٣٢ .

(٥) الأحداث : متوليها يسمى صاحب الأحداث ، ومهمته نصفها حربي ونصفها أمني لأن عليه حفظ القانون والنظام العام في المصر ، بالاضافة الى القضاء على الفتن ومنع الجرائم ، وقد ضمت هذه الوظيفة الى القضاء سنة ١٢٧هـ
انظر وكيع : أخبار القضاه ٨٠/٢ .

(٦) تاريخ ٥١/٨، ٥٣، ١١٥، ١٢٣ .

ويذكر الجهشياري أن عبد الملك بن حميد [(١)] ـ وهو أحد الكتاب المتقدمين فى صناعة الكتابة ـ تولى للمنصور كتابته ودواوينه [(٢)] ، وهذه المهمة هى التى كان يقوم بها الوزراء ، ولعل تكملة الرواية التى يذكر فيها الجهشياري انه لما تثاقل عبد الملك وتعلل ، أمره المنصور باتخاذ من ينوب عنه اذا غاب عن حضرته فاتخذ أبا أيوب الموريانى [(٣)] تدلنا على أن عبد الملك بن حميد كان يقوم بعمل الوزير دون أن يطلق عليه مسمى وزير .

وقد جاءت اشارات بتولى كتاب للمنصور ، الا انها لم توضح عملهم الرئيسى الذى كانوا يقومون به ، هل هو الكتابة بين يدى الخليفة كما هو شأن الوزراء ، أو الكتابة على الدواوين ؟ ومن ذلك ماذكره ابن النديم من أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب .. كان يكتب للمنصور وكتب للمهدى .. وكان ثقة مقدما فى صناعته بليغا رأولية . كما أشار الى تولى أشخاص آخرين الكتابة للمنصور وهم عبد الجبار بن عدى ومسعده بن خالد ، وكلاهما من البلغاء [(٤)] .

والحق أننا لانستطيع أخذ رواية ابن النديم السابقة للدلالة على أن عمر بن مطرف كان يتولى شئون الكتابة بين

---

(١) هو : عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى ، من أهل حران ، كان كاتبا متقدما طلب المنصور كاتبا فوصف له عبد الملك بن حميد فأمر باحضاره فأحضر ، فقلده كتابته ودواوينه ، وكانت له منزلة من أبى جعفر خاصة عنده . وقد كان من أصحاب أبى جعفر المنصور الذين أخذ رأيهم فى اختيار موقع بغداد وكان يستشيره فى المهم من أمره . توفى سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م .
انظر : الطبرى : تاريخ ١٨٣/٦ ، ٦١٥/٧-٦٢٩، الجهشيارى الوزراء ص/٩٦-٩٧، ١٣٣ .

(٢) الوزراء ص/٩٦ .

(٣) الوزراء ص/٩٧ .

(٤) الفهرست ص/١٨١، ١٨٤ .

يدى المنصور والمهدى ، ذلك أن ابن النديم يذكر فى رواية أخرى أن عمل ابن مطرف هو الاشراف على ديوان خراج المشرق منذ زمن المهدى وحتى عهد الرشيد (١) ، وهذا مايؤيده الجهشيارى حيث يقول : "كان أبو الوزير عمر بن مطرف يتقلد للمهدى ديوان الخراج .." ، كما يقول : "ان أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب .. كان يتقلد ديوان المشرق للمهدى وهو ولى عهد ، ثم كتب له فى خلافته ، ولموسى ولهارون ، وانه عمل فى أيام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد ، لما يحمل الى بيت المال بالحضرة من جميع النواحى من المال والأمتعة (٢) ..".

أضف الى ذلك ماذكره ابن خياط من أنه فى عهد المهدى كان "كاتب الديوان ابراهيم بن صالح ، فمات فولى أبا الوزير عمر بن مطرف" (٣) ، أى أن ابن مطرف كان يتولى الكتابة على ديوان الخراج .

وفى اشارة غير واضحة يذكر التنوخى (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) انه نظرا لعراقة أسرة الحصين بن قيس بن قينان بن متى فى مجال الكتابة منذ العصر الأموى ، فقد أمن المنصور الحصين فعمل فى خدمته وخدمة المهدى – ولم يشر الى أنه تولى الكتابة – ثم انه بعد وفاة الحصين استكتب المهدى ابنه عمرا (٤) ، دون أن يوضح ماهى طبيعة عمله الكتابى .

ان مسمى الكتاب ظل يطلق على أشخاص كانوا يتولون مهام مختلفة فى الدولة ، فالتخصص الوظيفى على أساس المسميات لم يكن قد استقر بعد ، فقد ذكر أن المنصور عين كاتبا على

---

(١) الفهرست ص/١٨٤ .
(٢) الوزراء ص/١٦٦، ٢٨١ .
(٣) تاريخ ص/٤٤٢ .
(٤) نشوار المحاضرة ١٣٦/٨ .

الاضراء يختاره الاضراء بأنفسهم بعد أن عزل عنهم كاتبهم السابق لسوء سيرته (١) . وعند التدقيق فى الرواية نجد أن المقصود بكاتب الاضراء هو المتولى لديوان الصدقات على الاضراء (٢) .

كما تذكر المصادر أن المأمون لما عاد الى بغداد قادما من خراسان سنة ٢٠٤هـ//٨١٩م خطر له تقليد الأعمال الشيعة الذين قدموا معه من خراسان ، فطالت عطلة كتاب السواد وعماله (٣) ، فالكتاب هنا يقصد بهم من يقوم بتولى النواحى الادارية فى الديوان ، أما العمال فهم جباة أموال الخراج ، وهذا مايتضح من نص الرواية .

وهناك مجموعة من الكتاب الذين ترددت أسماؤهم فى المصادر (٤) ، كانوا فى الواقع كتابا على الدواوين ، غير أن ذلك لايمنع وجود اشارات صريحة بتولى بعض الأشخاص مهمة الكتابة بين يدى الخلفاء ، وقد كان ذلك فى فترات معينة من تاريخ الدولة العباسية صادفت استغناء بعض الخلفاء عن الوزراء . فقد سبقت الاشارة الى تولى عبد الملك بن حميد الكتابة للمنصور والاشراف على شئون الدواوين ، وكان يسمى كاتبا (٥) ، ولم يطلق عليه مسمى الوزارة .

---

(١) الخطيب : تاريخ ١٤٥/١١ .
(٢) كان هناك ديوانا يسمى ديوان الصدقات على الاضراء وقد أشير اليه صراحة فى عهد المأمون حيث كان يتولاه القاضى يحيى بن أكثم .
انظر الخطيب : تاريخ ١٩٤/١٤ .
(٣) التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٥٥/٢-٣٥٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٥٠/٦-٤٥١ .
(٤) انظر قائمة أوردها الطبرى : تاريخ ١٨٢/٦-١٨٦ ، ويستثنى منها بعض الكتاب الذين نوه عنهم فى المتن من هذا الموضوع ، وقد تضمنت قائمة الكتاب هذه بعض الوزراء مثل خالد بن برمك والربيع بن يونس ويعقوب بن داود والفيض بن أبى صالح ويحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى البرمكى .
(٥) الطبرى : تاريخ ١٨٣/٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٦ .

كما ذكر أن المتوكل استكتب رجلا من الكتاب يقال له أبو الوزير من غير أن يسمه بالوزارة ، فكتب له مديدة يسيرة ثم نكبه ، واستوزر الجرجرائي كما استكتب المتوكل (١) عبيد الله بن يحيى بن خاقان فترة قبل أن يوليه الوزارة (٢) ، وأشير الى أن ميمون بن ابراهيم الكاتب ، كان اليه خاص المكاتبات في أيام المتوكل ، وقد وصف بأنه كان بليغا فصيحا مترسلا (٣) .

وكما أن الوزراء تولوا في الغالب الكتابة للخلفاء ، فانهم أيضا تولوا الاشراف على الدواوين ، وبالتالي فان ولاة الدواوين كانوا عادة مايتم اختيارهم من قبل الوززاء ، الا ماكان من بعض الدواوين التي حرص الخلفاء على اختيار ولاتها بأنفسهم ، وكذلك مايحدث في بعض الأوقات من قيام أحد الخلفاء باختيار ولاة الدواوين بنفسه ، ويجري ذلك في العادة عقب القضاء على نفوذ أحد الوزراء الذين كانوا يتمتعون بسلطات كبيرة .

فمنذ قيام الدولة العباسية والوزراء يتولون الدواوين فقد كان خالد بن برمك وزير أبي العباس السفاح بتقلد الدواوين مع الوزارة (٤) ، ويبدو أن الوزير في هذه الفترة كان يتولى أغلب الدواوين لاكلها ، فمع تولي أبي سلمة الخلال الوزارة والاشراف على الدواوين (٥) عهد أبو العباس السفاح الى خالد بن برمك بتولي ديواني الجند والخراج (٦) ، غير أن

---

(١) ابن طباطبا : الفخري ص/٢٣٧ .
(٢) التنوخي : نشوار ٨/١٢-١٦ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص/١٨ ، ابن خلكان : وفيات ٤٦/١
(٤) الجهشياري : الوزراء ص/٨٩،٩٤ .
(٥) ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٥ .
(٦) الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧ ، الجهشياري : الوزراء ص/٨٩ .

المنصور أسند الى وزيره أبى أيوب الموريانى الاشراف على جميع الدواوين (١)، وعندما تولى المهدى الخلافة قلد أبا عبيد الله وزارته ودواوينه (٢). ثم انه لما قلد الوزارة بعد ذلك يعقوب بن داود "سلم اليه الدواوين" (٣)، وفى عهد الرشيد يقول الجهشيارى : "كانت الدواوين كلها الى يحيى بن خالد مع الوزارة باستثناء ديوان الخاتم (٤)، الذى لم يلبث أن تولاه بعد ذلك (٥)، كما يذكر الطبرى انه لما تولى الفضل بن مروان وزارة المعتصم "صارت الدواوين كلها تحت يده" (٦).

ومما يدلنا أيضا على أن الوزراء كانوا يتقلدون عدة دواوين ، أن المنصور عندما غضب على أبى أيوب الموريانى سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م "قلد الخاتم الفضل بن سليمان الطوسى ، وقلد كتابة الرسائل والسر أبان بن صدقة ، وقلد ضياعه صاعدا مولاه ، وقلد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة ، وقلد ديوان خراج الكوفة وأرضها عمرو بن كليغ ، وقلد الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه" (٧). وأيضا عندما نكب الرشيد البرامكة قال : "أريد أن أستعمل قوما لم يعملوا معهم ؟ فقيل له : لاتجد أحدا لم يكن بخدمتهم ، فاختار أشف من وقع فى نفسه من عيون أصحابهم ، فقلد محمد بن ابان خراج الأهواز وضياعها ، وقلد على بن عيسى بن يزدانيروذ خراج فارس وضياعها ، وولى الفيض بن أبى الفيض الكسكرى خراج

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/١٤١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٢ .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٤ .
(٤) الوزراء ص/١٧٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٢٣٥/٨ .
(٦) تاريخ ٩/١٨-١٩ ، مسكويه : تجارب الامم ٤٧٥/٦ ، انظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٢٤ .
(٧) الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٤-١٢٥ .

كسكر وضياعها ، وولى الخصيب بن عبد الحميد مصر وضياعها .. وابا صالح بن عبد الرحمن ديوان الخراج بمدينة السلام .. واسماعيل بن صبيح ديوان الخراج ثم الرسائل" (١) .

ومما سبق يتضح أن الدواوين كانت تحت ادارة الوزراء ، وبالتالى فان اختيار ولاتها كان عائدا اليهم ، وان الخلفاء كانوا يباشرون اختيار ولاة الدواوين بانفسهم فى أعقاب سخطهم على أحد الوزراء وعزلهم اياه ، وكذلك عند حدوث ظرف آخر مشابه مثل عزل مجموعة من ولاة الدواوين لمخالفات وقعوا فيها فانهم كانوا يقومون باختيار ولاة الدواوين بأنفسهم ، ومن ذلك أن المتوكل عندما سخط على الكتاب سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م قال لاسحاق بن ابراهيم : "انظر لى رجلين أحدهما لديوان الخراج والآخر لديوان الضياع ، فقال : هما عندى يحيى بن خاقان وموسى بن عبد الملك بن هشام .. فولى يحيى بن خاقان ديوان الخراج ، وموسى ديوان الضياع" (٢) .

وقد أوردت المصادر أسماء عدة ولاة للدواوين يصعب حصرهم ، غير أن مايلاحظ هو أنها لم تفصل فى ذكر أحوال هؤلاء الولاة ، باستثناء أولئك الذين تولوا ديوان بيت المال ، حيث وصفتهم بالصلاح والعلم ، والخبرة فى مجال عملهم (٣) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ .
(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ـ ص/٤٥٦-٤٥٧ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٧١ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٢ ، الخطيب : تاريخ ٨٩/١ ، ٣٤٩/٢، ٣٥٠ ، ٣٨٨/٥، ٤١٣ ، ٨١/٦-٨٥ ، ٢٥٢/٧-٢٥٣ ، ٢١١/١٠، ٢١٣-٢١٤ ، ٣٦٣/١٢، ٣٩٦-٣٩٧ ، ٤٢/١٤-٤٤ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٣/١ ، وقد أشير الى أن المتوكل عهد الى ابنه المعتز بتولى بيوت الأموال ودور الضرب ، الطبرى : تاريخ ١٧٦/٩ .
وقبل أن نختتم الحديث عن اختيار ولاة الدواوين لابد من الاشارة الى بعض الامور : =

....

= الأول : انه على الرغم مما نصت عليه المصادر من تفويض الخلفاء أمر الدواوين الى الوزراء في أغلب الأحوال فان ابن خياط يورد قوائم بأسماء ولاه للدواوين يفهم منها أن الخلفاء هم الذين كانوا يقومون بتعيينهم . تاريخ ص/٤١٥، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٦٥ . غير أن هناك اشارات متناثرة لدى الطبري والجهشياري تذكر تولية الخلفاء بعض ولاة الدواوين في أول عهودهم وذلك أنهم كانوا يستبدلون الوزراء ويتبعون ذلك في بعض الأوقات استبدالا لولاة الدواوين . انظر مثالا على ذلك المصدرين السابقين ، تاريخ ١٨٢/٦ ، ١٨٩/٨ ، الوزراء ص/١٦٧، ١٨٩ وقد يكون في أوقات متفرقة ، اليعقوبي : تاريخ ٤٨٨/٢، ٤٩٠ ، الطبري : المصدر السابق ٣٨٧/٨ ، ١٦٢/٩ ، الجهشياري : المصدر السابق ص/١٣٤، ١٤٩، ١٥٦، ٢٧٢ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٧٤ .

الثاني : أن ولاة الدواوين عادة مايعهد اليهم تولي أعمال أخرى فنجدهم يتقلبون في أكثر من منصب . انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥، ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٦٥ ، حيث جمع للبعض ولاية بعض الدواوين مع ولاية الحرس ، وهناك من تولى ولاية بلد أو اقليم وولاية بعض الدواوين . وأيضا يذكر الجهشياري تولي الفضل بن الربيع الحجابة ثم ديوان النفقات سنة ١٧٢هـ ، ثم وزارة الأمين : الوزراء ص/١٢٥، ١٨٩، ٢٨٩ .

الثالث : أن من تولى أمر الدواوين ربما انتهى بهم الأمر الى تولي الوزارة ، فغالبية الوزراء كانوا يتولون بعضا من الدواوين قبل اختيارهم للوزارة ، فالتفصيل في أمر اختيار ولاة الدواوين يؤدي الى تكرار ماسبق عرضه من معلومات ، ومن هؤلاء الوزراء خالد بن برمك ، وعمر بن بزيع ، وابراهيم بن ذكوان ، والربيع ابن يونس ، والفضل بن الربيع ، والحسن بن سهل ، والفضل بن مروان ، وهناك من تولى الدواوين بعد الوزارة مثل معاوية بن يسار تولى ديوان الرسائل بعد عزله ، وأيضا أحمد بن عمار تولى الدواوين بعد عزله ، انظر موضوع اختيار الوزراء فيما سبق من هذا المبحث .

الرابع : أنه كان يعهد لبعض الأشخاص ولاية أكثر من ديوان . انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٢، ٤٤٧، ٤٦٥ ، اليعقوبي : تاريخ ٤٨٨/٢ ، الجهشياري : الوزراء ص/٢٦٦ الأصفهاني : الأغاني ١٧١/١٢ ، ١٤٢/٢٣ .

الخامس : لابد من الاشارة الى أن ولاة البلدان والأقاليم كانوا يختارون ولاة الدواوين التابعين لادارتهم وهي دواوين فرعية تابعة للدواوين المركزية ، كما كان أمر الخراج وهو من الدواوين الهامة توكل مهمته الى والي الاقليم في أغلب الأحوال . =

وخلاصة القول أن غالبية خلفاء بنى العباس ـ فى هذه الفترة ـ راعوا شروط الكفاءة المطلوبة ، عند اختيارهم لكبار موظفى الدولة ، كل حسب طبيعة عمله ، ومجال تخصصه ، ولعل عرضنا لما سبق يؤكد صحة ذلك .

غير أنه ليس فى استطاعتنا أن نورد جميع حالات الاختيار التى قام بها الخلفاء لكبار الموظفين فى مناصب الدولة المختلفة ، حيث ان ذلك يؤدى الى تكرار المعلومات التى سبق عرضها فى مواضيع هذا المبحث . فبعض العمال كان يولى أكثر من منصب ، حيث يتنقل من ولاية الدواوين الى ولاية بلد أو اقليم ، وقد ينتهى به الأمر الى تولى الوزارة .

وكما سبق أن أشرنا عند تناول موضوع اختيار القضاه ، الى أن أفراد موضوع لاختيار قضاة المظالم ، وقضاة القضاه ، يؤدى الى تكرار المعلومات التى نوردها فى اختيار القضاه ، لأن الخلفاء كانوا عادة مايختارون قضاه المظالم وقضاة القضاه ممن سبق له وأن تولى القضاء . فانه لدينا أيضا بعض المناصب التى يؤدى افراد مواضيع خاصة بها الى تكرار المعلومات وهى :

= انظر عن ذلك : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٥٨ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٤٤/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٢/٣ الطبرى : تاريخ ٥٢٨/٨ ، ١٨٥/٩-١٨٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٤ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٧٣،١٩٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠١،١٠٢،١٠٥،١٠٧،١١٠،١١١،١٢٠-١٢٤،١٢٩،١٣١،٣٥٣-٣٥٤، الأزدى : تاريخ الدول ص/٩٢ ، القلقشندى : مآثر الانافة ٣٤٧/٣ ، ولم يعين والى للخراج فقط الا فى حالات نادرة انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٩ .

السادس : أن ولاة الدواوين كان كل واحد منهم يختار من هو دونه حسب التدرج الوظيفى . انظر : الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٨ .

(١)
اختيار الحجاب ،

---

(١) الحاجب : موظف كبير يشبه كبير الأمناء في هذا العصر ، وكان يشغل منصبا ساميا في البلاط ، ومهمته ادخال الناس على الخليفة بحسب أهمية مراكزهم . وكانت منزلة الحجاب عالية في العصر العباسي . انظر : د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/١٤٦-١٤٧ ، د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الاسلامية ص/٥١ .
وقد احتفظت المصادر بأسماء مجموعة من الحجاب، حيث كان يتولاها في بداية الأمر بعض رجال الدعوة العباسية وقادة جيوشها ، وممن اعتمد عليهم في ولاية البلدان ، فتولى حجابة أبي العباس السفاح ، عبد الله بن بسام ، الطبري : تاريخ ٤٣١/٧ ، وهو من قادة جيوشه ، الطبري المصدر السابق ٤١٥/٧ ، ثم أبو غسان – يزيد بن زياد – وقيل هو صالح بن هيثم مولى أبي العباس ، انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٦١/٢ ، الطبري : المصدر السابق ٤٧٤/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٦٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٣/٥ ، ابن العمراني : الأنباء ص/٦١ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١١٣ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٥٩ .
كما حجب المنصور الخصيب مولاه ثم الربيع ثم الفضل بن الربيع ، والربيع وابنه ممن رقى الوزارة بعد ذلك . ابن عبد ربه : المصدر السابق ١١٤/٥ ، ابن الكازروني المصدر السابق ص/١١٧ ، الاربلي : المصدر السابق ص/٦١ العيون والحدائق ٢٦٩/٣ وقال ثم عيسى مولاه .
وقد توارثت أسرة الربيع منصب الحجابة في الفترات التالية لعهد المنصور وحتى عهد الأمين ، انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٣٦، ٤٤٣، ٤٦٥، ٤٤٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٤ ، اليعقوبي : المصدر السابق ٣٨٩/٢، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٢٩، ٤٤٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٦/٨ ، ابن عبد ربه : المصدر السابق ١١٦/٥-١١٩ ، الجهشياري الوزراء ص/١٢٥ ، الخطيب : تاريخ ٤١٤/٨ ، ١٣٣/١٢، ٣٤٣ ، ابن العمراني : المصدر السابق ص/٧٤ ، ابن الكازروني المصدر السابق ص/١٢٠، ١٢٤، ١٣٣ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٢١، ١٢٩، ١٤٧، ١٥٤ ، الاربلي : المصدر السابق ص/٩٢، ١٠٥، ١٠٨، ١١٣، ١٣٩، ١٧١، ١٧٣ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢١٠، ٢١١ ، العيون والحدائق ٢٩٠/٣، ٣٤٢ .
وأسرة الربيع بن يونس وصفت بتقدمها في مجال الحجابة وهم من الموالي ويعتبرون أبرز من ولي الحجابة في هذه الفترة . انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٦٥ ، الخطيب : المصدر السابق ٤١٤/٨ ، الاربلي : المصدر السابق ص/١١٣ . وان كان الاربلي يشير الى تولى محمد ابن برمك حجابة الرشيد ، المصدر السابق ص/١١٣ .
وقد تولى مجموعة من الموالي الحجابة للمأمون وهم من قادة الجيوش وممن تولى امارة البلدان واستمروا على ذلك حتى نهاية عهد المتوكل ، انظر عن تولى القادة =

وقادة الحرس ،(١)

= الأتراك مهام الحجاب حتى نهاية هذه الفترة من عمر الدولة العباسية : اليعقوبي : المصدر السابق ٤٧٠/٢، ٤٩٢،٤٧١ ، الطبري : المصدر السابق ١٦٦/٩، ١٦٧ ، ابن عبد ربه : المصدر السابق ١٢١/٥، ١٢٢ ، ابن العمراني : المصدر السابق ص/١١٠ ، الأزدي : المصدر السابق ص/١٧٦، ١٨٦،١٨٠ ، ابن الكازروني : المصدر السابق ص/١٣٧، ١٤١، ١٤٨،١٤٤ ، الاربلي : المصدر السابق ص/١٩٤، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧ العيون والحدائق ٣٧٩/٣-٣٨٠، ٤٠٩ .

(١) الحرس : حرسه أي حفظه ومنه حرس السلطان وهم أعوانه جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ، ولايستعمل له واحد من لفظه ولهذا نسب الى الجمع فقيل حرسي. انظر الفيومي : أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م) المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت سنة ١٩٨٧م ص/٥٠ .
وقد ولي قيادة الحرس في بداية الأمر بعض قادة جيوش الدعوة العباسية وممن تنقل في ولاية البلدان والأقاليم ومن أضيف الحرس الى عمله على الدواوين ومن تولى مع الحرس منصباً آخر كالشرطة .
ففي عهد أبي العباس السفاح تولى الحرس أسد بن عبد الله الخزاعي ، انظر الأزدي : تاريخ الموصل ص/٤٤٢ ، العيون والحدائق ٣٠٨/٣ ، وهو من رجال الدعوة العباسية ، كما ولي مع الحرس الخاتم ، ثم جعل اليه السفاح ولاية خراسان ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٠٥، ٤١٥، ٤٣٢ ، وقال اليعقوبي ولي حرس السفاح أبو بكر بن أسد ابن عبد الله الخزاعي ، تاريخ ٣٦١/٢ .
وفي عهد المنصور تولى قيادة الحرس كعب بن مالك ثم عثمان بن نهيك ثم أبو العباس الطوسي . اليعقوبي : المصدر السابق ٣٨٩/٢ ، وقد جمع لعثمان بن نهيك مع الحرس ولاية الخاتم وكذلك من تولى بعده للمنصور وهما عيسى بن نهيك وأبو العباس الطوسي ، أضف الى ذلك أن أبا العباس الطوسي تولى امارة خراسان في عهد المهدي سنة ١٦٥هـ ، بعد أن تولى حرس المهدي فترة من الزمن بعد محرز أبو القاسم ، ثم ولي الحرس للمهدي عبد الله ابن أبي العباس الطوسي . انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٣ .
أما في عهد الهادي فكان على قيادة الحرس علي بن عيسى ابن ماهان ، اليعقوبي : المصدر السابق ٤٠٦/٢ ، ابن العمراني : الأنباء ص/٧٤ ، ولم يكن منفردا بولاية الحرس بل كان يلي أيضا الخزائن وبيوت الأموال ، ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٤٧ .
ولم تسلم الفترات التالية من اعطاء بعض الشخصيات أكثر من منصب ومن ذلك الحرس ، فالرشيد ولي على حرسه جعفر بن محمد بن الأشعث وكان قد ولي الخاتم وخراسان ، ثم ولي الرشيد حرسه بعد ذلك عبد الله بن مالك الذي ولي الشرط أيضا ، ثم ولي علي بن عيسى بن ماهان ، وقد =

وقادة الجيوش (١) ،

= تولى مناصب أخر قبل ذلك فى عهد الهادى ، وتولى فيما بعد ذلك قيادة الجيوش فى زمن الأمين ،ثم صير الحرس على جعفر بن يحيى بن برمك ـ الذى تولى الوزارة مع أبيه يحيى بن خالد ـ فولى جعفر صالح بن شيخ بن عميره ثم ولى جعفر أيضا هرثمة بن أعين فاقره الرشيد . انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٦٥،٤٦٦ ، ويقول اليعقوبى : كان على حرس الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث ثم عزل واستعمل عليه عبد الله بن مالك ثم هرثمة بن أعين ، المصدر السابق ٢/٤٢٩ ، أما ابن قتيبة فقال : ولى الرشيد هرثمة بن أعين مكان جعفر بن يحيى ، عيون الأخبار ٢/٢٠٩ ، وقد تلى ذلك استخدام مجموعة من قادة الجيوش وولاة الأقاليم والبلدان ، امثال عثمان بن عيسى بن نهيك فى زمن الأمين . انظر الطبرى : تاريخ ٨/٣٨٧ ، وقال اليعقوبى : ولى عممه ابن أبى عممه ، المصدر السابق ٢/٤٤٢ .
وفى زمن المأمون ولى الحرس هرثمة بن أعين وهو من قادة الجيوش وولاة البلدان ، وشبيب بن حميد بن قحطبة وهو من ولاة البلدان ، وعجيف بن عنبسة أحد القادة المشهورين ، انظر اليعقوبى : المصدر السابق ٢/٤٧٠ .
وفى عهد المعتصم تولى الحرس عجيف بن عنبسة ثم الافشين ثم اسحاق بن يحيى بن سليمان بن يحيى بن معاذ الذى استمر على ولاية الحرس خلال عهد المعتصم والواثق والمتوكل ، ثم ولى حرس المتوكل بعد ذلك رجاء بن أيوب وبعده سليمان بن يحيى بن معاذ ، انظر اليعقوبى : المصدر السابق ٢/٤٧٨،٤٨٣،٤٩٢ .

(١) كان قادة الجيوش خلال هذه الفترة من العصر العباسى هم ولاة البلدان ، فكان الوالى يختار لولاية البلد وقيادة الجيوش فيها ، بل انه ربما انتدب اصلا لفتح بلد ما أو اعادة الاستقرار اليها وولايتها ايضا .
انظر مثالا على ذلك : ابن خياط : تاريخ ص/٤١١،٤١٤،٤١٧،٤٣٧،٤٤٩ ، ابن طيفور : بغداد ص/١٤٥ ، اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٥١-٣٥٤،٣٥٦،٣٥٧-٣٥٨،٣٦٢،٣٦٤-٣٦٥،٣٧٢،٣٨٣-٣٨٧،٣٩٠،٣٩٧-٣٩٨،٤٠٠،٤٠٧،٤٠٩-٤١١،٤٢٦-٤٢٧،٤٣١،٤٣٥ ، ٤٤٥-٤٥١،٤٥٥-٤٥٦،٤٦٠-٤٦٤،٤٧٣،٤٨١ ، الطبرى : تاريخ ٧/٤٤٧،٤٥٠،٤٦٠،٤٦١-٤٦٢،٤٧٢-٤٧٣،٤٩٧ ، ٨/٥٥٨،٦٢٣ ، ٩/١٠-١١،٥٧،٧٣-٧٨،١٠١،١١٤،١١٥،١٢٤،١٣١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٥٦،٣٥٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٣٨،٤٨٥-٥٠٢،٥١٦،٥١٨ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦١-٦٢ ، ياقوت : معجم البلدان ٥/٣٢٤ ، ابن خلكان : وفيات ٦/٣٢٧،٣٢٩،٣٣٢،٣٣٥،٣٣٨ .
كما تولى قيادة الجيوش بعض ولاة العهود . انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٣٨ ، الطبرى : المصدر السابق ٨/١٥٢ ، ولم يفرد للأشخاص قيادة الجيوش فقط الا فى حالات نادرة . انظر عن هؤلاء القادة وهم من رجالات العرب وبعض الموالى ممن وصف بالشجاعة والاقدام ابن =

وأمراء الحج (١) ، وولاة الشرط (٢) .

= خياط : المصدر السابق ص/٤٢٨،٤٢٧ ، اليعقوبي : المصدر السابق ٢/٤٠٢،٤٣١،٤٤٢،٤٧١،٤٨٦،٤٥٠،٤٥٨ ، ابن خلكان : المصدر السابق ٤/٧٨،٧٣ ، في حين أخذ بعض ولاة البلدان طبيعة القائد المحارب لتنقله في ولاية أكثر من بلد بقصد اعادة الاستقرار اليها ، لذا كان افراد اختيار القادة بموضوع مستقل يؤدي الى تكرار المعلومات . فمن هؤلاء الولاة من سبق ذكرهم مثل معن بن زائدة ، ويزيد بن مزيد الشيباني ، وطاهر بن الحسين ، وعبد الله بن طاهر وغيرهم .

(١) من خلال استقرائنا لأمراء الحج خلال هذه الفترة من عمر الدولة العباسية يتضح أن غالبية من تولى امرة الحج هم من أبناء البيت العباسي ، لاسيما ولاة مكة منهم ، كما تولاها الخلفاء بأنفسهم ، كما عهدوا بذلك أيضا لولاة عهودهم .
انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى - القسم المتمم ص/٢٤٥ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤١٤ ، اليعقوبي : تاريخ ٢/٣٦٢،٣٩٠،٤٠٢،٤٣٠،٤٤٢ ، الطبري : تاريخ ٧/٤٥٨،٤٦٠،٤٦٧،٤٦٩،٤٩٦،٤٩٩ ، ٩/٩،١٤،٢٢،٢٨،٥١،٧٩،١٠٢،١١٠،١١٤ ، ١٢٤،١٢٨،١٣١،١٥٥ ، الخطيب : تاريخ ١١/٤١ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٠١،١٧٠ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ١/٣٢٤-٣٢٥ .
وانظر أيضا سليمان صالح كمال : امارة الحج في العصر العباسي من سنة ١٣٢-٢٤٧هـ ، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الاسلامية ، اشراف د. السيد محمد أبو العزم داود ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، لم تطبع ، ص/٣٩٦-٤٠٨ .

(٢) الشرط : هم أعوان الولاة المولين رعاية الأمن العام ، الواحد شرطي ، وهي من الوظائف الرئيسية في الدولة الاسلامية .
انظر : د. حسن الباشا : دراسات في الحضارة الاسلامية ص/٧٠ ، محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٧١م ، ٥/٣٧٨ .
وقد كان صاحب الشرط يختار عادة من أهل العصبية والقوة ، لأن عليه تقع مسؤولية المحافظة على الأمن في البلاد ومطاردة المجرمين وأهل الفساد ، د. السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ٣/٢٧٩ .
وقد اختار بنو العباس منذ قيام دولتهم ولاة الشرط من رجالات الدعوة العباسية وقادة جيوشها ، واستمر استخدام القادة في الفترات التالية أيضا ، كما تولى الشرط أيضا بعض ولاة البلدان ، وهذا كما أسلفنا يسبب تكرارا للمعلومات .
=

....

= فأبو العباس السفاح اختار لشرطه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥ ، اليعقوبي : تاريخ ٣٦١/٢ ، الطبري : تاريخ ٤٦٢/٧ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٤٠،١٦٠ ، ابن العمراني : الأنباء ص/٦١ .
وعبد الجبار كان أحد القادة العسكريين ، وقد ولاه المنصور فيما بعد امارة خراسان ، ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٣٢ ، اليعقوبي : المصدر السابق ٣٨٩/٢ ، الطبري : المصدر السابق ٥٠٣/٧ .
ثم تولى شرطة السفاح موسى بن كعب الذي مالبث أن وجهه السفاح لقتال والي السند منصور بن جهور سنة ١٣٤هـ ، ثم بعد ذلك أصبح واليا على السند ، ابن خياط : المصدر السابق ص/٤١٣ ، الطبري : المصدر السابق ٤٦٤/٧،٤٦٥ ، وكان موسى قد استخلف على الشرط قبل توجهه الى السند المسيب بن زهير بن عمرو الضبي ، الطبري : المصدر السابق ٤٦٥/٧ ، ويذكر ابن تغرى بردى أن موسى بن كعب ولي امرة مصر ثم عزل سنة ١٤١هـ فولاه المنصور الشرط مرة أخرى وقيل بل مات قبل أن يليها مرة أخرى ، النجوم الزاهرة ٣٤٢/١-٣٤٤ ، وعن ولاية موسى لمصر انظر أيضا الكندي : الولاه والقضاه ص/١٠٦ .
وقد استمر المسيب على شرط المنصور وهو أحد رجالات الدولة العباسية وظل يلي الشرط خلال عهد المهدي والرشيد ، وقد كان من القادة الشجعان ، كما ولي أيضا امارة خراسان . انظر ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٤١ الخطيب : تاريخ ١٣٧/١٣ .
وذكر اليعقوبي أن المنصور استعمل على الشرط عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي الى أن عزله وولاه خراسان واستعمل أخاه عمر بن عبد الرحمن ثم عزله لما عصى أخوه ، واستعمل موسى بن كعب التميمي ، ثم المسيب بن هبر الضبي وكان في أول أمره خليفة موسى بن كعب ثم مات موسى . المصدر السابق ٣٨٩/٢ .
ومن ولاة البلدان أيضا من ولي الشرط زمن المنصور محمد ابن الأشعث الخزاعي الذي ولي مصر سنة ١٤١هـ وجعل مكانه على الشرط محمد بن معاوية بن بحير الكلاعي ، انظر الكندي : المصدر السابق ص/١٠٨ ، ابن تغرى بردى المصدر السابق ٣٤٦/١ .
وقد كان التركيز على العنصر العربي عند اختيار ولاة الشرط منذ البداية ، فالمنصور كان كافة من ولي الشرط في زمنه من العرب ، د. صالح العلي : بغداد ١٩٩/١-٢٠٠ ، وكان المنصور يطمح الى أن يكون له صاحب شرطه بنصف الضعيف من القوى ، الطبري : المصدر السابق ٦٧/٨ .
=

....

= وفيما تلى من عهود الخلفاء اختير للشرط بعض قادة الجيوش وممن تنقل فى أعمال أخرى منها ولاية البلدان وغير ذلك .
كما توارثت بعض الأسر منصب ولاية شرطة بغداد ، ومن ذلك المسيب بن زهير الضبى وابناه محمد والعباس ، وأبناء مالك الخزاعى ، عبد الله ونصر وحمزة ، كما تولى الشرط أيضا القاسم بن نصر بن مالك الخزاعى ، ومحمد ابن حمزة بن مالك الخزاعى ، وآل طاهر كان أولهم طاهر ابن الحسين ثم ابنه عبد الله بن طاهر ، وتولى أيضا اسحاق بن ابراهيم المصعبى - من آل طاهر - ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ومحمد بن اسحاق بن ابراهيم .
وتولى الشرط ايضا من قادة الجيوش عيسى بن نهيك وعلى ابن عيسى بن ماهان ، انظر عن ذلك ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٤٢،٤٤٧،٤٦٥،٤٦٦ ، ابن طيفور : بغداد ص/٣٥،٢٠ ، اليعقوبى : المصدر السابق ٤٠١/٢،٤٠٦،٤٢٩، ٤٣٥،٤٣٧،٤٧٠،٤٧٨،٤٨٣،٤٩٢ ، الطبرى : المصدر السابق ٣٨٧/٨،٥٧٧ ، ابن أعثم : الفتوح ٣١٥/٨-٣١٦ ، الخطيب : المصدر السابق ٢٩٧/٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٨٨/٦ ، ابن العمرانى : المصدر السابق ص/٧٤ ، ياقوت : معجم البلدان ٢٥١/٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٤ .
وهناك مواصفات يجب مراعاتها فيمن يختار لولاية الشرط منها الحزم والشدة والقوة والكفاءة والأمانة . انظر د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١٣٦/١ .
ويتضح من روايات المصادر أن الخليفة كان يقوم باختيار ولاة الشرط فى عاصمة الدولة العباسية فى حين كان ولاة البلدان يختارون ولاتهم على الشرط بأنفسهم .
انظر مثالا على ذلك اليعقوبى : المصدر السابق ٣٧١/٢، ٤٤٤ ، الطبرى : المصدر السابق ٤٧٥/٧ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٩٨،١٠١،١٠٦-١١١،١١٨-١٢٣،١٢٥،١٢٩،١٣١
وهناك بعض المناصب التى لاتتوفر معلومات عن أسماء متوليها فضلا عن معرفة أحوالهم وسيرهم مثل ولاة الحسبة وولاة البريد .

المبحث الثاني

الاشراف والتوجيه

الاشراف والتوجيه .

ان اشراف ولي الأمر يعني مباشرته ادارة شئون دولته بحيث تجرى فيها جميع الأعمال بعد نظره ورأيه ، وأن يكون على علم بتصرفات كبار الموظفين ، بما يتخذ من وسائل تعينه على اشراف دقيق ومنظم ، ليتسنى له تصفح أحوالهم ، وارشادهم وتوجيههم متى اقتضى الأمر ذلك ، كما يصدر اليهم التعليمات التي تبين لهم كيفية قيامهم بالاعمال المنوطة بهم ، حتى لايتعدوا حدود وظيفتهم ، مما يكفل سلامة تصرفاتهم مع قيامهم بواجبهم .

يقول الامام الماوردى : ان من الأمور العامة التي تلزم ولى الأمر ".. أن يباشر بنفسه مشارفه الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة ، ولايعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ويغش الناصح ، وقد قال الله تعالى : {ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله}(١) . فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولاعذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال ، وهذا وان كان مستحقا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة ، فهو من حقوق السياسة لكل مسترع . قال النبي عليه الصلاة والسلام : "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(٢) .

(١) سورة ص : آية ٢٦
(٢) الأحكام السلطانية ص/١٦ ، أيضا أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٨ ، ابن الأزرق : محمد بن علي بن محمد (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م) : بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق د. علي سامي النشار ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م ٢/٣٠ .
=

ويكشف لنا تاريخ الدولة الاسلامية منذ قيامها ، عن مدى اهتمام أولياء الأمر بالاشراف والتوجيه ، كأحد دعائم الرقابة الادارية الرئاسية (١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يباشر بنفسه مهام الدولة الاسلامية في عهده (٢) ، ويتضح من سيرته أنه كان يشرف على عماله ويرشدهم ويوجههم ، ومن ذلك مارواه البخارى بسنده عن أبى بردة (٣) رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى

= أما الحديث الذى أورده الماوردي فقد ورد فى صحيح البخارى بلفظ "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ..." ٢٦١١/٦ ، حديث رقم ٦٧١٩ .
وقد تحدثنا عن موضوع الاشراف والتوجيه ضمن مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام فى التمهيد من هذا البحث .
انظر أيضا اشارات عن أهمية الاشراف والتوجيه ، أبو حاتم البستى : روضة العقلاء ص/٢٧١ ، الماوردى : نصيحة الملوك ص/١٥٩،١٦٣-١٦٤،١٧٦-١٧٧،١٧٨ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٢٥١-٢٥٣ ، ابن الجوزى : عبد الرحمن ابن على بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص/٥٩ ، ابن جماعة : تحرير الأحكام ص/٦٧ ، ابن الأزرق : بدائع السلك ٣٠/٢-٣١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٢٦-٢٧ .

(١) د. محمد طاهر عبد الوهاب : الرقابة الادارية ص/٢٩٩ .

(٢) انظر ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ٨١/٢٨ ، ٨٧/٣١ ، الحسبة ص/١٥ ، وهذا مايتضح من خلال قراءتنا لكتب السيرة النبوية . انظر أيضا بعض المراجع : على على منصور : نظم الحكم والادارة ص/٢٣١ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص/٧٦ ، أ.د. محمد رواس قلعه جى : دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته الشريفة ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص/٢٠٣-٢٦١ .

(٣) هو : هانى بن نيار بن عمرو بن عبيد البلوى القضاعى الأنصارى من حلفاء الأوس ، أبو بردة ، شهد العقبة وبدرا والمشاهد النبوية ، وبقى الى خلافة معاوية ، حديثه فى الكتب الستة . صحابى جليل كان أحد الرماة الموصوفين توفى سنة ٤٢هـ/٦٦٢م .
انظر ابن الأثير : أسد الغابة ٣٠/٥-٣١ ، الذهبى : سير ٣٥/٢-٣٦ ، ابن حجر : الاصابة ١٧/٧-١٨ .

الله عليه وسلم أبا موسى (١) ومعاذ بن جبل (٢) الى اليمن قال : وبعث كل واحد منهما على مخلاف (٣) – قال واليمن مخلافان – ثم قال : "يسرا ولاتعسرا ، وبشرا ولاتنفرا ..." (٤) .

وروى البخارى بسنده أيضا عن ابن عباس (٥) رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن : "انك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد

---

(١) هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى ، من بنى الأشعر ، من قحطان صحابى جليل ، من الشجعان الولاه الفاتحين استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن ، وتولى بعد ذلك عدة بلدان فى عهد الخلفاء الراشدين ، توفى سنة ٤٤هـ/٦٦٥م .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٣٠٦/٥-٣٠٧ ، الذهبى : السير ٣٨٠/٢ ، ابن حجر : الاصابة ١١٩/٤-١٢٠ .

(٢) هو : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصارى الخزرجى – أبو عبد الرحمن – صحابى جليل ، كان من أعلم الأمة بالحلال والحرام ، أسلم وهو فتى وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضيا ومرشدا لأهل اليمن . توفى بناحية الأردن سنة ١٨هـ/٦٣٩م .
انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ٤١٨/٤-٤٢١ ، الذهبى : سير ٤٤٣/١ ، ابن حجر : الاصابة ١٠٦/٤-١٠٧ .

(٣) المخلاف : يقول ياقوت : أكثر مايقع فى كلام أهل اليمن وقد يقع فى كلام غيرهم على جهة التبع لهم والانتقال لهم ، وهو أحد مخاليف اليمن وهى كورها – والكورة كل مقع يشتمل على عدة قرى – ولكل مخلاف منها اسم يعرف به وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فغلب عليه اسمها .
معجم البلدان ٣٦/١-٣٧ .

(٤) صحيح البخارى ١٥٧٨/٤ ، حديث رقم ٤٠٨٦، ٤٠٨٨ .

(٥) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى – أبو العباس – حبر الأمة ، صحابى جليل ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث ، وشهد مع على الجمل وصفين ، وكف بصره فى آخر عمره ، فسكن الطائف وتوفى بها سنة ٦٨هـ/٦٨٧م .
انظر ابن الأثير : أسد الغابة ١٨٦/٣-١٩٠ ، الذهبى : سير ٣٣١/٣ ، ابن حجر : الاصابة ص/٩٠-٩٤ .

فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينه وبين الله حجاب" .(١)

وقد سار الخلفاء الراشدون على هذا النهج النبوى القويم ، فكانوا يباشرون مهام الخلافة بأنفسهم ، ويداومون الاشراف على عمالهم ، ويرشدونهم الى كيفية أداء الأعمال الموكلة اليهم ، ويوالونهم بتعليماتهم وتوجيهاتهم فى هذا المجال ، ويحثونهم على الرجوع اليهم فيما أشكل عليهم من أمور (٢) ، كما قام بذلك معظم خلفاء بنى أمية (٣) .

وقد أولى خلفاء بنى العباس اهتماما بالغا بجانب الاشراف والتوجيه ، حيث حرصوا على الاضطلاع بمهام الخلافة منذ اللحظة الأولى لقيام دولتهم ، واتخذوا من الوسائل ماجعلهم

---

(١) صحيح البخارى ١٥٨٠/٤ ، حديث رقم ٤٠٩٠ . ويقول ابن جماعة : "... اذا بعث السلطان أو نائبه جيشا أو سرية فالسنة أن يؤمر عليها أميرا ويعقد لها الراية ، ويوصيه بتقوى الله ويوصيه بجيشه أو سريته خيرا ، كذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم" . تحرير الأحكام ص/١٦١ .

(٢) د. محمد طاهر عبد الوهاب : الرقابة الادارية ص/٢٩٩ ، ولمزيد من المعلومات انظر : البلاذرى : أحمد بن يحيى ابن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) : فتوح البلدان ، تحقيق د.صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون ٥٥٩/٣ ، الماوردى : نصيحة الملوك ص/١٩٤،١٩٥،١٩٩،٢١٣-٢١٥ ، محمد كرد على : الاسلام والحضارة ١٠٧/٢-١٤٥ ، على على منصور : نظام الحكم والادارة ص/٢٨٣،٢٨٤ ، وانظر التمهيد من هذا البحث – مشروعية الرقابة .

(٣) انظر مثالا على ذلك الجاحظ : التاج ص/١٦٩ ، ابن قتيبة عيون الأخبار ١٠/١ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٢/١ الماوردى : نصيحة الملوك ص/٢١٤-٢١٥ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٥٤ ، ابن حمدون : التذكرة ٣٠٤/١،٣٠٧-٣٠٨،٣٢٢ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٦/٢ .

يتمكنون من الاشراف على جميع الأعمال فى مختلف المناطق ، فكانوا يداومون على الاشراف والتوجيه لكبار الموظفين ، غير أن التفاوت كان واضحا فى الاهتمام بذلك بين خليفة وآخر ، فى حين ساد فى عهد بعض الخلفاء نفوذ بعض الشخصيات التى شاركت الخليفة قيامه بمهام دولته ، أو استقلت بها دونه ، اختيارا أو اضطرارا .

عهد السفاح :

لقد بادر أبو العباس السفاح منذ توليه الخلافة بمباشرة أمور الدولة ، وتصريف شئونها ، حيث غادر الكوفة بعد أن بايعه أهلها متوجها الى معسكر حمام أعين (١) ، فنزل فى حجرة أبى سلمة الخلال - الذى كان يرابط هناك - ووضع بينهما سترا ، وأخذ فى تعزيز جيوش الدعوة بالامدادات لكى تستكمل مهامها ، وظل عدة أشهر على هذا الوضع ، ثم ارتحل لينزل المدينة الهاشمية فى قصر الكوفة (٢) ، وعلى اثر ذلك استطاع السفاح القضاء على حكم بنى أمية ، الا أن الاستقرار لم يتم له مدة خلافته ، فهناك قادة أمويون لايزالون يميلون الى دولتهم البائدة ، ولايزال لديهم شىء من القوة ، فكانوا يثورون بين الحين والآخر ، لاسيما فى بلاد الشام والجزيرة الفراتية (٣) ، وليس هذا فحسب بل ان بعض قادة جيوش الدعوة العباسية وأنصارها خلعوا وخالفوا ، وأصبحوا مصدر خطر يهدد

---

(١) حمام أعين : بتشديد الميم بالكوفة منسوب الى أعين مولى لسعد بن أبى وقاص . ياقوت : معجم البلدان ٢٩٩/٢ ويقول الطبرى : انها كانت تبعد ثلاثة فراسخ من الكوفة تاريخ ٤١٩/٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٣١/٧ . كما باشر توزيع العمال والولاه وبعث الجيوش وعين القادة ، انظر عن ذلك مبحث اختيار الولاه من هذا البحث .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٥٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٤٣/٧-٤٤٧ ، ٤٥٠-٤٥٤ .

أمن واستقرار الدولة الوليدة[1] . فقضى أبو العباس مدة خلافته في اخماد الفتن والثورات .

وقد أولى السفاح جل اهتمامه بالنواحي العسكرية نظرا لما تتطلبه ظروف الدولة في تلك المرحلة من تأسيسها ، فكان اشرافه مستمرا على قادة جيوشه ، يحرص على معرفة أحوالهم ويمدهم بالتعليمات التي عليهم الالتزام بها ويرشدهم ويوجههم ، فعندما اتصل به ماكان من قائده عامر بن اسماعيل[2] الذي قتل مروان بن محمد[3] ، وجلس على فراشه وأكل من طعامه ، غضب من تصرفه ، وكتب اليه "ويلك أما كان لك في أدب الله عز وجل مايزجرك عن أن تأكل من طعام مروان وتقعد على مهاده وتتمكن من وساده ؟ أما والله لولا أن أمير المؤمنين تأول مافعلت على غير اعتقاد منك لذلك ، ولاشهوه ، لمسك من غضبه واليم أدبه مايكون لك زاجرا ، ولغيرك واعظا ، فاذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب الى الله تعالى بصدقة تطفىء بها غضبه ، وصلاة تظهر بها الاستكانة ، وصم ثلاثة أيام ، ومر

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٥٨،٣٥٤/٢ ، الطبري : تاريخ ٤٦١/٧ ، ٤٦٦،٤٦٤ .

(٢) هو : عامر بن اسماعيل المسلي الحارثي ، من قادة جيوش الدعوة العباسية وكان مع أبي مسلم سنة ١٣٠هـ ، وفي سنة ١٣٢هـ توجه الى مصر ثم خرج منها حتى نزل منزلا منها يقال له بوصير الذي كان فيه مقتل مروان بن محمد وقد شارك في عدة حملات عسكرية خلال فترة تأسيس الدولة العباسية في بلاد الشام والعراق . وولاه أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ واسط وأوكل اليه اخماد ثوراتها ، توفي سنة ١٥٧هـ بمدينة السلام وصلى عليه المنصور ودفن في مقابر بني هاشم .
انظر الطبري : تاريخ ٤٣٨،٣٨٩/٧-٤٤٠-٤٤٢،٦٠١،٦٣٧ ، ٥٢/٨ .

(٣) هو : مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي ـ أبو عبد الملك ـ القائم بحق الله ويعرف بالجعدي وبالحمار آخر خلفاء بني أمية في الشام ، ولد بالجزيرة وأبوه متوليها ، تولى عدة مناطق قبل الخلافة وخاض حروبا كثيرة ، تولى الخلافة سنة ١٢٧هـ ، وقتل ببوصير من أعمال مصر سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٢٠٤،١٩٦/١ .
الزركلي : الأعلام ٢٠٨/٧-٢٠٩ .

جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك" [١] ، كما وقع أبو العباس في كتاب أخيه أبي جعفر وهو يحارب ابن هبيرة [٢] بواسط : "ان حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر في طاعتك ، فخذ بي منك ولك من نفسك" [٣] . كما كان أبو العباس يطالع تصرفات ولاته وعماله ، ويبعث اليهم أيضا بالتوجيهات المناسبة [٤] .

ومع حرص أبي العباس على مباشرة جميع شئون الدولة بنفسه ، وقيامه بمهام الخلافة ، وماوصف به من حزم ويقظة [٥] ، وسياسة حكيمة ، فانه واجه نفوذ شخصيتين بارزتين [٦] ، كانتا تباشران معه الاشراف على بعض النواحي الادارية متعدية بذلك حدود التفويض الى الاستبداد بالأمر ، والاستقلال بالسلطة .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ٢٥٦/٣-٢٥٧ ، الحميري : الروض المعطار ص/١١٨ .

(٢) هو : يزيد بن عمر بن هبيرة ـ أبو خالد ـ من بني فزارة ، أمير قائد من ولاة الدولة الأموية ، أصله من الشام ، ولي قنسرين للوليد بن يزيد ثم جمعت له ولاية العراقين ـ البصرة والكوفة ـ في أيام مروان بن محمد واستفحل أمر الدعوة العباسية في زمن امارته فقاتل أشياعها مدة ، وتغلبت جيوش خراسان على جيوشه ، فرحل الى واسط وتحصن بها فوجه السفاح اليه أخاه المنصور لحربه حتى أعياه أمره ، فكتب اليه بالأمان . قتل بواسط سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م . ابن خلكان : وفيات الاعيان ٢٧٨/٦ ، الزركلي : الأعلام ١٨٥/٨ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١١/٤ .

(٤) ليس هناك مايدعو الى اثبات قيام السفاح بالاشراف على شئون الدولة في عهده وان مطالعتنا لما سبق ذكره في موضوع الاختيار في المبحث الأول من هذا الفصل يعد دليلا كافيا لما ذهبنا اليه . انظر أيضا التوقيعات التي أوردها ابن عبد ربه التي كان يبعث بها السفاح لولاته وعماله . العقد الفريد ٢١١/٤ ، أيضا الأحداث التي ذكرها الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٥٦،١٦١ ، وتوجيهات السفاح لواليها اسماعيل بن علي . أيضا الطبري : تاريخ ٤٥٥/٧ ، التوحيدي : الامتاع والمؤانسة ٦٣/٢ .

(٥) انظر ابن دحية : النبراس ص/٢٠٢ ، ابن الكازروني : مختصر التاريخ ص/١١٢ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص٥٤ .

(٦) انظر : ابن عبد البر : بهجة المجالس ٦٨٧/٢ ، الطرطوشي : سراج الملوك ص/١٠٥ ، الذهبي : سير ٧٩/٦ .

ان أولى هاتين الشخصيتين هو الوزير أبو سلمة الخلال الذى كان يتمتع بنفوذ كبير ، فقد ولاه أبو العباس السفاح عندما بويع بالخلافة ادارة "جميع ماوراء بابه وجعله وزيره وأسند اليه الأمور .. فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة" (١) ، حيث كان يمارس سلطات واسعة على شئون الدواوين (٢) التى كان معظمها تحت تصرفه (٣) ، ولم يقف عند هذا الحد بل انه طمع فى زيادة نفوذه (٤) نظرا لما قدم من جهود فى سبيل الدعوة العباسية (٥) . كما أراد أن يستقل بالأعمال التى كان يباشرها قبل اعلان الدولة ، من تولية العمال ومكاتبتهم واصدار الأوامر اليهم ، مع اشرافه على الدواوين (٦) .

غير أن الأيام لم تطل بأبى سلمة حيث قتل "فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة" (٧) وأعيد بذلك الى شخص الخليفة جانب مهم من ادارته التى كان من الواجب عليه أن يباشرها بنفسه وتجدر الاشارة الى أن من تولى الوزارة للسفاح بعد ذلك كان يتجنب أن يسمى وزيرا تطيرا مما جرى لأبى سلمة (٨) ، كما انه لم

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٠ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٥ .
(٣) لم تكن جميع الدواوين تحت يد أبى سلمة فقد تولى خالد ابن برمك ديوانى الخراج والجند ، انظر الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٩
(٤) كان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على الخليفة أبى العباس ، كما أنه بدأ يشمخ بأنفه ولايعد الخلافة بشىء وكان يعترض على أوامر الخليفة . انظر عن ذلك ابن قتيبة : الامامة ١٢٠/٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨ .
(٥) المسعودى : مروج الذهب ٢٧٠/٣ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٤ .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٨٤، ٨٥-٨٦، ٨٧ ، انظر أيضا ابن قتيبة : الامامة ١١٨/٢ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٤٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤١٥/٧، ٤١٨-٤١٩ .
(٧) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠ ، انظر أيضا الطبرى : تاريخ ٤٤٩/٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ .
(٨) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٦ .

يمنح سلطات كبيرة كالتى كان يتمتع بها أبو سلمة .

أما الشخصية الثانية فهو قائد جيوش الدعوة العباسية ووالى اقليمى خراسان والجبال ، أبو مسلم الخراسانى الذى (١) كان له نفوذ واضح فى عهد السفاح طول فترة خلافته .

وعن مدى سلطة أبى مسلم فى عهد السفاح نجد المصادر تذكر أنه عندما قرر السفاح التخلص من وزيره أبى سلمة فضل أن يقوم بهذه المهمة أبو مسلم "وكره أبو العباس أن يوحش أبا مسلم بقتله أو يوجد سبيلا الى الاحتجاج به عليه" (٢) ، فكتب اليه يعلمه رأيه وماكان هم به أبو سلمة من الغش وماتخوف منه ، فكتب أبو مسلم : الى أمير المؤمنين ان كان اطلع على ذلك منه فليقتله . فقال داود بن على لأبى العباس لاتفعل ياأمير المؤمنين فيحتج عليك بها أبو مسلم وأهل خراسان الذين معك ، وحاله فيهم حاله ، ولكن اكتب الى أبى مسلم فليبعث اليه من يقتله ، فكتب الى أبى مسلم بذلك . فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبى فقتله (٣) . ويذكر الدينورى أن الذى دفع أبا مسلم الى قتل أبى سلمة هو تولية السفاح أبا سلمة جميع ماوراء بابه ، واتخاذه وزيرا له ، واسناد جميع الأمور اليه (٤) . ذلك أن أبا مسلم كان يرى أنه أحق

---

(١) انظر موضوع اختيار الولاه من المبحث السابق .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٥٢/٢ . وقد أشارت عدة مصادر الى أن أبا مسلم هو الذى قتل أبا سلمة . الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٤-١٤٥ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٧١/٣ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٤٤٩/٧-٤٥٠ ، انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٥ ، بل ان ابن أعثم يذكر أنه لما وجه السفاح أخاه المنصور الى أبى مسلم بخراسان شكى المنصور لأبى مسلم أبا سلمة وأوضح له أن السفاح لايريد عمل شىء به لأنه – أى أبو مسلم – هو الذى جعله مشيرا ووزيرا . الفتوح ٢٠٧/٨-٢١٠

(٤) الأخبار الطوال ص/٣٧٠ .

بالسلطة والنفوذ فى الدولة ، وقد سبق له أن طلب من أبى سلمة أن "يلزم معه مايلزمه التابع للمتبوع ، والا جعلها فاطمية" (١) . بل انه وجه فى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م "محمد بن الأشعث على فارس وأمره أن يأخذ عمال أبى سلمة فيضرب أعناقهم ففعل ذلك" (٢) .

ولم يكتف أبو مسلم بذلك بل انه أظهر استقلاله بالسلطة على الأقاليم الشرقية من الدولة (٣) ، وأعطى نفسه حق التولية والعزل للولاه والعمال فى مناطق خارج حدود ولايته – خراسان والجبال – وقد حد ذلك من اشراف الخليفة أبى العباس على هذه الأجزاء من دولته .

ففى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م وجه أبو العباس عمه عيسى بن على واليا على فارس وكان عليها آنذاك محمد بن الأشعث من قبل أبى مسلم "فهم به فقيل له : ان هذا لايسوغ لك . فقال : بلى أمرنى أبو مسلم الا يقدم على أحد يدعى الولاية من غيره الا ضربت عنقه" (٤) . وأبى أن يسلم الولاية وقال : "لست أسلم العمل

---

(١) ابن العمرانى : الأنباء ص/٦١ . وقد أراد بقوله أن يجعلها فاطمية أى لأبناء على بن أبى طالب رضى الله عنه من فاطمة الزهراء رضى الله عنها .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧ ، أيضا ابن قتيبة : الامامة ١٢٥/٢ .

(٣) كان سلطان أبى مسلم محدودا فى الغالب بالأقاليم الشرقية من الدولة العباسية وهذا ماتشير اليه المصادر ، بل ان ابن العمرانى يذكر أن أبا مسلم عندما استشار وزيره فى القدوم على أبى جعفر فى السنة التى قتل فيها قال له "لاتعبر الرى فهى حدود ولايتك واذا عبرتها صرت بحكم القوم" الانباء ص/٦٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٤٥٨/٧ ، ويقول فى روايته أن محمدا "ارتدع عن ذلك لما تخوف من عاقبته" . وقال أيضا ثم وجه أبو العباس بعد ذلك اسماعيل بن على واليا على فارس ويبدو أن ذلك بعد سنتين من هذه الحادثة حيث أنه يذكر ولاية محمد بن الأشعث على فارس فى قائمة الولاة فى سنة ١٣٢هـ وسنة ١٣٣هـ . تاريخ ٤٥٨/٧ ، ٤٦٠ ، انظر أيضا حادثة منع ابن الأشعث لعيسى بن على من ولاية فارس . الدينورى : الأخبار ص/٣٧٦-٣٧٧ .

اليك الابكتاب أبى مسلم فانصرف عيسى الى أبى العباس فأخبره ذلك فكظم وأمر عمه بالمقام عنده فأقام" (١) .

كما عين السفاح منصور بن جهور واليا على السند فى نفس السنة ، فعين أبو مسلم للسند واليا آخر يدعى المفلس العبدى ، فى نوع من عدم الاكتراث بأمر الخليفة (٢) . وغير ذلك من الشواهد التى تدل على مدى سلطة أبى مسلم ، وقد أغضب ذلك بعض الولاه فظهرت الفتن والاضطرابات (٣) .

وكان المنصور قد أوضح لأبى العباس بعد عودته من خراسان ، ومقابلته لأبى مسلم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م مدى استبداد أبى مسلم بالسلطة وقال له : "لست خليفة ولا أمرك بشىء ان تركت أبا مسلم ولم تقتله . قال : وكيف ؟ قال : والله مايمنع الا ماأراد . قال أبو العباس : أسكت فاكتمها" (٤) .

وقد كان السفاح سأل ذات يوم الحجاج بن أرطاه (٥) وقد خلا معه : ماتقول فى أبى مسلم ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه : {لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا} (٦) .

---

(١) الدينورى : الأخبار ص/٣٧٦-٣٧٧ .
(٢) د. شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٢٤٧/١ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤٥٩/٧،٤٦٤،٤٦٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٤٥٠/٧ . وقد جاء فى رواية الدينورى قول أبى جعفر للسفاح "لست بخليفة مادام أبو مسلم حيا فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فلقد رأيته وكأنه لاأحد فوقه ومثله لايؤمن غدره ونكثه" . الأخبار ص/٣٧٥-٣٧٦ . وفى رواية ابن قتيبة قوله : ".. لا والله مايعبأ بنا ولايصنع الا مايريد ..." الامامة ١٢٥/٢ ، انظر أيضا نفس المعنى فى عبارات مختصرة لدى اليعقوبى تاريخ ٣٥١/٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨ .
(٥) هو : الحجاج بن أرطاة بن ثور النخعى ، قاضى من أهل الكوفة ، كان من رواة الحديث وحفاظه استفتى وهو ابن ست عشرة سنة ، وولى قضاء البصرة ، وتوفى بخراسان سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م .
الخطيب : تاريخ ٢٣٠/٨ ، الزركلى : الأعلام ١٦٨/٢ .
(٦) سورة الأنبياء : آية ٢٢

قال أبو العباس : امسك فقد فهمت ما أردت .." .(١)

والظاهر من تصرفات أبي مسلم انه لم يعد يأبه بأوامر الخليفة السفاح ، حيث كان ينظر الى نفسه على أنه ند للسفاح لاعامل له . فعندما اراد أن يحج في سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م كتب اليه السفاح أن يقدم في خمسمائة من الجند ، فكتب أبو مسلم : "اني قد وترت الناس ، ولست آمن على نفسي ، فكتب اليه : أن أقبل في ألف فانما أنت في سلطان أهلك ودولتك ، وطريق مكة لايحتمل العسكر ، فشخص في ثمانية آلاف فرقهم فيما بين نيسابور والري" .(٢) بل انه كان يريد أن يعرف أهل خراسان عظم منزلته من خلال تقديمه لاسمه على اسم الخليفة في الكتب التي يبعث بها الى السفاح .(٣)

لقد أخذ نفوذ أبي مسلم يزداد مع مضي الوقت ، ومخالفته تشتد ، حتى ان الطبري يقول : "وكان أبو العباس لايقطع أمرا دون أبي مسلم ، وكان أبو الجهم(٤) عينا لأبي مسلم

---

(١) الدينوري : الأخبار ص/٣٧٦ ، وقد ذكرت مصادر أخرى أن المنصور مرت به حادثة مشابهة حيث سأل عن أبي مسلم سالم بن قتيبة فأجابه بنفس ماأجاب الحجاج بن ارطاه أبا العباس ، انظر عن ذلك ابن قتيبة : الامامة ٢/٢٦ ، الجهشياري : الوزراء ص/١١١ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٨٩/٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٨٠/١ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٣/٣ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٨٨/١.

(٢) الطبري : تاريخ ٤٦٩/٧ ، ويقول ابن أعثم : كان أبو مسلم يقدم على أبي العباس في جيش كبير ، وان أبا جعفر آنذاك كان يتوقع منه خيانة في أي لحظة . الفتوح ٢١١/٨ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة ١٣٢/٢ .

(٤) هو : أبو الجهم بن عطية الباهلي ، مولى بني باهله ، كان من رجال الدعوة العباسية تحت قيادة أبي مسلم الخراساني ، وقد جعله أبو مسلم في سنة ١٣٠هـ كاتبا على الجند للقائد قحطبة بن شبيب ، له أخبار متفرقة في تاريخ الطبري ، وذكر ابن طباطبا أنه قتل في أول خلافة المنصور ، انظر الطبري : تاريخ ٣٥٦/٧، ٣٦٦، ٣٨٩ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٦ .

على أبي العباس "يكتب اليه بالأخبار كلها" (١) . ويقول الجهشياري : "كان أبو الجهم بن عطية ينوب عن أبي مسلم بحضرة أبي العباس ويخلفه ، فثقلت وطأة أبي مسلم على أبي العباس ، وكثر خلافه اياه ورده لأمره" (٢) .

لاشك أن أبا العباس السفاح كان يدرك خطر أبي مسلم على دولته ، الا أنه لايستطيع أن يقضي على نفوذه لعظم طاعة أهل خراسان له ، فلم يكن أبو مسلم واليا اداريا فحسب ، وانما كان زعيما دينيا ومنقذا في نظر بعض الخراسانيين ، وقد صارح السفاح أخاه أبا جعفر بمنزلة أبي مسلم هذه لدى أهل خراسان حيث قال له عندما أشار عليه بقتله : "كيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم" (٣) ، "وقد اشربت قلوبهم حبه واتباع أمره وايثار طاعته" (٤) .

ولم يقف السفاح حائرا أمام نفوذ أبي مسلم ومشاركته اياه الاشراف على شئون مناطق هامة من دولته ، متعديا حدود التفويض الى الاستبداد بالأمر ، وانما استخدم معه الحيلة حتى يستطيع أن يجرده من قوته أولا والتي كانت تكمن في تسلطه على الجيش . فيذكر الجهشياري أن السفاح "شكا الى خالد - بن برمك - وهو يتقلد دواوينه ، اهتمامه بهيبة الجند أبا مسلم ، فأشار عليه أن يأمره بعرضهم ، واسقاط من لم يكن من أهل خراسان منهم ، ففعل ذلك ، فجلس أبو مسلم للعرض ، فأسقط في أول يوم بشرا كثيرا ، ثم جلس في اليوم الثاني ، فأسقط أيضا بشرا كثيرا ، ثم جلس في اليوم الثالث فدعا بالناس فلم يقم أحد ، فدعا ثانية فلم يقم له أحد ،

---

(١) تاريخ ٤٥٤/٧ ، أيضا ابن قتيبة : الامامة ١٢٩/٢ ، ويصف اليعقوبي أبا الجهم بأنه كان الغالب على أبي العباس تاريخ ٣٦١/٢ .
(٢) الوزراء ص/٩٣ .
(٣) الطبري : تاريخ ٤٦٨/٧-٤٦٩ ، أيضا ابن قتيبة : الامامة ١٣٢/٢ ، الدينوري : الأخبار ص/٣٨٢ .
(٤) الدينوري : الأخبار ص/٣٧٦ .

ودعا ثالثة فلم يقم أحد ، فقام اليه رجل فقال : علام تسقط الناس أيها الرجل منذ ثلاث ؟ فقال : أسقط من لم يكن منهم من أهل خراسان ، قال : فابدأ بنفسك فانك من أهل أصبهان ، وقد دخلت في أهل خراسان ، فوثب أبو مسلم عن مجلسه ، وقال هذا أمر احكم بليل ، وحسبك من شر سماعه ، وفطن لما أريد به ، وبلغ الخبر أبا العباس فسره " (١).

كما قام السفاح في سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م بالكتابة سرا الى زياد بن صالح (٢) - وكان يلي ماوراء نهر بلخ - بعهده على خراسان "وأمره ان رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم فيقتله" (٣) غير أن أبا مسلم استطاع القضاء على هذه المحاولة فورا .

ويذكر الخطيب الاسكافي (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) أن السفاح كان قد وجه أخاه أبا جعفر الى خراسان عندما أنكر طاعة أبي مسلم ، وبعث معه بكتاب الى أبي مسلم بتسليم عمل خراسان الى أبي جعفر ، كما بعث أيضا بكتب أخرى الى ولاة كور خراسان في السمع والطاعة لأبي جعفر ، وحسن معونته ، وتقدم اليه الايظهر واحدا من هذه الكتب حتى ينظر مدى طاعة أبي مسلم ، وامكانية عزله ، الا أن هذه المحاولة أيضا لم يكتب لها النجاح ، لتمكن أبي مسلم وقوة سيطرته على الأمور (٤).

---

(١) الوزراء ص/٩٤ .
(٢) زياد بن صالح الحارثي ، من أمراء الدولة الأموية ، وأحد القادة الشجعان ، كان والي الكوفة عند قيام العباسيين في خراسان والعراق ، ولما عظم أمرهم خرج برجاله الى الشام سنة ١٣٢هـ ، فأقام الى أن انتظم الأمر لبني العباس ، فخرج عليهم في ماوراء النهر ، وتبعه جمع كبير من أنصار الأمويين ، فقصده أبو مسلم الخراساني يريد قتاله ، فلم يلبث أن جاءه عدد من قواد زياد وقد خلعوه وتركوه في جماعة يسيرة ، فجد أبو مسلم في طلبه ، فلجأ الى دهقان ، فقتله الدهقان وحمل رأسه الى أبي مسلم .
الزركلي : الأعلام ٥٤/٣ .
(٣) الطبري : تاريخ ٤٦٦/٧ .
(٤) لطف التدبير ص/٢٠٥-٢٠٦ .

ولم يستطع السفاح التخلص من سلطان أبى مسلم على الأقاليم الشرقية للدولة ، وظل الوضع على ذلك طول فترة خلافته ، وهذا بلاشك يدل على تمتع أبى مسلم بالاشراف على بعض أقاليم الدولة العباسية ، ومشاركته للخليفة فى جزء من مهامه كمسؤول عن الاشراف على جميع أنحاء دولته (١) .

عهد المنصور :

عندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة واجه أيضا نفوذ أبى مسلم الذى أخذ يزداد ويتفاقم ، لاسيما بعد الانتصارات التى حققها فى المعارك التى خاضها ضد الثائرين على الدولة فأصبح يستخف بأوامر الخليفة المنصور (٢) ، بل انه نظر الى خراسان على انها ولاية خاصة به ، يمارس عليها سلطاته بكل حرية ، وعن غير رضا الخليفة (٣) . وقد شجعه على ذلك أن عامة

---

(١) لقد كان لأبى مسلم منزلة عالية لدى أبى العباس السفاح الا أن استبداده بالسلطة جعله يقف منه هذا الموقف . وعن منزلة أبى مسلم عند أبى العباس انظر اليعقوبى : تاريخ ٣٥١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٦٩/٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٧١/٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٢/٣ ، كما كان أبو مسلم يلقب بما يدل على عظم قدره . فكان يقال له امين آل محمد ، وصاحب الدولة ، وناقل الدولة انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٥٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٥٠/٧ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤٨٣/٤ ، المسعودى :مروج الذهب ١٧١/٣ ، حمزة الأصفهانى : تاريخ ص/١٦١ ، الخطيب : تاريخ ٨/١٠ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص/١٣٠-١٣١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٥٥ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ٣٦٧/٣-٣٦٩ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧،٤٨٦ ، ابن أعثم : الفتوح ١٦٧/٨،٢٢٠ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، الثعالبى : تحفة الوزراء ص/١٠٧-١٠٨ ، ثمار القلوب ص/١٥٣ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦٥،٦٦ وابن خلكان : وفيات ١٥٣/٣،١٥٤ ، ابن العبرى : غريغوريوس الملطى أبو الفرج بن اهرون (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول ، وقف على طبعه انطون اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت لبنان ، ط/الثانية ١٩٥٨م ، ص/١٢١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ ، الذهبى دول الاسلام ٩٣/١ ، أبو الفداء : المختصر ٢١٥/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٨٨/١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٤٨٢/٧ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٠٠/٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ .

جند الدولة من أهل خراسان ، الذين يطيعونه "ولايعصون له أمرا"[(١)] .

فلم يحتمل المنصور ذلك منه ، فهو الذى أدرك خطره منذ عهد أخيه السفاح فبادر الى قتله والتخلص منه ، فى السنة الأولى من خلافته ١٣٧هـ/٧٥٤م[(٢)] ، واعتبر القضاء على أبى مسلم يوما حاسما فى خلافة المنصور ، فتذكر المصادر أنه عندما دخل جعفر بن حنظلة[(٣)] على المنصور وقد قتل أبا مسلم ، قال له : "ياأمير المؤمنين عد من هذا اليوم لخلافتك"[(٤)] . كما وصف ابن أعثم حال المنصور بعد قضائه على أبى مسلم بقوله : "واستقام الأمر للمنصور بعد قتل أبى مسلم لأنه لم يبق أحد غيره"[(٥)] .

لقد كان المنصور ذا شخصية سياسية فذة ، جعلت منه

---

(١) الدينورى : الأخبار ص/٣٧٨ ، الطبرى : تاريخ ٤٨٠/٧،٤٧٢ العيون والحدائق ٢١٦/٣ .

(٢) الدينورى : الأخبار ص/٣٨١ ، الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧١ ، وقال المسعودى : قتله فى سنة ١٣٦هـ . مروج الذهب ٢٩٢/٣ .

(٣) هو : جعفر بن حنظلة البهرانى من قادة الجيوش له ذكر فى الأحداث منذ وقت مبكر ، وأغزاه المنصور درب ملطيه سنة ١٣٩هـ ، وقد وصف بأنه كان من أعلم الناس بالحروب وقد عاصر أواخر الدولة الأموية وشهد مع مروان بن محمد حروبه ، وكان المنصور يأخذ برأيه ويستشيره فى أموره انظر الطبرى : تاريخ ٤٥٥/٧، ٥٠٠، ٥٧٧، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٥٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٤٩٢/٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٢/٣ ابن خلكان : وفيات ١٥٤/٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٥/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٩٠/١ .

(٥) الفتوح ٢٢٩/٨ . ويقول الدينورى : "واستقامت الخلافة لأبى جعفر سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فوجه عماله الى أقطار الأرض" . الأخبار ص/٣٨٣ ، ويقول ابن حمدون : لم يكن للمنصور أن يصفو ملكه أو يهنأ بعيشه مابقى أبو مسلم . التذكرة ٤١١/١ ، ايضا ابن الجوزى : الأذكياء ص/٣٨ .

المؤسس الفعلى للدولة العباسية [(١)] ، فقد نهض بمسؤليات الخلافة بنفسه ولم يشاركه فى ادارة دولته أحد من وزرائه أو قادته أو غيرهم [(٢)] .

ان المنصور كان يحرص على ادارة شئون الدولة بنفسه ، وقد ساعده على ذلك شدة نظامه وترتيبه لوقته ، فلايصرف وقته الا فيما يعود على الدولة بالنفع "فكان شغله فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزل ، وشحن الثغور والأطراف ، وأمن السبل ، والنظر فى الخراج والنفقات ، ومصلحة معاش الرعية ، لطرح عالتهم والتلطف لسكونهم وهدوئهم .. فاذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور سماره من ذلك فيما أرب ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره .." [(٣)] .

---

(١) وصف المنصور بأنه كان ذا حزم وعقل ورأى صائب وتدبير سديد ، ويقظة وحسن سياسة وانه هو الذى ضبط المملكة ورتب القوعد وأصل الدولة .
انظر عن ذلك : الجاحظ : البيان والتبيين ٦٥/٣ ، ابن قتيبة : الامامة ١٣٧/٢ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٨٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٦٤١/٧ ، ٧٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٠٧/٣ ، التنبيه ص/٢٩٥ ، ابن حمدون : التذكرة ٤٠٩/١ ، الأزدى : تاريخ الدول ص/٩٥ ، ابن دحية : النبراس ص/٢٥ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٥٥ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٥٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٩، ١٦٠ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٣/١ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٧٥/١ ، القرمانى : أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، توفى ١٠١٩هـ/١٦١٠م ، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت (بدون) ص/١٤٧ .

(٢) لابد من الاشارة الى أن المنصور أعطى وزيره أبا أيوب الموريانى حق الاشراف على الدواوين وتولية بعض العمال انظر موضوع رقابة الوزير من هذا البحث .

(٣) الطبرى : تاريخ ٧٠/٨ ، نقلها مختصره الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١ ، وهناك اشارات عدة فى المصادر تذكر مدى حرص المنصور على ادارة شئون دولته بنفسه انظر : الجاحظ : التاج ص/١٦٩ ، ابن عبد البر : بهجة المجالس ٣٣٥/١ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٥٤ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٦/٢ .

ولم يدع المنصور وسيلة توصل اليه أخبار عماله فى مختلف المناصب الا أخذ بها ، فكان على اطلاع على ما يحدث فى الدولة من أمور ، ومايصدر عن عماله من تصرفات (١).

لقد بدأ المنصور بالاشراف على ولى عهده وتوجيهه ، حيث كانت أخباره تصل اليه أولا بأول ، يقول المؤمل بن اميل الشاعر (٢) قدمت على المهدى وهوولى عهد بمدينة الرى ، فأمر لى بعشرين ألف درهم لأبيات امتدحته بها ، "فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن المهدى أمر لشاعر بعشرين ألف درهم ، فكتب اليه المنصور يعذله ويلومه ويقول : انما كان ينبغى أن تعطى الشاعر بعد أن يقيم ببابك سنة أربعة آلاف درهم ..." (٣).

وكان المنصور يسأل ابنه المهدى عن ماتحت يده من الجيوش ، وينبهه الى ضرورة تيقظه ، ومعرفته لما يوكل اليه من أعمال (٤) ، ويداوم نصحه وتوجيهه ، بغية اعداده لمنصب الخلافة (٥).

---

(١) اعتمد المنصور على عمال البريد ، وعلى العيون والجواسيس ، وعلى ثقاة أهل البلدان ، مع جلوسه للمظالم ، وجولاته بنفسه فى البلدان لمعرفة أحوال الرعية والعمال ، انظر ذلك مفصلا فى المبحث الثالث من البحث ، طرق ووسائل الرقابة الادارية .

(٢) هو : المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربى ، شاعر من أهل الكوفة ، أدرك العصر الأموى ، واشتهر فى العصر العباسى ، وكان فيه من رجال الجيش ، انقطع الى المهدى قبل خلافته وبعدها ، توفى نحو ١٩٠هـ/٨٠٥م . الزركلى : الأعلام ٣٣٤/٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٧٣/٨-٧٤ ، أيضا الأصفهانى : الأغانى ٤٨/٢٢ ، الخطيب : تاريخ ١٧٨/١٣ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٢٤٦-٢٤٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢-٦٣ الصفدى : نكت الهميان ص/٢٩٩-٣٠٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٧٢/٨ .

(٥) وكيع : أخبار القضاه ٢٤٨/٣ ، الطبرى : تاريخ ٧١/٨-٧٢ ١٠٥-١٠٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٦ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٥/٧ ، الأزدى : تاريخ الدول ص/٢٢٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٨٩ .

وكان وزراء المنصور على اتصال مباشر به يشرف على أعمالهم بنفسه ويرشدهم ويوجههم (١)، ويبين لهم الأسلوب الذى يعاملون به العامة من رعيته ، فقد قال يوما لوزيره الربيع ابن يونس : "ياربيع ان هذه العامة تجمعها كلمة ، وترأسها السفلة ، ولاأرينك معرضا عنها ، فان اصلاحها يسير ، واصلاحها بعد افسادها عسير ، فاجمعها بالرهبة ، واملأ صدورهم بالهيبة ، وما استطعت من رفق بها واحسان فافعل" (٢).

وقد اهتم المنصور أيضا بالاشراف على ولاة البلدان ، وكان يؤكد عليهم بأن لايستقلوا بالأعمال دونه ، وأن يكتبوا اليه فيما يعن لهم من الأمور ليعرفوا رأيه فى ذلك ، فهذا والى الكوفة عيسى بن موسى عندما استبد برأيه وقتل رجلا من ولد نصر بن سيار (٣) كان مستخفيا فى الكوفة ، وبلغ المنصور فعله "أنكر ذلك وأعظمه وهم فى عيسى بأمر فيه هلاكه ، ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل ، فكتب اليه : أما بعد فانه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه ، لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر بن سيار واستبدادك به ، بما يقطع أطماع العمال فى مثله ، فامسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره .. ولاتستبدن على أمير المؤمنين بامضاء عقوبة فى أحد قبله تباعة .." (٤). فكان ولاة المنصور يبعثون اليه فى الأمور المهمة ، ولايتصرفون حتى

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٠١-١٠٢ .
(٢) الحميرى : الروض المعطار ص/١١٢ .
وانظر أيضا ايقاف المنصور وزيره الربيع بن يونس على مايرفع ضده من شكايات : الثعالبى : آداب الملوك ، تحقيق د. جليل العطية ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، ص/٤٦ .
(٣) هو : نصر بن سيار بن رافع بن حرى بن ربيعة الكنانى : أمير من الدهاه الشجعان ، كان شيخ مضر بخراسان ، ووالى بلخ ، ثم ولى امرة خراسان سنة ١٢٠هـ ، ولاه هشام بن عبد الملك ، مات بساوه سنة ١٣١هـ/٧٤٨م .
الزركلى : الأعلام ٢٣/٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٦٢/٨ . أيضا حادثة مشابهة ذكرها الطبرى ٤٨/٨ .

يصدر اليهم التوجيه المناسب .(١)

وكان المنصور يخرج بنفسه ليطمئن على امضاء أوامره ،(٢) وربما أخفى خبر خروجه بحيث لايعلم بذلك ولاة البلدان ، مما يعطى اشرافه عليهم فاعلية أكبر .(٣)

وتشير روايات المصادر الى مدى اشراف المنصور على ولاته ، ومعرفته بتصرفاتهم ، ومايحدثون من أعمال ، وتذكر لذلك عدة شواهد ، يستدل بها على حرص المنصور الدائم بأن يكون على اتصال مباشر بولاته فى مختلف المناطق .(٤)

وقد كانت عهود المنصور التى يكتبها لولاته على البلدان ، تشتمل على توجيهات قيمة لهم ،كما تبين مدى صلاحياتهم ، وقد وصفت هذه العهود بأنها من أجمع ماكتب ،

---

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٦ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٠٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٩٥/٢ .

(٢) عندما شكا الناس ضيق المسجد الحرام أمر والى مكة آنذاك زياد بن عبيد الله الحارثى أن يزيد فيه ، فوسع زياد فى مساحة المسجد الحرام بقدر الضعف وبنى مسجد الخيف بمنى ، فتذكر المصادر أن المنصور حج فى سنة ١٤٠هـ لينظر مازيد فى المسجد الحرام . انظر اليعقوبى تاريخ ٣٦٩/٢ ، ابن دحية : النبراس ص/٢٥ ، ابن دقماق الجوهر الثمين ص/٩٣ .

(٣) يقول الطبرى : فى سنة ١٥٢هـ حج المنصور بالناس وشخص من بغداد فى شهر رمضان ولايعلم بشخوصه محمد بن سليمان عامل الكوفة يومئذ ، ولاعيسى بن موسى ولى عهده الثانى ووالى الكوفة السابق ، ولاغيرهما من أهل الكوفة حتى قرب منها . تاريخ ٤١/٨ .

(٤) انظر عن ذلك : ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٣٨٦ ، اليعقوبى : تاريخ ٢٨٣/٢ ، الطبرى : تاريخ ٥٣١،٥٢٩/٧ ٩٦،٦٨/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢١٤-٢٢٧،٢١٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٦٦/٢ ، الأصفهانى : الأغانى ١٠٧/١٠-١٠٨ ، ٣٦٢/١٤ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٦٠/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٥/١٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١١٥،١١١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١-٦٢ ، ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٤٢ .

وقد كان الولاه يقرأونها على أهالى البلدان (١) .

ومتى تعدى أحد من الولاه سلطاته ، أو قصر فى أداء عمله ، فان المنصور كان يبادر الى توجيهه (٢) ، حيث كانت أخبار الولاه تأتيه تباعا عن طريق عمال البريد (٣) .

وقد كان المنصور يشرف على قادة جيوشه ، حيث أوكل بهم من ينقل اليه أخبارهم ، سواء كانوا عمالا للبريد أو أمناء (٤) جعلهم عيونا عليهم (٥) ، كما كان يوجههم ويرشدهم منذ أن يوليهم القيادة (٦) .

وأولى المنصور جل اهتمامه بالاشراف على القضاه ، وقد سبقت الاشارة الى أن المنصور كان أول خليفة اختار قضاة

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٧ .
(٢) هناك عدة توقيعات للمنصور توضح اهتمامه بالاشراف على ولاته وتوجيهه لهم ، فقد كتب الى أحد ولاته وقد أخبره بشغب الجند عليه وكسرهم لأقفال بيت المال وأخذهم أرزاقهم بالقوة : "لو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا" . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٦٣/٤ ، الطبرى : تاريخ ٩٣/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١ ، وكتب الى عامل آخر "قد كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت" . انظر الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢ ، وهناك أمثلة أخرى من التوجيهات . انظر الطبرى : المصدر السابق ٩٧/٨ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥٠١ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ ، حيث يقول : "ان ولاة البريد فى الآفاق كلها كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلافته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم وبسعر كل مأكول .. وبما يعمل به الوالى - فى كل يوم مرتين مرة بعد صلاة المغرب بأخبار النهار ومرة بعد صلاة الفجر بأخبار الليل - فاذا وردت كتبهم نظر فيها فاذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وان تغير شىء منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك وسأل عن العلة التى نقلت ذاك عن سعره .." . أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١-٦٢ .
(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .
(٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦/٢ ، الدينورى : الأخبار ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٧٨/٧، ٤٨١-٤٨٣ ، ابن أعثم : الفتوح ٢١٧/٨، ٢١٩-٢٢١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١١/١ .
(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٨٦/٥ .

البلدان بنفسه ، بعد أن كان الولاه هم الذين يقومون باختيار قضاتهم[1] كما كان يقوم بتوجيههم ونصحهم قبل أن يباشروا أعمالهم[2] .

وكان عمال البريد فى الآفاق يرفعون الى المنصور فى كل يوم مايقضى به القاضى فى بلدانهم ، فينظر فيما يرفعونه اليه ، ويكتب اليهم اذا شك فى بعض ماقضوا به ، كما كان يوجههم ويرشدهم ،ومتى أنكر عليهم شيئا من أحكامهم كتب اليهم يلومهم[3] ، مع حرصه على مقابلتهم ومساءلتهم عما يصل اليه من سيرتهم[4] .

وكان المنصور يمد قضاته بالتعليمات الادارية ، التى يقصد منها ضبط الأعمال وترتيبها ، يقول الكندى (ت بعد ٣٥٠هـ/٩٦١م) أن خير بن نعيم[5] قاضى مصر أول قاضى "أدخل أموال اليتامى بيت المال بكتاب أبى جعفر أمير المؤمنين ورد على ابى عون – والى مصر – بذلك فأوردها خير بن نعيم بيت المال وسجل فى كل مال منها سجلا بما يدخل منها ومايخرج"[6] .

---

(١) انظر موضوع اختيار القضاه المبحث الأول من هذا البحث

(٢) وكيع : أخبار القضاه ٩١/٢ . انظر كتابه الذى عهد به الى عبيد الله بن الحسن العنبرى عندما ولاه قضاء البصرة .

(٣) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١-٦٢ وقد كانت تصل اليه أخبار القضاه أولا بأول ، انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٢ .

(٤) الاربلى : خلاصة الذهب ص/٨٧ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص/٣٩-٤٠،٤١ ، حيث واجه قاضى المدينة محمد بن عمران بما نسب اليه من أفعال رفعت اليه .

(٥) ولى قضاء مصر من قبل واليها أبوعون عبد الملك بن يزيد ، وهى ولايته للمرة الثانية على القضاء وكان ذلك فيما بين سنتى ١٣٣-١٣٥هـ . الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٥،٣٥٦ .

(٦) الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٥ .

وقد كان المنصور يباشر الاشراف على الدواوين المركزية في عاصمة الدولة ، وتذكر المصادر انه فور انتهائه من بناء المرافق الهامة في عاصمته الجديدة بغداد بادر في سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م بتحويل بيوت الأموال والخزائن والدواوين التي كانت بالكوفة اليها (١) . ويبدو أن اشرافه كان دقيقا حتى انه "ثقل على الكتاب تفقده الأعمال ومراعاته لها" (٢) . كما كانت ترفع اليه أخبار كتاب الدواوين (٣) وولاتها (٤) .

كما اهتم المنصور بأمر الخراج ، والاشراف على عماله ، والتقدم اليهم بالتوجيه منذ اختيارهم للعمل ، يقول الطبري "ولى المنصور رجلا من أهل الشام شيئا من الخراج فأوصاه وتقدم اليه ، فقال : ماأعرفني بما في نفسك الساعة ياأخا أهل الشام! تخرج من عندي الساعة فتقول : الزم الصحة يلزمك العمل .. وولى رجلا من أهل العراق شيئا من خراج السواد وتقدم اليه فقال : ماأعرفني بما في نفسك! تخرج الساعة فتقول : من عال بعدها فلااجتبر ، اخرج عني وامض الى عملك فوالله لئن تعرضت لذلك لأبلغن من عقوبتك ماتستحقه . قال فوليا جميعا وصحا ونصحا" (٥) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ٣٦١/٢ ، اليعقوبي : كتاب البلدان ، طبع ليدن مطابع بريل ١٨٩١م ، ص/٢٤٠ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٠٠ ، المسعودي : التنبيه ص/٣١٢ ، الخطيب : تاريخ ٦٧/١ ، الحميري : الروض المعطار ص/١١٠ . وقد كانت الدواوين حول الرحبة التي بها قصر المنصور والجامع ودور الحرس . انظر د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١٦٢/١ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص/١٣٩ .

(٣) الجهشياري : الوزراء ص/١٣٦ ، ابن عبد البر : بهجة المجالس ٣٥٨/١ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٨١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤١-٤٢ .

(٤) الجهشياري : الوزراء ص/١٣٤ .

(٥) تاريخ ٦٧/٨-٦٨ .

ومن مظاهر اشراف المنصور على أمور الخراج انه منع أن يستعين أحد من العمال بكتاب من أهل الذمة (١).

وقد كان المنصور يشرف على جنده ، ويتفقد أحوالهم ، ويقوم بعرضهم عليه ، فيما يعد اشرافا مباشرا منه ، يقول الطبرى فى سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م "عرض المنصور جنده فى السلاح والخيل على عينه فى مجلس اتخذه على شط دجلة .." (٢).

عهد المهدى :

عندما تولى المهدى الخلافة باشر مهامها بنفسه (٣)، وسار فى أغلب أحواله على سياسة أبيه المنصور ، الذى وضع له أسس الحكم التى يسير عليها ضمن وصاياه التى أوصاه بها (٤)، فكان

---

(١) فقد "قلد حمادا التركى تعديل السواد وأمره أن ينزل الانبار ولايدع أحدا من أهل الذمة يكتب لأحد من العمال على المسلمين الا قطع يده ، فأخذ حماد ماهويه الواسطى جد سليمان بن وهب فقطع يده" . انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٤ .
ويذكر الامام الماوردى أعمالا اصلاحية قام بها المنصور يعود نفعها على أهل الخراج ومن ذلك ازالته الخراج عن الحنطة والشعير ورقا وصيره مقاسمة وهى أكثر غلات السواد ، وأبقى اليسير من الحبوب والنخيل والشجر على رسم الخراج . الأحكام السلطانية ص/٨١ ، انظر مناقشة د. عبد العزيز الدورى لهذا الموضوع ، تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، البعة الثانية ، ص/٨٠ .

(٢) تاريخ ٥٢/٨ .

(٣) يتضح اشراف المهدى على شئون دولته من خلال اشارات المصادر التى تصفه بأنه كان يباشر الأمور بنفسه ومن خلال عرضها لأحداث توليه العمال وعزلهم وتفقده لأعمالهم انظر مثالا على ذلك : ابن عبد الحكم : فتوح ممر ص/١٦٠ اليعقوبى : تاريخ ٣٩٨/٢-٣٩٩ ، الطبرى : تاريخ ١١٦/٨، ١٢٠-١٢١، ١٢٨-١٢٩، ١٣٩-١٤٢، ١٤٧، ١٥٠-١٥١، ١٦٢-١٦٣ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٩١/١-٢٠٣ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٣، ٢٤٨ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٢٤، ١٢٧-١٢٨، ٣٧١ ، الخطيب : تاريخ ٣٩٣/٥ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٠-٨١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٠ ، الذهبى : سير ٤٠٢/٧ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٣/١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٠ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٣٩٣/٢-٣٩٤ ، الطبرى : تاريخ ٧١/٨-٧٢، ١٠٥-١٠٦، ١١٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٦، ١٥٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٢٢، ٢٣٦ ، ابن طباطبا الفخرى ص/١٨٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٨٩ .

اشرافه شاملا لشئون دولته ، حتى انه "نظر فى دقائق الأمور"[(١)] فعم الناس باقصد العدل والمعروف ، ووصف بانه "كان فى بنى العباس كعمر بن عبد العزيز فى بنى أمية"[(٣)] .[(٢)]

وقد اتخذ المهدى من وسائل الرقابة ماأعانه على القيام بمهمة الاشراف والتوجيه على أكمل وجه[(٤)] . غير أن مايلفت النظر هو اعطاء المهدى بعض وزرائه سلطات كبيرة على أمور الدواوين والخراج ، لكفاءتهم فى مجال عملهم ، ولكنهم لم يتمتعوا بالسلطات التفويضية كاملة ، ذلك أن عليهم الرجوع اليه عند اتخاذهم لأى قرار هام[(٥)] ، فاستطاع أن يدير جميع شئون دولته بنفسه ، وأن يكون على علم بتصرفات كبار موظفيه .

فقد اهتم المهدى بالاشراف على ابنيه الهادى والرشيد وهما وليا عهده ، فكانت تصله أخبارهما[(٦)] ، لاسيما ابنه

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٢٩/٨-١٣٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٩،١٨٠ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٠-٨١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٠ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٩٣/١ ، المسعودى : مروج الذهب ٣١٢/٣ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١١٩ الاربلى : خلاصة الذهب ص/٩١ ، الذهبى : سير ٤٠١/٧ ، القرمانى : أخبار الدول ص/١٤٨ .

(٣) القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٥/١ .

(٤) فقد كان المهدى يجلس للمظالم ، ويعتمد على أخبار ولاة البريد ، ومايرسل به الأمناء ، كما يقوم بجولات يبحث من خلالها عن أعمال كبار الموظفين . انظر موضوع طرق ووسائل الرقابة فى الفصل الثالث من هذا البحث . ومع شغف المهدى بالأخبار فانه لم يدع للوشاه طريقا للسعى بأعدائهم . انظر الطرطوشى : سراج الملوك ص/٩٣ .

(٥) انظر موضوع رقابة الوزير - المبحث الأول من الفصل الثانى من البحث .

(٦) الأصفهانى : الأغانى ١٧٥/٥ .

الهادي ولي عهده الأول ، الذي كان المهدي يغتنم المناسبات (١) لكي يوجهه ويرشده (٢) .

كما كان المهدي على علم بتصرفات وزرائه أيضا ، وكان يختبر ميولهم ليعرف مدى اخلاصهم ونصحهم له (٣) .

وكان يوجه كبار موظفيه فور تقلدهم المناصب ، كل فيما يخص طبيعة عمله ، فقد قال للفضل بن الربيع عندما ولاه حجابته "اني قد وليتك ستر وجهي وكشفه ، فلاتجعل الستر بيني وبين خواصي سببا لضغنهم بقبح ردك ، وعبوس وجهك ، وقدم أبناء الدعوة فانهم أولى بالتقديم ، وثن بالأولياء ، واجعل للعامة وقتا اذا دخلوا أعجلهم ضيقه عن التلبث ، واصرفهم عن التمكث" (٤) .

وقد حرص المهدي أيضا على أن تصل اليه أخبار ولاته على البلدان (٥) ، كما كان يتعهدهم بالتوجيه منذ توليهم المسئولية فعندما ولى الربيع بن الجهم بلاد فارس قال له : "ياربيع آثر الحق والزم القصد وارفق بالرعية ، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه وأجورهم من ظلم لغيره" (٦) .

وقد كان ولاة البلدان يكتبون الى المهدي في الأمور الادارية الهامة ، ليعرفوا مايأمر به ، ولايتصرفون حتى يكتب

---

(١) الطبري : تاريخ ٢١٦/٨ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٠/١-٢١٢ .
(٣) الجهشياري : الوزراء ص/١٦٠-١٦١ ، الخطيب : تاريخ ٢٦٥/١٤ ، العيون والحدائق ٢٧٦/٣-٢٧٨ ، الذهبي : العبر ١٨٩/١ ، اليافعي : مرآة الجنان ٤١٨/١ .
(٤) القيرواني : زهر الآداب ٥٥٠/٢ .
(٥) الطبري : تاريخ ١٦٤/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٢٤٨-٢٤٩ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٢٤ .
(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣١/١ ، ابن حمدون : التذكرة ٣٠٣/١ ، ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٦٨ وقد كان المهدي يغتنم المناسبات لتوجيه ولاته ، انظر الطبري : تاريخ ١٣٠/٨ .

اليهم بالتعليمات المناسبة [(١)].

كما أولى المهدى قادة جيوشه اهتماما بالغا ، حيث كان يشرف عليهم اشرافا دقيقا ، وقد مكنه ذلك من معرفة أحوالهم ومايقومون به من تصرفات ، يقول الطبرى : "جلس المهدى ذات يوم يعطى جوائز تقسم بحضرته ، فى خاصته من أهل بيته والقواد ، وكانت تقرأ عليه الأسماء فيأمر بالزيادة العشرة الالاف والعشرين الألف وما أشبه ذلك ، فعرض عليه بعض القواد فقال : يحط هذا خمسمائة ، قال : لم حططتنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنى وجهتك الى عدو لنا فانهزمت ، قال : كان يسرك أن أقتل ؟ قال : لا ، قال : فوالذى أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبت لقتلت ، فاستحيا المهدى منه وقال : زده خمسة آلاف" [(٢)].

ويشير ابن عبد ربه الى أن هناك عهودا يكتبها المهدى لقادة جيوشه ، تشتمل جملة من التوجيهات القيمة ، كما يوضح فى هذه العهود حدود السلطات التفويضية الممنوحة للقادة [(٣)].

وكعادة المهدى فى توجيهه لكبار موظفيه ، فانه كان يحرص على توجيه قضاته فور تعيينهم [(٤)] ، كما كان ولاة البريد فى البلدان يرفعون اليه أخبارهم ، ليكون على علم بتصرفاتهم [(٥)].

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٢/٤، ٢١٣ .

(٢) تاريخ ١٧٢/٨ . وقد كان قادة الجيوش يرفعون الى المهدى أمر الحصون ومايحتاج منها الى اصلاح وتجديد ، فأتم المهدى ماقام به والده من تحصين حدود الدولة ، وزاد فى شحن الحصون بالجند . انظر عن ذلك : د.عبد العزيز الدورى : العصر العباسى ص/٩٤-٩٥ .

(٣) العقد الفريد ١٩٤/١ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٢١٩/٣-٢٢٠، ٣١٦ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧٣ .

وقد أدى اشراف المهدى على أمور الدواوين الى تطورها ورفع كفاءتها ، حيث ظهرت دواوين جديدة تهدف الى ضبط الأمور المالية فى مختلف دواوين الدولة ، وقد عرفت هذه الدواوين باسم دواوين الأزمة – التى استحدثت سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م – ثم أعقب ذلك استحداث ديوان زمام الأزمة – سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م – (١) ولم يكتف المهدى بذلك فهناك من كان يرفع اليه أخبار وتصرفات ولاته على الدواوين (٢) .

كما باشر المهدى أيضا الاشراف على أمور الخراج ، وكان نتيجة ذلك أن أصدر بعض التنظيمات الادارية التى عاد نفعها على الدولة وأهل الخراج ، فقد استبدل الخراج النقدى الذى كان يؤخذ على المساحة فى الغلات والزروع بنظام المقاسمة (٣) ، وقد ساعده فى انجاز هذا الاصلاح وزيره أبو عبيد الله معاوية ابن يسار ، الذى وصف بأنه كان ذا كفاءة عالية فى ادارة شئون الخراج (٤) .

وقد كان المهدى ينظر بنفسه فى حسابات الخراج ، واذا رأى عجزا فى شىء منها ، طلب من المسئول عن ذلك القدوم عليه ليعلم منه السبب (٥) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨، ١٦٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٤٦، ١٦٦ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٦ .

(٣) لقد أتم المهدى اصلاح أبيه المنصور الذى لم يتمكن من انجازه فى عهده . يقول ابن طباطبا : ان معاوية بن يسار "نقل الخراج الى المقاسمة وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجا مقررا ولايقاسم فلما ولى أبو عبيد الله الوزارة قرر أمر المقاسمة وجعل الخراج على النخل والشجر ، واستمر الحال الى يومنا ..." . الفخرى ص/١٨٢ . انظر أيضا د. عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص/١٨٢ ، أيضا العصر العباسى ص/٨٠، ٩٧

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨١، ١٨٢ .

(٥) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٨-٢٤٩، وكان من اشرافه على الخراج أن علم بما يلاقى أهل الخراج من العذاب "فتقدم الى أبى عبيد الله – وزيره – بالكتابة الى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج" . الجهشيارى : الوزراء ص/١٤٢-١٤٣ . انظر أيضا الخطيب : تاريخ ٢٥٤/٣

وكان المهدى يتفقد أحوال دولته ويباشر الاشراف عليها بنفسه ، وقد دخل يوما دار الديوان وقد تهدمت وكثر التراب فيها ، فسأل عما يصلحها ، كما كان يقوم بجولات فى البلدان (١) ليتعرف على أحوال أهلها ، وينظر فى تصرفات عماله وولاته ، يقول ابن دحية (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) : ان المهدى "قدم خراسان وأصلح حال البلاد وأزال الظلم عن العباد" (٢) .

وقد كان المهدى خلال جولاته تلك يسأل عما يشك فيه من الأمور ، يقول وكيع (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) : طاف المهدى بالجزيرة - الفراتية - ومضى فى نهر الابله (٣) ثم فى دجلة ، ثم رجع فى نهر معقل (٤) فرأى أموالا عظاما . فقال لعبيد الله بن الحسن (٥) : "أرأيت رجلا أقطعناه قيعة فوجدنا فى يده أكثر مما أقطعناه ؟" (٦) .

وكان خروج المهدى الى الحج يمكنه من الاشراف على الأعمال الادارية الخاصة بطريق الحج ، والمدينتين المقدستين

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ١١٧/٢ .
(٢) النبراس ص/٣٤ .
(٣) الابله : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها ، وهى بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة ، وهى أقدم من البصرة - أى أنها تقع فى جنوب أرض العراق أو ماكان يسمى بالسواد . انظر ياقوت : معجم البلدان ٧٧/١ .
(٤) نهر معقل : منسوب الى معقل بن يسار بن عبد الله المزنى ، وهو نهر معروف بالبصرة ، ذكر الواقدى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر أبا موسى الأشعرى أن يحفر نهرا بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزنى فنسب اليه . وقال المدائنى والقحذمى أنه حفر فى خلافة معاوية رضى الله عنه وقيل غير ذلك . ياقوت : معجم البلدان ٣٢٣/٥-٣٢٤ .
(٥) هو قاضى البصرة عبد الله بن الحسن العنبرى وقد تقدمت ترجمته .
(٦) أخبار القضاه ١١٧/٢ ، وهناك جولات أخرى أشارت اليها المصادر ، انظر الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٣،٢٤٤ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٤٤/٣ ، انظر أيضا ماذكره د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/٨٦ .

مكة المكرمة والمدينة المنورة (١) ، فيتخذ لذلك التدابير الحسنة التي يعود نفعها على الرعية (٢) .

عهد الهادي :

لما تولى الهادي الخلافة باشر مهامها بنفسه ، وعلى الرغم من قصر فترة خلافته ، فان المصادر تعطينا معلومات هامة يستفاد منها انه كان يحرص على أن تكون مقاليد الأمور بيده (٣) حيث كان متيقظا ذا اقدام وعزم وحزم (٤) .

وجلوس الهادي للمظالم (٥) ساعده على كشف أحوال العمال ، وقد أشير الى أن ولاة البريد كانوا ينقلون اليه تصرفات كبار الموظفين ، حيث كانت تصل اليه أخبار وزرائه ومايجرى في الدواوين من أمور (٦) . هذا مع قيامه بجولات في البلدان ،

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٥٠/٨ ، ففى سنة ١٦٤هـ خرج المهدى للحج وفى الطريق شعر بقلة الماء ، "فرجع من العقبة وغضب على يقطين بسبب الماء لأنه كان صاحب المصانع ، واشتد على الناس العطش" .

(٢) من ذلك توسعة المسجد النبوى وبناء البرد وتجديد الأميال وحفر الركايا (الآبار) وغير ذلك . انظر الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٨٦ ، الطبرى : تاريخ ١٣٣/٨،١٣٦،١٦٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٣٩ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ ، الذهبى : العبر ١٩٠/١ ؛ المقريزى : الذهب المسبوك ص/٤٢،٤٥ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٥/١-١٨٦ .

(٣) لقد حرص الهادى منذ توليه الخلافة أن تكون مقاليد الأمور بيده ، فقد غضب على الربيع بن يونس لأنه أعطى الجند أرزاقهم لسنتين دون الرجوع اليه . الطبرى تاريخ ١٨٧/٨-١٨٩ ، وهناك عدة أمثلة على اضطلاع الهادى بشئون دولته من توليه وعزل وغير ذلك ، انظر مبحث اختيار العمال من هذا الفصل . مع ماوصف به وزراءه من عبارات تدل على انهم كانوا وزراء تفويض ، يقول ابن خياط : "وزير الهادى وصاحب أمره كله ابراهيم بن ذكوان الحرانى" تاريخ ص/٤٤٧ ، ويقول اليعقوبى : "كان الغالب على موسى الفضل بن الربيع" تاريخ ٤٠٦/٢ ، ويقول الجهشيارى : "قلد الهادى الربيع وزارته وتدبير أموره" الوزراء ص/١٦٧ .

(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٩ .

(٥) انظر مبحث التظلم والاستعداء من الفصل الثالث من هذا البحث .

(٦) الطبرى : تاريخ ٢٠٧/٨-٢٠٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٨ .

بقصد الاشراف على شئونها ، واصلاح أوضاع أهلها [(١)]. أما مهمة الاشراف على الدواوين فقد كان يقوم بها الوزراء في الغالب [(٢)].

حقيقة دور الخيزران فى شئون الحكم :

وتجدر الاشارة هنا الى أمر مهم تناقلته روايات المصادر ، وهو تدخل الخيزران [(٣)] والدة الخليفة الهادى فى شئون الحكم ، منذ عهد زوجها المهدى ، ومحاولتها ذلك خلال عهد ابنها الهادى ، ثم عودتها الى التدخل فى شئون الحكم فى أوائل عهد ابنها الرشيد .

وقد أشارت المصادر أمر تدخل الخيزران فى شئون الحكم عند حديثها عن خلافة الهادى ، وأوردت مجموعة من الروايات التى يمكن من خلالها التعرف على حقيقة هذا الأمر ، لذا فانه من المناسب عرض هذا الموضوع فى عهد الهادى .

فتذكر المصادر أن الهادى فى أول خلافته ، كانت أمه الخيزران تتدخل فى شئون الدولة فى عهده ، كما كانت تفعل فى عهد أبيه المهدى ، فمنعها من ذلك ، يقول الطبرى : "كانت الخيزران فى أول خلافة موسى تفتات عليه فى أموره ، وتسلك به مسلك أبيه من قبله فى الاستبداد بالأمر والنهى ، فأرسل اليها ألا تخرجى من خفر الكفاية الى بذاءة التبذل ، فانه ليس من قدر النساء الاعتراض فى أمور الملك" [(٤)].

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ٣٤٣/٤ .
(٢) انظر موضوع رقابة الوزراء من المبحث الأول فى الفصل الثانى من هذا البحث .
(٣) الخيزران : زوجة الخليفة المهدى وأم ابنيه الهادى وهارون الرشيد ، يمانية الأصل وصفت بأنها كانت ملكة حازمة متفقهة ، أخذت الفقه عن الامام الأوزاعى ، وكانت من جوارى المهدى وأعتقها وتزوجها ، توفيت فى خلافة ابنها الرشيد سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م ، الخطيب : تاريخ بغداد ٤٣٠/١٤ .
وانظر الزركلى : الأعلام ٣٢٨/٢ .
(٤) تاريخ ٢٠٥/٨ .

ويقول ابن طباطبا : "كانت الخيزران متبسطة فى دولة المهدى تأمر وتنهى وتشفع ، وتبرم وتنقض ، والمواكب تروح وتغدو الى بابها ، فلما ولى الهادى وكان شديد الغيرة كره ذلك .. وقال : لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى وخاصتى ، لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ..." (١) .

كما يصف السيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) الخيزران عند حديثه عن الهادى بقوله : "قيل أن امه حاكمة مستبدة بالأمور الكبار ، وكانت المواكب تغدو الى بابها ، فزجرهم عن ذلك" (٢).

وفى عهد الرشيد تذكر المصادر قيام الخيزران بتدبير شئون الدولة ، وان الوزير يحيى بن خالد كان يعرض عليها ويصدر عن رأيها (٣) ، وقد استمرت على هذا الوضع مدة ثلاث سنوات - تقريبا - حيث توفيت سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م (٤) .

لاشك أن هذه الروايات مبالغ فيها ، فمعرفتنا بشخصية هؤلاء الخلفاء سواء المهدى أو الهادى أو الرشيد ، تجعلنا نقف منها موقف الرفض لصحتها ، لما احتوت عليه من مبالغات أضف الى ذلك فان روايات المصادر التى أشارت الى استبداد الخيزران بالسلطة وتدبير شئون الخلافة ، لاتحفظ لنا شيئا من

---

(١) الفخرى ص١٩١ ، أيضا عن نهيها عن ذلك انظر الطبرى : تاريخ ٢٠٦/٨ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٢٨/٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤٢٧/١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص/٢٦١ . وقد تأثر بهذه الرواية وماسبقها بعض الباحثين فوصف الخيزران بأنها كانت ذات نفوذ فى الدولة ومن هؤلاء د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/٩٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢٣٤/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ ، حيث يقول : كان يحيى "يعرض على الخيزران ويورد ويصدر عن أمرها" . أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٠٨ . ويقول الطبرى فى موضع آخر أن الخيزران "كانت المستولية على أمر الرشيد وتدبير الخلافة" . المصدر السابق ٢١٢/٨ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٢٣٨/٨ .

تدابيرها السياسية أو الادارية ، في حين تسرد لنا أحداثاً ووقائع تدلنا على قيام هؤلاء الخلفاء بمهمة الاشراف على شئون دولتهم بأنفسهم . وفي ذلك تناقض واضح بين ما اشارت اليه بعض روايات المصادر ، وماتسرده من أحداث .

ان حقيقة دور الخيزران كما توضحه روايات أخرى ، لايتجاوز حد الشفاعة لمن يقصدها من الناس لقضاء حوائجهم من الخليفة ، وان شفاعتها كانت تجاب فيما لايضر معه اقامة العدل ، وترفض فيما سوى ذلك . يقول الطبرى : "كانت الخيزران في خلافة موسى كثيرا ماتكلمه في الحوائج ، فكان يجيبها الى كل ماتسأله ، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، وانثال الناس عليها ، وطمعوا فيها ، فكانت المواكب تغدوا الى بابها .. فكلمته يوما في أمر لم يجد الى اجابتها اليه سبيل ، فاعتل بعلة ، فقالت : لابد من اجابتي . قال : لاأفعل .. فقامت مغضبة " (١) . ويقول الطبرى أيضا : "كان يتصل بموسى وصول القواد الى أمه الخيزران يؤملون بكلامها في قضاء حوائجهم عنده .." (٢) . وهذا مايؤكده المسعودى بقوله : "كان الهادى كثير الطاعة لأمه الخيزران مجيبا لها فيما تسأل من الحوائج للناس ، فكانت المواكب لاتخلو من بابها " (٣) .

فحقيقة دور الخيزران لايتعدى حدود قضاء حوائج قاصديها بالشفاعة لهم عند الخليفة ، دون التدخل في شئون الحكم ، وهذا ماتؤكده مجريات الأحداث خلال عهود هؤلاء الخلفاء .

---

(١) تاريخ ٨/٢٠٥-٢٠٦ .
(٢) تاريخ ٨/٢٠٦-٢٠٧ .
(٣) مروج الذهب ٣/٣٢٧ ، ويقول ابن حمدون : "كانت الخيزران تتشبه بالرجال ، وتحب الأمر والنهى ، وأن يكون لها باب يقصد بالرغبات والمدائح" . التذكرة ١/٤٢٦-٤٢٧ .

عهد الرشيد :

لما تولى هارون الرشيد الخلافة أعطى وزراءه من البرامكة سلطات كبيرة استطاعوا من خلالها مشاركته فى ادارة شئون دولته ، فهم بلاشك لم يكونوا وزراء تفويض فحسب ، بل تعدوا ذلك الى الاستقلال بالسلطة ، فكانوا يشرفون على الأمور المالية من موارد ونفقات ، وهذا جعل دواوين الخراج ، وبيت المال ، والنفقات ، ودور السكة والضرب ، تحت ادارتهم ، أضف الى ذلك انهم كانوا يشرفون على ديوان الرسائل باعتبار انهم يقومون بمهمة الوزراء الكتابية ، اضافة الى وجود خاتم الخلافة بأيديهم ، هذا مع دورهم فى اختيار بعض أصحاب المناصب فى حالات نادرة ، مع تمتعهم بصلاحية عزل من يولون كغيرهم من وزراء التفويض ، ولعل أبرز عمل كانوا يقومون به فى مجال الرقابة ، هو جلوسهم لرد المظالم ، ومايتبع ذلك من الأخذ على يد الولاه والعمال (١) .

ومع مامنحه الرشيد لوزرائه البرامكة من سلطات ، فانه لم يكن بعيدا تماما عن الاشراف على شئون دولته كما تصور ذلك بعض روايات المصادر ، التى تنص على أنه كان للبرامكة السلطة المطلقة فى ادارة شئون الدولة خلال فترة نفوذهم السياسى (٢) ، ذلك أن هناك شواهد تاريخية تعطينا معلومات

---

(١) انظر موضوع رقابة الوزراء فى المبحث الأول من الفصل الثانى من هذا البحث .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٩/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٣/٨،٢٥٦، ٢٨٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧،١٨٩ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٨٠ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٣٧/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٢٩/١٤ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٧٩ الأزدى : أخبار الدول ص/١٣٨-١٤٠ ، ابن دحية : النبراس ص/٣٨-٣٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٧-١٩٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٢٢،١٦١ ، أبو الفداء : المختصر ١٢/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٦/١ ، ابن خلدون : المقدمة ١٥/١-١٦ ، ابن الأزرق : بدائع السلك ١٨١/١ .

أدق للدور السياسى الذى كان يقوم به البرامكة ، يتضح منها أن الرشيد كان دائم الاشراف على شئون دولته (١) .

فمع ماذكرته المصادر من جلوس يحيى بن خالد للمظالم ومعه ابناه جعفر والفضل ، فانها تؤكد جلوس الرشيد للمظالم أيضا (٢) ، وتشير الى أن الناس مع علمهم بمنزلة البرامكة فانهم كانوا يكتبون الى الرشيد بظلاماتهم (٣) ، التى كان ينظر فيها بنفسه ويوقع أوامره عليها (٤) ، كما توضح بعض المصادر أن يحيى بن خالد كان يجلس للمظالم فى ظروف خاصة (٥) ومتى جلس الرشيد للمظالم كان يحيى من جملة من يحضر مجلسه الذى كان يستمر الى وقت الظهر (٦) .

---

(١) انظر مبحث اختيار العمال من هذا الفصل ، أيضا يدلنا كتاب الخراج فى مجمله الذى ألفه القاضى أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٢هـ ، أى فى فترة وزارة البرامكة ، يدلنا على أن الرشيد كان يضطلع بنفسه بأمور الخلافة ويتضح ذلك من مساءلته اياه عما يصلح شئونها واجابته للرشيد على ذلك . انظر مثالا على ذلك الصفحات ١٧٦، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٢٧-٢٣٤، ٢٥٦، ٢٧١ ، والملحق السادس من هذا البحث .

(٢) القيروانى : زهر الآداب ٩١١/٤ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٥ .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص/٨١ ، وكيع : أخبار القضاه ١٤٥/٢، ١٤٩ ، الطبرى : تاريخ ٣١٥/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٠ ، القيروانى : زهر الآداب ٧١٩/٣ ، ١٠٦٠/٤ ، الخطيب : تاريخ ٢٩٤/٨ ، ١٣٠/٩-١٣١ ، ٣٠٩/١٢ الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٠-٤١١ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٩٠-٩١ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٥/٢ ، الاتليدى : محمد المعروف بدياب الاتليدى المصرى ، ت بعد ١١٠٠هـ/١٦٨٨م . اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس ، المطبعة اليوسفية ، القاهرة مصر (بدون) ص/١٣١ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤١٤/٤ ، الأزدى : تاريخ الدول ص/١٣٢ .

(٥) حيث تذكر أنه اذا أراد الرشيد الجلوس مع أهل بيته جلس يحيى للمظالم بدلا عنه . الأصفهانى : الأغانى ١٩٥/٥ وكذلك فى حالة عدم رغبة الرشيد فى مقابلة بعض أصحاب الشكايات . الجهشيارى : الوزراء ص/١٨٧ .

(٦) الأصفهانى : الأغانى ٩٩/٥ .

أما عن السلطات الادارية التى أشير الى تمتع البرامكة بها من توليه وعزل ، والتى نص على أن الرشيد قد منحها يحيى بن خالد حين قلده الوزارة ، حيث قال له : "قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى اليك ، فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب ، واستعمل من رأيت واعزل من رأيت ، وامض الأمور على ماترى ، ودفع اليه خاتمه" (١) . فان الأحداث التاريخية تثبت أن البرامكة لم تكن لهم السلطة المطلقة فى التوليه والعزل ، ولم يكن ذلك منهم الا فى حالات نادرة ـ كما سبقت الاشارة ـ ، فالرشيد كان هو الذى يولى ويعزل العمال منذ اللحظة الأولى لتوليه الخلافة ، وخلال فترة وزارة البرامكة (٢) . بل ان البرامكة أنفسهم كانوا عرضه للتوليه والعزل من قبل الرشيد فيما أسند اليهم من أعمال (٣) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٣٣/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٣٧/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٢٩/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦١ ، أبو الفداء : المختصر ١٢/٢ ، اليافعى مرآة الجنان ٤٢٦/١ ، العيون والحدائق ٢٩١/٣ ، ويضيف الطبرى أيضا أنه فى سنة ١٧٨هـ "فوض الرشيد أموره كلها الى يحيى بن خالد" المصدر السابق ٢٥٦/٨ ، انظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٨٠ ، الاربلى : المصدر السابق ص/٢٢ .

(٢) الأمثلة على اضطلاع الرشيد بادارة شئون دولته ومن ذلك التوليه والعزل كثيرة جدا ، انظر المبحث السابق الخاص بالاختيار . أيضا انظر الزبيرى : نسب قريش ص/٣٥٨،٤٢١ ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٢٩-١٣٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠٩/٢،٤١٢،٤٢٦-٤٢٧،٤٢٩ ، ابن قتيبة عيون الأخبار ١٧/١-١٨ ، وكيع : أخبار القضاه ١٤٤/٢-١٤٥ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٩/٨،٢٦١،٢٦٦،٣١٤ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٧،٢٦٩،٢٧٤،٢٧٩-٢٨٧، ٢٨٨،٢٩٨ ، ابن النديم : الفهرست ص/٢٨٧ ، الأصفهانى : الأغانى ٧١/٤ ، الخطيب : تاريخ ١٧٢/٢ ، ١٨٨/٨-١٨٩،١٩٢ ، ٤٥١/١٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٢-١٣٣،١٣٤،٣٨٨ ، ابن حمدون : التذكرة ٥٢٥/١ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٨/٢-١٩٩ ، ٣٢٦/٦،٣٢٧ ، ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٦٤ ، أبو الفداء : المختصر ١٣/٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢٣٨/٨،٢٤٠،٢٤٢،٢٥٥،١٢٦١،٢٦٥،٢٦٦ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٥٤/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٨٧،٢٠٧،٢٢٧،٢٢٨،٢٣٣ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٣٤/٨ ، العيون والحدائق ٢٩٣/٣،٢٩٦ .

ويذكر الطبرى حادثتين تدلان على أن دور يحيى بن خالد فى التوليه هو ابداء الرأى والمشورة فيمن يولى ، وأن الرشيد هو الذى يقرر الأمر بما يراه مناسبا ، حيث يقول : "ذكر أن الرشيد استشار يحيى بن خالد فى توليه خراسان على ابن عيسى بن ماهان فأشار عليه ألا يفعل ، فخالفه الرشيد فى أمره وولاه اياها ..." (١) . وعندما ظهر فساد على بن عيسى يذكر الطبرى أيضا أن الرشيد "دعا يحيى بن خالد فشاوره فى أمر على بن عيسى وفى صرفه ، فقال له : أشر على برجل ترضاه لذلك ، يصلح ما أفسده الفاسد ، ويرتق ما فتق ، فأشار عليه بيزيد بن مزيد فلم يقبل مشورته" (٢) .

أما عن دور البرامكة فى عزل العمال فانهم كانوا يملكون سلطة عزل من يولون من العمال كغيرهم من وزراء التفويض ـ كما سبقت الاشارة الى ذلك ـ أما سائر العمال فان المصادر تذكر أن ذلك كان بيد الرشيد ، وأن خالد بن برمك كان مقصد من يريد الاعفاء من عمله ليشفع له عند الخليفة (٣) ، ومما يدلنا على أن سلطة العزل كانت بيد الرشيد شخصيا أن البرامكة كانوا يلجأون الى الوشاية بأعدائهم لدى الرشيد حتى يقوم بعزلهم (٤) .

ولعل مساءلة الرشيد ليحيى بن خالد بعد أن عزله عن الوزارة وأودعه السجن توضح لنا أن البرامكة أنفسهم كانوا تحت اشراف الرشيد ، يعلم تصرفاتهم ، حيث كانت تصل اليه أخبارهم أولا بأول (٥) .

---

(١) تاريخ ٣١٤/٨ .
(٢) تاريخ ٣١٥/٨ .
(٣) الزبيرى : نسب قريش ص/٣٥٨ .
(٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة ١٢٦/٣ ، الخطيب : تاريخ ١١٥/١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣١/٦ .
(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٤٢-٢٤٤ .

لاشك أن الرشيد يعتبر من خلفاء بنى العباس الأقوياء ، الذين كانوا يباشرون مهمة الاشراف على شئون الخلافة بأنفسهم فقد وصف بأنه كان من الخلفاء المتيقظين ، كملت فى أيامه (١) الخلافة بكرمه وعدله وتواضعه ، وانه كان يقتفى آثار جده (٢) المنصور ويطلب العمل بها (٣) .

لقد ذكر أن الرشيد خصص أياما من كل أسبوع للنظر فى جانب من شئون دولته فجعل "ليلة للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم فى المهم منها ، وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ، ويرتب لهم ماظهر من صلاح أمور المسلمين ، وليلة للقواد وأمراء الأجناد يذاكرهم أمر الأمصار ، ويسألهم عن الأخبار ، ويوقفهم على ماتبين له من صلاح الكور وسد الثغور" (٤) .

والحق أننا اذا نظرنا فى طريقة اشراف الرشيد على أمور دولته ، نجدها لاتختلف كثيرا عن طريقة من سبقه من خلفاء بنى العباس ، الا ماكان من اعطائه وزراءه البرامكة من تفويض ، جعلهم يتمتعون بسلطات كبيرة (٥) .

---

(١) الجاحظ : التاج ص/١٧٠ ، الطبرى : تاريخ ١٢٦/٩ ، الخطيب : تاريخ ٩/١٤ ، البيهقى : المحاسن ص/١٤٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٣٥٥/٣ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٣٠ ، ابن دحيه : النبراس ص/٣٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣٤٧/٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٦/٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص/٢٦٥ .

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٥٦/٢ .

(٥) وعدما ولى الرشيد الفضل بن الربيع وزارته لم يجعل تحت يده ادارة الأعال التى كان يقوم بها البرامكة حيث كان يشاركه العديد من الشخصيات فى الاشراف على الدواوين ، ولم يعد الوزير يتمتع بسلطات كبيرة كما هو حال البرامكة . انظر موضوع رقابة الوزير من المبحث الأول للفصل الثانى من هذا البحث .

وقد اتخذ الرشيد من وسائل الرقابة ما أعانه على مهمة الاشراف على شئون دولته ، ومعرفة أخبار عماله ، وتوجيههم متى اقتضى الأمر ذلك .(١)

فقد كان الرشيد على علم بأخبار ولاته على البلدان ،(٢) حيث أن عمال البريد كانوا يرفعون اليه تصرفاتهم ، ويبلغونه بسيرتهم ،(٣) مع مايكتب به الولاه عن أخبارهم بأنفسهم ، لاسيما اذا أوكل اليهم بعض الأعمال الحربية ، كاخماد فتنة أو صد عدو ،(٤) فقد كان الرشيد يغضب من تصرف ولاته من تلقاء أنفسهم(٥) وقد كان الوالى الذى يجمع له مع الصلاة النظر فى أمور الخراج على اتصال مباشر بالرشيد ، حيث كان يشرف على أعماله بنفسه .(٦)

وكان الرشيد يتعهد ولاته بالتوجيه منذ توليهم الأعمال فقد جاء فى كتاب عهد كتبه لهرثمة بن أعين(٧) عندما ولاه

---

(١) استخدم الرشيد البريد فى معرفة أخبار عماله ، كما كان يجلس للمظالم ، ويستقبل الوفود ، ويرسل الأمناء ، ويقوم بجولات فى البلدان بغرض معرفة سيرة عماله . اضافة الى دور الحج فى اتاحة الفرصة للرعية لمقابلته وعرض شكاياتهم عليه . انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

(٢) الأصفهانى : الأغانى ٣١٩/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٢ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ٣٦٨/٣-٣٦٩ ، الأصفهانى : الأغانى ٤١/١٩-٤٢ ، ابن خلكان : وفيات ٢٨/٤-٢٩ ، ٣٣١/٦ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٣٣٢/٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٣٢٤/٨ .

(٦) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٩-١٤٠ .

(٧) هرثمة بن أعين ، أمير من القادة الشجعان ، تولى للرشيد مصر ثم افريقية ثم خراسان ، وفى عهد الأمين انحاز الى المأمون فى أحداث الفتنة بين الأمين والمأمون فقاد جيوشه وأخلص له الخدمة ، ثم غضب عليه المأمون فحبسه بمرو ، قيل ان الفضل بن سهل وزير المأمون دس اليه من قتله فى الحبس سرا سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م . الكندى : الولاه والقضاه ، ص/١٣٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٨٨/٢ . الزركلى : الأعلام ٨١/٨ .

خراسان سنة ١٩١هـ/٨٠٦م : "هذا ماعهد هارون الرشيد أمير المؤمنين الى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه ، أمره بتقوى الله وطاعته ، ورعاية أمر الله ومراقبته ، وأن يجعل كتاب الله اماما في جميع ماهو بسبيله فيحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويقف عند متشابهه ، ويسأل عنه أولى الفقه في دين الله ، وأولى العلم بكتاب الله ، أو يرده الى امامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه ، ويعزم له على رشده .." (١) .

كما كان الرشيد يكتب الى ولاته بالتوجيهات المناسبة اذا صدر منهم مايوجب ذلك (٢) ، بسبب تقصيرهم في العمل ، أو لتظلم أحد الرعايا منهم (٣) .

وتجدر الاشارة الى أن المناطق التي تقع بعيدا عن عاصمة الدولة العباسية ، لم تكن أخبارها تصل بانتظام الى الرشيد ، وقد أدى ذلك الى ظهور الفتن بها (٤) ، غير أن الرشيد عمل على اصلاح أوضاعها حيث كان يرسل لذلك من يثق به من

---

(١) الطبرى : تاريخ ٣٢٧/٨ . وجاء في آخر الكتاب مانصه : "وكتب أمير المؤمنين بخط يده" ٣٢٨/٨ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٣/٤، ٢١٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣١٥/٨ ، ابن دحيه : النبراس ص/٣٦ .

(٤) مثل خراسان انظر الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٩٠-٣٩١ ، الطبرى : تاريخ ٣١٤/٨-٣١٦، ٣٢٤-٣٢٥، ٣٢٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٧٨/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٨ ، الذهبى : العبر ٢٣٣/١ ، انظر أيضا قصة خروج الرخجى والى الأهواز ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٦٧/١-٣٩٨ الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٣٨ ، أيضا هناك بعض المناطق القريبة من عاصمة الدولة التي تجرى فيها بعض الأحداث دون علم الخليفة مثل الموصل ، انظر الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٩٣ ، انظر أيضا أحداث بلاد الشام ومصر . اليعقوبى : تاريخ ٤٠٩/٢، ٤١١-٤١٢ ، وماحدث من توليه وعزل بها . وكذلك ماجرى في اليمن . اليعقوبى المصدر نفسه ٤١٢/٢-٤١٣ .

قادته [١] . بل والخروج اليها بنفسه فى بعض الأوقات [٢] .

أضف الى ذلك أن بلاد افريقية استقل ولاتها من بنى الأغلب بادارة شئونها ، حيث أصبحت وراثية فى هذه الأسرة [٣] ، كما أعطى الولاه عموما فى عهد الرشيد صلاحيات أكثر من تلك التى تمتعوا بها من قبل [٤] .

وقد كان الرشيد يشرف أيضا على قادة جيوشه ، ويكتب اليهم بالتوجيهات المناسبة ، فعندما شك فى أن يكون يزيد ابن مزيد الشيبانى - قائد جيشه - قد داهن الوليد بن طريف الشيبانى - رأس الخوارج [٥] - حيث تأخر يزيد عن لقاء الوليد وجه اليه الرشيد كتاب مغضاب يقول فيه : "لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر ما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين" [٦] .

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤١١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٣٢٤/٨ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٢٦٦/٨،٣١٥-٣١٦،٣٣٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٦٦ ، الخطيب : تاريخ ٤٤٦/١١ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٨٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٨٤/٥ ، الذهبى : العبر ٢٣٣/١ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤١١/٢-٤١٢ .
(٤) كما تمكن بعض الولاه من الاستقلال بولاياتهم وادارتها بحرية كاملة . انظر عن ذلك موضوع رقابة الولاه - المبحث الأول من الفصل الثانى من هذا البحث .
(٥) كان الوليد بن طريف الشيبانى رأس الخوارج وأشدهم صولة وأشجعهم ، فكان من بالشماسية لايأمن من طروقه اياه ، واشتدت شوكته وطالت أيامه .
والخوارج : أولى الفرق الاسلامية خرجوا على على بن أبى طالب رضى الله عنه وصحبه ، رافضين التحكيم ، أغلبهم بدو تحصنوا فى بعض المناطق بالعراق وجزيرة العرب ، قاوموا الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية مقاومة عنيفة ، وانقسموا الى عدة فرق ، أهمها الأزارقة ، والنجدات ، والاباضية ، والصفرية . واشتهروا بالتشدد فى العبادة والانهماك فيها . الشهرستاني : الملل والنحل، ٦٧/١ . وانظر محمد شفيق غربال وآخرين : الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت لبنان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ٧٦٧/١ .
(٦) الخطيب : تاريخ ١١٥/١٢ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٣١/٦-٣٢ .

كما اهتم الرشيد بالاشراف على قضاته فى الآفاق حيث كانت ترفع اليه أخبارهم بواسطة عمال البريد[(١)] ، ويتضح من رواية لأبى يوسف أن الرشيد كان يطالع هذه الأخبار بنفسه ، ويسأل الفقهاء عن ماينبغى أن يعامل به القاضى الذى يرتكب بعض الأخطاء فى تصرفاته ، ويتضح أن هذه الأخبار كانت مفصلة وكان الرشيد قد سأل أبا يوسف عن قاضى البصرة فأجابه بقوله "أما ماسألت عنه مما قد بلغك واستقر عندك ، وكتب به اليك واليك وصاحب البريد : ان فى يد قاضى البصرة أرضين كثيرة فيها نخل وشجر ومزارع ، وان غلة ذلك تبلغ شيئا كثيرا فى السنة ، وقد صيرها فى أيدى وكلاء من قبله ، يجرى على الرجل الواحد ألفا أو ألفين وأكثر وأقل ، وليس أحد يدعى فيها دعوى ، وان القاضى ووكلاءه يأكلون ذلك ، فهذا أو شبيهه من الواجب عليك النظر فيه ، وان استقر عندك فما كان فى يد القاضى مما ليس يدعى فيه أحد دعوى ، وقد استغله وكلاء القاضى وأخذوا غلة ذلك ، وطالت به المدة ، ولم يأت أحد يطلب فيه حقا ، وقد أمسك القاضى عن الكتاب اليك بذلك لترى فيه رأيك ، فقاضى سوء صير هذا وشبيهه مأكله له ولمن معه ، وهو آثم فى ذلك"[(٢)] .

ولم يؤثر استحداث منصب قاضى القضاه[(٣)] على اشراف الرشيد

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠-١٦١ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٧/٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٤-٣٨٥ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٧١/٢ .

(٢) الخراج ص/٣٦٠-٣٦١ .

(٣) استحدث منصب قاضى القضاه زمن الرشيد . انظر وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٧٩/٦ .

على القضاه (١)، حيث كان يتولى توجيههم فور اختيارهم لهذا المنصب الجليل (٢). كما كانت أخبارهم تصله من خلال مايرفع اليه من ظلامات (٣)، ومساءلة من يفد عليه من أهل البلدان (٤). فاستطاع معرفة أحوالهم، فأعانه ذلك على اتخاذ القرارات الصائبة تجاههم (٥).

وقد كان للرشيد أصحاب أخبار على كتاب الدواوين، يرفعون اليه فورا مايجرى فيها من أحداث (٦).

أما مايخص اهتمام الرشيد بأمر الخراج والاشراف عليه، فقد برز ذلك فى اصلاحات هامة قام بها، منها أنه أعاد الخراج الى نصف الحاصل، كما خفف فى سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م الخراج عن أهل السواد حيث "وضع عن أهل السواد العشر الذى كان يؤخذ منهم بعد النصف" (٧).

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ١٤٩/٢-١٥٤، الخطيب : تاريخ ١٩٧/١١-١٩٨ .
(٢) وكيع : أخبار القضاه ٣١٦/٣ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦١، وكيع : أخبار القضاه ١٤٩/٢-١٥٢، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٠-٤١١، العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٥/٢ .
(٤) وكيع : أخبار القضاه ١٤٤/٢-١٤٥ .
(٥) وكيع : أخبار القضاه ١٤٩/٢-١٥٢،١٥٤، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٨٨، ابن خلكان : وفيات ١٩٩/٢-٢٠٠ .
(٦) البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥٠٩ .
(٧) د. عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص/١٨٢ أيضا العصر العباسى الأول ص/١٣٧ .
وهناك اصلاحات قام بها الرشيد لأهل الخراج منها أنه حفر نهرا لأهل السواد وكان قد خرب وتعطل، الأصفهانى : الأغانى ٢٥٦/١٨-٢٥٧، كما خفف الخراج على أهل السواد وفلسطين. محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ٢١٤/٢، ويذكر اليعقوبى أن الرشيد تشدد على أهل الخراج حيث ولى على مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام فطالبهم بصنوف العذاب، تاريخ ٤١٥/٢، ويبدو أن ذلك خاص بالذين يماطلون فى دفع ماعليهم لاسيما بعد تخفيف نسبة الخراج .

وكان خروج الرشيد الى الحج يتيح له التعرف على أحوال عماله ، من خلال مايرفعه الناس من شكايات [(١)] ، ومايقوم به من مساءلة عن أخبارهم [(٢)] . وكذلك مايقوم به الرشيد من جولات فى البلدان [(٣)] .

ويفصل ياقوت الحديث عن جولة قام بها الرشيد فى مدينة قزوين [(٤)] أشرف خلالها على شئون أهلها ، وقام بما يصلح أمورهم حيث قال : "اجتاز الرشيد بهمذان وهو يريد خراسان فاعترضه أهل قزوين ، وأخبروه بمكانهم من بلد العدو وعنائهم فى مجاهدتهم ، وسألوه النظر لهم ، وتخفيف مايلزمهم من عشر [(٥)]

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص/٨١ ، اليعقوبى : تاريخ ٤١٣/٢ ، الخطيب : تاريخ ١٣٠/٩-١٣١ ، وكذلك مايقوم برفعه بعض العمال بقصد الاستعفاء من عملهم . انظر القيروانى : زهر الآداب ١٠٦٠/٤ .

(٢) الأصفهانى : الأغانى ٣١٩/٦-٣٢٠ ، كذلك سؤاله عن الكفاءات لكى يوليهم مايناسبهم من أعمال ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٢٣/٥ .

(٣) كان خروج الرشيد غالبا مايكون بسبب القضاء على الفتن واعادة الاستقرار الى البلدان ، الا أنه فى أثناء ذلك يحرص على مقابلة عماله ليعرف أخبارهم . انظر مثال ذلك دخول الرشيد الى حمص ومسألته لقاضيها فلما تبين له أنه لايصلح للقضاء عزله . وكيع : أخبار القضاه ٢٠٩/٣ ، أيضا ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٦١/٢ ، وعندما قدم الرشيد الى الموصل عزل قاضيها اسماعيل بن زياد . انظر الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٨٩ . ويذكر السهمى خروج الرشيد الى جرجان ، تاريخ جرجان ص/٢٢٩ ، كما يذكر ابن خلكان خروجه الى البصرة ، وفيات ٣٨٧/٦.

(٤) قزوين : مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا والى أبهر اثنا عشر فرسخا ، أصبحت ضمن حدود الدولة الاسلامية فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٢٤هـ ، وهى ثغر بلاد الديلم .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٤٢/٤-٣٤٣ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٤٦٥ .

(٥) العشر : هو عشر الزروع والثمار فى الأراضى المملوكة للمسلمين ، وقد حددت السنة ذلك فى الأراضى التى تسقى سيحا أو بالسماء – بغير مئونة – ففيها العشر ، أما ماتسقى بغروب أو دالية أو ساقية – أى بمئونة – ففيها نصف العشر . د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص/١٢٩ . =

غلاتهم في القصبة[1] ، فسار الى قزوين ودخلها ، وبنى جامعها "وابتاع بها حوانيت ومستغلات ، ووقفها على مصالح المدينة ، وعماره قبتها وسورها .. وصعد في بعض الأيام القبة التي على باب المدينة وكانت عاليه جدا ، فأشرف على الأسواق ، ووقع النفير في ذلك الوقت ، فنظر الى أهلها وقد غلقوا حوانيتهم ، وأخذوا سيوفهم وتراسهم وجميع أسلحتهم ، وخرجوا على راياتهم ، فأشفق عليهم وقال : هؤلاء مجاهدون يجب أن ننظر لهم ، واستشار خواصه في ذلك فأشار كل برأى ، فقال : اصلح مايعمل بهؤلاء أن يحط عنهم الخراج ، ويجعل عليهم وظيفة القصبة فقط ، فجعلها عشرة آلاف درهم في كل سنة مقاطعه "[2] .

= ذلك أن أهل قزوين أسلموا عندما توجه المسلمون لفتح أرضهم . انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٤٣/٤ .
والمعروف أن العشر من الزكاة التي فرضها الله على أموال المسلمين من خارج الأرض ، وهذا أمر لايملك أحد تخفيفه عمن يجب عليه ، وانما المقصود هنامايلزم الأراضي الزراعية التابعة لقزوين التي حازها المسلمون عنوة ثم فرضوا الخراج عليها والجزية على أهلها ، وربما كان مايلزمهم من خراج هو عشر غلاتهم كما هو حال الزكاة على المسلمين وهذا مايتضح من تكملة الرواية .

(١) القصبة : من أنواع المقاسات الاسلامية . وهناك نوعان منها القصبة الحاكمية وقد ذكر لها مقياسان أحدهما : ٧٧سم ، والآخر : ٥٧ر٧سم ، أما النوع الثاني فهو القصبة الهاشمية ومقياسها : ٦ر٣ أمتار تقريبا . د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج ص/٢٩٥ .
والراجح أن المقصود بالقصبة هنا هو الخراج المفروض على المنطقة التي تشتمل على مجموعة من القرى التابعة لقزوين ، ذلك أن القصبة تأتي بمعنى المدينة أو معظم المدن ، والقرية . انظر الفيروز ابادي : القاموس المحيط ص/١٦٠ .

(٢) معجم البلدان ٣٤٣/٤ .

وهناك عدة أعمال قام بها الرشيد ، تدل على اهتمامه بالاشراف على شئون دولته ، وانتباهه لكل مادق وجل بها[1] .

عهد الأمين :

في عهد الأمين يصعب على الباحث لأول وهلة معرفة وضع الادارة ، وحقيقة مشاركة الخليفة في تصريف شئون الدولة ، ذلك أن مطالعة روايات المصادر توضح لنا مدى تحزب المؤرخين ضد الأمين "لأن الذي يغلب على الكتاب والشعراء مناصرة الغالب والمبالغة بفضائله ، وذم المغلوب ، فهم يسمون الأمين "المخلوع" ويرمونه بكل قبيح ، يقول ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : "لم نجد للأمين شيئا من سيرته نستحسنه فنذكره"[2] . ويقول عنه الامام الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : "مبذر للأموال قليل الرأي ، كثير اللعب لايصلح للخلافة سامحه الله ورحمه"[3] ، وغير ذلك من الروايات التي تصفه باللهو واللعب والانهماك في اللذات ، وقبح السيرة وسوء التدبير[4] .

---

(١) قام الرشيد بعدة أعمال اصلاحية شملت تحصين حدود الدولة العباسية . انظر الأزدي : تاريخ الموصل ص/٣١٠ ياقوت : معجم البلدان ٣٨٨/٥ ، أبو الفداء : المختصر ١٢/٢ ، الحميري : الروض المعطار ص/٣٨٨،٢٠ ، د. عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ص/١١٣ ، د.رشيد عبد الله الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية – العصر العباسي الأول – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م ، ص/٦٩ وكذلك اهتمامه بأمر العطاء وجلوسه لذلك بنفسه واحضاره لدفاتر العطاء عندما حج سنة ١٨٦هـ . انظر الأزرقي : أخبار مكة ٢٣٢/١ .

(٢) د. عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ص/١٤٢-١٤٣ .

(٣) العبر ٢٥٤/١ . أيضا دول الاسلام ١٢٤/١ .

(٤) انظر : ابن طيفور : بغداد ص/٢٢ ، الطبري : تاريخ ٣٧٢/٨،٤٥٩،٥٠٨-٥٠٩ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٩٤/٣ ، التنبيه ص/٣٠٢ ، الأصفهاني : الأغاني ٨٢/٢٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٢/٦ ، الطرطوشي : سراج الملوك ص/١٣٣ ، ابن العمراني : الانباء ص/٨٩-٩٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٤٥،٢١٤ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٧٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢١/٢ ، الموصلي : محمد بن أبي بكر ابن علي بن عبد الملك (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ، روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان ، مخطوط ميكروفلم مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ١١٠٤ تاريخ لوحة ٩٥ .

في حين نجد بعض الروايات يكتنفها اضطراب واضح ، وتباين في وصف شخصية الأمين ، ومن ذلك ماذكره ابن طباطبا الذي وصف الأمين بقوله : "كان الأمين كثير اللهو واللعب منقطعا الى ذلك منشغلا به عن تدبير مملكته" . وينقل قول ابن الأثير سابق الذكر ، ثم يعقب على ذلك بقوله : "وقال غيره كان الأمين فصيحا بليغا كريما" (١) ، ويقول عنه السيوطي : ".. له فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة ، لكن كان سيء التدبير كثير التبذير ضعيف الرأي ، ارعن لايصلح للامارة" (٢) .

كما تؤكد المصادر أن الأمين أوكل الى وزيره الفضل بن الربيع مهمة تدبير شئون الدولة وابتعد بنفسه عنها ، ولعل الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) خير من وصف لنا ذلك حيث يقول : "لما أفضت الخلافة الى الأمين ، قدم الفضل عليه من خراسان ، وكان في صحبة الرشيد الى أن مات بطوس (٣) ، فأكرم الأمين الفضل ، وألقى أزمة الأمور اليه ، وعول في مهماته عليه .. وقلده أموره وأعماله ، وفوض اليه ماوراء بابه ، فكان هو الذي يولي ويعزل ، وتخلى محمد لتوديع يديه ، واحتجب عن الناس ، فلم يكن يقعد الا في الدهر .." (٤) .

---

(١) الفخري ص/٢١٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص/٢٧٦ . وقريب من ذلك ماذكره القرماني أخبار الدول ص/١٥٢ .

(٣) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ ، فتحت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . ياقوت : معجم البلدان ٤٩/٤ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٤٣/١٢-٣٤٤ .
والدهر : الزمان ويجمع على أدهر ودهور ، وقيل الدهر الأبد ، وقيل هو الزمان قل أو كثر ، كما يطلق على الفصول من السنة وأقل من ذلك ، ولكن اطلاقه على الزمن القليل مجاز ، انظر الرازي : مختار الصحاح ص/١٦٣ ، الفيومي : المصباح المنير ص/٧٧ ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ص/٥٠٥ . والمقصود تباعد مابين جلوسه لمباشرة مهام الخلافة .

ويورد ابن أعثم (ت نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م) نصا مشابها لنص الخطيب الى حد كبير ، الا انه يحمل معانى أكثر للتفويض حيث يقول : انه بعد وفاة الرشيد ، قدم الفضل بن الربيع على الأمين ففرح "به فرحا شديدا ، وقربه وأدناه ، وجعله وزيره وصاحب أمره وأعماله ، وفوض اليه ماوافى به (١) .. وكان الفضل ابن الربيع هو الذى يولى الأمور والولاه ويعزلهم ، ويرفع من أراد رفعه ويضع من أراد وضعه .. واحتجب الأمين فلم يكن يصل اليه احد ، ولايجلس للناس الا فى فرط (٢) ، وكان الفضل بن الربيع هو المتولى لجميع الأمور واسباب الملك وتدبيرها" (٣) .

ان الروايتين السابقتين - روايتا الخطيب وابن أعثم - توضحان حقيقة اشراف الأمين على شئون دولته ، حيث أشارتا الى احتجاب الأمين عن الناس وبعده عن ادارة دولته ، بحيث انه لايجلس الا فى "الدهر" أو فى "فرط" أى أنه نادرا مايجلس لمباشرة مهام الخلافة ، وأوكل الى وزيره الفضل بن الربيع النظر فى أمور الدولة ، وتدبير شئونها .

ويؤيد ذلك ماذكره ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م) الذى يقول : "لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين ولى الفضل ، وتفرغ محمد للهو والصيد والنزهة ، فكان لايخرج الا لصيد أو لنزهة ، فخرج ذات يوم .. فقال له اسماعيل بن صبيح وكان

---

(١) قدم الفضل بن الربيع على الأمين من خراسان بعد موت الرشيد ومعه الخزائن وبيوت الأموال والقضيب والخاتم . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٣٤/٢ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٤/١٢ .

(٢) الفرط : فرط فى الأمر قصر به وضيعه ، والأمر المجاوز فيه عن الحد ، والحين وان تأتيه بعد أيام ولايكون أكثر من خمسة عشر ولااقل من ثلاثة ، والمرة الواحدة من الخروج . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٨٧٩ . وهنا أيضا يقصد قلة جلوسه ومباشرته لمهام الخلافة .

(٣) الفتوح ٢٨٨/٨ .

كاتب سره : ياأمير المؤمنين ان قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خبثت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وكبر عندهم مايرون من احتجابك عنهم ، فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك ، فان في ذلك تسكينا لهم ، ومراجعة لآمالهم ، فجلس في مجلسه وأذن للناس عامة ، فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا ، والشعراء فانشدوا .." (١) .

وأيضا ماذكره الجهشياري الذي ينص على بعد الأمين عن الاشراف على شئون دولته مدة طويلة من الزمن ، مع الاشارة الى أن الأعمال كان لابد من عرضها عليه ليأمر فيها بأمره — كما جرت العادة في عهد من سبقه من خلفاء بني العباس — غير أن الأمين لم يكن يرغب في انجاز تلك الأعمال ، حيث يقول : "عزم الأمين يوما على الاصطباح (٢) ، وأحضر ندماءه والمغنين ، وصفت الموائد ، فلما ابتدأ ليأكل ، دخل عليه اسماعيل بن صبيح فقال : ياأمير المؤمنين هذا هو اليوم الذي وعدتني فيه أن تنظر في أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال ، وقد اجتمعت على أعمال منذ سنة لم تنظر في شيء منها ولم تأمر فيها ، وفي هذا دخول خلل في الأعمال ، فقال له محمد : ان اصطباحي لايحول بيني وبين النظر ، وفي مجلسي من لا أنقبض عنه من عمي وبني عمي واخوتي ، وهم أهل هذه النعمة التي يجب أن تحاط ، فاحضر ماتريد عرضه فاعرضه علي وأنا آكل ،

---

(١) ملحق كتاب الأغاني للأصفهاني ٢٥/٨٢-٨٣ . أيضا رواية مماثلة لابن أعثم : الفتوح ٨/٢٨٨-٢٨٩ .

(٢) الاصطباح : من الصبح : وهو الفجر أو أول النهار ، والصبوح : هو ماحلب من اللبن بالغداه ، وما اصبح عندهم من شراب ، واصطبح : أسرج وشرب الصبوح . انظر الرازي : مختار الصحاح ص/٢٦٥ ، الفيومي : المصباح المنير ص/١٢٦ ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ص/٢٩١ .

لاتقدم اليك فيه بما تحتاج اليه ، الى أن يرفع الطعام ، ثم أتم النظر فيما يبقى ، ولاأسمع سماعا أو أبرم الباقى ، وأفرغ منه . فحضر كتاب الدواوين بأكثر مافى دواوينهم ، واقبل اسماعيل بن صبيح يقرأ عليهم ، ومحمد يأمر وينهى بأحسن أمر ونهى وأشده ، وربما شاور من حوله فى الشىء بعد الشىء ، وكلما وقع فى شىء وضع بالقرب من اسماعيل بن صبيح ورفعت الموائد . ثم دعا بخادم له فناجاه بشىء أسره اليه ، فمضى ثم عاد ، فلما رآه نهض واستنهض سليم بن على وابراهيم ابن المهدى ، فما مشوا عشرة أذرع ، حتى أقبل جماعة من النفاطين (١) فضربوا تلك الكتب والأعمال بالنار" (٢) .

وعلى الرغم من أن الروايات السابقة جاءت مؤيده لبعضها البعض ، فاننا لانستطيع التعرف على حقيقة اشراف الأمين على شئون دولته الا من خلال مطالعتنا لمجريات الأحداث فى عهده ، وتدقيقنا فيما تذكره المصادر من روايات ، وعلى ذلك فانه من الممكن عرض هذا الموضوع من خلال تقسيمنا لمدة خلافة الأمين الى فترتين رئيسيتين :

(١) الفترة الأولى من سنة ١٩٣هـ حتى سنة ١٩٦هـ/٨٠٨ - ٨١١م وأهم أحداثها مايلى :

* تولية الأمين وزيره الفضل بن الربيع النظر فى جانب كبير من أمور الخلافة ، ومن ذلك تولية العمال وعزلهم (٣) .

---

(١) النفاطون : النفط : والكسر فيه أفصح ، وهو دهن معدنى سريع الاحتراق توقد به النار ، ويتداوى به . والنفاط على وزن فعال بالتشديد : رامى النفط لأنه حرفة ، كالخباز والنجار ، انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٤٩١ الفيومى : المصباح المنير ص/٢٣٦ ، الفيروز آبادى : القاموس المحيط ص/٨٩١ ، المنجد ص/٨٢٧ .

(٢) الوزراء ص/٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ٢٨٨/٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٣/١٢،٣٤٤ .

* احتجاب الأمين عن الجلوس للناس ، والنظر في الأعمال الا في أوقات متباعدة ربما امتدت الى سنة (١) ، وقد أثر ذلك على سير الأعمال نظرا لحرص كبار الموظفين على عرض أعمالهم عليه (٢) ، اسوة بما كان متبع من قبل مع من سبقه من الخلفاء .

* قيام الأمين شخصيا في أوقات متفرقة بالاشراف على بعض الأعمال الادارية الخاصة بالولاه والعمال ، ونتج عن ذلك عدة حالات تولية وعزل (٣) . وقد استخدم بعض طرق الرقابة لكى يتمكن من هذا الاشراف (٤) .

* خروج الأقاليم الشرقية من الدولة العباسية عن اشراف الأمين ، لوقوعها تحت سلطة أخيه المأمون ، وكان ذلك بناء على مانصت عليه الوثيقة التى كتبها الرشيد للأمين عندما بايع له بولاية العهد سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م ، فقد أخذ

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٠٨/٨-٥٠٩ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٨/٨،٢٨٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٩٩ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٣/١٢،٣٤٤ ، ابن منظور : ملحق الأغانى ٨٢/٢٥-٨٣ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) هناك أمثلة كثيرة على ذلك انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٣٤/٢،٤٣٥،٤٣٧،٤٣٨،٤٤٠،٤٤٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٦٨/٣ ، الطبرى : تاريخ ٣٧٣/٨،٣٧٤،٣٨٧،٣٨٨،٣٨٩،٤١٢، ٤٢٤،٤٣٠،٤٣٦،٤٤١ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٩٥/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨٩ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٦-٢٤٤ ، ١٣٣/١٢ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٣٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٣-١٧٥ ، أبو الفداء : المختصر ١٩/٢ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٥/٢ .

(٤) من طرق الرقابة التى أشير اليها في المصادر ، البريد حيث ذكر أن الأمين فور توليه الخلافة سنة ١٩٣هـ كتب الى أخيه المأمون أن يسمح له بتوجيه وال للبريد ليكتب اليه بخبره ، الطبرى : تاريخ ٣٨٠/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨٩ ، أيضا اعتمد على الأمناء وكان ذلك في أحداث سنة ١٩٥هـ أو ١٩٤هـ كما يذكر الأزدى ، الموصل ص/٣٢٢ ، أيضا في بعض الأوقات كان للتظلم دور في تحريك الرقابة والمساعدة على الاشراف ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٣ ، ابن حجر : رفع الاصر ٣٢٥/٢ .

الرشيد منه العهد باعطاء أخيه المأمون السلطة المطلقة على ماتحت يده من البلدان ، حيث جاء فيها : ".. فان حدث بأمير المؤمنين حدث الموت وافضت الخلافة الى محمد بن أمير المؤمنين ، فعلى محمد انفاذ ماأمره به هارون أمير المؤمنين في تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها .. من لدن الرى الى أقصى عمل خراسان ، فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاه اياها هارون أمير المؤمنين ، من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، مابين عمل الرى مما يلى همذان الى أقصى خراسان وثغورها وبلادها ، وماهو منسوب اليها ، ولايشخصه اليه ولايفرق أحدا من أصحابه وقواده عنه ، ولايولى عليه أحدا ، ولايبعث عليه ولاعلى أحد من عماله وولاة أموره بندارا (١) ولامحاسبا ولاعاملا ، ولايدخل عليه فى صغير أمره ولاكبير ضررا ، ولايحول بينه وبين العمل فى ذلك كله برأيه

---

(١) البندار : والجمع البنادرة ، تجار يلزمون المعادن ، أو الذين يخزنون البضائع للغلاء ، وبندار : محدث أو المرسى والمكلا . انظر الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٤٥٢ ، وهى كلمة فارسية ويطلق الآن على البلد الكبير يتبعه بعض القرى . انظر ابراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط ، دار الفكر بيروت ، لبنان (بدون) ٧١/١ ، وتذكر دائرة المعارف الاسلامية أن بندر كلمة فارسية معناها فرضه على البحر أو على نهر كبير ثم انتقلت الى عربية الشام ومصر وأصبحت تدل على مركز التجار أو تبادل النقود ، أو المصنع ، والشاهبندر فى الفارسية هو كبير التجار . انظر لجنة الترجمة ابراهيم زكى خورشيد وآخرون : دائرة المعارف الاسلامية أصدرها مجموعة من المستشرقين تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، كتاب الشعب الطبعة الثانية ١٩٦٩م ، ١٦١/٨ . والذى أراه من النص الذى ذكره الطبرى أن لايرسل الأمين الى ناحية المأمون من يأخذ الضريبة على التجار ، لأنه مستقل بادارة ناحيته لذا جاء فى النص "ولايبعث عليه محاسبا ولاعاملا" أى محاسبا على أموال الخراج .

وتدبيره " .[1]

* محاولة الأمين الاشراف على بعض البلدان الواقعة تحت ادارة أخيه المأمون ، واشعاره بأنه أحد عمال الدولة الذين يجب أن تصل أخبارهم اليه عن طريق عمال البريد ، حيث كتب اليه يسأله أن يتجافى له عن كور من كور خراسان ـ سماها ـ وأن يوجه العمال اليها من قبله ـ الأمين ـ "وأن يحتمل توجيه رجل من قبله يوليه البريد عليه ، ليكتب اليه بخبره فلما ورد الى المأمون الكتاب بذلك ، كبر ذلك عليه واشتد".[2]

* قيام المأمون فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م بقطع البريد عن الأمين "واسقط اسمه من الطرز[3] ، والضرب"[4] مستعيدا بذلك استقلاله بادارة البلدان الشرقية الواقعة تحت ولايته . وذلك عندما بلغه أن الأمين كتب الى جميع العمال فى الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالأمر بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٧٩/٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٣٨٠،٣٧٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٩٢،٢٨٩ ، ابن العمرانى : الأبناء ص/٨٩ .

(٣) الطرز : الهيئة ، والطراز بالكسر : علم الثوب ـ معرب وطرزه تطريزا : أعلمه ، فتطرز ، والموضع الذى تنسج فيه الثياب الجيدة ، والنمط ، وثوب نسج للسلطان . انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٢٩١ ، الفيومى : المصباح المنير ص/١٤٠-١٤١ ، الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/٦٦٢ ، والمقصود هنا العبارات الرسمية التى كانت تنقش على النسيج أو العملة أو غير ذلك من الأشياء ذات الطابع الرسمى ، اذ جرت العادة أن تتخذ كل دولة لنفسها طرازا أو عبارة متميزة كشعار خاص بها د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص/١٧٣ ، وقد عده ابن خلدون من شارات الملك والسلطان الخاصة به المقدمة ص/٢٥٧،٢٦٦ .

(٤) الضرب : الصنف ، ودرهم ضرب ، وصف بالمصدر ، الرازى : مختار الصحاح ص/٢٨٣ ، والمقصود هنا "السكة" المضروبة وهى الدنانير الذهبية ، والدراهم الفضية ، والفلوس النحاسية ، وماينقش عليها . د. عبد الرحمن فهمى محمد النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، توزيع دار القلم ، القاهرة ، طبع ١٩٦٤م ص/٧ .

ابن الرشيد ، وقيامه بعزل القاسم عما كان الرشيد ضم اليه من الأعمال واقدامه اياه الى بغداد .(١)

* لم يرض الأمين بما قام به أخوه المأمون من اسقاط اسمه من الطرز والضرب ، فأمر فى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م "باسقاط ماكان ضرب لأخيه عبد الله المأمون من الدنانير والدراهم بخراسان فى سنة أربع وتسعين ومائة ، لأن المأمون كان أمر الايثبت فيها اسم محمد - الأمين -" .(٢)

* فى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م "نهى الأمين عن الدعاء على المنابر فى عمله كله للمأمون والقاسم ، وأمر بالدعاء له عليها ثم من بعده لابنه موسى .. وسماه الناطق بالحق .. فبلغ ذلك المأمون فتسمى بامام الهدى" وبدأ الصراع المسلح بين الأمين والمأمون .(٣)

* ان المأمون بعد أن بلغه انتصار قائد جيوشه طاهر ابن الحسين على قائد جيوش الأمين على بن عيسى بن ماهان ، وبعد تأكده من اعطاء أهل خراسان الطاعة له ،قام بأخذ البيعة لنفسه بالخلافة وذلك فى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م .(٤) وبذلك خرجت الأقاليم الشرقية نهائيا عن ادارة الأمين .

* قيام الأمين بالاشراف على الأعمال الحربية منذ نشوب القتال بينه وبين أخيه المأمون ،(٥) حيث كان يولى القادة ،

---

(١) الطبرى : تاريخ ٣٧٥/٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٣٨٩/٨ . "وكان يقال لتلك الدنانير والدراهم الرباعية ، وكانت لاتجوز حينا " .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣٨٩/٨ ، انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/٢٩٠ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٤٣٧/٢-٤٣٨ ، انظر أيضا ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٦،٤٦٧ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٣٧/٢-٤٣٨ ، الطبرى : تاريخ ٣٨٩/٨، ٤١٢ .

ويوجههم وينصحهم (١) ، في حين ظلت الأعمال الادارية الأخرى تحت اشراف وزيره الفضل بن الربيع (٢) .

* بداية اضطراب البلدان على الأمين لقوة شوكة المأمون ، واهمال الأمين الاشراف عليها في السنين الأولى من خلافته ، ففي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م يقول الأزدي : "لما ضعف أمر السلطان وقلت الحماية ، اجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الهمذاني ليشرف على أمر البلد ويحوط أطرافه ، وكان الوالي من ولاه السلطان يلي منذ هذا الوقت الى انقضاء أيام بني الحسن ، فاذا رضوه أدخلوه وهم الغالبون على الأمر ، وكانت الفتنة في سائر البلدان طول أيام محمد بن هارون" (٣) . وفي سنة ١٩٦هـ/٨١١م يقول الأزدي أيضا : "والغالب على الموصل بنو الحسن الهمدانيون" (٤) .

ويذكر اليعقوبي مجموعة من الاضطرابات التي قامت في البلدان فيقول : في سنة ١٩٥هـ/٨١٠م "وثب بالشام رجل يقال له علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، يدعو الى نفسه ، فوجه اليه محمد الحسين بن علي بن ماهان فلما صار الحسين الى الرقه ، اقام ولم ينفذ اليه ، وتوفى داود بن يزيد المهلبي عامل السند فاستخلف ابنه ، ووثب مالك بن

---

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص/٣٩٦ ، اليعقوبي : تاريخ ٤٣٧/٢ ، ٤٣٩-٤٤٠ ، الطبري : تاريخ ٤٢٢/٨ ، في حين يذكر المسعودي اهمال الأمين الاشراف على شئون الحرب . مروج الذهب ٣٩٤/٣ ، ويشير في موضع آخر أن الأمين قام بتقسيم الأرزاق على جنده سنة ١٩٦هـ ، ٤٠٠/٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٩ .
(٢) انظر موضوع رقابة الوزراء من المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث .
(٣) تاريخ الموصل ص/٣٢٤ .
(٤) تاريخ الموصل ص/٣٢٦ . وقد أشار أيضا خلال تغلب بني الحسن الى عزل الأمين عمر بن مهران عن قضاء الموصل سنة ١٩٦هـ ، ص/٣٢٦ .

لبيد اليشكرى بالسواد فدعا للمأمون . وبلغ محمد بن أبى خالد القائد ، وكان شيخ قواد الحربية (١) والمطاع فيهم ، أن محمدا قد عزم على قتله والفتك به ، فجمع اليه أهل الحربية والأبناء (٢) ثم وثبوا بمحمد" فوجه اليهم الأمين وقامت بينهم حرب ، وهى أول حرب قامت ببغداد سنة ١٩٥هـ . "وكان عامل محمد بمصر حاتم بن هرثمة بن أعين ، فعزله وولى جابر بن الأشعث الخزاعى سنة ١٩٥هـ ، فلما قدم جابر بن الأشعث لم يدع للمأمون على المنابر كما كان يدعى بعد محمد ، فشغب الجند وقالوا : لاطاعة ؟ فاعطاهم عطاءين . وقدم يحيى بن محمد المدينى بكتاب المأمون فامتنع جابر بن الأشعث من البيعة له وأقام على طاعة محمد ، فوثب السرى بن الحكم البلخى ، وكان أحد قواد مصر ، وجماعة معه ، ودعوا الجند الى البيعة للمأمون ، ووعدهم رزق سنتين ، فأجابوا الى ذلك ، وأخرجوا جابر بن الأشعث من دار الامارة ، وصيروا مكانه عباد بن محمد وكان عباد خليفة هرثمة بن أعين فى البلد ، فدعا للمأمون بالخلافة فى رجب سنة ١٩٦هـ .. وكتب محمد الى رجل يقال له ربيعة بن قيس الحرشى بولاية مصر ، فجمع اليه أهل الحوف وغيرهم ، وقاتل عباد بن محمد وزحف اليه حتى صار الى قرب الفسطاط ، فكانت بينهم وقعات ، وغلب عبادا على البلد ،

---

(١) الحربيه : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ، تنسب الى حرب بن عبد الله البلخى ويعرف بالراوندى ، أحد قواد أبى جعفر المنصور ، وكان يتولى الشرطة ببغداد . ياقوت : معجم البلدان ٢٣٧/٢ .

(٢) الابناء : يتردد فى المصادر ذكر "الأبناء" من الجيش العباسى وأول ذكر لهم فى حوادث سنة ١٦٣هـ ، ويقصد بهم أبناء الدعوة العباسية ، وقد كانوا من العليه ، وكان عددهم كبيرا ، وهم من أهل خراسان وكانوا مقربين من الخلفاء . د. صالح العلى : بغداد مدينة السلام ١١٧/١-١١٩ .

الى أن وجه المأمون المطلب بن عبد الله الخزاعى عاملا على مصر ، وتوفى عبد الملك بن صالح بالرقة فى هذه السنة وهى ١٩٦هـ وكان عامل محمد بن هارون على الجزيرة وجند قنسرين والعواصم والثغور ، واضطرب البلد بعد وفاته ، وتغلب كل رئيس قوم عليهم ، وصار الناس حزبين : حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون ، فلم يبق بلد الا وفيه قوم يتحاربون لاسلطان يمنعهم ولايدفعهم " .(١)

* تغلب المأمون على مناطق واسعة خارج نطاق ولايته ، شملت فارس ومصر ، ومدن رئيسية فى العراق ، والجزيرة الفراتية ، اضافة الى ماسبق له الاستيلاء عليه من مناطق وأقاليم .(٢)

(٢) الفترة الثانية من سنة ١٩٦هـ حتى سنة ١٩٨هـ ٨١١ - ٨١٣م . وأهم أحداثها مايلى :

* احتجاب الوزير الفضل بن الربيع ، يقول الجهشيارى "لما رأى الفضل بن الربيع قوة أمر المأمون ، واتصال ضعف محمد ، وتخليطه وانفلال الناس عنه ، وتمزق الأموال التى كانت فى يده ، استتر فى رجب سنة ست وتسعين ومائة " .(٣)

---

(١) تاريخ ٤٣٨/٢-٤٤٠ ، انظر أيضا الكندى : الولاه والقضاه ص/١٤٨-١٤٩،١٧٠ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٤٠/٢ .

(٣) الوزراء ص/٣٠١-٣٠٢ . ويذكر الطبرى أن الأمين ظل على لهوه حتى بعد اختفاء الفضل بن الربيع وانه فى سنة ١٩٧هـ "وكل أمره الى محمد بن عيسى بن نهيك والى الحرشى ، أما الفضل بن الربيع فانه استتر وخفى أمره قبل أن ينتهى لهم الأمر الى هذا بزمان كثير" . تاريخ ٤٥٦/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٢/٦ . ويذكر الأزدى أن الفضل بن الربيع هرب لما تبين له فساد أمر الأمين وقام بعده بوزارة الأمين ابراهيم بن صبيح . أخبار الدول ص/١٥٣ . والراجح أن اسماعيل بن صبيح لم يتول الوزارة للأمين انظر موضوع رقابة الوزراء من المبحث الأول للفصل الثانى من هذا البحث .

* مباشرة الأمين للأمور بنفسه حيث أدرك بأنه كان مفرطا في أمره ، كما أدرك أن وزيره الفضل بن الربيع كان سببا في اغرائه بأخيه المأمون ، وماتبع ذلك من فتن وحروب ولكن بعد فوات الوقت ، واستفحال الضرر ، فقد ذكر أنه عندما رأى أن الأمر قد تولى عنه ، وأن أنصاره يتسللون فيخرجون الى طاهر بن الحسين ، قعد في الجناح الذي كان عمله على باب الذهب ، وأمر باحضار كل من كان معه في المدينة ، من القواد والجند ، فجمعوا في الرحبه ، فأشرف عليهم ، وقال في خطبة ألقاها سنة ١٩٨هـ/٨١٣م "... أما بعد يامعشر الأبناء ، وأهل السبق الى الهدى ، فقد علمتم غفلتي كانت أيام الفضل بن الربيع وزير علي ومشير ، فمادت به الأيام بما لزمني به من الندامة في الخاصة والعامة ، الى أن نبهتموني فانتبهت" (١) . غير أن المصادر لم تحتفظ لنا بشيء من اشراف الأمين على شئون دولته خلال هذه الفترة (٢) .

---

(١) الطبري : تاريخ ٤٩٣/٨ . وينقل د. عبد العزيز الدوري عدة روايات للدلالة على أن الأمين كان ذا شخصية سياسية ودهاء ، وأن مايفهم من الطبري أن الأمين كان يقضي الليالي الطويلة في النظر في شئون الدولة ، وهذا خصمه طاهر بن الحسين يقول انه ليس بضعيف ، ولكنه مخذول . العصر العباسي الأول ص/١٤٤-١٤٦ .

(٢) من الملاحظ أن خلافة الأمين كانت قصيرة ، وان هذا القسم من خلافته يمثل حوالي سنتين فقط ، لذا لم تهتم المصادر بذكر شيء من اشرافه على شئون دولته ، غير أن ماينبغي ذكره هو أن الأزدي يوضح في رواية له أن صاحب البريد كان أحد طرق الرقابة العامة في هذه الفترة حيث أشار الى حضوره مجلس الوالي ونقل مايجري فيه من أمور ، وذلك في أحداث سنة ١٩٧هـ . تاريخ الموصل ص/٣٢٦-٣٢٧ . وهذا خلاف دور البريد في الفترة الأولى التي أشير اليه في حينه . وتجدر الاشارة هنا الى أن بلاد افريقية ظلت تحت اشراف بني الأغلب الذين أصبحت ولايتهم وراثية فيهم منذ عهد الرشيد .

وخلاصة القول أن الأمين لم يباشر الاشراف على شئون دولته كما هو حال من سبقه من خلفاء بني العباس ، وانما عول في ذلك على وزيره الفضل بن الربيع فترة طويلة من خلافته ، وبعد اختفاء الفضل بن الربيع سنة ١٩٦هـ/٨١١م وادراك الأمين لتفريطه بدأ التصدي لمباشرة مهام الخلافة ، غير أن اشرافه كان خاصا بالأمور العسكرية لنشوب القتال بينه وبين أخيه المأمون ، الذي انتهى بالقضاء على خلافته ومقتله سنة ١٩٨هـ/٨١٣م .

عهد المأمون :

وعند دراستنا لموضوع الاشراف والتوجيه في عهد المأمون لابد لنا أيضا من تقسيم مدة خلافة المأمون الى فترتين رئيسيتين :

(١) الفترة الأولى من سنة ١٩٨هـ حتى سنة ٢٠٢هـ/٨١٣ - ٨١٧م وأهم أحداثها مايلي :

* اقامة المأمون بمرو بعيدا عن عاصمة ملكه بغداد (١) ، ولاشك أن وجود المأمون في مرو جعله تحت سيطرة القوى الفارسية ، التي كان يمثلها آنذاك الوزير الفضل بن سهل (٢) .

* استقلال الوزير الفضل بن سهل بالسلطة وتدبير شئون الدولة ، حيث فوض اليه المأمون أموره كلها (٣) ، وسماه :

---

(١) الطبري : تاريخ ٥٢٧/٨ .

(٢) لاشك أن الفضل بن سهل كان يمثل القوى الفارسية فهو ربيب البرامكة وقد اتصل بالمأمون عن طريقهم . انظر مبحث اختيار الوزراء في المبحث الأول من هذا الفصل . أيضا قول ابن طباطبا يصف وزارة آل سهل "كانت دولتهم في جبهة الدهر غرة وفي مفترق العصر درة ، وكانت مختصر الدولة البرمكية وهم صنائع البرامكة" . الفخري ص/٢٢٠ .

(٣) أشارت عدة مصادر الى مدى سلطة الفضل بن سهل انظر ذلك مفصلا في موضوع رقابة الوزير في المبحث الأول من الفصل الثاني لهذا البحث . وانظر أيضا مثالا على ذلك . اليعقوبي : تاريخ ٤٧٠/٢ ، الجهشياري : الوزراء ص/٣٠٥ المسعودي : مروج الذهب ٤١٧/٣ ، التنبيه ص/٣٠٤ ، الخطيب الاسكافي : لطف التدبير ص/٢٠١، ٢٠٢ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٣٤٠/١٢ ، ابن طباطبا : الفخري

ذا الرياستين - لتدبيره أمر السيف والقلم - (١) . وكان بيده أيضا تولية بعض العمال وعزلهم (٢) .

* قيام الوزير الفضل بن سهل بقطع أخبار الدولة عن المأمون (٣) ، وقد أدى ذلك الى ظهور كثير من الفتن فى الأمصار

---

(١) الخطيب : تاريخ ٢٤٠/١٢ ، وقيل فى معنى "ذو الرياستين" رياسة الحرب والتدبير ، وقيل رياسة الحرب والقلم ، وقيل الوزارة والسيف ، أو السيف والقلم . انظر الطبرى : تاريخ ٤٢٤/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٥ ، ابن خلكان : وفيات ٤١/٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢٠/٢ .

(٢) الأصفهانى : الأغانى ٥٠/١٩ ، ابن ظفر المكى : أنباء نجباء الأبناء ص/١٣٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٦٨/٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥٢٨/٨-٥٢٩ حيث قال : ان الناس بالعراق تحدثوا بينهم "ان الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه قد أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وانه يبرم الأمور على هواه ويستبد بالرأى دونه" . أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦-٤٢٠ ، العيون والحدائق ٣٤٦/٣ ، ويقول الثعالبى : بعد أن ذكر قيام الثورات "والأخبار اذ ذاك مطوية عن المأمون بسبب تحكم الفضل بن سهل ، وتحكم أصحاب البريد والأخبار" . تحفة الوزراء ص/١٩٨ ، ويقول الخطيب الاسكافى : "ان المأمون كان قد رفع الفضل بن سهل وبلغ من الغلبة عليه الغاية ، حتى لايصل الى المأمون من أخبار ملكه وأموره وخاصة أصحابه الا من اذن له الفضل" . لطف التدبير ص/٢٠١ ، كما يقول ابن طباطبا عن الفضل "قطع الأخبار عنه ومتى علم أن أحدا دخل عليه وأعلمه بخبر ، سعى فى مكروهه وعاقبه ، فامتنع الناس من كلام المأمون ، فانطوت الأخبار عنه" . الفخرى ص/٢١٨ ، وقد كان الفضل هو الذى ينظر فى خرائط الأخبار التى ترسل الى دار الخلافة ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٤٧/٢ ، وهناك صاحب خبر فى العسكر لايعلم يبلغ الفضل بما يحدث من أمور ، التنوخى : المصدر السابق ٣٤٩/٢ ، كما كان ولاة البريد يكاتبونه مباشرة بأخبار العمال ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٨ .
وتجدر الاشارة الى ماقام به هرثمة بن أعين من جهد حتى يبلغ المأمون بالأخبار المطوية عنه ، وأنه توجه الى خراسان وقال : "لاأرجع حتى ألقى أمير المؤمنين .. وأراد أن يعرف المأمون مايدبر عليه الفضل بن سهل ومايكتم عنه من الأخبار ، وألا يدعه حتى يرده الى بغداد دار خلافة آبائه وملكهم ، ليتوسط سلطانه ، ويشرف على اطرافه" . الطبرى : المصدر السابق ٥٤٢/٨-٥٤٣ ، مسكويه : المصدر السابق ٤٢٨/٦-٤٢٩ ، أبو الفداء : المختصر ٢٢/٢ .

المختلفة (١) .

(٢) الفترة الثانية من سنة ٢٠٢هـ حتى سنة ٢١٨هـ/٨١٧ - ٨٣٣م . وأهم أحداثها مايلي :

* شخوص المأمون من مرو قاصدا بغداد سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م ليرى مايحدث في دولته من أمور ، وذلك بعد أن أبلغ بحقيقة الوزير الفضل بن سهل ، ومايكتمه عنه من أخبار ، وفي هذه السنة أيضا كان مقتل الوزير الفضل بن سهل والتخلص من سلطته ونفوذه ، وقد ذكر الطبري ملخص هذه الأحداث بقوله : "ذكر أن علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي (٢) أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخوه ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وان أهل بيته والناس قد نقموا عليه أشياء ، وانهم يقولون انه مسحور مجنون ،

---

(١) تحدثت المصادر باسهاب عن الفتن التي قامت في الأمصار المختلفة لبعد المأمون عن الاشراف على شئون دولته . انظر : اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢-٤٤٥،٤٥٠-٤٥١ ، الطبري تاريخ ٥٢٧/٨-٥٣٦،٥٤٣-٥٤٤،٥٤٩،٥٥٤-٥٥٥،٥٥٧ ، الثعالبي تحفة الوزراء ص/٩٧-٩٨ ، الخطيب الاسكافي : لطف التدبير ص/٢٠١-٢٠٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٨/٦-٤٢٠، ٤٢٤-٤٢٧،٤٢٩-٤٣٠،٤٣٢،٤٣٦-٤٣٧ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ٣٢٠/٧ ، ٤٦٣/١٢-٤٦٤ ، ٨٢/١٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٢١/٢ ، ٢٦٩/٣-٢٧٠ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٥٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢١٧-٢٢٠ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٩٩-٢٠٠،٢٠٤، وقد تحدث الكندي عن أحداث الاضطرابات في مصر التي استمرت من سنة ١٩٩هـ الى سنة ٢١١هـ . انظر الولاه والقضاه ص/١٥٤-١٨٠ .

(٢) هو : علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق - أبو الحسن الملقب بـ"الرضي" ثامن الأئمة الاثنى عشر عند الامامية ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم ، ولد في المدينة المنورة ، وكان أسود اللون ، أمه حبشية ، أحبه المأمون فعهد اليه بالخلافة من بعده ، وزوجه ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وغير من أجله الزى العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر . مات بطوس ولم تتم له الخلافة وذلك سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م . الزركلي : الأعلام ٢٦/٥ .

وانهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه ابراهيم بن المهدى[(١)] بالخلافة ، فقال المامون : انهم لم يبايعوا له بالخلافة ، وانما صيروه أميرا يقوم بأمرهم ، على ما أخبره الفضل ، فاعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه ، وان الحرب قائمة بين ابراهيم والحسن بن سهل ، وأن الناس ينقمون عليك مكانه ، ومكان أخيه ومكانى ومكان بيعتك لى من بعدك ، فقال : ومن يعلم هذا من أهل عسكرى ؟ فقال له : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وموسى وعلى بن أبى سعيد – وهو ابن أخت الفضل – وخلف المصرى ، فسألهم عما أخبره ، فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ، ألا يعرض لهم فضمن ذلك لهم ، وكتب لكل رجل منهم كتابا بخطه ، ودفعه اليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن ، وبينوا ذلك له وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه فى أشياء كثيرة ، وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة[(٢)] ، وأن هرثمة انما جاءه لينصحه وليبين له مايعمل عليه ، وانه ان لم

---

(١) هو : ابراهيم بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور ، العباسى الهاشمى – أبو اسحاق – ويقال له "ابن شكله" الأمير أخو هارون الرشيد ، له أخبار كثيرة ، ولد ونشأ فى بغداد ،وولاه الرشيد امرة دمشق ، ثم عزله عنها بعد سنتين ، ثم أعاده اليها فأقام فيها أربع سنين ، ولما انتهت الخلافة الى المامون كان ابراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمامون للدعوة الى نفسه وبايعه كثيرون ببغداد فطلبه المامون فاستتر ، فأهدر دمه ، فجاءه مستسلما ، فسجنه ستة أشهر ، ثم طلبه اليه وعاتبه على عمله فاعتذر فعفا عنه ، وكانت خلافته ببغداد سنتين الا خمسة وعشرين يوما من ٢٠٢-٢٠٤هـ ، وتغلب على الكوفة والسواد ، والمامون بخراسان . توفى سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م . الزركلى : الأعلام ١/٥٩-٦٠ الخطيب : تاريخ بغداد ، ٦/١٤٢ .

(٢) كان هرثمة بن أعين قد عزم على ابلاغ المامون بما يستر عليه الفضل بن سهل من أخبار فذهب الى خراسان قاصدا مرو ، ولكن سعى الفضل به لدى المامون أدى الى فشل مهمته . انظر ذلك فى مبحث الوفود والأمناء من الفصل الثالث من هذا البحث .

يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وأن الفضل دس الى هرثمة من قتله ، وانه أراد نصحه ، وأن طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ما أبلى ، وافتتح ما افتتح ، وقاد اليه الخلافة مزمومة ، حتى اذا وطأ الأمر أخرج من ذلك كله ، وصير فى زاوية من الأرض بالرقه ، قد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره ، فشغب عليه جنده ، وانه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ، ولم يجترأ عليه بمثل ما اجترىء به على الحسن ابن سهل ، وان الدنيا قد تفتقت من أقطارها ، وان طاهر بن الحسين قد تنوسى فى هذه السنين منذ قتل محمد فى الرقه ، لايستعان به فى شىء من هذه الحروب ، وقد استعين بمن هو دونه أضعافا ، وسألوا المأمون الخروج الى بغداد فى بنى هاشم والموالى والقواد ، والجند لو رأوا عزتك سكنوا الى ذلك ، وبخعوا بالطاعة (١). فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل الى بغداد ، فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم ، فتعنتهم (٢) حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضا ونتف لحى بعض ، فعاوده على بن موسى فى أمرهم ، وأعلمه ماكان من ضمانه لهم ، فأعلمه أنه يدارى ماهو فيه . ثم ارتحل من مرو فلما أتى سرخس (٣) شد قوم على الفضل بن سهل وهو

---

(١) بخع : تأتى بعدة معان والمقصود هنا هو الاقرار والخضوع . انظر الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/٩٠٦

(٢) العنت : الوقوع فى أمر شاق ، والخطأ ، وهو مصدر من باب تعب ، وتعنته : أدخل عليه الأذى ، وأعنته : أوقعه فى العنت وفيما يشق عليه تحمله ، والزمه مايصعب عليه أداؤه . انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٣٣٨ ، الفيومى المصباح المنير ص/١٦٤ ، الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/٢٠٠ .

(٣) سرخس : مدينة قديمة من نواحى خراسان كبيرة واسعة ، وهى بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق . ياقوت : معجم البلدان ٢٠٨/٣ .

فى الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات ، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين" [١] .

* غضب المأمون من انطواء الأخبار عنه "وأمر أصحاب البريد أن يردوا عليه ولايحجبوا عنه من ذلك الوقت" [٢] .

* مباشرة المأمون لأمور الخلافة بنفسه ، وتصديه لمهامها ، منذ مقتل الفضل بن سهل ، وفى ذلك يقول اليعقوبى ان المأمون فى طريق عودته من مرو قاصدا بغداد "كان .. كلما مر ببلد أقام فيه حتى يصلح حاله وينظر فى مصالح أهله" [٣] .

* قدوم المأمون العراق فى سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م "وانقطاع مادة الفتن" [٤] . ويذكر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) ، مايفيد اهتمام المأمون بالاشراف على شئون دولته فور وصوله الى بغداد ، حيث يقول : "لما دخل المأمون بغداد أقام بالرصافة [٥]

---

(١) تاريخ ٥٦٤/٨-٥٦٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٤١/٦-٤٤٤ ، العيون والحدائق ٣٥٥/٣-٣٥٧ ، وانظر أيضا ابن طباطبا الفخرى ص/٢١٨-٢١٩ . فى حين نجد أن الخطيب الاسكافى يذكر أن الذى أبلغ المأمون بما ينطوى عنه من الأخبار زوجته التى كانت تقيم ببغداد ، وذلك عن طريق الحيلة لطف التدبير ص/٢٠٢-٢٠٣ . كما يذكر الثعالبى أن الذى أخبر المأمون بذلك جارية له كانت ببغداد . تحفة الوزراء ص/٩٨ .

(٢) الثعالبى : تحفة الوزراء ص/٩٨ .

(٣) تاريخ ٤٥٢/٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٥٧٤/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٤٧/٦ ، العيون والحدائق ٣٥٨/٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢١٨ أبو الفداء : المختصر ٢٥/٢ .

(٥) الرصافه : أكثر من موضع ، يقصد بها هنا رصافة بغداد بالجانب الشرقى ، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى واستتم بناءها ، أمر ابنه المهدى أن يعسكر فى الجانب الشرقى وأن يبنى له فيه دورا وجعلها معسكرا له ، فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور ، وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ وهى السنة الثانية من خلافته . ياقوت : معجم البلدان ٤٦/٣ .

الى أن بنى منزله على شط دجلة عند قصره الأول فانتقل اليه – وكان يسأل عن أمور الناس ومايصلحها " (١) ، ويقول حمزة الأصفهانى (ت ٣٦٠هـ/٩٧٠م) : "لما دخل المأمون بغداد سنة ٢٠٤هـ أصلح أعمالها" (٢) ، كما يصف ابن طباطبا حالة الاستقرار التى نعم بها المأمون بعد القضاء على الفتن التى قامت فى الأمصار بقوله : "ثم صفا الملك بعد ذلك للمأمون ، وسكنت الفتن ، وقام المأمون بأعباء الخلافة ، وتدبير المملكة ، قيام حزماء الملوك وفضلائهم" (٣) .

ومن خلال عرضنا للفترتين الأولى والثانية من خلافة المأمون ، نجد أن هناك تبايناً فيما بينهما من حيث الأخذ بالاشراف والتوجيه ، بين التفويض التام – تقريبا – فى الفترة الأولى ، ومباشرة الاشراف على شئون الدولة فى الفترة الثانية .

وقبل أن نتابع موضوع اشراف المأمون على شئون دولته ، بعد عودته الى عاصمة ملكه بغداد ، وعرض ملامح الاشراف والتوجيه فى هذه الفترة ، لابد لنا من معرفة بعض صفات

---

(١) بغداد ص/١٩ . وقد ذكر بعض الاصلاحات ، كما ذكر ذلك أيضا الطبرى : تاريخ ٥٧٦/٨ .

(٢) تاريخ سنى الملوك ص/١٦٧ .

(٣) الفخرى ص٢٢٠ . فلم يعد للوزراء الذين اختارهم المأمون نفوذ الفضل بن سهل ، باستثناء يحيى بن أكثم انظر موضوع رقابة الوزراء – المبحث الأول من الفصل الثانى من هذا البحث – . وقد كان المأمون هو الذى يولى ويعزل بعد عودته الى بغداد . انظر مثالا على ذلك ابن طيفور : بغداد ص/١٤٥،٢٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٥٥/٢، ٤٥٨-٤٥٩ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٣٢ ، وكيع : اخبار القضاه ١٣٠/٢ ، ١٩٠/٣ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٥٣، ٤٠٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٦٣/٦ ، الشابشتى : الديارات ص/١٤٨ ، الخطيب : بغداد ٥٢٢/٢ ، ٤١٣/٥ ، ٢٦٠/١٠، ٢٦١ ، ٢٦٣/١٢-٢٦٤ ، ١٣/٤-١٤ . وانظر أيضا مبحث الاختيار من هذا الفصل .

المأمون التى كان يتمتع بها ، اذ انها هى التى شكلت أسلوب ادارته وسياسته .

فالمصادر تصف المأمون بالخليفة المتيقظ (١) ، الذى يميل الى الحزم ويقول عنه السيوطى بأنه (٢) "أفضل رجال بنى العباس حزما وعزما ، وحلما وعلما ، ورأيا ودهاء ، وهيبة وشجاعة ، وسؤددا وسماحة" (٣) . كما يقول ابن طباطبا : "كان المأمون من افضل خلفائهم وعلمائهم ، وحكمائهم وحلمائهم ، وكان فطنا شديدا كريما" (٤) . ويقول ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) "كان المأمون أفضل خلفاء بنى العباس علما وحلما وبيانا وسياسة وجودا" (٥) . ويقول عنه المسعودى : انه كان "حسن التدبير ، جليل الصنائع ، لاتخدعه الأمانى ، ولاتجوز عليه الخدائع ، علمه بما بعد عنه من ملكه ، كعلمه بما حضره" (٦) .

والحق أنه لدى مطالعتنا لأخبار المأمون ، وتعرفنا على أسلوبه فى الادارة نجد أنه كان شديد الشبه فى ذلك بجده المنصور (٧) .

فقد كان المأمون يشرف على وزرائه ويعلم مايصدر عنهم من تصرفات ، فقد روى أنه استبطأ وزيره عمرو بن مسعدة فى

---

(١) انظر عن ذلك الجاحظ : التاج ص/١٧٠ ، ابن طيفور : بغداد ص/٥٨-١٣١،٥٩ ، ابن حمدون : التذكرة ٣٢١/١ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٥٥،١٥٢-١٥٠،١٤٩،١٤٤ ابن العمرانى : الأنباء ص/٩٧ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٥٧ ، الابشيهى : المستطرف ٨٨/١ ، القرمانى : أخبار الدول ص/١٥٣ .

(٢) ابن حمدون : التذكرة ٣٧٦/١ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص/٢٨٤ .

(٤) الفخرى ص/٢١٦ .

(٥) التذكرة ٤١٦/١ .

(٦) التنبيه والاشراف ص/٣٠٤ .

(٧) د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٦٦ . وذلك بعد عودته الى بغداد .

أشياء فقال : "أيحسب عمرو أني لا أعرف أخباره ومايجبى اليه ومايعامل به الناس ، بلى والله . ثم يظن أنه لايسقط على منه شيء ؟" . كما كان المأمون يتابع أعمال وزرائه (١) ، يقول الوزير أحمد بن أبي خالد : "كان المأمون اذا أمرنا بأمر فظهر من أحدنا فيه تقصير أنكره عليه" (٢) .

وقد كان المأمون على علم بأخبار ولاته على البلدان ، عن طريق ولاة البريد الذين كانوا يطالعونه بالأخبار أولا بأول (٣) . وكذلك من خلال مايكتبه به الأمناء (٤) من أخبار ، اضافة الى مايطلع عليه من سيرة الولاه أثناء جلوسه للمظالم ، وعرض الناس شكاياتهم عليه (٥) . غير أن المأمون كان يدقق في

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/١١٩ ، التنوخي : الفرج ٣١١/١ . انظر أيضا علمه بأخلاق وزيره أبي عباد ثابت بن يحيى . ياقوت : معجم البلدان ٥٤٠/٢ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ص/٧٨ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/٦٧،٧٤ ، اليعقوبي : تاريخ ٤٥٧/٢،٤٦٠،٤٦٧ ، الطبري : تاريخ ٥٩٤/٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٣١٧/٨-٣١٨ ، الشابشتي : الديارات ص/١٤٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٥٣/٦-٤٥٤ ، العيون والحدائق ٣٦٤/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٥٢١/٢،٥٢٢ .

(٤) فقد كانت كتب هؤلاء الأمناء تصل الى المأمون مع خرائط ولاة البريد . ولعل وصف المأمون لولاته ، ومعرفته لسيرتهم ، يدلنا على أن هناك أمناء ملازمين لهم ينقلون أخبارهم الى الخليفة وهم عيونه عليهم . انظر عن الأمناء : ابن طيفور : بغداد ص/٦٩،٨١-٨٢،٩٢،١٤٥ ، الطبري : تاريخ ٦١٥/٨-٦١٦،٦٢٧ ، ابن أعثم : الفتوح ٣١٩/٨-٣٢٠ ، الشابشتي : الديارات ص/١٣٦-١٣٧ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ٣٠٦/٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٦١/٦-٤٦٢ ، البيهقي : المحاسن ص/١١٥-١١٦،١٥٠ ، الظاهري : زبدة كشف الممالك ص/٨١ ، الابشيهي : المستطرف ٤٣/١-٤٤،٢٠٠،٢٤٠-٢٤٣ ، ابن حجة الحموي : الذيل الأول لكتاب المستطرف للابشيهي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، ٢٠٣/٢-٢٠٤ ، الأحدب : محمد بن ابراهيم بن الحجاج : الذيل الثاني لكتاب المستطرف للابشيهي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ٢٦٦/٢ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٤٠٦-٤٠٧ ، السهمي : تاريخ جرجان ص/٢٩١ .

تلك الأخبار[1] ، ومن ثم يرسل الى ولاته بالتوجيهات المناسبة[2] .

وقد كان المأمون يتعهد عماله بالتوجيه فور اختيارهم[3] اضافة الى مايرسل به اليهم من توجيهات بين الحين والآخر ، فقد كتب الى بعض ولاته "طالع كل ناحية من نواحيك وقاصيه من أقاصيك بما فيه استصلاحها"[4] .

كما أمر أخيه أبا اسحاق محمد بن هارون - المعتصم - ولى عهده بالكتابة الى اسحاق بن يحيى بن معاذ عامله على جند دمشق بتوجيه جاء فيه : "أما بعد ، فان أمير المؤمنين أمر بالكتابة اليك فى التقدم الى عمالك فى حسن السيرة وتخفيف المئونة وكف الأذى عن أهل عملك ، فتقدم الى عمالك فى ذلك أشد التقدمة ، واكتب الى عمال الخراج بمثل ذلك . وكتب الى جميع عماله فى أجناد الشام ، جند حمص والأردن وفلسطين بمثل ذلك"[5] .

---

(١) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/٥٤ ، الطبرى : تاريخ ٦٠٢/٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣٣٢/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤٣٤/٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٤٠ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٢٠ الأزدى : أخبار الدول ص/١٧٥ ، ابن دحيه : النبراس ص/٦٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص/٣٠٤ ، وقد كان المأمون يناظر أهل الشكوى حتى يصل الى حقيقة الأمر ، انظر ابن طيفور : بغداد ص/٥٢،٤١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٠٩،٣٥٤ ، المسعودى : المصدر السابق ٤٣١/٣ الكندى : المصدر السابق ص٤٤٠-٤٤١ ، البيهقى : المصدر السابق ص/٤٧٦،١٦٦-٤٧٧ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٢/١ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٥/٤-٢١٦ ، الثعالبى : آداب الملوك ص/٢ ، تحفة الوزراء ص/١٤٧ ، الشابشتى : الديارات ص/٣٧ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١،٤٣٩ ، البيهقى : المحاسن ص/١٦٦،٤٩٥،٥٠١ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٢ ، قوانين الوزارة ص/٧١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٢ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/٤٠-٤١ ، البيهقى : المحاسن ص/١٦٦ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٦/٤ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٦٤٦/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٦٦/٦ .

ولما علم المأمون بكتاب طاهر بن الحسين الذى كتبه لابنه عبد الله بن طاهر عندما ولى الرقة ومصر سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م ، والذى أوضح له فيه كيف يدير شئون ولايته ، دعا المأمون بالكتاب "وقرىء عليه ، فقال : ماأبقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة ، واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه ، وأوصى به وتقدم وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال" (١). وهذا يعد من التوجيهات الادارية التى حرص المأمون على امداد ولاته بها ، ليسيروا على منهاجها .

وقد كان الولاه يكتبون الى المأمون فى الأمور الهامة ، وينتظرون مايصدر اليهم من أوامر ، حيث كان المأمون يقرأ تلك الكتب بنفسه ، ويتخذ التدابير المناسبة تجاهها (٢).

وكان المأمون يخرج بنفسه الى البلدان التى يقع فيها بعض الاضطرابات (٣) ، لمعرفة الأسباب الدافعة الى قيامها ،

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٣٤ ، الطبرى : تاريخ ٥٩١/٨ ، ابن خلدون : المقدمة ٣١١/١ ، ابن الأزرق : بدائع السلك ٩٧/٢ . وكتاب طاهر بن الحسين يوجد نصه فى المصادر المتقدم ذكرها وهو كتاب طويل . وقد أعطى ابن خلدون خلاصة موجزة لفحوى الكتاب بقوله : أن أحسن ماكتب فى السياسة "كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر ومابينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه وأوصاه بجميع مايحتاج اليه فى دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية والشرعية والملوكية ، وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لايستغنى عنه ملك" . المصدر السابق ٣٠٣/١ ، أيضا ابن الأزرق : المصدر السابق ١٨٣/٢ ، وانظر الملحق الثالث من هذا البحث .

(٢) القيروانى : زهر الآداب ٨٩٣/٣-٨٩٤ .

(٣) محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ٢٣١/٢ . حيث يقول : "وقع للمأمون غير مره أنه كان يحف الى الأقطار التى تنشب فيها فتنة جديدة لايعتمد على رجاله على كثرة الصالحين منهم للعمل" .

فعندما انتقضت مصر بسبب جور العمال وظلمهم للناس[(١)] توجه اليها المأمون سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م واطلع على أسباب الفتن ، فقام بمعاقبة من تسبب في ظهورها ، ومن أعان عليها ، كما عمل على اصلاح أوضاع البلد[(٢)] ، ثم غادر مصر بعد أن أمضى فيها مدة تزيد عن شهر[(٣)] ، وأدرك أن حجب تصرفات العمال عنه هو سبب الثورات والفتن[(٤)] ، لذا فقد أثر عنه قوله : "ما انفتق على قط فتق في مملكتي الا وجدت سببه جور العمال"[(٥)] .

والذي يلفت النظر في ادارة المأمون ، أنه مع حرصه على أن يكون مشرفا على أعمال ولاته ، فانه منحهم صلاحيات تخولهم اضافة الى التولية والعزل محاسبة من يقع تحت ادارتهم من عمال[(٦)] .

---

(١) كثرت المشكلات في عهد المأمون في مصر خاصة قبل عودته الى بغداد ، انظر الكندي : الولاه والقضاه ص/١٥٤-١٨٠ في الفترة من ١٩٩-٢١١هـ . ثم استطاع عبد الله بن طاهر اعادتها الى حوزة الدولة العباسية وسلطة الخلافة غير أن الأوضاع لم تستقر بعد ذلك لنشوب الفتن مرة أخرى وذلك لسوء سيرة العمال في أهلها . انظر الكندي المصدر السابق ص/١٩٠-١٩٢ .

(٢) الكندي : الولاه والقضاه ص/١٩٢ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٦٦/٢ ، الطبري : تاريخ ٦٢٧/٨ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٩٢ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٦٢ ، ابن دحيه : النبراس ص/٦٠ ، ابن خلكان : وفيات ١٦٢/٦ .

(٤) انظر عن الفتن والثورات التي قامت بمصر من سنة ١٩٨هـ وحتى سنة ٢١٧هـ . اليعقوبي : تاريخ ص/٤٤٦،٤٥٦-٤٦١، ٤٦٤،٤٦٦ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٥٢-١٩٢ .

(٥) الطرطوشي : سراج الملوك ص/٣٩ ، ابن الجوزي : الشفاء ص/٣٠٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٣٠٣ .

(٦) انظر موضوع رقابة الولاه - المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث - أيضا لابد من الاشارة الى استمرار تولي بني الأغلب لبلاد افريقية ، واستقلالهم بادارتها ، مع ظهور سلطة بني طاهر خاصة في المشرق - خراسان ومايتبعها اداريا - وان كان عبد الله بن طاهر مارس سلطات واسعة ومنح نفوذا كبيرا على الأعمال التي تولاها في المشرق والمغرب ، انظر عن ذلك مبحث الاختيار من هذا الفصل ، موضوع اختيار الولاه .

وقد أولى المأمون اهتمامه بقادة جيوشه ، حيث كان على اتصال مباشر بهم ، فهو الذى يوليهم ويقوم بتوجيههم ومتابعة أخبارهم (١) ، وقد أتاح له خروجه بنفسه فى الغزوات أن يطلع على الاحتياجات الحربية من بناء الحصون ، وترتيب الجيوش فيها (٢) ، ويهتم بما يكتب به الجنود اليه من تظلمات (٣) ، كما كان يخرج فى الليل ليتفقد أحوال العسكر (٤) .

وكان للقضاه عناية خاصة لدى المأمون ، حتى انه عندما رأى رأيه فى مسألة خلق القرآن حرص على أن يكون القضاه أول من يلتزم بهذه المسألة ، وأرسل الى ولاته فى ذلك ، وتقدم اليهم باختبارهم فيما يعتقدون (٥) .

ومن مظاهر عناية المأمون بالقضاه واشرافه عليهم أنه كان يحرص على توليتهم بنفسه فى جميع البلدان (٦) ، والاهتمام بمقابلتهم (٧) ، كما كان يتقدم اليهم بالنصح والتوجيه عند اعطائهم عهود ولاياتهم (٨) ، يقول أبو حسان الزيادى انه لما أراد المأمون تقليده القضاء ، أدخله اليه فى يوم الموكب ،

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٥٦،٤٦٠-٤٦٤ ، الطبرى : تاريخ ٨/٥٨١،٦٣١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٢،٣٥٦،٣٥٨ .

(٢) د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٧١-١٧٣ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/١٠ .

(٤) ابن دحيه : النبراس ص/٤٨ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص/١٠٦ .

(٥) ابن طيفور : بغداد ص/١٨٢-١٨٣ ، الطبرى : تاريخ ٨/٦٣٣-٦٣٤ ، ابن أعثم : الفتوح ٨/٣٢١ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٦٣ .

(٦) انظر موضوع اختيار القضاه ـ المبحث الأول من هذا الفصل .

(٧) ابن خلكان : وفيات ٢/٤١٩ .

(٨) هو الحسن بن عثمان بن حماد ـ أبو حسان ـ الزيادى ، سمع الحديث وروى عنه ، كان أحد العلماء الأفاضل من أهل المعرفة ، والثقة والأمانة ، توفى فى عهد المتوكل سنة ٢٤٢هـ .
انظر الخطيب : تاريخ ٧/٣٥٦-٣٦١ .

وأوقفه مع القضاه ، ثم أخرج اليه عهدا وقال له : ".. هذا عهدى اليك .. فاتق الله " .(١)

وقد كانت أخبار القضاه تصل الى المأمون عن طريق عمال البريد الذين كانوا يحضرون مجالسهم(٢) ، وكذلك عن طريق الأمناء(٣) ، ومن خلال مايرفع عليهم من شكايات(٤) وماتنقله الوفود من اخبار عن قضاة بلدانهم(٥) .

كما كان المأمون يباشر بنفسه الاشراف على كتابه وولاة الدواوين ، حيث كان يسأل عن أخلاق كتابه ويختبرهم ليتأكد من صحة ماينسب اليهم(٦) ، ومن مظاهر اشرافه على أمور الدواوين أنه أمر "ألا يستعان بأحد من أهل الذمة على شئ من أعمال المسلمين"(٧) . كما كان يقوم بجولات فى دواوين العاصمة يطلع على أمورها بنفسه(٨) .

وكان المأمون يشرف على أمور الخراج ، وكان نتيجة ذلك أن خفف مقدار النسبة التى كانت تؤخذ من(٩) أهل الخراج ، وفى

---

(١) التنوخى : نشوار المحاضرة ٢٣٩/٢ .
(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٤٤-٤٤٥ .
(٣) البيهقى : المحاسن والمساوئ ص/١٥١ .
(٤) الخطيب : تاريخ ٨١/٧ .
(٥) ابن الجوزى : أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى فى دار آفاق الجديدة ، بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص/١٠٣ ، مع ملاحظة أن الرواية وان دلت على سؤال المأمون للوفود عن قضاتهم ، فانها اشتملت على معلومات لايمكن تصديقها
(٦) البيهقى : المحاسن والمساوئ ص/٤٧٦-٤٧٧ .
(٧) ابن عبد البر : بهجة المجالس ٣٥٩/١ . وقد جرى استخدام أهل ذمة مرة أخرى بعد أن أقصاهم المنصور كما سبقت الاشارة ، فى عهد المهدى والرشيد لاسيما فى عهد الأمين حيث ولاهم على أعمال ادارية كثيرة . انظر عن ذلك د. شفيق جاسر أحمد محمود : تاريخ القدس ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص/٢١٧-٢١٨،٢٢١ .
(٨) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/١٤ ، الشابشتى : الديارات ص/٦٠-٦١ ، القيروانى : زهر الآداب ٥٩٤/٢ ، البيهقى : المحاسن والمساوئ ص/٤٣٧ .
(٩) د. عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص/١٨٢

ذلك اصلاح لحالهم ، ونفع لهم ، كما كانت ترفع الى المأمون أخبار عمال الخراج ، ومايصدر عنهم من تصرفات (١) .

وقد كانت أخبار أصحاب الحرس تصل الى المأمون بانتظام (٢) حيث كان للبريد دور رئيسى فى اطلاع المأمون بما يجرى فى دولته من أحداث (٣) .

عهد المعتصم :

لما تولى المعتصم الخلافة كان لطبيعته العسكرية دور فى أن يركز على الجانب العسكرى ، فهو يمدح كرجل حرب قدير (٤) ، كما وصف بالعقل (٥) وسداد الرأى (٦) .

---

(١) كان أصحاب البريد يرفعون أخبار عمال الخراج ، الجاحظ المحاسن والأضداد ص/٥٤ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٢٠ ، أيضا يعرف مايصدر عنهم من تصرفات عن طريق التظلم ، وكيع : أخبار القضاه ٢/١٧٣-١٧٤ .

(٢) سواء عن طريق عمال البريد ، انظر ابن طيفور : بغداد ص/٤١ ، أو عن طريق التظلم والاستعداء ، انظر الشابشتى الديارات ص/٣٧ .

(٣) لقد كان البريد ينقل للمأمون اخبار جميع مايجرى فى بغداد من أمور ، انظر ابن طيفور : بغداد ص/٤٢،٤٣ ، وكذلك يقوم البريد بنقل مايجرى فى الآفاق من أحداث ، يقول ابن خلكان : كان للمأمون على كل شىء صاحب خبر . وفيات ١٧٩/٦ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٤٦٠/٣ ، التنبيه ص/٣٠٧ ، القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٩ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٣٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦١-١٦٢ .

(٥) القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ .

(٦) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٩ . أما ماأثير حول وصف المعتصم بالأمية ، حتى أن د. عبد العزيز الدورى يقول عنه : "كان جنديا شجاعا مدربا فى الحروب ، يعتز بقوته الجسمية ، الا أن ثقافته كانت محدودة ، ولعله لم يكن سياسيا بارعا" . فهو "قائد عبقرى الا أنه ليس بسياسى قدير" . العصر العباسى الأول ص/١٧٧،٢٠٢ . وهذا شىء فى رأيى مبالغ فيه ، وقد روى عن أبى القاسم الزجاجى أنه قال ردا على وصف المعتصم بالأمية : "هذا شىء يحكى من غير رواية صحيحة الا أن جملته أنه كان ضعيف البصر بالعربية" . القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ وهذا ماتؤيده حادثة عزل أحمد بن عمار عن الوزارة وتولية محمد بن عبد الملك الزيات ، التى سبقت الاشارة اليها .

ولما كان المعتصم مهتما بالجيش وحسن ادارته ، فقد جاءت روايات المصادر مسهبة فى وصف هذا الجانب من ادارته (١) ، كما يتضح من سردها للأحداث أنه جعل اهتمامه خاصا بالاشراف على الأعمال الحربية ، حيث سخر طرق ووسائل الرقابة لاطلاعه على ما يجرى فى هذا الجانب من ادارته من أحداث (٢) .

أما مايخص الجوانب الادارية الأخرى ، فان المعتصم قد اعتمد كثيرا على وزرائه فى تصريف شئونها ، حيث منحهم صلاحيات كبيرة (٣) ، اضافة الى ذلك النفوذ الذى تمتع به قادة الجيوش من الأتراك ، الذين كانوا يتولون عدة أعمال فى الدولة يمارسون فيها سلطات واسعة (٤) ، وكذلك دور قاضى القضاه

---

(١) لقد أوردت المصادر اهتمام المعتصم بالاشراف على الشئون الحربية فى دولته ، واستخدامه الأتراك فى الجيش واعتماده عليهم . وهذا مايتضح من خلال قراءتنا لتاريخ فترة خلافته .

(٢) انظر الفصل الثالث من هذا البحث الخاص بطرق ووسائل الرقابة . وقد تطور فى عهد البريد الذى يعد أهم وأسرع طريق للرقابة الادارية .

(٣) تحدثت المصادر عن سلطة أول وزراء المعتصم "الفضل بن مروان" . انظر الطبرى : تاريخ ٩/١٩-٢١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٢٤ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٧٩، ٤٨١ ابن خلكان : وفيات ٤/٤٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٢ ، أبو الفداء : المختصر ٢/٣٣ . حيث وصف بانه كان مستوليا على جميع أمور المعتصم . أما الوزير التالى أحمد بن عمار فكان أقل سلطة . انظر المسعودى التنبيه ص/٣٠٨ ، فى حين وصف ابن خلكان آخر وزراء المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات بأن المعتصم "حكمه وبسط يده" المصدر السابق ٥/٩٥ ، انظر أيضا عن عظم منزلته لدى المعتصم ، التنوخى : نشوار ٨/١٧ ، ابن طباطبا : المصدر السابق ص/٢٣٤ ، الابشيهى : المستطرف ١/١٠٥ .

(٤) انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥ ، الطبرى : تاريخ ٩/١١، ١٠١-١٠٢، ١١٤-١١٥، ١٦٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٥-١٩٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٥/٤٧ ، ابن خلدون : المقدمة ص/١٥٥ ، وانظر أيضا د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٧٧/١٧٩ ، د.توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/١١٩، ١٢٧ . وتجدر الاشارة الى استمرار تسلط بنى الأغلب على ولاية افريقية وتوارثهم لها ، وأيضا توارث بنى طاهر لولاية خراسان ومايتبعها اداريا ، انظر مبحث اختيار الولاه من هذا الفصل .

أحمد بن أبى دؤاد ونفوذه الكبير ، حيث أشير الى أنه بلغ منزلة تفوق منزلة الوزراء .(١)

والحق أن المعتصم لم يكن بعيدا تماما عن الاشراف على شئون دولته الأخرى ،(٢) ولكن كما أسلفنا فانه ركز فى ادارته على الجيش والاهتمام به أكثر من غيره .

عهد الواثق :

لما تولى الواثق الخلافة زاد من سلطات الوزير ، حيث جعله يشرف على عدة أعمال ادارية فى الدولة ،(٣) اضافة الى

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٧٨/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤٥٩/٣ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٢/٣ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/١٠٧ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/١، ٨٦ ، ابن خلدون : المقدمة ص/٢٢٢ .

(٢) ذكرت المصادر اشراف المعتصم على ولاته وقادته أيضا عن طريق عمال البريد ، الطبرى : تاريخ ١٠٢/٩، ١٠٤-١٠٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥١٦/٦-٥١٧ ، التنوخى : نشوار ١٩١/٧ ، وينقل أيضا موقف الرعية من الولاه ، اليعقوبى تاريخ ٤٧٥/٢ ، اضافة الى جلوسه للناس جلوسا عاما فى يوم يعرف بيوم الموكب ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٨/٢ ، كما أن المعتصم كان يتدخل فى ادارة الولاه اذا اتخذوا قرارات خاطئة ، اليعقوبى : المصدر السابق ٤٧٥/٢ ، أضف الى ذلك اختياره لولاته وقضاته بنفسه ، انظر هذا الموضوع فى مبحث الاختيار من هذا الفصل . أيضا أشير الى شىء من توجيهه حيث جاء فى العهد الذى كتبه بين يديه الوزير ابن الزيات ، عندما ولى ابنه الواثق مكة المكرمة ".. فعليك بتقوى الله تعالى والتوسعة على أهل بيته" . القيروانى : زهر الآداب ١٠٩٧/٤ . كما أشير الى أن المعتصم عندما تحول الى عاصمته الجديدة سامراء سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م نقل اليها الدواوين وأنشأ بها بيت المال الجديد ، ودواوين الدولة ، ودار العامة . انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م . أيضا د. رشيد الجميلى : دراسات فى التاريخ ص/١٠٢ ، نقلا عن اليعقوبى : البلدان ص/٢٥ ، فنقل الدواوين يؤدى الى قربها ومن ثم امكانية الاشراف عليها ، أما دار العامة فقد أشير الى جلوس المعتصم بها يومى الاثنين والخميس ومن خلال ذلك يطالع تظلمات الرعية من العمال .

(٣) نظرا لكفاءة الوزير ابن الزيات رفع الواثق منزلته ، انظر ابن العمرانى : الأنباء ص/١١٧ ، ابن خلكان : وفيات ٨٥/١ ، ١٠٢/٥ ، فأصبح يولى ويعزل العمال ، انظر الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/٢٠٣ ، حتى أصبح =

ذلك النفوذ الذى كان لقادة الجيوش من الأتراك الذى نافسوا به الوزير [١] ، هذا مع احتفاظ قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد بالسلطات التى كان يتمتع بها منذ عهد المعتصم [٢] .

والحق أن هذا التسلط على أمور الخلافة من قبل الوزير وقادة الجيوش من الأتراك ، وقاضى القضاة ، يجعلنا نقول ان الواثق لم يكن له دور سياسى أو ادارى بارز كسابقيه من خلفاء بنى العباس ، حيث توسع فى اعطاء السلطات لاسيما

= يعين الولاه التابعين للادارة المحلية للعاصمة وهى سابقة تاريخية نبه اليها الطبرى : تاريخ ١٤٠/٩ ، وربما نظر الوزير فى المظالم ، الطبرى : المصدر السابق ١٤١/٩ ، الأصفهانى : الأغانى ٦٦،٥٢/٢٣ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٥/١ .
وعن سلطاته بوجه عام يقول ابن طباطبا عن ابن الزيات ان الواثق "استوزره وقدمه وفوض الأمور اليه" الفخرى ص/٢٣٤ ، وانظر عن سلطاته أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٨٣/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤٧٨/٣ ، الأصفهانى : المصدر السابق ١٠٠/١٢ ، ٣٧٤/١٣-٣٧٥ ، ابن العمرانى : المصدر السابق ص/١١٦ .

(١) يقول الأصفهانى : "كانت الخلافة فى أيام الواثق تدور على ايتاخ وعلى كاتبه سليمان بن وهب وعلى اشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب" . الأغانى ٢٨٣/٢ . وقد تولى كل من ايتاخ واشناس أعمالا كثيرة فى عهد الواثق كما تولى غيره من قادة الجيوش الأتراك بعض الولايات ، انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٩/٢-٤٨١ ، الطبرى : تاريخ ١٢٨/٩، ١٤٠، ١٥٠، ١٦٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٢/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٦-١٩٧ . وانظر أيضا المبحث الأول من هذا الفصل مكوضوع اختيار الولاه .

(٢) يقول المسعودى : ان الواثق "غلب عليه أحمد بن أبى دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لايصدر الا عن رأيهما ، ولايعتب عليهما فيما رأياه ، وقلدهما الأمر وفوض اليهما ملكه" . مروج الذهب ٤٧٨/٣ ، وعن منزلة ابن أبى دؤاد انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٨٣/٢ ، كما أضاف اليعقوبى شخصية أخرى لها نفوذ هو عمر بن فرج الرخجى ، انظر أيضا عن ابن أبى دؤاد وتسلطه الخطيب : تاريخ ١٨/١٤ ، واشار الى أنه كان ينظر فى المظالم ١٤٦/٤ ، أيضا انظر ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ ، ١٤٦/٤ ، وقد شارك ابن ابى دؤاد الخليفة فى اختيار القضاه ، انظر وكيع : أخبار القضاه ١٧٥/٢ ، الخطيب : المصدر السابق ١٤٧/٤ ، ابن خلكان : المصدر السابق ٣٩٨/١ .

لقادة الجيوش ، حتى ان السيوطى يقول : ان الواثق "فى سنة ثمان وعشرين ـ ومائتين ـ استخلف على السلطنة اشناس التركى والبسه وشاحين مجوهرين ، وتاجا مجوهرا ، وأظن أنه أول خليفة يستخلف سلطانا ، فان الأتراك انما كثروا فى أيام أبيه " .(١) (٢)

ومع أن بداية تدخل هذه القوى مجتمعه كان منذ عهد المعتصم ، الا أن بعد الواثق عن الاشراف على شئون دولته ، أتاح لهم ممارسة سلطات تفويضية أكبر .(٣)

---

(١) الوشاح : بالكسر شىء ينسج من أديم ـ جلد ـ عريضا ويرصع بالجواهر .
الفيومى : المصباح المنير ص/٢٥٣، الفيروزابادى: القاموس المحيط، ص/٣١٥.

(٢) تاريخ الخلفاء ص/٣١٥ .

(٣) هذا مايتضح من خلال قراءتنا لتاريخ خلافته ، غير أن بعض الباحثين جعل الواثق "نكرة من نكرات السياسة والادارة" . انظر شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٤١٨/٢ حيث انه أخذ برأى بعض المستشرقين وناصره ، ونحن لانخرج الواثق من دائرة خلفاء بنى العباس الأول الأقوياء ، فلم يكن عهده مماثلا لعهد خلفاء بنى العباس بعد مقتل المتوكل ، الذى كان قادة الأتراك هم المسيطرون على زمام الأمر والخليفة يستمد قوته منهم وتنصيبه وبقاءه عن رأيهم ، أما الواثق فانه هو الذى منح قادة جيوشه هذه السلطات ، فهو مصدر السلطة فى هذه الحالة .
وليس لدينا معلومات تفصيلية توضح لنا حقيقة اشراف الواثق على شئون دولته سوى بعض الروايات التى يفهم منها انه كانت ترفع اليه اخبار وتصرفات عماله . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥٠/٤ ، الأصفهانى : الأغانى ٤٢٣/١٦ ، الخطيب : تاريخ ١٤٦/٤-١٤٧ ، الطرطوشى : سراج الملوك ص/٢١٩ ، ابن دحيه : النبراس ص/٧٧-٧٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣٩٧/١-٣٩٨ ، والحق أن محاسبة الواثق لعماله تعطينا دليلا على أنه كان يشرف بين الحين والآخر على عماله . بل اننا نجد بعض الروايات التى تصف الواثق بالحزم والتشبه فى أموره بعمه المامون ، وحرصه على تفقد أحوال الرعية ، انظر المسعودى : مروج الذهب ٤٧٧/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٤ ، القرمانى : أخبار الدول ص/١٥٧ . وتجوز الاشارة هنا الى استمرار خروج ولاية افريقية عن دائرة اشراف الواثق لاستقلال بنى الأغلب بادارتها ، وكذلك الحال بالنسبة لبلاد خراسان وماتبعها اداريا ، حيث استمر ثورات بنى طاهر لولايتها .

عهد المتوكل :

لما تولى المتوكل الخلافة بذل محاولات عده لكى يجعل السلطات كلها فى يده ، بعد أن استأثر بها الوزير وقادة الجيوش - الأتراك - وقاضى القضاه ، ولكن على الرغم من براعة محاولات المتوكل السياسية ، فانه لم يستطع أن يتغلب على عوامل الضعف فى دولته التى خلفها له أخوه الواثق .(١)

لقد بدأ المتوكل بالحد من سلطة الوزير فقام بعزل وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بعد توليه الخلافة بأربعين يوما (٢) ولم يتخذ له وزيرا بعد ابن الزيات وانما اتخذ كاتبا (٣) ثم لم يلبث أن اختاره له وزيرا لفترة قصيرة ، لم تذكر المصادر مدى سلطته (٤) ، ثم أراد المتوكل أن يباشر بنفسه الاشراف على شئون الدواوين ورأى أن لايولى أحدا على الوزارة (٥) .

والحق أن المتوكل لم يستطع الاستغناء كليا عن وزير يعينه على تحمل مسؤوليات الخلافة ، لذا نجده يأمر أن يبحث

---

(١) د. شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ٤٢٢/٢ .

(٢) انظر مبحث اختيار العمال من هذا الفصل . موضوع اختيار الوزراء .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٧ ، حيث يقول : "استكتب رجلا من كتابه يدعى أبا الوزير من غير أن يسمه بالوزارة ، فكتب له مديدة يسيرة ثم نكبه" .

(٤) وهو الوزير محمد بن الفضل الجرجرائى ، انظر موضوع اختيار الوزراء من المبحث السابق ، ومبحث رقابة الوزير من الفصل التالى .

(٥) التنوخى : نشوار المحاضرة ٥٣/٨ ، حيث ذكر أن المتوكل "لما صرف محمد بن الفضل الجرجرائى عن وزارته قال : استغنيت عن وزير لأن أصحاب الدواوين يعرضون أعمالهم على ، والتاريخ يجعل باسم وصيف التركى ، فأجرى الأمر على ذلك منه .." . كما يقول فى موضع آخر ان وصيفا انتصب منصب الوزارة وان لم يسم بها ١٣/٨ .

له عن كاتب ينظر معه في بعض المهام الخاصة (١) ، فوقع اختياره على عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الذى استطاع كسب ثقة المتوكل حتى ولاه الوزارة (٢) ، وأعطاه سلطات تفويضية واسعة ، يقول اليعقوبي عن منزلة ابن خاقان : ان المتوكل "رفعه وأعلى مرتبته ومحله ، وولاه وأمر أن يكتب : مولى أمير المؤمنين – وكان ولاؤه في الأزد – وأمر أن يأمر كتاب الدواوين أن يؤرخوا الكتب باسمه فاستعفاه من ذلك ، غير انه كان يولى عمال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاه في جميع الدنيا ولم يكن لأحد معه عمل ، وكان مع ذلك محمودا عند الناس ، وصير أباه على المظالم ثم مات فصير مكانه عمه عبد الرحمن" (٣) .

لقد منح ابن خاقان سلطات كبيرة ، حيث كانت اليه الوزارة وعامة أعمال المتوكل (٤) ، وقد كان يختار العمال ويشرف على الدواوين وأمور الجند (٥) .

أما محاولات المتوكل القضاء على سلطة قادة الجيوش من الأتراك الذين كانوا مستولين على أعمال كثيرة في الدولة

---

(١) التنوخي : نشوار ٨/١٢-١٣ ، حيث يقول : "طلب المتوكل لحدث من أولاد الكتاب يوقع بحضرته في الأبنية والمهمات لأنه كان قد أسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائي ، واقتصر على أصحاب الدواوين وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم عليه .." ، ويقول أيضا : ان المتوكل "احتاج الى كاتب يكتب بين يديه في الأبنية والتوقيعات في المهم الذى يأمر به من حضرته فيها ، وفي غيرها الى أصحاب الدواوين وغيرهم" . ٨/٥٣

(٢) التنوخي : نشوار ٨/١٤-١٥،٥٣ .

(٣) تاريخ ٢/٤٨٨-٤٨٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٩/٢١٥ . ويقول ابن مسكويه : "كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والأمور منوطه اليه" . تجارب الأمم ٦/٥٥٢ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ ٢/٤٨٨-٤٨٩ ، الطبرى : تاريخ ٩/٢١٧ التنوخي : نشوار ٨/١٥-١٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ .

لاسيما ايتاخ حيث يذكر الطبرى أنه "لما ولى المتوكل كان ايتاخ فى مرتبته اليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالى ، والبريد والحجابة ، ودار الخلافة " . (١)

لقد استطاع المتوكل أن يتخلص من أعنف تسلط للقادة الاتراك بعد مقتل ايتاخ سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م (٢) فقام بتقسيم ولايات الدولة بين أبنائه الثلاثة ـ المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد (٣) حيث منح كل واحد منهم حرية الاشراف على البلدان التابعة لادارته (٤) . كما جعل لابنه المعتز أيضا ـ مع مايليه من مناطق "خزن بيوت الأموال ودور الضرب" (٥) .

أما مايخص سلطة قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد فانها لم تدم طويلا ، ذلك أنه فى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م ـ فى أول خلافة المتوكل ـ أبعد عن منصبه لعجزه عن القيام بعمله لاصابته بمرض أقعده (٦) .

---

(١) تاريخ ١٦٧/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٢/٦ ، وكان ايتاخ تولى ماكان لاشناس التركى من الولايات التى كان قد ولاه اياها الواثق ، وكانت تشمل جميع أعمال المغرب ابتداءا من بغداد الى آخر عمل المغرب . وكان تولى ايتاخ لأعمال اشناس اثر وفاة اشناس سنة ٢٣٠هـ . انظر مبحث الاختيار ، موضوع اختيار الولاه .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦٧/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٣/٦-٥٤٥ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٧٥/٩-١٧٦.

(٤) كان أبناء المتوكل نوابا عنه فى ولاياتهم يقوم كل واحد منهم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها وله من الصلاحيات ماله . انظر ذلك مفصلا لدى الطبرى : تاريخ ١٧٧/٩-١٧٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ١٧٦/٩ . وهذا مع ملاحظة استمرار بنى الأغلب فى ولايتهم لبلاد افريقية وكذلك استمرار آل طاهر فى ولايتهم لخراسان ومايتبعها اداريا .

(٦) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣، ٣٢٤ .

وعلى الرغم من أن المتوكل لم يستطع القضاء كليا على عوامل الضعف في دولته ، اذ لايزال للقادة الأتراك قوة ونفوذ ، أضف الى ذلك قيامه بمنح الوزير سلطات تفويضية ، وذلك خلال فترة وزارة عبيد الله بن خاقان ، ومامنحه لأبنائه من سلطات عندما قسم ولايات الدولة فيما بينهم ، فان المتوكل لم يكن بعيدا تماما عن الاشراف على شئون دولته (١) ، حيث كانت تصل اليه أخبار عماله ، نظرا لاهتمامه بطرق ووسائل الرقابة (٢) .

---

(١) كان المتوكل هو الذى يختار ولاة البلدان والدواوين والقضاه ويباشر محاسبتهم وتتبع أحوالهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠ ، وكيع : أخبار القضاه ١٦١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٨٣/٩، ١٦٢، ١٨٨، ١٩٧-١٩٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٩٧/١-٢٩٩ ، ٣٤٤/٢-٣٤٥ ، ٤٨/٥، ٣٥١-٣٥٢ ، ١٥٠/٦، ١٥٢، ٢٨٤، ٢٨٧ ، ٢٨٥/٨ ، ٥٢/١١-٥٣ ، ٢٠١/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٨٨/١-٩٠ ، وانظر مبحث اختيار العمال من هذا الفصل ، كما أشير الى اهتمام المتوكل بأمر الدواوين حيث كان ينقلها معه فى عواصمه التى اتخذها بعد سامراء ـ دمشق والجعفرية ـ انظر اليعقوبى : المصدر السابق ٤٩٢/٢ ، أبو الفداء : المختصر ٤٠/٢ ، كما اهتم المتوكل بأمر الخراج حيث وجه فى سنة ٢٤٠هـ أحمد بن محمد لتعديل خراج دمشق والأردن فقام بما أمر به حيث "حمل كل أرض ماتستحقه" اليعقوبى : المصدر السابق ٤٩٠/٢ .

(٢) لقد اعتمد المتوكل على البريد كثيرا فى اطلاعه على أخبار عماله ، حيث كان عامل البريد يحضر مجلس الوالى وينقل مايهم الخليفة من أمور ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٢٠٣ ، وكان يعين ولاة فى البلدان لهذا الغرض ، الكندى : المصدر السابق ص/٤٦٢ ، فكانت أخبار الولاه تاتيه أولا بأول ، التنوخى : نشوار المحاضرة ١٦/٢ ، الفرج بعد الشدة ٧٦/٢-٧٩ .
وهناك نصوص تذكر أن المتوكل عين من ينقل له أخبار العامة والخاصة ، الطبرى : تاريخ ١٨٤/٩-١٨٥، ١٩٠ ، الأصفهانى : الأغانى ٦٨/١٠ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٦/٦ ، كما كان عمال البريد يحضرون الدواوين ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٨٩/١-٣٩٨ .
أيضا من طرق الرقابة الجلوس للمظالم ومقابلة الرعية وسماع شكواهم ، انظر : التنوخى : نشوار ١٨/٢-٢٠ ، الكندى : المصدر السابق ص/٤٧٤-٤٧٥ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، الفراء : الأحكام السلطانية =

وقد كان المتوكل يتقدم الى عماله بالنصح والتوجيه يقول : "ابراهيم بن المدبر : قال لى المتوكل : اذا خرج توقيعى اليك بما فيه مصلحة الناس ورفق بالرعية فانفذه ولاتراجعنى فيه ، واذا خرج اليك فيه حيف على الرعية فراجعنى ، فان قلبى بيد الله عز وجل" (١) .

ومن أمثلة توجيه المتوكل لعماله أيضا أنه نهى فى سنة ٢٣٥هـ//٨٤٩م عن الاستعانة بأحد من أهل الذمة "فى الدواوين وأعمال السلطان التى يجرى أحكامهم فيها على المسلمين .." (٢) وكتب الى عماله فى الآفاق بذلك (٣) ، وقد جاء فى نص الكتاب بيان سبب هذا التوجيه فى قوله : ".. وقد انتهى الى أمير المؤمنين أن أناسا لارأى لهم ولاروية يستعينون بأهل الذمة فى أفعالهم ، ويتخذونهم بطانة دون المسلمين ، ويسلطونهم على الرعية ، فيعسفونهم ويبسطون أيديهم الى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم ، فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره وتبرأ منه ، وأحب التقرب الى الله تعالى بحسمه والنهى عنه

= ص/٧٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ ، القلقشندى : مآثر الانافة ٢٢٨/٣ . كما اعتمد على الأمناء فى نقل أخبار عماله . فكان يسأل ثقاته عنهم ، الشابشتى : الديارات ص/٩٠ ، بل أوكل الى متولى ديوان التوقيع بأن يتابع أحوال كبار العمال . الطبرى : المصدر السابق ٢١٤/٩ ، مسكويه : المصدر السابق ٥٠٢/٦ .

(١) ابن حمدون : التذكرة ٤٢٨/١-٤٢٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٧٢/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٥/٦ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٨٣ ، وقال اليعقوبى : "أمر المتوكل فى هذا الوقت ـ ٢٣٥هـ ـ الايستعان بأحد من أهل الذمة فى شىء من عمل السلطان" تاريخ ٤٨٧/٢ ، انظر أيضا الطرطوشى : سراج الملوك ص/٢٣٠ ، ابن دحيه النبراس ص/٨٠-٨١ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص/١١٧ الابشيهى : المستطرف ١١١/١ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٧٢/٩ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٨٣ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ص/١١٧ ، القلقشندى : مآثر الانافة ٢٢٩/٣ .

ورأى أن يكتب الى عماله على الكور والأمصار ، وولاة الثغور والأجناد ، فى ترك استعمالهم لأهل الذمة فى شىء من أعمالهم وأمورهم ، والاشراك لهم فى أمورهم وأماناتهم ، وماقلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم اياه ، اذ جعل فى المسلمين الثقة فى الدين ، والأمانة على اخوانهم المؤمنين ، وحسن الرعاية لما استرعاهم ، والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة بأحد من المشركين بالله ، المكذبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه الها آخر لااله الا هو وحده لاشريك له .

ورجاء أمير المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك وقذف فى قلبه - جزيل الثواب ، وكريم المآب ، والله تعالى يعين أمير المؤمنين على نيته تعزيز الاسلام وأهله ، واذلال الشرك وحزبه .

فلتعلم هذا من رأى أمير المؤمنين ولاتستعن بأحد من المشركين وأنزل أهل الذمة منازلهم التى أنزلهم الله بها ، واقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك واشعه فيهم ، ولايعلم أمير المومنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة فى عمل الاسلام" .(١)

---

(١) القلقشندى : مآثر الانافة ٢٣٢/٣-٢٣٣ ، صبح الأعشى ٣٦٧/١٣ .

المبحث الثالث

المتابعة والمحاسبة

المتابعة والمحاسبة :

المتابعة والمحاسبة هي المرحلة الأخيرة من مراحل الرقابة الادارية ، والتي من خلالها تتم معاقبة كل من قصر في عمله أو تعدى حدود سلطته أو قام بما يوجب العقوبة ، وقد سبقت الاشارة الى قيام الرسول صلى الله عليه وسلم باعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة ، وكذلك الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم من خلفاء بني أمية ، كما دللنا على ضرورة قيام ولي الأمر باعمالها من خلال عرضنا لأقوال مجموعة من الفقهاء في هذا الخصوص .(١)

وقد كان معظم خلفاء بني العباس - خلال فترة الدراسة - مهتمين بأمر المتابعة والمحاسبة لعمال الدولة ، والأخذ على أيديهم ، وهناك عدة شواهد احتفظت بها روايات المصادر لهؤلاء الخلفاء .(٢)

---

(١) انظر التمهيد من هذا البحث - ثانيا : مشروعية الرقابة الادارية في الاسلام .

(٢) لابد من الاشارة هنا الى أمرين :
أحدهما : أن أساليب المحاسبة خلال فترة الدراسة أخذت أنماطا متنوعة ، بحيث جاءت على مراتب متباينة ، تتناسب فيها العقوبة مع مقدار الخطأ المرتكب ، فقد تؤدي المحاسبة الى مصادرة الأموال أو العزل عن العمل أو بهما معا ، وربما اشتملت مع ذلك على عقاب جسدي أو السجن وفي حالات خاصة يصل العقاب الى حد القتل وذلك لعظم الجرم .
الأمر الثاني : هو أن المصادر تذكر عدة حالات عزل حدثت لبعض الولاه والعمال في مختلف المناصب دون أن توضح السبب في ذلك العزل ، مما لايمكن معه الحكم بأن ذلك تم نتيجة لمتابعة أحوال هؤلاء العمال ومن ثم محاسبتهم ذلك اننا نلاحظ أن بعض حالات العزل هذه يعقبها رفع مرتبة الشخص المعزول أو نقله الى عمل آخر يلائم قدراته احتيج اليه فيه ، أو ربما أعيد الشخص المعزول الى منصبه مرة أخرى ، أو الى منصب آخر مشابه مما يدلنا على أن حالات العزل هذه لم يكن يقصد منها معاقبة الشخص ومحاسبته . =

عهد السفاح :

في عهد أبي العباس السفاح نجد أن أبرز عمل قام به في مجال المتابعة والمحاسبة هو القضاء على نفوذ الوزير أبي سلمة الخلال ، وذلك بقتله والتخلص منه منذ وقت مبكر من قيام الدولة العباسية .(١)

وقد أفاضت روايات المصادر في عرض أحداث قتل الوزير أبي سلمة ، غير أن مايهمنا هو معرفة الأسباب التي أدت الى قتل هذا الوزير ، والتي يمكن أن نحصرها في سببين رئيسيين هما :

(١) عدم ثقة الخليفة السفاح في ولاء الوزير أبي سلمة ، الذي أصبح يشكل خطرا مباشرا على أمن الدولة الوليدة نظرا لعظم مركزه السياسي ، وقد عرف منه ذلك من خلال محاولته نقل الخلافة الى بعض آل أبي طالب ، وذلك قبيل اعلان قيام الدولة العباسية ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة .

= وأمر آخر انه عادة ماتكون محاسبة الخلفاء لعمالهم اما لخياناتهم المالية ، أو لسوء اداراتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، أو لاستقلالهم بالسلطة ، أو ظلمهم للرعية ، أو لعدم تنفيذهم للأوامر الصادرة اليهم ، أو لانحرافاتهم العقدية أو لعدم كفاءتهم في مجال عملهم ، أو عدم ولائهم للدولة .

(١) حيث قتل في رجب سنة ١٣٢هـ . انظر : الجهشياري : الوزراء ص/٩٠ ، أيضا الطبري : تاريخ ٤٤٩/٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ .
وقد اختلفت روايات المصادر حول تحديد من قتل أبا سلمة الخلال أهو الخليفة السفاح أم هو أبو مسلم الخراساني ، والذي أراه أنه سواء قتله كان من قبل أبي مسلم أو أناس من قبل الخليفة السفاح أو من قبل أبي مسلم فان الذي أمر بقتل الخلال هو الخليفة نفسه وانما الخلاف فيمن نفذ عملية القتل .

يقول الطبري[1] : "ان ابراهيم بن محمد حين أخذ للمضى به الى مروان نعى الى أهل بيته حين شيعوه نفسه ، وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد وبالسمع والطاعة ، وأوصى الى أبى العباس وجعله الخليفة بعده ، فشخص أبو العباس عند ذلك ومن معه من أهل بيته ... حتى قدموا الكوفة فى صفر - سنة ١٣٢هـ - فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد[2] ... وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة عن جميع القواد والشيعة ، وأراد - فيما ذكر - تحويل الأمر الى آل أبى طالب[3] لما بلغه الخبر عن موت ابراهيم بن محمد ...".

(٢) استبداد أبى سلمة بالسلطة ، وقوة نفوذه ، واظهاره الادلال والقدرة على الخليفة[4] وشموخه بأنفه ، واعتراضه عليه[5] ، وقيامه بالأعمال الموكلة اليه وتصريف شئونها دون الرجوع الى أوامره[6] .

---

(١) هو : ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب ، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها ، كان يسكن الحميمة من أرض السراه قريبة من معان بالأردن وكانت بها منازل بنى العباس ، أوصى له أبوه بالامامة ثم أظهر أمر ابراهيم وعلم به مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فى الشام فقبض عليه وزجه فى السجن بحران ثم قتله فى حبسه سنة ١٣١هـ/٧٤٩م .
الزركلى : الأعلام ٥٩/١ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لى من مصادر ، وقد ذكر الطبرى أنه كان مولى لبنى هاشم . تاريخ ٤٢٣/٧ .

(٣) تاريخ ٤٢٣/٧ ، وقد أشارت عدة مصادر الى محاولة أبى سلمة نقل الخلافة الى آل أبى طالب . انظر اليعقوبى : تاريخ ٣٤٥/٢، ٣٤٩، ٣٥٠ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١١٨/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٥، ٩٠ ، ابن عبد ربه العقد الفريد ٤٨٠/٤، ٤٨٣ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٥٣/٣، ٢٥٤، ٢٧٠/٢٧١ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢٧٢/٤-٢٧٧ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٤-١٥٥ .

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٢٠/٢ .

(٥) ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨ .

(٦) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٠ .

وهذا يدلنا على أن محاسبة السفاح للوزير أبي سلمة كانت نتيجة متابعة دقيقة لتصرفاته .

وهناك حادثة أخرى تدل على اهتمام السفاح بأعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة لعماله ، حتى على من ولي الأعمال من أهل بيته ، فلم تمنعه قرابتهم وعظم منزلتهم ، وماقدموا من جهود في سبيل قيام الدولة العباسية ، من الأخذ على أيديهم اذا اقتضى الأمر ذلك ، فيذكر أبو زكريا الأزدي أنه في سنة ١٣٤هـ/٧٥١م "عزل أبو العباس أخاه يحيى بن محمد عن الموصل لقتله أهلها وسوء أثره فيها ، وقلدها عمه اسماعيل بن علي"(١) مع العلم أن أهل الموصل كانوا ثائرين على الخلافة العباسية يشعلون الفتن بين الحين والآخر ، وانه من الواجب القيام باخماد هذه الفتن والتصدي لها ومحاربة أهلها ، الا أن أبا العباس رأى أن هذا العمل زاد من حقد أهل الموصل ، وأدرك أن مواجهتهم على هذا النحو لاتؤدي الى استقرار البلد ، فالذي قام به يحيى بن محمد أساء الى أهل الموصل وأثر في نفوسهم ، فرأى عزله لهذا السبب(٢) .

---

(١) تاريخ الموصل ص/١٥٦ ، وانظر أيضا مؤرخ الموصل ، ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى المعروف بياسين الخطيب العمري (ت بعد ١٢٣٢هـ/١٧٤٤م) : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون . مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، برقم ١٠٤٥ تاريخ وتراجم ، لوحة ٤٤ . وقال : "عزل أخاه يحيى عن الموصل لظلمه ..." . أيضا الجنابي : مصطفى بن حسن سنان بن أحمد الحسني الهاشمي (ت ٩٩٩هـ/١٥٩٠م) : البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر (تاريخ الجنابي) مخطوط ميكروفيلم ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، برقم ٦١ تاريخ وتراجم ، لوحة ٣٧٤ .

(٢) لقد كان أهل الموصل يميلون الى بني أمية ، ويكثرون الخروج على الدولة العباسية ، انظر عن ذلك الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٤٥،١٥٠ . ونظرا لقصر فترة خلافة السفاح ، وانشغاله بتثبيت دعائم الدولة العباسية ، فانه ليس لدينا معلومات أخرى تدلنا على اعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة سوى ماذكر في المتن .

عهد المنصور :

عندما تولى المنصور الخلافة ، كانت أول مشكلة واجهته هي احتمال تمرد عمه عبد الله بن علي والي بلاد الشام ، الذي كانت له طموحات تهدف الى الاستيلاء على الخلافة ، حتى ان الطبري يذكر انه عندما بلغ المنصور وفاة أخيه السفاح جزع جزعا شديدا فسأله أبو مسلم الخراساني عن سبب هذا الجزع وقد أتته الخلافة ؟ فقال : "أتخوف شر عبد الله بن علي وشيعة علي . فقال : لاتخف فأنا أكفيك أمره ان شاء الله ، وانما عامة جنده ومن معه أهل خراسان ، وهم لايعصونني ، فسري عن أبي جعفر ماكان فيه" (١) .

لقد كان عبد الله بن علي يرى أنه أحق بالخلافة من ابن أخيه المنصور ، فما كاد يسمع بوفاة أبي العباس حتى خرج على المنصور وجمع جنده ، وطلب منهم أن يبايعوه ، وادعى أن أبا العباس جعل له ولاية العهد من بعده حين أرسله لقتال مروان بن محمد (٢) . غير أن المنصور استطاع القضاء على ثورة عمه عبد الله بن علي (٣) حيث وجه اليه أبا مسلم الخراساني الذي التقى معه في سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م في قتال شديد ، انتهى بهزيمة عبد الله بن علي وتوجهه من نصيبين هاربا الى البصرة مع قواده ومواليه (٤) ، حيث كان يليها أخوه سليمان بن

---

(١) تاريخ ٤٧٢/٧ .
(٢) الطبري : تاريخ ٤٧٤/٧ ، انظر أيضا اليعقوبي : تاريخ ٣٦٥/٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٨٩/٣ ، الخطيب : تاريخ ٨/١٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص١٦٧-١٦٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٨٥/١ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ ٣٦٥/٢-٣٦٦ ، الطبري : تاريخ ٤٧٥/٧، ٤٧٨ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، الخطيب : تاريخ ٨/١٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص١٦٨ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٨٥/١ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ص٤١٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ٢٨٥/١ .

على ، الذى آواهم واكرمهم "واقاموا عنده زمانا متوارين" (١) .

وكان ابو مسلم بعد أن هزم عبد الله بن على "جمع ماكان فى عسكره من الأموال فصيره فى حظيره واصاب عينا ومتاعا وجوهرا كثيرا ، فكان منثورا فى تلك الحظيرة ووكل بها وبحفظها قائدا من قواده" (٢) . وهى تلك الاموال التى ظفر بها عبد الله بن على من حروبه مع مروان بن محمد ، اضافة الى أموال عبد الله بن على ومن معه من الجيوش (٣) .

ولما علم المنصور بأمر هذه الأموال ، بعث فى نفس السنة برسل يحصون ماحل فى يد أبى مسلم من الخزائن والأموال (٤) .. فغضب ابو مسلم وقال : أؤتمن على الدماء ولاأؤتمن على الأموال .. فانصرف القوم الى أبى جعفر فأخبروه الخبر فزاد ذلك فيما فى قلبه عليه ..." (٥) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٧٩/٧ ، وانظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ ، وأشار الطبرى فى موضع آخر الى أنه كان فى الحظيرة لؤلؤ منثور ودراهم منثورة المصدر نفسه ٤٨٢/٧ ، وقد أشار الخطيب البغدادى الى عظم هذه الأموال . انظر تاريخ ٣٩٣/٥ ، ٤٣٨/١١ ، انظر أيضا اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٥/١ ، الذهبى : تاريخ الدول ٩٣/١ .

(٣) ابن أعثم : الفتوح ٢١٧/٨،٢١٩ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٣٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٣/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٥/١ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، وقد اختلف فى أسماء من أرسلهم المنصور ، انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٧٨/٧،٤٨٢،٤٨٣ ، ابن أعثم : الفتوح ٢١٩/٨ ، المسعودى مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١١/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٥٥ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، انظر أيضا ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥-٤١٦ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٧٨/٧،٤٨٢،٤٨٣ ، ابن أعثم : الفتوح ٢١٩/٨-٢٢٠ ، =

وليس الأمر على ذلك فحسب بل ان الطبرى يذكر أن قادة جيش أبى مسلم كانوا على رأيه أيضا (١) ، ويبدو أن ذلك جعل المنصور أكثر تخوفا منه ومن احتمال تمرده ، فالمنصور هو أول من أدرك خطورة أبى مسلم على الدولة ، وحذر أخاه أبا العباس من التهاون فى ذلك (٢) .

ان قيام المنصور بمهمة المتابعة والمحاسبة أغضبت أبا مسلم ، حيث كان لها وقع سيئ فى نفسه (٣) ، فسار من الجزيرة ـ الفراتية ـ مغاضبا (٤) ، وقد أجمع على خلاف المنصور قاصدا مركز عصبيته ومقر ولايته خراسان (٥) ، غير أن المنصور أراد أن يمنع أبا مسلم من التوجه الى خراسان ، فاستخدم معه الحيلة حيث "كتب اليه كتابا مع يقطين (٦) : أن قد وليتك مصر والشام فهى خير لك من خراسان ، فوجه الى مصر من أحببت وأقم

= المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٠/١-٤١١ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٦٥ ، ابن طباطبا الفخرى ص/١٦٨ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٣/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٥٥، ٢٧٦-٢٧٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٥/١ . ويتضح من روايتين للخطيب البغدادى أن الأموال وصلت الى المنصور . انظر تاريخ ٣٩٣/٥ ، ٤٣٨/١١ .

(١) تاريخ ٤٨٢/٧ .

(٢) انظر مبحث الاشراف والتوجيه من هذا الفصل .

(٣) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٩ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٣/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٥/١

(٥) ابن خياط : تاريخ ص/٤١٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٨٤/٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٩ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٣/١-٩٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢١٤/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٥/١ .

(٦) هو : يقطين بن موسى ، داعية عباسى كان ممن قرر أمرهم فى الممالك والأقطار ، كان داهية عالما حازما شجاعا ، عارفا بالحروب والوقائع ، توفى سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م. (الطبرى: تاريخ ٤٨٢/٧، ٦١/٨، ١٣٦، ١٥٠، ١٦٥، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٣، ٥٦٠، ٢٧٢، ٥٧٢)

بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فان أحب لقاءك أتيته من قريب ، فلما أتاه الكتاب غضب وقال : هو يولينى الشام ومصر وخراسان لى! واعتزم بالمضى الى خراسان ، فكتب يقطين الى أبى جعفر بذلك .."(١) .

لم ييأس المنصور من جواب أبى مسلم بل أخذ يحتال عليه أيضا ليمثل بين يديه(٢) ، فبعث اليه بكتاب آخر جاء فيه : أريد مناظرتك فى أمور لم يحتملها الكتاب فخلف عسكرك حيث ينتهى اليك كتاب فاقدم علي ، "فلم يلتفت أبو مسلم الى كتاب المنصور ولم يعبأ به"(٣) .

ويذكر الطبرى عدة مراسلات تمت بين أبى جعفر وأبى مسلم توضح مدى فهم كل واحد منهما لموقف الآخر منه ، الا أن أبا جعفر بدهائه استطاع أن يخدع أبا مسلم حيث بعث اليه جرير ابن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى(٤) وكان "واحد أهل زمانه" فاستطاع اقناع أبي مسلم بالرجوع عن قصده ، والذهاب الى الخليفة ومقابلته(٥) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٨٢/٧ ، انظر أيضا ابن أعثم : الفتوح ٢٢٠/٨ ، أبو الفداء : المختصر ٢١٤/١ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ .

(٤) هو حفيد الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى ، من رواة الأحاديث ، انظر ابن حجر : تقريب التهذيب ١٢٧/١ .

(٥) تاريخ ٤٨٣/٧ ، وانظر أيضا نفس المصدر ٤٨٤/٧-٤٨٦ ، وأيضا ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥-٤١٦ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩-٣٨٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢-٣٦٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٩-١٧٠ ، الذهبى : دول الاسلام ٦٤/١ ، العبر ١٤٣/١ ، أبو الفداء المختصر ٢١٤/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ .

والمصادر اذ تذكر رجوع أبى مسلم ومقابلته للخليفة المنصور ، الذى أعد له من يقتله بين يديه (١) ، تذكر عدة اسباب على أنها الدافع وراء مقتل أبى مسلم ، وقد جاءت هذه الأسباب مجملة فى بعض روايات المصادر ، ومتناثرة فى اشارات متفرقة لمصادر أخرى ، يفهم منها جميعا انها اشد مانقمه المنصور على أبى مسلم . الا انه لدى التدقيق فى هذه الأسباب نجد أن هناك أسبابا رئيسية كانت هى الدافع الأساسى لقتل أبى مسلم ، وقد وردت هذه الأسباب فى صورة محاسبة ومساءلة من قبل المنصور لواليه وقائد جيوشه أبى مسلم الخراسانى ، ويمكن عرض أهم هذه الأسباب فيما يلى :

* استقلال أبى مسلم بالسلطة واستبداده بالأمر (٢) .

---

(١) قتل أبو مسلم الخراسانى سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م بالرومية : وهى بلدة بالقرب من بغداد على دجلة بالجانب الغربى معدودة من مدائن كسرى .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٦ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الخطيب : تاريخ ٢١٠/١٠ ، ابن دحيه : النبراس ص/٢٧ ، العبرى : تاريخ ص/١٢٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٤ ، الذهبى : العبر ١٤٣/١ ، دول الاسلام ٩٤/١ أبو الفداء : المختصر ٢١٤/١-٢١٥ ، باستثناء المسعودى الذى ذكر أنه قتل فى سنة ١٣٦هـ . مروج الذهب ٢٨٩/٣ ، ونقلها الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٦ ، وقد اضعف ابن خلكان من شأن الرواية التى تذكر أن مقتل أبى مسلم كان سنة ١٣٦هـ ورجح الرواية التى تذكر أنه قتل سنة ١٣٧هـ . وفيات ١٥٤/٣ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ ، الامامة والسياسة ١٢٠/٢-١٢١، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٥ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٥١/٢ ٣٥٢، ٣٦٧ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٠، ٣٧٥-٣٧٦، ٣٨٣ ، الطبرى : تاريخ ٤٥٠/٧، ٤٥٨، ٤٦٨-٤٦٩، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٦، ٤٩٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٨٠/١ ، ٤٨٣/٤ ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠، ٩٣، ١١١-١١٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٨٩/٣، ٢٩٢، ٣٧١ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١١/١ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٦١، ٦٢ ، ابن الجوزى : الأذكياء ص/٣٨ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٥٩ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ ، ١٥٣/٣-١٥٤ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٧ أبو الفداء : المختصر ٢١٤/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١، ٣٣٥ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٨/١ ، وانظر ذلك مفصلا فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

* قيامه بقتل بعض رجال الدعوة العباسية (١) ، وأعداد كبيرة من عامة الناس (٢) .

* طمعه فى الخلافة حيث ادعى أنه ابن سليط بن عبد الله ابن العباس (٣) .

* تصرفه فى الأموال دون الرجوع الى أمر الخليفة (٤) .

* محاولته الانقلاب على الخليفة (٥) .

* نكثه للعهد الذى بايع عليه أثناء الدعوة وتغييره

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٥ المسعودى : مروج الذهب ٢٩٢/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٠٩/١٠ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٠/٣-١٥١ ، الذهبى : عبر ١٣٧/١ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الخطيب : تاريخ ٢٠٨/١٠ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٠١-١٠٢ ، ابن دحيه : النبراس ص/٢٦ ، ابن العبرى : تاريخ ص/١٢١ ، الذهبى : دول الاسلام ٩٤/١-٩٥ ، أبو الفداء : المختصر ٤١٥/١ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢١٩ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٣٥/٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٨١ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٧/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٥ المسعودى : مروج الذهب ٢٩١/٣ ، الشابشتى : الديارات ص/٢١٧ ، الخطيب : تاريخ ٢٠٩/١٠ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٤/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٣٩ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٩/١ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٤٩٠/٧ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٠/١-٤١١ .

(٥) يتضح ذلك من محاورة أبى جعفر له حيث قال له : "وقولك حين أتاك الخبر بموت أبى العباس لمن أشار عليك أن تنصرف الى : نقدم فنرى من رأينا" . انظر الطبرى : تاريخ ٤٩٠/٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٦ ، انظر أيضا محاولته نقل الخلافة الى آل على . ابن العمرانى : الأنباء ص/٦١ ، ويقول الثعالبى ان المنصور خاف من أبى مسلم أن يعقد الخلافة لرجل غيره بعد أن بلغه وفاة السفاح . تحفة الوزراء ص/١٠٧-١٠٨ ، بل ان الطبرى وابن أعثم يذكران أن أبا مسلم دعى عيسى بن موسى وكلمه فى أخذ البيعة له بدلا من المنصور ، وقد بلغ المنصور ذلك فحقد عليه . تاريخ الطبرى ٤٨٠/٧ ، الفتوح ٢١٣/٨-٢١٤، ٢٢٦ .

وتبديله ، واسراره الغش للخليفة .(١)

* استهتاره بأوامر الخليفة وعدم الاجلال له .(٢)

---

(١) يتضح ذلك من خطبة المنصور التى القاها بعد قتل أبى مسلم حيث جاء فيها "أيها الناس ، لاتخرجوا عن انس الطاعة الى وحشة المعصية ، ولاتسروا غش الأئمة فانه من أسر غش امامه أظهر الله سريرته فى فلتات لسانه ، وسقطات أفعاله ، وأبداها الله لامامه الذى بادر باعزاز دينه به ، ... انا لم نبخسكم حقوقكم ولم نبخس الدين حقه عليكم ، ان من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه مافى هذا الغمد ، وان أبا مسلم بايعنا وبايع لنا على أنه من نكث بيعتنا فقد أباح لنا دمه ، ثم نكث بيعته هو ، فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له ، من اقامة الحق عليه" . المسعودى : مروج الذهب ٢٩٣/٣ ، الطبرى : تاريخ ٩٤/٨ ، انظر أيضا الخطيب : تاريخ ٢١٠/١٠ ، وقال : ".. نكث وغدر وفجر وكفر" ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦٥ ، ولعل الثوات التى قامت بعد مقتل أبى مسلم والتى كانت ذات دافع عقائدى منحرف تدل على أن أبا مسلم غير أصول الدعوة العباسية . انظر د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/٦٧-٧٣ ، د. رشيد الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص/٣٨،٥١ ، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين ، ومنير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٦٥م ، ص/١٦٧،١٧٥-١٧٦،١٩٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٢٠/٨-٢٢١ ، القيروانى : زهر الآداب ٤٤٠/٢-٤٤١ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦٢ ، ابن العبرى : تاريخ ص/١٢١ انظر أيضا ماأشارت اليه المصادر من قيام أبى مسلم بتقديم اسمه على اسم الخليفة فى الخطابات التى كان يبعث بها الى المنصور ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٣٥/٢ ، عيون الأخبار ٢٦/١ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٧/٢ الطبرى : المصدر السابق ٤٩١/٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩١/٣ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص/١٠٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٥ ، ابن العمرانى : المصدر السابق ص/٦٢ ، الأزدى : تاريخ الدول ص/١٠ ، ابن دحيه النبراس ص/٢٦ ، ابن خلكان : وفيات ١٥٤/٣ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص/١٢١ ، أيضا تقدمه المنصور فى طريق عودته الى بغداد قافلا من حج عام ١٣٦هـ ، فى نوع من عدم الاكتراث بالخليفة الجديد ، انظر الطبرى : المصدر السابق ٤٩٠/٧ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص/١٢٠-١٢١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٦ ، وكذلك لم يقم بتهنئة المنصور بالخلافة عندما بلغه خبر وفاة السفاح كما انه لم يقم حتى يلحق به ولم يرجع اليه . =

* خروجه من أرض الجزيرة – الفراتية – مراغما ، قاصدا التوجه الى خراسان قبل أن يأذن له الخليفة (١) .

* مراقبته لتصرفات الخليفة المنصور بقصد مشاركته فى ادارة الدولة (٢) .

* تخوف المنصور من طاعة الجند (٣) اياه وولاء أهل خراسان له (٤) .

وهذه هى أهم الأسباب التى دفعت المنصور الى قتل أبى مسلم وهناك أسباب أخرى ثانوية ، ذكرت المصادر أن المنصور واجه بها أبا مسلم عندما أخذ يحاسبه على أعماله قبيل أن يأمر بقتله (٥) .

= ويفهم من ذلك أنه لايعترف بأحقية المنصور بالخلافة . انظر الطبرى : المصدر السابق ٤٨٠/٧ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص/١٢١ ، أيضا شتمه للمنصور عندما بعث اليه من يحمى عليه غنائم حربه مع عبد اللهه بن على . ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ ، اليعقوبى : المصدر السابق ٣٦١/٢ ، الطبرى : المصدر السابق ٤٨٣/٧ ، ابن أعثم : المصدر السابق ٢٢٠/٨-٢٢٦ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١١/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٣/١ .

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٨١ ، الطبرى : تاريخ ٤٩٠/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٠ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٧ ، أبو الفداء : المختصر ٢١٤/١ .

(٢) الثعالبى : ثمار القلوب ص/١٥٣ .

(٣) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٦،٣٧٨،٣٨٢ ، ابن قتيبة الامامة والسياسة ٣٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٦٨/٧-٤٦٩، ٤٧٢،٤٨٠ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦٦ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٦ ، وليس أدل على مدى طاعة أهل خراسان له وحبهم اياه من الثورات التى قامت فيما بعد . انظر المصدر السابق ص/٣٨٤ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٩٥/٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٣/٣-٢٩٤ ، ابن النديم : الفهرست ص/٤٧٩، ٤٨٠،٤٨٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧١ ، الذهبى : العبر ١٤٧/١ ، دول الاسلام ٩٦/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٥/١ .

(٥) يمكن اجمال هذه الأسباب الثانوية فيما يلى :
* يقال ان أبا جعفر حقد على أبى مسلم لأنه بايع لأخيه السفاح دونه وهو أكبر سنا منه . انظر ابن خلكان : وفيات ١٤٧/٣ ، ابن العبرى : تاريخ ص/١٢١ .
* سوء معاملة أبى مسلم للمنصور فى خلافة أبى العباس السفاح . ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢١/١ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٥١/٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠/١ ، =

اما مايخص الأموال التى طالب بها المنصور أبا مسلم الخراساني، فان المصادر تذكر أن أبا مسلم لم يقدم بها على المنصور ، وانما تركها بمدينة الرى ، وعندما قتله المنصور استولى على تلك الأموال أحد الثائرين الموالين لأبى مسلم ـ يدعى سنباذا[1] ـ فبعث المنصور حملة بقيادة جمهور بن مرار العجلى[2] الذى استطاع أن يهزم سنباذا ويستولى على مافى عسكره من أموال أبى مسلم ، وذلك فى سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م ، غير أن جمهور لم يرسل بالأموال وخلع المنصور ، فوجه اليه المنصور محمد بن الأشعث الخزاعى ، فاستطاع أن يهزم جمهور

= ابن أعثم : الفتوح ٢٢٦/٨ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٦٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ ، ابن رسول الغسانى : الملك الأفضل العباس بن على (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) ، نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، دار الكتاب العربى بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ص/٢١ .
* طلب أبى مسلم الحج فى السنة التى أراد المنصور الحج فيها وذلك فى خلافة السفاح سنة ١٣٦هـ رغبة منه فى الصلاة بالناس واظهار منزلته . انظر الطبرى : تاريخ ٤٧٩/٧-٤٨٠،٤٩٠-٤٩١ ، ابن العبرى : المصدر السابق ص/١٢٠ .
* عزمه على اتخاذ جارية عبد الله بن على . انظر الطبرى : المصدر السابق ٤٩٠/٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٦ .
* نعته المنصور بالفسق . الطبرى : المصدر السابق ٤٩٢/٧ .

(١) سنباذ المجوسى خرج على المنصور بخراسان يطلب بدم أبى مسلم سنة ١٣٧هـ . وهو من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أهن ، كثر أتباعه لما ظهر ، وكان من صنائع أبى مسلم ، وكان قد غلب عند خروجه على نيسابور وقومس والرى وتسمى فيروز اصبهبذ فلما صار بالرى قبض خزائن أبى مسلم وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجها الى المنصور ، وكان عامة أصحاب سنباذ من أهل الجبال . وقتل سنباذ على يد لونان الطبرى ، سنة ١٣٧هـ . انظر الطبرى : تاريخ ٤٩٥/٧ .

(٢) جمهور بن مرار العجلى ، قائد شجاع ، كان من قادة الجيوش فى أيام المنصور العباسى وآخر ماوجهه به المنصور جيش فيه عشرة آلاف فارس ، سيرهم لقتال سنباذ الفارسى ، ثم خلع المنصور فبعث اليه محمد بن الأشعث فهزمه ، وقتل على يد أصحابه سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م . الزركلى : الأعلام ١٣٦/٢ .

ويقضي على فتنته سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م (١) .

وتؤكد روايتان للخطيب البغدادي وصول الأموال التي كانت في حوزة أبي مسلم الى المنصور بعد ذلك (٢) .

لقد كان المنصور حريصا على أموال الدولة ، وكان يتابع عماله ويحاسبهم على أخذهم الأموال بدون وجه حق ، حتى ان الوشايات في عهده كانت تدور حول التهم المالية ، ويتضح من الأحداث التاريخية أن مصادرة الأموال كانت احدى الوسائل التي يلجأ اليها المنصور عند معاقبته للعمال .

فعندما غضب المنصور على خالد بن برمك طالبه بمبلغ ثلاثة آلاف ألف درهم (٣) وذلك بعد أن عزله عن امارته على بلاد فارس ، يقول الجهشياري : "كان أبو جعفر لما صرف خالد بن برمك عن الديوان - الوزارة - (٤) وقلده أبا أيوب قلد خالدا فارس ، فأقام بها خالد سنين وأبو أيوب يسعى عليه ، ويحض أبا جعفر على مكروهه ، ويسعى به ليسقطه من عينه ، لأنه كان يعرف مافيه من الفضل ، ويتخوفه على محله وأن يرده أبو جعفر الى الديوان الذي كان يتقلده ، فلما كثر ذلك على أبي جعفر صرف خالدا عن فارس ونكبه وألزمه ثلاثة آلاف ألف درهم ،

---

(١) الطبري : تاريخ ٤٩٣/٧، ٤٩٥، ٤٩٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣٩٣/٥ ، ٤٣٨/١١ .

(٣) الطبري : تاريخ ٥٤/٨ ، الذهبي : العبر ١٧٥/١ ، اليافعي : مرآة الجنان ٣٣٤/١ ، ياسين الخطيب : الدر المكنون ، مخطوط ، لوحة/٤٧ ، وقد نصوا على أن ذلك كان في سنة ١٥٨هـ . وهذا التاريخ لايمكن الأخذ بصحته لأن خالد بن برمك تولى امرة الموصل بعد هذه النكبة سنة ١٤٨هـ كما ذكر ذلك الأزدي في تاريخ الموصل ص/٢٠٨-٢٠٩ ، أضف الى ذلك أن المورياني الذي كان يسعى بخالد ابن برمك نكب في سنة ١٥٣هـ ، والذي أراه أن نكبة خالد بن برمك كانت في سنة ١٤٧هـ أو قبلها بقليل .

(٤) انظر موضوع اختيار الوزراء - المبحث الأول من هذا الفصل .

ولم يكن عنده الا سبعمائة الف درهم ، فصدقه عن ذلك فلم يصدقه وأمر بمطالبته بالمال .. ـ فوجهت الى خالد بعض المساعدات ـ .. واتصل ذلك بأبي جعفر فتحقق عنده قوله انه لايملك الا ماحكى ، فصفح له عن المال" (١) .

ويبدو أن أبا أيوب المورياني لم يكتف بما آل اليه أمر خالد بن برمك ، فشق ذلك عليه ، فلجأ الى حيلة أخرى حيث "احضر بعض الجهابذة (٢) ودفع اليه مالا وأمره أن يعترف أنه لخالد ، ودس الى أبي جعفر من سعى بالمال ، فأحضر الجهبذ فسأله عن المال فاعترف به ، فاخطر خالدا فسأله عن ذلك فحلف بالله أنه لم يجمع مالا قط ولاذخره ولايعرف هذا الجهبذ ودعا الى كشف الحال ، فتركه أبو جعفر بحضرته وأحضر النصراني ـ الجهبذ ـ فقال له أتعرف خالدا ان رأيته ؟ قال نعم ياأمير المؤمنين أعرفه ان رأيته ، فالتفت الى خالد وقال : قد أظهر الله براءتك ، وهذا مال أصبناه بسببك ، ثم قال للنصراني : هذا الجالس خالد ، فكيف لم تعرفه ؟ قال : الأمان ياأمير المؤمنين وأخبره الخبر ، فكان لايقبل من أبي أيوب بعد ذلك شيئا في خالد" (٣) .

وتذكر الروايات التاريخية أن المنصور رضي بعد ذلك عن خالد بن برمك وولاه امارة الموصل (٤) ، ولكن بعد أن استوفى منه

---

(١) الوزراء ص/٩٩-١٠٠ . المقصود أن المنصور صفح له عن باقي المال .
(٢) الجهبذ : هو كاتب الخراج وكانت هذه الوظيفة معروفة منذ أوائل العصر الأموي في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه واستمرت الى العصر العباسي . انظر د. عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٥٨ .
(٣) الجهشياري : الوزراء ص/١٠٠ .
(٤) الطبري : تاريخ ٨/٥٥ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٢٠٨-٢٠٩ ، الذهبي : العبر ١/١٧٥ ، دول الاسلام ص/١٠٧ ، ياسين الخطيب : الدر المكنون ، مخطوط ، لوحة رقم ٤٧.

أغلب المال الذى طالبه به ، يقول الطبرى : "ورد على المنصور انتفاض الموصل وانتشار الأكراد بها ، فقال من لها؟ فقال له المسيب بن زهير - وكان صديقا لخالد بن برمك - : عندى يا أمير المؤمنين رأى ، أرى أنك لاتنتصحه ، وانك ستلقانى بالرد ، ولكنى لا أدع نصحك فيه والمشورة عليك به ، قال : قل ، فلا أستغشك ، قلت : يا أمير المؤمنين مارميتها بمثل خالد ، قال : ويحك! فيصلح لنا بعد ما أتينا اليه ! قال نعم يا أمير المؤمنين ، وانما قومته بذلك وأنا الضامن عليه قال : فهو لها والله ، فليحضرنى غدا . فأحضر ، فصفح له عن الثلثمائة ألف الباقية وعقد له" (١) .

ولم تدم الأيام طويلا بالوزير أبى أيوب الموريانى ، فقد بدأ المنصور يشك فى تصرفاته ، ويبدو أن ماصدر منه تجاه خالد بن برمك جعل المنصور يتغير عليه ، فلم تعد للموريانى تلك المنزلة التى كان يختص بها . يقول المسعودى ان المنصور "لما استوزره اتهم بأشياء منها احتجان الأموال وسوء النية ، فكان على الايقاع به ، وتطاول ذلك ، فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج ..." (٢) . ويقول ابن خلكان عن موقف المنصور من أبى أيوب : "ثم فسدت نيته فيه ونسبه الى أخذ الأموال وهم أن يوقع به .." (٣) . ثم ان المنصور أوقع بالموريانى فى سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م "وعذبه وأخذ أمواله" (٤) .

---

(١) تاريخ ٥٥/٨ ، أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٠٩ .
(٢) مروج الذهب ٢٨٥/٣ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٤١٠/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٢٤/١ .
(٣) وفيات الأعيان ٤١٠/٢ .
(٤) ابن خلكان : وفيات ٤١١/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٢٥/١ ، ثم ان الموريانى توفى بعد ذلك فى السنة التالية ١٥٤هـ . انظر أيضا الطبرى : تاريخ ٤٢/٨،٤٤ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٤ .

وتوضح بعض المصادر سبب محاسبة المنصور لوزيره أبي ايوب المورياني وحقيقة الأموال التي احتجنها لنفسه فيقول الجهشياري : "رخصت الأسعار في أيام أبي جعفر ، فسولت لأبي أيوب نفسه أن يشتري طعام سواد الكوفة وسواد البصرة ، وطمع في الربح ، ففعل ذلك ، فكتب المنصور عليه كتابا بذلك ، وخلده الدواوين ، وكان يطالبه بالمال وقتا بعد وقت فتحمل منه الشيء بعد الشيء ، وتتابع الرخص عليه ، وأرهقه المنصور بالمطالبة بالمال ، وكان المنصور يحب ابنا له يقال له صالح ويرق عليه ، وكان أقطع أولاده جميعا قطائع خلاه ، وكان يقول : ابني هذا المسكين لاشيء له ! — فلقب بصالح المسكين — فقال له أبو أيوب : ياأمير المؤمنين قد أصبت ضيعة تقرب من الأهواز وتشرب من دجلة وتغيض فيها ، وهي بلد واسع وقد دثرت رسومها ، وانطمست أنهارها (١) ، فان أقطعته اياها وأطلقت له ثلاثمائة ألف درهم نستخرجها له ، فلاتلبث الا يسيرا حتى تغل جملة وافرة ، فأقطع المنصور صالحا تلك الضيعة ، وأمر له بالمال ، فأخذه أبو أيوب ، فادى صدرا من خسارته في الطعام ، وجاءت السنة ، فحمل أبو أيوب عشرين ألف درهم الى أبي جعفر ، وقال : هذه غلة الضيعة ، فسر المنصور بذلك ، وأمر أن يتخذ لصالح بيت مال ...

---

(١) يقول الجهشياري : "الضيعة التي أشار بها المورياني على أبي جعفر لصالح هي المعروفة بالسبيطيةمن أعمال البصرة ، وكان أبو جعفر تقدم الى بعض المهندسين بتصويرها له فصورها وعرض الصورة عليه فاستحسنها . الوزراء ص/١٢٣ .

ثم سعى الى أبى جعفر بالضيعة التى اتخذها لصالح ، وعرف أن أبا أيوب أخذ المال لنفسه ، وغره من هذه الناحية فعزم أبو جعفر على الخروج بنفسه الى الناحية ليعاينها ، فلما تجهز للشخوص ، كتب أبو أيوب الى وكلائه أن يبنوا على دجلة فى طريق الضيعة ، على طريق أبى جعفر ، قرى من اللبن والقصب ، وأن يغرسوا نخلا وسدرا وكل مايتهيأ أن يحسن به ويرى ظاهره ، ليراها أبو جعفر عامرة الظاهر، فلما فعلوا ذلك وشخص أبو جعفر فرأى الموضع ، وقد كان أبو أيوب عند قربه منها أرسل من سكر دجيل الأهواز (١) والمسرقان (٢) حتى فاضا على الضيعة فاغرقاها ، ثم غاض الى دجلة ، فأرسل أبو جعفر من سكر الماء وأعاده الى جهته ، وأقام أربعين يوما ينتظر جفاف الأرض ، ثم ركب حتى وقف على الضيعة ، وتبين كذب أبى أيوب ، وانصرف ولم يقل شيئا الى أن عاد الى بغداد فاوقع به فى سنة ثلاث وخمسين ومئة .

فحكى أنه قال له : ياخوزى ، أكنت آمنا من أن يطلع أمير المؤمنين على خيانتك فيكون جزاؤك فى العاجل اراقة دمك ، واستباحة نعمتك ، وفى الآجل حلول دار الفاسقين ، ومأوى الظالمين الناكثين ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، ان للتهم فلتات ترجع بالندم ، ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السياسة ، وشرف القرابة ، فاقلنى ، قال :

---

(١) دجيل الأهواز : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ، كان اسمه فى أيام الفرس ديلداكودك ومعناه دجلة الصغير معرب على دجيل ومخرجه من أرض أصفهان ومصبه فى بحر فارس ـ الخليج العربى ـ قرب عبادان . ياقوت : معجم البلدان ٢/٤٤٣ .

(٢) مسرقان : بالفتح ثم السكون والراء مضمومة .. هو نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان ونخل يسقى ذلك كله ومبدؤه من تستر .. وينحدر الى قرب مدينة هرمشير ـ وهو من أنهار الأهواز ـ .
ياقوت : معجم البلدان ٥/١٢٥-١٢٦ .

لايسعني مع عظيم جرمك ، وجليل ذنبك اقالتك ، ولا العفو عنك ، لانك اقترفت الموبق ، ومالايسع معه عفو .

وحبسه وحبس أخاه خالدا وبني أخيه (١) .. ثم طولبوا بالأموال ، وعذبوا وضيق عليهم ، فطلب كل من كان لهم عنده شيء فأخذ ، وضغط أبو ايوب بالمطالبة بالمال ، فمات هو وأخوه أول سنة أربع وخمسين ومائة ، وأمر المنصور بقتل بني أخيه فقتلوا ..." (٢) .

ويذكر الطبري أن أبان بن صدقة كاتب أبي أيوب هو الذي سعى به لدى المنصور (٣) ، وذلك عن طريق الربيع بن يونس ، والذي دفع أباناً الى ذلك بغضه لأبي أيوب ، واشتراكه في ذلك البغض مع الربيع بن يونس ، فاتفقا على الايقاع به عند المنصور ، وهذا ماذكره الجهشياري أيضا في رواية تدل على أن المنصور كان يحرص على التحقق فيما يرفع اليه من أخبار حيث يقول : "كان ابان بن صدقة يكتب لأبي أيوب ، فسعى به الى أبي جعفر ، وكان السبب في ذلك أنه كان على أمر أبي أيوب كله فحسده مخلد ابن أخي أبي أيوب ، فرفع عليه سعاية الى أبي جعفر بمائة ألف دينار ، فأمر المنصور بأخذه بها ، فأدخل أبان بن صدقة بيتا وطين عليه بابه ، ثم ندم مخلد على مافعله ولامه عمه أبو أيوب لما وقف على ماكان منه ، فقال مخلد أنا أؤدي عنه عشرة آلاف دينار ، وقال أبو أيوب : وأنا أؤدي عنه كذا ، وقال مسعود وأنا أؤدي عنه كذا ،

---

(١) وهم : مسعود وسعيد ومخلد ومحمد .
(٢) الوزراء ص/١١٧-١٢١ . انظر ايضا اليعقوبي : تاريخ ٣٨٩/٢ ، الطبري : تاريخ ٤٢/٨، ٤٤ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٧٦ ، الأزدي : تاريخ الدول ص/١١٠-١١١ ، ابن خلكان : وفيات ٤١٤/٢ .
(٣) تاريخ ٤٢/٨ .

فتوزعها الموريانيون بينهم ، وأخرجوا أبانا من الحبس ، فخرج وفي نفسه مافيها ، فكان يأتي أبا أيوب فيقيم عنده نهاره كله ، فاذا كان الليل انصرف ومعه غلمان أبي أيوب ، فاذا انصرفوا وعلم انهم قد وصلوا الى منازلهم ، خرج حتى أتى الربيع فيسعى بأبي أيوب ويكتبه أخباره وأمواله ، فيوصل الربيع ذلك الى المنصور ، فيقول المنصور من اين هذا؟ فيقول : من أبان بن صدقة ..." .[1]

والحق أن أبا أيوب المورياني كان يطمع في جمع الأموال بأي طريقة كانت ، وهذا سبب نكبته ومحاسبته[2] ، ومن ذلك أن رجلا جاءه من الأهواز فقال له : "ان ضيعتي بالأهواز قد حمل علي فيها العمال ، فان رأى الوزير أن يعيرني اسمه أجعله عليها ، وأحمل اليه في كل سنة مئة ألف درهم ؟ فقال : قد وهبت لك اسمي فافعل مابدالك . وخرج الرجل وحال الحول فأحضر الرجل المال ..." .[3]

لاشك أن هذه الشواهد التاريخية توضح لنا أن أبا أيوب المورياني حوسب لنهمه الشديد على الأموال ، وجمعها بجاهه ومنصبه ، اضافة الى تحايله على المنصور في الضيعة التي أراد أن يستصلحها لصالح بن المنصور ، وما اصاب بسببها من أموال .[4]

---

(١) الوزراء ص/١١٦ .

(٢) الأزدي : أخبار الدول ص/١١٠ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٧٦ .

(٣) الجهشياري : الوزراء ص/١١٨ .

(٤) وهذا يدحض الرواية التي تذكر أن المنصور انما قتل أبا أيوب لأنه قتل أحد أبنائه في قصة أشبه بالأساطير . انظر عن ذلك الجهشياري : الوزراء صص/١٢١-١٢٣ ، ابن خلكان : وفيات ٤١١/٢ .

وادارة المنصور تزخر بأحداث عدة تدل على مدى متابعة المنصور لعماله ومحاسبته لهم على الأموال التى تحت أيديهم وتوضح روايات المصادر مدى دقة المعلومات التى تصل الى المنصور فى هذا الخصوص . فيذكر الأزدى واقعة لمحاسبة المنصور بعض العمال فى سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م يشير الى المصدر الذى استقى منه معلوماته بقوله : "وجدت فى كتب الحارث بن الجارود - قاضى الموصل - القديمة (١) ، أخرجها الى بعض ولده : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الى اسماعيل بن عبد الله (٢) - والى الموصل - أما بعد : فانها رقعة رفعت الى أمير المؤمنين ، على رجال عمال أمير المؤمنين بكورة الموصل لسنة ثمان وأربعين ومائة وأعوانهم وجباتهم وقساطيرهم (٣) وأتباعهم ، ان أموالا اقتطعوها ، وأمير المؤمنين يحب الشدة على أهل الخيانة ، والتنكيل بهم ، وقد بعث اليك أمير المؤمنين بدفتر فيه أسماؤهم ، ومن رفع عليه من العمال والكتاب والأعوان والقساطرة ، ومنازلهم وماشرح عليهم ، بعد هذا الذى كان يحيى بن عمران (٤) رفع أنه استخرج

---

(١) الحارث بن الجارود : ذكر أبو زكريا الأزدى أنه تولى قضاء الموصل ، ولم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من المصادر .

(٢) اسماعيل بن عبد الله : ذكر أبو زكريا الأزدى أنه ولى الموصل سنة ١٥١هـ . تاريخ الموصل ص/٢١٤ ، واستمر على ولايته حتى تاريخ هذه الحادثة ، ولم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر .

(٣) القساطير : القسطر والقسطار : الجهبذ ، ومنتقد الدراهم . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٥٩٤ ، وقد سبق تعريف الجهبذ بأنه عامل الخراج .

(٤) يحيى بن عمران : لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر ، ولعله كان أحد ولاة الموصل أو قضاتها ، وربما كان مندوبا من قبل الخليفة المنصور لمحاسبة هؤلاء العمال .

منهم من ذلك ، فاقبض ما أعلمك أمير المؤمنين فى ذلك الدفتر[1] مما رفع عليهم ، ثم احمله الى بيت المال بمدينة السلام ، مع من تثق به من الخزان، وتكتب لهم منه البراءة ، وان اعتل عليك أحد منهم بما قبله، فابسط يدك عليه ، ولتكن منك فى ذلك أشد الشدة ، ومن أعطاك ماقبله وأداه ، فلاتعرض له الا بخير له ان شاء الله ، وكتب لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائة ..."[2] .

ويذكر الأزدى أيضا حادثة محاسبة أخرى جرت فى سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م مع عامل الموصل . حيث يقول : "ان أبا جعفر كتب الى موسى بن مصعب[3] وهو عامل على الموصل : ان قبلك مائتى الف درهم ، فكتب اليه : كذب الرافع ياأمير المؤمنين ، ماهى الا أربعمائة الف ، وانما أعددتها لأمير المؤمنين ، لأن البلد كثير الخوارج ، وأعددتها للرجال متى احتجت الى محاربة خارجى ، فان كان رأيى صوابا والا وجه أمير المؤمنين من يقبضها ، قال : فوافى الرسول فخرج موسى من داره الى المسجد المقابل للقصر .. فحفر مع الحائط وأخرج أربعمائة الف درهم وحملها الى الشط فأصدرت"[4] .

---

(١) يفهم من الرواية أنه جرى محاسبة هؤلاء العمال قبل ذلك حين وقوع الحادثة سنة ١٤٨هـ على يد يحيى بن عمران وانه بقيت أشياء لم تستوف بعد فكتب المنصور الى الوالى اسماعيل بن عبد الله باستكمال ذلك كما هو مبين فى الدفتر الذى يحتوى على مايلزم كل واحد منهم من الحقوق .

(٢) تاريخ الموصل ص/٢١٤-٢١٥ .

(٣) موسى بن مصعب : لم أجد ممن ولى الموصل أميراً بهذا الاسم وانما وليها موسى بن كعب حتى سنة ١٥٨هـ . ولعله هو المقصود فى هذه الرواية . انظر الطبرى : تاريخ ٥٦،٥٤/٨ ، وقد سبقت ترجمة موسى بن كعب .

(٤) تاريخ الموصل ص/٢٢٧ . أى أرسلت الأموال الى الخليفة ببغداد .

كما حاسب المنصور كاتب ابنه المهدى ، أبا عبيد الله معاوية بن يسار على ماأنفق من أموال فترة مقامه مع المهدى بمدينة الرى ، ذلك أنه لما شخص المهدى الى الرى واليا عليها ، أذن المنصور لأبى عبيد الله "فى الانفاق والتصرف فى بيت المال" فاقام "مدة طويلة وأنفق أموالا عظيمة ، فلما انصرف المهدى الى الحضرة ـ العاصمة بغداد ـ طالب المنصور أبا عبيد الله برفع الحساب بما جرى على يده ، فقامت قيامته واشتد همه ..." (١) .

لقد كان المنصور يغضب من اسراف ولاته وانفاقهم الأموال فى غير وجه حق ، فعلى الرغم من عظم منزلة معن بن زائدة والى اليمن ، فقد غضب عليه المنصور لكثرة انفاقه للأموال ، حتى أوفد معن وفدا الى المنصور يسلون سخيمته ويستعطفون قلبه وقال : "قد أفنيت عمرى فى طاعته ، وأتعبت نفسى وأفنيت رجالى فى حرب اليمن ، ثم يسخط على أن أنفقت المال فى طاعته" فقبل المنصور وفادتهم ورضى عنه (٢) .

وفى ولاية يزيد بن حاتم المهلبى (٣) على مصر سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م شكت اليه المعافر (٤) "بعد الماء عنهم ، فابتنى يزيد بن

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٧-١٢٨ ، غير أن خالد بن برمك أشار على أبى عبيد الله بأن يتوجه الى المهدى لكى يستعطف أباه فى أمر محاسبته ، لأن ذلك يطعن فى أمانة المهدى ، فقد جرى كل أمر بالصرف بتوقيعه ، فألح المهدى على المنصور فى ذلك حتى سكت عن مطالبته .

(٢) الطبرى : تاريخ ٦٥/٨ ، بل كان المنصور يعيب على عماله اسرافهم فى أموالهم الخاصة فقد سأل معن بن زائدة عن سبب اعطائه لشاعر ألف دينار . انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٦٦/٢-١٦٧ ، الأصفهانى : الأغانى ١٠٧/١٠-١٠٨ ، الابشيهى : المستطرف ٥٧/١ .

(٣) يزيد بن حاتم المهلبى : سبقت ترجمته .

(٤) المعافر : بفتح الميم والعين وكسر الفاء ، بطن من القحطانية ، ومعافر غير مضاف فى معرفة ولانكرة ، واليهم نسب الثياب المعافرية . القلقشندى : نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م ، ص/٣٧٨ .

حاتم فسقية المعافر (١)، وأجرى اليها الماء من ساقية أبى عون (٢) وأنفق مالا عظيما ، فقال له أبو جعفر : لم أنفقت مالى على قومك" (٣) .

لقد كان المنصور يجلس بنفسه لمحاسبة العمال (٤) وتوضح روايات المصادر أنه كان دقيقا فى محاسبته ، فيذكر الطبرى أنه عندما كان المنصور يبنى مدينة بغداد ، ولى خالد بن الملت النفقة على ربع (٥) من أرباع المدينة وهى تبنى "قال خالد : فلما فرغت من بناء ذلك الربع ، رفعت اليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقى على خمسة عشر درهما ، فحبسنى بها فى حبس الشرقية أياما حتى أديتها" (٦) .

ويبدو أن تدقيق المنصور فى محاسبة العمال على الأموال دفع بعض المؤرخين الى القول عنه بأنه "الملقب بالدوانيقى لمحاسبته العمال والصناع على الدوانق والحبات" (٧) . وقد

---

(١) الفسقية : جمعها فساقى : الحوض والمتوضأ – لاتينية – انظر المنجد فى اللغة ص/٥٨٣ .

(٢) أبو عون هو عبد الملك بن يزيد والى مصر من سنة ١٣٣هـ الى سنة ١٣٥هـ ، سبقت ترجمته .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص/١١٥ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٦٧/٨ ، يقول : "ان المنصور دعا بعامل من عماله قد كسر خراجه فقال له أد ماعليك .." . انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٤ .

(٥) الربع : الدار بعينها حيث كانت وجمعها رباع وربوع وأرباع ، وأربع . والربع أيضا : المحلة . انظر الرازى : مختار الصحاح ص/١٧٧ ، الفيومى : المصباح المنير ص/٨٢ .

(٦) تاريخ ٦٥٢/٧ . انظر أيضا الجهشيارى رواية أخرى تدل على حرص المنصور على محاسبة عماله على الأموال ص/١١٤.

(٧) انظر القرمانى : أخبار الدول ص/١٤٧ . والدوانق : أجزاء الدنانير والدراهم فكل دينار ستة دوانق ذهبية ، وكل درهم ستة دوانق فضية . ووزن الدانق الذهب = ٧٦٨ر. جرام ، أما دانق الفضة = ٤٩٥ر٠ جرام . أما الحبات فهى أيضا تختلف فى النقدين فهناك حبات ذهبية ، وأخرى فضية ، ووزن الحبة الذهبية = ٥٩ر٠ جرام ، ووزن الحبة الفضية = ٠٦ر٠ جرام . د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص/٣٥٣-٣٥٥ .

انعكس ذلك على بعض الباحثين فذكر أن المنصور "لقب بأبى الدوانيق لتشدده فى محاسبة العمال والكتاب"(١).

وقد كان المنصور يأمر بأشد العقوبات على أهل الرشا والخيانات المالية ، ومن ذلك أنه عندما علم أن محمد بن الوليد كاتب الوزير أبى أيوب المورياني يأخذ الرشا ويزور الكتب باسم الوزير لجمع المال ، أمر بقتله بعد أن وبخ وزيره على اهماله ، يقول الجهشيارى : "كان لأبى أيوب كاتب يقال له محمد بن الوليد .. وكان خاصا به ، غالبا عليه ، وكان أبو جعفر ولى طريفا مولاه بريد مصر والشام والجزيرة ، وكان محمد بن الوليد شرها حريصا على أخذ الرشا ، فكتب الى طريف على لسان أبى أيوب بحمل مائة الف دينار ، فحملها ولم يعلم أبو أيوب بها ، وكان لأبى جعفر مولى يقال له مطر ، فكان أبو أيوب يعتنى به ، فأشار على أبى جعفر بصرف طريف وتقليد مطر ففعل ذلك ، وأمره بمحاسبة طريف فحاسبه وضيق عليه ، فاحفظه ذلك على أبى أيوب من جهة ماقد كان حمله ، وعنده أنه قد وصل الى أبى أيوب ومن عنايته بمطر ، فلما صار الى أبى جعفر أخرج الكتاب الذى كتبه اليه محمد بن الوليد عن أبى أيوب فدفعه اليه ، فلما وقف عليه دفعه الى أبى أيوب فقال له : هذا خط كاتبى وخاتمى ، ولاعلم لى بشىء من أمره ، فقال له أبو جعفر هذا أشد الأمرين أن تكون مائة الف دينار تؤخذ ولايعلم علمها" . فقام أبو أيوب بحبس كاتبه وسعى به عند المنصور ، وأوضح له أمره ، فأمر المنصور

---

(١) انظر محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ١٩٨/٢.

بقتله .(١)

كما أمر المنصور بقتل اسد بن المرزبان الذى بعث به لمحاسبة والى البصرة عقبة بن سلم ، وذلك لما بلغه أنه أخذ من الوالى رشوة "فمايله ولم يستقص عليه وورى عنه"(٢) .

والمنصور لم يقتصر على متابعة عماله ومحاسبتهم على الأموال وأخذهم لها بغير وجه حق ، وقبولهم للرشوة ، وانما كان أيضا يتابعهم ويحاسبهم على استقلالهم بالسلطة ، وأخذهم القرارات فى الأمور الهامة دون الرجوع اليه ، وعدم التزامهم بما يصدر اليهم من أوامر .

فقد عزل المنصور عن ولاية الكوفة محمد بن سليمان بن على لأنه قام بقتل سجين لديه دون أن يأخذ رأيه فى ذلك .(٣)

يقول الطبرى : أتى محمد بن سليمان فى عمله على الكوفة بعبد الكريم بن أبى العوجاء(٤) ، فأمر بحبسه ، وقد تشفع فيه كثيرون ببغداد لدى المنصور ، فلم يتكلم فيه الا ظنين ،

---

(١) الوزراء ص/١٠٠-١٠٢ . كان هذا الكاتب مولى لبنى أمية لايوثق بولائه للدولة . وقد حذر أبو أيوب المنصور منه مما جعله يأمر بقتله . وانظر حادثة أخرى على محاسبته العمال مماثلة . نفس المصدر ص/١١٥-١١٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٤٠/٨ ، وقد ذكر هذه الحادثة فى سنة ١٥١هـ . ذلك أن عقبة بن سلم والى البصرة شخص منها فى هذه السنة الى البحرين فقتل سليمان بن حكيم العبدى وسبى أهل البحرين وبعث ببعض من سبى منهم أسارى الى أبى جعفر فقتل منهم عدة ووهب بقيتهم للمهدى فمن عليهم وأعتقهم .. ثم عزل عقبة بن سلم عن البصرة وبعث المنصور أسد بن المرزبان الى عقبة ينظر فى أمر قتله من قتل فى البحرين .

(٣) تولى محمد بن سليمان امرة الكوفة بعد عيسى بن موسى ، وعزل سنة ١٥٥هـ ويقول الطبرى زعم عمر بن شبة أنه عزل سنة ١٥٣هـ . انظر الطبرى : تاريخ ٢٦/٨،٤٧ .

(٤) عبد الكريم بن أبى العوجاء هو خال معن بن زائدة ، وقد ذكر الطبرى أن ابن أبى العوجاء هذا "لما أيقن أنه مقتول قال : أما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام ، والله لقد فطرتكم فى يوم صومكم وصومتكم فى يوم فطركم فضربت عنقه" . تاريخ ٤٨/٨ . أى أنه قتل على الزندقة .

فأمر بالكتابة الى محمد بالكف عنه الى أن يأتيه رأيه ، وكان ابن ابى العوجاء قد طلب من محمد بن سليمان أن يؤخره ثلاثة أيام وله مائة ألف ، فغضب محمد ودعا بابن أبى العوجاء وأمر بضرب عنقه ، وورد على محمد رسول أبى جعفر المنصور بكتابه : "اياك أن تحدث فى أمر ابن أبى العوجاء شىء فانك ان فعلت ، فعلت بك وفعلت .. يتهدده ، فقال محمد للرسول : هذا رأس ابن ابى العوجاء ، وهذا بدنه مصلوبا بالكناسة ، فأخبر أمير المؤمنين بما أعلمتك ، فلما بلغ الرسول أبا جعفر رسالته ، تغيظ عليه وأمر بالكتابة بعزله وقال : والله لهممت أن أقيده به ، ثم أرسل الى عيسى بن على فأتاه ، فقال له : هذا عملك أنت! أشرت بتولية هذا الغلام ، فوليته غلاما جاهلا لاعلم له بما يأتى ، يقدم على رجل يقتله من غير أن يطّلع رأيى فيه ، ولاينتظر أمرى ، وقد كتبت بعزله ، وبالله لأفعلن به ولأفعلن به ... يتهدده" (١) .

---

(١) تاريخ ٨/٤٧-٤٨ . ثم يقول : "فسكت عنه عيسى حتى سكن غضبه ثم قال : ياأمير المؤمنين ان محمدا انما قتل هذا الرجل على الزندقة ، فان كان قتله صوابا فهو لك وان كان خطأ فهو على محمد ، والله ياأمير المؤمنين لئن عزلته عن تفيه ماصنع ليذهبن بالثناء والذكر ولترجعن القالة من العامة عليك ، فأمر بالكتب فمزقت وأقر على عمله" . ويبدو أن تكملة الرواية على هذا النحو ليس صحيحا ذلك أن الطبرى يذكر فى قائمة العمال التى أوردها فى نهاية سنة ١٥٥هـ وهى سنة عزل محمد بن سليمان أن عامل الكوفة هو عمرو بن زهير وكذلك فى السنة التالية ١٥٦هـ وحتى نهاية خلافة المنصور . نفس المصدر ٨/٤٩،٥١،٥٣،١١٥ ، كما يذكر الطبرى فى رواية أخرى يضعف من شأنها أن سبب عزل محمد بن سليمان "لأمور قبيحة بلغته اتهمه فيها ، وكان الذى أنهى ذلك اليه المساور بن سوار الجرمى صاحب الشرطة" . ٨/٤٨-٤٩ .

وكان سبب عزل المنصور لوالي الكوفة السابق عيسى بن موسى استبداده برأيه أيضا ، اذ لم يرجع الى أمره في قتل (١) رجل من ولد نصر بن سيار ، يقول الطبري : "بلغ المنصور أن عيسى بن موسى قتل رجلا من ولد نصر بن سيار ، كان مستخفيا بالكوفة ، فدل عليه فضرب عنقه ، فأنكر ذلك وأعظمه ، وهم في عيسى بأمر كان فيه هلاكه ، ثم قطعه عن ذلك جهل عيسى بما فعل ، فكتب اليه : أما بعد فانه لولا نظر أمير المؤمنين واستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل ابن نصر ابن سيار واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال في مثله ، فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربي وأعجمي ، وأحمر وأسود ، ولاتستبدن على أمير المؤمنين بامضاء عقوبة في أحد قبله تباعة (٢) ، فانه لايرى أن يأخذ أحدا بظنه قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولابحدث كان فيه حرب أعقبه الله منها سلما ، وستر به عن ذي غله ، وحجز به عن محنة مافي الصدور ، وليس ييأس أمير المؤمنين لأحد ولالنفسه من الله من اقبال مدبر ، كما انه لايامن من ادبار مقبل ان شاء الله والسلام" (٣).

وقد كان المنصور يتابع عماله ويحاسبهم أيضا على سوء ادارتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، فقد ولي في سنة

---

(١) عزل عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة سنة ١٤٧هـ بعد أن دامت ولايته ثلاث عشرة سنة ، حيث تولاها سنة ١٣٢هـ . انظر الطبري : تاريخ ٤٥٨/٧ ، ٢٥/٨ ، ويذكر الطبري في رواية أخرى أن من أسباب عزل عيسى بن موسى أيضا امتناعه من تقديم المهدي على نفسه في ولاية العهد ٢٥/٨ .

(٢) تباعة : تأتي بمعنى المظلمة والطلب والبغية . انظر الرازي : مختار الصحاح ص/٦٤ ، الفيروزابادي : القاموس المحيط ص/٩١١ .

(٣) تاريخ ٦٢/٨-٦٣ . ومن أمثلة محاسبة المنصور لعماله على استبدادهم بالرأي دونه انظر ماذكره ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٤٨/٢-١٥٠ ، أيضا الطبري : تاريخ ٥٨/٨-٥٩ ، الخطيب البغدادي : تاريخ ١٥/١٠ .

١٤١هـ/٧٥٨م امرة مصر موسى بن كعب – أحد نقباء الدعوة العباسية وقادة جيوشها[(١)]، ومن المقدمين لدى المنصور حيث كان يجله ويقدره[(٢)] – غير انه كان رجلا عسكريا ناجحا ، ولم يكن اداريا محنكا ، "فباشر أمر مصر بحرمة وافرة ، ونهى الجند أن يتوجهوا اليه ، أو يتكلموا معه الا فى أمر مهم ، ولايفعلوا به كما كانوا يفعلون بالأمراء من قبله ، فانتهوا عنه حتى لم يكن لأحد أن يجتاز بابه الا من له عنده حاجة ، أو أذن له فى ذلك"[(٣)] ، يقول الكندى (ت بعد ٣٥٠هـ/٩٦١م) : "ان موسى بن كعب لما ولى مصر نزل العسكر[(٤)] فجعل وجوه الجند يغدون عليه ويروحون ، فقال : ألكم حاجة ؟ أتشكون ظلامة ؟ قالوا : لا . قال : فما هذا الاختلاف ؟ قالوا : كنا نفعل ذلك بأمرائنا قبلك ، فقال : قد وضعه الله عنكم فأقيموا فى منازلكم . فانتهى الناس"[(٥)] . كما يذكر الكندى أيضا نصوصا من الخطب التى كان موسى بن كعب يلقيها على الناس ، فى اشارة الى أنه كان بعيدا عن الادارة والسياسة ، يميل دائما الى طبيعته العسكرية الحربية[(٦)] .

لقد كان المنصور فى بداية تأسيس الدولة فى حاجة الى من يثق به من قادة جيوش الدعوة ، لوجود الثورات فى

---

(١) انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٦-١٠٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٢/١ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٣/١ . وقد سبقت ترجمة موسى بن كعب .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٣/١ .
(٤) العسكر : أكثر من موضع يقصد بها هنا عسكر مصر : وهى خطة بها سميت بذلك لأن عسكر صالح بن على بن عبد الله ابن عباس الهاشمى وأبى عون عبد الملك بن يزيد مولى هناءة نزل هناك فى سنة ١٣٣هـ فسمى المكان بالعسكر الى الآن . ياقوت : معجم البلدان ١٢٣/٤ .
(٥) الولاه والقضاه ص/١٠٧ .
(٦) الولاه والقضاه ص/١٠٧ .

البلدان التى انضمت الى دولتهم الوليدة ، ومن هؤلاء موسى ابن كعب ، حتى ان ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) يقول فى ترجمته له : ان المنصور "جعله على شرطته ثم ولاه مصر مكرها ..." (١) .

لم تطل فترة ولاية موسى بن كعب على مصر ، فقد أدرك المنصور عدم ملاءمته لهذا المنصب ، وان الأمور لن تسير على هذا الوضع ، فتشدد موسى أدى الى نفور الناس ، وبعدهم عنه فأمر بعزله فى نفس السنة التى ولاه فيها ، فكانت مدة ولايته سبعة أشهر فقط (٢) .

ومن أمثلة متابعة المنصور ومحاسبته للعمال على سوء ادارتهم لما تحت أيديهم ، واهمالهم لما أوكل اليهم من أمور أنه عزل والى حضرموت لما بلغه من بعده عن مباشرة ادارة ولايته . يقول الطبرى : ولى المنصور "رجلا حضرموت ، فكتب اليه والى البريد أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد ببزاه وكلاب قد أعدها ، فعزله وكتب اليه : ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك! ماهذه العدة التى أعددتها للنكاية فى الوحش ؟ انا انما استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكف أمور الوحش . سلم ماكنت تلى من عملنا الى فلان ابن فلان ، والحق بأهلك ملوما مدحورا" (٣) .

وعندما "كتب صاحب أرمينية الى المنصور أن الجند قد شغبوا عليه وكسروا اقفال بيت المال ، وأخذوا مافيه . وقع

---

(١) النجوم الزاهرة ٣٤٣/١ .
(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٤٣/١-٣٤٤ .
(٣) تاريخ ٦٨/٨ .

في كتابه : اعتزل عملنا مذموما ، فلو عقلت لم يشغبوا ، ولو قويت لم ينهبوا" (١).

ومتى رفع الى المنصور أن أحدا من عماله ارتكب خطأ مقصودا ، بادر الى محاسبته ومعاقبته على قدر جرمه . فقد اتصل الخبر به "أن أحداثا من الكتاب يزورون في ديوان داره فأمر باحضارهم وتقدم بتأديبهم .." (٢).

وقد كان المنصور يتابع عماله ويحاسبهم على ظلمهم الرعية ، ولاتمنعه القرابة من الأخذ على أيديهم ومعاقبتهم ، يقول الجهشياري : "كان المنصور قلد عبد الوهاب بن ابراهيم (٣) فلسطين ، فعسف أهلها ، وكان ابراهيم بن أبي عبلة - كاتب هشام - مقيما بها ، فاستحضره المنصور فلما وصل اليه قال له : ابن أبي عبلة ؟ ماوراءك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، قد قرأت عهود الخلفاء الذين من لدن عبد الملك اليك ، فما سمعت عهدا قط أجمع من عهد قرأه علينا عبد الوهاب منك ، ثم عمد الى جميع ماأمرته به فاجتنبه ، ومانهيته من شيء فارتكبه . وكان ابن مجير - من أهل فلسطين - قد حضر مع ابن أبي عبلة ، ووصل الى المنصور ، فقال : ماوراءك يابن مجير

---

(١) الطبري : تاريخ ٩٧/٨ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٥/١ ، انظر أيضا حادثة أخرى جرت في سنة ١٥٨هـ سخط فيها المنصور على والي الشرطة المسيب بن زهير وعزله عن عمله . الطبري : نفس المصدر ٥٦/٨-٥٧ .

(٢) الجهشياري : الوزراء ص/١٣٦ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٨١ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤١-٤٢ .

(٣) هو : عبد الوهاب بن ابراهيم الامام بن محمد العباسي ، من بني العباس ، أمير من الشجعان القادة ، سيره عمه المنصور سنة ١٤٠هـ الى ملطيه ، ومعه الحسن بن قحطبة فخافتهما الروم ، وعمرا ملطية بعد أن خربتها أيدي الفرنجة ، وأقاما الحج سنة ١٤٦هـ ، وغزا الصائفة سنة ١٥١،١٥٢هـ ، وتوفي ببغداد سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م . الزركلي : الأعلام ١٧٩/٤ .

فأخرج طائرا من كمه قد نتفه حتى لم تبق عليه ريشة واحدة ، فقال له : فارقت البلد يا أمير المؤمنين ، وقد نتفه ابن أخيك ، حتى تركه كما تركت هذا الطائر ، فأظهر انكارا شديدا وعزله "(١) .

وتوضح روايات المصادر مدى حرص المنصور على ايقاع العقوبة على من يقوم بظلم الرعية ، فقد عزل والى همذان لما ثبت لديه ظلمه لواحد من رعيته "وعاقبه على ماجنى من انحرافه عن سنة العدل ، وواضحة الحق"(٢) ، كما عزل متولى ديوان الأضراء ، عندما شكى اليه أهل الديوان أنه يقطع أرزاقهم ، ويسىء فيما بينهم وبينه(٣) .

وعندما تظلم الى المنصور رجل مجوسى ، من اعتداء عامل الأنبار على ضيعته ، لكى يضمها الى أرضه ، طلب المنصور من وزيره الربيع بن يونس أن يتولى تأديب هذا العامل بقوله : "اشخص هذا العامل واحسن أدبه ، وانتزع ضيعة هذا المجوسى من يده وسلمها الى هذا المجوسى ، وابتع من العامل ضيعته وسلمها اليه أيضا ، ففعل الربيع ذلك كله .."(٤) .

وقد كانت توقيعات المنصور على رقاع المتظلمين تحمل معانى العدل والانصاف ، كما تدل على اهتمام المنصور بالأخذ على يد العمال ، ومنعهم من ظلم الرعية ، فقد "تظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال فى رقعة رفعها الى المنصور ،

---

(١) الوزراء ص/١٣٧ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ٢٨٧/٣-٢٨٩ . حيث أراد الوالى أخذ ضيعة أحد الرعايا . انظر أيضا الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/١٨٥ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٥٣٠.
(٣) الخطيب البغدادى : تاريخ ١٤٥/١١ . وقد جاء فى أمر المنصور "يعزل عنهم كاتبهم ويولى عليهم من أحبوا..".
(٤) التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢٩٦/٢ .

فوقع فيها : ان كنت صادقا فجئ به ملببا ، فقد أذنا لك في ذلك"[(١)] . ورفع رجل اليه "يشكو عامله أنه أخذ حدا من ضيعته فأضافه الى ماله ، فوقع الى عامله في رقعة المتظلم : ان آثرت العدل صحبتك السلامة ، فانصف هذا المتظلم من هذه الظلامة"[(٢)] ، كما وقع الى عامل من عماله : "قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فاما اعتدلت واما اعتزلت"[(٣)] .

وكان المنصور يحرص على أن يكون عماله على كفاءة عالية ، ومتى اكتشف أن أحدا منهم لم يكن على قدر المسئولية ، بادر بعزله عما تحت يده من عمل[(٤)] .

وتذكر المصادر عدة أحداث يظهر فيها تشدد المنصور في محاسبة العمال الذين يثبت عدم ولائهم للدولة ، أو من يسعى منهم في اقامة الثورات ، أو المساعدة على استمرارها ، حيث كان المنصور ينزل بهم أشد العقوبات .

لقد ولى المنصور عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي خراسان سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م فلما قدمها أخذ بعض القواد ، بحجة اتهامهم بالدعاء الى ولد على بن أبي طالب رضي الله عنه ، منهم مجاشع بن حريث الأنصاري صاحب بخاري[(٥)] ، وخالد بن كثير

---

(١) الطبري : تاريخ ٩٧/٨ . انظر أيضا اهتمامه برفع الظلم عن رعيته . ابن الجوزي : الأذكياء ص/٧٧ ، الابشيهي : المستطرف ١٣٤/١ ، السيوطي : قدح الدراسة (مخطوط) لوحة ١٤٧ .

(٢) الطبري : تاريخ ٩٧/٨ .

(٣) الاربلي : خلاصة الذهب ص/٦٢ .

(٤) انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ٤٤/١ ، الطبري : تاريخ ٦٥٥/٧-٦٥٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٩/٣ ، الأصفهاني : الأغاني ٣٦٢/١٤،٣٦٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤٥٠/١ .

(٥) بخاري : من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها ـ نهر جيحون ـ ياقوت : معجم البلدان ٣٥٢/١ . فهي تقع في الجزء الشمالي الشرقي من الدولة الاسلامية ، وتابعه اداريا لولاية خراسان .

- أبو المغيرة مولى تميم - صاحب قوهستان[(١)] ، والحريشى بن محمد الذهلى فقتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبى ، ومعبد بن الخليل المزنى ، بعدما ضربهما ضربا مبرحا ، وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان ، وألح على استخراج ماعلى عمال والى خراسان السابق خالد بن ابراهيم - أبو داود - من بقايا الأموال[(٢)] .

وقد أدرك المنصور أن قيام عبد الجبار بقتل أنصار الدعوة العباسية بخراسان ، لم يكن للتهمة التى نسبها اليهم ، وانما رغبة منه فى التخلص منهم ، حتى لايقفوا عائقا أمام محاولة استقلاله بخراسان ، فأراد المنصور أن يتأكد من حقيقة أمر عبد الجبار ومدى ولائه له ، فكتب اليه أن يوجه اليه بجنود من خراسان لغزو بلاد الروم ، فأجاب عبد الجبار : بأنه لايستطيع أن يرسل الجنود ، لتخوفه من الأتراك المجاورين له ، الذين يهددون أمن خراسان ، فكتب اليه المنصور : "ان خراسان أهم الى من غيرها ، وأنا موجه اليك الجنود من قبلى .. فلما ورد على عبد الجبار الكتاب ، كتب

---

(١) قوهستان : هى أكثر من موضع ويقصد بها هنا ناحية كبيرة تشمل المناطق الممتدة من هراه الى قرب نهاوند وهمذان وبروجرد ، وهى مجموعة من الجبال تسمى بهذا الاسم . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤١٦/٤ . وهى من أعمال خراسان ، وتعد من الأقاليم الواقعة فى وسط بلاد المشرق الممتدة من العراق الى أقصى بلاد ماوراء النهر وبالنسبة لخراسان فهى تقع فى الجزء الجنوبى الغربى منها . انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/١٦،٣٧٦ ، استنتاجا من الخرائط التوضيحية .

(٢) الطبرى : تاريخ ٥٠٣/٧ ، ويقول اليعقوبى : ان عبد الجبار قتل "المغيرة بن سليمان ، ومجاشع بن حريث ، وقصد لشيعة بنى هاشم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة وجعل يتتبعهم ويمثل بهم" تاريخ ٣٧١/٢ . ويصفه حمزة الاصفهانى بقوله : "عصى عبد الجبار وارتكب العظائم" تاريخ سنى ملوك الأرض ص/١٦٢ .

اليه : ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالا منها في هذا العام ، وان دخلها الجنود هلكوا لضيق ماهم فيه من غلاء السعر" . فلما وصل الكتاب الى المنصور ألقاه الى وزيره أبى أيوب المورياني ، فقال المورياني : "قد أبدى صفحته وقد خلع ، فلاتناظره" (١) .

وعندما تيقن المنصور من حقيقة أهداف عبد الجبار كتب اليه "يحلف ليقتلنه" (٢) ، فخلع عبد الجبار في سنة ١٤١هـ/٧٥٨م فوجه اليه المنصور بجيش تحت قيادة ابنه المهدى (٣) الذى استطاع أن يهزم جيش عبد الجبار ، ويأخذه أسيرا ، حيث قدم به على المنصور مع ولده وأصحابه "فبسط عليهم العذاب ، وضربوا بالسياط ، حتى استخرج منهم ماقدر عليه من الأموال ، ثم أمر المسيب بن زهير (٤) ، بقطع يدى عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه .." (٥) .

ومن أمثلة محاسبة المنصور عماله على عدم ولائهم للدولة ، محاسبته لولاة المدينة المنورة ، الذين لم يخلصوا فى مهمة القبض على محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن ابن على بن ابى طالب .

فقد عزل المنصور فى سنة ١٤١هـ/٧٥٨م عن ولاية المدينة زياد بن عبيد الله الحارثى (٦) ، لعدم اخلاصه فيما أوكل اليه

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٠٨/٧-٥٠٩ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧-٥١٠.
(٤) المسيب بن زهير بن عمرو الضبى ـ أبو مسلم ـ قائد من الشجعان ، كان على شرطة المنصور والمهدى والرشيد العباسيين ببغداد ، وولاه المهدى خراسان مدة قصيرة . توفى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م . الخطيب: تاريخ بغداد ، ١٣٧/١٣ ، الزركلى : الأعلام ٢٢٥/٧ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٥٠٩/٧ ، انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٥١٨/٧ ، وقد ولى المدينة منذ عهد السفاح سنة ١٣٣هـ . نفس المصدر ٤٥٩/٧ .

من مهمة القبض على ابني عبد الله بن الحسن ، يقول ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) : "أمر أبو جعفر زياد بن عبيد الله الحارثي بطلبهما ، فكان يغيب في ذلك ، ولايجد في طلبهما ، فعزله أبو جعفر عن المدينة" (١). ويشير الطبري الى مدى ولاء زياد لهما بقوله : "قدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زيادا فتلطف له ، وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغلسا ، ووعد محمد سوق الظهر فالتقيا بها ، ومحمد معلن غير مختف ، ووقف زياد الى جنبه وقال : أيها الناس : هذا محمد بن عبد الله ابن حسن ، ثم اقبل عليه ، فقال : الحق بأى بلاد الله شئت ، وتوارى محمد وتواترت الأخبار بذلك على أبي جعفر" (٢).

"فلما تتابعت الأخبار على أبي جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجه أبا الأزهر – رجلا من أهل خراسان – الى المدينة ، وكتب معه كتابا ، ودفع اليه كتبا ، وأمره ألا يقرأ كتابه اليه حتى ينزل الأعوص (٣).. فلما نزله قرأه ، فاذا فيه توليه عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة – وكان قاضيا لزياد بن عبيد الله – وشد زياد في الحديد ،

---

(١) الطبقات الكبرى – القسم المتمم – ص/٢٥٤ . وقد ضمن زياد للمنصور أن يقبض له على ابني عبد الله بن الحسن انظر الطبرى : تاريخ ٥١٨/٧، ٥٢٢، ٥٢٨ . وقد اشتهر في المصادر مدى حرص المنصور على القضاء على فتنة محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن .

(٢) تاريخ ٥٢٩/٧ .

(٣) الأعوص قال الطبرى : موضع على بريد من المدينة – والبريد حوالي ستة أميال – .
وقال ياقوت : الأعوص : موضع قرب المدينة جاء ذكره في المغازى – مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو على أميال من المدينة . وهناك أكثر من موضع يسمى بالأعوص .
انظر الطبرى : تاريخ ٥٢٩/٧ ، ياقوت : معجم البلدان ٢٢٣/١ .

واصطفاء ماله ، وقبض جميع ماوجد له ، وأخذ عماله واشخاصه واياهم الى أبى جعفر .

فقدم أبو الأزهر المدينة (١) .. فوجد زيادا فى موكب له ، فقال أين الأمير ؟ فقيل : ركب . وخرجت الرسل الى زياد بقدومه ، فأقبل مسرعا حتى دخل دار مروان (٢) ، فدخل عليه أبو الأزهر ، فدفع اليه كتابا من أبى جعفر .. يأمره بأن يسمع ويطيع ، فلما قرأه قال : سمعا وطاعة ، فمر ياأبا الأزهر بما أحببت ، قال : ابعث الى عبد العزيز بن المطلب ، فبعث اليه ، فدفع اليه كتابا أن يسمع لأبى الأزهر ، فلما قرأه قال : سمعا وطاعة ، ثم دفع الى زياد كتابا يأمره بتسليم العمل الى ابن المطلب ، ودفع الى ابن المطلب كتابا بتوليته ، ثم قال لابن المطلب : ابعث الى أربعة كبول وحدادا ، فأتى بهما ، فقال : اشدد أبا يحيى - يعنى زيادا - فشد فيها ، وقبض ماله - ووجد فى بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار - وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحدا فشخص بهم وبزياد (٣) " .

---

(١) قدم أبو الأزهر المدينة "السبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة احدى وأربعين ومائة" . الطبرى : تاريخ ٥٢٩/٧ .

(٢) كانت دار الامارة بالمدينة المنورة تسمى دار مروان . انظر الطبرى : تاريخ ٥٣٢/٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥٢٩/٧-٥٣٠ . وقد أدرك زياد أن سبب عزله هو تعصبه لبنى عبد الله بن الحسن . نفس المصدر ٥٣٠/٧ ، ويذكر أنه كان لزياد كاتب يقال له حفص بن عمر من أهل الكوفة يتشيع وكان يثبط زيادا عن طلب محمد فكتب فيه عبد العزيز بن سعد الى أبى جعفر فحدره اليه ، فكتب زياد الى عيسى بن على وعبد الله ابن الربيع الحارثى فخلصاه حتى رجع الى زياد" . نفس المصدر ٥٢١/٧ ، العيون والحدائق ٥٣٣/٣ . ويقول الأزدى ان المنصور عزل زياد بن عبد الله "وآذاه وشتمه ، لتعصبه لبنى حسن وكفه عن أخذهم" . أخبار الدول ص/١٠٧ .

ثم ان المنصور ولى على المدينة المنورة محمد بن خالد القسرى "وأمره – أيضا – بالجد فى طلب محمد – بن عبد الله ابن الحسن – وبسط يده فى النفقة فى طلبه .. فوجد فى بيت المال سبعين الف دينار ، والف الف درهم ، فاستغرق ذلك المال ، ورفع فى محاسبته أموالا كثيرة ، أنفقها فى طلب محمد ، فاستبطاه أبو جعفر واتهمه ، فكتب اليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة واعراضها (١) ، فأمر محمد بن خالد اهل الديوان ان يتجاعلوا (٢) لمن يخرج .. وخرجوا الى الاعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسرى أهل المدينة فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجند بيوت الناس يكشفونها ، لايحسون شيئا ، وكتب القسرى لأعوانه صكاكا يتعززون بها ، لئلا يعرض لهم أحد ، فلما استبطاه أبو جعفر ، ورأى ما استغرق من الأموال عزله (٣) " .

ويكشف ابن سعد عن سوء نية القسرى فى القبض على ابراهيم ومحمد ابنى عبد الله بن الحسن بقوله : ان أبا جعفر "أمره بطلبهما فغيب أيضا فى ذلك ولم يبالغ ، وكان يعلم مكانهما فيرسل الخيل فى طلبهما الى مكان آخر ، وبلغ

---

(١) الاعراض : جمع عرض ، ويأتى بمعان عدة منها الجبل ، أو سفحه ، أو ناحيته ، أو الموضع يعلى منه الجبل ، والوادى ، والناحية ، والجانب ، واعراض الحجاز : رساتيقه ، الواحد : عرض . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٨٣٢-٨٣٣ . والرستاق : مشتق من كلمة فارسية هى "روذه فستا" ، وهو كل موضع فيه مزارع وقرى ولايقال ذلك للمدن . ياقوت : معجم البلدان ١/٣٧-٣٨ .

(٢) أى أن يشرطوا مبلغا من المال لمن يخرج فى طلب محمد ابن عبد الله بن الحسن . انظر معنى كلمة جعل فى اللغة . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٢٦٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٥٣١/٧ . وكان عزله سنة ١٤٤هـ . أما ولايته للمدينة فكانت عقب عزل زياد بن عبيد الله مباشرة فى سنة ١٤١هـ .

ذلك أبا جعفر فغضب عليه فعزله" ، ويقول أيضا : "وكانت رسلهما تأتيه بأخبارهما وحوائجهما فيقضيها" (١) .

وقد حوسب القسرى على الأموال التى أنفقها ، ووجئت (٢) عنقه ، وقنع أسواطا من قبل والى المدينة الذى عين بعده - رياح بن عثمان - كما بسط العذاب على كاتب القسرى (٣) "فكان يضرب فى كل غب (٤) خمسة عشر سوطا ، مغلولة يده الى عنقه ، من بكره الى الليل ، يتبع به افناء المسجد والرحبة" (٥) . كما ضرب خالدا مئة سوط أيضا ورد الى السجن (٦) .

كما عزل المنصور أيضا الحسن بن زيد بن الحسن بن على ابن ابى طالب والى المدينة المنورة (٧) ، حين شك فى ولائه ، وفى ذلك يقول الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : "خافه المنصور فحبسه" (٨) ، ويقول ابن سعد : ان المنصور "تعقبه وغضب عليه ، وعزله واستصفى كل شىء له ، فباعه وحبسه" (٩) . ويذكر الخطيب

---

(١) الطبقات الكبرى - القسم المتمم ص/٢٥٤،٣٧٥ . ولم يف للمنصور من ولاه المدينة الا رياح بن عثمان الذى تولى بعد القسرى . يقول ابن سعد : "ألح رياح فى طلبهما فلم يداهن ولم يغيب" المصدر نفسه ص/٣٧٥ ، وقد ذكر الطبرى أحداث القبض على محمد فى ولاية رياح . تاريخ ٥٣١/٧ ومابعدها .

(٢) وجأ : وجأه باليد والسكين أى ضربه . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٧٠ ، والمقصود فى الرواية أن القسرى ضرب على رقبته باليد وليس المقصود القتل بالسلاح .

(٣) جاء فى الرواية أن كاتب القسرى يدعى رزاما وهو مولاه .

(٤) الغب : له أكثر من معنى وربما المقصود هنا هو انزال العقاب به يوما بعد يوم . انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٣٤٧ ، الفيومى : المصباح المنير ص/١٦٨ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٥٢ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٥٣٣/٧ .

(٦) الطبرى : تاريخ ٥٣٤/٧ .

(٧) ولى المدينة من سنة ١٤٩-١٥٥هـ . انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى - القسم المتمم - ص/٣٨٦ ، ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٥ ، الخطيب : تاريخ ٣٠٩/٧ .

(٨) العبر ١٩٤/١ . انظر أيضا دول الاسلام ١٢١/١ .

(٩) الطبقات الكبرى - القسم المتمم - ص/٣٨٧ ، ويقول أيضا "وأمر بحبس حسن بن زيد والتضييق عليه" ص/٤١٧ ، ويقول الخطيب : "ثم غضب عليه فعزله واستصفى كل شىء له وحبسه ببغداد ، فلم يزل محبوسا حتى مات المنصور" . تاريخ ٣٠٩/٧ ، انظر أيضا الذهبى : العبر ١٩٤/١ .

البغدادي مايفيد عزم الحسن بن زيد الخروج على المنصور[١] ، ويضيف أن الحسن بن زيد مع العقوبة التي نالها ، والسجن الذي حكم به عليه ، عرض للمحاكمة على الأعمال التي كان قد قام بها في ولايته ، فيروي عن "ابن أبي سلمة قال : حدثني أبي قال : كنت ببغداد عند باب الذهب[٢] قال : فقيل الحسن بن زيد يخرج من السجن ينازع محمد بن عبد العزيز ، وكان على قضاء مدينة أبي جعفر الجمحي[٣] ، فأمر أن ينظر بينهما ، أمره أمير المؤمنين بذلك ، قال : فجاء الحسن بن زيد ، وجاء محمد بن عبد العزيز فجلس الى جانبه في مجلس الحكم .. ثم ان الجمحي أقبل عليهم فقال : .. هات يا ابن عبد العزيز ماتقول ؟ قال : أصلح الله القاضي جلدني مائة ، وشق قضاياي[٤] وعلقها في عنقي ، وأقامني على البلس[٥] ، فقال : ماتقول ياحسن ؟ قال : أمرني أمير المؤمنين بذلك ، قال : حجتك ، فأخرج كتابا من كمه وقال : هذا حجتي ، قال : هاته ، قال : ماكنت لأدفع حجتي الى غيري ، ولكن ان أردت أن تنسخه فانسخه ثم أعاده الى كمه ..."[٦] .

---

(١) تاريخ ٣١٢/٧ .

(٢) لعل المقصود باب قصر الذهب الذي بناه المنصور في وسط مدينة بغداد . انظر ياقوت : معجم البلدان ٤٥٩/١ .

(٣) هو عبد الله بن صفوان الجمحي ، انظر اليعقوبي : تاريخ ٣٨٩/٩ .

(٤) القضايا : جمع القضية وهي الحكم . الرازي : مختار الصحاح ص/٣٩٦ .

(٥) بلس : الابلاس اليأس ، والانكسار ، والحزن ، وأهل المدينة يسمون المسح ـ ثوب شعر غليظ ـ بلاسا ، وهو فارسي معرب ، ومن دعائهم أرانيك الله على البلس . وهي غزائر ـ لعلها معربة ـ كبار من مسوح يجعل فيها التبن ، ويشهر عليها من ينكل به ، وينادى عليه . ابن منظور : لسان العرب ، طبعة دار صادر ، بيروت لبنان (بدون) ٣٠/٦ .

(٦) تاريخ بغداد ٣١٢/٧ . انظر أيضا محاسبة المنصور لمرار ابن جهور عندما علم أنه على خلعه ، فتأكد من ذلك وبعث اليه خازم بن خزيمة فقاتله وأخذه . ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٠٩/١-٢١٠ ، البيهقي : المحاسن والمساوىء ص/١٤٦-١٤٨ .

ان رواية الخطيب هذه تدلنا على أن من تتم محاسبته من قبل المنصور ، يقام أيضا للمظالم لينصف الناس منه ، ولايكتفى بعزله أو مصادرته أو حبسه فقط ، عقابا له على ماصدر منه من أخطاء ، وانما لابد من اعادة الحقوق الى أهلها ، بعد التثبت من صحة مايدعى به .

كما عزل المنصور حميد بن قحطبة عن ولاية مصر ، لتستره على أحد الطالبيين ، وعدم قبضه عليه ، مع شدة مطالبة المنصور له . يقول الكندى : فى سنة ١٤٤هـ/٧٦١م "قدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فى أمره حميد بن قحطبة داعية لأبيه وعمه ، فنزل على عسامه بن عمرو المعافرى (١) ، فذكر ذلك صاحب السكة (٢) لحميد بن قحطبة . وقال : ابعث اليه فخذه ، فقال حميد : هذا كذب ، ودس عليه فتغيب ، ثم بعث اليه من الغد فلم يجده ، فقال لصاحب السكة : ألم أعلمك أنه كذب ، وكتب بذلك صاحب السكة الى أبى جعفر ، فعزله وسخط عليه (٣) " .

كما قام المنصور فى نفس السنة بعزل قاضى مصر غوث بن سليمان (٤) . ويذكر الكندى روايتين حول سبب عزل المنصور لغوث

---

(١) عسامه بن عمرو بن علقمة المعافرى - أبو داجن - أمير مصر ، ولى شرطتها عدة مرات ، واستخلفه موسى بن مصعب على امارتها نيابة ، وقتل موسى سنة ١٦٨هـ فأقره المهدى العباسى أميرا عليها . ثم عزله بعد ثلاثة أشهر وأيام ، وأعيد الى ولايتها بالنيابة ، وأقيل . كان من ذوى الرأى والشجاعة ، توفى سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م . الكندى: الولاة والقضاة ص/١٢٨.
الزركلى : الأعلام ٤/٢٣٣ .

(٢) المقصود بصاحب السكة متولى أمر البريد .

(٣) الولاه والقضاه ص/١١١ . انظر أيضا ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ص/١٤٦-١٤٨ .

(٤) غوث بن سليمان الحضرمى ، قاضى مصر ، كان أعلم الناس بمعانى القضاء وسياسته ، ولم يكن بالفقيه العالم ، ولى القضاء بمصر سنة ١٣٥هـ وحتى سنة ١٤٠هـ ثم خرج الى الصائفة بفلسطين وعاد فى سنته الى القضاء بمصر فأقام الى سنة ١٤٤هـ . واتهم بمكاتبة الأباضية فى =

تشير ان الى أنه كان متهما فى صدق ولائه للدولة العباسية .

حيث يقول : "زعم عبد الصمد بن حمزة أن غوث بن سليمان اتهم أن يكون غيب عنده على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وقال سعيد بن القاسم بن الحسن : بل اتهم بمكاتبة أبى الخطاب الأباضى والأباضية (١) . فورد كتاب أبى جعفر على يزيد بن حاتم وهو على مصر يأمره فيه بحبس غوث فحبس" (٢) .

ومما يؤكد اتهام غوث بن سليمان بمكاتبة الأباضية ، قول ربيعة النفوسى : "أنا حملت كتاب أبى الخطاب الأباضى من افريقية الى غوث ، وحملت كتاب غوث الى أبى الخطاب" (٣) .

وقد أمر المنصور بقتل محتسب بغداد لخيانته وعظم جرمه يقول الطبرى : "ان رجلا كان يقال له أبو زكريا يحيى بن عبد الله ، ولاه المنصور حسبة بغداد والأسواق ، سنة سبع وخمسين ومائة ، والسوق فى المدينة ، وكان المنصور يتبع من خرج مع

= المغرب ، فعزل وحبس ، وحمل الى بغداد ، فاعتذر للخليفة أبى جعفر المنصور ، فعذره ورده الى مصر ، فأقام بها ، وأعيد الى القضاء سنة ١٦٧هـ فى أيام المهدى فاستمر الى أن توفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م .
الزركلى : الأعلام ١٢٢/٥-١٢٣ .

(١) كان سكان المغرب الأوسط (الجزائر) أباضية ، فبايعوا أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى اماما عليهم فى طرابلس سنة ١٤٠هـ ، وكان نفوذه يمتد من خليج سرت الى قابس ، ولم يلبث سكان المغرب الأوسط من الأباضية أن انضووا تحت لواء أبى الخطاب وبايعوه بالامامة ، وعلى هذا النحو أصبحت امامة الأباضية تضم طرابلس وقسما كبيرا من المغرب الأوسط . د. السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ١٨٣/٣ .
والأباضية : فرقة من معتدلى الخوارج فى البصرة والكوفة ، تنسب الى عبد الله ابن أباض الذى عرف فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، وانتشرت الأباضية فى أرجاء مختلفة . وهناك أباضيون حتى اليوم فى عمان والجزائر وزنجبار . انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/١ .

(٢) الولاه والقضاه ص/٣٦٢ .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٢ .

محمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور اليهم ابا العباس الطوسي (١) ، فسكنهم وأخذ أبا زكريا فحبسه عنده ، فأمر أبو جعفر بقتله (٢) " .

عهد المهدى :

ولما تولى المهدى الخلافة سار على نهج أبيه في اعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة لعمال الدولة ، غير انه لم يكن على مستوى حزم المنصور وسرعة أخذه على أيدى العمال ، وهذا عائد الى أن شخصية المهدى كانت تتصف بالحلم وحسن العفو (٣) والبعد عن الشدة (٤) .

فقد تحامل عمال الخراج في خراسان على الفلاحين وأعنتوا (٥) ، فأبطأ المهدى في الأخذ على أيديهم ، حتى ثار

---

(١) هو : الفضل بن سليمان الطوسي – أبو العباس – من رجال الدعوة العباسية البارزين ، ولي الحرس والخاتم للمنصور ، وتنقل في الأعمال ، وآخر ذكر له في عهد الرشيد حيث تولى امرة خراسان . انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٦ ، الطبرى : تاريخ ٣٨٩،٣٦٢،٣٥٤/٧ ، ٣٤٧،٢٣٥،١٦٢،١١٣،٣٩/٨ .

(٢) تاريخ ٦٥٤-٦٥٣/٧ . وقال : "فقتله بيده حاجب كان لأبي العباس الطوسي .." . ويقول الأزدى ان أبا زكريا "..كان يتكلم في أبي جعفر ويجمع الجماعات فيما قيل" . تاريخ الموصل ص/٢٢٥ ، انظر أيضا الخطيب : تاريخ ٨٠-٧٩/١ حيث قال : ".. فاستغوى العامة وزين لهم الجموع فقتله أبو جعفر .." . أيضا ياقوت : معجم البلدان ٤٤٨/٤ ، وأشار الى أن المنصور أخرج بعد ذلك السوق الى الكرخ . انظر أيضا عزل المنصور لصالح بن على بن عبد الله بن عباس والي قنسرين لتخوفه من خروجه عليه ، اليعقوبي : تاريخ ٣٨٣/٢ .

(٣) الاربلي : خلاصة الذهب ص/٦٥ . مع ماوصف به من فطنة . انظر ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٩ .

(٤) المسعودى : التنبيه ص/٢٩٧ . انظر أيضا ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٩٢/١ .

(٥) العنت : الوقوف في أمر شاق ، والفساد والاثم والهلاك ، ودخول المشقة على الانسان ، وعنته : شدد عليه وألزمه مايصعب عليه أداؤه . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٢٠٠ .

الفلاحون ، وقام معهم جند خراسان أيضا ، "فنكثوا بيعتهم ، ونقضوا مواثيقهم ، وطردوا العمال، والتووا بما عليهم من الخراج .." (١) .

ويذكر الطبري في هذا الصدد أن المهدي غضب "على بعض القواد ـ وكان عتب عليه غير مرة ـ فقال له : الى متى تذنب الى وأعفو ؟ قال : الى أبد نسيء ويبقيك الله فتعفو عنا ، فكررها عليه مرات ، فاستحيا منه ورضي عنه" (٢) .

ويقول الجهشياري : شكى الى المهدي عندما حج سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م "بعض عماله وسئل عزله فلم يفعل ، فلما صار ببعض الطريق ، ورد عليه خبر وفاته (٣) ، فقال يايعقوب عزله من هو أقوى على عزله منا" (٤) .

والمهدي لم يهمل المتابعة والمحاسبة لعمال الدولة ، وانما كان متراخيا في الأخذ على أيديهم ، فهناك مجموعة من الأحداث التي احتفظت بها روايات المصادر ، تدل على اعماله لهذا الجانب الهام من جوانب الرقابة الادارية .

فقد قام في سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م بعزل وزيره أبي عبيد الله معاوية بن يسار ، على الرغم من كفاءته في مجال عمله (٥) . وعند البحث عن سبب عزل هذا الوزير ، فان المصادر تكاد

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٩١،١٩٧ ، وقد كلفه ذلك ارسال حملة عسكرية لاعادة خراسان مرة أخرى ، وتجدر الاشارة الى أن ابن عبد ربه يذكر أن هذه الحوادث وقعت سنة ١٧٠هـ وهذا أمر لايمكن الأخذ به ذلك أن المهدي توفي سنة ١٦٩هـ ، ولعل الحادثة كانت سنة ١٦٠هـ .

(٢) تاريخ ٨/١٧٢ .

(٣) لم يكن يعقوب وزيرا للمهدي أثناء هذه الحادثة وانما عين بعد ذلك سنة ١٦٣هـ .

(٤) الوزراء ص/١٥٦ .

(٥) الجهشياري : الوزراء ص/١٥٦ . وعن كفاءته انظر موضوع اختيار الوزراء من المبحث الأول لهذا الفصل .

تجمع على أن سبب عزله هو سعى الربيع بن يونس به لدى المهدى[1]، حيث دس من أطلعه بأن لمعاوية بن يسار ابنا زنديقا[2]. وكان المهدى قد ألح فى طلب الزنادقة وقتلهم[3] فلما ثبت عنده صحة ما اتهم به ابن وزيره معاوية بن يسار أمر بقتله[4]. وبعد هذه الحادثة استوحش المهدى من ابن يسار[5] وحجبه عنه[6] ثم صرفه عن الوزارة فى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م[7].

وعلى الرغم من تناقل المصادر لرواية عزل ابن يسار على ماسبق ذكره ، فان هذه الرواية لايمكن قبولها لأن مقتل ابن معاوية بن يسار جاء لاحقا لعزل ابن يسار عن الوزارة ، فبين عزل ابن يسار سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م وبين مقتل ابنه سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م حوالى ثلاث سنوات . وهذا مانص عليه أهم مصدرين للرواية : الطبرى[8]، والجهشيارى[9].

---

(١) اختلف فى اسمه فقيل عبد الله وقيل محمد ، وقيل صالح . انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦٣،١٣٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٣ .

(٢) زنديق : معرب عن الفارسية أطلقه الفرس قديما على الخارج على دين الدولة ببدعة معينة أهمها القول بأزلية العالم ، استعمله المسلمون أولا فى الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة ، على مذهب المانوية وغيرهم من الثنوية ، ثم اتسع معناه فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة . الموسوعة العربية الميسرة ٩٢٩/١ .

(٣) انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٣ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٤٤/٣ ، ١٠/٤ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٢١٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢٧٣/١ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، وأضاف أنه اتهم ببعض حرم المهدى ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٣-١٥٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٩/٢ ، التنوخى : نشوار ١٣٨/٨ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٢١٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٣ وقال مثل الطبرى .

(٥) الطبرى : تاريخ ١٣٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٤ .

(٦) التنوخى : نشوار ١٣٨/٨ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٢١١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٣-١٨٤ .

(٧) اليعقوبى : تاريخ ٤٠٠/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥١

(٨) تاريخ ١٦٣/٨ .

(٩) الوزراء ص/١٥١،١٥٣،١٥٦ .

غير أن هناك رواية أخرى يذكرها اليعقوبى ، من الراجح أن تكون هى سبب عزل الوزير معاوية بن يسار ، مع أن هذه الرواية جاءت غامضة ، ولم تحدد سببا بعينه وانما نسبت الى الوزير قيامه بخيانة عزل بعدها ، حيث يقول اليعقوبى : ان المهدى "وقف منه – أى من ابن يسار – على خيانة" (١) ، أضف الى ذلك ماوصفه به ابن طباطبا من شدة "التكبر والتجبر" (٢) .

أما عن الأسباب التى أدت الى محاسبة المهدى لوزيره التالى يعقوب بن داود وعزله له سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م والأمر بسجنه فان ذلك يعود الى تصرفات صدرت منه يمكن تلخيصها فيما يلى : (٣)

* انتقاده لشخص الخليفة المهدى ، حيث وصفه بالسرف فى الأموال (٤) .

* قيامه باستغلال منصبه الوزارى ، بتوليته الزيدية (٥) الأعمال العامة فى الدولة ، فى مختلف البلدان ، مما جعل المهدى يتخوف من تصرفه هذا (٦) ، يقول الطبرى : ان يعقوب لما تولى الوزارة "أرسل الى الزيدية ، فأتى بهم من كل أوب ،

---

(١) تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٢ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٠١/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٥٤/٨،١٥٩ الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٦ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٥٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧ .
(٥) الزيدية : شيعة تنتسب الى زيد بن على بن الحسين ، وتقابل الامامية ، وهما أكبر فرق الشيعة ، ولاتزالان باقيتين حتى اليوم ، وبقدر ماعرف عن الامامية من تطرف كانت الزيدية معتدلة ، وأقرب الى أهل السنة . الموسوعة العربية الميسرة ٩٣٨/١ .
(٦) لاسيما وأن أعداءه استغلوا ذلك فى السعى عليه لدى المهدى وقد نص الطبرى على هذا الأمر .

وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب ، كل جليل وعمل نفيس والدنيا كلها فى يده .." (١) .

* تقربه من آل على بن أبى طالب ، والسعى الى تمكينهم من أهدافهم ، يقول الطبرى : "مال يعقوب الى اسحاق بن الفضل (٢) واقبل يربض له الأمور (٣) ، وأقبلت السعايات ترد على المهدى باسحاق حتى قيل له : ان المشرق والمغرب فى يد يعقوب وأصحابه ، وقد كاتبهم ، وانما يكفيه أن يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد ، فيأخذوا الدنيا لاسحاق بن الفضل ، فكان ذلك قد ملأ قلب المهدى عليه" (٤) .

وقد تأكد للمهدى صحة هذه السعايات التى تصف يعقوب بالميل الى آل على ، فروى أن يعقوب دخل يوما على المهدى : "فقال : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت اضطراب أمر مصر ، وأمرتنى أن التمس لها رجلا يجمع أمرها ، فلم أزل أرتاد (٥) حتى أصبت لها رجلا يصلح لذلك ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمك اسحاق بن الفضل ، فرأى يعقوب فى وجهه التغير ، فنهض فخرج واتبعه المهدى طرفه ثم قال : قتلنى الله ان لم أقتلك! .. ولم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه حتى عزم على ازالة النعمة عنه" (٦) .

---

(١) تاريخ ١٥٦/٨ ، انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٨.
(٢) لم أجد له ترجمة فيما تيسير لى من مصادر وانما الرواية أوضحت أنه من ولد على بن أبى طالب .
(٣) يربض له الأمور : أى أنه أخذ يدعو الناس الى امامته ، ويجمعهم حوله .
(٤) تاريخ ١٥٦/٨ .
(٥) ارتاد : الرود : الطلب كالرياد والارتياد والذهاب والمجىء . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٣٦٢ . والمقصود هنا : اعماله الفكر فيمن يصلح لولاية مصر حتى أصاب ذلك .
(٦) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ .

كما اختبر المهدى يعقوب بن داود فى موقف آخر ، حيث أوكل اليه قتل رجل من ولد على ، فوعده يعقوب ذلك ولم ينفذ ما أمر به ، وانما قام بمساعدته على الهرب ، فبلغ المهدى ماقام به يعقوب ، فبادر الى القبض على العلوى ، وتبين له حقيقة أمر يعقوب ، وقال له : "لقد حل لى دمك ، وآثرت اراقته ، ولكن احبسوه فى المطبق (١) ، ولا اذكر به" (٢) .

كما قام المهدى بعزل "أصحاب يعقوب عن الولايات فى المشرق والمغرب ، وأمر أن يؤخذ أهل بيته وأن يحبسوا ، ففعل ذلك بهم" (٣) .

وقد احتفظت روايات المصادر بشواهد عدة لمحاسبة المهدى عماله ، ومن ذلك محاسبته لهم على الأموال التى تحت أيديهم ، وجلوسه لذلك بنفسه ، فقد ذكر الأزدى أنه فى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م كان على ولاية الموصل موسى بن مصعب ، فاستدعاه المهدى الى بغداد "وكان السبب فى ذلك .. أن جماعة ـ جملة خراج الموصل رفع الى المهدى فنظر فيه ، فوجد فيه ضيعة قد

---

(١) المطبق : أحد السجون العباسية المشهورة ، يفهم من الروايات أنه كان مبنيا تحت الأرض .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٨/٨-١٥٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٠-١٦١،١٦٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٦٥/١٤ ، الصفدى : نكت الهميان ص/٣١٠-٣١١ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣/٧-٢٤ ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٥-١٨٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤١٨/١ ، ويستفاد من رواية للطبرى أن يعقوب كان يميل الى آل على ، المصدر السابق ١٥٥/٨ ، فى حين يقول ابن طباطبا : "كان يعقوب بن داود يتشيع" المصدر السابق ص/١٨٤ ، ويقول الذهبى : "كان يعقوب شيعيا يميل الى الزيدية ويقربهم" ، العبر ١٨٩/١-١٩٠ ، الدول ١١١/١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٦١/٨ ، ويقول الجهشيارى : "أمر المهدى بعزل أصحاب يعقوب جميعا من الأعمال فى الشرق والغرب ، وأن يحبس أهل بيته وأقاربه" الوزراء ص/١٦٣.

نقصت عبرتها نقصا فاحشا (١) ، فكتب الى موسى بن مصعب الخولانى أن أقدم على البريد ، فقدم وادخل اليه بثياب سفره ، فقال له : ماهذا ياموسى ؟ قال : عجلت عن تغيير لبسى ، قال : مابال هذه الضيعة ناقصة العبره ؟ قال : فنظرت فاذا هى باكيرتبا ، قال : ثم اتفق انى كنت عالما بأمرها لمجاورتها ضيعتى ، فقلت : ياأمير المؤمنين انتقلت عمارتها الى فلانة - ضيعة أخرى - وهما لرجل واحد ، فنظر فى الأمر فاذا الصورة على ماذكرت ، فاستحسن ذلك منى ثم قال : عد الى عملك" (٢) .

وقد كان البحث عن أموال العمال من وسائل المحاسبة فى عهد المهدى ، ففى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م عزل محمد بن سليمان عن أعماله (٣) وعين بدلا منه صالح بن داود "ووجه معه عاصم بن موسى الخراسانى الكاتب على الخراج ، وأمره بأخذ حماد بن موسى كاتب محمد بن سليمان ، وعبيد الله بن عمر خليفته وعماله وتكشيفهم" (٤) .

كم عزل المهدى فى نفس السنة "عبد الله بن سليمان عن اليمن عن سخطة ، ووجه من يستقبله ويفتش متاعه ، ويحصى مامعه ، ثم أمر بحبسه عند الربيع حين قدم ، حتى أقر من

---

(١) العبرة : ثبت الصدقات لكوره كوره ، وعبره سائر الارتفاعات - أى الدخل - هو أن يعتبر مثلا ارتفاع السنة التى هى أقل ريعا والسنة التى هى أكثر ريعا ويجمعان ويؤخذ نصفهما ، فتلك العبره بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض . الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٢) تاريخ الموصل ص/٢٤٨-٢٤٩ ، وكان الى موسى حرب الموصل وخراجها وأعمالها وضياعها والقضاء .

(٣) كان محمد بن سليمان يلى البصرة وأعمالها المفرده ، وكور دجلة والبحرين وعمان ، وكور الأهواز وفارس من سنة ١٦٠هـ الى سنة ١٦٤هـ .
الطبرى : تاريخ ٨/١٣٤،١٥٠ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٨/١٥٠ .

المال والجوهر والعنبر بما أقر به ، فرده اليه ، واستعمل مكانه منصور بن يزيد بن منصور" (١) .

وكان المهدى يتابع عماله ويحاسبهم على سوء ادارتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، ففى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م كانت "غزوه عبد الكريم بن عبد الحميد (٢) .. من درب الحدث (٣) فأقبل اليه ميخائيل البطريق .. فى نحو من تسعين الفا فيهم طازاد الأرمنى ، ففشل عنه عبد الكريم ، ومنع المسلمين من القتال وانصرف ، فأراد المهدى ضرب عنقه ، فكلم فيه فحبسه فى المطبق" (٤) .

ويذكر الطبرى أن المهدى أمر بانقاص رزق أحد قادة جيوشه ، عقابا له على تركه محاربة عدو وجه لقتاله (٥) .

وعندما شخص المهدى سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م الى الكوفة يريد الحج ، أقام برصافة الكوفة أياما ، ثم خرج متوجها الى مكة

---

(١) الطبرى : تاريخ ٨/١٥٠-١٥١ . لقد كان المهدى حريصا على أموال الدولة واستيفائها ، انظر مثالا على ذلك الجهشيارى : الوزراء ص/١٩٧ .

(٢) هو عبد الكريم بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب . لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر .

(٣) الحدث : قلعة حصينة بين ملطيه وسميساط ومرعش من الثغور - الشامية ناحية بلاد الروم - يقال لها الحمراء لأن تربتها جميعا حمراء . ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٢٧ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٨/١٥٠ ، انظر أيضا : الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٥ ، الذهبى : العبر ١/١٨٧ ، دول الاسلام ١/١١١ .

(٥) تاريخ ٨/١٧٢ . حيث يقول : "جلس المهدى ذات يوم يعطى جوائز تقسم بحضرته فى خاصته من أهل بيته والقواد ، وكان تقرأ عليه الأسماء ، فيأمر بالزيادة ، العشرة آلاف والعشرين الألف ، وماشبه ذلك ، فعرض عليه بعض القواد فقال : يحط هذا خمسمائة ، قال : لم حططتنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنى وجهتك الى عدو لنا فانهزمت ..." .

"حتى انتهى الى العقبة[(١)] فغلا عليه وعلى من معه الماء ، وخاف ألا يحمله ومن معه مابين أيديهم – وعرضت له مع ذلك حمى – فرجع من العقبة ، وغضب على يقطين[(٢)] بسبب الماء ، لأنه كان صاحب المصانع[(٣)]" .

وفي سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م "خرج دحيه بن مصعب[(٤)] .. بصعيد مصر ونابذ ومنع الأموال ، ودعا الى نفسه بالخلافة ، فبلغ ذلك ابراهيم بن صالح – والي مصر[(٥)] – فتراخى عنه ، ولم يحفل بأمره ، حتى ملك عامة الصعيد ، فبلغ ذلك المهدى فسخط على ابراهيم بن صالح وعزله عزلا قبيحا ..." ، وكتب المهدى الى والي مصر الجديد – موسى بن مصعب – يأمره "باصفاء أموال ابراهيم وأخذ عماله – فأمر موسى بابراهيم بن صالح أن يرد الى مصر فرد اليه من الطريق – فاستخرج منهم ثلاثمائة ألف

---

(١) العقبة : عقبة هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب الى صعود الجبل . والعقبة أكثر من موضع والمقصود هنا : منزل فى طريق مكة بين واقصه وقبل القاع لمن يريد مكة . وهو ماء لبني عكرمة من بكر ابن وائل . ياقوت : معجم البلدان ١٣٤/٤ .
وبالرجوع الى ياقوت لمعرفة مواقع الواقصة والقاع لم يوضح أكثر مما ذكر . والراجح أن هذه العقبة كانت فى أول طريق الحج من ناحية العراق .

(٢) هو يقطين بن موسى أحد الدعاه العباسيين . سبق ذكر ترجمته .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٠/٨ . وقال : "واشتد على الناس العطش في منصرفهم وعلى ظهرهم حتى اشرفوا على الهلكة" والمصانع : يقصد بها هنا أحواض المياه التى تبنى ليجتمع فيها ماء المطر . انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٢٧٦ .

(٤) هو : دحيه بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أمير من بقايا بني أميه بمصر خرج على أميرها ابراهيم ابن صالح سنة ١٦٧هـ، وتسرع الناس اليه فكاتبوه ودعوه الى دخول الفسطاط ، ولما ولى الفضل بن صالح اشتد عليه وهزمه وقبض عليه وضرب عنقه سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م .الكندي: الولاة والقضاة، ص١١٢-١١٣، الزركلى : الأعلام ٣٣٧/٢ .

(٥) ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله العباسى تولى مصر من سنة ١٦٥هـ وحتى سنة ١٦٧هـ .
الكندى : الولاه والقضاه ص/١٢٣-١٢٤ .

دينار ، ولم يزل ابراهيم مقيما بمصر ، حتى لم يبق له عامل الا صار فى يدى موسى بن مصعب ، ثم كتب المهدى يأذن لابراهيم فى الانصراف الى بغداد" (١) .

وقد كان المهدى يتابع عماله ويحاسبهم على مايصدر عنهم من تصرفات لاتليق بمكانتهم كمسؤولين فى الدولة . ففى سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م توفى بالكوفة عيسى بن موسى (٢) ، وكان والى الكوفة آنذاك روح بن حاتم ، فحضر جنازة عيسى ، فقيل له تقدم فأنت الأمير فقال : ماكان الله يرى روحا يصلى على عيسى بن موسى ، فليتقدم أكبر ولده ، "فأبوا عليه وأبى عليهم ، فتقدم العباس بن عيسى ، فصلى على أبيه ، وبلغ ذلك المهدى ، فغضب على روح وكتب اليه : قد بلغنى ماكان من نكوصك عن الصلاة على عيسى ، أبنفسك أم بأبيك أم بجدك تصلى عليه ! أوليس انما ذلك مقامى لو حضرت ، فاذا رغبت كنت أولى به لموضعك من السلطان . وأمر بمحاسبته ، وكان يلى الخراج مع الصلاة والاحداث" (٣) .

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٢٤-١٢٥ . انظر أيضا عزل المهدى لقاضى مصر اسماعيل بن اليسع لأنه أساء فى ادارته . نفس المصدر ص/٣٧١-٣٧٣ . انظر أيضا مصادرة المهدى ليحيى بن خالد لأنه نسب الى المعصية . الجهشيارى : الوزراء ص/١٥١ .

(٢) عيسى بن موسى بن محمد العباسى - أبو موسى - أمير من الولاه القاده ، وهو ابن أخى السفاح ، كان يقال له شيخ الدولة . تولى الكوفة سنة ١٣٢هـ وجعله السفاح وليا للعهد بعد أخيه المنصور فاستنزله المنصور عن ولاية عهده سنة ١٤٧هـ وعزله عن الكوفة وجعل له ولاية العهد بعد ابنه المهدى ، فلما تولى المهدى خلعه سنة ١٦٠هـ . توفى بالكوفة سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م .
الزركلى : الأعلام ١٠٩/٥-١١٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٦٤/٨ ، والاحداث : وظيفة ذات مهمتين أحدهما حربى والآخر أمنى ، لأنها تهدف الى حفظ النظام العام فى الاقليم أو البلد ، اضافة الى القضاء على الفتن ومنع الجرائم .

كما كان المهدى يتابع عماله ويحاسبهم على تقصيرهم فى اظهار التقدير والاحترام له ، ففى سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م قام بعزل "عبد الصمد بن على(١) عن الجزيرة - الفراتية - وكان سبب ذلك أن المهدى خرج الى الموصل يريد الجزيرة ، ولم يلقه عبد الصمد ولا أصلح له طريقا ولا أقام له نزلا ، فاضطغن ذلك عليه ، فلما لقيه نزل ، فلم يأمره بالركوب(٢) ، وأمر بمطالبته باقامة النزل ، فعسف(٣) فى ذلك ، فلم يزل على هذا حتى بلغ حصن مسلمه(٤) ، ثم خاطب المهدى فاغلظ له المهدى ، فلم يحفل ، فامر بحبسه وصرفه عن الجزيرة ..."(٥) .

ان أحداث المتابعة والمحاسبة التى توردها المصادر فى عهد المهدى ، تجعلنا نقف موقف الرفض لرواية المسعودى التى يقول فيها(٦) : كان المهدى "كثير الولاية والعزل بغير سبب" .

---

(١) عبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس ، أمير عباسى وهو عم السفاح والمنصور ، كان واليا على المدينة زمن المنصور سنة ١٤٧هـ ، وعزله عنها المهدى سنة ١٥٩هـ وولاه الجزيرة سنة ١٦٢هـ ثم عزله سنة ١٦٣هـ وحبسه الى سنة ١٦٦هـ وأخرجه وولاه دمشق ثم عزله ، توفى سنة ١٨٥هـ/٨٠١م . الخطيب : تاريخ بغداد ، ٣٧/١١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ٢٩٦/١ ، الزركلى : الأعلام ١١/٤ .

(٢) كان الوالى اذا تقدم لمقابلة الخليفة واستقباله وهو يركب دابته نزل وترجل والخليفة راكب لدابته ، اجلالا له ، وكان الخليفة يأمره بالركوب مرة أخرى على الدابة اكراما له .

(٣) العسف : عسف عن الطريق يعسف : مال وعدل أو خبطه على غير هداية . ومنه العسوف أى الظلوم ، وتعسفه ظلمه . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٠٨٢ .

(٤) حصن مسلمه : بالجزيرة - الفراتية - بين رأس عين والرقة ، بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ياقوت : معجم البلدان ٢٦٥/٢ . أى أنه كان فى وسط اقليم الجزيرة الفراتية .

(٥) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٣ . ثم ان المهدى قلد ولاية الجزيرة زفر بن عاصم الهلالى .

(٦) التنبيه والاشراف ص/٢٩٧ . لاشك أن هناك عدة حالات عزل ذكرتها المصادر دون أن توضح السبب ، انظر مثالا على ذلك الطبرى : أحداث سنة ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢ ، تاريخ ١١٦/٨، ١٢٠-١٢١، ١٣٩-١٤٢ ، أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٤٤ .

ذلك أن المهدى كغيره من الخلفاء ، تذكر روايات المصادر عدة حالات عزل واعمال محاسبة في عهده ، دون أن تشير الى أسبابها ، وهذا عائد الى أن الروايات ليس من الضرورى أن تقدم معلومات تفصيلية عن كل حادثة تشير اليها ، وانما تسرد بعض الاحداث دون أن توضح الأسباب . فلانستطيع أن نقبل رأى من يقول أن المهدى كان يولى ويعزل بغير سبب ، لجهلنا بتفاصيل الأحداث .

عهد الهادى :

لما تولى الهادى الخلافة سار على نهج من سبقه فى متابعة العمال ومحاسبتهم ، وعلى الرغم من قصر فترة خلافته فان المصادر احتفظت ببعض الشواهد فى جوانب من مجالات المتابعة والمحاسبة .

فقد ذكر أن الهادى كان يتابع عماله ويحاسبهم على تعديهم لحدود سلطتهم ، حيث غضب فى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م على "موسى بن عيسى (١) لقتله الحسن بن محمد (٢) وأمر بقبض أمواله (٣) " .

كما كان الهادى يتابع عماله ويحاسبهم على سوء اداراتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، حيث قام بعزل هاشم بن سعيد بن منصور عن ولاية الموصل (٤) "لسوء أثره وسيرته فيها (٥) " .

---

(١) موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسى ، أمير من آل عباس ، كان جوادا عاقلا ، ولى الحرمين للمنصور والمهدى مدة طويلة ثم ولى اليمن للمهدى ، وولى مصر للرشيد سنة ١٧١هـ ثم صرف عنها سنة ١٧٢هـ ، وولاه الرشيد الكوفة فدمشق ثم أعيد مرة أخرى الى ولاية مصر سنة ١٧٥هـ وصرف سنة ١٧٦هـ وأعيد ثالثة سنة ١٧٩هـ وصرف سنة ١٨٠هـ فأقام ببغداد الى أن توفى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م ، الكندى : الولاه والقضاه ، ص/١٣٢/١٣٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٦٦/٢ .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر . وهو الحسن ابن محمد بن عبد الله بن الحسن ـ أبو الزفت ـ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٩٨/٨،٢٠٠ .

(٤) كان ذلك حوالى سنة ١٦٩هـ . وهو هاشم بن سعيد بن منصور بن خالد ولاه المهدى صلاة الموصل وحربها ـ أى حرب الخوارج بها ـ . الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٩٥،٢٥٧

(٥) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٥٧ . وذكر فى رواية أخرى أن الذى عزله الربيع بن يونس لأن الهادى كان بجرجان آنذاك فلما قدم صوب رأيه فى ذلك .

وتهمة عدم الولاء كانت من أهم أسباب متابعة العمال ومحاسبتهم ، فقد غضب الهادى فى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م على قائد جيشه مبارك التركى[1] ، "وأمر بقبض أمواله وتصييره فى ساسة الدواب"[2] . وسبب ذلك مابلغ الهادى من صدوده عن لقاء الحسين بن على بن الحسن[3] بالمدينة المنورة[4] – وقد ذكر "أن مباركا التركى أرسل الى حسين بن على : والله لأن أسقط من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق ، أيسر على من أن أشوكك بشوكة ، أو أقطع من رأسك شعرة ، ولكن لابد من الاعذار ، فبيتنى فانى منهزم عنك ، فأعطاه بذلك عهد الله وميثاقه ، قال : فوجه اليه الحسين – أو خرج اليه – فى نفر يسير ، فلما دنوا من عسكره صاحوا وكبروا ، فانهزم أصحابه حتى لحق بموسى بن عيسى"[5] .

ومن أمثلة متابعة الهادى ومحاسبته لعماله على عدم ولائهم للدولة أيضا ، ماذكره الطبرى من أنه بعد انتهاء

---

(١) ساس : أدب ، ودبر ، وقام بالأمر . الفيومى : المصباح المنير ص/١١٢ ، الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/٧١٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨، ٢٠٠ .

(٣) هو : الحسين بن على بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن على بن أبى طالب – أبو عبد الله – المعروف بصاحب فخ ، من الشجعان الكرماء ، خرج على الهادى العباسى ، وبايعه الناس على الكتاب والسنة للمرتضى من آل محمد ، فانتدب الهادى لقتله بعض قواده ، فناجزوه الى أن قتلوه بمكة سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م .
الزركلى : الأعلام ٢٤٤/٢ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٢٠٠/٨ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٢٠١/٨ . الرواية عن جماعة من أهل المدينة .

معركة فخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م "أفلت ادريس بن عبد الله[2] .. من موقعه فخ[1] .. فوقع الى مصر .. وعلى بريد مصر واضح – مولى لصالح بن أمير المؤمنين المنصور – وكان رافضيا[3] خبيثا ، فحمله على البريد الى أرض المغرب ، فوقع بأرض طنجة[4] بمدينة يقال لهاوليله[5] ، فاستجاب له من بها وباعرافها من

---

(١) فخ : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، والفخ : الذى يصاد به الطير معرب وليس بعربى .. وهو واد بمكة يعرف بوادى الزاهر ، ويوم فخ كان أبو عبد الله الحسين بن على بن الحسن الطالبى خرج يدعو الى نفسه فى ذى القعدة سنة ١٦٩هـ وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة وخرج الى مكة فلما كان بفخ لقيته جيوش بنى العباس وعليهم العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وغيره ، فالتقوا يوم التروية – يوم الثامن من ذى الحجة – وانتهت المعركة بقتله .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٢٣٨/٤ .
وموضع فخ أحد أحياء مكة المكرمة اليوم ويعرف بالزاهر على ماكان يسمى به الوادى من قبل .

(٢) ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن على ابن أبى طالب ، مؤسس دولة الأدارسة فى المغرب ، واليه نسبتها ، انهزم الى مصر ومنها الى المغرب الأقصى ، فنزل بمدينة ليلى على مقربة من مكناس وهى اليوم مدينة قصر فرعون . جمع اليه البربر وخلع طاعة بنى العباس فتم له الأمر سنة ١٧٢هـ ، واستمر الى أن توفى سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م .
الزركلى : الأعلام ٢٧٩/١ .

(٣) الرافضة : من فرق مذهب الشيعة الامامية ، سموا بذلك لرفضهم الامام زيد بن على ، وهم أيضا عدة فرق منهم الناووسية ، والمفضلية – القطعية – والشمطية ، والواقفية – الممطورة – والأحمدية .
انظر الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٢٢ .

(٤) طنجة : احدى المدن الساحلية ببلاد المغرب ، على مضيق جبل طارق . المنجد فى الاعلام ص/٣٥٧ .
وقال ياقوت : ان طنجة مدينة على ساحل بحر المغرب مقابلة الجزيرة الخضراء – أى الأندلس – ثم يشير الى أمر مهم من الراجح أن يكون هو السائد فى الفترة التى يسرد أحداثها الطبرى حيث قال ان طنجة عمل واسع ، تبلغ مساحته مسيرة شهر فى مثله . معجم البلدان ٤٣/٤ .

(٥) وليله : وقال ياقوت : ليلى – بالألف المقصورة – وأشار الى أنها مدينة بالمغرب قرب طنجة . معجم البلدان ٣٨٤/٥ .
ويتضح من رواية الطبرى أن ليلى احدى مدن طنجة – الناحية الكبيرة وليست المدينة المعروفة اليوم – بل ان الزركلى أشار عند ترجمته لادريس بن عبد الله الى أن ليلى تقع على مقربة من مكناس – احدى مدن المملكة المغربية – وهى تسمى اليوم مدينة قصر فرعون . الأعلام ٢٧٩/١ .

البربر (١) ، فضرب المهدى عنق واضح وصلبه" (٢) .

عهد الرشيد :

لما تولى الرشيد الخلافة كانت أهم حادثة متابعة ومحاسبة في عهده ، هى حادثة قضائه على وزرائه من البرامكة أو ماعرف فى التاريخ باسم "نكبة البرامكة" ، والتى كانت فى سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م (٣) .

وقبل أن نعرض الى أسباب هذه الحادثة ، لابد لنا من أن نشير بشكل موجز الى أصل أسرة البرامكة . حيث ان هذا يعيننا على فهم اسباب الحادثة بوضوح أكثر .

"كان البرامكة من أهل بيوتات بلخ (٤) ، وكانوا سدنة معبد النوبهار (٥) فيها ، ويرى بعض المؤرخين (٦) أن معبد النوبهار كان

---

(١) البربر : هى القبائل التى تسكن شمال افريقيا ، انتشرت فى ربوع المغرب ، وجهات من الصحراء الكبرى وأطراف من مصر ، واستقر بعض منهم فى جزر البحر الأبيض المتوسط ، لهم لغة خاصة بهم ، دخلوا الاسلام منذ الفتح الاسلامى لبلادهم . انظر الموسوعة العربية الميسرة ٣٤٢/١ .

(٢) تاريخ ١٩٨/٨ . واشار الى رواية أخرى يضعف من شأنها بقوله ويقال ان الشريد هو الذى ضرب عنق واضح . وقد أشار الى أن الهادى هو الذى قتل واضحا .
أبو الفداء : المختصر ١١/٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢٨٦/٨ .

(٤) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان - تقع فى الجزء الشمالى الشرقى من خراسان - ياقوت : معجم البلدان ٤٧٩/١ . ويقول فى المنجد فى الاعلام : مدينة قديمة فى أفغانستان غربى مزار شريف وجنوبى مجرى آموداريا . تقع على ملتقى القوافل التجارية بين ايران والهند . ص/١٣٤ .

(٥) النوبهار : بالضم ثم السكون وباء موحدة مفتوحة وهاء ، والف ، وراء ، أكثر من موضع ، يقصد به هنا : ببلخ بناء للبرامكة اتخذوه مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحرير ، وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ، وهم عبدة أوثان . وتفسير النوبهار : البهار الجديد . لأن نو : الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا أو عقدوا بابا جديدا أو طاقا شديدا كللوه بالرياحين ، وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع فى ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول مايظهر من الريحان . وكان البهار فسمى نوبهار لذلك . وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه وتهدى له وتلبسه أنواع الثياب .
ياقوت : معجم البلدان ٣٠٧/٥ .

(٦) المسعودى : مروج الذهب ٢٢٨/٢ ، ابن خلكان : وفيات ٢٩/٤ ، ٢١٩/٦ .

بيتا من بيوت النار الزرادشتية العامة (١) ، ولكن الأرجح أنه كان معبدا بوذيا (٢) .

وينتسبون الى "برمك" وهو ليس اسماً لشخص ، وانما هو لقب لكبير سدنة النوبهار .. وهو سمة عامة لكل من يلى سدانته ، ومن أجل ذلك سميت البرامكة لأن خالد بن برمك كان من ولد من كان على هذا البيت" (٣) .

وعن اعتناق هذه الأسرة للاسلام يقول ياقوت : ".. كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف (٤) ،

---

(١) الزرادشتية : مذهب دينى أسسه زرادشت حوالى القرن ٧ أو ٦ ق.م . زعيم دينى فارسى ، ثم أضيفت اليه بعض الاضافات . يقدسون النار ويستعملونها فى شعائرهم الدينية ، مما أدى الى الاعتقاد بأنهم عبدة النار ، وانما هم يعبدون الهين أحدهما للخير ويدعونه "مازدا" والآخر للشر ويدعونه "اهرمان" .
الموسوعة العربية الميسرة ١/٩٢١-٩٢٢ .

(٢) بوذا : هو اللقب الذى أطلق على الزعيم الدينى الهندى الذى أسس مذهب البوذية ، ولد حوالى سنة ٥٦٤ ق.م وتوفى حوالى سنة ٤٨٣ ق.م . يقوم مذهبه على عيشة الألم والزهد والتجرد من الأنانية والشهوات للوصول الى الفناء التام . انظر الموسوعة العربية الميسرة ١/٤٢٦ المنجد فى الاعلام ص/١٤٤ .

(٣) د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٢١-١٢٢ ، أيضا د. رشيد الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص/٧٢ ، د. فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة العباسية ص/١١٠ ، د. ابراهيم سليمان الكروى : نظام الوزارة فى العصر العباسى الأول منشورات شركة كاظمة للنشر والترجمة ، الكويت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م ، ص/٨٣-٨٥ ، د. هولو جودت فرج : البرامكة سلبياتهم وايجابياتهم ، دار الفكر اللبنانى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ، ص/٩-١٦ ، د. زاهية قدورة : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى الأول ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ، ص/٢٤٤-٢٤٦ .

(٤) ملوك الطوائف : هم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس ، وهم نحو من مائة ملك فرس ونبط وعرب ، من حد بلاد الموصل الى أقصى بلاد الأعاجم ، وكان المعظمين منهم والذين ينقادون الباقون اليهم الاشغانيون .
انظر المسعودى : التنبيه والاشراف ص/٨٣ .

وكان دينهم عبادة الأوثان .. الى أن افتتحت خراسان فى أيام عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وانتهت السدانة الى برمك أبى خالد بن برمك ، فسار الى عثمان - رضى الله عنه - مع رهائن كانوا ضمنوا مالا عن البلد ، ثم انه رغب فى الاسلام فاسلم ، وسمى عبد الله ، ورجع الى أهله وولده وبلده" (١) .

أما عن علاقة بعض أبناء هذه الأسرة بالدولة العباسية ، فقد بدأت - كما سبقت الاشارة - بتولى خالد بن برمك بعض المهام الادارية أثناء الدعوة العباسية ، وبعد قيام الدولة العباسية تولى خالد بعض الدواوين للخليفة أبى العباس السفاح ، ثم مالبث أن أصبح متوليا لمنصب الوزارة ، كما تنقل فى مناصب أخرى فى عهد المنصور ، غير أن الدور الرئيسى فى الدولة كان لابنه يحيى الذى تولى الوزارة فى عهد الرشيد وكان يساعده فى هذا المنصب ابناه جعفر والفضل اضافة الى ماأسند اليهم من مناصب أخرى خلال عهد الرشيد (٢) .

والمتأمل فى أحداث نكبة البرامكة يجد أن هناك مقدمات سبقتها ، فقد بدأ الرشيد يتغير على البرامكة قبل ايقاعه العقوبة عليهم بفترة طويلة . فلاشك أن أوج عز البرامكة كان فى حياة الخيزران والدة الرشيد ، فلما توفيت سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م قال الرشيد للفضل بن الربيع - وكان عدوا للبرامكة - : "انى لأهم لك من الليل بالشىء من التوليه وغيرها ، فتمنعنى

---

(١) معجم البلدان ٣٠٧/٥-٣٠٨ . ويفهم من سياق الرواية أن الذى أسلم ليس والد خالد وانما جده .
انظر أيضا عن أصلهم الأزدى : أخبار الدول ص/١٣٩ ، ابن دحيه : النبراس ص/٣٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢١٩/٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٩٧ .

(٢) انظر موضوع اختيار الوزراء والولاه من المبحث الأول لهذا الفصل .

أمي فأطيع أمرها ، فخذ الخاتم من جعفر - بن يحيى كما تولى - .. الفضل نفقات العامة والخاصة ، وبادوريا (١) والكوفة - وهي خمسة طساسيج - فأقبلت حاله تنمي الى سنة سبع وثمانين ومائة " (٢) ، كما عزل جعفرا أيضا عن الحرس وولي بدلا منه هرثمة بن أعين (٣) .

وفي سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م "صرف الرشيد محمد بن خالد بن برمك عن حجابته وقلدها الفضل بن الربيع .." (٤) ، كما عزل في سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م الفضل بن يحيى عن طبرستان (٥) والرويان (٦) ، وولي ذلك عبد الله بن خازم (٧) . وعزل الفضل أيضا عن الري ، ووليها محمد بن يحيى بن الحارث بن شخير " (٨) ، كما عزل الفضل عن

---

(١) بادوريا : قال ياقوت : "طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد ، وهو اليوم محسوب من كورة نهر عيسى ابن علي .. وفي طرفه مبني بعض بغداد " .؛ معجم البلدان ٣١٧/١ .

(٢) الطبري : تاريخ ٢٣٨/٨ .

(٣) الجهشياري : الوزراء ص/٢٠٧ .

(٤) الطبري : تاريخ ٢٦١/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/٢٣٣ .

(٥) طبرستان : هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم - تقع جنوب بحر الخزر وشمال اقليم الجبال والمفازة الكبرى - اي في الجزء الشمالي الغربي من بلدان المشرق الاسلامي .
انظر ياقوت : معجم البلدان ١٣/٤ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/١٦ .

(٦) الرويان : مدينة كبيرة من جبال طبرستان ، وكورة واسعة ، وهي أكبر مدينة في الجبل هناك .
ياقوت : معجم البلدان ١٠٤/٣ .

(٧) هو : عبد الله بن خازم بن خزيمة من القادة المشهورين ولي الشرطة للهادي وهو وليا للعهد سنة ١٦٧هـ ، واستمر الى أن ولي الهادي الخلافة وعزله في أول سنة من خلافته ١٦٩هـ ، ثم ولاه الرشيد سنة ١٨٠هـ طبرستان والرويان ، ولما نشب القتال بين الأمين والمأمون هرب عبد الله في سنة ١٩٧هـ من بغداد الى المدائن ولم يحضر شيئا من القتال .
انظر الطبري : تاريخ ٤٦٧،٢٦٦،١٨٩،١٦٤/٨ .

(٨) الطبري : تاريخ ٢٦٦/٨ ، وقال ان الفضل تولى خراسان سنة ١٧٥هـ ، وفي سنة ١٧٦هـ قال : "تولية الرشيد الفضل بن يحيى كور الجبال وطبرستان ونباوند وقومس وارمينية وأذربيجان" المصدر نفسه ٢٤٢،٢٤٠/٨ .

خراسان وولاها منصور بن يزيد بن منصور الحميرى (١)، ولم يرد اليه بعد ذلك شيئا من الأعمال التى كان يتولاها (٢) .

ولم يعد الرشيد يثق بيحيى بن خالد كما هو الحال من قبل ، وأحس يحيى باعراض الخليفة عنه ، وأخذ يشاور أصحابه فى هذا الأمر (٣)، وقد كان الرشيد بعد انصرافه من حج سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م ووصوله الى الانبار ، دعا صالحا صاحب المصلى (٤) فقال له : اخرج الى منصور بن زياد ـ وكان كاتب يحيى بن خالد ـ فقل له : قد صحت عليك عشرة آلاف الف درهم (٥)، فاحملها الى فى يومك هذا ، فان دفعها اليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا ، والا فاحمل رأسه الى ، واياك ومراجعتى فى شىء من أمره ..." (٦) .

من كل ماتقدم يتضح لنا أن نكبة البرامكة لم تكن أمرا مفاجئا ، وانما كانت هناك مقدمات مهدت لوقوعها ، بل ان اليعقوبى ينقل عن اسماعيل بن صبيح (٧) قوله : "بعث الى الرشيد يوما فقال : يااسماعيل .. انى أريد أن أوقع بآل برمك ايقاعا ماأوقعه بأحد ، وأجعلهم أحدوثة ونكالا الى آخر الأبد

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٦١/٨ ، انظر رواية أخرى للجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٨ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٧ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٧ .
(٤) صالح صاحب المصلى : وفد من خراسان على السفاح مع أبى مسلم الخراسانى ، واختص بالمنصور فأعطاه حصيرة للصلاة من سعف مبطن من عمل مصر ، ذكروا أنه كان للنبى عليه الصلاة والسلام ، فسمى صاحب المصلى .
انظر الخطيب : تاريخ ٤٣٨/١١ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٣٥٦/٨ .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٢،٢٢٣ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ١٠/٤ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥٠٩-٥١٠ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦١-١٦٢ .
(٧) كان اسماعيل بن صبيح يتولى بعض الأعمال الادارية وقد برز فى عهد الأمين ، حيث كان كاتب سره . وقد سبقت ترجمته .

ثم حال الحول ، وحال حول ثانى ، ثم حال ثالث ، فلما كان رأس الحول الرابع قتلهم" ، (١) كما يروى ابن عبد ربه عن اسحاق بن على بن عبد الله بن العباس أن الرشيد أخبره بشكه فى تصرفات البرامكة ، وشاوره فى أمرهم "ثم كان قتلهم بعد ست سنين من تاريخ ذلك اليوم" (٢) . ويروى الجهشيارى عن السندى بن شاهك ـ صاحب الشرطة ـ أن الرشيد أسر اليه أن يستعد للقبض على البرامكة وحجز أموالهم ، قبل سنة من ايقاع العقوبة بهم (٣) .

---

(١) تاريخ اليعقوبى ٤٢٢/٢ .

(٢) العقد الفريد ٦٦/٥ ، انظر أيضا رواية للجاحظ عن مسرور أنه سمع الرشيد يستخير الله فى قتل جعفر بن يحيى قبل خمس او ست سنين ، التاج ص/٦٦ ، أيضا الماوردى : نصيحة الملوك ص/١٥٣ .

(٣) الوزراء ص/٢٣٦ . انظر أيضا بعض المراجع الحديثة التى تعرضت لهذا الموضوع . د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٢٩-١٣٠ ، د. ابراهيم الكروى : نظام الوزارة ص/١٠٧ ، د. هولو فرج : البرامكة ص/٧٣-٧٩ .

أسباب نكبة البرامكة .

"انه من الصعب اعطاء فكرة وثيقة عن الدور الذى لعبه البرامكة ، لأن الرواه يتعصبون لهم أو عليهم ، فبينما يصفهم البعض بالديانة والميل لبناء المساجد وأعمال الخير اذ يتهمهم خصومهم بالزندقة ، ولكن أعداءهم فى ميادين الأدب والتاريخ قليلون ، لدرجة تكاد تكون معدومة ، بينما نجد أنصارهم لايحصون ، ويرجع ذلك الى وجود الكتاب الأعاجم المتعصبين لهم .. الذين يطنبون فى مدحهم ، ثم ان المؤرخين يتعصبون للكتاب والبرامكة كانوا كتابا ، بل ويعتبرون من مؤسسى هذه الطبقة ، فسكت الكتاب عن أخطائهم .

وهذا التطرف من خصوم البرامكة وأصدقائهم ، مع شدة تكتم الرشيد فى الاقدام على عمله (١) ، فسح المجال أمام الأراجيف والاشاعات ، وجعل بعض المؤرخين يتخبطون فى ظلام من أمر النكبة ، ويختلفون فى تعليلها (٢) " .

غير اننا نستطيع عرض أهم أسباب نكبة الرشيد للبرامكة من خلال ترتيبها فى النقاط التالية ، ذلك أن أسباب هذه الحادثة جاءت متفرقة فى روايات المصادر ، وان دراستها بهذا الأسلوب يسهل علينا فهمها بوضوح .

---

(١) عن تكتم الرشيد على سبب نكبته للبرامكة انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٢٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٩٨/٨ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٢٣/١٢ ، ابن دحيه : النبراس ص/٤١ ابن خلكان : وفيات ٣٣٦/١ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤١١/١ .

(٢) د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٢٨ ، انظر ايضا د. هولو فرج : البرامكة ص/٧٢-٧٣ .
وقد أشارت المصادر الى أن هناك خلافا حول أسباب نكبة البرامكة ونبهت الى ذلك . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٢٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٨٧/٨ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٦٨/٣ ، ابن دحيه : النبراس ص/٣٧-٣٨ ، أبو الفداء : المختصر ١٦/٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٣/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٩ .

أولا : استبدادهم بالسلطة .

لقد سبقت الاشارة الى مدى تسلط البرامكة على أمور الدولة في عهد الرشيد ، وماامتازوا به من سلطات تفويضية في ادارة شئونها ، ومشاركتهم الخليفة مباشرة مهامها (١) . وفي ذلك يقول ابن العمراني : "نكب الرشيد البرامكة ، وكانت لذلك أسباب ، منها استيلاؤهم على الدولة ، وتغلبهم على الدنيا بالكلية" (٢) ، ويقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : "انما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة .." ، ويضيف عند حديثه عن علاقتهم بالرشيد قوله : "فغلبوه على أمره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم ، وصنائعهم ، واحتازوها عن سواهم ، من وزارة وكتابة ، وقيادة وحجابة ، وسيف وقلم .." (٣) .

بل ان هناك بعض الروايات التي تذكر أن الرشيد نكب البرامكة لأنهم "أرادوا ابطال الخلافة" (٤) ، و"افساد الملك" (٥) . وقد قام البرامكة بما يثير شكوك الرشيد في احتمال انقلابهم عليه ، وقضائهم على دولته ، فعندما تولى الفضل بن يحيى

---

(١) انظر المبحث السابق من هذا الفصل - الاشراف والتوجيه فقد أوردنا فيه عدة شواهد تاريخية للدلالة على هذا الموضوع .
(٢) الانباء ص/٧٩ . ويقول القيرواني : قال الرشيد لاسماعيل ابن صبيح اياك والداله فانها تفسد الحرمه ومنها أتى البرامكة . زهر الآداب ٢٥٨/١ . انظر أيضا ابن طباطبا الفخري ص/٢٠٩ .
(٣) المقدمة ١٦/١ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٩/١٠ .
(٥) الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٠٦ .

خراسان وشخص اليها سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م اتخذ بها "جندا من العجم سماهم العباسية ، وجعل ولاءهم لهم ، وان عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل ، وانه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل ، فسموا ببغداد الكرنبية ، وخلف الباقى منهم بخراسان على اسمائهم ودفاترهم" (١) ، ويعتبر هذا العمل من الأمور الخطيرة التى تهدد الخليفة نفسه – ودولة بنى العباس – حيث أوجس الرشيد ريبة من ذلك ، لضخامة العدد ، ولعدم أخذ رأيه فى ذلك ، فعجل الرشيد بعودة الفضل من خراسان "ولما وصل بغداد كان معه عشرون ألف جندى من الأعاجم ليس فيهم عربى واحد" (٢) .

ان تسلط البرامكة على أمور الدولة أدركه الرشيد منذ وقت مبكر ، فقد روى بختيشوع بن جبريل (٣) عن أبيه – وكان صنيعة البرامكة – "انه دخل على الرشيد يوما وهو جالس على بساط على مشرعه باب خراسان فيما بين الخلد والفرات .. فارتفعت صيحة عظيمة فسأل عنها فقيل له : يحيى بن خالد ينظر فى أمور المتظلمين ، فقال بارك الله عليه ، وأحسن جزاءه ، فقد خفف عنى ، وحمل الثقل دونى ، وناب منابى ، وذكره بالجميل"، وبعد فترة حضر جبريل مرة أخرى الى الرشيد فى نفس الظروف . الا أن موقف الرشيد تغير تجاه يحيى بن خالد ، حيث قال عنه : "فعل الله به وفعل! يذمه ويسبه ، استبد بالأمور دونى ، وأمضاها على غير رأيى ، وعمل بما أحبه دون محبتى .." (٤) ، "فالخلافة على الحقيقة له وليس لى منها الا اسمها" (٥) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٥٧/٨ .
(٢) اليوزبكى : الوزارة ص/٩٧ . انظر أيضا : محمد كرد على الاسلام والحضارة العربية ٢١٣/٢ .
(٣) جبرائيل بن بختيشوع بن جرجس طبيب هارون الرشيد وجليسه وخليله ، لما توفى الرشيد خدم الأمين ، ولما ولى المأمون سجنه ثم أطلقه وأعاده الى مكانته عند أبيه الرشيد ، توفى سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م .
الزركلى : الأعلام ١١١/٢ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٦ .
(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٨ .

وعليه فان البرامكة كقوة سياسية داخل الدولة العباسية كان لابد لها أن تنتهي ، بسبب التناقض بين أهداف الخلافة ، وميول البرامكة العنصرية ، وتحديهم لسلطة الخليفة ، من خلال ممارستهم لسلطاتهم السياسية ، وادارتهم لشئون الدولة المختلفة ، وهيمنتهم على مواردها ، فقد أظهروا ميولا سياسية خطرة ، تمس سلامة الدولة العباسية ، من خلال الأحكام والقرارات التي كانوا يتخذونها دون الرجوع الى الخليفة في أغلب الأحيان ، وكثيرا مايصدرون أوامرهم التي تمس سياسة الدولة ، ثم يخبرون الخليفة بعد تنفيذها (١) .

فالبرامكة كانوا يخططون للاستيلاء على الدولة ، بعد أن مهدوا لذلك من خلال جمع الناس حولهم ، ومحاولة كسب ولائهم ، ويروى الطبرى أن على بن عيسى بن ماهان "اتهم موسى بن يحيى البرمكي عند الرشيد في أمر خراسان ، وأعلمه طاعة أهلها له ومحبتهم اياه ، وانه يكاتبهم ويعمل على الانسلال اليهم ، والوثوب به معهم ، فوقر ذلك في نفس الرشيد عليه ، وأوحشه منه" ، فأمر بسجنه (٢) .

وقد قام البرامكة بالميل الى الخصوم السياسيين أمثال عبد الملك بن صالح الذي اتهمه الرشيد بأنه يطلب الخلافة لنفسه (٣) ، وقد لازمت هذه التهمة البرامكة بعد سجنهم ، فقد زاد الرشيد من التشديد عليهم بعد أن قبض على عبد الملك بن صالح "وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد" (٤) .

---

(١) د. رشيد الجميلي : العصر العباسي الأول ص/٧٣ .
(٢) تاريخ ٢٩٣/٨ ، سجن سنة ١٨٦هـ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٣٠٢/٨ ، وقد غضب عليه الرشيد سنة ١٨٧هـ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٢٩٧/٨ .

لم يكن الرشيد بالخليفة الذى يتساهل فى حقوقه ، بل كان ذا دهاء كبير ، فأظهر فى بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة بالنفوذ ، وعول فى نفس الوقت على انتهاز الفرص ، لاستعادة ما أخذوه من سلطان ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالأمور دونه ، حين بدأ يتغير عليهم .(١)

---

(١) د. محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، بيروت الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ص/٢١٩ .

ثانيا : انحرافاتهم العقدية .

لقد اتهم البرامكة بميلهم الى التشيع ، كما وصفوا أيضا بالزندقة والتستر بالاسلام ، والحديث عن هذا الموضوع ليس بالأمر اليسير ، غير اننا نجد تأييدا واضحا من بعض المصادر بل وأهمها ، لصحة التشكيك في اعتقاد البرامكة .

فعن اتهام البرامكة بالتشيع نجد ان الطبرى يذكر رواية تفيد ان ذلك أهم الأسباب التى أدت الى نكبتهم حيث قال :"ذكر أبومحمد اليزيدى[1] - وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم - قال : من قال ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن حسن[2] فلاتصدقه[3] " .

ويحيى بن عبد الله هذا أحد العلويين ، كان قد دفعه الرشيد الى جعفر فحبسه ثم أطلقه بغير اذن الرشيد ، فعلم الفضل بن الربيع بذلك عن طريق عين له من خاصة خدمه ، وتحقق من صحة الأمر ، وأخبر به الرشيد ، الذى سأل جعفرا

---

(١) هو : يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى - أبو محمد اليزيدى ، عالم بالعربية والأدب من أهل البصرة ، اتصل بالرشيد فعهد اليه بتأديب المأمون . توفى بمرو سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م .
الزركلى : الأعلام ١٦٣/٨ .

(٢) يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، من كبار الطالبيين أيام موسى الهادى وهارون الرشيد . حضر معركة فخ ، دعا الى نفسه فبايعه كثير من أهل الحرمين واليمن ومصر . ت نحو ١٨٠هـ/٧٩٦م .
الزركلى : الأعلام ١٥٤/٨ .

(٣) تاريخ ٢٨٩/٨ . انظر أيضا الأصفهانى : الأغانى ٢٤٦/١٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٤/١-٤٧٢،٣٣٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٩ ، ابن خلدون : المقدمة ١٦/١ ، اليافعى مرآة الجنان ٤١٠/١ ، انظر أيضا المسعودى : مروج الذهب ٣٦٨/٣ ، وقال أحد الطالبيين . فى حين تذكر بعض المصادر أن جعفر بن يحيى قتل أحد الطالبيين من غير أمر الرشيد وهو عبد الله الأفطس ، الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص/٥٤٨-٥٤٩ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ١١٤/٤-١١٥ .

فاقر بفعله ، عندها قال الرشيد : "قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك" (١) .

وليس هذا فحسب بل ان موسى بن جعفر العلوى (٢) الذى حبسه الرشيد عند الفضل بن الربيع ببغداد ، فبقى عنده مدة طويلة ثم أراده الرشيد على شىء من أمره فأبى فكتب اليه ليسلمه الى الفضل بن يحيى ، فتسلمه منه وجعله "فى رفاهية وسعة ودعة" ، فبلغ ذلك الرشيد فغضب عليه ، وأرسل من يتأكد من صحة ذلك ، فلما صح عنده الخبر بادر الى معاقبته (٣) .

وكان الرشيد بعد أن قضى على سلطان البرامكة ، أحضر يحيى بن خالد من السجن ، وأمر مسروراً الكبير أن يخرج اليه ويقول له : "ماحملك على أن حملت الى يحيى بن عبد الله بالديلم (٤) مائتى ألف دينار ؟" يقول مسرور : "فقلت له ذلك ، فقال : قل له أليس قد صفحت عن هذا . فقال لى : أويصفح الانسان عن دمه ؟ فقلت له ذاك ، فقال : أردت أن تقوى شوكة يحيى بن عبد الله فيظفر به الفضل بعد قوة فيكون أحظى له

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٨٩/٨ .

(٢) هو : موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر - أبو الحسن - سابع الأئمة الاثنى عشر عند الامامية ، كان من سادات بنى هاشم ومن أعبد أهل زمانه ، وأحد كبار العلماء الأجواد ، سجنه الرشيد سنة ١٧٩هـ . توفى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م . الخطيب : تاريخ ٢٧/١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١٣١/٥ ، الزركلى : الأعلام ٣٢١/٧ .

(٣) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص/٥٠٢-٥٠٤ . انظر أيضا اشارة الجهشيارى الى غضب الرشيد من الفضل بن يحيى سنة ١٨٣هـ ، الوزراء ص/٢٢٧ . وينفى د. هولو فرج أن يكون البرامكة يميلون الى العلويين . البرامكة ص/٦٠-٦١ ، أيضا د. فاروق عمر : جذور الوزارة ص/١١٨ .

(٤) الديلم : جيل سموا بأرضهم . وقد اطلق اسم الديلم على أكثر من موضع . ياقوت : معجم البلدان ٥٤٤/٢ ، وهو ضمن الأقاليم الشمالية الغربية من البلدان الشرقية للدولة الاسلامية . وهى موطن بنى بويه الذين برزوا فى تاريخ الدولة العباسية فيما بعد ، انظر كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/٢٠٧ .

عندك ، فقال : قل له فما يؤمنك أن تقوى شوكته فيقتل الفضل ويقتلني . وماحملك على أن انفذت الى أحمد بن عيسى بن زيد بالبصرة مع غلامك رياح سبعين ألف دينار ؟ فقلت له ذاك .." ولم تذكر الرواية جوابا لخالد على هذا السؤال (١). وأحمد بن عيسى هذا من العلويين ومن كبار الزيدية (٢).

ان تصرفات البرامكة هذه تؤكد مانسب اليهم من التشيع لابمعنى الميل الى أهل البيت والتقرب اليهم ، وانما اعتناق المذهب الشيعي . ولعل المسعودي يؤكد لنا ذلك عند ذكره لمجلس يحيى بن خالد ، الذى كان يضم بعض أئمة الشيعة حيث يقول : "كان يحيى بن خالد ذا علم ومعرفة وبحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام ، وغيرهم من أهل الآراء والنحل .. منهم على بن هيثم وكان امامى المذهب من المشهورين من متكلمى الشيعة .. وهشام بن الحكم الكوفى شيخ الامامية فى وقته ، وكبير الصنعة فى عصره ..." (٣). ويقول ابن النديم : ان هشام بن الحكم .. من جلة أصحاب أبى عبيد الله جعفر بن محمد الصادق (٤).. وهو من متكلمى الشيعة الامامية وبطائنهم . وهو الذى فتق الكلام فى الامامة ، وهذب المذهب ، وسهل طريق الحجاج فيه .. كان منقطعا الى البرامكة ملازما ليحيى بن خالد ، وكان القيم لمجلس كلامه

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٤٣ .
(٢) الزركلى : الأعلام ١/١٩١ .
(٣) مروج الذهب ٣/٣٧٠-٣٧٢ . اضافة الى حضور بعض أئمة الخوارج والمعتزلة .
(٤) جعفر بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسن السبط الهاشمي القرشي - أبو عبيد الله - الملقب بالصادق ، سادس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة فى العلم .
ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/١٠٥ .

ونظره " .[(١)]

أمــا عن اتهام البرامكة بالزندقة ، فان المصادر تذكر ذلـك صراحـة ، فيقـول ابـن قتيبـة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) : ان البرامكـة "كـانوا يرمـون بالزندقـة الا من عصم الله تعالى منهـم"[(٢)] . كمـا تنـاقلت عـدة مصـادر روايـة تقـول : "أرادت البرامكـة اظهـار الزندقـة وافسـاد الدولـة"[(٣)] ، ويذكـر ابن النديم أن "البرامكة باسرها الا محمد بن خالد كانت زنادقة"[(٤)] ومحمد بن خالد هذا لم يقبض عليه الرشيد ولاعلى "ولده وأهله وحشمه فانـه استثناهم ، لمـا ظهر من نصيحة محمد لـه ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة"[(٥)] .

وقـد أشـارت المصادر الى أن الرشيد أمر أن يسجن يحيى ابن خالد وابنه الفضل ـ بعد أن نكبهم ـ فى "حبس الزنادقة"[(٦)] الأمـر الـذى يرجـح لنـا أن يكون البرامكة قد أخذوا لاتهامهم بالزندقة أيضا .

---

(١) الفهرست ص/٣ .

(٢) المعـارف ص/٣٨٢ . وهناك اشعار عدة تنسب البرامكة الى الزندقـة . انظر الجاحظ : البيان والتبيين ٤/٥١-٥٢ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/٥١ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٦ ، ابـن منظـور : ملحق الأغانى ٢٥/٢٥١ ، وينفى عنهم ابن دحية تهمة الزندقة ص/٤٢ ، ويقول ابن طباطبا انهم أسلموا وحسن اسلامهم ، الفخرى ص/١٩٧ .

(٣) الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٢ ، ابـن خلكـان : وفيـات ١/٤٧٣ ، الاربلـى : خلاصة الـذهب ص/١٤٦ ، القرمـانى : أخبار الدول ص/١٥١ .

(٤) الفهرست ص/٤٧٣ .

(٥) الطبرى : تـاريخ ٨/٢٩٧،٢٩٩ ، أيضـا الجهشـيارى : الوزراء ص/٢٣٤ .

(٦) ابـن خلكـان : وفيـات ١/٣٣٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ١/٤١١ ، وقـال البغـدادى : توفى يحيى بن خالد فى سنة ١٩٠هـ فى حبس الرشيد بالرافقة . تاريخ بغداد ١٤/١٣٢ .

وكان أنس بن أبى الشيخ كاتب جعفر بن يحيى يتهم (١) بالزندقة أيضا ، وقد أمر الرشيد بقتله فى صبيحة الليلة (٢) التى قتل فيها جعفر ، وصلبه بالرقة (٣) ، وكان قد رفع الى (٤) الرشيد أنه هو الذى دل البرامكة على الزندقة (٥) .

وتصف المصادر ميل البرامكة الى دينهم السابق - المجوسية ، وأن اسلامهم لم يكن خالصا (٦) ، بل ان الذهبى يقول "كان جعفر البرمكى يتهم بالمجوسية" (٧) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٧٩/٣ ، وقيل كان صديقا لجعفر ، ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٧٨/٨ ، وقيل كان خاصا بجعفر ، الأصفهانى : الأغانى ٣٥٥/٢٠ ، ومنقطعا اليه ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٠ ، وقال الطبرى "كان أحد أصحاب البرامكة" تاريخ ٢٩٧/٨ ، أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٢٩٧/٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢٩٧/٨ ، أيضا ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٧/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣٩ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٠ .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣٩ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٢٧٠ .

(٥) الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٨ .

(٦) انظر طاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص/١٧٢ . نقلا عن د. ابراهيم الكروى : نظام الوزارة ص/١١٦ .

(٧) العبر ٨٩/١ . وقرب البرامكة الشعراء وأجزلوا لهم العطاء والهبات ليمدحوهم ممن كان يوصف بالزندقة والالحاد والتهتك والخلاعة لافساد الدين والقيم الأخلاقية اليوزبكى : الوزارة ص/٩٤ .

ثالثا : تصرفهم فى الأموال .

تؤكد الروايات التاريخية سيطرة البرامكة على أموال الدولة وانفاقها فى الوجوه التى يرغبونها ، يقول المسعودى "لما أفضت الخلافة الى الرشيد استوزر البرامكة ، فاحتازوا الأموال دونه ، حتى كان يحتاج الى اليسير من المال فلايقدر عليه" (١) . ويقول الجهشيارى : "كان البرامكة قد فارقوا الرشيد على شىء يطلقونه من المال للحوادث ، سوى نفقاته ومايحتاج اليه هو وعياله - وأنه طلب مرة من جعفر عشرة آلاف درهم فاعتذر له - (٢) . ويؤيد ذلك ابن خلدون حيث يقول : "انما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة ، واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلايصل له" (٣) ، ويضيف قوله "تسربت الى خزائنهم فى سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية ، وأفاضوا فى رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الأشراف المعدم ، وفكوا العانى ، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع ، من الضواحى والأمصار فى سائر الممالك ، حتى أسفوا البطانة ، وأحقدوا الخاصة ، وأغصوا أهل

---

(١) مروج الذهب ٣٦٨/٣ .

(٢) الوزراء ص/٢٤٩-٢٥٠ . وتدل رواية للأصفهانى أن جعفرا كان على نفقات الرشيد وبيت المال . الأغانى ١٩٠/٥ ، انظر أيضا الطبرى : تاريخ ١٢٦/٩ .

(٣) المقدمة ١/١٥-١٦ . وعن احتجانهم الأموال انظر أيضا ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٩ ، الاتليدى : اعلام الناس ص/١٢٧-١٢٨ .

الولاية " .[1]

ويذكر الطبرى أن الرشيد أدرك أن البرامكة كانوا قد استولوا على الأموال ، فبادر الى البحث عن أحوالهم منذ وقت مبكر حيث يقول ان الرشيد "أخذ يفتش عن المال فوجد البرامكة قد استهلكوه فأقبل يهم بهم ويمسك"[2] . كما يذكر الطبرى قول الخليفة الواثق الذى يؤكد فيه أن سبب نكبة البرامكة هو تصرفهم فى الأموال واستيلاؤهم عليها[3] .

أضف الى ذلك أن الرشيد عندما سجن يحيى بن خالد قابله بتهمة الاسراف فى الأموال وحجبها من أن تصل الى يده[4] ، كما بعث من يبحث عن أموال البرامكة ويجمعها ، ويقبض على أملاكهم فى جميع البلدان[5] .

وتذكر بعض المصادر أنه وجد للبرامكة أموال عظيمة[6] ، فى حين تؤكد روايات أخرى استيلاءهم على الأموال ، الا انهم صرفوها فى المكارم ، وكسبوا من جراء ذلك الذكر الجميل ،

---

(١) المقدمة ١٦/١ ، انظر أيضا عن علم الرشيد بأن للبرامكة ضياعا ليست لولده ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦٦/٥ ، أبو الفرج ابن الجوزى : أخبار البرامكة ومكارمهم ، مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى برقم ٢٥ تاريخ وتراجم ، لوحة ٧/أ،ب ، ابن خلكان : وفيات ٤٧٣/١ .

(٢) تاريخ ١٢٦/٩ .

(٣) تاريخ ١٢٦/٩-١٢٨ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٤٣ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٩٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٠٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦١/٥ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٦٨/٢ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٣-١٤٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٤٥/١ ، ابن دحيه : النبراس ص/٤١ .

(٦) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٦٨/٢-١٦٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦٢/٥ .

وهو الجوهر الذى بقى لهم ، فيروى الجهشيارى عن مسرور الكبير قوله : ان الرشيد قال له : "أخبرنى عما وجدت للبرامكة من المال والجوهر ، فقلت له : ماوجدت لهم شيئا من ذلك ، قال : وكيف وقد نهبوا مالى ، وذهبوا بخزائنى! فقلت : أنفقوه فى المكارم ، وأصبت لهم جوهرا لايشبه أمثالهم" (١) . وقد ضرب الرشيد الفضل بن يحيى مائتى سوط ليقر له بما أخفاه من الأموال (٢) .

لقد امتلك البرامكة الضياع واسرفوا فى العطايا والهبات ، حتى أوغروا صدر الرشيد ، ونافسوه فى الأبهة والجاه .. ويمكننا الحصول على فكرة تقريبية لما أخذه البرامكة من أموال الدولة ، اذا نظرنا الى واردهم السنوى والى عظم الهبات التى وهبوها (٣) . فيذكر ابن قتيبة وابن عبد ربه (٤) أن مبلغ جباية البرامكة سنويا بلغت عشرين مليون درهم وأن مقدار ماقبضه الرشيد من أموالهم بلغ ثلاثين مليونا وستمائة وستين ألف درهم – أو ستمائة ألف وستةوسبعين ألف درهم – بالاضافة "الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودورهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم ، فان ذلك لايوصف أقله ، ولايعرف أيسره ، الا من أحصى الأعمال وعرف منتهى الآجال" (٥) .

لقد كانت الدولة فى عهد الرشيد ذات دخل كبير (٦) ، وقد زاد ذلك من اغداق البرامكة للأموال على أنفسهم ، وقد ذكر

---

(١) الوزراء ص/٢٤٢ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٤٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٣/٣٨٤-٣٨٥ ، ابن خلكان : وفيات ٤/٣٣ .
(٣) الامامة والسياسة ٢/١٦٨-١٦٩ .
(٤) العقد الفريد ٥/٦٢ .
(٥) انظر د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٣٢-١٣٣ .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨٨ .

أن جعفر بن يحيى بنى دارا أنفق عليها عشرين مليون درهم (١)، حتى قيل : "ان الشره قتل جعفر بن يحيى" (٢).

لاشك أن هبات البرامكة لصنائعهم وأنصارهم ، والوافدين عليهم من المؤملين والشعراء والخطباء ، تقوم دليلا واضحا على اسرافهم وتبذيرهم للأموال (٣).

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٩١/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣٤٤/١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات ٤٧٣/١ ، عن الحسن بن على بن عيسى وقد كان جعفر بن يحيى يشرف على دور الضرب ـ سك النقود ـ الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢٥٧/٨-٢٥٨،٢٦٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٤١ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٨٣/٣ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٥١/٣-٥٢ ، نشوار المحاضرة ٢٤٥/٨،٢٤٨ البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٩٣-٢٠٨ ، أيضا د. ابراهيم الكروى : نظام الوزارة ص/١١٢ ، د. هولو فرج البرامكة ص/٦٤-٧٠ .

رابعا : ميولهم الفارسية .

لقد ظهرت ميول البرامكة الفارسية فى مناسبات مختلفة رغم تحفظهم ، فيحيى بن خالد قرب بنى سهل - الفضل بن سهل وأخاه الحسن - وهم مجوس ، وعرف المأمون بالفضل وكان مجوسيا آنئذ ، وطلب من المأمون تقريبه [(١)] .

فى حين حاول البرامكة ابعاد العرب عن مناصب الدولة الهامة [(٢)] ، ويتضح ذلك من خلال وشايتهم بالقائد العربى يزيد ابن مزيد الشيبانى [(٣)] . وقد جعل ذلك بعض الشخصيات غير العربية كعلى بن عيسى بن ماهان الذى لم يكن من حزبهم ، والفضل بن الربيع الذى لم يكن من صنائعهم ، تتعاون مع الكتلة العربية لاسقاطهم والتنكيل بهم [(٤)] .

كذلك كان البرامكة يتعصبون للتراث الفارسى ، ويعملون على الحفاظ على المنشآت الساسانية القديمة من معاول الهدم والتخريب ، لتكون شاهدا على أمجادهم [(٥)] ، وقد كان موقف يحيى ابن خالد المتعاطف مع الفرس مثار سعاية أعدائه به ، ورميه بالتعصب للمجوسية [(٦)] .

وموقف البرامكة هذا شجع بعض الأسر على الدعوة علنا الى احياء العادات الفارسية [(٧)] ، لاسيما وأن البرامكة قد

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٣٠-٢٣١ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٠/١٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٤٠ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ١/١٥-١٦ .
(٣) الخطيب : تاريخ ١١٥/١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣/٦ ، انظر أيضا سعيهم بعبد الله بن مالك الخزاعى ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ١٢٦/٣ .
(٤) د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٣٤ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٦٥٠/٧ .
(٦) د. ابراهيم الكروى : نظام الوزارة ص/١١٤ ، د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٣٤ .
(٧) د. ابراهيم الكروى : نظام الوزارة ص/١١٥ .

اتخذوا سلوكا طيبا مع سكان الأقاليم الشرقية حين تولوها ، على عكس سلوكهم فى الأقاليم الغربية .. كما أدخلوا تقاليد وعادات الارستقراطية الفارسية فى مجالسهم وحفلات سمرهم ، وقربوا شعراء وكتاباً فرسا ، واعتمدوا عليهم .(١)

وبعد عرضنا لأهم أسباب نكبة البرامكة ، لابد من الاشارة الى أن هناك بعض القصص التى حيكت حول سبب نكبة البرامكة ، وهى أشبه ماتكون بالقصص الخيالية ، روجها أنصار البرامكة فتناقلتها مجموعة من المصادر ، ومع ذلك تصدى بعض المؤرخين(٢)

---

(١) د. فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة ص/١٢٣ ، د. هولو فرج : البرامكة ص/٤٩ .

(٢) وردت قصة العباسة أخت الخليفة الرشيد وزواجها سرا بجعفر بن يحيى فى المصادر التالية :
الطبرى : تاريخ ٢٩٤/٨ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٧٥/٣-٣٧٨ ، ابن العمرانى : الأنباء ص/٧٩ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٣/١-٣٣٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٠٨/١-٤٠٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٩ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٦ ، أبو الفداء : المختصر ١٦/٢ ، وهو يرجح هذه القصة فى سبب قتل البرامكة ، القرمانى : أخبار الدول ص/١٥٠ . وقد أيدت د. زاهيه قدوره صحة هذه القصة . الشعوبية ص/٢٦٥-٢٦٧ .
وقد ذكرت بعض المصادر أسبابا أخرى لنكبة البرامكة ، وهى : ملل الخليفة من طول فترة وزارتهم . انظر الجهشيارى : الوزراء ص/٢٥٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٥/١ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤١٠/١ .
وقيل ادلال البرامكة على شخص الخليفة . انظر ابن خلكان : المصدر السابق ٣٣٥/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٩ ، اليافعى : المصدر السابق ٤١٠/١ .
وقيل بل سعى بهم أعداؤهم لدى الخليفة ، الجهشيارى : المصدر السابق ص/٢٥٣ ، ابن خلكان : المصدر السابق ٣٧/٤-٣٨ ، اليافعى : المصدر السابق ٤١٠/١ ، ابن طباطبا : المصدر السابق ص/٢٠٩ ، ابن خلدون : المقدمة ١٦/١ .
وقيل قريب من ذلك وهو تجرؤ يحيى بن خالد فى الدخول على الخليفة بدون اذن ، الطبرى : تاريخ ٢٨٧/٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٥ .
وأخيرا هناك رواية للجهشيارى تذكر بعض أسباب نكبة البرامكة ـ والتى ضمناها البحث ـ ثم تضيف أن الرشيد عدد أربعة عشر خطأ ارتكبه يحيى بن خالد دون أن تشير الى تلك الأخطاء . المصدر السابق ص/٢٤٣ . =

للرد عليها ، ومناقشتها بأسلوب علمي يتميز بالنقد والتحليل كما ناقشها بعض الباحثين المحدثين (١) واثبتوا عدم صحتها (٢) .

= وبعض الباحثين المحدثين يرى أن الاستئثار من قبل البرامكة بالحكم هو سبب نكبتهم ، انظر د. توفيق اليوزبكي : الوزارة ص/٩٥ ، د. فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة ص/١١٦،١٢٠ ، ومنهم من أيد ملل الخليفة منهم ، د. زاهية قدورة : الشعوبية ص/٢٥٧ ، ومنهم من يرى أن سبب ذلك الاسارف فى الأموال ، د.توفيق اليوزبكي : المرجع السابق ص/٩٥ ، د. زاهية قدورة : المرجع السابق ص/٢٧٠ .
فى حين رفض بعض الباحثين أن يكون سبب نكبة البرامكة لكونهم زنادقة ، د. فاروق عمر : المرجع السابق ص/١١٨ ، ١٢٠ ، د. زاهية قدورة : المرجع السابق ص/٢٧٣،٢٧٧ ، ومنهم من نفى التشيع عنهم ، د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٣٠ ، د. فاروق عمر : المرجع السابق ص/١١٨ ، د. هولو فرج : البرامكة ص/٦٠-٦١ ، كما نفت د. زاهية قدورة أن يكون البرامكة سعوا للانقلاب على الخلافة ، المرجع السابق ص/٢٧٨ .

(١) انظر ابن خلدون : المقدمة ١/١٥ .

(٢) انظر د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٢٨-١٢٩ ، واشار الى أن الدينورى ـ صاحب الأخبار الطوال ـ واليعقوبى ـ المؤرخ العراقى الذى عرف الشئون الداخلية جيدا ـ لايذكرانها ، وكذلك الجهشيارى لم يذكرها وهو من فحول مؤرخى العراق ، انظر أيضا من المراجع الحديثة التى ناقشت قصة العباسة وجعفر بن يحيى ، د. فاروق عمر : الجذور التاريخية للوزارة ص/١١٦-١١٧ ، د. هولو فرج : البرامكة ص/٨٨-٨٩ ، د. توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/١٠٣-١٠٦ .

نهاية البرامكة .

أما عن نهاية البرامكة التى كانت نتيجة للأسباب السابقة ، فتذكر المصادر أن الرشيد بعد أن حج سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م انصرف من مكة قاصدا بغداد حتى نزل بموضع فى العراق يسمى العمر - بناحية الانبار - (١) ، فلما كانت أول ليلة فى صفر سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م أرسل مسرورا الخادم فى جماعة من الجند وقال : اذهب الى جعفر بن يحيى فائتنى برأسه ، فذهب اليه مسرور وقتله (٢) .

"وأمر الرشيد فى تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ، ومن كان منهم بسبيل ، فلم يفلت منهم أحد كان حاضرا ، وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس فى ناحية من منازل الرشيد ، وحبس يحيى بن خالد فى منزله ، وأخذ ماوجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج الى مدينة السلام أو الى غيرها . ووجه من ليلته رجاء الخادم الى الرقة فى قبض أموالهم وماكان لهم ، وأخذ كل ماكان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم ، وولاة أمورهم ، وفرق الكتب من ليلته الى جميع العمال فى نواحى البلدان والأعمال بقبض أموالهم ، وأخذ

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٩٥/٨ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ص/٤٥٨ ، ابن قتيبة : المعارف ص/٣٨٢ اليعقوبى : تاريخ ٤٢١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٨٧/٨، ٢٩٥، ٣٠٠ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٧٩/٣-٣٨٠ ، الجهشيارى الوزراء ص/٣٢٤ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٠٤ ، الخطيب : تاريخ ١٦٠/٧ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٨٣-٨٤ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٣ ، ابن دحيه : النبراس ص/٣٧، ٤١ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٦/١-٣٣٧، ٣٣٨-٣٣٩، ٣٤٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٠ ، أبو الفداء : المختصر ١٦/٢ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٥-١٤٧ .

وكلائهم ، فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفناني ، وهرثمة بن أعين ، وابراهيم بن حميد المروروذي واتبعهم عدة من خدمه وثقاته ، منهم مسرور الخادم الى منزل جعفر بن يحيى ، وابراهيم بن حميد وحسين الخادم الى منزل الفضل بن يحيى ، ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم الى منزل يحيى ومحمد ابني يحيى (١) ، وجعل معه هرثمة بن أعين ، وأمر بقبض جميع مالهم ، وكتب الى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر الى مدينة السلام (٢) ، ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل ، ففعل السندي ذلك ، وأمضى الخدم ماكانوا وجهوا فيه وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر الى الرشيد ، فأمر باطلاقهم ، وأمر بالنداء في جميع البرامكة الا أمان لمن آواهم الا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه ، فانه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة .. ووكل بالفضل ومحمد وموسى بن يحيى وبأبي المهدي صهرهم ، حفظه من قبل هرثمة بن أعين الى أن وافى بهم الرقة ، فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبي شيخ يوم قدم الرقة .. ثم صلب .. وحبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد في دير القائم ، وجعل عليهم حفظه من قبل مسرور الخادم ،

---

(١) هكذا جاء في رواية الطبري ، ولعل المقصود موسى بن يحيى انظر تكملة الرواية .

(٢) يفهم من رواية الطبري أن هناك ثلاثة جسور كانت مبنية على نهر دجلة ـ لأن الجثة ذهب بها الى بغداد ـ ويؤكد ذلك الأصفهاني في رواية له حيث يقول : انه في عهد الرشيد "كان اذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرق وامتلأت الجسور بالناس" . الأغاني ٣٧٤/٢٠ .

وهرثمة بن أعين ..." .[1]

وهكذا أزال الرشيد سلطان البرامكة ، ولم تقم ثورات بعد أن تخلص منهم ، مما يدلنا على مهارة هذا الخليفة وحزمه ، وانه اعد للأمر عدته ، وقد استطاع أن يلقى فى روع الجميع أنه على حق فى الايقاع بهم ، دون أن يصرح بالسبب الذى دعاه الى ذلك .[2]

وعهد الرشيد زاخر بالشواهد التاريخية التى تدل على حرصه على اعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة ، حتى ذكر أنه خصص يوما من كل أسبوع لمحاسبة كتاب الدواوين "يجمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ..." .[3]

وهناك اهتمام شخصى من قبل الرشيد بأموال الدولة ، ومحاسبة العمال عليها ، ومن ذلك أنه فى سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م قدم من الرقة "حتى وافى مدينة السلام .. وأخذ عماله

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٩٦/٨ ، انظر أيضا ابن قتيبة : الامامة ١٦٧/٢ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٢٢/٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٧٥/٨-٢٧٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٣٤،٣٣٦-٣٤٤،٣٣٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٨٤/٣-٣٨٥ ، الأزدى تاريخ الموصل ص/٣٠٤ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٦٨/٢-١٦٩ ، ٦٢،٦٠/٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٨٣-٨٤ ، ابن العبرى : تاريخ ص/١٣٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢٣٥/١،٣٣٧-٣٣٨،٣٤١،٣٤٥ ، ٣٣/٤ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤١١/١-٤١٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٠ الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٧-١٤٨ ، أبو الفداء : المختصر ١٦/٢ ، الاتليدى : اعلام الناس ص/١٣٣ .
وقد ظلت جثة جعفر مصلوبة حتى خرج الرشيد الى خراسان فأمر باحراقها . انظر الطبرى : المصدر السابق ٢٩٨/٨ فى حين ظل يحيى بن خالد فى السجن الى أن توفى سنة ١٩٠هـ ، ثم توفى فى السجن أيضا ابنه الفضل سنة ١٩٣هـ قبيل وفاة الرشيد . انظر الطبرى : المصدر السابق ٣٤١/٨ ، الجهشيارى : المصدر السابق ص/٢٦١ ، الخطيب تاريخ ٣٣٩/١٢ ، الاربلى : المصدر السابق ص/١٦٧ .

(٢) د. محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ص/٢٢٠ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٥٦/٢ .

بالبقايا" ـ من مال الخراج ـ . كما كان يستوفى بنفسه الحساب على عمال الخراج ، حيث كانوا يوافونه بالأموال والحسابات ، كلما أغلقوا خراج سنة[2] . وكان يأمر بمعاقبة كل من ثبتت عليه خيانة مالية[3] .[1]

ويجدر بنا أن نشير الى ماأورده قاضى القضاه أبو يوسف ـ يعقوب بن ابراهيم ـ عن مساءلة الرشيد اياه عن قاضى البصرة ، الذى استولى على أراضى كثيرة ، وجعل غلتها له ولوكلائه من غير وجه حق ، والتدابير التى نصح بها أبو يوسف الرشيد ، حتى يقضى على مشكلة هذا القاضى ، بما يردع كل من تسول له نفسه أن يقوم بمثل فعله ، مما يدلنا على اهتمام الرشيد بمتابعة العمال ومحاسبتهم على ماتحت أيديهم من أموال[4] .

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٩٠ . انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤١٠/٢ ، حيث يقول : فى سنة ١٨٤هـ "أخذ الرشيد العمال والتناه والدهاقين وأصحاب الضياع والمتباعين للغلات والمقبلين ، وكان عليهم أموال مجتمعة ، فولى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم .. فطالبهم بصنوف العذاب" .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٩-١٤٠ . حيث يقول : فى سنة ١٨٢هـ ولى الليث بن الفضل مصر على صلاتها وخراجها وكان "كلما أغلق خراج سنة .. وفرغ من حسابها خرج بالمال والحساب الى أمير المؤمنين هارون" .

(٣) الخطيب : تاريخ ٨٩/١ .

(٤) أبو يوسف : الخراج ص/٣٦٠-٣٦١ ، وانظر نصح أبى يوسف للرشيد بأن يتابع العمال ويحاسبهم ، انظر ص/٢٣٣-٢٣٤، ٢٧١ . ومن أمثلة متابعة الرشيد ومحاسبته للعمال على الأموال انظر أيضا ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٥٨/٢ وفى الرواية اشارة الى أن هناك عاملاً يطلق عليه اسم المستحث ، يرسل الى عمال الخراج ليعجلوا رفع مالديهم من أموال . انظر أيضا حادثة أخرى لدى الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧٢ . وفى الرواية دلالة على أن من يصرف من عمله على ديوان الخراج يحاسب على ماكان يليه من عمل ـ الاستقصاء عليه ـ وذلك من قبل والى الخراج الجديد . وتجدر الاشارة الى أن مصادرة الأموال هى احدى وسائل المحاسبة التى يلجأ اليها لمعاقبة العمال . انظر مثالا على ذلك ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٥٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٣/٨، ٢٣٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧١-٢٧٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٣٧/٣ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٣٨ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٦٧/١-٣٩٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٩١/٥-٢٩٢ .

كما كان الرشيد يتابع عماله ويحاسبهم على ظلمهم للرعية ، وسوء ادارتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، فقد ولى على خراسان على بن عيسى بن ماهان سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م (١) ، فلما شخص اليها ظلم الناس ، وعسر عليهم ، وجمع مالا جليلا ووجه به الى الرشيد ، وكان على قد حمل على هذا المال بعد أن عاث بخراسان ، ووتر (٢) أشرافها ، وأخذ أموالهم ، واستخف برجالهم ، فكتب رجال من كبرائها ووجوهها الى الرشيد ، كما كتب جماعة من كورها الى قرابتهم وأصحابهم ، يشكون سوء سيرته ، وخبث طعمته ، ورداءة مذهبه ، وتسأل أمير المؤمنين "أن يبدلها به من أحب من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقواده" (٣) .

وكان الرشيد لما ولى على بن عيسى ، ضم اليه جماعة من القواد فيهم رافع بن الليث (٤) ، وأمره ألايستعمله على بلد قاصيا ، فلما قدم على خراسان استعمل رافع بن الليث على

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ٣١٤/٨ .

(٢) الوتر : يأتى بمعنى الظلم والفزع ، والمكروه ، ووتر ماله نقصه اياه ، والموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .
الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/٦٣١-٦٣٢

(٣) الطبرى : تاريخ ٣١٤/٨-٣١٦ ، وكان على بن عيسى بعث الى الرشيد بهدايا لم ير مثلها من الخيل والرقيق والثياب والمسك والأموال ، انظر أيضا الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٩١ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٧٨/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٨ ، الذهبى : العبر ٢٣٣/١ ، دول الاسلام ١٢٠/١ .

(٤) رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، ثائر من بيت امارة ورياسة ، كان مقيما فيما وراء النهر بسمرقند ، وناب فيها أيام الرشيد ، وعزل وحبس بسبب امرأة ، وهرب من الحبس ، فقتل العامل على سمرقند واستولى عليها سنة ١٩٠هـ ، وسار اليه نائب خراسان على بن عيسى فظفر رافع ، وتوجه اليه الرشيد سنة ١٩٢هـ وانتدب لقتاله هرثمة بن أعين ، فانهزم رافع سنة ١٩٣هـ وضعف أمره ، واختلف المؤرخون فى مصيره ، توفى سنة ١٩٥هـ/٨١١م .
الزركلى : الأعلام ١٢/٣-١٣ .

سمرقند[١] "فلم يحل عليه الحول حتى خلع ونادى بالمعصية وحارب وبلغ الرشيد أن ذلك عن تدبير من على بن عيسى"[٢] .

وكتب وجوه أهل خراسان الى الرشيد : ان هو عزل عليا عن خراسان "استقامت له جميعا ، وعاد رافع بن الليث الى الطاعة"[٣] ، كما كتب بذلك أيضا صاحب بريد خراسان - حمويه - حيث قال للرشيد : ".. ان رافعا لم يخلع ولانزع السواد ولامن شايعه ، وانما غايتهم عزل على بن عيسى ، الذى قد سامهم المكروه"[٤] .

وكان قد تبع رافعاً رجال من أهل خراسان بلغوا زهاء ثلاثين الف رجل[٥] ، فاغتم الرشيد لذلك ، وخشى أن يعزل على بن عيسى عن خراسان ، فيخرج عن الطاعة[٦] ، خاصة وأن على بن عيسى أوقع رافعا عدة وقعات[٧] فلم يفلح فى القضاء عليه[٨] وذلك عندما أوكل الرشيد اليه أمر محاربته[٩] سنة ١٩١هـ/٨٠٦م .

---

(١) سمرقند : بلد معروف مشهور بما وراء النهر - نهر جيحون - وهى قصبة الصغد ، مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه .
والصغد بلاد واسعة تقع فى الشمال الشرقى لخراسان .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٣/٢٤٦-٢٤٧ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/٤٨٠ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٢٥ ، الدينورى : الاخبار الطوال ص/٣٩١ ، الطبرى : تاريخ ٨/٣١٩ .

(٣) مجهول : العيون والحدائق ٣/٣١٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٨/٣٢٨ ، وقد تولى حمويه بريد خراسان سنة ١٩٠هـ ، المصدر السابق ٨/٣٢٣ ، انظر أيضا سببا آخر لخروج رافع ذكره الطبرى : نفس المصدر ٨/٣١٩-٣٢٠، ٣٢٤ .

(٥) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٩١ ، انظر أيضا ابن أعثم : الفتوح ٨/٢٧٨-٢٧٩ . حيث قال : "ثار أهل خراسان وخرجوا مع رافع بن الليث على الرشيد ، وغلب رافع على سمرقند وماوالاها وماكان وراء نهر بلخ فأخذ ذلك كله" .

(٦) ابن أعثم : الفتوح ٨/٢٧٨ .

(٧) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٩١ .

(٨) ابن أعثم : الفتوح ٨/٢٧٩ .

(٩) الطبرى : تاريخ ٨/٣٢٣ .

فوجه الرشيد هرثمة بن أعين في أربعة آلاف من الجند كانه مدد لعلى بن عيسى (١) فاستطاع هرثمة أن يخدعه ويقبض عليه (٢) وقام باستصفاء أمواله وخزائنه وبعث بها الى الرشيد وهو بجرجان على ألف وخمسمائة بعير ، حيث بلغت أمواله ثمانين ألف ألف (٣) ، فأمر الرشيد بحبس على (٤) وولده وكتابه (٥) .

وحادثة عزل على بن عيسى عن خراسان ، تكشف لنا عن حكمة الرشيد وحسن تصرفه ، يقول الأستاذ محمد كرد على معلقا على هذه الحادثة : "كان الرشيد اذا أحس من عامل خيانة ، دبر له من صائب رأيه ولطف حيلته ، مايدل على بعد نظره وحسن ادارته وجميل تدينه ، وشدة غيرته على مصلحة ملكه ، فيسلك أقصر الطرق الى القضاء على الفتن الملحوظة ، والغوائل المستجنه ، فيضرب على المسىء بسيفه وسنانه ، كما يغمر المحسن بانعامه واحسانه" (٦) .

وقد قام الطبرى ببسط الحديث عن أحداث عزل على بن عيسى ، ويتضح من خلال ذلك ، مدى حرص الرشيد على ازالة

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ٣٢٧/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٢ ، الذهبى : العبر ٢٤٠/١ .

(٢) الذهبى : العبر ٢٤٠/١-٢٤١ . انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٢٥/٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٣٢٤/٨-٣٢٥،٣٤١ ، ولم يحدد نوع الأموال أهى دراهم أم دنانير ، انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٢٥/٢ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٢ ، الذهبى : العبر ٢٤١/١ ، دول الاسلام ١٢١/١ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٥/٢ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٢ .

(٥) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣١٢ . ويقول الطبرى : "أمر هرثمة بتقييده – أى على – وتقييد ولده وكتابه وعماله" . تاريخ ٣٣٠/٨ ، ويقول انه قدم بعلى بن عيسى بغداد فحبس فى داره سنة ١٩٢هـ ، نفس المصدر ٣٤٠/٨ .

(٦) الاسلام والحضارة العربية ٢١٦/٢-٢١٧ . وانظر أيضا تفاصيل عزل والى مصر موسى بن عيسى الهاشمى فى الملحق الأول من هذا البحث .

الظلم عن الرعية ، واعادة الحقوق الى أهلها ، والقضاء على أسباب الفتن[(١)] .

وأمثلة محاسبة الرشيد عماله على سوء ادارتهم ، وظلمهم للرعية كثيرة ، من ذلك أنه قام بعزل والى الموصل يحيى بن سعيد الخرشى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م وولى بدلا منه هرثمة ابن أعين ، ذلك أن الناس كانوا فى ولاية الحرشى "فى شدة وعسف وظلم"[(٢)] .

وكان الرشيد قد ولى اليمن العباس بن سعيد "فضج منه أهل اليمن ، وحكى عنه مذاهب قبيحة ، فصرفه الرشيد وولى مكانه ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الامام .."[(٣)] ، وعندما لم يفلح والى دمشق عبد الصمد بن على فى انهاء الفتن التى نشبت بين اليمانية والمضرية سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م عزله الرشيد وولى بدلا منه ابراهيم بن صالح بن على[(٤)] ، وغير ذلك من الشواهد التى توضح لنا جانبا من أسباب عزل الرشيد للولاه والعمال[(٥)] .

---

(١) تاريخ ٣٢٨/٨-٣٣٧ . انظر الملحق الثانى من هذا البحث.

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٩٣،٢٩٤ ، وكان الحرشى على ولاية الموصل سنة ١٨١هـ/٧٩٧م .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤١٢/٢ ، ويذكر عدة حالات عزل تلت ذلك من الراجح أن تكون لسوء الادارة ، وظلم الرعية .

(٤) أبو الفداء : المختصر ١٣/٢ . انظر أيضا عن استمرار الفتن فى دمشق بعد ذلك نفس المصدر ١٥/٢،١٧ .

(٥) انظر أحداث السند خلال فترة الرشيد وسبب التولية والعزل عليها ، أيضا الأحداث فى بلاد المغرب وتوليه أكثر من والى خلال فترات متقاربة ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠٩/٢،٤١١ ، أيضا ماذكره الطبرى عن عزل اسحاق بن سليمان عن مصر سنة ١٧٨هـ وتوليه هرثمة بن أعين : لوثوب الحوفية بمصر من قيس وقضاعة ـ لضعفه ـ . تاريخ ٢٥٦/٨ ، وعزل الرشيد لمعاذ بن معاذ العنبرى قاضى البصرة ـ الذى تولى سنة ١٨١هـ ـ لسوء ادارته ، من خلال مانقله اليه وفد البصرة ، فعزله سنة ١٩١هـ . وكيع : أخبار القضاه ١٥١/٢-١٥٢،١٥٤ ، وانظر توبيخ الرشيد لوالى دمشق الحسن بن عمران وتقييده وادخاله عليه . القيروانى : زهر الآداب ٧١٩/٣ .

وكان الرشيد يتابع أعمال عماله ويعرف تصرفاتهم ، ويحاسبهم على عدم كفاءتهم فى الأعمال المنوطة بهم ، فقد قام بعزل قاضى البصرة - عمر بن حبيب العدوى - لعدم كفاءته ، حيث وصف بأنه "رجل لعاب .. ليس من رجال القضاء"(١) كما قام أيضا بعزل والى مصر محمد بن زهير الأزدى ، ذلك أن الجند الذين يقال لهم القديدية(٢) ثاروا بصاحب الخراج عمر بن غيلان فى أعطياتهم ، فصلبوه(٣) ودخنوا عليه ، حتى دفع لهم أعطياتهم ، ولم يدافع عنه محمد بن زهير(٤) . فرأى الرشيد أنه غير كفء للولاية .

كما كان الرشيد يتابع عماله ويحاسبهم على عدم ولائهم للدولة ، ومحاولتهم الخروج عليها . فعندما بلغه أن والى دمشق عبد الملك بن صالح كان "يؤهل نفسه للخلافة(٥) ، وانه يراسل رؤساء القبائل والعشائر بالشام والجزيرة(٦)" ، عزله

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ١٤٥/٢ .

(٢) سمو بذلك لأكلهم القديد ، وهو اللحم الذى يقطع قطعا صغيرة ويجفف فى الشمس ، ويقول الفيروزابادى : القديديون - لايضم - تباع العسكر من الصناع ، كالشعاب والبيطار . القاموس المحيط ص/٣٩٤ .

(٣) ربما المقصود انهم أشعلوا النار على مقربة منه حتى يصل اليه دخانها ، ترهيبا له .

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٣ . ولم تطل مدة ولاية محمد بن زهير أكثر من خمسة أشهر حيث تولى فى شعبان وصرف فى سلخ ذى الحجة من سنة ١٧٣هـ . وهناك أمثلة أخرى لعزل الرشيد بعض الولاه والقضاه والعمال لعدم كفاءتهم . انظر عن ذلك وكيع : أخبار القضاه ٢٠٩/٣ ، القيروانى : زهر الآداب ١٠٦٠/٤ ، ابن الجوزى : أخبار الحمقى ص/١٠١-١٠٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٨٧/٦ .

(٥) أى انه يريد أن يأخذ البيعة لنفسه بالخلافة .

(٦) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٤/٢ ، انظر أيضا الطبرى : تاريخ ٣٠٢/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٤-٢٦٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٣/٢-١٥٤ ، القيروانى : زهر الآداب ٧١٨/٣-٧١٩ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥١٢ .

فـى سـنـة ١٨٧هـ/٨٠٢م ، وأمر بسجنه (١) ، وقبض أمواله وسلاحه (٢) ، وكـان قـد رفـع أمـره الـى الرشيد كاتبه قمامه (٣) ، وابنه عبد الرحمن بن عبد الملك (٤) . وكان الرشيد قد عزل فى سنة ١٧٦هـ/ ٧٩٢م والى مصر موسى بن عيسى الهاشمى لما بلغه من عزمه على خلع الطاعة (٥) ، وكان موسى قد جمع مع عدم ولائه ، القيام بظلم الرعية ، حيث كثر التظلم منه ، واتصلت السعايات به ، فأمر الرشيد بعد عزله باقامته للناس وانصاف المظلوم منه (٦) .

ولعل الميل الى آل على بن أبى طالب كان من التهم الخطيرة التى توجه الى العمال ، للدلالة على عدم ولائهم للدولة ، لما فى ذلك من تهديد لأمن الدولة ، وزعزعة لاستقرارها ، فيذكر الكندى : أن ادريس بن عبد الله - العلوى - .. قدم الى مصر فى ولاية على بن سليمان العباسى "فعلم - على - بمكانه ، ولقيه سرا ، فسأله بالله والرحم الا ستر عليه ، فانه خارج الى المغرب ، فستر عليه ، وأظهر على ابن سليمان أنه تصلح له الخلافة ، وطمع فيها ، فسخط عليه هارون فعزله" وذلك فى سنة ١٧١هـ/٧٨٧م (٧) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٣٠٢/٨ ، وقال اليعقوبى : تاريخ ٤٢٤/٢ فـى سنة ١٨٨هـ ، انظر أيضا عن ذكر حبسه ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٠٦ ، وقال فى سنة ١٨٨هـ ، أيضا ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٣/٢-١٥٤ .

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٠٦ .

(٣) كان قمامه مولى لعبد الملك بن صالح . اليعقوبى : تاريخ ٤٢٤/٢ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٤٢٤/٢ ، الطبرى : تاريخ ٣٠٢/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٤-٢٦٥ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٣/٢-١٥٤ ، القيروانى : زهر الآداب ٧١٨/٣-٧١٩ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥١٢ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٢٥٢/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢١٧ ، وقال : "انه استكثر من العبيد والعده" .

(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٢١٧،٢١٩ .

(٧) الولاه والقضاه ص/١٣٢ .

ولم تكن تهمة الميل الى بني أمية بأقل خطرا من تهمة الميل الى آل علي، فقد سبب أنصار الدولة البائدة - الأموية الكثير من الاضطرابات والفتن في البلدان ، لاسيما بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، لذا فان محاسبة العمال كانت تتم بمجرد التهمة والوشاية ، فكان الرشيد يقوم بمتابعة كل من اتهم بالميل الى بني أميه من العمال ، أو سعى به في ذلك ، ومن ثم القيام بمحاسبته اذا ثبت عليه مارمي به ، ففي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م قام الرشيد بعزل قاضي الموصل اسماعيل بن زياد "على سخط منه عليه ، وزعم أن هواه مع أهل الموصل" (١) . وأهل الموصل والجزيرة الفراتية عموما كانوا يميلون الى بني أميه ، ويقومون بالثورات بين الحين والآخر من أجل ذلك (٢) .

وعدم الولاء للدولة عموما يعد خيانة كبرى ، يحاسب عليها العمال ، فعندما شك الرشيد في ولاء قائد جيشه يزيد ابن مزيد الشيباني ، الذي بعثه في سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م على رأس جيش لقتال الوليد بن طريف الشيباني - أحد الخارجين بأرض الجزيرة الفراتية (٣) - قام بتوبيخه وتهديده ، وكان قد سعى لدى الرشيد بأنه يراعي الوليد لأجل الرحم ، والا فشوكة الوليد يسيرة ، وانه يواعده وينتظر مايكون من أمره "فوجه اليه الرشيد كتاب مغضب ، وقال : لو وجهت أحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ، ليبعثن اليك من يحمل

---

(١) الأزدي : تاريخ الموصل ص/٢٨٨ .
(٢) الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٤٥،١٥٠ .
(٣) كان الوليد مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحي . ابن خلكان : وفيات ٣١/٦ . أي في منتصف أرض الجزيرة تقريبا .
انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/١١٦ .

رأسك الى أمير المؤمنين" (١) .

عهد الأمين :

لما تولى الأمين الخلافة ، لم يكن على مستوى من سبقه من الخلفاء فى أخذه بالمتابعة والمحاسبة لعمال الدولة ، ولدينا معلومات متباينة حول هذا الموضوع ، فهناك اشارات تذكر قيامه بمتابعة العمال ومحاسبتهم ، واشارات أخرى تذكر اهماله لذلك .

فمن أمثلة قيامه بمتابعة العمال ومحاسبتهم ، ماكتب به فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م الى أخيه المأمون ولى عهده ووالى الأقاليم الشرقية – من الدولة العباسية – يسأله عن الأموال الفائضة عن خراج البلدان التابعة لولايته ، حيث جاء فى نص الكتاب الذى بعث به اليه قوله : "فان أمير المؤمنين الرشيد وان كان أفردك بالطرف (٢) ، وضم ماضم اليك من كور الجبل ، تأييدا لأمرك ، وتحصينا لطرفك ، فان ذلك لايوجب لك فضلة المال عن كفايتك ، وقد كان هذا الطرف وخراجه كافيا لحدثه ، ثم تتجاوز بعد الكفاية الى مايفضل من رده ، وقد ضم لك الى الطرف كورا من أمهات كور الأموال لاحاجة لك فيها فالحق فيها أن تكون مردودة فى أهلها ، ومواضع حقها ، فكتبت اليك اسألك رد تلك الكور الى ماكانت عليه من حالها لتكون فضول ردها مصروفة الى مواضعها" (٣) .

كما قام الأمين فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م أيضا بعزل عامل حمص اسحاق بن سليمان ، لعدم كفاءته ، ذلك أنه لما اختلف عليه

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٦/٣١-٣٢ . وكان يزيد يخاتل الوليد ويماكره ولكن البرامكة سعوا به لدى الرشيد لانحرافهم عنه . ثم لقى الوليد وقتله سنة ١٧٩هـ .

(٢) الطرف : – محركه – الناحية . وطائفة من الشئ . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٠٧٥ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٨/٣٨٠ .

أهل حمص ، انتقل عنهم الى بلده يقال لها سلميه[1] ولم يقاتلهم ، فولى الأمين بدلا منه عبد الله بن سعيد الحرشي ، الذى قاتلهم حتى سألوا الأمان فأمنهم ، وقضى على الفتنة[2] ، فكان عزل اسحاق لعدم قدرته على ضبط امارته ، وهروبه من مقر امارته ، وتركه ماأوكل اليه من عمل .

وتذكر بعض المصادر عزل الأمين لقاضى مصر عبد الرحمن ابن عبد الله العمرى لسوء ادارته ، وذلك فى سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م أيضا[3] .

أما عن أمثلة اهمال الأمين لمتابعة عماله ومحاسبتهم ماذكره اليعقوبى من أنه قام بعزل والى اليمن سعيد بن السرح الكنانى ـ وكان من أهل فلسطين ـ "فخرج .. من اليمن بأموال عظام ، حتى صار الى فلسطين ، فاتخذ الدور والضياع .."[4] . ولم يذكر شيئا عن محاسبته .

عهد المأمون :

لما تولى المأمون الخلافة اهتم باعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة ، وكان أهم عمل قام به فى هذا المجال هو التخلص من سلطان وزيره الفضل بن سهل ، وقتله فى سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م[5] .

---

(١) سلميه : بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماه ، وكانت تعد من أعمال حمص .
ياقوت : معجم البلدان ٣/٢٤٠ .

(٢) أبو الفداء : المختصر ٢/١٩ . وقال الطبرى فى سنة ١٩٤هـ صرف الأمين اسحاق بن سليمان عن حمص وولاها عبد الله بن سعيد الحرشي ومعه عافية بن سليمان .
تاريخ ٨/٣٨٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١١ ، العسقلانى : رفع الاصر ٢/٣٢٥ . وكان قوم قد شكوه الى الرشيد من قبل فلم يعزله ، وهناك حالات عزل تذكر المصادر قيام الأمين بها دون أن توضح سبب ذلك .
انظر ابن أعثم : الفتوح ٨/٢٩٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٢٦ ، الخطيب : تاريخ ٦/٢٤٣ .

(٤) تاريخ ٢/٤٣٥ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٨/٥٦٤-٥٦٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٤١-٤٤٢ ، الخطيب : تاريخ ١٢/٣٤٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٥ .

وروايات المصادر لاتتفق فى نسبة قتل الفضل بن سهل الى المأمون ، فهناك مجموعة من الروايات التى تذكر أسماء لأشخاص قاموا بقتل الفضل دون الاشارة الى دور المأمون فى ذلك [(١)]. فى حين تؤكد روايات أخرى أن المأمون هو الذى أمر بقتل الفضل [(٢)] وتوضح بعض الروايات أن المأمون أراد أن يبعد عن نفسه تهمة قتل الفضل ، وهذا أدى الى تباين الروايات واختلافها ، فيروى أبو زكريا الأزدى : ان الفضل بن سهل "قتله أربعة نفر من حاشية المأمون وفروا ، فجعل المأمون على احضارهم عشرة آلاف دينار فاحضروا ، فقالوا : أنت أمرتنا بقتله ، فضرب أعناقهم" [(٣)].

كما يروى الخطيب الاسكافى (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) "أن المأمون لما رحل من مرو يريد مدينة السلام ، أعمل الفكر فى قتل الفضل بن سهل على توق - حذر - وذلك لمكان أخيه الحسن وكثرة من معه من الرجال ، فاستشار فيه أحد خدمه يدعى سراجا ، فأشار عليه أن يوكل أمره الى غالب خال المأمون ، لأن الفضل سبق أن ضرب خالداً مائتى مقرعة ، فقتله فى سرخس عندما دخل حماما بها فى خلوه من غلمانه ، وكان معه أربعة رجال شاركوا فى قتله ، فرآهم يقيم بن خازم أحد القادة خارجين من سرخس ، فأخذهم الى المأمون ، فجحد المأمون أن يكون على علم بشىء من أمره ، وقتل به جماعة من القواد

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٥١-٤٥٢ ، الطبرى : تاريخ ٨/٥٦٥ ابن أعثم : الفتوح ٨/٣٣٠ ، الخطيب : تاريخ ١٢/٣٤٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٤ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٣/٤١٧ ، الأصفهانى : الأغانى ١٠/٧٥-٧٦ ، ابن خلكان : وفيات ٤/٤٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٨،٢١٩ .

(٣) تاريخ الموصل ص/٣٤٣ ، أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٥ .

وغيرهم ، كيلا يفسد الحسن بن سهل ومن معه عليه " .(١)

والراجح أن الفضل بن سهل قتل بأمر المأمون ، وان سبب ذلك طموحاته السياسية ، وتسلطه على شئون الدولة ، واستبداده بالسلطة ، وقطعه الأخبار عن الخليفة حتى قامت الفتن والثورات .(٢) أضف الى ذلك مانسب اليه من حنين الى اقامة دولة فارسية ، لاسيما وانه كان من أولاد ملوك المجوس وقد كان اسلامه هو وأبوه متأخرا ، وذلك في عهد الرشيد .(٣) ويبدو أن اسلامه لم يكن سالما من الشبهات حيث ذكر أنه كان يتشيع .(٤) وتوضح بعض الروايات التاريخية أن اسلامه كان بغرض الوصول الى المناصب في الدولة .(٥)

ولم يكن عزل الوزير التالي الحسن بن سهل عن الوزارة سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م ، بعد أن تولاها بفترة قصيرة ،(٦) الا بسبب تخوف المأمون من شخصه ،(٧) وقد جاءت أحداث عزله بطريقة لبقة حيث تشير المصادر الى أنه عزل لاصابته بمرض اثر على عقله ،(٨) ولكن يظهر أن هذه مجرد ادعاء ، اذ نستدل من المحاورة التي

---

(١) لطف التدبير ص/١٦٤-١٦٥ ، انظر أيضا حول هذا الموضوع ابن حمدون : التذكرة ٤١٩/١ .

(٢) انظر ذلك مفصلا في المبحث السابق من هذا الفصل — الاشراف والتوجيه .

(٣) انظر الخطيب : تاريخ ٣٣٩/١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٤١/٤ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢١ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٠٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ٤١/٤ .

(٥) الطبري : تاريخ ٣٢٠/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/٢٣٠-٢٣١ ، وهو ربيب البرامكة ، انظر ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٠ .

(٦) الطبري : تاريخ ٥٦٨/٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٢٣/٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٣ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٠٧ .

(٧) انظر الخطيب الاسكافي : لطف التدبير ص/١٦٤-١٦٥ .

(٨) الطبري : تاريخ ٥٦٨/٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٢٣/٢ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٢٣ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/٢٠٧ .

جرت بين المأمون ووزيره الجديد أحمد بن أبى خالد الأحول ، ان المأمون أشاع هذه الأقوال ، وان الحسن لزم داره حين أراد المأمون صرفه ، اذ قال أحمد للمأمون : "يا أمير المؤمنين اعفنى من التسمى بالوزارة وطالبنى بالواجب فيها واجعل بينى وبين العامة منزلة يرجونى لها صديقى ، ويخافنى لها عدوى ، فما بعد الغايات الا الآفات" (١) . ومن هذا نستنتج أن عزل الحسن بن سهل عن الوزارة لم يكن لعامل المرض ، وانما بسبب تخوف المأمون من تسلطه ونفوذه ، ويذكرنا موقف أحمد بن خالد بموقف خالد بن برمك فى خلافة أبى العباس السفاح ، بعد مقتل الوزير الخلال (٢) .

والحق أن بعض الأحداث لايتسنى لرواة الأخبار معرفة أسبابها ، فتأتى اشاراتهم قاصرة فى هذا الجانب ، والسبب فى ذلك شدة تكتم الخلفاء على أسرار دولتهم ، وقد روى قاضى القضاه أحمد بن ابى دؤاد - وهو أحد المقربين من الخليفة المأمون - مايفيد ذلك ، حيث ذكر أن المأمون قال له : "لايستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ، ولايستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم ، وبين صنائعهم وبطانتهم ، وذلك أنهم يرون ظاهر حرمه وخدمه واجتهاد ونصح ، ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ، حتى لايزال الرجل يقول : ماأوقع به الا رغبة فى ماله ، أو رغبة فى بعض مالاتجود النفس به ، ولعل الحسد والملاله وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك ، وهناك خيانات فى صلب الملك ، أو

---

(١) المسعودى : التنبيه ص/٣٠٤ ، القيروانى : زهر الآداب ٧٢٦/٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٤ .
(٢) د . عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/١٦٧ .

فى بعض الحرم ، فلايستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة فى الملك ، ولاأن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ، ولايستطيع الملك ترك عقابه ، لما فى ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ، ولامعروف عند أكثر الخاصة " (١) .

والحق أن معرفتنا بشخصية المأمون التى تميل الى العفو والصفح عن المسىء (٢) ، تجعلنا نؤكد أن عزل الوزير الحسن بن سهل كان نتيجة لمتابعة دقيقة ، أوضحت له أنه لابد من ابعاده عن هذا المنصب الخطير .

ومن الأمثلة البارزة فى مجال المتابعة والمحاسبة خلال عهد المأمون مقتل والى كور الجبال وأذربيجان وكور ارمينية على بن هشام ، وذلك فى سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م لما بلغ المأمون "من سوء سيرته فى أهل عمله الذى كان المأمون ولاه ... وقتله الرجال ، وأخذه الأموال" (٣) ، وماتحقق من خيانته ، حيث

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٧٤/٣ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٩/١ . ويقول ابن حمدون بعد ذلك مباشرة "ولعل المأمون أراد العذر بهذا الكلام عما كان يتهم به من قتل الفضل بن سهل وينسب اليه من الوضع عليه ، وان صح ذلك فمأخوذ من رأى رآه الرشيد فى يحيى بن خالد فلم يتم له ، قال يزيد بن مزيد قال لى الرشيد : مابقى فى العرب من يفتك ؟ قلت : وماذاك ياأمير المؤمنين ؟ قال : رجل يقتل لى يحيى بن خالد ، قال : قلت له : أنا أقتله وآتيك برأسه ، قال : ليس كذا أريد ، وانما أريد أن يقتله رجل فأقتله به ، قال فحدث به الفضل بن سهل بمرو فوجم واغتم .." .

(٢) الثعالبى : اللطف واللطائف ، تحقيق د. محمود عبد الله الجارد ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص/٢٣ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/١٤٥ ، الطبرى : تاريخ ٦٢٧/٨-٦٢٨ مسكويه : تجارب الأمم ٤٥٧/٦،٤٥٩ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٦٤ ، قال : بلغ المأمون "ان عليا قد أفسد قلوب أصحابه وأهل عسكره بقطع أرزاقهم والشقة عليهم .." . وقال بل سبب ذلك سعاية المعتصم به ، ص/٦٣-٦٤ . وكان قد تولى على سنة ٢١٠هـ . انظر الأزدى تاريخ الموصل ص/٣٦٨ .

نسب الى الخلاف والمعصية (١).

فوجه اليه المأمون عجيف بن عنبسة (٢) - ومعه أحمد بن هشام (٣) - وأمر بقبض أمواله وسلاحه (٤)، فظفر به عجيف، وقدم به على المأمون، فأمر بضرب عنقه، ثم بعث برأسه فطيف بها فى بغداد وخراسان والشام والجزيرة ودمشق ومصر وبرقه "كوره كوره" ثم ألقى بها فى البحر (٥).

وكان المأمون لما أمر بقتل على بن هشام أوضح بأن من يقدم على مثل عمله فانه يلقى نفس العقاب (٦)، وأمر أن تكتب رقعة وتعلق على رأس على ليقرأها الناس تبين سبب قتله، والجرم الذى ارتكبه، فكتب : "أما بعد فان أمير المؤمنين

---

(١) قدم على المأمون أبو سعيد محمد بن يوسف الطائى وعبد الرحمن بن حبيب وغيرهما من أصحاب محمد بن حميد الطوسى - القائد - الذين كانوا بأذربيجان وذكروا ذلك للمأمون. كما كتب العباس بن سعيد الجوهرى صاحب بريد على بن هشام بمثل ذلك. انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٦٦/٢-٤٦٧.

(٢) عجيف بن عنبسة : تولى حرس المأمون وكان من أجل قواده، وتولى حرس المعتصم أيضا كما شارك فى الحروب التى خاضها المعتصم ضد الروم. اشترك فى المؤامرة لخلع المعتصم ونصب العباس بن المأمون، فاعتقله المعتصم، وسلمه الى ايتاخ، مات فى نصيبين ودفن بها.
انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٦٧/٢، ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٧٨، الطبرى : تاريخ ٣٤٠/٨، ١٦٤، ٦٢٧، ٨/٩-١٠، ٥٧، ٦٩-٧١، ٧٧، المسعودى : مروج الذهب ٤٣٢/٣.

(٣) أحمد بن هشام : من أوائل القواد الذين قاموا بدعوة المأمون وحاربوا فى جيشه، كان على شرطة طاهر بن الحسين لما فتح بغداد، ثم أصبح على شرطة المأمون لما قدم بغداد، كما تولى حجابته أيضا.
انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٠/٢، ابن طيفور : بغداد ص/٥٥، الطبرى : تاريخ ٣٩١/٨.

(٤) الطبرى : تاريخ ٦٢٦/٨ وذلك قبل قتله فى سنة ٢١٦هـ، انظر أيضا الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٦٤.

(٥) الطبرى : تاريخ ٦٢٧/٨. وقال قتل معه أخاه الحسين. انظر أيضا طيفور : بغداد ص/١٤٥، اليعقوبى : تاريخ ٤٦٧/٢. وقال : كان المأمون آنذاك فى اذنه ٤٦٧/٢.

(٦) ابن طيفور : بغداد ص/١٤٥.

كان دعا على بن هشام فيمن دعا من أهل خراسان أيام المخلوع – الأمين – الى معاونته والقيام بحقه ، وكان فيمن أجاب وأسرع الاجابة ، وعاون فأحسن المعاونة ، فرعى أمير المؤمنين ذلك له واصطنعه ، وهو يظن به تقوى الله وطاعته ، والانتهاء الى أمر أمير المؤمنين فى عمل ان أسند اليه ، فى حسن السيرة وعفاف الطعمه ، وبدأه أمير المؤمنين بالافضال عليه ، فولاه الأعمال السنية ووصله بالصلات الجزيلة التى أمر أمير المؤمنين بالنظر فى قدرها ، فوجدها أكثر من خمسين الف الف درهم ، فمد يده الى الخيانة ، والتضييع لما استرعاه من الأمانة ، فباعده عنه وأقصاه ، ثم استقال أمير المؤمنين عثرته ، فأقاله اياها ، وولاه الجبل وأذربيجان وكور ارمينيه ، ومحاربة أعداء الله الخرميه (١) ، على ألا يعود لما كان منه ، فعاد أكثر ماكان بتقديمه الدينار والدرهم على العمل لله ودينه ، وأساء السيرة ، وعسف الرعية ، وسفك الدماء المحرمه ، فوجه أمير المؤمنين عجيف بن عنبسه مباشرا لأمره ، وداعيا الى تلافى ماكان منه ، فوثب بعجيف

---

(١) الخرميه : الفرقة التى تتولى أبا مسلم الخراسانى ، ولما نمى قتل أبى مسلم الى خراسان وغيرها اضطربت الخرميه ، وهى الطائفة التى تدعى بالمسلميه ، القائلون بأبى مسلم وامامته ، وقد تنازعوا فى ذلك بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلا ، وفرقة قطعت بموته وقالت بامامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون الفاطمية ، وأكثر الخرمية فى عام اثنتين وثلاثين وثلاثمائة الكردكية واللودشاهيه وهاتان الفرقتان أعظم فرق الخرميه ، ومنهم بابك الخرمى الذى خرج على المأمون والمعتصم بالبديت من أرض الران وأذربيجان . وكان الخرميه خرجوا على المنصور قبل ذلك بعد مقتل أبى مسلم تحت قيادة سنفاد الذى خرج بنيسابور مطالبا بدم أبى مسلم . انظر المسعودى : مروج الذهب ٢٩٣/٣-٢٩٤ .

يريد قتله ، فقوى الله عجيفا بنيته الصادقة فى طاعة أمير المؤمنين ، حتى دفعه عن نفسه ، ولو تم ماأراد بعجيف لكان فى ذلك مالايستدرك ولايستقال ، ولكن الله اذا أراد أمرا كان مفعولا ، فلما أمضى أمير المؤمنين حكم الله فى على بن هشام رأى ألا يؤاخذ من خلفه بذنبه ، فأمر أن يجرى لولده ولعياله ولمن اتصل بهم ، ومن كان يجرى عليهم مثل الذى كان جاريا لهم فى حياته ، ولولا ان على بن هشام أراد العظمى بعجيف لكان فى عداد من كان فى عسكره ممن خالف وخان ، كعيسى بن منصور (١) ونظرائه . والسلام" (٢) .

وقد كان المأمون يتابع عماله ويحاسبهم على الأموال ، وأخذهم لها من غير وجه حق ، ويذكر أبو الحسين الصابى (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) مايدل على أن المأمون كان شديد المتابعة والمحاسبة لعمال الدولة على الأموال ، وانه كان يتلطف ليعرف مااختلس العمال من أموال اذا تعذر عليه اقامة الحجة عليهم . فقد تولى الخلافة بعد أن احترقت الدواوين فى الفتنة التى قامت بينه وبين أخيه الأمين ، الا أنه أراد أن يحاسب من اتهم فى أمانته من العمال ، ومن ذلك ماذكره "ميمون بن هرون (٣) بن مخلد الكاتب قال : كان بين جدى مخلد

---

(١) عيسى بن منصور : لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لى من مصادر .

(٢) ابن طيفور : بغداد ص/١٤٦ ، الطبرى : تاريخ ٦٢٧/٨-٦٢٨ وانظر أمثلة أخرى على محاسبة العمال للخيانة والمخالفة والخروج عن الطاعة ، اليعقوبى : تاريخ ٤٥٥/٢، ٤٥٨ .

(٣) ميمون بن هارون بن مخلد بن ابان ـ أبو الفضل ـ كاتب صاحب أخبار وآداب وأشعار ، من أهل بغداد ، أخذ عن الجاحظ ومعاصريه ، وأخذ عنه جعفر بن قدامة وآخرون . توفى سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م . الخطيب : تاريخ بغداد ، ٢١٠/١٣ . الزركلى : الأعلام ٣٤٢/٧ .

وبين فرج بن زياد الرخجي[(١)] من التعادى لأجل الأعمال وولاية الأهواز والمجاورة ببغداد أمر مشهور ، وكان فى فرج شر وغدر ونفاق ومكر . وجرت الحال بينهما على ذاك أيام الرشيد والأمين والمأمون رحمة الله عليهم ، واحترقت الدواوين فى أيام فتنة الأمين ، وفيها على فرج الأموال الجليلة ، وقد احتال فى استهلاك ماتعلق به منها بضروب التوصل والحيلة ، واتفق أن اجتمعا يوما بحضرة المأمون ، وأخذا فى المناظرة والمهاترة ، وجدى يتولى يومئذ الضياع العامة ، وكان اذ ذاك فرج يتولى الضياع الخاصة ، فاعترض المأمون اذ ذاك بأن قال لجدى : أنا أعلم أن جميع حساب فرج عندك ، وانه قد احتال فيما كان فى الدواوين منه ، ومايقنعنى منك الا احضارى كل ماتعرفه ، وعمل مشاهرة[(٢)] له بما يلزمه ، فقال : لست أعرف من ذلك الا قدر ماأتذكر ، وأرجع الى اثبات عندى فيه ، واطالع أمير المؤمنين به ، قال : افعل واجمع وارجع لكل مايمكنك جمعه ، ويتحقق عندك وجوبه .." فراجع مخلد الحسابات مدة ثلاثة أيام وصحح مايجب على فرج الرخجي مبلغ "اثنين وثلاثين ألف ألف درهم" ، فأمر المأمون بتسليم فرج الى مخلد ليحاسبه ويطالبه بالأموال[(٣)] .

---

(١) فرج بن زياد الرخجي : ينسب الى الرخج كوره ومدينة فى نواحى كابل ، أبوه زياد من سبى معن بن زائدة ، أما فرج فكان مولى لحمدونة بنت الرشيد ، وكان فرج من كبار العمال فى الدولة العباسية ، كان دميما قبيح الصورة فيه شر وغدر ، ونفاق ومكر ، ولى الأهواز للرشيد فسرق وظلم فحاسبه المأمون على ماجنى .
انظر الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٣٨-٤٥ ، الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/١١٦ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٨/٣.

(٢) المشاهرة : مايعطى معاملة فى الشهر .

(٣) رسوم دار الخلافة ص/٣٨-٤٥ .

كما بعث المأمون وزيره عمرو بن مسعده الى عامل الأهواز عمر بن فرج الرخجى (١) ، الذى ماطل فى رفع الخراج ، وأقره أن يأخذه مصفدا فى الحديد ، ويقبض على ماتحت يده من الأموال ، يقول عمرو بن مسعده راويا هذه الحادثة : "كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم (٢) ، حتى اذا نزل الرقه قال لى : ياعمرو أما ترى الرخجى قد احتوى على الأهواز وهى سلة الخبز ، وجميع الأموال قبله وقد طمع فيها ، وكتبى متصلة فى حملها وهو يتعلل ، ويتربص بنا الدوائر ، فقلت : أنا أكفى أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطره الى حمل ماعليه ، فقال : مايقنعنى هذا ، قلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ، قال : تخرج اليه بنفسك حتى تصفده بالحديد ، وتحمله الى ، بعد أن تقبض جميع مافى يده من أموالنا ، وتنظر فى ذلك ، وترتب فيه عملا ، فقلت السمع والطاعة .." ، فسار عمرو بن مسعده الى الرخجى وأوكل به من يناظره ويحاسبه بحضرته ، فاستخرج ماعليه من أموال ، وقام بما أمره به المأمون (٣) .

وتشير روايات المصادر الى اهتمام المأمون شخصيا بمحاسبة عماله بنفسه ، فيذكر ابن طيفور : ان العامل كان

---

(١) عمر بن فرج الرخجى ـ أبو الفرج ـ من أعيان الكتاب منذ عهد المأمون وحتى عهد المتوكل ، تولى ديوان الخراج خلال عهد الواثق والمتوكل ، نكبه المتوكل سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م وصادر أمواله .
انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦١/٩ المسعودى : مروج الذهب ٢٠/٤ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٤٣/٤-٤٤ ، الخطيب : تاريخ ٩٤/١ ، ابن العمرانى الانباء ص/١١٣ .

(٢) كان ذلك فى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م . الطبرى : تاريخ ٦٣١/٨.

(٣) التنوخى : الفرج بعد الشدة ٣٠٦/٣-٣١٣ . انظر أيضا ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٧٥/٤-١٧٨ ، البيهقى : المحاسن ص/٤١٧ ، وقد ذكر ابن قتيبة هذه الحادثة فى زمن الرشيد مع العلم أن ابن مسعده كان وزيرا فى عهد المأمون . الامامة والسياسة ١٥٨/٢-١٥٩ .

يقدم بالأموال الفائضة عن نفقة ولايته ، ويعرضها على المأمون شخصيا (١) . كما يذكر التنوخي (٢) أن يحيى بن خاقان كاتب الحسن بن سهل قال له المأمون عندما قدم بغداد : يايحيى خلوت بالسواد ولعبت بالأموال التى لى ، واحتجنتها واقتطعتها ، فقال : ياأمير المؤمنين انما أنا كاتب الرجل والمناظرة فى الأموال والأعمال مع صاحبى لامعى (٣) ، فقال : ما أطلب غيرك ولا أعرف سواك ، فصالحنى على مائة ألف ألف درهم .." (٤) .

---

(١) بغداد ص/٣٩ . فقد قدم غسان بن عباد من السند بسبعة آلاف ألف فعرضها على المأمون وقال : هذا المال فضل معى عن النفقة . وكان غسان واليا على السند . انظر أيضا حادثة أخرى ص/٥٨ .

(٢) يحيى بن خاقان : كان أحد مشايخ الكتاب فى الدولة العباسية كتب للحسن بن سهل فى أيام المأمون وولاه المتوكل ديوان الخراج ، وهو والد عبيد الله بن يحيى ابن خاقان وزير المتوكل ، توفى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م . اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، الشابشتى : الديارات ص/١٥٤-١٥٥ .

(٣) يبدو أنه كان يكتب للحسن بن سهل منذ أن كان واليا على كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز ، وكذلك بعد أن تولى الوزارة .

(٤) الفرج بعد الشدة ٥٣/٣-٥٥ ، وقال ثم أخبره أنه لايملك هذا المبلغ فجعله اثنى عشر ألف ألف درهم فعجز عن دفعه ثم ان المأمون سامحه . ويتضح أن مصادرة الأموال كانت من وسائل العقاب الذى كان مستخدما فى هذه الفترة وقد أمر المأمون بمصادرة مجموعة من العمال لسخطه عليهم . انظر عن ذلك اليعقوبى : تاريخ ٤٥٤/٢ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٦٢/٢ ، التنوخى : نشوار ١٣٢/١-١٣٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٠١ .
ولكن المأمون لم يكن يقبل الوشاية ولايجعلها سببا فى مصادرة أموال العمال . انظر عن ذلك الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/٥٤ ، ابن عبد ربه : المصدر السابق ٣٣٢/٢ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٢٠ ، ابن خلكان : وفيات ٤٧٦/٣ ، ابن دحيه : النبراس ص/٤٩ ، ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٨٩ .
وتجدر الاشارة الى أن هناك من يناظر العامل الذى تتم محاسبته انظر ابن عبد ربه : المصدر السابق ١٤٥/٢ .

وقد كان المأمون يتابع عماله ويحاسبهم على سوء ادارتهم للأعمال الموكلة اليهم ، فقد كتب بعض ولاة الأجناد الى المأمون ان الجند شغبوا ونهبوا ، فكتب اليه : لو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا ، وعزله عنهم ، وأدر عليهم أرزاقهم (١) .

وعندما ولى المأمون رجاء بن أبى الضحاك (٢) خراسان بعد مغادرته اياها متوجها الى بغداد سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م . "وكانت خراسان قد استقامت ، وأعطى ملوكها جميعا الطاعة ، وأسلم ملك التبت (٣) وقدم على المأمون .. ولم تبق ناحية من نواحى خراسان يخاف خلافها ، فلما فصل المأمون عن خراسان ، قلت مداراه رجاء بن أبى الضحاك ، وضعف فى تدبيره ، ولم يكن بالحازم فى أموره ، فخاف المأمون أن تضطرب خراسان ، فعزله وولى غسان بن عباد ، فأحسن السيرة ، واستمال ملوك

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٢ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٢ ، وقال الثعالبى : كتب صاحب أرمينيا الى المأمون أن الجند قد استطالوا عليه وشغبوا فى طلب أرزاقهم حتى كسروا أقفال بيت المال فانتهبوه ، فوقع اليه : اعتزل عملنا فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا ، ثم قلد أمرهم من أحسن أدبهم وأوصلهم حقهم . تحفة الوزراء ص/١٤٧ .

(٢) رجاء بن أبى الضحاك الجرجرائى ، من عمال الدولة العباسية ولى ديوان الخراج فى أيام المأمون ، ثم ولى خراج دمشق أيام المعتصم ، وقتل فى دمشق سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م .
الزركلى : الأعلام ٣/١٧-١٨ .

(٣) التبت : بالضم هى بلد بأرض الترك متاخمة لبلاد الهند من جانب وللصين من جانب آخر .
ياقوت : معجم البلدان ٢/١٠ .

النواحي" (١) . فالمأمون كان يعزل الولاه لحكمة اقتضتها متابعته لتصرفاتهم (٢) .

وقد كان المأمون حريصا على متابعة العمال ومحاسبتهم على ظلمهم للرعية ، وهناك شواهد كثيرة على ذلك (٣) ، فقد "كان احمد بن يوسف - الكاتب - قد تولى صدقات البصرة ، فجار فيها وظلم ، فكثر الشاكى له والداعى عليه ، ووافى باب امير المؤمنين زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين ، فعزله المأمون ، وجلس لهم مجلسا خاصا ، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم" (٤) . كما عزل المأمون والى جرجان - يدعى زويد - لظلمه ، وأقامه للمظالم لينتصف منه (٥) . وعزل أيضا والى خراج فارس - محمد بن الجهم - لظلمه الناس ، وأخذه لأموالهم بدون حق ، وأمر أن ينصف الناس منه (٦) .

ان ظلم العمال للرعية قد كلف المأمون الكثير من الجهد والمال ، بل اضطره ذلك الى الخروج بنفسه فى بعض الأوقات ، وقد كان لبعده فى أول خلافته عن عاصمة الدولة

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٥٢-٤٥٣ .
(٢) انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٦٢-٤٦٣ ، ياقوت : معجم البلدان ٢/٥٤٠ .
(٣) انظر مثالا على ذلك : ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٠٦-٤٠٧ ، ابن حجة الحموى : الذيل الأول للمستطرف ٢/٢٠٣-٢٠٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص/٣٠٤ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/١٤٥ .
(٥) السهمى : تاريخ جرجان ص/٢٩٠-٢٩١ ، وليس هناك معلومات أخرى عن اسم الوالى ونسبه وكان واليا على مايتضح من الرواية فيما بين سنة ١٩٨هـ وسنة ٢٠٢هـ .
(٦) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٧٤ . ومحمد بن الجهم لعله الشاعر العباسى المعروف . ويرجح ذلك ماذكره الطبرى من أن المأمون قال لمحمد بن الجهم "أنشدنى ثلاثة أبيات فى المديح والهجاء والمراثى ولك بكل بيت كوره فأنشده .." . وذلك فى سنة ٢١٨هـ . تاريخ ٨/٦٦٥ .

بغداد ، واقامته في مرو ، وماكان يستر عنه وزيره الفضل بن سهل من أخبار مملكته ، أكبر الأثر في تساهل بعض العمال وظلمهم الرعية ، فمهمة الرقابة الادارية اصبحت معطلة عن أداء واجبها .

لقد خرجت مصر من يد المأمون بسبب ظلم العمال للرعية الذين لايستطيعون رفع شكاياتهم اليه ، وذلك لتسلط الوزير الفضل بن سهل ، الذي جعل المأمون في عزلة لايعلم شيئا عن أحوال دولته . يقول الكندي : في سنة ١٩٨هـ/٨١٣م تولى مصر العباس بن موسى بن عيسى بن العباس (١) على صلاتها وخراجها ، فثار الجند في عهده مرة بعد مرة ، ذلك أنه بعث قبل قدومه الى مصر أبا بشر الأنصاري (٢) وعبد الله بن العباس - ابنه - فقام أبو بشر بمنع أعطيات الجند ، وتهددهم وتحمل على الرعية وعسفها ، وتهددهم بقدوم العباس بن موسى ، فأوحش الجميع ذلك من فعله ، وكرر أبو بشر التحامل على الجند والرعية ، فثاروا وردوه ، ودعوا الى ولاية المطلب بن عبد الله الخزاعي (٣) - الوالي السابق - وهو يومئذ في حبس

---

(١) العباس بن موسى بن عيسى العباسي ، أمير ولي الديار المصرية للمأمون سنة ١٩٨هـ فأرسل ابنه عبد الله نائبا عنه ثم قدمها سنة ١٩٩هـ ونزل ببلبيس ثم مضى الى الحوف ، ومرض وهو يقاتل رجال المطلب فعاد الى بلبيس ومات بها سنة ١٩٩هـ/٨١٥م . الكندي : الولاة والقضاة ، ص/١٥٣ ، الزركلي : الأعلام ٢٦٧/٣ .

(٢) ابو البشر الحسن بن عبيد الله بن لوط بن عبيد بن عارب الأنصاري .

(٣) المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، وال ، كان في مكة ، وولي امرة مصر للمأمون سنة ١٩٨هـ فقدم اليها والثورات قائمة ، وعزل بعد نيف وسبعة أشهر من ولايته وأمر المأمون بالقبض عليه ، فحبس مدة ، وثار أهل مصر في أيام خلفه العباس بن موسى فأطلقوا المطلب وأعادوه الى الامارة في أوائل سنة ١٩٩هـ فأحسن السياسة ، وأقره المأمون الى سنة ٢٠٠هـ فأوقد الفتنة ، فلم يفلح ، فخرج هاربا الى مكة . توفي بعد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م .
انظر اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢ ، الزركلي : الأعلام ٢٥٢/٧ .

عبد الله بن العباس .[1] فولى المطلب مصر مرة ثانية باجماع الجند ، فخرجت مصر من يد المأمون ، وتتالت الاضطرابات ، وتتابع عليها الولاه ، فما أن يولى المأمون واليا حتى يخلعه الجند ويولون آخر من قبلهم .[2]

ولم يستطع المأمون اعادة مصر مرة أخرى الى حوزة الخلافة الا حوالى سنة ٢١١هـ/٨٢٦م على يد عبد الله بن طاهر بن الحسين .[3] غير أن الأوضاع لم تهدأ فى مصر تماما . حيث ظل المأمون يولى على مصر الوالى بعد الآخر دون جدوى ، وفى سنة ٢١٦هـ/٨٣١م تولى مصر عيسى بن منصور[4] "وأسفل الأرض – الصعيد كلها عربها وقبطها انتقضت" فى جمادى الأولى من نفس السنة ، وأخرجوا العمال ، وخلعوا الطاعة ، وكان ذلك "لسوء سيرة العمال فيهم" فقدم مصر القائد الافشين من قبل المأمون ، فاستطاع أن يوقع ببعض المناهضين ، الا أن المأمون لم يكن مطمئنا لهذه الأوضاع ، فقدم الى مصر بنفسه فى مفتتح سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م .[5] فسخط على عيسى بن منصور والى مصر ، وأمر بحل

---

(١) يقول اليعقوبى : ان عبد الله بن العباس بن موسى حبس المطلب بن عبد الله . تاريخ ٢٤٤/٢ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٥٣-٢١٢ . انظر أيضا اليعقوبى : تاريخ ٤٤٤/٢-٤٤٥ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٦٠/٢ ، الطبرى : تاريخ ٦١٣/٨ .

(٤) عيسى بن منصور الرافقى ، من ولاة مصر ، كان والى الحوف بمصر وأظهر فيه كفاية ، فولى الديار المصرية مستهل سنة ٢١٦هـ وانتفضت فى أيامه العرب والقبط فأخرجوا العمال وأظهروا العصيان ، فقاتلهم عيسى وأعانه الافشين ، ولما قدم المأمون مصر غضب عليه ، وأبعد عن الولاية حتى أعيد سنة ٢٢٩هـ فى عهد الواثق فولى مصر حتى سنة ٢٣٣هـ فصرفه عنها المتوكل وتوفى بمصر فى نفس السنة .
الزركلى : الأعلام ١٠٩/٥ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٦٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ٦٢٧/٨ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٠-١٩١ .

لوائه ، وأمره بلبس البياض وقال : لم يكن هذا الحدث (١) العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك ، حملتم الناس مالايطيقون ، وكتمتوني الخبر حتى تفاقم الأمر واضطربت البلد (٢) .

وقد كان المأمون أيضا يتابع عماله ويحاسبهم على تصرفاتهم التي لاتليق بمستوى مسؤولياتهم ، فقد قام بعزل قاضي دمشق عندما بلغه أنه قال شعرا بدأه بقوله : "برئت من الاسلام .." ، وقال : "ماكنت أولى رقاب المسلمين من يبدأ في هزله بالبراءة من الاسلام" (٣) .

وذكر أن المأمون تحدث يوما "فضحك اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، فقال : يا اسحاق أؤهلك لشرطتي وتفتح فاك من الضحك ؟ خذوا سواده وسيفه ، ثم قال : أنت بالشرابي أشبه ، فضعوا منديلا على عاتقه ، فقال اسحاق : أقلني يا أمير المؤمنين ، قال : قد أقلتك . فما ضحك اسحاق بعدها" (٤) .

عهد المعتصم :

لما تولى المعتصم الخلافة اهتم أيضا بأمر المتابعة والمحاسبة ، ولعل أبرز مايطالعنا في هذا المجال ماقام به من متابعة ومحاسبة لقائده الافشين في سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م ، حيث غضب عليه وحبسه حتى مات ، ثم أخرج فصلب على باب العامة ليراه الناس ، ثم طرحت جثته وأحرقت (٥) .

---

(١) أي جرده من لبس السواد الذي كان يرتديه عمال الدولة شعارا لهم .

(٢) الكندي : الولاه والقضاه ص/١٩٢ . والمشكلة هي خاصة بالخراج . وقد عمل المأمون على اصلاح الأوضاع هناك. انظر أيضا خروج الثورات في اليمن لظلم الولاه للرعية الطبري : تاريخ ٥٩٣/٨ .

(٣) ابن طيفور : بغداد ص/١٥٢ ، الطبري : تاريخ ٦٥٦/٨-٦٥٧ وقال الأصفهاني أن اسم القاضي عبد الله بن محمد الخلنجي وقد ولي منذ زمن الأمين ، الاغاني ٣٣٩/١١-٣٤١ انظر أيضا الأزدي : تاريخ الموصل ص/٤٠٩-٤١٠ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٦٦-١٦٧ .

(٤) ابن حمدون : التذكرة ٣٤٤/١ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٧٨/٢ ، الطبري : تاريخ ١٠٦/٩، ١١٤ أبو الفداء : المختصر ٣٤/٣ . وصلب سنة ٢٢٦هـ .

وتذكر روايات المصادر أكثر من ذنب ارتكبه الافشين دفع المعتصم الى القيام بمحاسبته . فقد "ذكر أن الافشين كان أيام حرب بابك (١) ومقامه بأرض الخرمية لاتأتيه هدية من أهل أرمينية الا وجه بها الى اشروسنه (٢) فيجتاز ذلك بعبد الله بن طاهر – والى خراسان – فيكتب عبد الله بن طاهر الى المعتصم بخبره ، فكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر يأمره بتعريف جميع مايوجه به الافشين من الهدايا الى اشروسنه ، ففعل عبد الله ذلك ، وكان الافشين كلما تهيأ عنده مال حمله (٣) .. ثم جعل عبد الله يتتبع عليه ، وكان الافشين يسمع أحيانا من المعتصم كلاما يدل على أنه يريد أن يعزل آل طاهر عن خراسان فطمع الافشين فى ولايتها ، فجعل يكاتب المازيار (٤) ويبعثه على

---

(١) بابك : زعيم فرقة الخرمية فى خلافة المعتصم ، هزم بغا الأكبر عند جبال مراغه وحارب المعتصم ثم هزم . حكم حوالى عشرين سنة . انظر الموسوعة العربية الميسرة ٢٩٥/١ ، وكان بابك المجوسى قد استولى فى أيام المعتصم على جبال طبرستان وعظم أمره ، الطبرى : تاريخ ١١/٩ ، أبو الفداء : المختصر ٣٤/٣ .

(٢) اشروسنه : بلد الافشين من بلاد ماوراء النهر ، بلدة كبيرة من بلاد الهياطلة بين نهر سيحون وسمرقند . وقيل ان اشروسنه اسم الاقليم كله ، وليس بها مكان ولامدينة بهذا الاسم . ياقوت : معجم البلدان ١٩٧/١ ، ٤٧/٥ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص٥١٩ ، قال ان باشروسنه حصنا يعرف بالافشين الأكبر وهو صاحب المعتصم وكان قد اتخذه لتنزهه .

(٣) "... فى أوساط أصحابه من الدنانير والهمايين بقدر طاقتهم ، كان الرجل يحمل من الألف فما فوقه من الدنانير فى وسطه ، فأخبر عبد الله بذلك ، فبينا هو فى يوم من الأيام وقد نزل رسل الافشين معهم الهدايا نيسابور ، وجه اليهم عبد الله بن طاهر وأخذهم ففتشهم فوجد فى أوساطهم همايين فأخذها منهم" . وقد سبب ذلك وحشة للافشين .

(٤) المازيار بن قارن بن ونداهرمز ، حاكم طبرستان . انظر الطبرى : تاريخ ٨٠/٩-٨١ . وعن تاريخ حياته مفصلا انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٧/٢ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٤٠/٣ ، ١٥/٤-١٦ .

الخلاف ، ويضمن له القيام بالدفاع عنه عند السلطان ، ظنا منه أن مازيار ان خالف احتاج المعتصم الى أن يوجهه لمحاربته ، ويعزل عبد الله بن طاهر ويوليه خراسان" (١) .

وهذا العمل الذى قام به الافشين أمر خطير . وقد تحقق للمعتصم صحة هذا التدبير الذى فعله الافشين ، حيث جمع بين الافشين والمازيار "فأقر المازيار ان الافشين كان يكاتبه ويصوب له الخلاف والمعصية" (٢) .

كما اتهم الافشين بأمر منكجور (٣) الذى ولاه الافشين على أذربيجان ، فاختلس أموالا عظيمة ، ثم خلع الطاعة ، فاستطاع

---

(١) الطبرى : تاريخ ٩/١٠٤-١٠٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٥١٧-٥١٨ ، وعن مخالفة المازيار سنة ٢٢٤هـ ، انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٧٦-٤٧٧ ، أيضا : الطبرى : المصدر السابق ٩/٨٠-٨١ ، مسكويه : المصدر السابق ٦/٥٠٢-٥٠٣ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٧٣ ، ابن العبرى تاريخ ص/١٤٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ ٩/١٠٣-١٠٤ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٥١٧-٥١٨ ، الحميرى : الروض المعطار ص/١٣٧ . ويقول اليعقوبى ان المعتصم لما جمع بين المازيار والافشين أنكر المازيار أن يكون الافشين قد كتب اليه فى الخروج وقال : "ان أبا الحارث وكيلى أخبرنى أنه لما قدم عليه بره وأكرمه" تاريخ ٢/٤٧٧ ، فى حين يذكر الطبرى أن عبد الله بن طاهر استطاع أن يحصل من المازيار على أصل الكتب التى كان يبعث بها اليه الافشين ولما بعث به الى المعتصم أنكر ولم يقر بها فأمر بضرب المازيار حتى مات وصلب الى جانب بابك . المصدر السابق ٩/٩٩-١٠٠ ، مسكويه : المصدر السابق ٦/٥١٤-٥١٥ ، العيون والحدائق ٣/٣٩٩-٤٠٣ .

(٣) منكجور الاشروسنى قرابة الافشين وخال ولده ، ويقال له منكجور الفرغانى ، وكان الافشين عند فراغه من أمر بابك ومنصرفه من الجبال ولى أذربيجان – وكانت من عمله – واليه منكجور ، الذى حمل على بعض الأموال وخلع الطاعة ، وقام بثورة انتهت وقضى عليها . وقدم به الى سامراء فأمر المعتصم بحبسه . انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٧٧ ، الطبرى : تاريخ ٩/٩٣،١٠٢ .

المعتصم القضاء على ثورته والقبض عليه [(١)] ، وقد "تحقق عند المعتصم .. ماكان اتهمه من أمر منكجور ، وان ذلك كان عن رأى الافشين وأمره اياه به" [(٢)] .

والراجح أن الأسباب السابقة هى أهم مانقمه المعتصم على الافشين ، وان كانت المناظرة التى عقدت له بعد القبض عليه ، تضيف أسبابا أخرى تتعلق بسوء ادارته ، وظلمه للناس واتهامه فى معتقده [(٣)] .

كما كان المعتصم يتابع عماله ويحاسبهم على تصرفهم فى أموال الدولة واستيلائهم عليها ، ومن ذلك أنه قام فى سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م بعزل وزيره الفضل بن مروان ، ومصادرة أمواله . يقول الطبرى : ان الفضل عندما تولى الوزارة صار "صاحب

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٠٢/٩ وذلك فى سنة ٢٢٤هـ . وكان أصاب فى قرية بابك فى بعض منازله مالا عظيما فاحتجنه لنفسه ولم يعلم به الافشين ولا المعتصم ، وكان على البريد باذربيجان رجل من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب الى المعتصم بخبر المال وكتب منكجور يكذب ذلك وهم بقتل صاحب البريد ، وبلغ ذلك المعتصم فأمر الافشين أن يوجه رجلا من قبله بعزل منكجور فوجه رجلا من قواده فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك ، غير انه هزم وقدم به الى سامراء فأمر المعتصم بحبسه ، فاتهم الافشين فى أمره . يقول الخطيب الاسكافى : "كتب الافشين الى منكجور خليفته باذربيجان كتابا فى التدبير على السلطان فوقعت الكتب فى يد المعتصم ، فقتل المعتصم الافشين" . لطف التدبير ص/٩٣ وقد ذكر اليعقوبى ثورة منكجور وأشار الى اتهام الافشين به . تاريخ ٤٧٧/٢-٤٧٨ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٠٥/٩ .

(٣) انظر : الطبرى : تاريخ ١٠٧/٩-١١٠،١١٤ ، حيث عقدت له مناظرة فى مجلس خاص لم يحضره سوى ولد المنصور وقاضى القضاه ووالى الشرطة والوزير والشهود عليه وذلك فى دار المعتصم وبحضوره ولم يحضر سواهم من أهل المراتب وكان المناظر له الوزير محمد بن عبد الملك الزيات . وانظر عن التهم التى وجهت الى الافشين اضافة الى ماذكره الطبرى ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٤٠٦ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٩٥/٣-٢٩٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٢٠/٦-٥٢٣،٥٢٥ ، القيروانى : زهر الآداب ٣٩٨/٢ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٩٣ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١٧٣ . وانظر الملحق الرابع من هذا البحث .

الخلافة ، والدواوين كلها تحت يده وكنز الأموال" ولم يكن ينفذ أوامر الخليفة المالية ، حيث "حملته الداله ، وحركته الحرمه على خلافه ، فى بعض ماكان يأمر به ، ومنعه ماكان يحتاج اليه من الأموال فى مهم أموره ، فذكر عن ابن أبى دؤاد أنه قال : كنت أحضر مجلس المعتصم فكثيرا ماكنت أسمعه يقول للفضل بن مروان : احمل الى كذا وكذا من المال ، فيقول : ماعندى ، فيقول : فاحتلها من وجه من الوجوه ، فيقول : من أين أحتالها ومن يعطينى هذا القدر من المال ؟ وعند من أجده ؟ فكان ذلك يسوءه ، وأعرفه فى وجهه " . وقد ثقل ذلك على المعتصم ، فغضب عليه وعلى أهل بيته "وأمرهم برفع ماجرى على أيديهم ، وأخذ الفضل وهو مغضوب عليه فى عمل حسابه ، فلما فرغ من الحساب لم يناظر فيه ، وأمر بحبسه وأن يحمل الى منزله ببغداد .. وحبس أصحابه ، وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات ، فحبس ذليلا ، ثم نفى .. الى قرية فى طريق الموصل يقال لها السن (١) فلم يزل بها مقيما " (٢) .

---

(١) السن : أكثر من موضع يقصد بها هنا مدينة على دجلة قرب تكريت عند مصب نهر الزاب الأسفل .
ياقوت : معجم البلدان ٢٦٩/٣ .

(٢) تاريخ ١٨/٩-٢١ . ويقول اليعقوبى : سخط المعتصم على الفضل بن مروان وزيره وبطش بجماعة من أصحابه واستصفى أموالهم ، ووجه الفضل الى اسحاق بن ابراهيم – والى الشرطة – ببغداد ، وأمر بطلب أموالهم فركب به الى داره وأخرج منها مالا عظيما ثم نفى" . تاريخ ٤٧٢/٢ . انظر أيضا : الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٢٤ ، وقال ان المصادرة تمت فى سنة ٢٢٢هـ ، وقد نقل رواية الطبرى كل من مسكويه : تجارب الأمم ٤٧٩/٦-٤٨٢ ، أبو الفداء المختصر ٣٣/٣ ، العيون والحدائق ٣٨٣/٣-٣٨٤ ، ويرجع التنوخى أمر المصادرة الى طمع الخليفة فى الأموال . نشوار المحاضرة ٤٨/٨ . يقول ابن خلكان : وفيات ٤٦/٤-٤٧ "حبسه خمسة أشهر ثم أطلقه وألزمه بيته" . =

وقد تحمل المعتصم على أموال عظيمة من الفضل بن مروان وأصحابه (١) الأمر الذى يدلنا على أنه كان يحتجن الأموال لنفسه ، فى حين كان يمنع وصولها الى الخليفة ، ويدعى خلو بيت المال وفراغه من الأموال .

كما غضب المعتصم على واليه خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ، عندما رفع اليه أحد العمال - وكان ولى من الخراج والحرب ماكان يتولاه خالد بن يزيد - "انه اقتطع أموالا واحتجن بعضها ... فحلف المعتصم ليأخذن أموال خالد ويعاقبه بنفسه" . فعزله عن باقى أعماله ، وقبض أمواله وضياعه (٢) .

= وتجدر الاشارة الى أن الطبرى يذكر أن المعتصم كان قبل أن يوقع العقوبة بالفضل بن مروان صير أحمد بن عمار الخراسانى زماما على نفقاته الخاصة ، ونصر بن بسام زماما عليه فى الخراج وجميع الأعمال . المصدر السابق ٢٠/٩ .

(١) قيل انه تحمل منه على الف الف وسبعمائة الف دينار ، وقيل اربعين الف الف درهم - وأداها بغير مكروه كما يقول التنوخى - وقيل أخذ من داره الف الف دينار وأثاثا وآنية بالف الف دينار ، وقيل طلب منه أن يدفع الف الف وستمائة الف دينار ، وذكر أنه وجد له مالايحصى من الأموال حتى ان المعتصم قال : ماكنت أعلم أن فى الدنيا من له مثل هذا المال .
انظر عن ذلك : اليعقوبى : تاريخ ٤٧٢/٢ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٤٢٤ ، التنوخى : نشوار ٤٧/٨، ٤٨ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥٠٣ ، ابن خلكان : وفيات ٤٧/٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٢ ، العيون والحدائق ٤٧/٤ .

(٢) التنوخى : نشوار ١٩١/٧-١٩٢ ، الفرج بعد الشدة ٦٠/٢، ٦٢ ، ابن خلكان : وفيات ٨٧/١-٨٨ . وقال : غضب المعتصم على خالد بن يزيد وأشخصه من ولايته لعجز لحقه فى مال طلب منه وأسباب غير ذلك فجلس المعتصم لعقوبته وقد استطاع خالد أن يكسب رضا الخليفة عليه بواسطة أحمد بن أبى دؤاد ، خاصة وانه تقابل مع من رفع عليه ولم تكن معه حجة واضحة . فرد المعتصم أمواله وضياعه عليه وولاه عملا .

كما كان المعتصم يتابع عماله ويحاسبهم على سوء اداراتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، ومايقومون به من تصرفات تتعدى حدود سلطتهم الادارية . ففي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م غضب المعتصم على جعفر بن دينار - والى اليمن - من أجل وثوبه على من كان معه من الشاكريه - الاجراء - وحبسه عند اشناس خمسة عشر يوما ، وعزله عن اليمن .." (١). كما قام المعتصم في سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م بعزل قائده رجاء بن أيوب الحضارى (٢) عقابا له على تقييده للرسول الذى بعثه اليه المعتصم حاشا اياه على قتال المبرقع اليمانى (٣).

وكان المعتصم يتابع عماله ويحاسبهم على عدم كفاءتهم في الأعمال الموكلة اليهم ، فقد قام في سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م بعزل وزيره أحمد بن عمار بن شاذى ، عندما أدرك أنه غير كفء لمنصب الوزارة (٤).

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٠٣/٩ .

(٢) رجاء بن أيوب الحضارى : ذكر أنه كان مع الافشين في حربه لبابك سنة ٢٢١هـ ثم غضب عليه وبعث به مقيدا ، ثم ان المعتصم جعله أحد قادته وكان يبعث به في المهمات ، وفي سنة ٢٢٧هـ عزله المعتصم عن قيادة جيشه له ذكر في عهد المتوكل سنة ٢٤٠هـ .
انظر الطبرى : تاريخ ٢٨/٩، ١١٧، ١٩٧ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١١٧/٩-١١٨ .
والمبرقع اليمانى : هو أبو حرب اليمانى ثائر من أهل فلسطين ، قصد جبال الغور ، متبرقعا لئلا يعرف ، ودعا الناس الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فاستجاب له أهل القرى ، وقويت شوكته قيل انه خرج لقتله أحد الجنود لضربه زوجته ، وقيل بل ادعى النبوة . بعث اليه المعتصم من قاتله فأسر وحبس ومات خنقا سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م .
الزركلى : الأعلام ١٧٣/٢ .

(٤) القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٩٤/٥-٩٥ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٣ ، الذهبى : سير ١٦٥/١١ . وانظر موضوع اختيار الوزراء من المبحث الأول من هذا الفصل .

وكان المعتصم أيضا يتابع عماله ويحاسبهم على عدم ولائهم ، ومن ذلك أنه في سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م سخط على قائده عجيف بن عنبسة ، لقيامه بحض العباس - ابن الخليفة المأمون على المعصية والخروج عليه ، وتحسين قتله له ، فحمله من أذنه [١] - حيث كان على رأس الجيش الذي وجهه المعتصم الى بلاد الروم - وقيده بالحديد الثقيل ، ووضعه في لبود [٢] قد خيطت عليه ، وفي عنقه غل عظيم ، فتوفي في الطريق قبل أن يصل الى العاصمة سامراء [٣] .

وكان مجموعة من القادة الذين توجهوا مع عجيف لغزو الروم قد بايعوا العباس بن المأمون بالخلافة ، فلما تحقق المعتصم من صحة مانسب اليهم "عاقب بعضهم بصنوف من العذاب وقتل البعض الآخر" [٤] .

عهد الواثق :

لما تولى الواثق الخلافة قام باعمال مبدأ المتابعة والمحاسبة ، ولعل أبرز حادثة في هذا المجال ، قيامه في سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م بمتابعة بعض الكتاب والعمال ومحاسبتهم ، وذلك لاستيلائهم على الأموال بغير وجه حق . يقول الطبري : "حبس الواثق بالله الكتاب وألزمهم أموالا ، فدفع

---

(١) أذنه : أكثر من موضع يقصد بها هنا بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور . ياقوت : معجم البلدان ١٣٣/١ .

(٢) اللبود : الصوف ينفش ثم يبل بالماء ثم يخاط . الفيروزابادي : القاموس المحيط ص٤٠٤ .

(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٧٦/٢ ، الطبري : تاريخ ٧١/٩، ٧٧ ، توفي بموضع يقال له باعيناثا على مراحل من نصيبين في أرض الجزيرة الفراتية .

(٤) الطبري : تاريخ ٧٦/٩-٧٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٩٥/٦ وكانت الأخبار قد بلغت المعتصم بخروجهم ومبايعتهم للعباس عن طريق صاحب بريد العباس واسمه الحارث السمرقندي ، الا أن المعتصم لم يصدقه على أولئك القادة لكثرتهم وكثرة من سمى منهم ثم انه تحقق من الأمر عن طريق العباس نفسه الذي ذكر له نفس الأسماء .

أحمد بن اسرائيل (١) الى اسحاق بن يحيى بن معاذ (٢) - صاحب الحرس وأمر بضربه كل يوم عشرة أسواط فضربه فيما قيل نحوا من الف سوط ، فأدى ثمانين ألف دينار ، وأخذ من سليمان بن وهب (٣) كاتب ايتاخ (٤) ، أربعمائة ألف دينار (٥) ، ومن الحسن بن وهب (٦)

---

(١) أحمد بن اسرائيل : ذكر البيهقي أنه كان على ديوان الخراج ، فعزله الواثق وأمر بتقييده ليصحح حسابه . ويذكر الطبري أنه كان ينوب عن الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان على كتابة المعتز زمن المتوكل وكذلك على ديوان الخراج ، له ذكر في أيام الخليفة المستعين وكان دوره هاما ، ولما تولى المعتز الخلافة ولاه وزارته ، ثم نكبه وقتله سنة ٢٥٥هـ .
تاريخ ٩/٢١٧، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٤١-٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٨٧، ٣٩٦ ، المحاسن والمساوىء ص/٤٤٧ .

(٢) اسحاق بن يحيى بن معاذ ، وال من كبار القادة في العصر العباسي ، ولي دمشق في أيام المأمون والمعتصم والواثق ، ثم ولاه المتوكل امرة مصر في أواخر سنة ٢٣٥هـ ، فقدم اليها وأحبه أهلها ، وكان جوادا عاقلا حسن التدبير والسياسة شجاعا محبا للأدب . توفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م . الكندي: الولاة والقضاة، ص/١٩٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢/٢٨٣،
الزركلي : الأعلام ١/٢٩٧ . وقد أشار الطبري في الرواية التي ذكرت في المتن الى أنه تولى قيادة الحرس للواثق .

(٣) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي ، وزير من كبار الكتاب من بيت كتابة وانشاء في الشام والعراق ، كتب للمأمون وولي وزارة المهتدي بالله العباسي ثم المعتمد على الله ونقم عليه الموفق بالله فحبسه فمات في حبسه سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م . ابن خلكان : وفيات الأعيان، ١/٢١٦،
الزركلي : الأعلام ٣/١٣٧ ، وذكر الأصفهاني نكبته أيضا ، الأغاني ٢٠/٢٨٥-٢٨٦، ٢٨٨ .

(٤) ايتاخ : سبقت ترجمته من القادة الذين تولوا بعض البلدان .

(٥) ويقول في رواية أخرى أخذ منه مائتي ألف درهم وقيل دينار فقيد والبس مدرعه من مدارج الملاحين ، فأدى مائة ألف درهم ، وسأل أن يؤخذ بالباقي في عشرين شهرا فأجابه الواثق الى ذلك .
الطبري : تاريخ ٩/١٢٨ .

(٦) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي - أبو علي - كاتب من الشعراء ، كان وجيها استكتبه الخلفاء ، وهو أخو سليمان بن وهب - الوزير الذي سبق ذكره - توفي نحو سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م . الطبري: تاريخ ٨/٥٤، ٩/١٢٥، ٥٤٠٦،
الزركلي : الأعلام ٢/٢٢٦ .

أربعة عشر ألف دينار ، وأخذ من أحمد بن الخصيب (١) وكتابه ألف ألف دينار ، ومن ابراهيم بن رباح (٢) وكتابه (٣) مائة ألف دينار ، ومن نجاح (٤) ستين ألف دينار ، ومن أبى الوزير (٥) صلحا مائة ألف وأربعين ألف دينار ، وذلك سوى ما أخذ من العمال بسبب عمالتهم ، ونصب محمد بن عبد الملك (٦) لابن أبى دؤاد (٧) وسائر أصحاب المظالم العداوة فكشفوا وحبسوا ، وأجلس اسحاق بن

---

(١) احمد بن الخصيب : كان كاتب اشناس التركى وهو يلى أعمال الجزيرة والشامات ومصر والمغرب ، فرفع الى الواثق أنه قد حاز أموالا عظيمة فسخط عليه وقبض أمواله وأموال أخيه ابراهيم وعذبا ، ولما توفى المتوكل أصبح له دور منذ بداية خلافة المنتصر الذى ولاه الوزارة سنة ٢٤٨هـ ، وظل يقوم بدور هام فى خلافته وبداية عهد المستعين - خلال سنة وزارته - ثم قام الموالى فى نفس السنة ٢٤٨هـ باستصفاء ماله ومال ولده ونفى الى جزيرة اقريطش .
انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٨١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٤/٩، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٥٩ .

(٢) قال اليعقوبى : رفع الى الواثق أن أحمد بن الخصيب كاتب اشناس التركى قد حاز أموالا عظيمة فسخط عليه وقبض أمواله وعذبه . تاريخ ٤٨١/٢ . وأضاف كذلك مصادرة الواثق لأخيه ابراهيم وعذبا وعذبت أمهما . وقد ذكر نكبته أيضا الأصفهانى : الأغانى ٢٨٥/٢٠-٢٨٦ . وأشار الى ثروته التنوخى : نشوار ٤٩/٨ .

(٣) ابراهيم بن رباح : يقول اليعقوبى : انه كان يلى ديوان الضياع فعزله الواثق لتشاغله باللهو ، وتفويضه أمر الديوان الى نجاح بن سلمة كاتبه والى يمان النصرانى ، اللذين تجافيا للناس عن أموال كثيرة ، فكثروا عليه عند الواثق ، فأمر بقبض ضياعه وأمواله ، وصير ماكان اليه الى عمر بن فرج الرخجى . تاريخ ٤٨١/٢ .

(٤) لعله نجاح بن سلمة الكاتب ، وكان فى هذه الفترة يكتب لابراهيم بن رباح والى ديوان الضياع . انظر اليعقوبى تاريخ ٤٨١/٢ .

(٥) لعله أحمد بن خالد - أبو الوزير - الذى اختاره المتوكل من جملة كتابه ليكتب بين يديه بعد قتله للوزير ابن الزيات . انظر البحث موضوع اختيار الوزراء فى المبحث الأول من هذا الفصل .

(٦) هو وزير الواثق محمد بن عبد الملك الزيات - أشير الى ترجمته - .

(٧) قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد - أشير الى ترجمته - .

ابراهيم فنظر في أمرهم ، وأقيموا للناس ولقوا كل جهد" (١) . (٢)

كما كان الواثق أيضا يتابع عماله ويحاسبهم على سوء اداراتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، فقد قام في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بعزل أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة (٣) عن قيادة الجيش الذي بعث به لغزو الروم ، وولى الجيش قائدا آخر (٤) ، ذلك أن هذه الغزوة كانت في موسم الأمطار وتساقط الثلج ، فمات من رجال الجيش مائتا شخص ، "وغرق منهم قوم كثير وأسر نحو من مائتين" . فلم يقم أحمد باتخاذ تدابير لانقاذ جيشه مما حل به ، بل انه قدم عليه "بطرق من عظمائهم - الروم - فجبن عنه" (٥) وخرج عن معسكره .

عهد المتوكل :

ولما تولى المتوكل الخلافة اهتم بأمر المتابعة والمحاسبة ، ولعل أبرز حادثة تمت في عهده هي ماقام به من متابعة وزيره محمد بن عبد الملك الزيات ومحاسبته ، وذلك في مفتتح خلافته سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م (٦) .

---

(١) اسحاق بن ابراهيم المصعبي قائد شرطة بغداد - أشير الى ترجمته - .

(٢) تاريخ ١٢٥/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٢٧/٦-٥٢٨ ، أبو الفداء : المختصر ٣٥/٢ ، وقد ذكر وكيع أن الواثق كان قد تغير على ابن أبي دؤاد سنة ٢٣٠هـ ووقف أصحابه للناس في المدن ، فصح عليهم الناس الخيانة والفجور بكل بلد ، وأطلق الواثق بعض من كان في السجون ممن حبس ابن أبي دؤاد ونادى مناد في الأسواق ببغداد في ستة أنفس من أصحابه أحدهم قرابة لابن أبي دؤاد : من جاء بواحد منهم فله مائة ألف درهم . أخبار القضاة ٣٠٠/٣ .

(٣) أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي ، ذكر ابن خياط أنه دخل في سنة مائتين البصرة مع بعض القادة فخرج من كان فيها من الطالبيين ، كما ذكر أنه تولى مهمة الفداء بين المسلمين والروم سنة ٢٣١هـ . تاريخ ص/٤٧٠، ٤٨٠ .

(٤) هو نصر بن حمزة الخزاعي ، ولم أجد له ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٥) الطبري : تاريخ ١٤٤/٩-١٤٥ .

(٦) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٤/٢ ، الطبري : تاريخ ٢٠/٩ ، المسعودي : مروج الذهب ٥/٤ ، ابن النديم : الفهرست ص/١٧٧ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٢ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ ، ابن طباطبا : الفخري ص/٢٣٧ .

وهناك أكثر من سبب تذكره روايات المصادر أدى الى نكبة ابن الزيات حيث سجن وعذب حتى مات (١). فتذكر بعض الروايات أن السبب فى ذلك هو سوء معاملة ابن الزيات للمتوكل ابان خلافة أخيه الواثق (٢). وتذكر روايات أخرى أن السبب هو رغبة ابن الزيات فى أخذ البيعة لمحمد بن الواثق بالخلافة بعد وفاة أبيه بدلا من المتوكل (٣)، كما تذكر روايات أخرى أن المتوكل سمع ابن الزيات يتآمر عليه بالقتل مع القائد ايتاخ "فقتلهما لذلك" (٤). فى حين أن بعض الروايات تشير الى أن ابن الزيات ذهب ضحية السعى به من قبل قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد (٥).

ويشير التنوخى سببا آخر وراء قتل ابن الزيات – خلاف ماتقدم – يشير فيه الى وجود انحراف فى معتقد ابن الزيات حيث يقول عنه : "كان يرى رأى المعتزلة (٦)، ويقول أن الأرزاق تأتى بالاكتساب" (٧). ويؤيد ابن خلكان هذه التهمة بقوله : ان

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٤/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٥٩/٩ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٩، ١٥٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٣٦/٦-٥٣٧ ، القيروانى : زهر الآداب ٨٤١/٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٦، ١١٧ ، حيث يقول : "واقفه فواجهه وقال له : ألست الذى قطعت أرزا فى أيام أخى" وقال عنه المتوكل : "لقد وقف قبح أفعاله فى وجهى فحملنى على اهلاكه" ، أيضا ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٧/٩-١٥٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥
(٤) ابن خلكان : وفيات ٤٧٨/١ .
(٥) الأصفهانى : الأغانى ٧٧/٢٣-٧٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٣/٢ ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ .
(٦) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء الغزال ، لما اعتزل مجلس الحسن البصرى ، يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولاكافر ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن فاعتزله وتبعه جماعة سموا بالمعتزلة . وقد اتفق المعتزلة أن كلام الله محدث مخلوق فى محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله فى المصاحف ، حكايات عنه ، فان ماوجد فى المحل عرض فقد وفنى فى الحال . ويسمى المعتزلة أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية . الشهرستانى : الملل والنحل ٨٥/١ .
(٧) الفرج بعد الشدة ٢٧٧/٣ .

الجاحظ[1] وهو من شيوخ المعتزلة "كان منقطعا اليه"[2] . في حين ينسب اليه على الأزدي (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) أنه كان وراء دفع الواثق الى امتحان الناس بخلق القرآن[3] .

ونحن أمام هذه الأسباب المتباينة لايمكننا أن نرجح أحدها ليكون سبب مقتل ابن الزيات ، وان كنت أرى أنها مجتمعه كانت الدافع وراء قتله ، ذلك أن بعض المصادر المتقدمة لايذكر سببا بعينه وراء قتل ابن الزيات وانما يشير الى أكثر من سبب مختلف فيه[4] . في حين يشير البعض الآخر الى أن هناك أسباباً ادت الى قتل ابن الزيات دون أن يذكر شيئا منها ، يقول اليعقوبي : ان المتوكل "كان يعتد عليه بأمور كثيرة"[5] ، ويقول المسعودي : "كان في نفسه عليه شيء فقتله"[6] .

غير أن ماتجدر الاشارة اليه ، أن ابن الزيات لم يقتل بسبب خيانة مالية ، حيث تؤكد المصادر أنه لم يعثر له على أموال كثيرة ، فقد كان مجموع ماقبض من أمواله ماقيمته

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي ـ أبو عثمان ـ الشهير بالجاحظ ، كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، مولده ووفاته بالبصرة . له تصانيف عدة . توفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م ١٠ الخطيب: تاريخ ١٢/٢١٢ ، الزركلي : الأعلام ٧٤/٥ .
(٢) وفيات ١٠٣/٥ .
(٣) أخبار الدول ص/١٧٧-١٧٨ .
(٤) انظر الطبري : تاريخ ١٥٦/٩، ١٥٧، ١٥٨ .
(٥) تاريخ ٤٨٤/٢ .
(٦) مروج الذهب ٤٥٩/٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ . وتكاد تجمع المصادر على أن ابن الزيات كان قليل الخير لايرعى ذمما ولايوجب حرمة ، ولايحب أن يصطنع أحدا شديد القسوة قليل الرحمة ، جباها للناس ، كثير الاستخفاف بهم ، لايعرف له احسان الى أحد ، ولامعروف عنده . انظر مثالا على ذلك اليعقوبي : تاريخ ٤٨٤/٢ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ٢٧٥/٣ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٨٣ .

تسعين ألف دينار .(١)

وفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م غضب المتوكل على قاضي قضاته أحمد ابن أبي دؤاد ، وأمر بسجنه ومصادرة أمواله .(٢) وهناك أكثر من سبب لغضب المتوكل عليه ، فقد اشتهر من سيرة ابن أبي دؤاد أنه كان وراء امتحان الناس بخلق القرآن ، وتصدره لمعاقبتهم ومناظرتهم ، منذ عهد المأمون حتى عهد الواثق .(٣)

وعلى الرغم من تقدم ابن أبي دؤاد في العلم والفقه ، الا أنه كان يرى مذهب الاعتزال ،(٤) وكان من أصحاب واصل بن عطاء ،(٥) ومنه صار الى الاعتزال .(٦) حتى ان ابن النديم يصف

---

(١) الطبري : تاريخ ١٦١/٩ ، حيث وجه المتوكل من قبض مافي منزله من متاع ودواب وجوار وغلمان ، ووجه به الى الهاروني ، وكذلك قبض ضياع أهل بيته حيث كانت ، وحمل ماكان بسامراء الى خزائن مسرور سمانه بعد أن اشترى للخليفة . نفس المصدر ١٥٨/٩، ١٥٩ .
انظر عن مصادرة أمواله : اليعقوبي : تاريخ ٤٨٤/٢ ، المسعودي : مروج الذهب ٥/٤-٦ ، الأصفهاني : الأغاني ٧٧/٢٣-٧٨ ، وقال : "فما وجد له من أملاكه كلها من عين وورق وأثاث وضيعة الا ماكان قيمته مائة ألف دينار" . أيضا انظر ابن دحيه : النبراس ص/٨٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ ، أبو الفداء : المختصر ٣٧/٢ .

(٢) الطبري : تاريخ ١٨٩/٩ ، انظر أيضا وكيع : أخبار القضاه ٣٠٠/٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٧/٦ ، الخطيب تاريخ ٢٨٥/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٩٠/١ ، وقال المسعودي كانت المصادرة سنة ١٣٩هـ . مروج الذهب ١٤/٤

(٣) انظر : الخطيب : تاريخ ١٤٢/٤، ١٥١ ، ابن العمراني : الأنباء ص/١٠٥ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٧٧ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ ، ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق – هامش كتاب المستطرف – ١٥/١ ، القرماني : آثار الأول ١٥٨/١ .

(٤) القيرواني : زهر الآداب ٣٩٥/٢ ، ابن العمراني : الانباء ص/١٠٥ ، الأزدي : أخبار الدول ص/١٧٧ . ويقول الخطيب : ان محمد بن عطية الشاعر المعروف بالعطوي من متكلمي المعتزلة ويذهب مذهب الحسين بن النجار الى خلق الأفعال . قدم بغداد واتصل بأحمد بن أبي دؤاد . تاريخ ١٣٧/٣ .

(٥) واصل بن عطاء الغزال سبقت الاشارة الى أنه هو المؤسس لمذهب الاعتزال .

(٦) ابن خلكان : وفيات ٨١/١ .

ابن أبي دؤاد بأنه "من أفاضل المعتزلة ، وممن جرأ في اظهار المذهب ، والذب عن أهله ، والعناية به" (١) . كما يذكر الخطيب البغدادي ان ابن أبي دؤاد "أعلن مذهب الجهمية" (٢) .

ويذكر في موضع آخر أن المتوكل كان عازما على نكبة ابن أبي دؤاد لأنه "كان يكره مذهبه ، الا انه يستحيي من أن يفعل به ذلك ، لما كان قام به من أمره بعد موت الواثق وعقده الخلافة له" (٣) ، ويضيف وكيع (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) تهمة أخرى الى ابن ابي دؤاد تتمثل في ميله الى بني أمية ، فيروى عن يعقوب بن اسحاق الكندي أنه قال : "كنا عند ابن أبي دؤاد فذكر الهشامي صاحب الجزيرة بالأندلس ، فقال : كان متواريا عندي أربعة أشهر ، قال أبو خالد المهلبي : فحدث المتوكل بهذا . فقال : قد كان الناس يقولون انه يميل الى الأموية" (٤).

وقد نكب المتوكل مع أحمد بن ابي دؤاد ابنه محمد بن أحمد - أبا الوليد - الذي كان نائبا عن أبيه في ولاية قضاء (٥)

---

(١) الفهرست - الملحق - ص/٤ .

(٢) الجهمية : فرقة تنسب الى جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ/ ٧٤٥م) من رجال العصر الأموي ، قال مع المرجئة بأن الايمان محله القلب ونفى مع المعتزلة عن الله كل وصف يجوز اطلاقه على غيره ، كالوجود والحياة والعلم ، وجوز وصفه فقط بما يختص به من صفات الأفعال كالخلق . وذهب الى أن كلام الله حادث ، وكان جبريا يقول ان أعمال الانسان يخلقها الله . أسس فرقة الجبرية ، مات مقتولا .
الموسوعة العربية الميسرة ٦٥٤/١ .

(٣) تاريخ بغداد ٢٩٧/١، ٢٩٨ ، ١٤٢/٤ . وروى عن أحمد بن حنبل قول في تكفير ابن أبي دؤاد ١٥٣/٤ .

(٤) أخبار القضاه ٢٩٨/٣ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٩/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٣٠٠/٣ الطبري : تاريخ ١٨٨/٩ ، الخطيب : تاريخ ٢٩٧/١ ، ٢٨٥/٨ ، ٢٠٠/١٤، ٢٠١ ، ابن خلكان : وفيات ٨٥/١ ، ١٦٣/٦ .

القضاه ومظالم العسكر منذ سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م (١) . وقد وصف أبو الوليد بأن طريقته لم تكن مرضية أيضا (٢) .

لقد قام المتوكل بمصادرة كل أموال ابن أبى دؤاد (٣) ، وابنه أبى الوليد ، حيث أخذ منه مائة وعشرين ألف دينار ، وجوهرا بأربعين ألف دينار ، وأحضر الى بغداد (٤) .

وكان المتوكل يتابع عماله ويحاسبهم على ماتحت أيديهم من أموال . فقد غضب فى سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م (٥) على والى ديوان الخراج عمر بن فرج الرخجى الذى استولى على أموال الدولة (٦) ،

---

(١) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٣٢٤،٢٩٤/٣ .

(٢) ابن خلكان : وفيات ٨٨/١ .

(٣) وكيع : أخبار القضاه ٣٠٠/٣ ، وانظر اليعقوبى حيث قال "قبض على ضياع ابن أبى دؤاد وأمواله" تاريخ ٤٨٩/٢ ، وقال الطبرى : "وأمر المتوكل على ضياع أحمد" تاريخ ١٨٩/٩ ، وقال ابن دحيه : "أخذ جميع أمواله وذخائره وضياعه" النبراس ص/٨٤ ، أيضا الأزدى : أخبار الدول ص/١٨٤ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ١٤/٤ ، ابن خلكان : وفيات ٨٩/١ ، وقال الطبرى : حمل أبو الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وجوهرا بقيمة عشرين ألف دينار ثم صولح بعد ذلك على ستة عشر ألف ألف درهم وأشهد عليهم جميعا ببيع كل ضيعة لهم" تاريخ ١٨٩/٩ ، أيضا الخطيب تاريخ ٢٩٨/١-٢٩٩ وقال : ووكل بضياعه وضياع أبيه ثم صولح على ألف ألف دينار وأشهد على ابن أبى دؤاد وابنه بشراء ضياعهم .
وتجدر الاشارة الى قيام المتوكل بعزل كل من قام بتعذيب الناس على خلق القرآن ومن تعصب لذلك ، بعد أن قضى على محنة خلق القرآن . انظر الخطيب : تاريخ ٧٤/١٠ . فقد عزل فى سنة ٢٣٧هـ عبد الله بن محمد بن أبى يزيد الخلنجى قاضى الشرقية "وأمر بكشفه ليفضحه بسبب ما امتحن الناس فى خلق القرآن" وأقيم للناس فى نفس السنة" . انظر أيضا أمثلة أخرى نفس المصدر ٣١٨/١٠-٣١٩ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٣ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦١/٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٠/٤ .

(٦) انظر التنوخى : الفرج بعد الشدة ٤٣/٤-٤٤ ، ويقول ابن العمرانى : انه كان على ديوان الخراج حتى آخر خلافة الواثق ، ثم لم يشر الى شىء بعد ذلك . الانباء ص/١١٣ ويقول الخطيب البغدادى : انه كان "يتولى الدواوين" تاريخ ٩٤/١ .

ودفع به الى اسحاق بن ابراهيم - متولى شرطة بغداد - فحبس عنده ، وكتب فى قبض ضياعه وأمواله (١) ، وصار نجاح بن سلمة الى منزله فلم يجد فيه الا خمسة عشر الف درهم ، وحضر مسرور سمانه فقبض جواريه (٢) ، وقيد عمر ثلاثين رطلا ، واحضر مولاه نصر من بغداد فحمل ثلاثين الف دينار ، وحمل نصر من مال نفسه أربعة عشر الف دينار (٣) ، وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار (٤) " .

وقد شمل غضب المتوكل محمد بن فرج الرخجى - أخا عمر - وكان عامل مصر على الخراج ، حيث بعث كتابا فى حمله وقبض أمواله ، فأخذ وحبس بسر من رأى فى نفس السنة التى أخذ فيها أخوه (٥) ، يقول الطبرى : كانت أموال محمد بن فرج "مائة الف دينار وخمسين الف دينار ، وحمل من متاعه وفرشه على خمسين جملا كرت مرارا ، وألبس فرجيه - جبة - صوف وقيد ، فمكث بذلك سبعا ، ثم أطلق عنه وقبض قصره ، وأخذ عياله ففتشوا ، وكن مائة جارية ، ثم صولح على عشرة آلاف الف درهم على أن يرد عليه ماحيز عنه من ضياع الأهواز فقط ، ونزعت

---

(١) أبو الفضل نجاح بن سلمه ، كان كاتب ابراهيم بن رباح الجوهرى ، كما تولى الضياع ثم ولاه المتوكل ديوان التوقيع والتتبع على العمال ، وكان يرسله فى قبض أموال المصادرين . توفى سنة ٢٤٥هـ وقيل سنة ٢٤٦هـ . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٩٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦١/٦ ، ٢١٤، ٢١٧ .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر .

(٣) حيث كان عمر الرخجى عامل خراج الأهواز فترة من الزمن انظر التنوخى : نشوار ١٩/١-٢٠ ٢ /١٣-١٧ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٦١/٩ ، وقال اليعقوبى : "وقبض على ماله" تاريخ ٤٨٥/٢ ، وقال المسعودى : ".. وأخذ منه مالا وجوهرا نحوا من مائة ألف وعشرين ألف دينار" ، مروج الذهب ٢٠/٤ ، وقال الأصفهانى : "أسلم الى نجاح ليصادره" . الأغانى ٢٦٧/١٠-٢٦٨ .

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ .

عنه الجبة الصوف والقيد ..." .(1)

كما سخط المتوكل على نجاح بن سلمه(2) وكان يتولى ديوان التوقيع والتتبع على العمال(3) ، وطالبه بأموال يؤديها اليه يقول اليعقوبي عن نجاح : "كان لايزال يتنفخ(4) بأموال الناس فسلمه الى موسى بن عبد الملك بن هشام صاحب ديوان الخراج ، والى الحسن بن مخلد بن الجراح صاحب ديوان الضياع ، وكانا قد ضمناه بألفي الف دينار ، فعذبه موسى بن عبد الملك أياما ، فتوفى في يده ، فقبضت ضياعه ودوره وأمواله "(5) .

ويبدو أن هناك سمة بارزة في عهد المتوكل انه اذا تتبع أحد العمال أخذ يحاسبه على الأموال ، وقام بمصادرتها عقابا له . والمصادر تذكرة عدة حالات عزل ومصادرات تمت بدون أن توضح حقيقة الأسباب ، فالراجح أن تكون محاسبة

---

(1) تاريخ ١٦١/٩ . يقول المسعودي : أخذ منه "نحوا من مائة ألف وخمسين ألف دينار ثم مولح على أحد وعشرين الف الف درهم ، على أن يرد اليه ضياعه ثم غضب عليه غضبة ثانية وأمر أن يصفع في كل يوم ، فأحصى ماصفع فكان ستة آلاف صفعة ، وألبسه جبة صوف ثم رضى عنه ، وسخط عليه ثالثة ، وأحدر الى بغداد وأقام بها حتى مات" . مروج الذهب ٢٠/٤ .

(2) قال اليعقوبي : في سنة ٢٤٦هـ ، تاريخ ٤٩٢/٢ ، وقال الطبري : في سنة ٢٤٥هـ ، تاريخ ٢١٤/٩ ، أيضا ابن خلكان : وفيات ٣٥٤/١ .

(3) الطبري : تاريخ ٢١٤/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٢/٦ ، وقال اليعقوبي : كان يتولى ديوان التوقيع . تاريخ ٤٨٨/٢ .

(4) نفخ : تأتي بمعنى الرش والتفريق . والغزاره . الفيروز ابادي : القاموس المحيط ص/٣٣٤ . أي أنه كان يسرف بالصرف في أموال الناس التي تحت يده

(5) اليعقوبي : تاريخ ٤٩٢/٢ ، وانظر تفاصيل الحادثة لدى الطبري : تاريخ ٢١٤/٩-٢١٧ ، أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٤/٦ ، الخطيب الاسكافي : لطف التدبير ص/٦٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣٥٤/١ ، ٣٤٦/٤ ، ٣٣٧/٥ . انظر أيضا حبس المتوكل ليحيى بن خاقان لدى اسحاق بن ابراهيم "لأموال يطلب بها من ولايته لفارس" اليعقوبي : المصدر السابق ٤٨٥/٢ .

للعمال على خياناتهم المالية ، ويمكن أن نستخلص ذلك من خلال عزل المتوكل لكاتبه أبي الوزير أحمد بن خالد ، ومصادرته لأمواله ، يقول الطبري : في سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م "غضب المتوكل على أبي الوزير .. وأمر بمحاسبته ، فحمل نحوا من ستين ألف دينار ، وحمل بدور (١) دراهم وحليا ، وأخذ له من متاع مصر اثنين وستين سفطا (٢) ، واثنين وثلاثين غلاما ، وفرشا كثيرا ، وحبس بخيانته محمد بن عبد الملك (٣) أخا موسى بن عبد الملك (٤) ، والهيثم بن خالد النصراني (٥) ، وابن أخيه سعدون بن علي (٦) ، وصولح سعدون على أربعين ألف دينار ، وصولح ابنا أخيه عبد الله وأحمد على نيف وثلاثين ألف دينار ، وأخذت ضياعهم .." (٧) .

---

(١) البدره : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار . الفيروزابادي : القاموس المحيط ص/٤٤٤ .

(٢) السفط : الجوالق ، أو القفة . والجولق : وعاء . الفيروزابادي : القاموس المحيط ص/٨٦٥-١١٢٦ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٤) موسى بن عبد الملك الأصفهاني – أبو عمران – من أصحاب ديوان الخراج في الدولة العباسية ، كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم . تنقل في الخدمة في أيام جماعة من الخلفاء ، وولي ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل وكان مترسلا ، له ديوان رسائل . ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١٤١ ، الزركلي : الأعلام ٣٢٤/٧ .

(٥) الهيثم بن خالد النصراني : لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٦) سعدون بن علي : لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لي من مصادر .

(٧) الطبري : تاريخ ١٦٢/٩ . وأبو الوزير كان المتوكل قد اختاره من بين كتابه ليكتب بين يديه بعد قتله للوزير ابن الزيات ، وذلك من غير أن يسميه بالوزارة ، فكتب له مدة يسيرة ثم عزله ، "وأخذ منه مائتي ألف دينار" ابن طباطبا : الفخري ص/٢٣٧ . انظر عن استكتابه أيضا المسعودي : روج الذهب ٦٠٥/٤ . وقال اليعقوبي : ان المتوكل سخط على "أحمد بن خالد المعروف بأبي الوزير فاستصفى أمواله سنة ٢٣٤هـ ثم رضي عنه" . تاريخ ٤٨٥/٢ .

وفي نفس السنة سخط المتوكل على الفضل بن مروان – متولي ديوان الخراج – وقبض ضياعه وأمواله ، ونفاه .." (١) .

وفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م "عزل يحيى بن أكثم عن القضاء .. وقبض ماكان له ببغداد ، ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار ، ومن اسطوانة (٢) في داره ألفا دينار ، وأربعة آلاف جريب (٣) بالبصرة (٤) " .

لقد كان المتوكل يبعث من يكشف له عن أموال العمال المحاسبين (٥) ، وهناك مجلس يعقد بين يديه يحضره العامل

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٥/٢ ، نحو سنة ٢٣٣هـ ، وقال الطبري : عزل المتوكل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج سنة ٢٣٣هـ . تاريخ ١٦٢/٩ .

(٢) الاسطوانة : بالضم السارية ، معرب : استون – أي العمود – . الفيروزابادي : القاموس المحيط ص/١٥٥٥ .

(٣) الجريب : من وحدات المساحة الاسلامية تبلغ مساحته : ١٣٦٦ر٤١٦٠ مترا مربعا . د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص/٢٩٠ .

(٤) الطبري : تاريخ ١٩٧/٩-١٩٨ . وكان المتوكل قد رضي عن يحيى بن أكثم سنة ٢٣٧هـ وأشخصه من بغداد الى سر من رأى ، وولاه قضاء القضاه والمظالم بعد عزل ابن ابى دؤاد . نفس المصدر ١٨٨/٩ .
وعن نكبته انظر أيضا الأزدي : أخبار الدول ص/١٨٦ ، وهناك أمثلة أخرى للمصادرة ففي سنة ٢٣٣هـ "أمر المتوكل بابراهيم بن الجنيد النصراني – أخي أيوب كاتب سمانه – فضرب له بالأعمدة حتى أقر بسبعين ألف دينار ، فوجه معه مباركا المغربي حتى استخرجها من منزله وجيء به فحبس" . الطبري : نفس المصدر ١٦٢/٩ .

(٥) يقول الكندي في سنة ٢٣٥هـ قدم قومره – يعقوب بن ابراهيم – واليا على بريد مصر وأمر بالنظر هو وحسن الخادم – عرق – وابن أبي الليث في الأموال التي ذكرت عند بني عبد الحكم وزكريا بن يحيى الحرس المعروف بكاتب العمري ، وحمزة بن المغيرة ، ويزيد بن سنان ، ومحمد بن هلال ، فحضر ابن أبي الليث المسجد الجامع ونودي في الناس من كانت عنده شهادة عليهم ، فحضر جمع كثير فشهدوا أن مال علي بن عبد العزيز الجروي عنده.. الولاه والقضاه ص/٤٦٢-٤٦٣ .
وعلي بن عبد العزيز الجروي أحد القادة الشجعان وتولى تنيس والحوف الشرقي زمن المأمون ، ثم عزل عنها وطولب بالأموال التي عنده فلم يدفع منها شيء فقتل سنة ٢١٥هـ
الكندي : الولاة والقضاة ، ص/١٦٩، ١٧٢-١٨٠، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٩، ٢٠٠، ٥٥، وبقيت الأموال عند أصحابه ولم تصل الى الدولة حتى بعث المتوكل قومره في طلبها . انظر عن علي الجروي أيضا الكندي : المصدر السابق ص/١٨٩-١٩٠ .

الموقوف للمحاسبة ، ومن يرفع عليه الحساب (١) ، وقد كان ولاة ديوان الخراج هم عادة من يرفع حسابات العمال (٢) . وان كان المتوكل قد خصص فى فترة من خلافته من كانت مهمته التتبع على العمال ورفع خياناتهم (٣) .

كما كان لمتوكل يتابع عماله ويحاسبهم على سوء ادارتهم لما تحت أيديهم من أعمال ، فقد قام بعزل وزيره محمد بن الفضل الجرجرائى ، لتفريطه فى أداء واجبه (٤) ، يقول أبو منصور الثعالبى : أن المتوكل "عاتبه .. يوما لاشتغاله

---

(١) انظر على بن ظافر الأزدى (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م) بدائع البدائه . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٧٠م ، ص/٣٤٠ ، حيث يقول : "ذكر أن العباس بن ابراهيم الصولى كان قد ولى بعض النواحى للمتوكل فأخرج اليه أحمد بن المدبر - تولى ديوان الخراج ثم تولى سبعة دواوين . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٨٨/٢ - جملة كبيرة ، وجلسا للمناظرة بين يدى المتوكل" .
انظر أيضا مناظرة العمال الذين تتم محاسبتهم فى الفترات السابقة لعهد المتوكل خلال هذا المبحث .

(٢) فقد كان المتولى لديوان الخراج يقوم بمحاسبة عمال الخراج فى الآفاق ورفع حساباتهم الى الخليفة لينظر فيها ، ويقارن ارتفاعات الخراج - معدل الدخل - حيث ان المتوكل يسأل عن عامل الخراج فىالفترات التى يزيد فيها الدخل ، واذا انصرف العامل من عمله وعزل يبحث عنه والى ديوان الخراج وعن أصحابه ويعمل له مؤامرة بما يجب عليه من المال . كما كان عمال الخراج يرفعون اليه حسابات الدخل السنوى ومايصرف من أموال على جمع الخراج وارساله ، وهذا بيان يقدم فى كل سنة مفصلا .
وهناك تقرير شامل يكتب عن عامل الخراج اذا عزل عن عمله لمعرفة حساباته فى كل سنة . بل قد أتاح المتوكل لبعض ولاة ديوان الخراج بسط أيديهم على العمال وتعذيبهم لتحصيل الأموال منهم التى تتضح من كشف الحساب .
انظر التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢١٥/١ ، ٧٧/٢-٧٩ ، ٤٣/٤-٤٥ .
وانظر عن قيام والى ديوان الخراج بتعذيب العمال وأخذ مايجب عليهم من أموال . اليعقوبى : تاريخ ٤٨٧/٢-٤٨٨ الطبرى : تاريخ ١٨٣/٩-١٨٤ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٢١٤/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٢/٦ .

(٤) قال اليعقوبى : فى سنة ٢٣٧هـ ، تاريخ ٤٨٨/٢ ، وقال الطبرى : فى سنة ٢٣٦هـ . تاريخ ١٨٥/٩ .

بالملاهى عن الأعمال السلطانية فقال : ياأمير المؤمنين ان مقاساة هموم الدنيا لاتتاتى الا باستجلاب شىءمن السرور" .(١)

وعزل المتوكل فى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م والى معونة حمص أبا المغيث الرافعى - موسى بن ابراهيم - لأنه قام بقتل رجل من رؤساء أهل حمص ، وقد سبب ذلك اضطراب البلد ، حيث وثب أهل حمص فقتلوا جماعة من أصحاب الرافعى ، وأخرجوه هو وصاحب الخراج من مدينتهم ، فوجه المتوكل عتاب بن عتاب ،(٢) ومعه محمد بن عبدويه كرداس الانبارى ،(٣) وأمره أن يقول لهم : ان أمير المؤمنين قد أبدلكم رجلا مكان رجل ، فرضوا بمحمد بن عبدويه ، فولاه عليهم .(٤)

وكان المتوكل يتابع عماله ويحاسبهم على ظلمهم للرعية فقد قام سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م بعزل قاضى مصر محمد بن أبى الليث(٥)

---

(١) تحفة الوزراء ص/١٢١ . ويقول اليعقوبى : "سخط المتوكل على محمد بن الفضل .. لأمر وقف عليه منه .." - ولم يحدده - تاريخ ٤٨٩/٢ . وقد سبقت الاشارة عند ذكر اختيار المتوكل له انه وصف بأنه "كان شيخا ظريفا حسن الأدب عالما بالغناء مشهورا به .." . ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ ، وقال انه استمر مدة قصيرة فى الوزارة ثم كثرت السعايات به عند المتوكل فعزله .

(٢) عتاب بن عتاب القائد ، كلفه المتوكل بمعاقبة نجاح بن سلمة سنة ٢٤٥هـ ، له دور فى خلافة المنتصر وكذلك فى عهد المعتز ، وفى عهد المستعين أشير الى أنه كان من القادة وكذلك فى عهد المهتدى . انظر الطبرى : تاريخ ٢١٧/٩، ٢٣٩، ٢٨٦، ٣٥٧، ٤٦٤ .

(٣) محمد بن عبدويه كرداس الانبارى . لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر ، وذكر الطبرى أنه فى سنة ٢٤١هـ وثب أهل حمص بعاملهم على المعونة محمد بن عبدويه فأمره المتوكل بمناهضتهم . تاريخ ١٩٩/٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٩٧/٩ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٣-٤٦٤ . وكان المتوكل قد بعث قومره - يعقوب بن ابراهيم - متكشفا عن ابن أبى الليث سنة ٢٣٥هـ . وأن ينظر فى أمره ، حيث أنه لما تولى الخلافة رفع اليه فى ابن أبى الليث فبعث كذلك قومره ، فكتب قومره بما صح عنده من أمره . نفس المصدر ص/٤٥٤، ٤٦٣ .
ومحمد بن أبى الليث الأصم الخوارزمى تولى قضاء مصر سنة ٢٢٦هـ زمن المعتصم . نفس المصدر ص/٤٤٩ .

لظلمه وسوء مذهبه (١) ، وأمر بحبسه واستقصاء أمواله ، كما حبس أيضا ولده وأصحابه وأعوانه ، واستقصيت أموالهم (٢). كما قام فى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م بعزل عبيد الله بن أحمد بن غالب قاضى بغداد الذى كان من أصحاب ابن أبى دؤاد (٣) "وكان مذموم الولاية سىء السيرة قبيح الطريقة" (٤).

كما كان المتوكل يتابع عماله ويحاسبهم على عدم ولائهم فقد قام فى سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م بقتل قائده ايتاخ (٥) لأنه كان يبيت النية لقتله ، حيث "اتصل بالمتوكل انه كان على ايقاع الحيلة به" (٦).

لقد كان ايتاخ غير راض عن تولى المتوكل للخلافة ، وقد تآمر مع الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فى كيفية قتله والتخلص منه ، وذلك فور وفاة الخليفة الواثق ، وكان المتوكل قد سمع مادار بينهما (٧) ، اضافة الى سوء معاملته له

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص/٣٢١ . وقال : "كان ظالما من رؤوس الجهمية" . وقد سبق تعريف الجهمية فى هذا المبحث . وقال عنه وكيع : "كان ابن أبى الليث رجل سوء" . أخبار القضاه ٣/٢٤٠ .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٣-٤٦٤ . ثم كتب فى عام ٢٣٧هـ الى والى مصر بتعذيب ابن أبى الليث أيضا . انظر سبب ذلك : نفس المصدر ص/٤٦٥-٤٦٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص/٣٢١ .

(٣) عبيد الله بن أحمد بن غالب . مولى الربيع الحاجب ، كان قاضيا بعسكر المهدى فى أيام الواثق ، كما ذكر أنه كان على الجانب الشرقى من بغداد ، ذكر أنه كان فقيها عالما على مذهب أهل العراق ومن أصحاب ابن أبى دؤاد .
الخطيب : تاريخ ١٠/٣١٩ .

(٤) الخطيب : تاريخ ١٠/٣١٩ . وقال : "جعل مسجدا حانوتا".

(٥) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٨٦ ، الطبرى : تاريخ ٩/١٦٨-١٦٩ مسكويه : تجارب الأمم ٦/٥٤٣-٥٤٥ .
وقد أشير الى أعماله التى كان يتولاها فى مبحث اختيار العمال من هذا الفصل ، موضوع اختيار الولاه .

(٦) اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٨٥ ، وقال الطبرى : انه هم بقتل المتوكل فى احدى الليالى ، تاريخ ٩/١٩٧ .

(٧) ابن خلكان : وفيات ١/٤٧٨ .

فى خلافة أخيه الواثق ، فاستطاع أن يتخلص من الوزير ابن الزيات فور توليه الخلافة ، ولم يستطع أن يقوم بنفس الشىء مع ايتاخ ، لسيطرته على الجند ، يقول التنوخى : "كان قد اجتمع فى نفس المتوكل من ايتاخ العظائم مما كان يعمل به فى أيام الواثق ولايقدر له على نكبة لتمكنه من الأتراك" (١) .

وعندما حانت فرصة مواتية قبض المتوكل على ايتاخ ، حيث أمر قائد شرطة بغداد - اسحاق بن ابراهيم - أن يتلقاه قرب بغداد - وهو قادم من الحج (٢) - وأن ينزع عنه السواد والسيف والمنطقة (٣) ، ففعل ذلك وأدخله بغداد فى قباء (٤) أبيض وعمامة بيضاء ، حتى صار به الى قصر خزيمة (٥) ، فحبسه وقيده وقبض ضياعه وأمواله (٦) ، ثم قدم بابنيه منصور ومظفر ، وبكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصرانى الى بغداد ، وكان سليمان على أعمال السلطان ، وقدامه على ضياع ايتاخ خاصة ، فحبسوا ببغداد (٧) .

ولم يلبث ايتاخ فى السجن طويلا حيث مات من جراء التعذيب ، ومنع الماء عنه (٨) .

---

(١) نشوار المحاضرة ١٥/٨ .
(٢) كان ايتاخ قد ذهب الى الحج سنة ٢٣٤هـ . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٨٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦٦/٩-١٦٨ .
(٣) المنطقة : الناطقة الخاصرة ، ومايتنطق به ، وانتطق الرجل شد وسطه بمنطقة . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١١٩٥ .
(٤) القباء : نوع من الثياب جمعه أقبية - لأنه يجمع مابين شقيه - . الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٧٠٥ .
(٥) كان يقع على رأس الجسر - الذى على دجلة - . اليعقوبى تاريخ ٤٨٦/٢ .
(٦) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٦/٢ . ويقول الطبرى : ثم قيد وأثقل بالحديد فى عنقه ورجليه . تاريخ ١٦٩/٩ .
(٧) الطبرى : تاريخ ١٦٩/٩ . يقول : فأما سليمان وقدامه فضربا ، فأسلم قدامه ، وحبس منصور ومظفر . انظر أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٣/٦-٥٤٥ .
(٨) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٦/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦٩/٩-١٧٠ .

وقد "قبض - المتوكل - على ماكان لهرثمة بن النصر[1] عامل مصر ، لما تأدى الى المتوكل من مكاتبته ايتاخ ، ومطابقته اياه"[2] .

---

(١) هرثمة بن النصر الجيلى (أو الجبلى) وال ، كان أميرا جليلا عاقلا مدبرا ، ولى امرة مصر سنة ٢٣٣هـ ، ذكر أنه توفى سنة ٢٣٤هـ/٨٤٩م . الزركلى : الأعلام ٨٢/٨ . وقد نقل ترجمته عن الكندى : الولاه والقضاه ، والمقريزى : الخطط ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة .
في حين نجد أن اليعقوبى وهو من المصادر المتقدمة يذكر أن هرثمة بن النصر صودرت أمواله سنة ٢٣٥هـ أى أن المصادرة كانت لأمواله بعد وفاته ، وقد يحدث ذلك في المحاسبة فقد صودر ابن الزيات بعد قتله . أو ربما يكون هرثمة بن النصر لم يمت في سنة ٢٣٤هـ وانما في سنة ٢٣٥هـ أو بعدها ، لقدم رواية اليعقوبى .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٦/٢ . انظر أيضا عن محاسبة المتوكل للعمال لخيانتهم وعدم ولائهم عزله فى سنة ٢٣٥هـ قوصره - يعقوب بن ابراهيم - الذى بعثه واليا على بريد مصر ومتكشفا لبعض المحاسبين ، حيث مال معهم الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٢-٤٦٣ .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الرقابة الادارية فى الدولة العباسية منذ قيامها سنة ١٣٢هـ حتى سنة ٢٤٧هـ
٧٤٩ - ٨٦١م

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
فى الحضارة والنظم الاسلامية

اعداد الطالب
حسن بن على بن عون ذوى على الحارثى الشريف

اشراف الأستاذ الدكتور
مريزن سعيد عسيرى

المجلد الثانى
١٤١٤هـ/١٩٩٣م



الفصل الثانى

رقابة العمال والدواوين

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : رقابة الوزير والوالى والمشرف .

المبحث الثانى : رقابة قاضى القضاة والقاضى والمحتسب

المبحث الثالث : رقابة الدواوين .

المبحث الأول

رقابة الوزير والوالى والمشرف

وهنــاك شرطان يقــع الفــرق بهمــا بيــن الامامة ووزارة التفــويض "أحدها يختص بالوزير وهو مطالعة الامام لما أمضاه مــن تدبــير وأنفــذه مــن ولايــة وتقليــد لئلا يصير بالاستبداد كالامــام ، والثانى مختص بالامام وهو أن يتصفح أفعال الوزير وتدبيره الأمور ليقر منها ماوافق الصواب ويستدرك ماخالفه ، لأن تدبــير الأمــة اليــه موكول وعلى اجتهاده محمول .. ويجوز لهــذا الوزيــر أن يحــكم بنفسه وأن يقلد الحكام ، كما يجوز ذلــك للامــام لأن شروط الحكم فيه معتبرة ، ويجوز أن ينظر فى المظالم ويستنيب فيها لأن شروط المظالم فيه معتبره ، ويجوز أن يتــولى الجهــاد بنفسه وأن يقلد من يتولاه لأن شروط الحرب فيــه معتبره ، ويجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التى دبرها وأن يســتنيب فــى تنفيذها لأن شروط الرأى والتدبير فيه معتبره ، وكــل مــاصح من الامام صح من الوزير الا ثلاثة أشياء ، أحدهما ولايــة العهــد ، فــان للامــام أن يعهــد الى من يرى وليس ذلك للوزيــر ، الثانى أن للامام أن يستعفى الأمة من الامامة وليس ذلــك للوزيــر ، والثــالث أن للامام أن يعزل من قلده الوزير وليس للوزيــر أن يعــزل من قلده الامام . وماسوى هذه الثلاثة فحكم التفويض اليه يقضى جواز فعله وصحة نفوذه منه" (١) .

(ب) <u>وزارة التنفيذ</u> :

"أمــا وزارة التنفيذ : فحكمها أضعف وشروطها أقل ، لأن النظــر فيهــا مقصــور على رأى الامام وتدبيره ، وهذا الوزير وســط بينــه وبين الرعايا والولاة يؤدى عنه ماأمر وينفذ عنه مــاذكر ويمضــى مــاحكم ويخــبر بتقليــد الولاه وتجهيز الجيوش ويعــرض عليــه مــاورد من مهم وتجدد من حدث ملم ، ليعمل فيه

---

(١) المــاوردى : الأحكــام الســلطانية ص/٢٤-٢٥ ، الفــراء : الأحكام السلطانية ص/٣٠ .

مايؤمر به ، فهو معين فى تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولامتقلدا لها ، فان شورك فى الرأى كان باسم الوزارة أخص ، وان لم يشارك فيه كان باسم الواسطة والسفارة أشبه " . فهو مقصور النظر على أمرين : أحدهما أن يؤدى الى الخليفة ، والثانى أن يؤدى عنه ، فيراعى فيه سبعة أوصاف هى : الأمانة صدق اللهجة ، قلة الطمع ، أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء ، أن يكون ذكورا لما يؤديه الى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه ، الذكاء والفطنة ، أن لايكون من أهل الأهواء (١) .

وبعد عرضنا لنوعى الوزارة نجد أن وزارة التنفيذ لاتعنينا كثيرا من الناحية الرقابية فليس لمتوليها سلطات مستقلة ، أما وزارة التفويض فان متوليها يكون مباشرا لأعمال عديدة من أمور الحكم ، مما يجعل له دوراً فى الرقابة .

والحق أنه على الرغم من رسوخ منصب الوزارة فى عصر الدولة العباسية الا أن سلطات الوزير ومهامه لم تكن محددة ولم يكن هناك مفهوم واضح لنوعى الوزارة ـ كما سبق ذكره ـ وهذا أدى الى تضارب فى السلطات بين الوزير والخليفة ، فقد تفاوت النفوذ بين الوزراء فى عهود الخلفاء ، فما يتمتع به وزير من نفوذ قد لايتاح لوزير آخر ، تبعا لظروف الدولة وشخصية الخليفة وكفاءة الوزير .

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٥-٢٦ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص/٣١ .
وأضاف بأنه اذا كان هذا الوزير مشاركا فى الرأى احتاج الى وصف ثامن وهو الحنكة والتجربة التى تؤدى الى صحة الرأى وصواب التدبير . وقد تحدث عن نوعى الوزارة على غرار ماذكره الماوردى ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٢٠١-٢١٢ ، ابن جماعة : تحرير الأحكام ص/٧٧-٧٨ .

ففي عهد الخليفة أبي العباس السفاح نجد أنه كان لوزيره أبي سلمة الخلال كلمة نافذة وسلطان مطاع ، وقد عبرت بعض المصادر عن مدى سلطان أبي سلمة وقوة نفوذه ، فيذكر الدينوري أن السفاح عندما بويع له بالخلافة ولى أبا سلمة جميع ماوراء بابه وجعله وزيره ، وأسند اليه جميع الأمور فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة" (١) . ويقول ابن طباطبا ان السفاح "فوض لأبي سلمة الأمور وسلم اليه الدواوين" (٢) فأبو سلمة كان يراقب الدواوين ويشرف عليها دون الرجوع الى الخليفة .

ومع أن أبا سلمة كان يمارس سلطاته على دواوين الدولة التي كان معظمها تحت تصرفه (٣) ، فانه طمع أيضا في زيادة نفوذه فأظهر الادلال والقدرة على الخليفة (٤) ، وشمخ بأنفه "حتى أنه لايعد الخلافة بشيء" (٥) .

لاشك أن جهود أبي سلمة أثناء الدعوة العباسية جعلته يرى أن له حق مشاركة الخليفة في ادارة الدولة ، لاسيما وأن السفاح كان يقدر ماقام به من جهود في سبيل الدعوة (٦) ، ويعرف كفاءته وحسن سياسته وتدبيره (٧) ، أضف الى ذلك أن أبا سلمة

---

(١) الأخبار الطوال ص/٣٧٠ .
(٢) الفخري ص/١٥٥ .
(٣) لم تكن جميع الدواوين تحت تصرف أبي سلمة فديوانا الجند والخراج عين الخليفة السفاح عليهما منذ مبايعته خالد بن برمك وهما من الدواوين الهامة في الدولة .
انظر : الجهشياري : الوزراء ص/٧٩ ، انظر أيضا الطبري تاريخ ٤٥٨/٧، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٦٧ .
(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٢٠/٢ .
(٥) ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨ . وأضافه من قول المنصور لأبي مسلم يشكو أبا سلمة "انه لايعترض علينا اعتراضا يجل عن الوصف" .
(٦) انظر : الجهشياري : الوزراء ص/٨٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٢٧٠/٣ ، ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٤ .
(٧) انظر : المسعودي : مروج الذهب ٢٧١/٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٥/٢ .

كان قبل مبايعة السفاح بالخلافة بنحو من شهرين ونصف مقيما في موضع قرب الكوفة يعرف بحمام أعين ، يمارس ادارة أعمال واسعة "ففرق عماله على السهل والجبل ، والدواوين بحضرته ، والكتب تنفذ منه وترد عليه" حيث تسلم الرياسة من قبل زعماء الدعوة وسمي وزير آل محمد "ودبر الأمور وأظهر الخلافة الهاشمية ولم يسم الخليفة" (١) .

غير أن ذلك كله لايجعله يتصدى لجانب مهم من الأمور الادارية مستقلا بها عن الخليفة ، الذي لم يرضه ذلك ، فلم يلبث أبو سلمة طويلا حيث اغتيل "في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة" (٢) .

ولم يعد الوزير بعد هذه الحادثة خلال عهد السفاح يتمتع بنفس نفوذ أبي سلمة ، بل ان من تولى الوزارة بعد ذلك كان يتجنب أن يسمى وزيرا تطيرا مما جرى لأبي سلمة (٣) . وبذلك أعيد الى شخص الخليفة جانبا هاما من ادارته التي لابد له من أن يشرف عليها بنفسه (٤) .

ولما تولى المنصور الخلافة نهض بمسؤوليات الخلافة بنفسه ، ولم يستقل عنه أحد من وزرائه بادارة شئون الدولة "فلم تكن الوزارة في أيامه طائلة .. وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لايزالون على وجل منه وخوف فلايظهر لهم أبهة ولارونق" (٥) .

---

(١) الجهشياري : الوزراء ص/٨٤،٨٥-٨٦،٨٧ ، انظر أيضا : الطبري : تاريخ ٧/٤١٥،٤١٨،٤١٩ .
(٢) الجهشياري : الوزراء ص/٩٠ ، انظر أيضا الطبري : تاريخ ٧/٤٤٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢/١٩٦ .
(٣) ابن طباطبا : الفخري ص/١٥٦ .
(٤) لقد كان خالد بن برمك الذي تولى مهام الوزارة بعد أبي سلمة - ولم يسم وزيرا - يشرف على الدواوين - .
(٥) ابن طباطبا : الفخري ص/١٧٤ ، بل ان المسعودي يذكر استغناء المنصور عن الوزراء في آخر أيامه واكتفى بالكتاب . مروج الذهب ٣/٢٨٥ .

ومع ذلك تذكر بعض المصادر أن أبا جعفر عندما قلد أبا ايوب الموريانى وزارته "فوض اليه أمره كله .. وغلب عليه غلبة شديدة" [1] ، "وتمكن منه غاية التمكن" [2] ، وغير ذلك من العبارات التى تشير الى قيام الموريانى بأعباء الخلافة ، وتسلطه على الخليفة المنصور [3] .

لاشك أنه كانت للموريانى سلطة استمدها من الصلاحيات التى خوله اياها المنصور ، الذى كان يمسك زمام الأمور بيده ، فلم يكن الموريانى مستقلا بأمره عن الخليفة ، فكما أشير الى أنه صرف أهله جميعا فى الأعمال ، فان دوره فى بعض حالات التولية والعزل هو ابداء الرأى والمشورة [4] .

ان دور الموريانى فى الرقابة كان خاصا باشرافه على الدواوين [5] وتولية بعض العمال [6] فهو يمارس دوره كوزير تفويض وان لم يعط جميع الصلاحيات الخاصة بوزارة التفويض ، نظرا لقوة شخصية المنصور واهتمامه بأن يدير جميع شئون دولته بنفسه ، فلم يترك للوزير العمل برأيه بل كان الوزير ينهى اليه كل مايعرض له من أمور الدولة قبل البت فيها .

لم يكرر المنصور تجربته مع الموريانى لذا لم يعط

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧ .
(٢) ابن خلكان : وفيات ٤١٠/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٢٤/١ .
(٣) انظر اليعقوبى : تاريخ ٣٨٩/٢ حيث يقول : "وكان الغالب عليه أبو أيوب الخوزى .. ولم يعرف أن أحدا غلب عليه بعده" . أيضا المسعودى : مروج الذهب ٢٨٥/٣ الثعالبى : ثمار القلوب ص/٢٠١ ، ابن خلكان : وفيات ٤١٠/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣٢٤/١ ، الأزدى : أخبار الدول ص/١١٠ .
(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧،١٠١ .
(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧ . ويشرف على الأمور المالية ص/١٠١ . وعن دور المنصور فى التولية والعزل انظر مبحث اختيار العمال من البحث .
(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٧ .

أحدا سلطات واسعة أو صلاحيات كبيرة في أمور الدولة (١) فوزع المهام التي كان يضطلع بها المورياني على أكثر من شخصية . يقول الجهشياري : ان المنصور لما نكب أبا أيوب سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م قلد الخاتم الفضل بن سليمان الطوسي ، وقلد كتابة الرسائل والسر ابان بن صدقة وقلد ضياعه صاعدا مولاه .. وقلد ديوان خراج البصرة ونواحيها عمارة بن حمزة ، وقلد ديوان خراج الكوفة وأرضها عمرو بن كيلغ .. وقلد الربيع مولاه نفقاته والعرض عليه" (٢) .

فالربيع بن يونس الذي تولى الوزارة بعد أبي أيوب كان يتقلد نفقات الخليفة وعرض الرسائل وشكايات المتظلمين عليه فانحصر دوره الرقابي على ادارة مصروفات الخليفة ، فلم تكن للربيع صلاحيات واسعة ، وان كان مقدما عند الخليفة يستشيره ويأخذ برأيه .

ويعتبر عهد الخليفة المهدي عهد استقرار سياسي واداري فانتعشت النظم السياسية والادارية ، ومنح المهدي وزراءه سلطات واسعة (٣) ، حتى ان صاحب الفخري يقول : "في أيامه ظهرت أبهة الوزارة" (٤) .

ان كفاءة بعض وزراء المهدي جعلته يفوض اليهم ادارة أعمال واسعة في دولته ، ولكن مع ارتباطهم الشديد به ، ورجوعهم اليه قبل اتخاذهم لأي قرار هام ، لاكما تصوره روايات بعض المصادر على انه استبداد بالسلطة واستقلال بالرأي .

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٣٨٩/٢ ، قال ان المنصور "لم يعرف أن أحدا غلب عليه بعده - أي المورياني -" .
(٢) الجهشياري : الوزراء ص/١٢٤ . انظر أيضا ماذكره خليفة ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٥-٤٣٦ ، ويقول اليعقوبي : "ثم حجبه الربيع مولاه وغلب على أكثر أموره" تاريخ ٣٨٩/٢-٣٩٠ .
(٣) د. توفيق اليوزبكي : الوزارة ص/٥٤ .
(٤) ابن طباطبا : الفخري ص/١٨١ .



فاليعقوبي يذكر مايفيد تمتع الوزير معاوية بن عبيد الله بن يسار بنفوذ كبير حيث يقول : "كان الغالب على المهدي صدر خلافته معاوية بن عبيد الله .." (١) في حين تذكر مصادر أخرى عظم منزلة ابن يسار لدى المهدي على غرار ماذكره اليعقوبي الا انها تشير الى مدى صلاحياته التي منحت له ، فتذكر أنه قد أسند اليه الاشراف على الدواوين وأعمال الخراج ، نظرا لكفاءته وتقديرا لخدماته (٢) ، أما مرتبته عند الخليفة فكان وزيرا مفوضا ومستشارا موثوقا برأيه . يقول الخطيب البغدادي : ان معاوية بن يسار "كان يكتب للمهدي قبل الخلافة وأمره كله اليه رسمه المنصور لذلك .. وكان المهدي يعظمه ولايخالفه في شيء يشير به عليه" (٣) وهذا ماذكره ابن طباطبا حيث قال : ان ابن يسار "كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة ضمه المنصور اليه .. وكان غالبا على أمور المهدي لايعصى له قولا ، وكان المنصور لايزال يوصيه فيه ويأمره بامتثال مايشير به ، فلما مات المنصور وجلس المهدي على سرير الخلافة ، فوض اليه تدبير المملكة وسلم اليه الدواوين وكان مقدما في صناعته .." (٤) .

فالوزير ابن يسار كان يشرف على شئون الدواوين وأعمال الخراج ومهمته الرقابية كانت في مجال عمله ، وحدود سلطته

---

(١) تاريخ ٤٠٠/٢ .
(٢) ابن طباطبا : الفخري ص/١٨١-١٨٢ . انظر أيضا الخطيب حيث أشار الى جلوس ابن يسار في صدر الديوان . تاريخ ٦٩/١١ .
(٣) تاريخ ١٩٦/١٣ .
(٤) الفخري ص/١٨٢ ، ويقول التنوخي : ان المهدي وصف ابن يسار بقوله : "مارأيت أحزم ولاأفهم ولاأكفأ ولاأعف من أبي عبيد الله ، ولقد كنت أحبه مع اجرائي اياه مجرى الوالد" . نشوار ١٣٦/٨-١٣٧ .

فلم يكن مفوضا تفويضا تاما ليشرف على جميع أعمال الدولة ، كما جاء فى روايات بعض المصادر .

ولم تتعد شخصية الوزير التالى للمهدى يعقوب بن داود ماكان عليه واقع حال ابن يسار من حيث السلطة والتفويض ، على الرغم من مبالغة روايات المصادر التى تذكر تفويض الخليفة المهدى اياه تدبير أمور الخلافة كلها (١) حتى انه "أرسل الى الزيدية (٢) فأتى بهم من كل أرض وولاهم من أمور الخلافة فى المشرق والمغرب كل جليل وعمل نفيس والدنيا كلها فى يده (٣) " .

بل ان هناك بعض المصادر التى تذكر ان المهدى ترك الاشراف على شئون الخلافة لانشغاله باللهو واللعب وسماع الغناء (٤) ويستشهد البعض الآخر بهجاء بشار بن برد ليدلل على سلطة يعقوب بن داود الذى يقول فيه "ان الخليفة يعقوب بن داود (٥) " .

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٦،١٥٧ ، التنوخى : نشوار ١٣٦/٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٦٢/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٤ ، أبو الفداء : المختصر ١٠/٢ .

(٢) الزيدية : هم أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ساقوا الامامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة فى غيرها . الشهرستانى : الملل والنحل ٢٤٩/١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨،١٦٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٨ ، العيون والحدائق ٢٧٦/٣ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ٢٢/٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٥

(٥) انظر : الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٩ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٤١/٣-٢٤٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٤-١٨٥ ، أبو الفداء : المختصر ١٠/٢ .
ونلاحظ أن بعض المصادر تذكر أن يعقوب كان يشير على الخليفة المهدى بتعيين العمال فقد تولى قضاء مصر اسماعيل بن اليسع باختيار يعقوب . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧٣ ، كما يبدو أن يعقوب تولى ادارة أمور الجيش والادارة المالية . فقد خاطب المهدى بقوله "... وليتنى أمور المسلمين واعطاء الجند" . الطبرى : تاريخ ١٦٠/٨ .

غير أن الهجاء يبقى وصفا مبالغا فيه لايمكن أن يعتمد عليه للدلالة على حقيقة تاريخية الا اذا ساندته روايات أخرى موثوق بها ، فيعقوب بن داود لم يكن يملك السلطة المطلقة للتحكم في شئون الدولة . والمهدى لم يكن مفتقرا الى القدرة الادارية حتى يتكل على وزيره يعقوب بن داود لكى يدير له شئون دولته . كما انه لم يبتعد عن القيام بواجبات الخلافة لانشغاله باللهو واللعب ، وانما اضطلع بمباشرة أمور الخلافة بنفسه (١) .

ان التطورات الادارية التى استجدت فى نهاية عهد المهدى جعلت الفيض بن أبى صالح – الذى تولى الوزارة بعد يعقوب بن داود – ذا صلاحيات محدودة وقد اثر ذلك على دوره الرقابى ، فمتولى ديوان زمام الأزمة – أنشىء سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م – يشرف على دواوين الأزمة المخصصة لضبط النواحى المالية فى دواوين الدولة المختلفة (٢) . والاشراف على الدواوين من الأعمال الرقابية الهامة التى كان يقوم بها الوزراء ، وظهور هذا المنصب حد من سلطات الوزير .

وفى عهد الهادى نجد أن المصادر تذكر اشراف الوزير على شئون الدواوين فقد استوزر الهادى الربيع بن يونس وضم اليه ماكان عمر بن بزيع يتولاه من دواوين الأزمة (٣) . أما باقى الدواوين فلم يجعلها الهادى تحت سلطة الربيع فقد "ولى

---

(١) انظر مبحث الاشراف والتوجيه – الفصل الأول من البحث .
(٢) عن دواوين الأزمة وديوان زمام الأزمة انظر : الطبرى : تاريخ ١٤٢/٨، ١٦٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٦،٤٦ ، فلم يكن بعد وزارة ابن يسار ويعقوب بن داود دور بارز للوزير الفيض بن أبى صالح على الرغم من قول ابن طباطبا "استوزره وفوض الأمور اليه" . الفخرى ص/١٨٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٢٦/٣ . ويذكر الأزدى رواية مختلفاً فيها تدل على أن الربيع كان يولى ويعزل الولاه قبل قدوم الهادى من جرجان . تاريخ الموصل ص/٢٥٧ .

محمد بن جميل ديوان خراج العراقين ، وولى عبيد الله بن زياد خراج الشام وما يليه ، وأقر على حرسه على بن عيسى بن ماهان وضم اليه ديوان الجند ، وأقر الخاتم فى يد على بن يقطين" (١) .

ثم ضعفت سلطات الوزراء بعد ذلك ، فعندما عزل الهادى الربيع عن الوزارة "قلدها ابراهيم بن ذكوان الحرانى ، وأقر الربيع على دواوين الأزمة" (٢) ، وكذا الحال عندما ولى عمر بن بزيع الوزارة جعل اليه ديوان الرسائل فقط "وأقر الربيع بالزمام" (٣) .

وفى عهد الرشيد تذكر المصادر مدى استبداد وزرائه من بنى برمك بالسلطة فترة من خلافته ، فمنذ أن تولى الرشيد الخلافة قلد يحيى بن خالد الوزارة وقال له : "قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى اليك فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب ، واستعمل من رأيت واعزل من رأيت ، وامض الأمور على ماترى ، ودفع اليه خاتمه" (٤) .

ويذكر الطبرى أنه باعطاء يحيى بن خالد الخاتم

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨ .
(٢) المسعودى : التنبيه ص/١٦٩ ، ويقول ان الربيع كان على الأزمة والخاتم فى وزارة ابراهيم بن ذكوان .
(٣) المسعودى : مروج الذهب ٣٢٦/٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٢٣٣/٨ ، انظر أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٣٧/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٢٩/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢١/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦١ ، أبو الفداء : المختصر ١٢/٢ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤٢٦/١ ، العيون والحدائق ٢٩١/٣ . ويضيف الطبرى أيضا أنه فى سنة ١٧٨هـ "فوض الرشيد أموره كلها الى يحيى بن خالد" تاريخ ٢٥٦/٨ ، وهو أمر يدل على زيادة التفويض ليحيى انظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٨٠ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٢٢ .

"اجتمعت ليحيى الوزارتان"[(١)] ، فى حين يصفه الجهشيارى بأنه "أول من أمر من الوزراء"[(٢)] .

لقد منح الرشيد البرامكة صلاحيات كبيرة جعلتهم يشرفون على معظم شئون الدولة ، فاتسعت دائرة مجالهم الرقابى لذلك فيحيى بن خالد كان يجلس للناس جلوسا عاما فى كل يوم الى انتصاف النهار ينظر فى أمورهم وحوائجهم ، لايحجب عنه أحد[(٣)] وقد روى أن أصحاب الحوائج كانوا ينتظرون على باب يحيى[(٤)] ، بل ان الفضل بن الربيع دخل على يحيى بن خالد وهو جالس للحوائج - وابنه جعفر يوقع بين يديه - فعرض عليه رقعة له[(٥)] وقد كان أهل البلدان يرفعون الى يحيى شكاياتهم فى الولاه والعمال فينظر فيها ويصدر أوامره[(٦)] .

وكان يحيى هو الذى يعين بعض كبار موظفى الدولة ، فقد ولى فى سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م الفضل بن الربيع ديوان النفقات ، وقلد ثابت بن موسى ديوان العراقين وخراج الشام[(٧)] . كما ولى

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٣٥/٨ ، وكان ذلك سنة ١٧١هـ . ذلك أنه عندما تولى الوزارة يحيى سنة ١٧٠هـ كانت الدواوين كلها اليه سوى ديوان الخاتم فانه كان الى أبى العباس الطوسى . انظر : الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٨ ، وقال فى موضع آخر انه يجلس لأمور المتظلمين ص/١٨٨،٢٢٦،٢٣٠ ، أيضا ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٨ .

(٥) التنوخى : نشوار ١٩٤/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣٧/٤-٣٨.

(٦) الجهشيارى : الوزراء ص/٢١٦-٢١٧ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٥٠١ .

(٧) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧،١٨٩ . ويذكر الطبرى والجهشيارى أن يحيى بن خالد عين رجلا على بعض أعمال الخراج بالسواد فدخل على الرشيد يودعه ، تاريخ ٣٥٢/٨-٣٥٣ ، الوزراء ص/٢٣٣ . وقال الجهشيارى أن يحيى عرض على أبى عبيد الله معاوية بن يسار أن يوليه ديوان الرسائل وديوان الخاتم وديوان الزمام فأبى واعتذر . كما ذكر أن العمال كانوا يستعفون من يحيى عن أعمالهم ، الوزراء ص/١٧٩ ، وقد كان يولى ويعزل ولاه الدواوين . الثعالبى : ثمار القلوب ص/١٥٢ .

امرة الموصل أحمد بن يزيد السلمى ثم ولاه بعد الموصل ثغور أرمينية (١) .

وكان يحيى يشرف على الأمور المالية فى الدولة ، فقد قام عمر بن مطرف (٢) بعمل تقدير لما يحمل الى بيت المال بالحضرة – العاصمة – من جميع النواحى من المال والأمتعة وعرضه على يحيى بن خالد (٣) .

وقد استقل يحيى بمكاتبة العمال ، يقول الجهشيارى : "كانت الكتب التى تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد ولم تكن تنفذ الا عن الخليفة ، وكان أبو العباس الطوسى (٤) يتعقد فى ختم الكتب فشكا يحيى الى الرشيد تأخر الكتب ، فأمره أن يكاتب العمال عن نفسه وأمر كاتبه أن يكتب عنه فى المهم ، وأن يؤرخ الكتب باسم الكاتب" (٥) .

ونظرا لتفويض الرشيد يحيى بن خالد النظر فى أمور الخلافة فقد نسبت اليه بعض الاصلاحات والأعمال الادارية التى عادة مايقوم بها الخلفاء (٦) ، لذا وصفت المصادر يحيى بأنه القائم بأعباء الخلافة وليس وزيرا مفوضا فحسب ، حيث يقول

---

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٩٥ ، وكان ذلك نحو سنة ١٨٣هـ .

(٢) هو : عمر بن مطرف العبدى ، من بنى عبد القيس ، أبو الوزير ، كاتب باحث من أهل مرو ، كتب للمنصور ثم ولى ديوان المشرق للمهدى والهادى والرشيد ، توفى نحو سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م .
انظر : الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨١ ، الزركلى : الأعلام ٦٧/٥ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨١-٢٨٨ ، أيضا الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٢٨-٢٩ .

(٤) كان اليه الخاتم أيام الرشيد ولما توفى دفعه الرشيد الى يحيى بن خالد ثم الى جعفر بن يحيى ثم رده الى يحيى ثم صار فى يد الرشيد . انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٥ . ويذكر الطبرى أن الرشيد أعطى الخاتم يحيى سنة ١٧١هـ . تاريخ ٢٣٥/٨ .

(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٨ .

(٦) انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ .

ابن طباطبا عند ذكره لوزارة يحيى : "... نهض يحيى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض ، وسد الثغور وتدارك الخلل ، وجبى الأموال وعمر الأطراف ، وأظهر رونق الخلافة ، وتصدى لمهمات المملكة ..." (١) . بل انه يبين مدى سلطات البرامكة بقوله : ان الرشيد "لما بويع بالخلافة استوزر كاتبه قبل الخلافة يحيى بن خالد بن برمك وظهرت دولة بنى برمك منذ حينئذ" (٢) . حتى ان اليعقوبى يقول : "كان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وجعفر والفضل ابناه صدرا من خلافته حتى ماكان له معهم أمر ولانهى ، فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة اليهم سبع عشرة سنة" (٣) . ويصف ابن العمرانى البرامكة بأنهم كانوا مستولين على الدولة ومتولين على الدنيا بالكلية (٤) ، كما يقول الأزدى : "استوزر الرشيد يحيى وفوض اليه المشرق والمغرب وكان يسميه أبى ويسمى الفضل أخى .. وكان قد قاسمهم المملكة ثم زاد حتى أعطاهم جميعها" (٥) . بل ان الطبرى يروى أن محمد بن الليث الواعظ رفع رسالة الى الرشيد يقول له فيها : "ان يحيى بن خالد لايغنى عنك من الله شيئا وقد جعلته فيما بينك وبين الله ، فكيف أنت اذا وقفت بين يديه فسألك عما عملت فى عباده وبلاده فقلت : يارب انى استكفيت يحيى أمور عبادك ، أتراك تحتج بحجة يرضى بها" (٦) .

---

(١) الفخرى ص/١٩٨ .
(٢) الفخرى ص/١٩٧ .
(٣) تاريخ ٤٢٩/٢ .
(٤) الانباء ص/٧٩ .
(٥) أخبار الدول ص/١٣٨-١٣٩ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٢٨٨/٨ . انظر رواية تناقلتها المصادر تنسبها الى يحيى بن خالد فى الغالب ، وان كان البعض منها نسبها الى الفضل بن يحيى ، تدل على أن العمال كانوا يقصدون يحيى فى قضاء حوائجهم . انظر : الجهشيارى : الوزراء ص/١٨٢-١٨٣ ، الأصفهانى : الأغانى ٤٢٠/٥-٤٢٢ ، الخطيب : تاريخ ١٣١/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٢٢٢/٦-٢٢٣ .
=

أما جعفر بن يحيى فانه بلغ من الرشيد مبلغا لم يبلغه وزير من خليفة[1] ، فقد كان "من علو القدر ونفاذ الأمر وعظم المحل وجلالة المنزلة .. بحال انفرد بها ولم يشارك فيها"[2] حتى ان ابن خلدون يصفه بقوله : ".. دعى جعفر بالسلطان أيام الرشيد اشارة لعموم نظره وقيامه بالدولة ، فلم يخرج عنه من المراتب السلطانية كلها الا الحجابة التى هى القيام على الباب ، فلم تكن له لاستنكافه من مثل ذلك"[3] ، ويقول الجهشيارى : "ان جعفراً غلب على الرشيد غلبة شديدة ، حتى صار لايقدم عليه أحدا"[4] . بل ان ابن دحية (ت ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) يقول : "ثم زاد الخليفة هارون لجعفر مع الوزارة الملك .. وأمر الناس بالركوب اليه والسلام عليه ، وأعطاه خاتم الملك وأمر أن يختم به كيف أراد ، بأمره ورضاه ، حتى بلغ من ميته فى الدنيا مالم يبلغه سواه"[5] . وقد كان جعفر تولى امرة أقاليم واسعة ، اضافة الى اشرافه على بريد الآفاق[6]

= وانظر عن استبداد البرامكة بالأموال الطبرى : تاريخ ٩/١٢٦،١٢٧،٢٩١ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٢٧،٢٤٢-٢٤٤، ٢٤٩-٢٥٠ ، المسعودى : مروج الذهب ٣/٣٦٨ ، ابن طباطبا الفخرى ص/٢٠٩ ، ابن خلدون : المقدمة ص/١٥-١٦ .

(١) الاتليدى : اعلام الناس ص/١٢٣ ، وعن منزلة جعفر لدى الرشيد انظر أيضا : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٧٢-٧٣ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٢-٢٦٣ ، الأصفهانى : الأغانى ٥/٤٢٠-٤٤٢ ، التنوخى : الفرج ١/٣٦٤-٣٦٥ ، ابن خلكان : وفيات ١/٣٣٠-٣٣١ ، اليافعى مرآة الجنان ١/٤٠٦ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٧/١٥٢ ، ابن خلكان : وفيات ١/٣٢٨ ، اليافعى : مرآة الجنان ١/٤٠٤ ، القرمانى : أخبار الدول ص/١٥٠ .

(٣) المقدمة ص/٢٣٨ ، أيضا ابن الأزرق : بدائع السلك ١/١٨١

(٤) الوزراء ص/١٨٩ .

(٥) النبراس ص/٣٨-٣٩ ، أيضا الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٠ ، وقد كان الرشيد أعطى الخاتم جعفر بن يحيى انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٥ ، الطبرى : تاريخ ٨/٢٦٥ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٧ ، ابن خلكان : وفيات ٤/٢٧ .

(٦) انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٩٠ ، حيث يذكر أن جعفراً تولى المغرب كله من الانبار الى افريقية ، نقلها ابن خلكان : وفيات ٤/٢٩ ، وانظر عن ولايته للبلدان ، اليعقوبى : تاريخ ٢/٤١٠ ، الطبرى : تاريخ ٨/٢٥٢،٢٥٥، ٢٦٦ .

ودور الضرب والطرز فى جميع الكور (١).

وتذكر المصادر ان جعفراً كان ينظر فى المظالم (٢)، ويقول الجهشيارى انه كان يجلس - مع أبيه يحيى - للناس جلوسا عاما فى كل يوم الى منتصف النهار ينظر فى أمورهم وحوائجهم (٣) فكثر المتظلمون على بابه (٤). وقد ذكر انه جلس يوما للمظالم فوقع فى ألف قصة ونيف ثم أخرجت فعرضت على العمال والقضاه والكتاب وكتاب الدواوين فما وجد فيها شئ مكرر ولاشئ يخالف الحق (٥).

ولم يكن الفضل بن يحيى أقل منزلة من أخيه جعفر بل ان ابن كثير يقول:"كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر، وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص" (٦)، كما يذكر صاحب الفخرى أن الفضل دعى بالوزير الصغير لأنه كان يخلف أباه يحيى بن خالد فى الادارة، ويتضح من روايته أن الفضل كان يتولى أعمالا أكثر من أعمال جعفر (٧).

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٤، انظر أيضا المقريزى : اغاثة الأمة ص/٦٠.

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٩٠، انظر أيضا ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٩/٤، الأصفهانى : الأغانى ٢٣٨/١٨.

(٣) الوزراء ص/١٧٧، ويقول الخطيب انه كان ينظر فى حوائج الناس. تاريخ ١٥٤/٧.

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/٢١٠، ٢١١. حيث يقرأ كتب المتظلمين ويأمر فيها برأيه.

(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٤، أيضا الخطيب : تاريخ ١٥٢/٧، ابن خلكان : وفيات ٣٢٩/١، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٩.

(٦) ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م ٢١١/١٠.

(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٥. وعن الأعمال التى تولاها الفضل انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٩٠ حيث ذكر أنه تولى المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك. انظر عن ولايته لمناطق اخرى. الطبرى : تاريخ ٢٤٠/٨، ٢٤٢، ٢٥٧، اليعقوبى : تاريخ ٤٢٦/٢، ابن أعثم : الفتوح ٢٥٤/٨، الخطيب : تاريخ ٣٣٤/١٢، ابن خلكان : وفيات ٢٨/٤، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٦٧.

كما كان أيضا يباشر النظر مع أبيه فى حوائج الناس[(١)] . وقد سلم الرشيد اليه خاتم الخلافة قبل أخيه جعفر[(٢)] .

ان دور وزراء الرشيد من البرامكة فى الرقابة نابع من السلطات التى منحت لهم ، فهم بلاشك لم يكونوا وزراء تفويض فحسب بل تعدوا ذلك الى الاستبداد بالأمور دون الخليفة ، غير أن ذلك لم يكن منهم فى كل الأحوال ، فقد سبقت الاشارة الى أن الرشيد لم يكن بعيدا عن مباشرة مهام الخلافة كما تصوره بعض روايات المصادر . وانما تمتع البرامكة بسلطات لم تكن لأسلافهم من الوزراء ، وهذا جعل الرواه يبالغون فى وصف دور البرامكة فى ادارة شئون الدولة زمن الرشيد .

لقد كان دور البرامكة الرقابى يتمثل فى اشرافهم على الأمور المالية من موارد ونفقات ، وهذا جعل دواوين الخراج وبيت المال والنفقات ، ودور السكة والضرب ، تحت ادارتهم ، أضف الى ذلك انهم كانوا يشرفون على ديوان الرسائل باعتبارهم يقومون بمهمة الوزراء الكتابية ، اضافة الى وجود خاتم الخلافة بايديهم ، هذا مع دورهم فى اختيار بعض أصحاب المناصب ولكن فى حالات نادرة ، مع صلاحية عزل من يولون كغيرهم من وزراء التفويض[(٣)] .

ولعل أبرز عمل رقابى كانوا يقومون به هو جلوسهم لرد المظالم ، حيث ان ذلك يتبعه الأخذ على يد الولاه والعمال ، ومحاسبتهم على تصرفاتهم .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٠٧ ، ابن خلكان : وفيات ٢٧/٤ ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٥ .
(٣) مع ملاحظة أن دورهم غالبا لايتعدى المشورة وابداء الرأى فى التولية والعزل ، انظر مبحث الاشراف والتوجيه ، البحث .

وعندما ولى الرشيد الفضل بن الربيع وزارته لم يجعل تحت يده ادارة الأعمال التى كان يقوم بها البرامكة ، حيث كان يشاركه العديد من الشخصيات فى الاشراف على الدواوين . يقول الجهشيارى : "لما شخص الرشيد الى خراسان لانتقاضها برافع بن الليث .. شخص معه اسماعيل بن صبيح وكان يتقلد ديوان الرسائل وديوان الموافى وديوان السر ، وشخص معه أيوب بن أبى سمير يعرض عليه ، وكان الفضل بن الربيع يعرض عليه " (١) .

ونلاحظ أن المسعودى يضع الفضل بن الربيع واسماعيل بن صبيح فى مرتبة واحدة من النفوذ الادارى والسياسى ، حيث يقول : "غلب عليه الفضل بن الربيع ، واسماعيل بن صبيح الى أن مات" (٢) .

وقد ذكر الطبرى أنه فى سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م أخذ الرشيد الخاتم من جعفر بن يحيى وأعطاه الفضل بن الربيع ، كما ولاه نفقاته العامة والخاصة (٣) ، ويذكر المسعودى ان الرشيد دفع الخاتم بعد أن نكب البرامكة الى على بن يقطين (٤) . ويتضح من رواية لابن خياط ان الرشيد لم يعط الخاتم أحدا بعد البرامكة حيث جعله فى يده (٥) .

لقد عادت اختصاصات الوزير الى سابق عهدها الذى كانت عليه قبل تسلط البرامكة ، فاقتصرت صلاحيات الوزير على

---

(١) الوزراء ص/٢٦٦ ، انظر أيضا عن توزيع السلطات ص/٢٧٧ .
(٢) التنبيه ص/٢٩ ، ويقول الأزدى ان الرشيد استوزر الفضل ابن الربيع . وغلب عليه اسماعيل بن صبيح حتى مات . أخبار الدول ص/١٤٦ ، فى حين يقول ابن خياط عن الرشيد "صاحب أمره كله – بعد البرامكة – الفضل بن الربيع" ص/٤٦٥ .
(٣) تاريخ ٢٣٨/٨ ، وقال وولاه بادويا والكوفة وهى خمسة طساسيج .
(٤) التنبيه ص/٢٩٩ ، أيضا الأزدى : أخبار الدول ص/١٤٦ .
(٥) تاريخ ص/٤٦٥ .

النفقات وعرض الرسائل والشكايات على الخليفة [(١)] .

وعندما تولى الأمين الخلافة أبقى الفضل بن الربيع فى منصب الوزارة ومنحه سلطات واسعة ، جعلته يشرف على عدة أعمال فى الدولة ، فكان دوره بارزا فى الرقابة ، يقول الخطيب : "لما أفضت الخلافة الى الأمين قدم الفضل عليه من خراسان وكان فى صحبة الرشيد الى أن مات بطوس ، فأكرم الأمين الفضل وألقى أزمة الأمور اليه ، وعول فى مهماته عليه وقلده أموره وأعماله ، وفوض اليه ماوراء بابه ، فكان هو الذى يولى ويعزل ، وتخلى محمد لتوديع يديه ، واحتجب عن الناس فلم يكن يقعد الا فى الدهر .." [(٢)] ، ويورد ابن أعثم نصا مشابها لنص البغدادى الا أن عباراته تحمل معانى أكثر للتفويض حيث يقول : انه عندما قدم الفضل بن الربيع على الأمين بعد وفاة الرشيد ، فرح "به فرحا شديدا وقربه وأدناه وجعله وزيره وصاحب أمره وأعماله ، وفوض اليه ماوافى به [(٣)] .. فكان الفضل بن الربيع هو الذى يولى الأمور والولاه ويعزلهم ، ويرفع من أراد رفعه ويضع من أراد وضعه .. واحتجب الأمين فلم يكن يصل اليه أحد ولايجلس للناس الا فى فرط ، وكان الفضل بن الربيع هو المتولى لجميع الأمور ، وأسباب الملك وتدبيرها .." [(٤)] .

---

(١) أشار الجهشيارى الى أن الفضل بن الربيع كان يعرض على الرشيد ، ويتولى نفقاته وتدبير أموره حتى مات ، الوزراء ص/٢٦٦،٢٧٧ . وجعل الرشيد الاشراف على دور الضرب والسكة للسندى بن شاهق . انظر المقريزى : اغاثة الأمة ص/٦١ .

(٢) تاريخ ١٢/٣٤٣-٣٤٤ .

(٣) قدم الفضل الربيع على الأمين من خراسان بعد موت الرشيد وكانت معه الخزائن وبيوت الأموال والقضيب والخاتم . انظر : اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٣٤ ، الخطيب : تاريخ ١٢/٢٤٤ .

(٤) الفتوح ٨/٢٨٨ .

ويوضح الطبرى فى رواية له أن الفضل بن الربيع كان يتولى اعطاء الجند أرزاقهم ، فقد كتب الأمين الى أخيه صالح ابن الرشيد الذى كان هو والفضل بن الربيع فى خراسان عندما توفى الرشيد ".. ان أمرت لأهل العسكر بعطاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم على دواوين يتخذها لنفسه بمحضر من أصحاب الدواوين ، فان الفضل بن الربيع لم يزل يتقلد ذلك لمهمات الأمور .." (١) .

ويذكر اليعقوبى مايفيد تمتع اسماعيل بن صبيح بنفس سلطات الفضل بن الربيع حيث يقول عن الأمين : "كان الغالب عليه اسماعيل بن صبيح الحرانى ، والفضل بن الربيع" (٢) ، غير أن الجهشيارى يشير الى أن اسماعيل بن صبيح كان يعرض على الأمين "أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال" (٣) ، ويذكر غيره من المصادر أن ابن صبيح كان يتولى مع على بن صالح "ديوان التوقيعات والرسائل" (٤) كما وصف ابن صبيح بأنه كاتب سر الأمين (٥) .

وفى عهد المأمون نجد أن وزيره الفضل بن سهل استطاع أن يتمتع بسلطات وصلاحيات كبيرة ، حتى استقل بتدبير شئون الدولة (٦) ، فقد فوض اليه المأمون حين استخلف أموره كلها

---

(١) تاريخ ٣٦٩/٨ .
(٢) تاريخ ٤٤٢/٢ .
(٣) الوزراء ص/٢٩٩ .
(٤) الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٣-١٧٤ .
(٥) ابن منظور : ملحق الأغانى ٨٢/٢٥ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٨/٨ ، وقال ابن قتيبة : كان كاتب الأمين . المعارف ص/٣٨٤ .
(٦) أشارت عدة مصادر الى مدى سلطة الفضل بن سهل . انظر فى ذلك اليعقوبى : تاريخ ٤٧٠/٢ ، قال : "كان الغالب عليه فى خلافته ذو الرياستين .." ، انظر أيضا مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٦٢م ص/٢٧ ، الدينورى : الأخبار ص/٣٩٥ ، الجهشيارى : الوزراء =

وسماه ذا الرياستين لتدبير أمر السيف والقلم (١) ، كما كان يؤمر مع الوزارة وهو أول وزير لقب وأول وزير اجتمع له اللقب مع التأمير (٢) .

وتذكر روايات المصادر أن الفضل بن سهل كان بيده تولية بعض عمال الدولة وعزلهم . يقول ابن طباطبا : "لما علت حال الفضل وتولى الوزارة قصده مسلم بن الوليد فلما رآه سر به وقال له هذه الدولة التى يدفع فيها حالك الحال وأمر له بثلاثين الف درهم وولاه بريد جرجان .." (٣) . ويقول ابن ظفر المكى (ت ٥٦٧هـ/١١٧١م) : "ان الفضل بن سهل أرسل وهب ابن سعيد الى فارس محاسبا لعمالها ، فبلغه أنه خان فعزله

= ص/٣٠٥ ، قال : "رد التدبير الى ذى الرياستين وأمضاه على رأيه" ، ابن الداية : أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) : المكافأة وحسن العقبى ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون ص/٤٧ ، يقول : "غلب الفضل بن سهل على المأمون بخراسان وخلفه على جميع أمره" . المسعودى : مروج الذهب ٤١٧/٣ ، التنبيه ص/٣٠٤ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٢٠١،٢٠٢ ، يقول : "وبلغ من الغلبة عليه الغاية .. وكان يغلب على المأمون كيف شاء" . الخطيب البغدادى : تاريخ ٣٤٠/١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٤١/٤،٤٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٠ .

(١) الخطيب : تاريخ ٢٤٠/١٢ . وقيل فى معنى (ذو الرياستين) رياسة الحرب والتدبير ، وقيل رياسة الحرب والقلم ، وقيل الوزارة والسيف أو السيف والقلم ، انظر فى ذلك :
الطبرى : تاريخ ٤٢٤/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٥ ، ابن خلكان : وفيات ٤١/٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢١ الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٠٤ ، أبو الفداء : المختصر ٢٠/٢ ، الابشيهى : محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) : المستطرف فى كل فن مستظرف ، دار احياء التراث العربى بدون ٣٨/٢ ، حيث قال : "يدبر أمر السيف والقلم وولى رياسة الجيش والدواوين" .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٦ ، وقال ابن طباطبا : "يقال له الوزير الأمير" الفخرى ص/٢٢١ . وقد سبق أن أمر يحيى بن خالد مع الوزارة ولكن لم يلقب أيضا كما هو حال الفضل بن سهل .

(٣) الفخرى ص/٢٢١ ، أيضا الأصفهانى : الأغانى ٥٠/١٩ ، وقال ابن خلكان : ولى مسلم بن الوليد جرجان — ولم يحدد — وفيات ٢٦٨/٢ .

وسخط عليه ، وبعث به الى أخيه الحسن بن سهل لينظر فى أمره .." .(١)

وقد أعلى المأمون من منزلة الفضل بن سهل حين كتب له "الكتاب الذى سماه كتاب الشرط والحباء ، يصف فيه طاعته ونصيحته ، وعظته وعنايته ، وذهابه بنفسه عن الدنيا ، وارتفاعه عما بذل من الأموال والقطائع والجوهر والعقد ، ويشرط له على نفسه كل مايسأل ويطلب ، لايدفعه ولايمنعه ، ووقع فيه المأمون بخطه ، وأشهد على نفسه"(٢) حيث جاء فى نص هذا الكتاب : ".. وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول فى كل شىء فيسمع منه ، لاتتقدمك مرتبة أحد مالزمت ماأمرتك به من العمل لله ولنبيه ، والقيام بصلاح دوله أنت ولى بقيامها" .(٣)

والحق أن الفضل بن سهل كان غالبا على المأمون منذ أن كان وليا للعهد(٤) ، وكان يطمع بمنزلة عالية متى تولى المأمون الخلافة ، فقد أوضح لأبى محمد اليزيدى - مؤدب المأمون عندما جرت بينهما محاورة والمأمون آنذاك ولى للعهد ، انه لم يصحب المأمون الا ليجوز حكم خاتمه فى الشرق والغرب "فما طالت المدة حتى بلغ الأمل" .(٥)

---

(١) أنباء نجباء الأبناء ص/١٣٦ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٥١/٢ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٦ ، أيضا الحميرى : الروض المعطار ص/١٣٦ ، وينص الجهشيارى أن المأمون كتب هذا الكتاب سنة ١٩٦هـ فى حين يفهم من نص اليعقوبى أنه كتب قبل مغادرة المأمون مرو بفترة قصيرة ، أى حوالى سنة ٢٠١هـ .
(٤) انظر : الطبرى : تاريخ ٨/٣٧١،٣٧٦،٣٧٧،٣٨١، الجهشيارى الوزراء ص/٢٦٦،٢٨٩-٢٩١ ، الخطيب : تاريخ ٣٢٠/٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٢١/٢ .
(٥) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٨٠ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢١-٢٢٢ .

لقد استطاع الفضل بن سهل أن يستولى على أمور الدولة حتى ان الناس بالعراق تحدثوا بينهم "ان الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وانه قد أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وانه يبرم الأمور على هواه ، ويستبد بالرأى دونه ، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بنى هاشم ووجوه الناس وانفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون .. وهاجت الفتن فى الأمصار .[1]

وبعد مقتل الفضل بن سهل سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م استوزر المأمون الحسن بن سهل الذى لم يكن له نفوذ أخيه الفضل ، لأن المأمون أخذ يشرف على شئون دولته بنفسه ، حيث أصبحت مهمة الوزير الرئيسية هى الكتابة بين يدى الخليفة ، والقيام بعرض الرسائل والشكايات عليه . وهذا هو حال الحسن ابن سهل ومن تلاه من وزراء المأمون اذا استثنينا يحيى بن أكثم .[2] يقول المسعودى : "لم يملك المأمون بعد الفضل بن

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٢٨/٨-٥٢٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦-٤٢٠ ، العيون والحدائق ٣٤٦/٣ . وقد كان الفضل ابن سهل هو الذى ينظر فى كتب الأخبار ويجيب عليها ، انظر التنوخى : الفرج ٣٤٩/٢ ، وانظر أيضا رواية توضح استقلاله بمكاتبة العمال وانهم كانوا يرفعون اليه شكواهم ، الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠٨ . يقول د. فاروق عمر : "نستطيع أن نتبين من السكة التى ضربت على نقود الأقاليم الشرقية والتى ظهر عليها اسم الفضل بن سهل وألقابه مدى نفوذ الفضل الذى امتد بعد سقوط بغداد وتعيين أخيه الحسن بن سهل واليا عليها ليشمل النقود المضروبة فى بلاد الشام ومصر وهذا يدل على أن الفضل ابن سهل كان وزيرا ذا سلطات واسعة تقارب سلطات البرامكة حيث ظهر اسمه على النقود الى جانب الخليفة" الجذور التاريخية للوزارة ص/١٥٥ .

(٢) يقول الخطيب البغدادى عن يحيى بن أكثم "غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعا .. حتى قلده قضاء القضاه وتدبير أهل مملكته فكان الوزراء لايعملون فى تدبير الملك شيئا الا بعد مطالعة يحيى بن أكثم" . تاريخ ١٩٧/١٤-١٩٨ ، أيضا ابن خلكان وفيات ١٤٧/٦-١٤٨ . ويذكر الثعالبى أن يحيى بن أكثم كان موضع سر المأمون يشاوره فى مهماته ، ثمار القلوب =

سهل كتابة أمره لقيامه بالملك ، واضطلاعه به ، ولم ير أحد أنه مفتقر الى وزير يشركه فى تدبيره .." (١) .

وفى عهد المعتصم استعاد الوزراء نفوذهم مرة أخرى ، فقد وصف الطبرى أول وزراء المعتصم الفضل بن مروان — على قلة كفاءته — بأنه "صاحب الخلافه وصارت الدواوين كلها تحت يديه وكنز الأموال" (٢) . ويضيف قوله : "وذكر أن المعتصم لما

= ص/١٥٦ ، ويبدو أن يحيى كان يشرف على الشئون المالية أيضا فقد جاء فى وصية المأمون لولى عهد المعتصم "لاتتخذ بعدى وزيرا تلقى اليه شيئا فقد علمت مانكبنى به يحيى بن أكثم فى معاملة الناس وخبث سيرته .. بما صنع فى أموال الله وصدقاته" . تاريخ ٦٤٩/٨ .

(١) التنبيه ص/٣٠٤ . ويقول الأزدى : "قيل ان المأمون لم يستوزر بعد الفضل أحدا وانما كانوا كتابا" . أخبار الدول ص/١٦٨ . أيضا ابن أبى السرور : على بن محمد بن أبى السرور الرومى : بلغة الظرفاء الى معرفة تواريخ الخلفاء ، مخطوط ميكروفلم ، مكتبة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ١٣٦٧ تاريخ لوحة ١٣١ . ويقول صاحب العيون والحدائق : "قيل انه لم يستوزر بعد الحسن بن سهل وانما كانوا حجابه" ٣٧٩/٣ . ولم تشر المصادر الى تسلط وزراء المأمون بعد الفضل بن سهل وانما ذكروا بانهم غلبوا على المأمون فى اشارة الى انهم كانوا وزراء ، وهم الحسن بن سهل ، وأحمد بن أبى خالد ، وأحمد بن يوسف ، وعمرو بن مسعدة ومحمد بن يزداد . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٠/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤١٧/٣ ، وقد ذكره ابن طباطبا أن محمد بن يزداد "استوزره المأمون وفوض اليه جميع الأمور" ، الفخرى ص/٢٢٨ . كما يذكر التنوخى أن المأمون كلف محمد بن يزداد أن يعاقب أحد عمال الخراج نشوار ١٣٢/١ ، كما ذكر دور أحمد بن أبى خالد فى المشورة عند اختيار والى خراسان طاهر بن الحسين . انظر ابن طيفور : بغداد ص/١٧ ، ابن أعثم : الفتوح ٣١٦/٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٢٤ . وقد أشير الى أن الحسن بن سهل كان يكتب بعض التوجيهات لصاحب الشرطة ولبعض الولاه المتظلم منهم ، اذ ربما نظر فى المظالم ، انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٢٠/٤ . وقد طلب المأمون منه مناظرة أحد العمال . انظر ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣ . وكان الحسن يولى بعض العمال ولكن بعد اذن المأمون ، اليعقوبى : تاريخ ٤٥٥/٢ ، ويذكر القيروانى أن المأمون أخرج توقيع جاء فيه : الحسن بن سهل زمام "على ماجمع أمور الخاصة وكنف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاه ، واليه الخراج والبريد واختيار القضاه" . زهر الآداب ٤٧٨/٢ . ولم تشر المصادر الى واقع حال الوزير ثابت ابن يحيى بن يسار .

(٢) تاريخ ١٩/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٧٩/٦ ، العيون والحدائق ٣٨٣/٣-٣٨٤ .

استوزر الفضل بن مروان حل من قبله المحل الذى لم يكن أحد يطمع فى ملاحظته فضلا عن منازعته ، ولافى الاعتراض فى أمره ونهيه وارادته وحكمه ، فكانت هذه صفته ومقداره حتى حملته الدالة وحركته الحرمة على خلافه فى بعض ماكان يأمره به .. ومنعه ماكان يحتاج اليه من الأموال فى مهم أموره "[(١)] .

ويبين ابن خلكان منزلة الفضل بن مروان لدى المعتصم بقوله : "فوض اليه وزارته .. ورد أموره كلها اليه ، فغلب عليه بطول خدمته وتربيته اياه واستقل بالأمور وكذلك كان فى أواخر ولاية المأمون فانه غلب عليه كثيرا "[(٢)] ، أما أبو الفداء فيلخص وضع الفضل بن مروان بقوله : "وكان قد استولى على الأمور بحيث لم يبق للمعتصم معه أمر "[(٣)] .

ويبدو أن الوزيرين التاليين للمعتصم - أحمد بن عمار ابن شاذى ، ومحمد بن عبد الملك الزيات - تمتعا بسلطات أقل نظرا لاتساع نفوذ قادة الجيش من الأتراك[(٤)] ، اضافة الى اعطاء المعتصم قاضى قضاته أحمد بن أبى دؤاد صلاحيات كبيرة بلغ

---

(١) الطبرى : تاريخ ٩/٢٠-٢١ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٣٩/٦
(٢) وفيات ٤٥/٤ .
(٣) المختصر ٣٣/٢ . ويبدو من رواية للطبرى أن الفضل كان يشرف على الشئون المالية فى الدولة ، تاريخ ٢١/٩ ، وفى رواية لابن خلكان مايفيد جلوس الفضل لقضاء حوائج الناس ، وفيات ٤٥/٤ ، ويجعل اليعقوبى الفضل بن مروان وابن أبى دؤاد فى منزلة واحدة حيث يقول : "كان الغالب عليه أحمد بن أبى دؤاد ، والفضل بن مروان الكاتب" ، تاريخ ٤٧٨/٢ .
(٤) يعتبر عهد المعتصم بداية النفوذ التركى فى الدولة العباسية .. وقد أدى تسلط الأتراك على الخلافة الى ضعف مركز الوزير ، وانتقلت السلطة الفعلية الى زعماء الأتراك .. فقد ضعفت سلطة الوزير السياسية والعسكرية نتيجة استبداد الأتراك بالحكم ولم تعد سيطرة الوزير الا على الجباية والاشراف على الأمور الادارية ، غير تعيين الولاه الذى أصبح تعيينهم متوقفاً على رغبة الأتراك" . د. توفيق اليوزبكى : الوزارة ص/١١٩،١٢٧ .

معها منزلة تفوق منزلة الوزراء (١) ، ومع ذلك نجد ابن خلكان يصف ابن الزيات ـ آخر وزراء المعتصم ـ بما يدل على قوة نفوذه ، حيث يقول : "استوزره وحكمه وبسط يده" (٢) .

وعندما تولى الواثق الخلافة أبقى ابن الزيات على الوزارة طول فترة خلافته وكان قد منحه سلطات أكثر من تلك التى تمتع بها فى عهد المعتصم (٣) ، حيث رفع منزلته وزاد فى احترامه حتى "أمر أن لايرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الا قام له" (٤) .

وقد كان ابن الزيات يولى العمال (٥) حتى أصبح يعين ولاة المناطق التابعة لادارة العاصمة المحلية ، وهى سابقة لم

---

(١) انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٨/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤٥٩/٣ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٢/٣ ، ابن العمرانى الانباء ص/١٠٧ حيث يقول : "وكان القاضى أحمد بن أبى دؤاد .. ترقت به المراتب الى أن صار قاضى القضاه .. وصار يحكم فى الدولة ويولى الوزراء وولاة الأمصار ويعزلهم" .
انظر أيضا ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ ، يقول عن منزلة ابن أبى دؤاد لدى المعتصم ".. وخص به أحمد ـ ابن أبى دؤاد ـ حتى كان لايفعل فعلا باطنا ولاظاهرا الا برأيه" .

(٢) وفيات ٩٥/٥ ، وقد وصفه ابن طباطبا بقوله : "فنهض بأعباء الوزارة نهوضا لم يكن لمن تقدمه من أضرابه" الفخرى ص/٢٣٤ . ويشير الابشيهى الى أنه ربما جلس للمظالم ، المستطرف ١٠٥/١ ، وقد ذكر كل من التنوخى وابن طباطبا عظمة منزلته عند المعتصم حتى أوحش ذلك قلب ولى العهد ـ الواثق ـ نشوار ١٧/٨ ، الفخرى ص/٢٣٤ ، أما عن دور الوزير أحمد بن عمار بن شاذى ، فيقول المسعودى عند الحديث عنه أن المعتصم استوزره ثم يقول "وقيل بل كان خاصا به يتولى عرض الكتب عليه ولم يكن وزيرا" . التنبيه ص/٣٠٨ .

(٣) انظر ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٤ ، يقول : ان الواثق "استوزره وقدمه وفوض الأمور اليه" . وينقل ابن العمرانى عن المتوكل قوله فى وصف منزلة ابن الزيات زمن الواثق "كان أخى الواثق يعظمه حتى بلغ من اعظامه لمكانته ورفعة لقدره أن أمر أن يضرب اسمه على الدنانير والدراهم ويكتب على الطراز والتراس والأعلام" الأنباء ص/١١٧ .

(٤) ابن خلكان : وفيات ٨٥/١ ، ١٠٢/٥ .

(٥) انظر : الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/٢٠٣ ، وربما نظر فى المظالم ، انظر الطبرى : تاريخ ١٤١/٩ ، وعن سلطاته انظر أيضا الأصفهانى : الأغانى ١٠٠/١٢ ، ٣٧٤/١٣-٣٧٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٦ .

يعهد لوزير من قبل ـ خلال العصر العباسي ـ القيام بها ، وفي ذلك يقول الطبري : انه في سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م "عقد محمد ابن عبد الملك الزيات لاسحاق بن ابراهيم بن خميصة ـ مولى قشير ـ على اليمامة والبحرين وطريق مكة مما يلي البصرة في دار الخلافة ، ولم يذكر أن أحدا عقد لأحد في دار الخلافة الا الخليفة غير محمد بن عبد الملك الزيات" (١) .

غير أنه لم تكن جميع السلطة في يد ابن الزيات ، فقد شاركه فيها قاضي القضاه أحمد بن أبي دؤاد ، يقول المسعودي ان الواثق "غلب عليه أحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات فكان لايصدر الا عن رأيهما ولايعتب عليهما فيما رأياه وقلدهما الأمر وفوض اليهما ملكه" (٢) .

كما كان لزعماء الأتراك من قادة الجيوش سلطات نافسوا بها الوزير ابن الزيات يقول صاحب الأغاني "كانت الخلافة أيام الواثق تدور على ايتاخ وعلى كاتبه سليمان بن وهب وعلى اشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب" (٣) .

وعندما تولى المتوكل الخلافة أراد أن يحد من سلطة الوزراء وقوة نفوذهم ، فقام بعزل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات بعد توليه الخلافة بأربعين يوما (٤) ، ولم يختر لنفسه وزيرا بعد ابن الزيات وانما "استكتب رجلا من كتابه

---

(١) تاريخ ١٤٠/٩ .
(٢) مروج الذهب ٤٧٨/٣ . وعن منزلة ابن أبي دؤاد انظر اليعقوبي : تاريخ ٢٨٣/٢ ـ وقد أضاف أن عمر بن فرج الرخجي كان يغلب على الواثق أيضا ـ انظر عن ابن أبي دؤاد أيضا : الخطيب : تاريخ ١٨/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ١٤٦/٤ .
(٣) الأصفهاني : الأغاني ٢٨٧/٢ ، وقد تولى كل من ايتاخ واشناس أعمالاً ادارية كثيرة ، انظر في ذلك مبحث اختيار الولاه ، أيضا الموضوع التالي من هذا المبحث ـ رقابة الوالي ـ .
(٤) انظر مبحث اختيار الوزراء من هذا البحث .

يدعى أبا الوزير من غير أن يسمه بالوزارة ، فكتب له مديده يسيرة ثم نكبه " .(١)

وتذكر المصادر عودة المتوكل الى تولية وزير له هو محمد بن الفضل الجرجرائى الذى لم يكن له نفوذ يذكر خلال فترة وزارته القصيرة(٢) ، وبعد ذلك رأى المتوكل أن لايولى أحدا على الوزارة لاستغنائه بنفسه . يقول التنوخى : ان المتوكل "لما صرف محمد بن الفضل الجرجرائى عن وزارته قال استغنيت عن وزير لأن أصحاب الدواوين يعرضون أعمالهم على ، والتاريخ يجعل باسم وصيف التركى ، فاجرى الأمر على ذلك منه .. "(٣) .

ويبدو أن المتوكل لم يستطع الاستغناء كليا عن وزير يعينه على تحمل مسؤوليات الخلافة لذا نجده يبحث عن كاتب يكتب بين يديه فى المهم من أمره(٤) ، فوقع اختياره على عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، الذى نمت حاله بعد ذلك واصبحت له سلطات كبيرة بعد أن ولاه المتوكل وزارته(٥) ، يقول اليعقوبى موضحا السلطات التى تمتع بها ابن خاقان : ان المتوكل "رفعه وأعلى مرتبته ومحله ، وولاه وأمر أن يكتب مولى أمير المؤمنين – وكان ولاؤه فى الأزد – وأمره أن يأمر كتاب الدواوين أن يؤرخوا الكتب باسمه فاستعفاه من ذلك ، غير

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٧ .
(٢) انظر مبحث اختيار الوزراء من هذا البحث . وانظر ماذكره اليعقوبى من تولى أحمد بن محمد بن مدبر سبعة دواوين هامة خلال وزارة الجرجرائى . تاريخ ٤٨٨/٢ .
(٣) نشوار ٥٣/٨ . ويقول ان وصيفا انتصب منصب الوزارة وان كان لم يسم بها ١٣/٨ .
(٤) التنوخى : نشوار ١٢/٨-١٣ ، يقول : "طلب المتوكل لحدث من أولاد الكتاب يوقع بحضرته فى الأبنية والمهمات لأنه كان قد أسقط الوزارة بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائى ، واقتصر على أصحاب الدواوين وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم عليه .." ، ويقول أيضا ان المتوكل "احتاج الى كاتب يكون بين يديه فى الأبنية والتوقيعات فى المهم الذى يأمر به من حضرته فيها ، وفى غيرها الى أصحاب الدواوين وغيرهم" ٥٣/٨ .
(٥) التنوخى : نشوار ١٤/٨-١٥، ٥٣ .

انه كان يولى عمال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاه في جميع الدنيا ، ولم يكن لأحد معه عمل ، وكان مع ذلك محمودا عند الناس ، وصير أباه على المظالم ثم مات فصير مكانه عمه عبد الرحمن" (١) .

وقد أسند الى عبيد الله بن خاقان وظائف أخرى يشرف عليها ، حيث يذكر التنوخي أن المتوكل "قلده كتابة المعتز وخلع عليه ، ثم قلده كتابة المؤيد وخلع عليه ، وضم المتوكل الى بنيه بضعة عشر ألف رجل وجعل تدبيرهم الى عبيد الله ، فكان وزيرا أميرا ، فلما تمكن هذا التمكن بالجيش والمحل ، عارض ايتاخ وبطأ حوائجه وقصده ووضع من كتابه ولم يزل ذلك يقوى من فعله .." (٢) .

لقد منح الوزير عبيد الله بن يحيى سلطات كبيرة جعلت له دورا بارزا في الرقابة ، ذلك أنه كانت اليه الوزارة وعامة أعمال المتوكل (٣) ، فقد كان يختار العمال ويشرف على الدواوين وأمور الجند (٤) .

---

(١) تاريخ ٢/٤٨٨-٤٨٩ . ويقول في موضع آخر ان المتوكل "كان الغالب عليه الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الكاتب .. وان نجاح بن سلمه كان أغلب كتاب المتوكل عليه بعد عبيد الله بن يحيى" ٢/٤٩٢ . ويقول مسكويه : "كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والأمور منوطه اليه" . تجارب الأمم ٦/٥٥٢ ، وعن دور الفتح بن خاقان وغيره من القادة الأتراك انظر الموضوع التالي من البحث رقابة الوالي .

(٢) نشوار ٨/١٥-١٦ . ولدينا رواية لابن طباطبا توضح علاقة ابن خاقان بالجيش حيث يقول "كانت سيرة عبيد الله هينة والجند يحبونه" . الفخري ص/٢٣٨ .

(٣) الطبري : تاريخ ٩/٢١٥ .

(٤) انظر : اليعقوبي : تاريخ ٢/٤٨٨-٤٨٩ . أيضا الطبري : تاريخ ٩/٢١٧ ، فعندما توفي متولي ديوان التوقيع نجاح ابن سلمة سنة ٢٤٥هـ ضم المتوكل ديوان العامة الى عبيد الله بن خاقان ، ولما توفي موسى بن عبد الملك متولي ديوان الخراج ، صير المتوكل عبيد الله على هذا الديوان .

ثانيا : رقابة الوالى .[1]

تنقسم الولاية – أو الامارة – على الأقاليم والبلدان كما ذكرها الماوردى[2] الى قسمين رئيسيين :

* امارة عامة .

* امارة خاصة .

(أ) الامارة العامة :

وهى على ضربين "امارة استكفاء بعقد عن اختيار ، وامارة استيلاء بعقد عن اضطرار .

فامارة الاستكفاء التى تنعقد عن اختيار : تشتمل على عمل محدود ونظر معهود ، والتقليد فيها أن يفوض اليه الخليفة امارة بلد أو اقليم ولاية على جميع أهله ونظرا فى المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدودا من عمل ومعهودا من نظر ، فيشمل نظره فيه على سبعة أمور :

(١) خلال فترة البحث نجد أن أكثر المصطلحات لم يحدد مفهومها بعد بشكل دقيق ، لذا لم تكن واضحة الدلالة ومن ذلك كلمة والى وأمير وعامل ، غير انه من خلال الاستقراء نجد أن من يتولى ادارة بلد أو اقليم يطلق عليه مصطلح والى ، فعاده مايذكر أن الخلفاء كانوا يولون على البلدان والأقاليم ولاه ، ولم يطلق مصطلح أمير – خلال فترة البحث – للدلالة على من يتولى ادارة بلد أو اقليم ، فى حين أن مصطلح أمير متى خصص قصد به أكثر من منصب ، فهناك أمير المؤمنين – الخليفة – وأمير الجيش أو الحرب ، وأمير الحج .. الخ .
وقد جاءت كلمة الوالى مرادفة لكلمة العامل فى بعض المصادر المتقدمة – مثل تاريخ ابن خياط وتاريخ الطبرى – الا أن كلمة العامل ربما أطلقت على عامل الخراج ، وعامل الصدقات ، والعشور .. الخ . كما تطلق كلمة عامل على كل من يتولى عملا فى الدولة .

(٢) الأحكام السلطانية ص/٣٣،٣٢،٣٠ ، أيضا أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٣٧،٣٦،٣٤ .

أحدهـا : النظر فى تدبير الجيوش وترتيبهم فى النواحى وتقدير أرزاقهم الا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم .

الثانى : النظر فى الأحكام وتقليد القضاه والحكام .

الثالث : جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما ، وتفريق ما استحق منها .

الرابع : حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل .

الخامس : اقامة الحدود فى حق الله وحقوق الآدميين .

السادس : الامامة فى الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عنها .

السابع : تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه .

فان كان هذا الاقليم ثغرا متاخما للعدو اقترن بها ثامن وهو جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم فى المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس .

وتعتبر فى هذه الامارة الشروط المعتبرة فى وزارة التفويض ، لأن الفرق بينهما خصوص الولاية فى الامارة وعمومها فى الوزارة ، وليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق فى الشروط المعتبرة فيها .

أما امارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار : فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ويفوض اليه تدبيرها وسياستها ، فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير" .

(ب) الامارة الخاصة :

وهى "أن يكون الأمير مقصور الامارة على تدبير الجيش ، وسياسة الرعية ، وحماية البيضة ، والذب عن الحريم ، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ، ولجباية الخراج والصدقات .. أما تسيير الحجيج من عمله فداخل فى أحكام امارته .

ويعتبر فى ولاية هذه الامارة الشروط المعتبرة فى وزارة التنفيذ وزيادة شرطين عليهما : هما الاسلام والحرية " .

والذى يهمنا من قسمى الامارة - آنفة الذكر - هى الامارة العامة بنوعيها : امارة الاستكفاء وامارة الاستيلاء ، ذلك أن صاحب الامارة العامة له صلاحيات واسعة تجعل له دورا بارزا فى الرقابة .

ففى عهد السفاح نجد أن روايات المصادر لاتعطى معلومات واضحة عن الصلاحيات التى منحت للولاه حتى يمكن من خلالها معرفة دورهم الرقابى ، الا أنه فيما يبدو أن الادارة العباسية فى عهد السفاح سارت على نفس النهج الذى كانت عليه فى عصر بنى أمية ، ومن ذلك الصلاحيات التى كان يتمتع بها الولاه . يقول الأستاذ محمد كرد على : "لم يتفرغ السفاح لوضع أساس ثابت للادارة لانصرافه جملة واحدة الى توطيد دعائم الفتح وقتال الخوارج عليه ، وسار فى الجملة على نظام الأمويين .. تبدلت دولة بدولة وخليفة بخليفة ، ونسج الآخر على منوال الأول اضطرارا واختيارا " (١) .

---

(١) الاسلام والحضارة العربية ١٩٦/٢ . وقد كانت سلطة الولاه فى العصر الأموى مطلقة فهم نواب عن الخليفة فى ولاياتهم . فهو الذى يؤم الناس فى الصلاة ، واليه أعمال الخراج وبيده شئون الحرب وله الاشراف على الشرط فكان يتمتع بقسط كبير من الاستقلال الداخلى ، ولايرجع الى الخليفة الا فى المهم من الأمور . =

وهناك بعض الاشارات التى تفهم منها أن الوالى فى عهد السفاح كان هو الذى يولى القاضى فى الاقليم أو البلد الذى يقع تحت ادارته (١)، كما كان يولى صاحب الشرطة (٢)، ويختار من يخلفه على ولايته متى خرج عنها (٣)، وكذلك اختيار ولاة البلدان والأقاليم التابعة لادارته متى كان يلى أعمالا واسعة (٤) وله حق عزل من ولى منهم (٥). كما يقوم بتدبير أمر الجيوش واختيار القادة، وتوزيع أعطيات المقاتلة (٦). كما أضيف الى عمل الوالى فى عهد السفاح النظر فى أمور الخراج (٧)، وتعيين ولاة الدواوين (٨).

وهذه هى السلطات العامة التى يتمتع بها ولاة الأقاليم والبلدان فى عهد السفاح، وعلى ذلك فان دورهم الرقابى ينحصر فى اختيارهم من ينوب عنهم، وتعيين ولاة البلدان التابعة لادارتهم، وكذلك القضاه، وولاة الشرطة، وقادة

= انظر فى ذلك : ابو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ص/١٧٨، د حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/١٦١، د. صبحى الصالح : النظم الاسلامية، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٢م ص/٣١١.

(١) انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ـ القسم المتمم ص/٤٥٨، ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥، وكيع : أخبار القضاة ١/٢٠، ٣/١٠٤، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٥٨، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٥،٣٥٦.

(٢) انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٩٨،١٠١،١٠٢.

(٣) انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٤، الطبرى : تاريخ ٧/٤٧٠، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠١،١٠٢، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/٣٢٥.

(٤) انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٥٤،٣٥٨.

(٥) ذكر عزل الوالى لمن يختارهم من ولاة البلدان التابعة لادارته. انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٥٨، وكذلك عزله للقضاه، انظر ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٥٨، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٤، وعن عزل ولاة الشرطة انظر الكندى : نفس المصدر ص/٩٨.

(٦) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٠،١٠٢.

(٧) الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٧٣، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠١،١٠٢، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١/٣٢٥،٣٢٨.

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٥٨، وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٣٢، الكندى : الولاه والقضاه ص/٩٨،٣٥٤.

الجيوش ، وكتاب الدواوين ، كما أن لهم حق عزل من يولون من هؤلاء . اضافة الى اشرافهم على النواحى المالية من موارد ومصروفات ، فقد أسند الى الولاة فى هذه الفترة جباية الخراج ، وتقسيم أرزاق المقاتلة . فالولاه فى عهد السفاح كانوا يتمتعون بسلطات الامارة العامة - امارة الاستكفاء - .

والحق أنه نظرا لظروف بداية تاسيس الدولة العباسية ، فقد ظهر بعض الولاه الذين تجاوزوا حدود صلاحياتهم ، مثل أبى مسلم الخراسانى والى اقليم خراسان والجبال ، الذى استقل بادارة ولايته وتمتع بنفوذ قوى فيها (١) ، فكان يقوم بكل الأعمال الرقابية التى من شأن الخليفة أن يقوم بها ، وظل على ذلك طول فترة خلافة السفاح حيث لم يستطع القضاء على نفوذه لتمكنه من الدولة .

وعندما تولى المنصور الخلافة ورأى ازدياد نفوذ أبى مسلم ، بادر بالتخلص منه فى السنة الأولى من خلافته سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م (٢) .

أما عن الدور الرقابى للولاه زمن المنصور فنجد أنه كان مماثلا لما كان عليه الحال زمن السفاح ، وذلك فى السنوات الأولى من خلافته . ثم انه أخذ يحد من سلطات الولاه الرقابية ، فجعل لنفسه حق اختيار القضاه فى جميع البلدان ولم يعد للوالى دور فى ذلك (٣) . كما لم يستقل فى عهده الولاه

---

(١) انظر مبحث الاشراف والتوجيه من هذا البحث .

(٢) انظر : الدينورى : الأخبار ص/٣٨١ ، الطبرى : تاريخ ٤٩١/٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧١ ، وقال المسعودى فى سنة ١٣٦هـ . مروج الذهب ٢٩٢/٣ .

(٣) فى أول خلافة المنصور كان الولاه يولون القضاه . انظر فى ذلك الزبيرى : نسب قريش ص/٣٦٢،٢٨٤ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ٦٤/١ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٠٠/١ ، الخطيب : تاريخ ٣٦٧/١٤ ، الأصفهانى : الأغانى ١٨/٦ ، =

بالسلطة كما كان من أبى مسلم الخراسانى زمن السفاح .

واضافة الى دور الولاه الرقابى المتمثل فى اختيار الموظفين التابعين لادارتهم وامكانية عزلهم ، فقد أوضحت روايات المصادر قيام الولاه بدور رقابى آخر - فى عهد المنصور - وهو المتابعة والمحاسبة .

فيذكر الطبرى أنه فى سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م "ولى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فاخذ بها ناسا من القواد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء الى ولد على بن أبى طالب ، منهم مجاشع بن حريث الأنصارى صاحب بخارى ، وأبو المغيرة مولى تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ،

= الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٣ ، وقد سجلت المصادر هذا التحول فى اختيار القضاه حيث أصبح فى يد المنصور بعد أن كان الولاه هم الذين يختارون قضاة بلدانهم .
انظر عن ذلك : الزبيرى : نسب قريش ص/٢٨٤ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٨٩/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٥/٣ ، الخطيب : تاريخ ١٠٣/١٤ الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣٨/٣-٣٩ .
وقد أبقى المنصور للولاه حرية اختيار ولاة الشرط ، انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٧١/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٧٥/٧،٥٠٣ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٣/٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٦،١٠٧،١٠٨،١١٠،١١١،١١٨،١١٩ ، كما أن للولاه حرية اختيار كتابهم وكان المنصور لايتدخل فى هذا الاختيار الا اذا وجده غير ملائم .
انظر فى ذلك : الطبرى : تاريخ ٥٢١/٧ ، العيون والحدائق ٢٣٣/٣ . أيضا الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٤ .
كما كان الولاه يشرفون على أمور الخراج ، انظر : الكندى : الولاه والقضاه ص/١٠٣،١٠٥،١٠٧،١١٠،١١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٣٣٦/١ .
ولم يفرد للخراج عامل خاص به الا فى ولاية محمد بن الأشعث الخزاعى بمصر ، الكندى ص/١٠٩ ، كما لم يولى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج على خراج مصر أيضا ص/١١٧ ، ويشير الكندى فى مواضع مختلفة الى مايتمتع به الولاه من سلطات زمن المنصور ومن ذلك اختيارهم من يستخلفونهم على ولاية البلد اذا خرجوا عنها ص/١٠٤،١٠٥،١٠٦،١١٦،١١٨،١١٩ ، وقيامهم بأمر الجيوش واختيار القاده ص/١٠٣،١٠٨،١٠٩،١١٦ ، والتولية على المناطق التابعة لادارتهم ص/١١٦ ، واختيار ولاة الدواوين ص/١٠٦ .

والحريش بن محمد الذهلي ابن عم داود ، فقتلهم وحبس الجنيد ابن خالد بن هريم التغلبي ومعبد بن الخليل المزني[1] بعدما ضربهما ضربا مبرحا ، وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان والح على استخراج ماعلى عمال أبي داود[2] من بقايا الأموال[3] .

وهذا عيسى بن موسى والي الكوفة وسوادها ، عندما تبين له أن واليه على قطائع السواد يخون في الأموال ، بعث اليه "رسولا فقدم به عليه وامر به فضرب خمسة وسبعين سوطا وأقيم على المصطبة ..."[4] .

وقد قام كثير بن حصين[5] والي المدينة في سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م بمحاسبة أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبره الذي كان يلي صدقة أسد وطيء ، على الأموال التي جباها من عمله على الصدقة وقدمها الى محمد بن عبد الله بن حسن ، وشمر معه ـ وكان خارجا على المنصور ـ فأخذه كثير "وضربه سبعين سوطا وحدده وحبسه"[6] .

---

(١) لم أجد ترجمة لكل من الحريش بن محمد ، والجنيد بن خالد ، ومعبد بن الخليل .

(٢) هو أبو داود خالد بن ابراهيم والي خراسان من سنة ١٣٧هـ الى سنة ١٤٠هـ . انظر الطبري ٤٩٦/٧،٥٠٣ .

(٣) تاريخ ٥٠٣/٧ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٩٨/٣ .

(٥) تولى المدينة باستخلاف عيسى بن موسى له عندما شخص عن المدينة بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ، ودامت ولايته شهرا . انظر الطبري : تاريخ ٦٠٩/٧ .

(٦) الطبري : تاريخ ٦٠٩/٧-٦١٠ . وتذكر المصادر أيضا دور الوالي في محاسبة الوالي المعزول وكتابه ، فعندما قدم رياح بن عثمان المري واليا على المدينة سنة ١٤٤هـ دعا محمد بن خالد القسري والي المدينة السابق له ، فسأله عن الأموال التي كانت في بيت مال المدينة ـ قيل انها ألف ألف درهم وسبعين ألف دينار ـ والتي أنفقها في طلب محمد بن عبد الله بن حسن . فقال القسري هذا كاتبي هو أعلم بذلك مني ، قال : أسألك وتحيلني على كاتبك ، فأمر به فوجئت عنقه وقنع أسواطا ثم أخذ رزاما كاتب محمد بن خالد القسري ومولاه فبسط عليه الغراب وكان يضربه في كل غب خمسة عشر سوطا مغلولة يده الى عنقه من بكره الى الليل يتتبع به افناء المسجد والرحبة ودس اليه في الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده في ذلك مساغا .
انظر : الطبري : تاريخ ٥٣٣/٧ ، العيون والحدائق ٢٣٥/٣ .

وتجدر الاشارة الى أن الوالى ليس له السلطة المطلقة فى محاسبة الموظفين التابعين لادارته ، فيذكر الخطيب أن أبا جعفر "ولى سلم بن قتيبة البصرة ، وولى مولى له كور البصرة والابله ، فورد الكتاب من مولى أبى جعفر يخبر أن سلما ضربه بالسياط ، فاستشاط أبو جعفر وضرب احدى يديه على الأخرى وقال : أعلى يجترىء سلم ، والله لأجعلنه نكالا وعظة ".(١)

وتذكر المصادر حالات أخرى من المتابعة والمحاسبة التى يقوم بها الولاه ، غير انها تشير الى أن دور الولاه فيها هو تنفيذ أوامر الخليفة المنصور ، مما لايمكن معه الجزم بأن قيام الوالى بذلك دليل على مايتمتع به من سلطات رقابية (٢).

والراجح أن الدور الرقابى للولاه استمر فى عهد الخليفتين المهدى (٣) والهادى (٤) على ماكان عليه فى عهد المنصور

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/١٥ .

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى – القسم المتمم ص/٤١٧ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢/١٣٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢١٤-٢١٥ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٦٢ .

(٣) كان للوالى فى عهد المهدى حق استخلاف من ينوبه على ولايته . انظر : الطبرى : تاريخ ٨/١٦٣ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٥١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٢٨ .
كما أوضح الكندى أن الولاه كانوا ينظرون فى أمر الخراج ولهم اختيار ولاة الشرط وعزلهم ص/١٢٠-١٢٥،١٢٩ وأشار الى أنه فى حالات نادرة يعين عامل مستقل للخراج ففى سنة ١٦٤هـ ولى المهدى على مصر سلم بن سواده التميمى على صلاتها ، وقدم معه أبو قطيفة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج ص/١٢٣ ، ويذكر أن الوالى كان يشرف على شئون الحرب وتولية القادة ص/١٣٦ ، ويضيف ابن خياط أن بعض الولاه فى عهد المهدى كان يولى على الأحداث واليا من قبله . تاريخ ص/٤٤٠ .
أما عن دور الوالى فى المتابعة والمحاسبة فيذكر الجهشيارى أنه عندما كان يحيى بن خالد بن برمك واليا على بلاد فارس باستخلاف أبيه خالد بن برمك له قام بقتل أحد القادة اثر شغب قام به الجند . الوزراء ص/١٥١ .
ويذكر الكندى دور الوالى فى المحاسبة ولكن بأمر من الخليفة الذى كلفه محاسبة الوالى السابق لولايته . الولاه والقضاه ص/١٢٤-١٢٥ .

(٤) كان الوالى فى عهد الهادى يستخلف على ولايته ، انظر الطبرى : تاريخ ٨/١٩٢ ، وله النظر فى الخراج وحرية اختيار والى الشرط فى ولاية . انظر الكندى ص/١٣١ .

غير أنه أعطى بعض الولاه حق اختيار قضاتهم بأنفسهم (١) .

ففى عهد المهدى يقول ابن خياط "ولى المهدى عند قيامه المدينة محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت فاستقضى عبد العزيز بن المطلب (٢) حتى عزل محمد بن عبد الله ، وولى المدينة عبيد الله بن صفوان فاقر عبد العزيز ، ثم صار قضاء المدينة الى الخليفة ، فولاها المهدى من قبله محمد بن عمران التميمى ثم سعيد بن سليمان بن مساحق" (٣) ، ويقول الأزدى انه كان الى والى الموصل موسى بن مصعب الخولانى "حرب الموصل وخراجها وأعمالها وضياعها والقضاء ..." (٤) .

وفى عهد الهادى نجد أن والى البصرة محمد بن سليمان بن على يعزل عن قضاء البصرة عمر بن عثمان ويولى بدلا منه معاذ ابن معاذ (٥) .

وفى عهد الرشيد أعطى الولاه صلاحيات أكثر من تلك التى كانوا يتمتعون بها من قبل (٦) ، فقد أضيف الى عمل الوالى

---

(١) اختيار القضاه على البلدان كان يقوم به الخليفة فى الغالب . انظر عن ذلك فى عهد المهدى : ابن خياط : تاريخ ص/٤٤١-٤٤٢ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧١،٣٧٣، ٣٧٧ ، وكذلك فى عهد الهادى انظر : ابن خياط : المصدر السابق ص/٤٤٧ ، الكندى : المصدر السابق ص/٣٨٣ .

(٢) لعل الصواب محمد بن عبد العزيز ففى التقريب أن عبد العزيز بن المطلب مات فى خلافة المنصور (المحقق) .

(٣) تاريخ ص/٤٤٢ . انظر أيضا عن دور الوالى فى اختيار القضاه الخطيب : تاريخ ٢٧٦/١١-٢٧٧ .

(٤) تاريخ الموصل ص/٢٤٩ .

(٥) ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٧ .

(٦) الملاحظ أن الولاه فى عهد الرشيد أصبحوا كثيرا مايستخلفون نوابا عنهم فى حكم الولايات ويقيمون فى بغداد ، كما أشير أيضا الى كثرة استخلاف الولاه على أعمالهم لخروجهم عنها لظرف ما . انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦١-٤٦٤ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٠٩/٢،٤٢٦ ، الطبرى : تاريخ ٢٥٢/٨،٢٦١،٢٦٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٩١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٣٥-١٤١،١٤٦ ، ابن خلكان : وفيات ٢٩/٤ .
واستمر دور الولاه فى تعيين ولاة الشرط وعزلهم ، انظر ابن بكار : نسب قريش ص/٣٤٥،٤٠٥ ، الكندى : المصدر =

الاشراف على دور السكة ، حيث أصبح من حق الوالى ضرب النقود فى ولايته .(١)

كما تمكن بعض الولاه من الاستقلال بولاياتهم وادارتها بحرية كاملة ، فأصبح لهم دور بارز فى الرقابة ، وهذا عائد الى ثقة الرشيد بهؤلاء الولاه . يقول ابن بكار : ان عبد الله بن مصعب عندما ألزمه الرشيد ولاية المدينة قال : "أما اذا ابتليتنى يا أمير المؤمنين بعد العافية فلابد لى من أن أشترط ، قال له : فاشترط لنفسك ، فاشترط خلالا منها أنه قال له : ... وانفذ من كتبك ما أرى واقف عما لا أرى ، قال : وذلك لك ثم ولاه .. اليمن وزاده معها ولاية عك".(٢) ويقول الطبرى : انه فى سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م "شخص الفضل بن يحيى الى خراسان واليا عليها ، فأحسن السيرة بها وبنى المساجد والرباطات

= السابق ص/١٣٢-١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦ ، كما كان للوالى حق التولية على البلدان التابعة لادارته . انظر الزبيرى نسب قريش ص/٣٥٨ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٢٦/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٩٢ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٣٨/١٨ ، واختيار كتابهم ، ابن النديم : الفهرست ص/١٧٣، ١٨٢ ، وتولية العمال ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٣٠، ١٦٤ ، وكان الوالى يشرف على أمور الخراج فى الغالب . انظر الكندى المصدر السابق ص/١٣٣-١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦ ، وقد يقتصر الوالى على ولاية الصلاة فقط أيضا الكندى : المصدر السابق ص/١٣٣، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨-١٤١، ١٤٢ ، كما كان الوالى يستخلف على الخراج ، اليعقوبى تاريخ ٤٢٦/٢ ، الكندى المصدر السابق ص/١٣٥ ، ويولى كتاب الخراج ، الكندى : المصدر السابق ص/١٤٠ ، كما كان للوالى حق الاشراف على الجيش وتولية قادة المعارك ، انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٢٦/٢ ، الكندى : المصدر السابق ص/١٣٣، ١٤٣ .

أما القضاء فيبدو أن الرشيد احتفظ لنفسه بحق تعيينهم ولم يترك ذلك للولاه ، انظر موضوع اختيار القضاه ، البحث ، وهناك حادثة واحدة ذكرها وكيع كان للوالى فيها حق تولية القاضى وعزله . أخبار القضاه ١٤٠/٢ . وسبب ذلك أن الوالى أراد أن يتخلص من قاضيه ويولى بدلا منه قاضيا آخر قبل أن يبادره الرشيد بذلك ، وهى حادثة نادرة لم تتكرر فى عهد الرشيد .

(١) المقريزى : اغاثة الأمة ص/٦٠ .
(٢) نسب قريش ص/١٣٠ .

وغزا ماوراء النهر .. واتخذ بخراسان جندا من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم ، وان عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل وانه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل فسموا ببغداد الكرنبية وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم " .(١)

ويضيف الجهشياري موضحا مدى صلاحيات الفضل بن يحيى بقوله : "لما صار الفضل الى خراسان أزال سيرة الجور ، وبنى الحياض والمساجد والرباطات ، وأحرق دفاتر البقايا ،(٢) وزاد الجند والقواد ، ووصل الزوار والكتاب في سنة تسع وسبعين ومئة بعشرة آلاف الف درهم .." .(٣)

وعلى الرغم من الصلاحيات التي منحت لبعض الولاه ، فقد ظل أمر متابعة القضاه ومحاسبتهم عائدا الى الرشيد ، كما هو الحال منذ عهد المنصور ،(٤) ولم يكن للولاه دور في ذلك الا تنفيذ أوامر الخليفة الموجه اليهم بهذا الخصوص .

ويفهم من جواب القاضي أبي يوسف على سؤال الرشيد عن قاضي البصرة ، ان الرشيد كان على اتصال مباشر بقضاته ، وان دور الوالي في الرقابة على القضاه هو انهاء أخبارهم الى الخليفة كما يفعل صاحب البريد ، وان محاسبة الوالي

---

(١) تاريخ ٢٥٧/٨ ، العيون والحدائق ٢٩٦/٣ .
(٢) هكذا في الجهشياري وابن خلكان "ولعل المعنى : الدفاتر التي تحتوي بقايا مستحقة من الضرائب" محقق كتاب ابن خلكان : وفيات ٢٩/٤ .
(٣) الوزراء ص/١٩١ ، ابن خلكان : وفيات ٢٩/٤ ، انظر أيضا اليعقوبي : تاريخ ٤١١/٢ ، عن دور هرثمة بن أعين عندما تولى الشام ومصر والمغرب .
(٤) انظر عن مباشرة الخلفاء منذ عهد المنصور الاشراف على القضاه ، مبحث الاشراف والتوجيه ، الفصل الأول من البحث .

للقاضي تحتاج الى أمر من الخليفة [(١)].

ويؤيد ذلك ماذكره الكندي من انه عندما كتب صاحب بريد مصر - يزيد بن عمرو الطائي - الى الرشيد يخبره عن قاضي مصر - عبد الملك بن محمد الحزمي [(٢)] - ويقول : "ان الناس قد شكوه" بعث الرشيد بكتاب "الى داود بن يزيد بن حاتم وكان يومئذ واليا على مصر ، يأمره أن يوقف الحزمي للناس ، فأقامه داود فأثنى الناس عليه خيرا .." [(٣)]. ويعلق ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) على هذه الحادثة بقوله : "وانما كان صاحب البريد يكاتب الخليفة بأخبار القضاه ، لأن المنصور كان أول من اتخذ ذلك مبالغة في الاطلاع على أحوال الرعية" [(٤)].

---

(١) الخراج ص/٣٦٠-٣٦١ . حيث يقول : "أما ماسألت عنه مما قد بلغك واستقر عندك وكتب به اليك واليك وصاحب البريد : ان في يد قاضي البصرة أرضين كثيرة .." . ويقول أيضا "فتقدم الى ولاتك في محاسبة القاضي على ماجرى على يديه وأيدي وكلائه حتى يخرجوا منه .." .

(٢) تولى قضاء مصر سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م وعزل سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م ، انظر الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٨٣-٣٨٤ .

(٣) الولاه والقضاه ص/٣٨٤ ، أيضا ابن حجر العسقلاني : رفع الاصر ٣٧١/٢ ، وتشير المصادر الى أن الرشيد كان يولي القضاه بنفسه كما كان المنصور يفعل ولم يتساهل في ذلك كما جرى في عهد المهدي والهادي .

(٤) رفع الاصر ٣٧١/٢-٣٧٢ . وتذكر المصادر قيام الوالي المعين بمحاسبة الوالي المعزول وكذلك محاسبة كتابه وعماله ، وهذا بلاشك بأمر من الخليفة وليس كسلطة دائمة للوالي ، أضف الى ذلك أن محاسبة الوالي المعين للوالي المعزول لايعد من أعمال الرقابة لأن الوالي المعزول ليس من الموظفين التابعين لادارة الولاية ، وانما يجري ذلك عند تسليم العمل وانتقال المسئولية من شخص لآخر .
وعن أمثلة مراقبة الوالي المعين للوالي المعزول ، انظر عن محاسبة هرثمة بن أعين لوالي خراسان علي بن عيسى بن ماهان . اليعقوبي : تاريخ ٤٢٦/٢ ، الطبري : تاريخ ٣٣١/٨ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٣١٢ ، العيون والحدائق ٣١٥/٣ ، انظر أيضا عن محاسبة عمر بن مهران لوالي مصر المعزول موسى بن عيسى الهاشمي ، الطبري : تاريخ ٢٥٣/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/٢١٧-٢٢٠ ، العيون والحدائق ٢٩٤/٣-٢٩٦ .

وتجدر الاشارة هنا الى أنه فى عهد الرشيد ظهر مايعرف بامارة الاستيلاء ، والتى تجعل لمتوليها حق الاستقلال بادارة شئون ولايته (١) ، وهذا بالتالى ينعكس على دوره فى الرقابة ، حيث انه يقوم بجميع الأعمال الرقابية .

فقد استطاع ابراهيم بن الأغلب أن يستولى على افريقية بمساعدة أهلها ، ويستقل بادارتها ، فكتب اليه الرشيد بعهده عليها ، وأصبحت افريقية منذ ذلك العهد يتوارثها ولده من بعده (٢) .

وفى أول عهد الأمين استمر دور الولاه فى الرقابة على ماكان عليه فى عهد الرشيد (٣) ، وعندما بدات الفتنة بين الأمين والمأمون ، أخذت قبضة الأمين تضعف عن السيطرة على أمور الخلافة ، فاضطربت البلدان عليه ، واستقلت عنه ولايات هامة فى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م ، ثم تتالى استقلال الولايات حتى انتهت فترة خلافته بمقتله سنة ١٩٨هـ/٨١٣م (٤) .

وقد كان المتغلبون على الولايات المستقلة فى عهد الأمين يدعون للمأمون ويوالونه ، غير انهم تمتعوا بنفوذ امارة الاستيلاء ، فظلوا على هذا الوضع مدة الفتنة التى وقعت بين الأمين والمأمون .

---

(١) انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٣٣-٣٤ ، أيضا الفراء : الأحكام السلطانية ص/٣٧-٣٨ .

(٢) انظر موضوع اختيار الولاه من البحث . وقد استمرت ولاية بنى الأغلب خلال عهود الخلفاء التالين حتى عهد المتوكل ومابعده ـ أى خلال فترة الدراسة ـ .

(٣) لقد ذكرت المصادر أن الأمين كان فى أول خلافته بيده تعيين القضاه وعزلهم ولم يكن ذلك للولاه ، انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٦،٤٦٨ ، وكيع : أخبار القضاه ١٨٨/٣ الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١١ . كما يوضح الكندى دور الوالى فى استخلاف من ينوب عنه فى ولاية الصلاة ، اضافة الى اختياره ولاة الشرط وعزلهم ، وتولية قادة الجيوش والاشراف على أمور الحرب والخراج ص/١٤٧-١٤٨ .

(٤) انظر مبحث الاشراف والتوجيه من البحث .

وفي عهد المأمون استمر تغلب الولاه بين الحين والآخر على ولاية مصر وذلك بمساعدة الجند ، حتى بعث المأمون عبد الله بن طاهر ليعيد اليها الاستقرار ، فتمكن من ذلك فيما بين سنتي ٢١١-٢١٢هـ/٨٢٦-٨٢٧م (١) .

أما عن دور الولاه الرقابي في باقي ولايات الدولة وأقاليمها ، فقد كان للولاه حق اختيار كبار الموظفين التابعين لادارتهم (٢) ، بما في ذلك اختيار القضاه في بعض

---

(١) انظر اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢-٤٤٥، ٤٦٠-٤٦١ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٥٤-١٦٧، ١٦٨-١٧٩، ١٨٠-١٨٤ .

(٢) من أمثلة استخلاف الوالي على عمله انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٧٢ ، اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢، ٤٤٥ ، الأزدي : تاريخ الموصل ص/٣٦٥ ، الأصفهاني : الأغاني ١٠٨/٢٠ ، الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض ص/١٦٧، ١٦٩ ، مسكويه تجارب الأمم ٤١٨/٦، ٤١٩، ٤٥٢ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠ ، ابن خلكان : وفيات ٥٢١/٢، ٥٢٢ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٨٨ ، العيون والحدائق ٣٤٤/٣، ٣٦٣، ٣٦٥ .
كما يقوم الوالي باختيار ولاة البلدان التابعة لادارته وعزلهم ، انظر اليعقوبي : تاريخ ٤٦٤/٢-٤٦٥ ، الطبري تاريخ ٥٢٨/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٧٧، ٣٠١ ، الأصفهاني : الأغاني ١٠٧/٢٠، ١٠٨، ١١٠ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٥٣، ١٨٤ ، الطرطوشي : سراج الملوك ص/٢٤٣ ، ياقوت : معجم البلدان ٢٥١/٢ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٨٨ ، العيون والحدائق ٣٤٤/٣ .
وكذلك اختيار ولاة الشرط وعزلهم ، انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤١/٥ ، اليعقوبي : تاريخ ٤٤٤/٢، ٤٤٦ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٧، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣ ، وربما ولي المأمون من قبله انظر نفس المصدر ص/١٩٣ . كما يختار كتابه ، انظر ابن النديم : الفهرست ص/١٨٢ ، ابن خلكان : وفيات ٨٩/٣-٩٠ وكذلك اختيار ولاة المظالم . انظر الطبري : تاريخ ٦١٥/٨ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٨٥، ١٨٩ .
ويشرف الوالي على أمور الحرب ويختار القاده ، ويصرف للجند أرزاقهم ، انظر الطبري : تاريخ ٥٢٧/٨، ٥٢٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦، ٤٢٩ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٥١، ١٥٣، ١٧١، ١٨٤، ١٨٩ ، الاربلي : خلاصة الذهب ص/١٩٧ ، ومتى خيف من تمرد الوالي بعث الخليفة بشخص يتولى اعطاء الجند أرزاقهم . انظر الاسكافي : لطف التدبير ص/١٦٤-١٦٥ ، ويتضح أن الوالي يختار جميع كبار الموظفين في ادارته ، والذين يشغلون مناصب مشابهة لتلك التي توجد في العاصمة ، فقد ذكر أيضا أن =

الأوقات .(١)

كما أن للولاه حق متابعة كبار الموظفين ومحاسبتهم ، فقد قام السيد بن أنس الأزدى(٢) والى الموصل بمحاسبة نائبه الذى خلفه على امارة الموصل عندما خرج منها سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م ، وذلك لأنه أساء السيرة مع أهلها حيث أقامه للناس وانصف منه(٣) . كما عزل عبد الله بن طاهر فى ولايته على مصر سنة ٢١١هـ/٨٢٦م قاضى مصر ابراهيم بن الجراح "وأسقط مرتبته وأمر بكشفه ومحاسبته" حيث بلغ ابن طاهر أنه قام بتبديل الشروط التى اتفق عليها مع عبد الله بن السرى(٤) بشروط أخرى فيها تشدد عليه(٥) . كما قام والى مصر نصر بن عبد الله - كيدر

= طاهر بن الحسين فى ولايته على خراسان اختار صاحب الحرس ، والحاجب ، ومتولى ديوان الخراج ، وديوان التوقيع ، والخاتم . ابن طيفور : بغداد ص/٦٢ ، كما يشرف الوالى على أمور الخراج . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٦٠/٢ ، الطبرى : تاريخ ٥٢٧/٨،٥٢٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤١٩/٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٤٩، ١٥٢-١٥٣،١٦٧،١٨٣ ، وربما أفرد للخراج شخص آخر واقتصر الوالى على الصلاة ، نفس المصدر ص/١٩٣ .

(١) لقد تمتع بعض الولاه فى عهد المأمون بحق اختيار قضاتهم وعزلهم أيضا ، انظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٠/٥-٤٤١ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٧٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٤٤/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ١٦٠/٢-١٦٢ ، ٢٣٩/٣،٢٦٩ ، السهمى تاريخ جرجان ص/٤٨٣ ، الخطيب البغدادى : تاريخ ١٢٣/٩، ١٢٤ ، ٣١٤/١٠ ، ٣٥٧/١٢-٣٦٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٧،٤٢٠،٤٢١،٤٢٧،٤٣٣ .

(٢) هو أمير الموصل ، وأحد الشجعان الفصحاء ، كان المأمون يقربه ويعتمد عليه ويسيره لقتال أهل العبث ، قتل فى احدى المعارك سنة ٢١١هـ/٨٢٦م . انظر الزركلى : الأعلام ١٤٦/٣ .

(٣) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٦٥ ، وقد ذكر أن الشخص الذى أناب السيد بن أنس يدعى "محلى" .

(٤) هو والى مصر السابق قبل مقدم عبد الله بن طاهر ، تولى سنة ٢٠٦هـ من قبل الجند ، وكان قدوم ابن طاهر لمحاربته . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/١٧٣ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٢٩-٤٣٠ . انظر أيضا مثالا آخر للمحاسبة ، حيث عزل طاهر بن الحسين العباس بن موسى "لسوء اختياره للأكفاء" ابن طيفور : بغداد ص/٧٣ =

فى سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م بعزل والى الشرطة الذى بعث به المأمون[١] "الرشوة ارتشاها ، وأمر بضربه بالسوط فى صحن المسجد الجامع"[٢] .

ويذكر الطرطوشى نموذجا من اعمال الولاه لمبدأ المتابعة حيث يقول : "كان العلاء بن أيوب[٣] لما ولى فارس من قبل المأمون يكتب عهد العامل فيقرأه على من يحضر من أهل ذلك العمل ويقول : أنتم عيونى عليه فاستوفوه منه ، ومن تظلم منه فعلى الضيافة ونفقته جائيا ورائحا ، ويأمر العامل أن يقرأ عهده على أهل عمله فى كل جمعة ، وأن يقول لهم : هل استوفيتم"[٤] .

ويجدر بنا أن نشير هنا الى كتاب طاهر بن الحسين الذى عهد به الى ابنه عبد الله بن طاهر عندما ولاه المأمون فى سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م ديار ربيعة – من أرض الجزيرة الفراتية – الذى يوضح لنا جانبا من مهام الوالى الرقابية ، ذلك أن المأمون قام بتوجيه ماحتواه الكتاب من وصايا ادارية هامة الى جميع العمال ، فروى انه "لما عهد طاهر بن الحسين الى عبد الله ابنه هذا العهد تنازعه الناس ، وكتبوه وتدارسوه وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرىء عليه ، فقال :

= كما عزل طاهر بن الحسين أيضا والى الموصل من قبله خالد بن يزيد بن متى الكاتب لقتاله قوماً من العرب بغير أمره . الجهشيارى : الوزراء ص/٣٠١ .

(١) وهو رجل من العجم يدعى ابن بسطام .

(٢) الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٣ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لى من المصادر .

(٤) سراج الملوك ص/٢٤٣ ، انظر أيضا كتاب عبد الله بن طاهر لأحد عماله يتهدده لتقصيره فى عمله ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥٠/١ ، ويقول الماوردى : ان عبد الله بن طاهر لما ولى خراسان "كثيرا ماكان يخرج الى الطريق فيسأل من لقى من الماره عن سيرته وسيرة عماله فيهم" نصيحة الملوك ص/٢١٥ . ويشير ابن طيفور الى قول طاهر بن الحسين الذى يذكر فيه أنه كان يباشر عمله بنفسه ويتصفح أعماله عماله . بغداد ص/٦٣ .

مابقى أبو الطيب - يعنى طاهرا - شيئا من أمر الدين والدنيا ، والتدبير والرأى والسياسة ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة ، الا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم فيه ، وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال ، وتوجه عبد الله الى عمله فسار بسيرته ، واتبع أمره ، وعمل بما عهد اليه " (١) .

ويمكن معرفة دور الوالى فى الرقابة كما أوضحه كتاب طاهر بن الحسين من خلال عرضنا للفقرات التالية من نص الكتاب الذى جاء فيه قوله :

* "تفقد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وأدرر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم " .

* "استعمل .. فى كور عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك" .

* "اجعل فى كل كوره من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لأموره كلها " .

* "افرغ من عمل يومك ولاتؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك" .

* "اعرف مايجمع عمالك من الأموال وماينفقون منها " .

* "انظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل

---

(١) انظر عن نص كتاب طاهر بن الحسن لابنه عبد الله بن طاهر . ابن طيفور : بغداد ص/٢٦-٣٤ ، الطبرى : تاريخ ٥٨٢/٨-٥٩١ ، ابن خلدون : المقدمة ص/٣٠٣-٣١١ ، ابن الأزرق : بدائع السلك ١٨٤/٢-١٩٧ . وانظر الملحق الثالث من هذا البحث .

منهم فى كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته (١) ، وماعنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك" (٢) .

ومنذ عهد المعتصم برز دور القادة الأتراك فى تولى اقاليم واسعة فى الدولة مع تحكمهم فى تدبير أمر الجيوش أمثال الافشين واشناس وايتاخ ، ويتضح من محاولاتهم المتعددة فى السيطرة على أمور الخلافة مدى استقلالهم بادارة شئون ولاياتهم ، وهذا يجعل لهم دورا فعالا فى الرقابة ، وقد استمر تسلطهم على ولايات الدولة خلال عهد الواثق أيضا ، وصدرا من خلافة المتوكل (٣) .

---

(١) المؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجية فى مدة أيام الطمع – أى أرزاق الجند – ويوقع السلطان فى آخره باجازة ذلك .
انظر : الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٣٨،٤٣ .

(٢) لابد من الاشارة الى أن ولاية آل طاهر لخراسان ومايتبعها لم يكن استقلالا عن الخلافة ، مع التاكيد على أن عبد الله بن طاهر الذى جمعت له ولاية أقاليم عدة فى المشرق والمغرب كانت له سلطة قوية فى ولايته وقد عبر عن ذلك بقوله : "لى خاتم فى المشرق جائز وفى المغرب كذلك وفيما بينهما امرى مطاع وقولى مقبول" .
انظر : الطبرى : تاريخ ٦١٦/٨ ، البيهقى : المحاسن ص/١١٥ ، الابشيهى : المستطرف ٢٠٠/١ .

(٣) انظر موضوع اختيار الولاه ، وموضوع الاشراف والتوجيه من البحث . وعن دور الولاة عموما فى اختيار من ينوب عنهم فى حكم الولاية انظر فى عهد المعتصم ، اليعقوبى تاريخ ٤٧٧/٢، الطبرى : تاريخ ١٤/٩، ٧٨، الاسكافى : لطف التدبير ص/٩٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٥-١٩٦ ، وفى عهد الواثق انظر : اليعقوبى : تاريخ ٤٧٩/٢، ٤٨١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٦ ، وفى عهد المتوكل انظر الطبرى : تاريخ ١٨٥/٩ ، الكندى : نفس المصدر ص/١٩٧-٢٠٠، ٢٠٢ ، وكان المعتصم ربما تدخل فى اختيار الوالى لمن هم تحت ادارته . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٧٥/٢ ، وقد كان الوالى فى عهد المعتصم والواثق والمتوكل يختار ولاته على الشرط ، انظر الكندى : المصدر السابق ص/١٩٥-٢٠٠، ٢٠٢ ، غير أنه لم يحتفظ بحق الاشراف على أمور الخراج دائما ، انظر الطبرى : تاريخ ٨٠/٩، ١٣١، ١٨٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٠٢/٦ ، البيهقى المحاسن ص/٤٤٧ ، الكندى : المصدر السابق ص/١٩٥-٢٠٠، ٢٠٢ ، وقد ذكر فى عهد المعتصم أنه كان للوالى صاحب خبر لعسكره أى أنه كان يشرف على أمور الجيش . انظر =

وفي سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م قام المتوكل بتقسيم أقاليم الدولة على أبنائه الثلاثة المنتصر ، والمعتز ، والمؤيد (١) . فكانوا نوابا عنه في ولاياتهم ، يقوم كل واحد منهم في ولايته بالمهام التي من شأن الخليفة أن يقوم بها ، وله من صلاحيات النظر في أمور الولاية ماللخليفة من صلاحيات النظر في أمور الدولة (٢) .

ويبدو أن أبناء المتوكل بدورهم أعطوا ولاة البلدان التابعين لادارتهم صلاحيات كبيرة تتضح من دورهم الرقابي البارز في مجال المتابعة والمحاسبة ، فقد تولى مصر عنبسة ابن اسحاق الضبي (٢٣٨-٢٤١هـ/٨٥٢-٨٥٥م) على صلاتها من قبل المنتصر فأخذ "العمال برد المظالم وأقامهم للناس وانصف منهم" (٣) .

= الطبري : تاريخ ٩٦/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥١٢/٦ ، وقد كان المتوكل يولي بعض العمال على الحرب والخراج انظر الطبري : تاريخ ١٨٦/٩ ، وذكر في عهد الواثق أن الوالي كان يختار قادة الحرب ، اليعقوبي : تاريخ ٤٧٩/٢ ، كما ذكر في عهد الواثق أنه كان يختار والي المظالم ، الكندي : المصدر السابق ص/١٩٨ .
أما دور الوالي في اختيار القضاه فقد كان بيد الخليفة وذلك في عهد المعتصم والواثق وعهد المتوكل قبل أن يفوض أمر الولايات الى أبنائه ، انظر مبحث اختيار القضاه ، البحث . وقد ذكر في عهد المتوكل ان للوالي في ادارته كاتب خراج وكاتب رسائل ، ووالي للمظالم ، اليعقوبي : تاريخ ٤٨٧/٢ .

(١) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٧/٢ ، الطبري : تاريخ ١٧٥/٩-١٧٦.

(٢) انظر الطبري : تاريخ ١٧٧/٩-١٧٨ ، حيث يتضح من روايته ان لكل واحد منهم في ولايته "الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضياع والغنيمة والصدقات ، والبريد والطرز وخزن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب وجميع الأعمال" وغير ذلك من حقوق أعمالهم ومافي ناحيتهم من "القواد والجند والشاكرية والموالي والغلمان وغيرهم" . مع أن الطبري ذكر قبل ذلك أنه في سنة ٢٤٠هـ ضم المتوكل الى ابنه المعتز خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم ١٧٦/٩ .

(٣) الكندي : الولاه والقضاه ص/٢٠٠ ، وقد ذكر قيام الوالي بمحاسبة القاضي بأمر من الخليفة انظر نفس المصدر ص/٤٦٥ ، أيضا السيوطي : تاريخ ص/٣٢١ .

ثالثا : رقابة المشرف .(١)

تذكر المصادر تولية بعض خلفاء بنى العباس مشرفين على بعض الولاه والعمال ، ومن ذلك ماذكره الطبرى أنه فى سنة ١٥٥هـ/٧٧١م استعمل المنصور على المدينة "عبد الصمد بن على وجعل معه فليح(٢) بن سليمان مشرفا عليه(٣)" .

وقريب من ذلك ماذكره اليعقوبى من أن المنصور ولى على الموصل "ابنه جعفرا وصير معه هشام بن عمرو(٤)" ، ويقول الطبرى فى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م ولى الأمين على حمص "عبد الله بن سعيد الحرشى(٥) ومعه عافية بن سليمان(٦)" .

(١) استخدم لفظ "مشرف" فى العصر العباسى . وهناك روايات ترجع الى عصر الخلفاء الراشدين تشير الى أن الذى يقوم بعمل المشرف يطلق عليه اسم "فاغط" أو "فيزن" وقد ورد هذان اللفظان فى حادثتين وقعتا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مع التنبيه الى أن بعث الفاغط أو الفيزن مع العمال لم يثبت فيه شىء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين . ويذكر الخزاعى أن "تسمية الثقة الذى يجعل مع العامل فيزنا فى القديم وتسميته عند أهل العراق : بندارا وأما تسميته مشرفا بالمغرب فى هذا العصر فانما سمى بذلك لاطلاعه واشرافه على جميع أعمال العامل" .
انظر فى ذلك ابن سلام : الأموال ص/٧١٠-٧١١ ، الخزاعى : تخريج الدلالات السمعية ص/٥٨١-٥٨٣ .

(٢) هو فليح بن سليمان ابن أبى المغيرة واسم جده رافع أو نافع بن حنين الخزاعى ، ويقال الأسلمى المدنى الحافظ أحد أئمة الأثر ، من موالى آل زيد بن الخطاب ، واسم فليح : عبد الملك وقد غلب عليه اللقب حتى جهل الاسم . وكان قد تولى للمنصور صدقات المدينة بعد عبد العزيز ابن سعيد . توفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م .
انظر : الطبرى : تاريخ ٥٣٦/٧ ، الذهبى : سير ٣٥١/٧-٣٥٥ .

(٣) تاريخ ٤٩/٨ .

(٤) تاريخ ٣٨٤/٢ .
وهو هشام بن عمرو بن بسطام التغلبى الوائلى ، أمير ، تولى السند زمن المنصور سنة ١٥١هـ وعزل عنها سنة ١٥٧هـ . وتوفى بعد ذلك .
انظر الزركلى : الأعلام ٨٧/٨ .

(٥) من الولاه المشهورين تولى طبرستان للرشيد سنة ١٨٥هـ ، قاد بعض الجيوش للأمين أيام الفتنة ، وتولى واسطا ونواحيها للحسن بن سهل .
انظر الطبرى : تاريخ ٢٧٣/٨،٤١٦،٥٣٠ .

(٦) تاريخ ٣٧٤/٨،٣٨٨ ، وعافية بن سليمان لم أجد له ترجمة

كما يقول التنوخي : "ان المأمون أول ماقدم العراق خطر له أن يقلد الأعمال الشيعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله وكانوا يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت احوالهم ..." فقال له مخلد بن يزيد (١) : "ياأمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ مايصل الى أيديهم من الخزائن والأموال ، وأما شروط الخراج وحكمه ومايجب تعجيل استخراجه ، ومايجب تأخيره ، ومايجب اطلاقه ومايجب منعه ، ومايجب انفاقه ، ومايجب الاحتساب به فلايعرفونه ، وتقليدهم يعود بذهاب الارتفاع (٢) ، فان كنت ياأمير المؤمنين لاتثق بنا ، فضم الى كل واحد منهم رجلا منا فيكون الشيعي يحفظ المال ، ونحن نجمعه ، فاستطاب المأمون رأيه وكلامه وأمر بتقليد عمال السواد وكتابه ، وأن يضم الى كل واحد منهم واحدا من الشيعة (٣) ..." .

وقد أوضحت لنا رواية التنوخي هذه جانبا من أسباب تعيين المشرفين على العمال ، وهو قصد حفظ أموال الخراج من عبث العمال والكتاب . غير أن شيخ الاسلام ابن تيمية يوضح ذلك بشكل عام ليشمل جميع الولايات في الاسلام حيث يقول : ".. ان كانت الحاجة في الولاية الى الأمانة أشد قدم الأمين مثل حفظ الأموال ونحوها ، فأما استخراجها وحفظها فلابد فيه من قوة وأمانة فيولى عليها شادي قوي يستخرجها بقوة ، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته .. وهكذا في سائر الولايات اذا

---

(١) هو احد كتاب السواد .
(٢) الارتفاع : يقصد به هنا المحصول . ورفع الزرع أن يحمل بعد الحصاد الى البيدر ، انظر الرازي : مختار الصحاح ص/١٩١ .
(٣) الفرج بعد الشدة ٢/٣٥٥-٣٥٦ ، أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٥٠-٤٥١ ، ابن حمدون : التذكرة ١/٤٥٢-٤٥٣ .

لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد ، فلابد من ترجيح الأصلح ، أو تعدد المولى اذا لم تقع الكفاية بواحد تام" (١) .

ويعقد الماوردى مقارنة بين المهام التى يتولاها المشرف وبين مهام صاحب البريد ومن خلالها نستطيع معرفة الدور الرقابى للمشرف ، وقد ذكر ذلك الماوردى عند حديثه عن المشرف على عامل الخراج والعشر حيث يقول : ".. فان قلد عليه مشرف كان العامل مباشرا للعمل وكان المشرف مستوفيا له يمنع من زيادة عليه أو نقصان منه أو تفرد به . وحكم المشرف يخالف حكم صاحب البريد من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه ليس للعامل أن ينفرد بالعمل دون المشرف وله أن ينفرد به دون صاحب البريد .

والثانى : أن للمشرف منع العامل مما أفسد فيه ، وليس ذلك لصاحب البريد .

والثالث : ان المشرف لايلزمه الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد اذا انتهى اليه ، ويلزم صاحب البريد الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد ، لأن خبر المشرف استعداء وخبر صاحب البريد انهاء" (٢) .

---

(١) السياسة الشرعية ص/٢٦ . انظر ايضا أبا يوسف فقد أشار الى الأمين الذى يبعث مع المتضمن لخراج طسوج أو مصر ، ليمنع المتضمن عن "ظلم احد من اهل الخراج أو الزيادة عليه ، أو تحميله شيئا لايجب عليه" . الخراج ص/٢٦٦ .

(٢) الأحكام السلطانية ص/٢١٢ ، أيضا أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٥٠ .
والفرق بين خبر الانهاء وخبر الاستعداء من وجهين ، أحدهما أن خبر الانهاء يشمل على الفاسد والصحيح وخبر الاستعداء مختص بالفاسد دون الصحيح ، والثانى أن خبر الانهاء فيما رجع عنه العامل وفيما لم يرجع عنه ، وخبر الاستعداء مختص بما لم يرجع عنه دون مارجع عنه .

وكما سبقت الاشارة فانه تم تعيين مشرفين على بعض الولاه والعمال فى عصر الدولة العباسية - خلال فترة البحث - وقد كان دور المشرف على العامل واضحا لاسيما وقد أوضح الماوردى ذلك ، الا أن دور المشرف على الوالى لاتوضحه المصادر مع انها تذكر وجود مشرفين على الولاه منذ وقت مبكر - فى عهد المنصور - غير انه من الراجح أن الدور الرقابى للمشرف على الوالى لايختلف كثيرا عن دور المشرف على عامل الخراج والعشر .

المبحث الثاني

رقابة قاضي القضاه والقاضي والمحتسب

أولا : رقابة قاضى القضاه .

ظهر منصب قاضى القضاه لأول مرة فى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، وكان أول من تولاه القاضى أبو يوسف – يعقوب بن ابراهيم – الذى استمر على هذا المنصب حتى توفى[(١)] سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م ، فولى الرشيد مكانه أبا البخترى – وهب بن وهب القرشى – ومن بعده على بن ظبيان الكوفى[(٢)] ، ثم على بن[(٣)] حرملة التميمى[(٤)] .

وقد ظل منصب قاضى القضاه قائما بعد ذلك – خلال فترة الدراسة – حيث تولاه فى عهد المأمون القاضى يحيى بن أكثم التميمى[(٥)] ، ثم أحمد بن أبى دؤاد الايادى[(٦)] الذى استمر قاضيا للقضاه خلال عهد المعتصم[(٧)] ، والواثق[(٨)] ، وأول خلافة المتوكل

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/١٤ ابن خلكان : وفيات ٣٧٩/٦ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٢٩ ، الذهبى : العبر ٢١٩/١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٠/١٠ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٢٤٣/١٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٧/٦ .

(٣) وكيع : أخبار القضاه ٢٨٦/٣ ، وقال ولى بعد أبى يوسف ٢٩٤/٣، ٣٢٤ ، وذكر الخطيب توليه قضاء القضاه ولم يحدد تاريخ ٤٤٣/١١، ٤٤٥ ، وقد اختلف فى نسب على بن ظبيان فقيل العبسى وقيل الجنبى ، توفى فى آخر خلافة الرشيد سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م . وكيع : المصدر السابق ٢٨٦/٣ ، الخطيب : المصدر السابق ٤٤٦/١١ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ٢٨٨/٣، ٢٩٤، ٣٢٤ ، الخطيب : تاريخ ٤١٥/١١ . وقد ذكر تولى محمد بن الحسن الشيبانى قضاء القضاه قبل على بن حرمله التميمى . الذهبى : العبر ٢٣٤/١-٢٣٥ .

(٥) وكيع : أخبار القضاه ٢٧٢/٣، ٢٧٣ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص/١٥٦ ، الخطيب : تاريخ ١٩٧/١٤-١٩٨ ، ابن خلكان : وفيات ١٤٨/٦ . والراجح أن يكون محمد بن عمر الواقدى قد تولى قضاء القضاه للمأمون ، انظر السهمى تاريخ جرجان ص/١٦٧ .

(٦) ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٤ .

(٧) اليعقوبى : تاريخ ٤٧٨/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣ المسعودى : التنبيه ص/٣٠٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٩ ، ٣١٨/١٠ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١٠٤، ١٠٧ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ ، وقد ذكر ابن خلكان أنه "لما ولى المعتصم الخلافة جعل ابن أبى دؤاد قاضى القضاه وعزل يحيى بن أكثم" .

(٨) وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٣ .

حيث اعتل في سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م بالفالج فولى المتوكل ابنه محمدا المعروف ـ بأبي الوليد ـ مكانه [(١)] ، وفي سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م سخط المتوكل على محمد بن أحمد بن أبي دؤاد وعلى أبيه وولى قضاء القضاه يحيى بن أكثم [(٢)] ، حتى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م حيث عزل المتوكل يحيى بن أكثم وجعل في مرتبته جعفر بن عبد الواحد بن جعفر الهاشمي [(٣)] ، ومن بعده جعفر بن محمد بن عمار البرجمي [(٤)] .

أما عن دور قاضي القضاه في الرقابة فنجد أن الطرابلسي (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م) يذكر أنه ينبغي لقاضي القضاه "أن يتفقد قضاته ونوابه فيتصفح أقضيتهم ويراعي أمورهم وسيرتهم في الناس .. فان كانوا على طريق استقامة أبقاهم وان كانوا على ماذكر عنهم ـ أي على غير الاستقامة ـ عزلهم" [(٥)] .

وتجدر الاشارة الى أن بعض الباحثين نسب الى أعمال قاضي القضاه في العصر العباسي ماذكره الطرابلسي ، اضافة الى قيامه بتوليه القضاه وعزلهم [(٦)] ، دون أن يحدد متى

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٥/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٩٤/٣، ٣٢٤ .
(٢) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٩/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٣٠٠/٣ الطبري : تاريخ ١٨٨/٩ ، الخطيب : تاريخ ٢٨٥/٨ ، ٢٠٠/١٤، ٢٠١ ، ابن خلكان : وفيات ٨٥/١ ، ١٦٣/٦ .
(٣) اليعقوبي : تاريخ ٤٨٩/٢ ، الطبري : تاريخ ١٩٧/٩ ، الخطيب : تاريخ ٢٨٧/٦ ، ٤١٠/٧ ، ٢٠١/١٤ ، ابن خلكان وفيات ١٦٣/٦ .
(٤) وكيع : أخبار القضاه ١٩٤/٣، ٣٢٤ .
(٥) الطرابلسي : علي بن خليل (ت ٨٤٤هـ/١٤٤٠م) : معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ص/٣٢ . وقد سبقت الاشارة في التمهيد الى تعريف منصب قاضي القضاه على انه بمثابة وزير العدل اليوم .
(٦) انظر : د. عبد الرزاق على الانباري : النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي (١٤٥-٦٥٦هـ) ، مطبعة النعمان ، النجف ، العراق ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص/١٠٤ .

تم ذلك ، في حين يرى البعض الآخر أن ذلك كان في العصر العباسي الأول (١). بل ان هناك من يذكر أن قاضي القضاه كان يقوم بهذه المهام منذ أن استحدث هذا المنصب (٢)، فابو يوسف كان يشرف على أمر تعيين القضاه "وعزلهم ويتفقد أعمالهم ويراجع أحكامهم" (٣).

والراجح أن قاضي القضاه كان يقوم ببعض هذه الأعمال الرقابية ، غير أن روايات المصادر لاتعطينا معلومات وافية عن حقيقة عمل قاضي القضاه في عهد الرشيد ومن تلاه من الخلفاء حتى نستطيع معها تأكيد هذه الآراء ، سوى ماأشير اليه من قيام قاضي القضاه باختيار القضاه وعزلهم .

ففي عهد الرشيد كان قاضي القضاه أبو يوسف يقوم باختيار قضاة البلدان في مختلف أنحاء الدولة ، حيث يقول ابن حزم : "كانت القضاه من قبله ، فكان لايولي قضاء البلدان من أقصى المشرق الى أقصى افريقية الا أصحابه والمنتمين الى مذهبه" (٤)، كما يقول ابن كثير : ان أبا يوسف

---

(١) جمال صادق المرصفاني : نظام القضاء في الاسلام - القسم الأول - ادارة الثقافة والنشر ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص/١٠٥ .
حيث يقول : انه في العصر العباسي الأول أصبح قاضي القضاه هو المهيمن على تعيين القضاه وعزلهم وكان يتفقد أعمالهم ويراجع أحكامهم .

(٢) د. رشيد الجميلي : دراسات تاريخية ص/٧٧ ، حيث يقول : ان الرشيد استحدث منصب قاضي القضاه لاهتمامه باقامة العدل ورفع الظلم عن الناس فقاضي القضاه كان يقوم "بمتابعة أحوال القضاه وسيرتهم .. والاشراف على أحكامهم" .

(٣) د. عبد الرحمن ابراهيم الحميضي : القضاء ونظامه في الكتاب والسنة ، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص/٢٨١ . غير أن د. حسن الباشا يرى أن ذلك تأخر الى القرن الرابع الهجري . دراسات في الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٨م ص/٦٩ .

(٤) انظر : ابن خلكان : وفيات ١٤٤/٦ .

"كان يقال له قاضي قضاة الدنيا لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة" [(١)] .

وكما أعطى الرشيد أبا يوسف حق اختيار القضاه فقد أعطاه أيضا حق عزلهم [(٢)] ، وكذلك كان قاضي القضاه أبو البختري يقول الكندي : ان محمد بن مسروق قاضي مصر (من سنة ١٧٧-١٨٤هـ/٧٩٣-٨٠٠م) "كلم فيه أبا البختري حتى عزله ، فبلغ ابن مسروق ذلك فخرج قبل أن يقوم الذي استقضاه أبو البختري" [(٣)] . وهذا أبرز ماتطالعنا به روايات المصادر من دور رقابي لقاضي القضاه في عهد الرشيد ، مع تأكيدها على قيام الرشيد شخصيا بمتابعة القضاه ومحاسبتهم [(٤)] . وحرصه في أغلب الأحوال أن يختار قضاته بنفسه [(٥)] .

وفي عهد المأمون كان قاضي القضاه يقوم باختيار القضاه كما كان يفعل في عهد الرشيد [(٦)] ، غير أن ذلك أيضا لم يكن خاصا به وحده ، فالمأمون كان يباشر اختيار قضاته بنفسه [(٧)] اضافة الى اعطائه الحسن بن سهل مجموعة من الصلاحيات التي تخوله اختيار القضاه [(٨)] . مع قيام بعض الولاه باختيار

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٨٠ .
(٢) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٥٤ .
(٣) الولاه والقضاه ص/٣٩٢ .
(٤) انظر أبا يوسف : الخراج ص/٣٦٠-٣٦١ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٢٨٤ .
(٥) سبقت الاشارة الى أن الرشيد كان يحرص على اختيار القضاه بنفسه كما أشير الى قيام الوزير يحيى بن خالد باختيار قاضي الكوفة ، انظر موضوع اختيار القضاه من البحث .
(٦) انظر السهمي : تاريخ جرجان ص/١٦٧ ، وقد ذكر أن يحيى ابن أكثم كان يختبر القضاه لمعرفة كفاءتهم قبل أن يوليهم . ولعل ذلك في عهد المأمون أو في عهد المتوكل حيث لم تحدد الرواية ذلك . انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/٦٥ .
(٧) انظر موضوع اختيار القضاه من البحث .
(٨) انظر القيرواني : زهر الآداب ٢/٤٧٨ ، حيث يقول خرج توقيع المأمون : "الحسن بن سهل زمام على ماجمع أمور الخاصة ، وكنف أسباب العامة وأحاط بالنفقات ونفذ بالولاه واليه الخراج والبريد واختيار القضاه" .

قضاتهم بأنفسهم [١] .

والذى يتضح من روايات المصادر أن خلفاء بنى العباس فى هذه الفترة كانوا يولون القضاء جل عنايتهم واهتمامهم . فعلى الرغم من علو منزلة قاضى القضاه يحيى بن أكثم زمن المأمون [٢] ، فانه لم يستطع عزل قاضى بغداد ـ بشر بن الوليد وانما شكا الى المأمون انه لاينفذ قضاءه وطالبه بعزله فلم يجبه المأمون الى ذلك وأبقاه على القضاء [٣] .

وفى عهد المعتصم منح قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد صلاحيات كبيرة يلخصها ابن العمرانى بقوله : "صار قاضى قضاة العالم ، وصار يتحكم فى الدول ويولى الوزراء وولاة الأمصار ويعزلهم" [٤] .

غير أن روايات المصادر لاتشير الى استقلال ابن ابى دؤاد باختيار القضاه فى عهد المعتصم ، مع تأكيدها أن المعتصم كان يحرص على اختيار القضاه بنفسه [٥] ، وتذكر أن دور

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٠/٥ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٧٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/١٣٩ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٤٤/٢ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٥٥/١-٢٥٨،٢٦٨ ، ١٥٦/٢-١٥٧،١٦٠-١٦٢ ، ٢٣٩/٣،٢٦٩،٣١٣،٣٢٠ ، السهمى : تاريخ جرجان ص/٤٨٣ ، الخطيب : تاريخ ١٢٣/٩،١٢٤ ، ٣١٤/١٠ ، ٣٥٧/١٢-٣٦٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٧ ، ٤٢٠،٤٢١،٤٢٧،٤٣٣ .

(٢) انظر الخطيب : تاريخ ١٩٧/١٤-١٩٨ ، حيث يقول : ان يحيى بن أكثم "غلب على المأمون حتى لم يقدمه أحد عنده من الناس جميعا .. حتى قلده قضاء القضاه وتدبير أهل مملكته فكان الوزراء لايعلمون فى تدبير الملك شيئا الا بعد مطالعة يحيى بن أكثم" نقلها ابن خلكان : وفيات ١٤٧/٦-١٤٨ .

(٣) الخطيب : تاريخ ٨١/٧-٨٢ .

(٤) الانباء ص/١٠٧ ، وانظر أيضا عن تمكنه عند الخليفة المعتصم . اليعقوبى : تاريخ ٤٧٨/٢ ، المسعودى : مروج الذهب ٤٥٩/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ حيث قال : ولاه قضاء القضاه "وخص به أحمد حتى كان لايفعل فعلا باطنا ولاظاهرا الا برأيه" .

(٥) انظر موضوع اختيار القضاه من البحث .

ابن أبى دؤاد فى اختيار القضاه لايتعدى إبداء الرأى والمشورة للخليفة فيمن يولى .(١)

وفى عهد الواثق حسنت حال ابن أبى دؤاد وتقدم عند(٢) الخليفة ، الا أن المصادر لاتذكر شيئا عن دوره فى رقابة(٣) القضاه سوى مشاركته الخليفة اختيار بعض قضاة البلدان .(٤)

وفى عهد المتوكل ذكر أن قاضى القضاه يحيى بن أكثم قام بعزل قاضى بغداد - عبد السلام بن عبد الرحمن الوابصى -(٥) وهذا بلاشك يرجح لنا أن يحيى بن أكثم كان يختار القضاه أيضا . غير أن ذلك كان فى بعض الأوقات ، فقد سبقت الاشارة الى أن المتوكل كان يباشر اختيار القضاه بنفسه .(٦) أضف الى ذلك ماذكره وكيع من أن المتوكل فى فترة من الفترات "جعل أمر القضاه الى اسحاق بن ابراهيم فاشخص من أهل البصرة(٧) نفرا منهم .. فدعا محمد بن عبد الملك الى القضاء وجهد به

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ١٧٣/٢-١٧٤ ، الخطيب : تاريخ ٧٣/١٠ . وتذكر روايات المصادر أن ابن أبى دؤاد كان قد عزل القضاه بضع عشرة سنة عن البلدان وولى عليهم أصحاب المظالم ، دون أن تحدد فى أى عهد كان ذلك . انظر الأصبهانى : أخبار أصبهان ٨٢/١-٨٣ . كما لم تحدد فى عهد أى خليفة قام ابن أبى دؤاد بعزل قاضى البصرة - عيسى بن ابان - عندما شكاه عبيد الله بن محمد بن أبى عائشة ، ثم أن ابن أبى دؤاد أعاده الى القضاه مرة أخرى بشفاعة ابنه محمد - أبو الوليد - وكان ابن أبى عائشة توفى فى سنة ٢٢٨هـ . انظر الخطيب : تاريخ ٣١٧/١٠-٣١٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات ٨٤/١ .

(٣) اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ص/٣٢ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ١٧٥/٢ ، الخطيب : تاريخ ١٤٧/٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٩٨/١ ، مع ملاحظة حرص الخليفة على اختيار القضاه بنفسه . انظر موضوع اختيار القضاه ، البحث .

(٥) الخطيب : تاريخ ٥٢/١١ .

(٦) انظر موضوع اختيار القضاه ، البحث .

(٧) لم أعثر له على ترجمة فيما تيسر لى من مصادر ، ولم يذكره وكيع ضمن قائمة أسماء قضاه القضاه التى أوردها فى آخر كتابه ٢٩٤/٣،٣٢٤ .

فأبى ، فولى ابراهيم بن محمد التميمى فى شوال سنة تسع وثلاثين ومائتين" (١) .

وعندما تولى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى قضاء القضاه بعد يحيى بن أكثم واجه نفوذ الوزير عبيد الله بن خاقان (٢) ، فلم يكن له دور بارز فى الرقابة على القضاه حيث جعل المتوكل الى ابن خاقان توليه القضاه "فى جميع الدنيا" (٣) .

وتذكر روايات المصادر أن جعفر بن عبد الواحد كان يولى القضاه عندما يأمره المتوكل بذلك (٤) . كما توضح أنه ليس له فى المقابل سلطة العزل أو الاعفاء ، حيث يذكر الكندى أن الحارث بن مسكين قاضى مصر "كتب يسأل أن يعفى عن القضاء فكتب اليه جعفر بن عبد الواحد الهاشمى : أنهيت الى أمير المؤمنين أن كتابك وصل باستعفائك مما تقلدته من أمر القضاء بمصر فأمر أيده الله باجابتك الى ذلك واعفائك مما تقلدت ..." (٥) .

---

(١) أخبار القضاه ١٧٩/٢ .

(٢) تولى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى قضاء القضاه سنة ٢٤٠هـ ، واستكتب المتوكل عبيد الله بن خاقان سنة ٢٣٦هـ وقيل سنة ٢٣٧هـ ، ثم وزر بعد ذلك وقوى أمره ، انظر موضوع اختيار الوزراء من البحث .

(٣) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٩/٢ .

(٤) الخطيب : تاريخ ٢٨٧/٦ . وقد ذكر أن جعفر بن عبد الواحد كان يختبر القضاه قبل تعيينهم ، يقول وكيع : "بلغنى لما أراد جعفر بن عبد الواحد أن يولى عبد السلام - بن عبد الرحمن الرقى - ديار مصر النائية ، ألقى عليه مسألة بعد مسألة فأخطأ .." . أخبار القضاه ٢٧٨/٣ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٧٥ ، وكان الحارث بن مسكين تولى قضاء مصر سنة ٢٣٧هـ واعفى سنة ٢٤٥هـ .

ثانيا : رقابة القاضى .

يعتبر القاضى نائب الخليفة الذى عينه ، والنائب يستمد ولايته على ما أنيب فيه من منيبه وبالحدود التى يحدد بها هذه الولاية ، وعلى هذا فان القاضى وهو نائب الخليفة يستمد ولايته القضائية من الخليفة وبالحدود التى يحدد بها هذه الولاية ، ومن هنا كانت ولاية القاضى فى نظر مايدخل فى أعمال القضاء ووظائف القضاء ، تقبل هذه الولاية التقييد والاطلاق والعموم والخصوص من حيث الزمان والمكان والخصوم والخصومات ، ومن هنا تنوعت ولاية القاضى على هذا الأساس . أساس التقييد والاطلاق ، لذا استعمل الفقهاء اصطلاح التقليد العام واصطلاح التقليد الخاص للولاه على مدى ولاية القاضى وسلطته فى رؤية دعاوى الناس . فاذا عين الخليفة قاضيا على اقليم ليقضى بين عموم أهله وفى جميع خصوماتهم المدنية والجزائية وفى جميع الأوقات فتقلد القضاء لهذا القاضى فى هذه الحالة هو تقليد عام . أما اذا عين الخليفة قاضيا بقيود معينة من حيث المكان أو الزمان أو نوع الخصومات أو نوع الخصوم فتقليد القضاء لهذا القاضى فى هذه الحالة هو تقليد خاص .(١)

ولما كانت ولاية القاضى لاتخلو "من عموم أو خصوص"(٢) فان دوره فى الرقابة يتضح فى ولايته العامة المطلقة التصرف فى جميع ماتضمنته .(٣) لأن مجال سلطته فى هذه الولاية أكبر من ولاية القاضى الخاصة . حيث تشتمل على عشرة احكام يخص

---

(١) د . عبد الكريم زيدان : نظام القضاء ص/٤٥-٤٦ .
(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٠ .
(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٠ .

الرقابة الادارية التاسع منها وهو : "تصفح شهوده وأمنائه واختبار النائبين عنه من خلفائه ، في اقرارهم والتعويل عليهم مع ظهور السلامة والاستقامة ، وصرفهم والاستبدال بهم مع ظهور الجرح والخيانة" (١) .

اذا ينبغي على القاضي "أن يراقب أعوانه (٢) ليطمئن على حسن قيامهم بواجباتهم المنوطه بهم ، قال الفقيه السمناني (ت ٤٩٩هـ/١١٠٦م) : (وينبغي للقاضي أن يشرف على كاتبه وأصحاب مسائله وأمنائه) (٣) . ويقاس على ماذكره السمناني في مسألة مراقبة القاضي لكاتبه سائر أعوانه ، فعليه أن يراقبهم حتى تحملهم هذه المراقبة على أداء واجباتهم الوظيفية ، هذا وان مراقبة القاضي لأعوانه تختلف باختلاف أعمالهم ، فمراقبة القاضي لكاتبه مثلا تكون بالنظر الى مايكتبه حسبما يمليه عليه بين الحين والحين ، ومراقبته للسجان .. تكون بزيارة السجن وتفقد أحوال المسجونين وهكذا" (٤) .

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٧١ ، أبو يعلى الفراء الأحكام السلطانية ص/٦٦ .

(٢) أعوان القاضي هم جماعة من أهل العلم والفضل ، الكاتب الحاجب ، البواب ، المترجم ، الجلواز ، الشهود ، الاجرياء ، المزكون ، المؤدبون ، أهل الخبرة ، صاحب السجن .

(٣) السمناني : علي بن محمد : روضة القضاه وطريق النجاة ١٣٢،١٢٠/١ . نقلاً عن د.عبدالكريم زيدان : نظام القضاء ، ص/٦١ .

(٤) د. عبد الكريم زيدان : نظام القضاء ص/٦١ . وقد ذكر الجصاص "انه ينبغي للقاضي أن يحاسب الأمناء على ماجرى على أيديهم من أموال اليتامى ومن ثمار غلاتهم" . أحمد ابن علي الرازي - المعروف بالجصاص - (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م) شرح كتاب أدب القاضي للحصاف ، الناشر أسعد طرابزوني الحسيني ١٤٠٠هـ/١٩٨٩م ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ص/٣١ ، كما يذكر الكندي أن قاضي مصر لهيعة بن عيسى الذي تولى سنة ١٩٩هـ كان يشرف على أصحاب مسائله فقد ولى على مسائله سعيد بن تليد وأمره أن يجدد السؤال عن الشهود والموسومين بالشهادة في كل ستة أشهر فمن =

وقد زاد من دور بعض القضاه فى الرقابة اشرافهم على أعمال ادارية هامة ، اذ ربما أضيف الى عمل القاضى ولاية الخراج (١) ، أو النظر فى بيت المال (٢) ، أو تولى الشرط أو المظالم او الحسبة (٣) أو دار الضرب والعيار أو قيادة الجيوش

= حدث له جرح أوقفه ، الولاه والقضاه ص/٤٢١-٤٢٢ . ويقول ابن خلكان "ان ربيعة الرأى قاضى الانبار زمن السفاح طلب رجلا ثقة دينا يحسن قراءة الكتب التى تأتى اليه بالفارسية فدل على حسان بن سنان فجئ به فكان يقرأ له الكتب الفارسية فلما اختبره رضى مذهبه واستكتبه على جميع أمره" . وفيات ٢/١٩٥ ، انظر أيضا ماذكره عبد الرزاق الانبارى عن دور القاضى فى الاشراف على ديوان القضاء - الحكم - وتفقد أحوال المحبوسين والنظر فى أمور الأوصياء والأمناء والوقوف العامة والخاصة . النظام القضائى فى بغداد ص/٢٦٧،٢٦٩،٢٧٠، ٢٧٣-٢٧٥ .

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٩٩ ، حيث ولى المنصور قاضى الموصل الحارث بن الجارود العتكى الخراج مضافا الى القضاء .

(٢) الخطيب : تاريخ ٢/٣٤٩،٣٥٠ ، فقد ولى المنصور محمد بن عبد العزيز قضاء المدينة المنورة وبيت مالها . وهناك بيت مال خاص بالقضاه أيضا يشرفون عليه انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٧٠ .

(٣) د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/٢٨١ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/١١٢ ، د. عبد الرحمن الحميضى : القضاء ونظامه ص/٣١ ، د. فتحية النبراوى : تاريخ النظم ص/١١٤ ، د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص/٦٨ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ص/١٢١ ، وقد أشار وكيع الى تولية المنصور سوار بن عبد الله العنبرى قضاء البصرة اضافة الى الأحداث والصلاة ، وكان قد كتب اليه المنصور أن يوليه صلاة البصرة وشرطتها مع القضاء فحول الى دار الامارة وجعل على شرطته شبيب بن شيبة ، فأصبح سوار أميرا قاضيا .
ويذكر وكيع فى موضع آخر تولية المنصور عبيد الله بن الحسن العنبرى قضاء البصرة اضافة الى الصلاة ، كما يذكر أن الرشيد جعل لوهب بن وهب - أبو البخترى - مع قضاء المدينة ولاية الشرط أيضا وأشار فى موضع آخر الى أن أبا البخترى أصبح واليا وقاضيا . أخبار القضاه ١/٢٤٤،٢٥٣ ، ٢/٦٠،٨٠،٨١،٩١،١٢٢ .
ويذكر كل من ابن خلكان والحميرى أن الرشيد ولى أبا البخترى قضاء المدينة المنورة وحربها . وفيات الأعيان ٦/٣٧ ، الروض المعطار ص/٤٢٠ .

أو الاشراف على الأحباس .(1)

وتشير المصادر الى دور القاضى فى اختيار من يخلفه فى عمله بسبب مرضه أو خروجه من البلد التى ولى عليها فى احدى المهمات ،(2) وكذلك دوره فى اختيار كتابه(3) وأمنائه(4) وأصحاب مسائله(5) والمترجمين .(6)

وهناك مجموعة من الشواهد التاريخية التى تذكر قيام القاضى باعمال مبدأ المحاسبة خارج نطاق ادارته ومن ذلك أنه عندما تولى قضاء مصر محمد بن مسروق الكندى سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م "تشدد فى الحكم وأعدى على العمال وانصف منهم"(7) ، وفى

---

(١) ذكر تولى القضاه شئون الأحباس ـ الأوقاف ـ منذ وقت مبكر ، فى زمن المنصور كان سوار بن عبد الله العنبرى أول من تشدد فى القضاء وعظم أمره واتخذ الأمناء وقبض الوقف وأدخل على الأوصياء الأمناء . وكيع : أخبار القضاه ٥٨/٢ ، وفى عهد الهادى كان عبد الملك بن محمد بن أبى بكر المخزومى قاضى مصر "كان شديد التفقد للأيتام والأحباس منكرا على من يرى فيه خللا بالضرب وغيره ، وكان يتفقد الأحباس بنفسه ثلاثة أيام من كل شهر يأمر بمرمتها واصلاحها وتنظيفها" . ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر ٣٧٠/٢-٣٧١ .
وفى عهد الرشيد كان عبد الرحمن بن عبد الله العمرى قاضى مصر "أشد الناس فى عمارة الأحباس كان يقف عليها بنفسه ويجلس مع البنائين أكثر نهاره" . الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٩٥ ، ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٠/٢-٣٢١ .
وفى عهد المأمون كان هارون بن عبد الله والى مصر لايتخلف عن حبس بمصر يتولاه القضاه حتى يقف على علته ووجوهه ، وتوقف عن النظر فى حبس السرى بن الحكم حتى ورد عليه كتاب من العراق يأمره بالنظر فيه . الكندى الولاه والقضاه ص/٤٤٤ .

(٢) انظر : وكيع : أخبار القضاه ١٠٨/٢، ١٣٦ ، ٢٣٨/٣، ٢٧٣، ٢٨٢، ٣٠٠ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٥٨، ٣٦٠، ٣٩٣ ، الخطيب : تاريخ ١٤٧/٤ ، ١٥٧/١١-١٥٨ .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٢١-٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٨ ، الأصبهانى : أخبار أصبهان ٢٩١/١-٢٩٢ ، الخطيب : تاريخ ٩٤/٢ ، ٤٠٥/١٤ .

(٤) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٦٨ .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٢٢، ٤٢٨، ٤٦٨ .

(٦) ابن خلكان : وفيات ١٩٤/٢ .

(٧) الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٨ .

زمن المنصور قام سوار بن عبد الله العنبرى قاضى البصرة بالأخذ على يد صاحب المعونة ـ الشرطة ـ بالبصرة ورده عن ظلمه (١) .

ومن أمثلة قيام القاضى بأعمال المحاسبة خارج نطاق ادارته أيضا محاسبته للقاضى السابق له وأعوانه ومن ذلك أن محمد بن الليث قاضى مصر زمن المعتصم ، أقام رجلا يرفع على قاضى مصر السابق هارون بن عبد الله "أنه استهلك مالا من بيت المال فأمر ابن أبى الليث باحضار هارون الى مجلسه وناظره مرة بعد أخرى وامتهنه وثبت على هارون مارفع اليه وذلك أنه كان يدفع مفتاح التابوت (٢) الى غير ثقة فاستهلك منه شيئا كثيرا" (٣) محاسبه محمد بن الليث "على ماكان فى بيت المال وأمر بحبسه وكشفه فورد الكتاب برفع ذلك عنه (٤) " .

ولما ولى القضاء بمصر هاشم بن أبى بكر البكرى فى خلافة الأمين "تتبع أصحاب العمرى ـ عبد الرحمن بن عبد الله القاضى السابق ـ كلهم وسجنهم وسجن العمرى وقيده وطالبه بما صار اليه من الأموال والأوقاف وغيرها (٥) " .

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٥٨/٢ .
(٢) التابوت : موضع أو صندوق فى بيت المال يقول الكندى ان عبد الرحمن بن عبد الله العمرى قاضى مصر فى خلافة الرشيد "أول من عمل تابوت القضاه الذى كان فى بيت المال أنفق عليه أربعة دنانير .. كان تجمع فيه أموال اليتامى ومال من لاوارث له وكان مودع القضاه بمصر" . الولاه والقضاه ص/٤٠٥ .
(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٥٠ .
(٤) المصدر السابق ص/٤٥١ .
(٥) المصدر السابق ص/٤١٢ ، ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٦/٢ .
انظر أمثلة أخرى لمحاسبة القاضى للقاضى السابق له . وكيع : أخبار القضاه ١٥٤/٢ ، ٢٣٩/٣، ٢٩٠-٢٩١ ، الكندى الولاه والقضاه ص/٣٦٠، ٤٦٨-٤٦٩ .

والحق أن مثل هذه الشواهد لاتدخل ضمن رقابة القاضى لمن هم تحت ادارته من الأعوان مثل الكتاب والأمناء والسجان وغيرهم ، وانما هى أعمال محاسبة يقوم بها القاضى بحكم منصبه اعتمادا على سلطته وسعة اختصاصه .

ثالثا : رقابة المحتسب .[1]

الحسبة من الوظائف الهامة فى الدولة الاسلامية ، وقد ظهرت منذ وقت مبكر ، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتولاها بنفسه ويقلدها غيره ، واتبع ذلك من جاء بعده من الخلفاء الراشدين ، كما حرص أئمة الصدر الأول على مباشرتها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها ، ثم صارت ولاية من ولايات الاسلام بجوار ولاية القضاء .[2]

وقد كان لفظ "العامل على السوق" أو "صاحب السوق" هو الذى يطلق على من يتولى الاشراف على السوق ومراقبة المكاييل والموازين طيلة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة الى المدينة - وكذلك طول فترة الخلافة الراشدة والعصر الأموى ، وقد مهد ذلك دون ريب لظهور وظيفة[3] "المحتسب" حيث بدأ استعمال هذه التسمية فى المشرق منذ بداية العصر العباسى ، فى حين استمر استعمال اسم "العامل على السوق" فى الأندلس وشمال افريقيا حتى فترة متأخرة .[4]

---

(١) شاع عند الفقهاء اطلاق اسم "المحتسب" على من يعينه ولى الأمر للقيام بالحسبة وأطلقوا عليه أيضا اسم "والى الحسبة" . أما من يقوم بالحسبة من دون تعيين ولاتكليف من ولى الأمر فقد اطلق عليه الفقهاء اسم "المتطوع" ثم بينوا الفرق بينهما . كما أوضحوا أن للحسبة علاقة ببعض خصائص القضاء وقد وصفت بأنها "واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم" . انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤٠،٢٤١ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٨٤،٢٨٥ .

(٢) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/١٥٥ ، وعن الأصل التاريخى للحسبة فى الاسلام انظر أيضا د. محمد الشبانى نظام الحكم والادارة ص/١٣٥-١٣٦ .

(٣) رشاد عباس معتوق : نظام الحسبة فى العراق حتى عصر المأمون - نشأته وتطوره - الناشر تهامة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص/٤٣ .

(٤) د. حسام الدين السامرائى : المؤسسات الادارية فى الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م ، دار الفكر العربى ، بدون ص/٣٠٧ . انظر أيضا نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٣٣٤ .

وأول اشارة صريحة الى "الحسبة" و"المحتسب" فى المشرق ترجع الى أواخر النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، فى الترجمة التى أوردها ابن سعد لعاصم بن سليمان الأحول المتوفى نحو سنة ١٤١هـ/٧٥٨م ، الذى "كان على الكوفة على الحسبة فى المكاييل والأوزان" (١) . وتلك ذلك مانص عليه الطبرى من أن المنصور ولى "حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة .. رجلا كان يقال له أبو زكريا يحيى بن عبد الله" (٢) . وفى عهد الرشيد يذكر السهمى (ت ٤٢٧هـ/١٠٣٥م) أن شجاع بن صبيح الجرجانى "كان محتسبا بجرجان" (٣) كما يذكر الخطيب تولى حفص الدورقى حسبة الكوفة زمن الرشيد أيضا (٤) . وهذا يدلنا على اهتمام خلفاء بنى العباس بالحسبة وتعيين المحتسبين فى عاصمة الدولة ومدنها المختلفة .

وقد عرفت الحسبة فى الاصطلاح الفقهى بأنها "أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر اذا ظهر

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٥٦/٧ ، ولعل "عاصم بن سليمان" تولى الحسبة زمن السفاح . وقد ترجم له ابن سعد بقوله : يكنى أبا عبد الرحمن وكان مولى لبنى تميم وكان قاضيا بالمدائن فى خلافة أبى جعفر ، كان ثقة كثير الحديث ، ويقول الخطيب : ويقال مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويقال مولى آل زياد ، وكان ولى القضاء بالمدائن فى خلافة المنصور ، وينقل الخطيب عن يحيى بن معين قوله : "كان عاصم الأحول بالمدائن على الموازين والمكاييل يعنى أنه كان محتسبا" . وكان على سوق الكوفة ثم ولى قضاء المدائن وكان يلى سوق المدائن شبيها بالقاضى .
ويقول فى موضع آخر : "كان من أهل البصرة وكان يتولى الولايات فكان بالكوفة على الحسبة فى المكاييل والأوزان وكان قاضيا بالمدائن لأبى جعفر حتى مات على خلاف فى سنة موته قيل ١٤١هـ وقيل ١٤٢هـ وقيل ١٤٣هـ . تاريخ بغداد ٢٤٣/١٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧ .

(٢) تاريخ ٦٥٣/٧ ، انظر أيضا الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٢٥ الخطيب : تاريخ ٧٩/١ .

(٣) تاريخ جرجان ص/٢٢٨ .

(٤) تاريخ بغداد ١٩٤/٨ .

فعله " [١] ، غير أن ابن تيمية له نظر في هذا التعريف فهو لايجعله مطلقا بل يقيده بقوله : "أما المحتسب فله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاه والقضاه وأهل الديوان ونحوهم " [٢] .

والحق أنه كان للمحتسب سلطات واسعة لها اتصال مباشر ومستمر بالحياة اليومية فى الأسواق مثل مراقبة الغشوش والبيوع المحرمة والغبن والاحتكار ، ومنع التعديات فى الطرقات ومايضر المشاه وما الى ذلك من المهام التى بسطت كتب الحسبة الحديث عنها [٣] .

غير أن أهم أعمال المحتسب فى مجال الرقابة الادارية [٤] يمكن حصرها فى النقاط التالية :

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤٠ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٨٤ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ص/٦ ، ابن الاخوة القرشى : محمد بن محمد بن أحمد (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٩م) : معالم القربة فى أحكام الحسبة ، صححه روبن ليوى ، مطبعة دار الفنون ، بكيمبرج ١٩٣٧م ص/٧ ، السنامى : عمر بن محمد بن عوض ، المتوفى فى الربع الأول من القرن الثامن الهجرى : نصاب الاحتساب ، تحقيق ودراسة د. مريزن سعيد عسيرى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص/٨٢ ، القلقشندى : مآثر الانافة ٧٩/١ .
والحسبة في اللغة تأتى بمعان عدة ، راجع مادة (حسب) فى معاجم اللغة .

(٢) الحسبة ص/٨ ، أيضا ابن القيم : الطرق الحكمية ص/٢٤٠ . وانظر المقارنة التى عقدها الماوردى بين اختصاصات المحتسب واختصاصات كل من القاضى ووالى المظالم ، الأحكام السلطانية ص/٢٤١-٢٤٣ . أيضا أبو يعلى الفراء الأحكام السلطانية ص/٢٨٥-٢٨٧ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٩-١١ .

(٣) انظر مثالا على ذلك يحيى بن عمر : أحكام السوق ، الشيزرى : نهاية الرتبة ، ابن تيمية : الحسبة ص/٩-٣٦ ابن الاخوة : معالم القربة ، السنامى : نصاب الاحتساب ابن قيم : الطرق الحكمية ص/٢٤٠-٢٤٣ .

(٤) يعرف الأستاذ محمد المبارك فى كتابه الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية الحسبة بقوله : "رقابة ادارية تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين على نشاط الأفراد فى مجال الأخلاق والدين والاقتصاد" نقل ذلك عنه د. محمد سلام مدكور : معالم الدولة الاسلامية ص/٣٦٧ ، أيضا محمد الشبانى : نظام الحكم والادارة ص/١٣٥ . =

* "يقصد المحتسب مجالس الولاه والأمراء ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويعظهم ويذكرهم ، ويأمرهم بالشفقة على الرعية والاحسان اليهم" (١) .

* "ينبغى للمحتسب أن يتردد الى مجالس القضاه والحكام ، ويمنعهم من الجلوس فى الجامع والمسجد للحكم بين الناس ، لأنه ربما دخل عليهم الرجل الجنب والمرأة الحائض ، والذمى والصبى والمجنون والحافى ، ومن لايحترز من النجاسات فيؤذون المسجد وينجسون الحصر ، وقد ترتفع الأصوات ، ويكثر اللغط فيه عند ازدحام الناس ومنازعتهم للخصوم ، وكل ذلك قد ورد الشرع بالنهى عنه .. ومتى رأى المحتسب رجلا يسفه فى مجلس الحكم ، ويطعن على الحاكم فى حكمه أو لاينقاد الى حكمه ، عزره على ذلك ، وأما اذا رأى القاضى قد استشاط على رجل غيظا أو شتمه أو احتد عليه فى كلامه ، ردعه عن ذلك ووعظه ، وخوفه بالله عز وجل ، فان القاضى لايجوز له أن يحكم وهو غضبان ، ولايقول هجرا ، ولايكون فظا غليظا ، وكذلك يكون غلمانه وأعوانه الذين بين يديه" (٢) .

"واذا كان فى القضاه من يحجب الخصوم اذا قصدوه ويمتنع من النظر بينهم اذا تحاكموا اليه حتى تقف الأحكام ،

= ويرى د. على محمد حسنين أن فقهاء الاسلام عالجوا "موضوع الرقابة عموما تحت اسم الحسبة التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" . رقابة الأمة على الحكام ص/٢٥٦ ، ويقول د. منيب ربيع : "ان غايات الحسبة فى غالبها هى غايات الضبط الادارى الحديث المستهدف تحقيق النظام فى المجتمع وحمايته من الخارجين على القانون والشرع ويدخل فى حماية الناس" ضمانات الحرية بين واقعية الاسلام وفلسفة الديمقراطية مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص/١٦٢ .

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ص/١١٥ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢١٦ .

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ص/١١٣-١١٥ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢٠٧،٢٠٨ .

وتستضر الخصوم فللمحتسب أن يأخذه – مع ارتفاع الأعذار – بما ندب له من النظر بين المتحاكمين وفصل القضاء بين المتنازعين ، و"لايمنع علو رتبته من انكار ماقصر فيه" [(١)] .

* قيام المحتسب برقابة المرافق العامة للدولة التى لاغنى عنها لجماعة المسلمين ، فيعمل على صيانتها وتوفير الموارد المالية اللازمة لذلك من بيت مال المسلمين ، واذا لم يكن فيه مايكفى لذلك ألزم القادرين بهذا الانفاق الضرورى [(٢)] "فالبلد اذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذوى الحاجات فكفوا عن معونتهم . فان كان فى بيت المال مال لم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر باصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعونة بنى السبيل فى الاجتياز بهم ، لأنها حقوق تلزم بيت المال دونهم ، وكذلك لو استهدمت مساجدهم وجوامعهم ، فأما اذا أعوز بيت المال كان الأمر ببناء سورهم واصلاح شربهم وعمارة مساجدهم وجوامعهم ومراعاة بنى السبيل فيهم متوجها الى كافة ذوى المكنة منهم ولايتعين أحدهم فى الأمر به .. فأما اذا كف ذوو المكنة عن بناء مااستهدم وعمارة مااسترم ، فان كان المقام فى البلد ممكنا وكان الشرب وان قل مقنعا تاركهم واياه . وان تعذر المقام فى البلد لتعطيل شربه واندحاض سوره ، نظر فان كان البلد ثغرا يضر بدار الاسلام تعطيله لم يجز لولى الأمر أن يفسح فى الانتقال عنه وكان حكمه حكم النوازل اذا حدثت فى قيام كافة ذوى المكنة به ، وكان تأثير المحتسب فى مثل هذا اعلام

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٥٧ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٣٠٥ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢٠٨ .

(٢) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/١٦٦ .

السلطان به وترغيب أهل المكنة فى عمله ، وان لم يكن هذا البلد ثغرا - مصرا بدار الاسلام - كان أمره أيسر وحكمه أخف ولم يكن للمحتسب أن يأخذ أهله جبرا بعمارته لأن السلطان أحق أن يقوم به "[(١)] .

* قيام المحتسب برقابة تحصيل ايرادات الدولة ، فاذا وصل الى علمه أن قوما يمنعون اخراج نصيب الدولة فى أموالهم أو يتهربون من الدفع باخفاء أموالهم الباطنة ، أو يتجنبون دفع الزكاة ، فان لوالى الحسبة أن يحمل منهم جبرا هذه الايرادات[(٢)] .

* على المحتسب أن يحول دون انفاق الأموال العامة فى غير الأبواب المخصصة لها شرعا ، ويكشف ماقد يكون من اسراف أو بذخ من جانب القائمين على هذا الانفاق[(٣)] .

* يتعاهد المحتسب "الأئمة والمؤذنين فمن فرط منهم فيما يجب عليه من حقوق الأمة ، وخرج عن المشروع ألزمه به واستعان فيما يعجز عنه بوالى الحرب والقضاء"[(٤)] كما يشرف "على الجوامع والمساجد ويأمر قومتها بكنسها فى كل يوم وتنظيفها من الأوساخ .. وصيانتها من الصبيان والمجانين وممن يأكل فيها الطعام أو ينام أو يعمل صناعة أو يبيع سلعة او ينشد ضالة أو يجلس فيها للناس لحديث الدنيا .. ولايؤذن

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤٥-٢٤٦ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٨٩-٢٩٠ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢٦ .

(٢) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/١٦٧ . انظر أيضا الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٩٢ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢٨ .

(٣) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/١٦٧ ، انظر أيضا الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٤٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٩٢ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٢٩ .

(٤) ابن قيم : الطرق الحكمية ص/٢٤٠ .

فى المنارة الاعدل ثقة أمين عارف بأوقات الصلوات" (١).

* مراقبة المحتسب للموازين والمكاييل حيث يقوم (٢) بتفقدها "على حين غفلة من أصحابها" (٣) لذا لزمه معرفة الموازين والمكاييل ومعاييرها التى تقاس عليها (٤).

---

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ص/١١٠-١١١ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/١٧٢،١٧٦ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٥٤ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٩٩ ، الشيزرى : نهاية الرتبة ص/٢٠ ، أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف : رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ، نشر ا. ليفى بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م ص/١٠٦-١٠٩ . أيضا عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفى : رسالة فى الحسبة ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية ، نشر ا.ليفى بروفنسال ص/١٢٠ ، ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية ص/٢٤٠ ، أيضا انظر يحيى بن عمر : يحيى بن عمر بن يحيى الأندلسى (ت ٢٨٩هـ ٩٠١م) : أحكام السوق ، نشر الأستاذ محمود علي مكى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٥٦م ص/١٠٣ ، حيث قال : "ينبغى للوالى أن يتحرى العدل وأن ينظر فى أسواق رعيته ويأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق ويعير عليهم صنجهم وموازينهم ومكاييلهم كلها فمن وجده غير من ذلك شيئا عاقبه على قدر مايرى من جرمه " .

(٣) الشيزرى : نهاية الرتبة ص/١٩-٢٠ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٨٥ ، حيث يتفقد المحتسب الصنج والحبات والمثاقيل والارطال وغير ذلك .
ويذكر يحيى بن عمر أن ذلك من واجبات السلطان الذى ينبغى عليه أن يتفقد المكيال والميزان فى كل حين وأن يضرب الناس على الوفاء ، وكذلك كان مالك يقول ويأمر به ولاة السوق بالمدينة . أحكام السوق ص/١٣٣ .
فمتى استراب بموازين السوقة ومكاييلهم جاز له أن يختبرها ويعايرها . انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢٥٤ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٩٩ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/١٣٠ .

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة ص/١٥،١٨ ، ابن الاخوة : معالم القربة ص/٨٠،٨٣ ، فعلى المحتسب أن يعرف عيار الموازين والمكاييل وعيار القناطر والارطال والمثاقيل والدراهم والأذرع .

* يمنع المحتسب ترويج النقد الزائف بين الناس ، وتغيير الصيارفة لهيئاتها حتى لايغشوا الناس (١) ، كما يمنع أن تتخذ "النقود متجرا ، فانه بذلك يدخل على الناس من الفساد مالايعلمه الا الله ، بل الواجب أن تكون النقود رؤوس أموال يتجر بها ولايتجر فيها ، واذا حرم السلطان سكة أو نقدا منع من الاختلاط بما أذن في المعاملة به" (٢) .

---

(١) ابن الاخوة : معالم القربة ص/٧٠-٧١ . ويقول يحيى بن عمر : ان على الوالي أن يعين من يثق به أن "لايقبل النظر ان ظهر في سوقهم دراهم مبهرجة - أى مزيفة - ومخلوطة بالنحاس بأن يشتد فيها ويبحث عمن أحدثها فان ظفر به أناله من شدة العقوبة وأمر أن يطاف به الأسواق لينكله .. حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم" . أحكام السوق ص/١٠٤ .
كما تحدث السنامي عن واجب المحتسب في مراقبة الدراهم والدنانير وغيرها من أنواع الأثمان . نصاب الاحتساب ص/٢٣١ .

(٢) ابن قيم الجوزية : الطرق الحكمية ص/٢٤٠ . ويقول د. حسن الباشا : ان المحتسب كان يشرف على دور الضرب والعيار . دراسات في الحضارة ص/٧٧ .

المبحث الثالث

رقابة الدواوين

رقابة الدواوين .(١)

الديوان أو الديوان ـ بفتح الدال أو كسرها ـ مجتمع الصحف ، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية ، جمعه دواوين ودياوين . فهو عبارة عن جريدة الحساب(٢) ، ثم أطلق على الحساب ، ثم أطلق على موضع الحساب(٣) ، وعرفه الماوردى بقوله : "الديوان موضع لحفظ مايتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال .."(٤) .

واختلف فى أصل كلمة "ديوان" فقيل : انه عربى ومعناه الأصل الذى يرجع اليه ويعمل بما جاء فيه ، ومنه قول ابن عباس : "اذا سألتمونى عن شىء من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب" ، ويقال دونه أى أثبته واليه يميل سيبويه ، وذهب آخرون الى أنه عجمى وهو قول الأصمعى ، وقيل انه فارسى معرب(٥) . وهذا مايراه أيضا كل من ابن قتيبة(٦) والصولى (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م)(٧) ، والماوردى(٨) .

---

(١) لقد كان اختيار فترة البحث موفقا ، لأن الدواوين بعد هذه الفترة لم يعد لها دور تنظيمى أو رقابى ، وذلك بعد استيلاء الأتراك على أمور الدولة بخاصة فى عصر امرة الأمراء حيث "أزيلت سوق الدواوين وأبطلت" .
انظر : د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ١٦١/١ ، نقلا عن مسكويه : تجارب الأمم ص/٩٩، ١٧٥ .

(٢) الفيروز آبادى : القاموس المحيط ص/١٥٤٥ .

(٣) الفيومى : أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م) : المصباح المنير ، القاهرة ١٣٠٦هـ ٢٠/١ .

(٤) الأحكام السلطانية ص/١٩٩ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٣٦ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٣٣١هـ/١٩١٣م ٨٩/١-٩٠ .

(٦) عيون الأخبار ٥٠/١ .

(٧) الصولى : أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٦هـ/٩٤٧م) : أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، ومحمود شكرى الألوسى ، بدون ص/١٨٧ .

(٨) الأحكام السلطانية ص/١٩٩ ، أيضا أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٣٦ .

وقد كان مقر الدواوين المركزية عاصمة الدولة العباسية ، ومتى أراد أحد الخلفاء التحول من العاصمة الى عاصمة أخرى جديدة كان يبادر أولا بنقل الدواوين ، فتذكر المصادر انه فور اتمام المنصور بناء بغداد سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م عاصمة ملكه الجديدة ، باشر بنقل الخزائن والدواوين وبيوت الأموال من الكوفة اليها (١) .

وعندما أراد المعتصم التحول الى سامراء - ٢٢١هـ/٨٣٥م - العاصمة الجديدة التى اتخذها بدلا من بغداد ، نقل اليها الدواوين حيث قام بانشاء بيت المال الجديد ودواوين الدولة ودار العامة (٢) .

وكان المتوكل عندما وصل الى دمشق - سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م - وعزم على المقام بها وجعلها عاصمة لدولته "نقل دواوين الملك اليها" (٣) ، وكذلك فعل فى سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م عندما بنى مدينة الجعفرية - بالقرب من سامراء - وانتقل اليها "ونقل الكتاب والدواوين" (٤) .

والهدف الأساسى من انشاء الدواوين فى الاسلام هدف رقابى (٥)

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٦١/٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٠٠ ، المسعودى : التنبيه ص/٣١٢ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٦٧/١ ، الحميرى : الروض المعطار ص/١١٠ ، وقد كان بناء بغداد استمر من سنة ١٤٥هـ الى سنة ١٤٩هـ غير أن بناء المساكن والمرافق انتهى منه فى سنة ١٤٦هـ حيث بقى بعد ذلك بناء سور المدينة وباقى التحصينات .
وتجدر الاشارة الى أن هناك دواوين مركزية مقرها عاصمة الدولة ودواوين فرعية - تابعة لها - منتشرة فى باقى أقاليم وبلدان الدولة . انظر عن ذلك مايلى من البحث فى هذا الموضوع تحت عنوان "أعمال الرقابة داخل الدواوين" .

(٢) رشيد الجميلي : دراسات تاريخية ص/١٠٢ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص/٧٧-٧٨ ، نقلا عن اليعقوبى : البلدان ص/٢٥ .

(٣) ابو الفداء : المختصر ٤٠/٢ .

(٤) اليعقوبى : تاريخ ٤٩٢/٢ . وقد بناها فى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من قصر سامراء .

(٥) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/٢٠١ .

ويتضح ذلك من خلال التخصصات التى أسندت اليها ، والتنظيمات الداخلية التى يشتمل عليها كل ديوان ، ومن الممكن أن نتناولها بالدراسة على النحو التالى :

أولا : رقابة ديوان المظالم .(١)

النظر فى المظالم "هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة . فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع ، لأنه يحتاج فى نظره الى سطوة الحماة وثبت القضاه ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر فى الجهتين" .(٢)

---

(١) يقول مولوى حسينى : "ليس من اليسير الحصول على تفاصيل خاصة بالوقت الذى ظهرت فيه الدواوين" ، ويقول أسس العباسيون ديوانا منظما للمظالم وتولى جعفر البرمكى رئاسة هذا الديوان فى عهد الرشيد . الادارة العربية ، ترجمة د. ابراهيم العدوى ، راجعه عبد العزيز عبد الحق ، المطبعة النموذجية بالحلمية ، مصر بدون ص/٢٩٣،٣٠٣ ، أيضا انظر أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٨٩ .
ويقول د. البطاينة : ان ديوان النظر فى المظالم استحدثه المهدى : تاريخ الحضارة ٤٤/١ ، أيضا د. صبحى الصالح : النظم الاسلامية ص/٣١٧ .
ويقول د. رشيد الجميلى : ان المهدى أنشأ مجلسا خاصا لرد المظالم . دراسات تاريخية ص/٢٥٦ ، فى حين يؤكد د. حسن الباشا على وجود ديوان المظالم زمن المتوكل بقوله : "وصلنا ثبت بدواوين معينة فى عهد المتوكل لكل منها اختصاصاته المتميزة فنجد مثلا ... ديوان النظر فى المظالم ويتضح من وظيفته أنه كان لكل مواطن الحق فى التظلم للخليفة نفسه" . دراسات فى الحضارة ص/٥٦ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٧ ، أبو يعلى الفراء الأحكام السلطانية ص/٧٣ ، ويقول قدامة بن جعفر : ديوان المظالم "سبيله أن يتقلده رجل له دين وأمانة ، وفى خليقته عدل ورأفة ليكون ذلك منه نافعا للمتظلمين" . الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدى ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية ١٩٨١م ص/٦٣ .
=

وديوان المظالم بمثابة محكمة استئناف عليا يلجأ اليه المتقاضون اذا اعتقدوا أن القاضى لم يحكم بينهم بالعدل ، كما يلجأ اليه المتظلمون من تعدى ذوى الجاه والحسب أى من الولاه أوجباة الأموال أو كتاب الدواوين أو أحد أبناء الخلفاء أو الأفراد أو غيرهم (١) .

وديوان المظالم من أهم أجهزة الرقابة فى الدولة الاسلامية ، حيث لاتتوقف رقابته عند ضبط المخالفة ورفع تقرير بشأنها الى الجهات المختصة لاتخاذ اللازم ، بل انه يقوم بازالة المخالفة وماترتب عليها من آثار ، ويقوم بتوقيع الجزاء على مرتكب المخالفة اذا اقتضى الأمر ذلك (٢) .

يقول الماوردى (٣) : "الذى يختص بنظر المظالم يشتمل على عشرة أقسام" هى :

= ويقول ابن خلدون : ان المظالم "وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدى وكان يمضى ماعجز القضاه أو غيرهم عن امضائه" . المقدمة ص/٢٢٢ .

(١) محمد أبو محمد امام : نظم الحكم فى العصر العباسى الأول ، رسالة ماجستير ، اشراف الدكتور ابراهيم نجيب عوض ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (لم تنشر) ص/٢٨٨ ، انظر أيضا : د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٦٣ ، د. رشيد الجميلى : دراسات تاريخية ص/٢٥٦ ، الشبانى : نظام الحكم ص/٦٦ ، د. منيب ربيع : ضمانات الحرية ص/١٤٨-١٤٩،١٥٩ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٨٩ ، د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/٢٩٤-٢٩٥ ، د. فتحية نبراوى : النظم الاسلامية ص/١١٦ د. صبحى الصالح : النظم الاسلامية ص/٣١٧ .
وتجدر الاشارة الى أن هذا الديوان قائما اليوم بنفس المسمى (ديوان المظالم) فى المملكة العربية السعودية

(٢) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٥٨، ٤٥٩ .

(٣) الأحكام السلطانية ص/٨٠-٨٣ ، أيضا أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٦-٧٨ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٣٩-٤٠ .
وتجدر الاشارة الى أن مجلس النظر فى المظالم يستكمل بحضور خمسة أصناف لايستغنى عنهم ، أحدهم الحماه =

(١) النظر في تعدى الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة ، فهذا من لوازم النظر في المظالم الذى لايقف على ظلامة متظلم ، فيكون لسيرة الولاة متصفحا وعن أحوالهم مستكشفا ، ليقويهم ان أنصفوا ويكفهم ان عسفوا ، ويستبدل بهم ان لم ينصفوا .

(٢) جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه الى القوانين العادلة في دواوين الأئمة ، فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها ، وينظر فيما استزادوه ، فان رفعوه الى بيت المال أمر برده ، وان أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه .

(٣) كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه لهم ويوفونه منه ، فيتصفح أحوال ماوكل اليهم ، فان عدلوا بحق من دخل أو خرج الى زيادة أو نقصان أعاده الى قوانينه وقابل على تجاوزه .

وهذه الأقسام الثلاثة لايحتاج والى المظالم في تصفحها الى متظلم .

(٤) تظلم المسترزقة من نقص أرزاقهم ، أو تأخرها عنهم واجحاف النظر بهم ، فيرجع الى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريهم عليه ، وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل ، فان أخذة ولاة أمورهم استرجعه منهم ، وان لم يأخذوه قضاه من بيت المال .

= والأعوان : لجذب القوى وتقويم الجرىء ، الصنف الثانى القضاه والحكام : لاستعلام مايثبت عندهم من حقوق ومعرفة مايجرى في مجالسهم بين الخصوم ، والصنف الثالث الفقهاء : ليرجع اليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل ، والصنف الرابع الكتاب : ليثبتوا ماجرى بين الخصوم وماتوجه لهم أو عليهم من الحقوق ، والصنف الخامس الشهود : ليشهدهم على ماأوجبه من حق وأمضاه من حكم .

(٥) رد الغصوب ، وهى ضربان أحدهما غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها ، اما لرغبة فيها واما لتعد على أهلها ، فهذا ان علم به والى المظالم عند تصفح الأمور أمر برده قبل التظلم اليه ، وان لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه ، ويجوز أن يرجع فيه عند تظلمهم الى ديوان السلطنة ، فان وجد فيه ذكر قبضها على مالكها عمل عليه وأمر بردها اليه ولم يحتج الى بينة تشهد به وكان ماوجده فى الديوان كافيا .

والضرب الثانى من الغصوب ماتغلب عليه ذوو الأيدى القوية وتصرفوا فيه تصرف الملاك بالقهر والغلبة ، فهذا موقوف على تظلم أربابه .

(٦) مشارفة الوقوف وهى ضربان : عامة وخاصة . فأما العامة فيبدأ بتصفحها وان لم يكن فيها متظلم ليجريها على سبيلها ويمضيها على شروط واقفها . أما الوقوف الخاصة فان نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها .

(٧) تنفيذ ماوقف من أحكام القضاه لضعفهم عن انفاذه ، وعجزهم عن المحكوم عليه لتعززه وقوة يده ، أو لعلو قدره وعظم خطره ، فيكون ناظر المظالم أقوى يدا وأنفذ أمرا ، فينفذ الحكم على من توجه عليه بانتزاع مافى يده ، أو بالزامه الخروج مما فى ذمته .

(٨) النظر فيما عجز عنه الناظرون فى الحسبة من المصالح العامة ، كالمجاهرة بمنكر ضعف عن دفعه ، والتعدى فى طريق عجز عن منعه ، والتحيف فى حق لم يقدر على رده ، فيأخذهم بحق الله تعالى فى جميعه ، ويأمرهم بحملهم

على موجبه .

(٩) مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد والحج والجهاد ، من تقصير فيها واخلال بشروطها ، فان حقوق الله أولى أن تستوفى ، وفروضه أحق أن تؤدى .

(١٠) النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين .(١)

ومما سبق نستطيع ادراك أهمية ديوان المظالم ، الذى كان يقوم بأعمال رقابية واسعة النطاق ، استمدها من السلطات الممنوحة له ، حيث كان يجمع بين سلطة القضاء وسلطة التنفيذ .(٢)

---

(١) وردت فى كتاب الأحكام السلطانية للماوردى عبارات ذات معنى غير مستقيم ، ويرجع ذلك الى أن النسخة التى اعتمدت عليها - المتوفرة - غير محققه ، وقد قمت باثبات عبارات بديلة عنها تؤدى المعنى المقصود اعتمادا على كتاب الأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء - وهو كتاب محقق - .
وتجدر الاشارة الى أن الماوردى عند حديثه عن ولاية المظالم كان يتناول سلطات المتولى لها ، وهو اما أن يكون الخليفة أو من ينوب عنه كالوزير أو الأمير . وعلى ذلك ساق كلامه . أما قدامة بن جعفر فعند حديثه عن ديوان المظالم لم يتحدث عن والى المظالم وانما تحدث عن متولى جمع قصص المتظلمين وعرضها على الخليفة ثم العمل على تسجيلها وانفاذها الى الجهات المختصة . وأسماه "صاحب الديوان" . ولم يتعرض لاختصاصات متولى المظالم سواء الخليفة أو نائبه .
انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٧ ، قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ص/٦٣ .
والحق أن ديوان المظالم كما سبقت اشلارة كان قائما فى عصر الدولة العباسية - زمن البحث - والذى يهمنا هو اختصاصات هذا الديوان دون الاهتمام بمن يتولاه أو الاجراءات التى تتم بداخله لتنظيم شئونه ، فأعمال الرقابة فى الدواوين بصفة عامة سوف نناقشها فيما يلى من البحث .
يقول د. حمدى عبد المنعم : "كان الخلفاء الأولون يباشرون ولاية المظالم بأنفسهم ثم أفرد لهذه الولاية وال مختص ينظرها ثم أصبح للمظالم ديوان خاص يعرف بديوان المظالم ، وهو محكمة عليا يرأسها الخليفة نفسه أو أحد الأفراد" . ديوان المظالم نشأته وتطوره ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص/٢٦ .

(٢) انظر خلافا لما سبق المقارنة التى عقدها الماوردى بين نظر المظالم ونظر القضاه : الأحكام السلطانية ص/٨٣-٨٤ أيضا الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٩ .

ثانيا : رقابة دواوين الأزمة وديوان زمام الأزمة .

الزمام : جمعه أزمه[1] وزمه فانزم[2] : شده وربطه ، يقال هو زمام قومه أى مقدمهم وصاحب أمرهم ، وهو زمام الأمر أى به يقوم الأمر ، والقوا اليه زمام الأمر أى تركوا له أن يحكم ويقضى بما شاء[3] .

وعن نشأة دواوين الأزمة وديوان زمام الأزمة يقول الطبرى فى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م "وضع المهدى دواوين الأزمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاه ، فولى عمر بن بزيع النعمان بن عثمان - أبا حاتم - زمام العراق"[4] . وفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م "ولى المهدى على بن يقطين[5] ديوان زمام الأزمة على عمر بن بزيع ، وذكر أحمد بن موسى بن حمزة عن أبيه قال : أول من عمل ديوان الزمام عمر بن بزيع فى خلافة المهدى وذلك أنه لما جمعت له الدواوين تفكر فاذا هو لايضبطها الا بزمام يكون

---

(١) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ص/١٤٤٤ ، لويس معلوف وآخرون : المنجد فى اللغة والاعلام ، دار الشروق ، بيروت لبنان ، الطبعة الحادية والعشرون ١٩٧٣م ص/٣٠٥.

(٢) الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/١٤٤٤ .

(٣) المنجد فى اللغة والاعلام ص/٣٠٥ . وأضاف وهو على زمام أمره أى على شرف من قضائه ، وهو يصرف أزمة الأمور أى يقضى فيها بما يشاء .
ويقول الخزاعى : "قيل زمام لأنه مشتق من زمام الناقة الذى هو مانعها من ارادة هواها وقاصرها على المكان الذى عقلت فيه ، وكذلك الزمام سمى زماما : لحصر الأمور فيه وزمها وعقلها عن التلف خشية النسيان لها ، واتقاء الغفلة فيها ، وقيل للزمام ديوان لأنه جعل كالكتاب الذى تدون فيه المعانى والعلوم وتبين لتعلم ولتحفظ فى كل وقت فهو مدون لتقييد الأشياء والمعانى التى يخشى عليها من النسيان" . تخريج الدلالات السمعية ص/٢٣٩ .
يقول محمد كرد على : ان الدواوين كانت قبل دواوين الأزمة مختلطة . الاسلام والحضارة العربية ٢٠٩/٢ .

(٤) تاريخ ١٤٢/٨ .

(٥) على بن يقطين من وجوه الدعوة العباسية . انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٦ .

له على كل ديوان ، فاتخذ دواوين الأزمة وولى كل ديوان رجلا فكان واليه على زمام ديوان الخراج اسماعيل بن صبيح ولم يكن لبنى أمية دواوين أزمة " [(١)] .

غير أن الجهشيارى يشكك فى صحة الرواية التى تذكر أن دواوين الأزمة أحدثت فى عهد المهدى ، فى حين أنه يؤيد الرواية التى تذكر أن المهدى هو الذى استحدث ديوان زمام الأزمة ، حيث يقول : ان المهدى "قلد عمر بن بزيع دواوين الأزمة فى سنة اثنتين وستين ومائة ، وقد قيل ان المهدى أول من أحدثها" [(٢)] ، ثم يقول بعد ذلك : "قلد المهدى على بن يقطين الأزمة على عمر بن بزيع وتضعضعت حال عمر بن بزيع وذلك فى سنة ثمان وستين ومائة فصار على على زمام الأزمة ، وأحسب أن من ذكر أن المهدى أول من أحدث الأزمة انما أراد أزمة على الأزمة " [(٣)] .

والذى أراه من خلال البحث فى هذا الموضوع صحة ماذهب اليه الجهشيارى من أن دواوين الأزمة كانت قائمة قبل خلافة المهدى وانما عين المهدى من يتولاها فى عهده وزاد من اهتمامه بها ، والديوان الذى استحدثه المهدى هو ديوان زمام الأزمة [(٤)] . فقد سبق أن ذكر البلاذرى أن زياد بن أبيه كان

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٦٧/٨ .
(٢) الوزراء ص/١٤٦ .
(٣) الوزراء ص/١٦٦ .
(٤) زياد بن أبيه : مختلف فى نسبه أمير من الدهاه القادة الفاتحين الولاه ، كتب للمغيرة بن شعبة ثم لأبى موسى الأشعرى أيام امرته على البصرة ثم ولاه على بن أبى طالب امرة فارس ، وتولى فى عهد معاوية بن أبى سفيان البصرة والكوفة وسائر العراق ولم يزل فى ولايته حتى توفى سنة ٥٣هـ/٦٧٣م . الطبرى: تاريخ ٢/٤٠٢، ٣/٤٨٩، ٥٩٧، ٤/٢٩، ٦٦ . الزركلى : الأعلام ٥٣/٣ .

أول من اتخذ من العرب ديوان الزمام (١) . كما يذكر ابن خياط أن أبا جعفر المنصور عين اسحاق بن صالح بن مخلد على زمام الجند (٢) .

وهناك عدة اشارات في المصادر تثبت استمرار عمل دواوين الأزمة في الادارة العباسية خلال فترة البحث (٣) . وقد كانت ولاية هذه الدواوين ذات قدر كبير فهي من المناصب الهامة في الدولة (٤) .

---

(١) انظر : د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١٦١/١ ، أيضا أنور الرفاعي : النظم الاسلامية ص/٨٨ . نقلا عن البلاذري : فتوح البلدان . انظر أيضا قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتاب ص/٥٥ .

(٢) تاريخ ص/٤٣٦ . ويرى بعض الباحثين أنه من الخطأ اطلاق ديوان الزمام على ديوان الأزمة ذلك أن ديوان الأزمة كان مقره العاصمة ، وديوان الزمام كان منتشرا في الولايات . انظر حسيني : الادارة العربية ص/٣٠١-٣٠٢ ، أنور الرفاعي : النظم الاسلامية ص/٨٩ .

(٣) ورد ذكر دواوين الأزمة في عهد الهادي حيث تولاه في عهده الربيع بن يونس ثم ابراهيم بن ذكوان الحراني . انظر الطبري : تاريخ ٢٢٨/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٦٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٢٦/٣ ، التنبيه ص/٢٩٨ .
وفي عهد الرشيد ذكر أن محمد الأمين كان يكتب له على الزمام محمد بن يحيى بن خالد . الجهشياري : الوزراء ص/١٩٣ ، أيضا في عهد الرشيد طلب يحيى بن خالد بن برمك من أبي عبيد الله بن معاوية بن يسار أن يقلده ديوان الزمام ودواوين أخرى فاعتذر . الجهشياري : الوزراء ص/١٧٩ .
وقد أراد المعتصم أحمد بن عمار بن شادي بعد أن عزله عن الوزارة أن يتولى الأزمة على الدواوين فاستعفى منه الثعالبي : ثمار القلوب ص/٢٠٤ .
كذلك في عهد المعتصم ذكر أنه عندما تغير المعتصم على وزيره الفيض بن مروان عين أحمد بن عمار زماما على نفقاته الخاصة ونصر بن منصور بن بسام زماما على الخراج وجميع الأعمال . الطبري : تاريخ ٢٠/٩ .
وفي عهد المتوكل ولي ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م ديوان زمام النفقات وعزل عنه أبا الوزير ، الطبري : تاريخ ١٦٢/٩ .

(٤) انظر : الطبري : تاريخ ٢٢٨/٨ ، الجهشياري : الوزراء ص/١٦٧ ، المسعودي : مروج الذهب ٣٢٦/٣ ، التنبيه ص/٢٩٨ .

وقد تعرض مجموعة من الباحثين الى بيان المهام التى كانت تقوم بها دواوين الأزمة وديوان زمام الأزمة ، ومن ذلك أن ديوان الزمام أو الأزمة يشبه ديوان المحاسبات[(١)] ، أو قلم مراقبة الحسابات[(٢)] . حيث يهدف الى "الاشراف على أعمال الدواوين الكبيرة ومراقبة الناحية المالية منها خاصة"[(٣)] أى انه كان يشرف على ضبط الحسابات المالية والتدقيق فيها ، فصاحبه يشبه وزير المالية فى عصرنا الحاضر فانه يجمع الواردات والمصروفات ويقيم الموازنة بينهما[(٤)] .

ويدلنا استمرار عمل دواوين الأزمة فى عهد الدولة العباسية وانشاء ديوان زمام الأزمة على مدى التطور الادارى الذى وصلت اليه الدولة الاسلامية فى هذا العصر واهتمام الخلفاء بالاشراف على الدواوين ومراقبة أعمالها .

---

(١) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/٢٠٤ ، د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/١٩٣ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص/١١٤ ، مولوى حسينى : الادارة العربية ص/٣٠٢ .

(٢) د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/٢٠٣-٢٠٥ .

(٣) محمد أبو امام : نظم الحكم ص/١٦٦ ، نقلا عن د. عبد العزيز الدورى : النظم الاسلامية ص/١٩٩ ، انظر أيضا : محمود المرسى لاشين : التنظيم المحاسبى للأموال العامة فى الدولة الاسلامية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٧م ص/٨٠ ، صبحى الصالح : النظم الاسلامية ص/٣١٦-٣١٧ .

(٤) د. ضيف الله الزهرانى : موارد بيت المال فى الدولة العباسية ١٣٢-٢١٨هـ/٧٤٩-٨٣٣م ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص/٢٩١ ، د. السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ـ العصر العباسى الأول ـ مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، بدون ٣/٢٧٠ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٨٩ ، د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٤٢ ، د. عوف الكفراوى : الرقابة المالية ص/٢٠٥ .

ثالثا : أعمال الرقابة داخل الدواوين .

سبقت الاشارة الى أن الهدف الأساسى من انشاء الدواوين فى الاسلام هدف رقابى ، لذا تعددت اختصاصات الدواوين تبعا للمهام الموكلة بها .

وقد احتفظت روايات المصادر بأسماء مجموعة من الدواوين المركزية التى كانت قائمة فى العصر العباسى - خلال فترة البحث - مع الاشارة أحيانا الى فروعها فى أقاليم وبلدان الدولة المختلفة (١) .

ولعل أهم الدواوين المركزية اضافة الى ديوان المظالم ودواوين الأزمة وديوان زمام الأزمة - التى سبق ذكرها - مايلى :

ديوان بيت المال (٢) ،

---

(١) كثيرا ماتشير المصادر الى وجود فروع للدواوين المركزية فى أنحاء الدولة المختلفة لاسيما دواوين الخراج وبيت المال والجند . وهى اشارات يصعب حصرها ، ولكن انظر مثالا على ذلك : ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٢ ، ابن طيفور : بغداد ص/٦٢،٢٦ ، الطبرى : تاريخ ٩٧/٨، ١٢٨،١٤٢،١٦٧،١٨٩،٥٨٧ ، ١٧٧/٩-١٧٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٤،١٦٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٧٣ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٢/٣ .

(٢) أشير الى ديوان بيت المال - أو بيت المال - زمن السفاح والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والمأمون . انظر فى ذلك : ابن سعد : الطبقات الكبرى القسم المتمم ص/٤٥٧ ، الزبيرى : نسب قريش ص/٢٧١،٤٠٠ وذكر بيت المال الأعظم زمن المنصور ص/٣٩٦ ، ابن خياط تاريخ ص/٤٣٦-٤٤٢،٤٤٧ ، وقال بيوت الأموال والخزائن ، البلاذرى : فتوح البلدان ٨١/١ ، وقال بيت مال الحضره زمن الرشيد ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٣١/٢ ، اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٢ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦١ ، الأصفهانى : الأغانى ١٧١/١٢ ، ١٤٢/٢٣ ، وذكر بيت مال الخاصة زمن الهادى ٢٠٠/٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ٨٩/١ ، ٣٤٩/٢ ، ٣٨٨/٥،٤١٣ ، ٨١/٦-٨٢ ، ٢٥٢/٧ ، ٢١٤/١٠ ، ٣٩٦/١٢-٣٩٧، ٤٣/١٤ ، وذكر بيت مال السرور زمن الرشيد ٩/١٤ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١٣/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٩ الذهبى : العبر ١٧٠/١ .

ديوان الخراج (١) ، ديوان النفقات (٢) ، ديوان العطاء (٣) ، ديوان الصدقات (٤)، ديوان الصوافى (٥) ، ديوان الضياع (٦) ، ديوان المصادرين (٧)

---

(١) ذكر ديوان الخراج زمن السفاح ، والمنصور ، والمهدى ، والهادى ، والرشيد ، والمأمون ، والواثق ، والمتوكل .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٦٥ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٨٥/٢ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ ، البلدان ص/٢٤٠ ، الطبرى : تاريخ ١١٥/٨ ، ١٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ١٦٢/٩ ، ١٨٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٩ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٤٠ ، ١٦٠ ، البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/٤٤٧ ، ابن النديم : الفهرست ص/١٨٤ ، التنوخى : نشوار ٤٧/٨ ، ٥١ ، الشابشتى : الديارات ص/١٥٥ ، الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٢٨ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣٧/٥ .

(٢) ذكر ديوان النفقات – أو ولاية النفقات – فى زمن المنصور والمهدى والرشيد والمأمون والمتوكل .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٢ ، اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠ ، الطبرى : تاريخ ٢٣٨/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٥ ، ١٨٩ ، ٢٧٧ ، الأصفهانى : الأغانى ٧٧/٢١ ، ابن خلكان : وفيات ٤٦/١ .

(٣) ذكر ديوان العطاء ضمنا فى روايات المصادر حيث يفهم منها ان هناك ديوانا للعطاء منذ زمن مبكر – فى عهد المهدى – كما أشير الى ذلك فى عهد الأمين .
انظر : الزبيرى : نسب قريش ص/٢٤٢ ، ابن بكار : نسب قريش ص/١٠٩ ، ١٢٤ ، الطبرى : تاريخ ١٣٠/٨ ، ٣٦٩ ، الأزدى تاريخ الموصل ص/٢٤٠ ، الخطيب : تاريخ ١٧٣/١٠ ، ١٩٤/١٣ ، أبو الفداء : المختصر ٨/٢ .

(٤) وهو ديوان قائم منذ العصر الأموى . انظر نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٧٨ ، وقد أشير اليه فى عهد المأمون . انظر ابن طيفور : بغداد ص/١٢٨ ، الخطيب : تاريخ ١٩٤/١٤ .

(٥) ذكر فى عهد السفاح والرشيد ، انظر ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٦٦ ، ٢٧٧ .

(٦) ذكر ديوان الضياع – ومتولى الضياع – فى زمن المنصور ، والرشيد ، والمأمون ، والواثق ، والمتوكل اليعقوبى : تاريخ ٤٨١/٢ ، ٤٨٥ ، ٤٩٢ ، الطبرى : تاريخ ٢٠٩/٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٤ ، ٢٧٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٤/٤ ، الأصفهانى : الأغانى ٦٤/١٠ ، التنوخى : نشوار ٤٧/٨ ، ٥١ ، ١٩٦ ، ابن خلكان : وفيات ٤٦/١ .

(٧) انظر د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١٤٣/١ ، ويقول الطبرى ان المنصور كان اذا عزل أحدا واستخرج منه مالا جعله فى بيت مال سماه بيت مال المظالم . تاريخ ٨١/٨ ، ولعله كان ضمن ديوان بيت المال . انظر ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٩-١٦٠ .

ديوان الرسائل (١) – الانشاء أو الكتابة (٢) – (٣) ، ديوان الخاتم (٤) ، ديوان البريد (٥) ، ديوان التوقيع (٦) ، ديوان الجند – الجيش (٧) أو

---

(١) ذكر ديوان الرسائل – أو كاتب الرسائل – فى عهد المنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والمتوكل .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٥،٤٣٦،٤٤٢،٤٤٧،٤٦٥ ، ابن طيفور : بغداد ص/١٢٩ ، اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠ الطبرى : تاريخ ١٥٦/٨،٢٢٨ ، ١٥٥/٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٤،١٥٦،١٧٩،٢٥٧،٢٦٦،٢٧٧،٢٨٩ ، المسعودى : مروج الذهب ٣٢٦/٣ ، الأصفهانى : الأغانى ٥٩/٢٣،١٢٧،١٤٢ التنوخى : نشوار ١٣٦/٨ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٣٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٧٤ .
وقد كان ديوان الرسائل قائما فى العصر الأموى . انظر نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٨٠ .

(٢) ذكر باسم ديوان الانشاء فى عهد الرشيد والواثق . انظر ابن الدايه : المكافأة ص/١٤٥ ، ابن العمرانى : الانباء ص/١١٣ .

(٣) ذكر باسم ديوان الكتابة فى عهد المأمون . انظر ياقوت معجم البلدان ٥٤٠/٢ .

(٤) ذكر ديوان الخاتم – أو متولى الخاتم – فى عهد السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمتوكل .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤١٥،٤٣٦،٤٤٣،٤٤٧،٤٦٥ ، اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠، الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨،٢٣٨، ٢٢٢/٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٤،١٧٩،٢٨٩ ، الأزدى تاريخ الموصل ص/١٤٠،١٦٠،٤٠٨ ، المسعودى : التنبيه ص/٢٩٨ ، الأصفهانى : الأغانى ١٧١/١٢ ، ١٤٢/٢٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٧٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٥
وديوان الخاتم قائم منذ العصر الأموى . انظر نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٨٧ .

(٥) تكرر كثيرا دور البريد فى المصادر المتقدمة وأشير الى وجود ديوان البريد صراحة فى عهد الهادى والواثق انظر ابن العمرانى : الانباء ص/٧٤،١١٣ ، وهو من الدواوين التى كانت قائمة فى العصر الأموى . انظر نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٨٢ .

(٦) اليعقوبى : تاريخ ٤٨٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٢١٤/٩ ، وقال : ديوان التوقيع والتتبع على العمال ، أيضا مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٢/٦ .

(٧) ذكر ديوان الجند فى عهد السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والأمين .
انظر : ابن خياط : تاريخ ص/٤٣٦،٤٤٢،٤٦٥ ، اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠ ، الدينورى : الأخبار ص/٣٩٦ ، الطبرى : تاريخ ١٨٩/٨،٤٠٥،٤٢٢ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٨٩،٢٧٧ =

العساكر[1] ـ ، ديوان الاحشام ، ديوان الحوائج ، ديوان العامة[2] ديوان السر[3] .

وقد كان لهذه الدواوين تنظيمات داخلية تقوم بمهمة الرقابة على أعمالها يمكن أن نوضحها فيما يلى :

أولا : المجالس الرقابية .

(١) مجلس الحساب[4] :

من مجالس ديوان الخراج[5] . كان يقوم بتصنيف الأموال الواردة الى ديوان الخراج ، وتنظيم قوائم بالحسابات

= وقال الأصفهاني أن عجيف بن عنبسة ـ أحد القادة زمن المعتصم ـ كان له من يكتب على ديوان الفرض لعله ديوان عطاء الجند . الأغانى ٧٠/٢١ . وذكر هذا الديوان زمن بنى أمية ، انظر نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٥٦ .

(١) د . محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١٢٦/١ .

(٢) اليعقوبى : البلدان ص/٢٤٠ ، ذكرها ضمن الدواوين التى نقلها المنصور من الكوفة الى عاصمته الجديدة بغداد سنة ١٤٦هـ .

(٣) ذكر هذا الديوان زمن الرشيد والمامون ، انظر ابن طيفور : بغداد ص/١٢٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٢٧٧، ٢٦٦ .

(٤) ذكر مجلس الحساب زمن الرشيد حيث كان يتولاه الفضل بن مروان . انظر التنوخى : نشوار ٤٣/٨، ١٩٦ .

(٥) انظر قدامة بن جعفر : الخراج ص/٢٢ ، حيث ذكر عند حديثه عن ديوان الجيش أن مجلس التقدير فى ديوان الجيش يقابل مجلس الحساب بديوان الخراج . انظر أيضا قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق د. طلال جميل رفاعى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ص/١٣٧ . وقد ذكر أن مجلس الحساب كان أحد مجالس ديوان الضياع أيضا ، ويتضح انه كان يقوم برصد المصروفات ، يقول الفضل بن مروان : "كنت أعمل فى ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظرت فى حساب السنة التى نكب فيها البرامكة ووجدت قد أثبت فيه ثمن هدية دفعتين من مال ضياع الرشيد أهداهما الى جعفر بن يحيى بضعة عشر ألف دينار ، وفيه بعد شهور من هذه الهدية قد أثبت فى الحساب ثمن نفط وحب قطن ابتيع وحرق بها جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطا ذهبا" . انظر التنوخى : النشوار ١٩٦/٨ ، وقال فى موضع آخر مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد ـ ولم يحدد ـ ٤٣/٨ انظر أيضا رواية مشابهة لابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٠ .

المتعلقة بكل صنف من الأصناف ، فقد كان ديوان الخراج يتسلم أموال الضرائب المختلفة من خراج وجزية وزكاة وأعشار وأخماس وغيرها ، وماهو موجود منها نقدا أو عينا ، وبيان أوجه الصرف في الديوان وبعبارة أخرى فقد كان الغرض من مجلس الحساب هو ضبط الناحية المالية .(١)

(٢) <u>مجلس الجهبذة</u> :(٢)

من مجالس ديوان الخراج ، كان يشرف على أعمال "مجلس الحساب" وكان الغرض من وجوده تدقيق الحسابات ، كما كان يقوم بالسيطرة على الأموال والعينيات الموجودة في الخزانة وقد كان يطلق على من يتولى رئاسة هذا المجلس اسم

---

(١) د. حسام الدين السامرائي : المؤسسات الادارية ص/١٩٧ .

(٢) يفهم من قصة يرويها التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة انه كان للجهبذة زمن الرشيد دائرة خاصة لعلها شعبة من بيت المال ٢/٣٩-٤٠ ، وكان في بغداد ديوان خاص يسمى ديوان الجهبذة ومن واجباته الرئيسة أن يعد في نهاية كل شهر وكل سنة حسابا بالدخل والخرج وأن يقدمه لبيت المال . وأول اشارة الى ديوان مستقل للجهبذة سنة ٣١٦هـ . انظر : عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٥٩ .
أما عن متولى الجهبذة فقد أشير اليه في زمن المنصور حيث "كان الى صدقة الجهبذة وأبواب الاستخراج في أيام المنصور" . ابن النديم : الفهرست ص/٢٨٩ ، كما ولى المورياني وزير المنصور أحد أهل الذمة جهبذة بعض نواحي الأهواز ، وذكر له تعامله مع أحد الجهابذة للايقاع بخالد بن برمك . الجهشياري : الوزراء ص/١٠٠، ١١٤ .
كما ذكر الجهبذ زمن الرشيد في حادثة القضاء على علي ابن عيسى ، الطبري : تاريخ ٨/٣٢٩ ، وكذلك ذكر الجهبذ زمن المتوكل ، فقد "طولب أبو سعيد الثغري – ت ٢٣٦هـ وكان ولي أذربيجان وأرمينية – بمال بعد غزواته المشهورة وسلم الى أبي الحسن النصراني الجهبذ ليستخرج منه المال فجعل يعذبه ..." . التنوخي : الفرج ٢/١٦ .
وقد ذكر د. الدوري أن الجهبذ كاتب خراج كان معروفا عند المسلمين في أوائل العصر الأموي زمن معاوية . تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٥٨ .

"الجهبذ" .(١)

وواجبات الجهبذ تتلخص فى أن عليه أن يستلم الوارد من الخراج والموارد الأخرى ويساعده فى عمله كاتب خاص ، وان عليه أن يقدم قائمة خاصة بالدخل اليومى ثم تقابل قوائمه بقوائم كاتبه ، كما تقابل "البراءات" ـ الوصولات ـ التى يصدرها بسجل الوارد ، وكان الجهبذ يعمل حسابا شهريا بالدخل يدعى "الختمة" وحسابا سنويا يسمى "الختمة الجامعة" والخلاصة فان أهم واجباته التأكد من وصول الواردات بكاملها الى الديوان .(٢)

(٣) <u>مجلس التفصيل</u> :

من مجالس ديوان الخراج أيضا ، مهمته النظر فى الجرائد والحمول(٣) ، وتصفح أسماء ومنازل الأرزاق ، ومايحتاج اليه عمال الخراج ، وتدقيق مايرد ومايصدر اليهم .(٤)

---

(١) د . حسام الدين السامرائى : المؤسسات الادارية ص/١٩٧ . وقد سبقت الاشارة الى تأخر انشاء ديوان خاص بالجهبذة ويقول د . حسام الدين أن ديوان الجهبذة مشتق من ديوان بيت المال ، فهو شعبة فرعية أو ديوان فرعى تابع لديوان بيت المال "كان يقوم بتصريف الأمور فيه كتاب اختصوا بالحسابات والأمور المالية يطلق عليهم "الجهابذة" ، أما الغرض منه فهو تدقيق حسابات الواردات والمصروفات الفرعية التى كانت لاتدخل فى فصول الأموال الرئيسية الخاضعة للدواوين المختلفة" . المؤسسات الادارية ص/٢٤٤،٢٥٢ .

(٢) عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى ص/١٥٨-١٥٩ . وقد عرف الفيروزابادى الجهبذ بقوله : "الجهبذ بالكسر : النقاد الخبير" . القاموس المحيط ص/٤٢٤ ، وعن تعريف البراءة والختمة والختمة الجامعة ، انظر مايلى من البحث .

(٣) الجرائد : انظر تعريفها فيما يلى من البحث . أما الحمول : فهى الأموال التى تحمل سواء كانت عينية أو نقدية .

(٤) د . حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/١٩٨ .

(٤) مجلس التقدير :

من مجالس ديوان الجيش ، مهمته التقدير فى "أمر استحقاقات الرجال والاستقبالات وأوقات أعطياتهم وسياقة أيامهم وشهورهم على رسومها وعمل التقدير لما يحتاج الى اطلاقه لهم من الأرزاق فى وقت وجوبها وتجريد النفقات التى تنفذ لوجوهها ، والنظر فى موافقات المنفقين واخراج احوالها ، وماشاكل هذه الأشياء وجانسها ، ومجلس التقدير بديوان الجيش هو المجلس الذى اليه الرجوع فى أكثر أعماله ومجراه فى ديوان الجيش مجرى مجلسى الحساب من ديوان الخراج" (١) .

(٥) مجلس المقابلة :

من مجالس ديوان الجيش أيضا ، مهمته "النظر فى الجرائد وتصفح الأسماء ، ومنازل الأرزاق والأطماع ، واخراج الخلاف فيما يرد من رفوع المنفقين ، ويصدر ويرد من الكتب اليهم ومنهم ، ويجرى هذا المجلس فى ديوان الجيش مجرى مجلس التفصيل من ديوان الخراج" (٢) .

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٢١-٢٢ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٣٦-١٣٧ .
وعن معنى الموافقات انظر مايلى من البحث .

(٢) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٢١،٢٣ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٣٦،١٣٨-١٣٩ .
الأطماع سبق تعريفها ، أما الجرائد فعرفت فيما يلى من البحث .
يقول د. حسام السامرائى : مجلس المقابلة يقوم بمراقبة كفاءة الجند بعد اثباتهم وتصفح سجلاتهم ومنازل أرزاقهم ومايتعلق بكل منهم من تحويل أو وضع أو نقل أو فك أو ساقط أو مخل ، وكان يقوم بمراقبة ماكان يرد الى ديوان الجيش من دفوع المنفقين وحل مشاكلهم كما كان يعنى عناية خاصة برفع التدريب واستمراره . المؤسسات الادارية ص/١٥٦-١٥٧ .

(٦) مجلس بيت المال :

من مجالس ديوان النفقات ، "وينفرد المتولى له بالنظر فى الختمات المرفوعة منه الواردة من ديوان النفقات ، والمقابلة بما ثبت فيها من الاحتسابات بما يدل عليه ديوان النفقات من المكاك ، والاطلاقات المنشاه من هذا الديوان ، فيجب أن يكون الكاتب المفرد بهذا المجلس مشغولا بالمقابلة بذلك واخراج الخلاف فيه " (١) .

فمجلس بيت المال كان يقوم بتنظيم حسابات ديوان النفقات ، وتوخى ضبطها ، وذلك بمقابلة النفقات ، من مكوك واطلاقات وأوامر صرف ، بمجاميع النفقات المصروفة ، التى كانت تصل الى ديوان النفقات من ديوان بيت المال ، وبمعنى أدق فقد كان على هذا المجلس التأكد من مطابقة تفاصيل نفقات البلاط العباسى الشهرية لمجموع ماصرف من الأموال (٢) .

(٧) مجلس البناء والمرمه :

من مجالس ديوان النفقات ، مهمته "محاسبة القوام والذراع والمهندسين على أمور ليست بالهينة ، ويحاسب فيه

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٣٥ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٧٣-١٧٥ .
والمكاك : جمع صك وهو عمل يعمل لكل طمع يجمع فيه أسامى المستحقين وعدتهم ومبلغ مالهم ويوقع السلطان فى آخره باطلاق الرزق لهم .
أما الاطلاقات : فهى أوجه الصرف . انظر الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٤٣،٣٨ .
ومهمة مجلس بيت المال فى ديوان النفقات تشبه مهمة ديوان بيت المال الذى كان "الغرض منه انما هو محاسبة صاحب بيت المال على مايرد عليه من الأموال ويخرج من ذلك فى وجوه النفقات والاطلاقات ، اذ كان مايرفع من الختمات مشتملا على مايرفع الى دواوين الخراج والضياع من حمول وسائر الورود ، ومايرفع الى ديوان النفقات مما يطلق فى وجوه النفقات ، وكان المتولى له جامعا للنظر فى الأمرين ومحاسبا على الأصول والنفقات" .
انظر قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ص/٣٦ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٧٩ .
(٢) د. حسام الدين السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٣٧-٢٣٨ .

باعة الجص والآجر والنوره ،والاسفيذاج،(١) وأصحاب الساج(٢) ومن يشقه وغيرهم من النجارين والمزوقين والمذهبين وسائر الصناع ، محاسبات فيها لمن أراد استقصاءها مشقة ، ويحتاج فيها الى أن يكون مع الكاتب المحاسب لهم مطالعة لأمور الهندسة وأساس من أمور الحساب الصعبة.(٣)

(٨) مجلس الكراع(٤) :

من مجالس ديوان النفقات أيضا ، ومهمته "محاسبة

---

(١) الاسفيذاج : بياض الرصاص والزنك ، تعريب سبيدانك معناه الماء الأبيض وذكر كذلك بأنه طين يجلب من أصفهان يكتب به الصفار ، ورماد الرصاص ، الآنك تعريب اسفيداب وأصل معناه الماء الأبيض .
انظر آدي شير : معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص/٩-١٠

(٢) الساج : نوع جيد من الخشب يجلب من الهند ، له رائحة طيبة مع رقة ونعومة . وهو يشبه الابنوس ولكنه أقل سوادا ، ولاتكاد الأرض تبليه .
انظر الجواليقي : موهوب بن أحمد (ت ٥٤٠هـ/١٠٧٣م) : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٣٦١هـ ص/٤٧، ٢٧١ ، الزبيدي : محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) : تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ٢/٦١ .

(٣) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٣٥ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٧١-١٧٣ . ويذكر قدامة أن هذا المجلس يصغر ويكبر على حسب آراء الخلفاء والاغراق في البناء والاكتفاء بيسيره ، ويقول أيضا : وقد كان أفرد لهذا المعنى ديوان يجرى فيه أعماله لكثرة مايحتاج الى تكلفة من الأمور الشاقة السديدة التي تفوق أكثر أصناف الكتابة .

(٤) الكراع : بفتح الكاف قوائم الدابة ، وبضمها يجمع على أكرع وأكارع له عدة معان منها اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير . المنجد ص/٦٨١ ، وقد ذكر قدامة أن هذا المجلس "يجرى فيه أمر علوفة الكراع وغيره من الظهر - أى مايركب من الحيوان - مثل الخيل والشهارى والبراذين والبغال والحمير والابل وغيره مما يتعلف من الوحش والطير ويجرى فيه أمر كسوة الكراع وأمر سياسته وعلاجه ومصلحته وأرزاق القوام والراضه وكذلك أمر المروج المحشرة ..." . الخراج ص/٣٤ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٧٠-١٧١ .

العلافين على الاتبان[1] وجميع العلوفات المقامه ، ومايحمل اليهم من غلات الضياع السلطانية ، وماجانس ذلك وشاكله"[2] .

ثانيا : الدفاتر والمستندات الحسابية[3] .

(١) الأوارج :

اعراب أواره ومعناه بالفارسية المنقول لأنه ينقل اليه من القانون ماعلى انسان ويثبت فيه مايؤديه دفعة بعد أخرى الى أن يستوفى ماعليه .

(٢) الرزنامج :

تفسيره كتاب اليوم لأنه يكتب فيه مايجرى كل يوم من خراج أو نفقة أو غير ذلك .

(٣) الختمة :

كتاب يرفعه الجهبذ فى كل شهر بالاستخراج والجمل والنفقات والحاصل ، كانه يختم الشهر به .

---

(١) التبن : بالكسر عصيفة الزرع من بر ونحوه ، ويفتح . الفيروزآبادى : القاموس المحيط ص/١٥٢٦ .

(٢) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٣٤ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/١٧١ .

(٣) انظر الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٣٧-٣٨ . وهو أقرب المصادر الى فترة البحث ، وقد ذكر النويرى مجموعة من الدفاتر والسجلات الحسابية فى الدواوين غير انه فيما يبدو أن ذلك كان سائدا فى عصره ، لذا لم أستطع ايرادها هنا لبعدها عن فترة البحث مع مالها من أهمية فى هذا الخصوص . انظر : النويرى : شهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : نهاية الارب فى فنون الأدب ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه القاهرة ، بدون ٨/٢٠٠-٣٠٥ .
انظر أيضا : التنظيمات الرقابية التى ذكر الماوردى ضمن مهام ديوان السلطنة وصاحب زمامه . الأحكام السلطانية ص/٢٠٣،٢٠٦-٢٠٩،٢١١-٢١٣،٢١٥-٢١٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٤٠،٢٤٤-٢٥١،٢٥٣-٢٥٧ . أيضا أسماء المستخدمين من حملة الأقلام ، الذين ذكرهم ابن مماتى : الأسعد بن مهذب بن مينا (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) قوانين الدواوين، مطبعة دار الوطن سنة ١٢٩٩هـ ص/٧-١٠

(٤) الختمة الجامعة :

تعمل كل سنة كذلك .

(٥) البراءة :

حجة يبذلها الجهبذ أو الخازن للمؤدى بما يؤديه اليه .

(٦) الموافقة والجماعة :

حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل ولايسمى موافقة مالم يرفع باتفاق بين الرافع والمرفوع اليه فان انفرد به أحدهما دون أن يوافق الآخر على تفصيلاته سمى محاسبة .

(٧) الجريدة :

من دفاتر ديوان الجيش الجريدة السوداء[(١)] وهى تكسر لقيادة ، قيادة فى كل سنة بأسامى الرجال وأنسابهم وأجناسهم وحلاهم ومبالغ أرزاقهم وقبوضهم ، وسائر أحوالهم ، وهو الأصل الذى يرجع اليه فى هذا الديوان فى كل شىء .

---

(١) ادخلت الدفاتر الى الدواوين فى زمن السفاح على يد خالد بن برمك ، يقول الجهشيارى : "كان سبيل مايثبت فى الدواوين أن يثبت فى صحف فكان خالد أول من جعله فى دفاتر .." . الوزراء ص/٨٩ ، وقد كان خالد متوليا لديوانى الخراج والجند .
ونجد فى عهد الأمين روايتين يذكرهما الطبرى عن دفاتر للجند دفعها الأمين لعلى بن عيسى عندما بعثه لمحاربة جيش أخيه المأمون لينتخب منها خمسين ألفاً من أبطال الجنود وفرسانهم وذلك فى سنة ١٩٥هـ وسنة ١٩٦هـ . وقد أورد هذه الاشارة أيضا الدينورى وهى توضح أنه كان للجند دفاتر فى الديوان تذكر فيها صفاتهم حتى يتمكن من اختيار من يريد منهم . الأخبار الطوال ص/٣٩٦ ، تاريخ ٨/٤٠٥، ٤٢٢ .
كما ذكر فى عهد الرشيد دفاتر احصاء أهل العطاء ومقدار أعطياتهم ، انظر الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠هـ/٨٦٥م) : أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق رشيد صالح ملحس ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ٢٣٢/١ ، ولاشك أن وزير المهدى معاوية بن يسار قد نظم الدواوين وقرر قواعدها . انظر ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨١-١٨٢ .

(٨) <u>الرجعة</u> :

حساب يرفعه المعطى فى بعض العساكر بالنواحى لطمع – رزق – واحد اذا رجع الى الديوان ´.

(٩) <u>الرجعة الجامعة</u> :

يرفعها صاحب ديوان الجيش لكل طمع من صنوف الانفاق .

وهذه هى أهم الأعمال الرقابية التى كانت تقوم بها الدواوين والتى يتضح من خلالها أن العمل كان يسير فى الدواوين وفق عملية سديدة وقواعد موضوعة ومفاهيم محددة وقوانين للكتابة لايحيد عنها العاملون بالدواوين ، كما كانت هناك أسماء محددة للدفاتر والسجلات المستخدمة ٠فى الدواوين وكانت تعد الحسابات المتفق عليها من واقع الدفاتر والسجلات المستخدمة .

الفصل الثالث

طرق ووسائل الرقابة الادارية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ديوان البريد .

المبحث الثاني : التظلم والاستعداء .

المبحث الثالث : الوفود والأمناء .

المبحث الأول

ديوان البريد

ديوان البريد :

البريد : المرتب ، والرسول ، وفرسخان ، أو اثنا عشر ميلا ، أو مابين المنزلين ، والرسل على دواب البريد .. وبرده وأبرده : أرسله بريدا .[1]

والبريد كلمة فارسية ، أصلها بريده ذنب أى محذوف الذنب وذلك أن يقال البريد محذوفه الأذناب فعربت الكلمة وخففت وسمى البغل بريدا والرسول الذى يركبه بريدا ، والمسافة التى بعدها فرسخان بريدا ، اذ كان يرتب فى كل سكة بغال وبعد مابين السكتين فرسخان بالتقريب .[2]

وعند حديث ابن طباطبا عن معنى كلمة "البريد" أوضح الطريقة التى تنقل بها الأخبار وتطرق الى شرح المعنى اللغوى للبريد ، كما أكد على أن البريد انما وضع لضمان سرعة وصول الأخبار . حيث يقول : "البريد أن يجعل خيل مضمرات فى عدة أماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرسا مستريحا ، وكذلك يفعل فى المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة ، أما معناه اللغوى فالبريد هو اثنا عشر ميلا ، وأظن أن الغاية التى كانوا قدروها بين بريد وبريد هى هذا القدر .

---

(١) الفيروزآبادى : القاموس المحيط ص/٣٤١ .

(٢) الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٤٢ . وقيل ان البريد فى الأصل الفرس المركوب ثم سميت المسافة المشهورة ، وقيل البريد مقدر بأربعة فراسخ أو باثنى عشر ميلا لأن الفرسخ ثلاثة أميال . ابن كناف : محمد بن عيسى بن محمود (ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م) : حدائق الياسمين فى ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، مخطوط ميكروفلم مكتبة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم ٥٣٥ مجاميع لوحة ١٣ .
وهناك نقاش حول أصل كلمة "البريد" هل هى عربية الأصل أو من أصل فارسى ثم عربت . انظر : د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/٢١٠ ، نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٨٢ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٩١ ، د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ص/١٣٥-١٣٦.

وينقل عن الصاحب علاء الدين قوله[1] : ..(ومن جملة الأشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الأموال وسرعة وصول الأخبار ومتجددات الأحوال) ، ثم يرد عليه بقوله وماأرى للبريد فائدة سوى سرعة وصول الأخبار ، فأما حفظ الأموال فأى تعلق له بذلك ؟"[2] .

لقد عرفت الدولة الاسلامية نظام البريد منذ وقت مبكر ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث الرسل الى الملوك ورؤساء القبائل ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحدد أياما معينة لخروج البريد من المدينة الى ميادين القتال ، وكانت أخبار المقاتلين تصل اليه بانتظام ، وكذلك أخبار عماله فى مختلف الأعمال ، مما يدلنا على وجود نظام دقيق لنقل الأخبار[3] .

ولما قامت الدولة الأموية وضع معاوية رضى الله عنه نظاما جديدا للبريد يكفل وصول الأخبار بسرعة ، فأقام الخيول على الطرقات لنقل البريد ، ورتب له الميل والمحطات ويبدو أن تنظيم معاوية رضى الله عنه للبريد على تلك الصور هو الذى جعل البعض يتصور أنه أول من أنشأ البريد فى الاسلام[4]

---

(١) هو الصاحب علاء الدين عطا ملك ذكر ذلك فى كتابه جهان كشاى .

(٢) الفخرى ص/١٠٦-١٠٧ . ولاشك أن سرعة وصول الأخبار فيه حفظ للأموال أيضا .

(٣) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٠-٤٣٢ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١١-٣١٢ ، د. أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص/١٤٠ ، د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ١/١٣٥ .

(٤) يشير بعض الباحثين الى أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أول من أنشأ البريد فى الاسلام ، ومن هؤلاء : د. فتحية النبراوى : تاريخ الحضارة ص/١٠٥ ، د. عبد العزيز سالم : العصر العباسى ص/٢٦٧ ، د. ضيف الله الزهرانى : موارد بيت المال ص/٢٩١ ، د. نجده خماش : الادارة فى العصر الأموى ص/٢٨٢ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٩١-٩٢ ، د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/٢١١ ، د. محمد ضياء الريس : الخراج ص/١٩٢ حسينى : الادارة العربية ص/٢٩٩ ، ويبدو انهم اعتمدوا فى ذلك على ماذكره أبو هلال العسكرى : الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٢٩٥هـ) : الأوائل ، تحقيق محمد السيد الوكيل ، الناشر : السيد أسعد طرابزونى الحسينى ، =

وقد تحسنت خدمات البريد فى عهد عبد الملك بن مروان حيث أحكم تنظيمه (١) .

وقد كان الغرض من البريد أول الأمر سرعة ايصال الأخبار بين الخليفة وعماله ، ثم تطور نظام البريد فأصبح اختصاصه يشمل أيضا الرقابة على عمال الخليفة وموافاته بجميع الشؤون فى الولايات من ايجابيات وسلبيات (٢) .

وقد اهتم خلفاء بنى العباس بأمر البريد وسخروه (٣)

= المدينة المنورة ، بدون ص/١٩١ ، وماذكره أيضا ابن طباطبا : الفخر ص/١٠٦ ، والقلقشندى : مآثر الانافة ٣٤٢/٣ .
وقد أوضح بعض الباحثين عدم صحة هذه الروايات وأشاروا الى وجود البريد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم انظر : د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٠-٤٣٢ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١١-٣١٢ ، د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ص/١٣٥ .
وقد ناقش هذا الموضوع بتوسع د. طلال جميل زفاعى : نظام البريد فى الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، اشراف د. حسام الدين السامرائى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦-١٤٠٧هـ/١٩٨٥-١٩٨٦م لم تطبع ص/٤٥-٦٩ .

(١) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٢ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٢ ، د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ص/١٣٥ .

(٢) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٤-٤٣٥ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٢ ، انظر أيضا د. حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص/٢١١ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٩٣ ، د. أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص/١٣٩ .

(٣) هناك اشارات عدة فى المصادر تذكر ولاة البريد فى عصر الدولة العباسية خلال فترة البحث مما يدل على مدى الاهتمام بهذا الجانب الحيوى من وسائل الرقابة ، ويصعب ايراد جميع هذه الاشارات .
انظر مثالا على ذلك الطبرى : تاريخ ٧٩/٨،١٩٨،١٩٩،٣٢٣ ، ١٦٧/٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٠١،٢٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٣١٦/٣-٣١٧ ، الأصفهانى : الأغانى ٥٤/٤ ، ٣١٩/٦-٣٢٠ ، ١٣-٣٤٢ ، ٢٦٥/١٦ ، الخطيب : تاريخ ١٥٧/٧ ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .

لمراقبة عمال الدولة ونقل أخبارهم [(١)] ذلك أنه يمثل أسرع وسيلة لتحريك الرقابة الادارية .

وأول اشارة صريحة الى وجود ديوان خاص للبريد فى العصر العباسى ترجع الى عهد الخليفة الهادى [(٢)] ، وان كان بعض الباحثين يرجح أن يكون هناك ديوان للبريد منذ عهد المنصور [(٣)] .

والحق أن الدور الفعال الذى كان يقوم به البريد ، والاشارات المبكرة الى وجوده ، واعتماد الخلفاء عليه فى شئون ادارتهم ، وماامتاز به البريد من تنظيمات فذة ، يجعلنا نميل الى القول بأن ديوان البريد كان موجودا منذ بداية العصر العباسى ، لاسيما فى عهد المنصور الذى اهتم كثيرا بالبريد ومطالعة أخباره ، ثم سار الخلفاء من بعده على نهجه – خلال فترة البحث – حيث أصبح البريد منذ ذلك الوقت أهم طرق ووسائل تحريك الرقابة الادارية .

فقد عمد المنصور الى استخدام عمال البريد فى تزويده بالمعلومات التى يحتاج اليها لمعرفة تصرفات كبار الموظفين فى دولته ، ومدى قيامهم بالأعمال المنوطة بهم ، وعلاقتهم بالرعية ، حتى يستطيع تلافى الأخطاء قبل وقوعها ، واستدراك ماوقع منها قبل أن يستفحل أمره ، فاولى ذلك منه اهتماما بالغا ، حيث كانت تقارير عمال البريد تحمل معلومات تتضمن

---

(١) انظر : د. عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ص/٢٦٧ ، د. سلامة محمد الهرفى : المخابرات فى الدولة الاسلامية ، دار النشر بالمركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص/١٤٣ .

(٢) انظر ابن العمرانى : الانباء ص/٧٤ حيث ذكر أنه عندما توفى الهادى كان على ديوان البريد على بن يقطين . وأعاد الاشارة الى وجود ديوان للبريد زمن الواثق حيث كان عليه الفضل بن مروان ص/١١٣ .

(٣) طلال رفاعى : نظام البريد ص/١١٠ .

سعر القمح والحبوب والأُدْم وسعر كل مأكول ، ومايقضى به القاضى فى نواحيهم ، ومايعمل به الوالى ، ومايرد بيت المال من المال ، وكل حدث ، فكانوا يكتبون اليه بذلك فى كل صباح وكل مساء ، فاذا "وردت كتبهم نظر فيها" وقرأها بنفسه لادراكه أن من أسباب سقوط الدول تضييع الأخبار ، بل انه يرى أن من الأمور الهامة التى يحتاج اليها فى ادارة دولته صاحب بريد يكتب اليه بالأخبار على الصحة .

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

وكان المنصور متى وردت عليه أخبار المناطق بادر بمعالجة مافيها من أخطاء ، "فاذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وان تغير شىء منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك وسأل عن العلة التى نقلت ذلك عن سعره ، فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك الى حاله ، وان شك فى شىء مما قضى به القاضى كتب اليه بذلك وسأل من بحضرته عن عمله فان أنكر شيئا عمل به كتب اليه يوبخه ويلومه" (٦) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١ .
(٢) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢ ، ويقول الطبرى : كان المنصور اذا صلى العشاء الآخره "نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق وشاور سماره من ذلك فيما أرب" . تاريخ ٧٠/٨ ، أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦١ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/١٢٨-١٢٩ ، حيث ينقل عن المنصور قوله : "انى لأستيقظ بالليل فأدعو بالكتب فأضعها بين يدى ، وأدعو جارية فآمرها أن تمرخ ظهرى بالدهن فتفعل ذلك وأنا مقبل على كتبى وتدبيرى والنظر فى أمورى" .
ومما يدلنا على أنه كان يقرأ الكتب بنفسه رواية للتنوخى ذكر فيها أن المنصور لاحظ تغير أسلوب وخط كاتب واليه صالح بن على حيث أصبحت كتبه سديدة حسنة . الفرج بعد الشدة ٢٦٠/٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٨٠/٨ .
(٥) الطبرى : تاريخ ٦٧/٨ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/١٣ ، ابن العمرانى : الانباء ص/٦٢، ابن حجر العسقلانى : رفع الاصر ٣٧١/٢-٣٧٢ .
(٦) الطبرى : تاريخ ٩٦/٨ .

وكان عمال البريد ينقلون الى المنصور تصرفات ولاته ، ولاتمنعهم عظم منزلتهم من انهاء اخبارهم اليه ، فقد كتب صاحب البريد الى المنصور "يخبره أن المهدى - ولى عهده ووالى الرى - أمر لشاعر بعشرين الف درهم ، فكتب اليه المنصور يعذله ويلومه ..." (١). كما رفع اليه صاحب الخبر ردود فعل ابي مسلم الخراسانى عندما بعث اليه المنصور من يحصى عليه الأموال التى غنمها من عسكر عمه عبد الله بن على ابن العباس (٢).

ومن الاشارات البارزة لدور صاحب البريد فى رفع أخبار الولاه ماذكره الطبرى من "أن المنصور ولى رجلا من العرب حضرموت فكتب اليه والى البريد أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد ببزاه وكلاب قواعدها ، فعزله .." (٣). وكذلك كتاب صاحب السكة (٤) فى مصر الذى أعلم فيه المنصور بتجاهل والى مصر حميد ابن قحطبة وجود على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن حتى خرج من مصر دون أن يقبض عليه وقد كان المنصور يطلبه ، يقول الكندى : "قدم الى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فى امرة حميد بن قحطبة داعية لأبيه وعمه ، فنزل على عسامة بن عمرو المعافرى فذكر ذلك صاحب السكة لحميد بن قحطبة وقال : ابعث اليه فخذه ، فقال حميد : هذا كذب ، ودس عليه فتغيب ثم بعث اليه من الغد فلم يجده ، فقال لصاحب

---

(١) الطبرى : تاريخ ٨/٧٣-٧٤ ، الأصفهانى : الأغانى ٤٨/٢٢ ، الخطيب : تاريخ ١٧٨/١٣ ، البيهقى : المحاسن ص/٢٤٦-٢٤٧ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢-٦٣ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .

(٣) تاريخ ٦٨/٨ .

(٤) يقول الخوارزمى من الألفاظ المستعملة فى ديوان البريد "السكة" : الموضع الذى يسكنه الفيوج المرتبون ، من رباط أو قبة أو بيت أو نحو ذلك . مفاتيح العلوم ص/٤٢ أى أن المقصود بصاحب السكة فى مصر هو متولى البريد بها .

السكة : ألم أعلمك أنه كذب ، وكتب بذلك صاحب السكة الى ابى جعفر فعزله وسخط عليه "(١) .

وعندما تولى المهدى الخلافة أدرك دور البريد فى الرقابة فزاد من اهتمامه به ، حيث أمر فى سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م باقامة البريد من عاصمة الخلافة - بغداد - الى المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن ، ورتب لذلك بغالا وابلا "ولم يُقم هنالك بريد قبل ذلك"(٢) ، وقد كان أبوه المنصور أوصاه بالاهتمام بأمر الأخبار حيث جاء فى وصية له "لاتقدم فى الحياطة بمثل نقل الأخبار"(٣) ، "واعدد رجالا بالليل لمعرفة مايكون بالنهار ، ورجالا بالنهار لمعرفة مايكون بالليل"(٤) .

وكان المهدى يقيم طرقا مؤقتة للبريد تطلعه على أخبار قادة جيوشه ، حتى يتسنى له متابعتهم والاشراف على أعمالهم فانه لما أغزى ابنه هارون بلاد الروم استحدث فيما بينه وبين معسكر ابنه بريدا يطلعه على أخبار ومستجدات أحوال معسكره . يقول العمرى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : "ان المهدى أغزى ابنه هارون الرشيد الروم وأحب أن لايزال على علم قريب من خبره فرتب مابينه وبين معسكر ابنه بردا كانت تأتيه بأخباره وتريه متجددات أيامه ، فلما قفل الرشيد قطع المهدى تلك البرد"(٥) .

---

(١) الولاه والقضاه ص/١١١ .
(٢) الطبرى : تاريخ ١٦٢/٨ ، المقريزى : الذهب المسبوك ص/٤٥ ، السيوطى : تاريخ ص/٢٥٤-٢٥٥ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٧١/٨ .
(٤) الطبرى : تاريخ ١٠٦/٨ .
(٥) انظر : العمرى : أحمد بن يحيى بن فضل العدوى (ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م) : التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ١٩٦٥م ص/١٨٥ .نقلاً عن د. طلال رفاعى: نظام البريد، ص/١٢٥٠-١٢٥١.

ومن أمثلة دور البريد في تحريك الرقابة زمن المهدى أن صاحب بريد مصر - سراج بن خالد - كتب الى المهدى ان قاضى مصر - اسماعيل بن اليسع - مرض وضج الناس من ذلك ، لعجزه عن مباشرة أمر القضاء ، فصرفه المهدى (١) .

وقد اعتمد الهادى على عمال البريد فى معرفة تصرفات كبار موظفى الدولة ، حيث كانت تصل اليه أخبار وزرائه ومايجرى فى الدواوين من أحداث ، فقد روى أن يحيى بن خالد أحب أن يضع كاتبه اسماعيل بن صبيح موضعا يستعلم له فيه الأخبار ، وكان ابراهيم الحرانى فى موضع الوزارة للهادى ، فاستكتب اسماعيل ، فرفع الخبر الى الهادى أن يحيى شفع الى ابراهيم الحرانى حتى استكتب اسماعيل فهو ينقل الأخبار فيؤديها الى هارون (٢) .

وفى عهد الرشيد كان للبريد دور فعال فى تحريك الرقابة الادارية ، فقد "ورد على الرشيد يوما كتاب صاحب البريد بخراسان ، ويحيى بن خالد بين يديه ، يذكر فيه أن الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد وادمان اللذات عن النظر فى أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له : ياأبت اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتابا تردعه عن مثل هذا فمد يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد : حفظك الله يابنى وامتع بك ، قد انتهى الى أمير المؤمنين ماأنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة

---

(١) الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧٣ ، فى احدى رواياته عن سبب عزل اسماعيل بن اليسع سنة ١٦٧هـ ، انظر أيضا : وكيع : أخبار القضاه ٢/٦٩-٧٠،٩٢-٩٤ ، عن دور البريد فى نقل أخبار القضاه زمن المهدى .
(٢) الطبرى : تاريخ ٨/٢٠٧-٢٠٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٨ .

اللذات عن النظر في أمور الرعية ماأنكره ، فعاود ماهو أزين لك فان من عاد الى مايزينه أو يشينه لم يعرف أهل دهره الا به والسلام"(١) .

لقد كان عمال البريد يقومون بنقل أخبار الولاه أولا بأول حتى في الأمور الشخصية فيذكر أن يزيد بن مزيد الشيباني دخل عليه الشاعر مسلم بن الوليد فأنشده قصيدة ، فأمر له يزيد بخمسين الف درهم على أن ترهن ضيعة له في مائة الف درهم خمسون للشاعر وخمسون تكون لنفقته ، فكتب بذلك صاحب الخبر الى الرشيد "فاستحضر يزيد وسأله عن الخبر"(٢) .

ويذكر الجهشياري أنه عندما اتصل بالرشيد تظلم أهل مصر من عاملها موسى بن عيسى ولى عليها عمر بن مهران وبعثه الى مصر سرا حتى لايعلم موسى بخبره ، وطلب منه ألا يقرأ له ذكرا في كتب أصحاب الأخبار حتى يوافي مصر(٣) ، مما يفيد بأن أصحاب الأخبار كانوا على الدوام يراقبون الولاه ، وان تقاريرهم كانت متواصلة الى الخليفة(٤) .

وقد أشار الطبري كذلك الى أن الرشيد ولى بعض خدام الخاصة ضياعه بالثغور والشامات فتواترت الكتب بحسن سيرته وتوفيره وحمد الناس له ، فأمر الرشيد بتقديمه والاحسان اليه ، وضم ماأحب أن يضم اليه من ضياع الجزيرة ومصر(٥) .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ٣٦٨/٣-٣٦٩ ، ابن خلكان : وفيات ٢٨/٤-٢٩ .
(٢) الأصفهاني : الأغاني ٤١/١٩-٤٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٣١/٦ .
(٣) الوزراء ص/٢١٨ .
(٤) انظر أيضا مارفعه صاحب بريد خراسان – حمويه – الى الرشيد عن والي خراسان علي بن عيسى ، الذي قد سام أهل خراسان المكروه ، الطبري : تاريخ ٣٢٣/٨،٣٢٨ .
(٥) تاريخ ٣٥٣/٨ . أشار الى أنه "سلام مولاه" ، أو "رشيد الخادم" .

وكان ولاة البريد في الآفاق ينقلون أخبار القضاه الى الرشيد وقد أوضح ذلك القاضي أبو يوسف ، بقوله في معرض جوابه عن سؤال للرشيد "أما ماسألت عنه مما قد بلغك واستقر عندك وكتب به اليك واليك وصاحب البريد ، ان في يد قاضي البصرة أرضين كثيرة فيها نخل وشجر ومزارع وان غلة ذلك تبلغ شيئا كثيرا في السنة ، وقد صيرها في أيدي وكلاء من قبله ..." .

ثم يؤكد أبو يوسف على أهمية البريد في الرقابة على القضاه بقوله : "وتقدم الى صاحب البريد هناك بالكتابة اليك بكل مايحدث من هذا وشبيهه وتوعده على ستر شيء من ذلك" (١) .

ومن أمثلة دور البريد في رقابة القضاه زمن الرشيد أن عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم الأنصاري - أبا الطاهر - قاضي مصر "كتب اليه صاحب البريد يومئذ انك لتبطىء بالجلوس للناس .." ثم كتب بخبره الى الرشيد ، وأوضح أن الناس "قد شكوه" (٢) .

ويذكر البيهقي مايفيد حضور ولاة البريد في دواوين الدولة ونقل مايجري فيها من احداث حيث يقول : مدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان ، فلم يصله بشيء ، فانشأ يقول أبياتا فيها تصريح بما اقتطعه أبو حاتم من أموال

---

(١) الخراج ص/٣٦٠ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠-١٦١ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٧/٣ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/٣٨٤-٣٨٥ ، ويذكر أن والي البريد كتب فيه الى الرشيد يبغيه ويقول ان الناس قد شكوه ، انظر أيضا العسقلاني : رفع الاصر ٣٧١/٢ ، وقد ولي أبو الطاهر قضاء مصر سنة ١٦٩هـ وعزل سنة ١٧٤هـ .

الدولة (١) "... فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها الى الرشيد ، الذى انكر ذلك وغضب من فعلة كاتب الديوان" ، وامر باخراج الجرائد من الدار اليه ، فأول ماوجد على منصور بن زياد عشرة آلاف درهم (٢) .

وقد كان الرشيد شديد العناية بالبريد ، وقد ذكر انه فى طريقه الى الحج اذا نزل الرواق أثناء استراحته فى الطريق - بين كل رواق ورواق فرسخ - كانت تاتيه أخبار الأمصار والبلدان ، حيث يصل اليه خبر البلدان التى تبعد عنه مسيرة ثمانية ايام فى يوم واحد على نجائب (٣) أعدها لذلك كما تصله أخبار البلدان التى تبعد عنه مسيرة شهر فى يوم بواسطة الحمام (٤) .

---

(١) والأبيات هى :

لتنصفنى يا أبا حاتم ... أو لأصيرن الى حاكم
أول ماأتلفت من ماله ... خمسين ألف فى شرى هاشم
خمسين ألفا وضحا كلها ... من مال هذا الملك النائم

(٢) المحاسن والمساوىء ص/٥٠٩ .

(٣) النجائب : النجيب من الابل ، وجمعه نجب بضمتين ، ونجائب ، وهى عتاقها التى يسابق عليها . الرازى : مختار الصحاح ص/٤٧٢ .

(٤) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ٢/١٦١-١٦٢ ، وذلك فى حج سنة ١٨٠هـ .
ومن امثلة قطع المسافات الطويلة فى وقت قصير خلاف المألوف يذكر ابن قتيبة أنه "من السير المذكور مسير ذكوان مولى آل عمر بن الخطاب ، سار من مكة الى المدينة فى يوم وليلة ، فقدم على ابى هريرة وهو خليفة مروان على المدينة فصلى العتمة .. ومن السير المذكور مسير حذيفة بن بدر ، وكان أغار على هجائن النعمان بن المنذر ابن ماء السماء وسار فى ليلة مسيرة ثمان" . الأخبار الطوال ١/١٣٨ ، أيضا عندما توفى الرشيد "أخذ رجاء الخادم البرد والقضيب والخاتم وسار على البريد فى اثنى عشر يوما من مرو حتى قدم بغداد" . السيوطى : تاريخ ص/٢٧٥ .
ويذكر محمد كرد على أن الحمام الزاجل استخدم قبل ذلك فى عهد المنصور . الاسلام والحضارة ٢/٢٠٠ ، وهى اشارة لم اجدها فيما تيسر لى من مصادر .

وعلى الرغم من حرص الرشيد على معرفة أخبار ولاته وعماله عن طريق الأخبار التى ينقلها اليه البريد ، فانه فيما يبدو ان بعض هذه الأخبار لم تكن تحمل اليه معلومات صحيحة ، وفى ذلك يقول القاضى أبو يوسف : "... قد بلغنى عن ولاتك على البريد والأخبار فى النواحى تخليط كثير ومحاباه فيما تحتاج الى معرفته من أمور الولاه والرعية ، وانهم ربما مالوا مع العمال على الرعية وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس ، وربما كتبوا فى الولاه والعمال بما لم يفعلوه اذا لم يرضوهم ، وهذا مما ينبغى أن تتفقده ، وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار ، وكيف ينبغى أن تقبل خبرا الا من ثقة عدل .. وتقدم اليهم ألا يستروا عنك خبرا من رعيتك ولاعن ولاتك ، ولايتزيدوا فيما يكتبون به فمن فعل منهم فنكل به . ومتى لم يكن أصحاب البريد فى النواحى والأخبار ثقاة عدولا فلايقبل لهم خبر فى قاض ولاوال ، وانما يحتاط بصاحب البريد على القاضى والوالى وغيرهما اذا كان عدلا ، فاذا لم يكن عدلا فلايحمل ولايسع استعمال خبره ولاقبوله " (١) .

وامر آخر هو أنه فيما يبدو حدث فى أواخر خلافة الرشيد اهمال لمطالعة كتب البريد التى تصل الى عاصمة الدولة حيث يذكر الجهشيارى عن الفضل بن مروان قوله : "ان أمور البريد والأخبار فى أيام الرشيد كانت مهملة ، وان مسرورا الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ، ويخلفه عليه ثابت الخادم ، قال : فحدثنى ثابت أن الرشيد توفى وعندهم أربعة آلاف خريطة

---

(١) الخراج ص/٣٦١-٣٦٢ .

لم تفض" .[1]

وفي عهد الأمين كان صاحب البريد يحضر مجلس الوالي وينقل مايجري فيه من الأمور ، الا انه ربما قبل بعضهم الرشوة حتى يستر بعض الأخبار ، ومن ذلك انه لما تولى امارة الموصل الحسن بن عمر التغلبي أتاه شاعر فأنشده شعرا يهنئه فيه بالولاية جاء فيه قوله :

وظلت سراة بني هاجر   اليك قياما على الأرجل

"وكان في مجلسه صاحب بريد له أدب وفهم فأخرج ألواحا طويلة فجعل يكتب فقال له الحسن : وماتكتب ؟ قال : وماعليك مما أكتب ، قال : لتخبرني ، قال : اذا لاأفعل ، قال : أنشدك الا فعلت ، قال : ينشدك الشاعر وظلت سراه .. فقال : امحه ، فقال : اذا لاأفعل ، وهل سراه بني هاجر الا النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فلك عشرة آلاف درهم ، قال " فنعم اذا " .[2]

وعلى الرغم من ذلك فقد كان وجود ولاة البريد في ولايات الدولة المختلفة ضروريا ، فيذكر الجهشياري أنه "لما استقر أمر محمد الأمين وحصل ماورد به عليه الفضل بن الربيع من العسكر بما فيه ، كتب الى المأمون يسأله التجافي له عن بعض الأعمال بخراسان ، وأن يطلق له انفاذ رجل يتقلد البريد من قبله ليكاتبه بأخباره فشق ذلك على المأمون" .[3]

---

(١) الوزراء ص/٢٦٥ .
(٢) الأزدي : تاريخ الموصل ص/٣٢٦-٣٢٧ . وذلك في سنة ١٩٧هـ
(٣) الوزراء ص/٢٨٩ ، وقد جاء في كتاب الأمين لأخيه المأمون "وان تأذن للقائم بالخبر يكون بحضرتك يؤدي الينا علم مانعني به من خبر طرفك" . الطبري : تاريخ ٣٨٠/٨ ، ومما يدل على أهمية البريد أن المأمون لما أراد أن يستأثر بناحية خراسان "قطع البريد عن محمد .." . الطبري : تاريخ ٣٧٥/٨ .

وفي عهد المأمون نجد أن البريد كان يقوم بمهمته الرقابية ، غير أنه خلال فترة وزارة الفضل بن سهل لم تكن الكتب تصل الى المأمون ، حيث عمل هذا الوزير على قطع الأخبار عن المأمون ، وجعله في عزلة عما يحدث في الدولة من أمور . وقد أثر ذلك بلاشك على استقرار الدولة ، حيث نشبت الفتن في الأقطار المختلفة (٢) .(١)

وبعد أن تخلص المأمون من وزيره الفضل اهتم كثيرا بالبريد ومطالعة الأخبار التي ترد عليه حتى ذكر عن شدة معرفته بأمور رعيته وعماله شيئا عجيبا (٣) ، وقد ذكر ابن خلكان أن المأمون كان له على كل شيء صاحب خبر (٤) .

لقد كان للبريد دور فعال في نقل أخبار الولاه ، حتى انهم كانوا يكتبون خطبة الوالي يوم الجمعة ، فتذكر المصادر أن صاحب بريد خراسان ـ كلثوم بن ثابت ـ كان يجلس يوم الجمعة في أصل المنبر ، وقد نقل الى المأمون في سنة

---

(١) انظر عن ذلك ماسبق من البحث ، موضوع : الاشراف والتوجيه ، لقد أصبح الفضل بن سهل هو الذي ينظر في خرائط الأخبار التي تصل الى عاصمة الدولة . انظر التنوخي : الفرج ٣٤٧/٢ .

(٢) انظر ماسبق من البحث موضوع : الاشراف والتوجيه ، وموضوع : رقابة الوزير .

(٣) انظر : ابن طيفور : بغداد ص/٥٩ ، الطبري : تاريخ ٦٤٤/٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ٢٦٦/٦ ، البيهقي : المحاسن ص/٤٤،١٤٩-١٥٠ ، وهذا لايعني اهمال المأمون لأمر البريد كليا زمن وجوده في خراسان وانما كان اطلاعه على كتب البريد كان نادراً جدا ، ولدينا أمثلة لاهتمامه بطرق البريد زمن وجوده في خراسان اذ يذكر الأزرقي أن المأمون لما صالح الاصبهذ كابل شاه أقام البريد من القندهار الى الباميان . أخبار مكة ٢٢٨/١.

(٤) وفيات ١٧٩/٦ . منذ أن اكتشف المأمون ماكان يخفيه وزيره الفضل بن سهل من أخبار بادر بمطالعة أخبار البريد ، انظر الثعالبي : تحفة الوزراء ص/٩٨ ، غير أنه فيما يبدو أن أخبار مصر كانت لاتصله على الوجه الصحيح ، أو أن الأخبار كانت لاترفع اليه مما أدى الى استمرار الفتن فيها . انظر الكندي : الولاه والقضاه ص/١٩٢ .

٢٠٧هـ/٨٢٢م خبر عزم طاهر بن الحسين على خلع المأمون ، ذلك انه لما خطب طاهر يوم الجمعة وبلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء للمأمون فقال "اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك واكفها مؤونة من بغى فيها وحشد عليهم ، بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين" فلم يستطع كتم الخبر على الرغم من علو منزلة طاهر وكتب به الى المأمون (١) .

ولما ولى المأمون عبد الله بن طاهر اقليم الجزيرة ومحاربة نصر بن شبث ، كتب اليه منصور بن زياد وكان على بريد عبد الله بن طاهر "ان عبد الله بن طاهر يخرج فى كل ليلة من عسكره ويخرج اليه نصر بن شبث ، فيجتمعان ويتحدثان" فوجه اليه المأمون عمرو بن مسعدة يوبخه ويتهدده (٢) .

وقد أعد المأمون خريطة خاصة للأمور الهامة تعرف بالخريطة "البندارية" مفرده عن سائر الخرائط لاتنتظر اجتماع الكتب حيث يبعث بها عاجلا بالخبر الذى تحمله ، وكذلك الرد على الرسائل المهمة يكون فى خريطة "بندارية" (٣) .

وقد كان أصحاب البريد فى الآفاق مكلفين بحضور مجالس القضاة ونقل مايجرى فيها ، فيذكر الكندى أن قاضى مصر "هارون بن عبد الله لما قدم جلس معه رجل فى مجلسه فقال : ماحاجتك ، فقال : ان صاحب البريد زكريا بن سعد أمرنى بالجلوس معك ، فقال : هذا مجلس أمير المؤمنين ليس يجلس

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٧٤،٦٧ ، اليعقوبى : تاريخ ٤٥٧/٢ الطبرى : تاريخ ٥٩٤/٨-٥٩٥ ، الشابشتى : الديارات ص/١٤٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٥٣/٦-٤٥٤ ، العيون والحدائق ٣٦٤/٣ ، ابن خلكان : وفيات ٥٢١/٢،٥٢٢ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ ٤٦٠/٢ ، انظر أيضا دور البريد فى ايصال أخبار على بن هشام صاحب حرس المأمون وعزمه على الخلاف والمعصية ، المصدر السابق ٤٦٧/٢ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٦٤٤/٨ ، وذلك فى سنة ٢١٨هـ .

فيه أحد الا بأمره ، فركب زكريا الى كيدر - نصر بن عبد الله والى مصر - فقال : أيها الأمير انى بعثت رجلا يجلس مع ابى يحيى فمنعه .. فكتب - كيدر - الى المامون فى ذلك ، فورد الجواب : ان أحب هارون أن يجلس معه والا فلا ، فقال هارون : أما اذا راد أمير المؤمنين الأمر الينا فليجلس من شاء" (١) .

ومن المهام التى كان يقوم بها البريد فى عهد المامون مراقبة أصحاب الحرس - الشرطة - فقد رفع ابراهيم بن السندى - صاحب أخبار بغداد - الى المامون أن صاحب الحرس أخذ امرأة مع رجل نصرانى من تجار الكرخ فهجم عليهما فافتدى النصرانى نفسه بألف دينار ، فدعا المامون عبد الله بن طاهر وهو ببغداد فقال : انظر فى هذا الخبر الذى رفعه ابراهيم السندى ، فقرأه ... (٢)

وفى ولاية ابراهيم بن السندى لأخبار بغداد ، كان يتولى الجسرين عياش بن القاسم من قبل صاحب الحرس عبد الله بن طاهر - زمن المامون "فركب ابراهيم الى الجسر فى أول يوم تولى ، فدعا عياش بقوم من أهل الجرائم للعرض ، فمر به رجل من الأبناء فشتمه وتناوله فرد الرجل عليه مثل ذلك ، فاختلط عياش من رده عليه وشتمه أقبح الشتم فرد عليه الرجل أيضا مثل ذلك فقال له ابراهيم بن السندى : ليس لك أن تشتمه انما لك أن تمثل ما أمرت به ومالك أن تتعدى ذلك الى شتمه فيلزمك الحد له ، فقال له عياش : انما أنت صاحب خبر تكتب

---

(١) الولاه والقضاه ص/٤٤٤-٤٤٥ ، تولى قضاء مصر من سنة ٢١٧-٢٢٦هـ .

(٢) ابن طيفور : بغداد ص/٤١ ، انظر أيضا ص/٤٢،٤٣ عن دور البريد فى نقل كل مايجرى من أحداث فى بغداد .

ماتسمع وماترى وليس لك أن تتكلم فى مجلسى وأمرى ونهيى ، فان أمسكت والا أمرت من يجر برجلك حتى يرمى بك فى دجلة .. فقام ابراهيم من المجلس مغاضبا وقال لعياش : سأعرفك نبأ ماتكلمت به وصار من فوره الى دار أمير المؤمنين" وأخبره الخبر ، فأحضر المأمون اسحاق بن ابراهيم (١) - وكان على شرطة بغداد - وابراهيم بن السندى جالس ، "فقال المأمون لاسحاق : الا تأخذ على أيدى عمالك وتنهاهم عن الخرق بالناس والسفه ، واعلمه ماكان من أمر عياش ، وتقدم اليه فى نهيه عما كان منه" ففعل ماأمر به المأمون (٢) .

وكان أصحاب البريد يرفعون الى المأمون خيانات عمال الخراج ، فقد "كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان ، يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أن صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطآ على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال ، واقتسماها فيما بينهما (٣) .." .

وفى عهد المعتصم نجد أن اهتمام هذا الخليفة بالنواحى العسكرية جعله يسخر البريد فى خدمة هذا الجانب من الادارة فكانت أخبار جيوشه تأتيه أولا بأول ، وقد جاءت روايات المصادر فى هذا الخصوص فى ثنايا عرضها للأعمال الحربية

---

(١) اسحاق بن ابراهيم-سبق أن ترجم له - فقد كان صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

(٢) ابن طيفور : بغداد ص/٤٢-٤٣ .

(٣) الجاحظ : المحاسن والأضداد ص/٥٤ ، أيضا البيهقى : المحاسن والمساوىء ص/١٢٠ ، وقد نسب الجهشيارى هذه الحادثة الى الفضل بن سهل يقول : "كتب صاحب المقاطعة بهمذان الى الفضل يذكر أن كاتب المتولى للبريد بهذه الكوره ذكر أن صاحبه اقتطع مالا جليلا من مال السلطان وانه يصحح ذلك عليه وانه وكل به وبصاحبه ليصحح مارفعه" . الوزراء ص/٣٠٨ . وفى كلتا الروايتين لم يلق هذا الخبر احتفالا من المأمون أو من الفضل لأنهما اعتبرا ذلك وشاية وليس خبرا يمكن احتماله على الصحة .

التى تمت فى عهده ، فقد ذكر أنه "مارؤى أشد تيقظا فى حرب من المعتصم ، كانت الأخبار ترد عليه من أرض بابل الى سر من رأى فى ثلاثة أيام على خيل عتاق مضمره قد أقام على كل فرسخين فرسين .." (١) .

وعندما وجه المعتصم قائده عجيف بن عنبسة لمحاربة الزط (٢) الذين عاثوا فى طريق البصرة ، وقطعوا فيه الطريق واحتملوا الغلات من البيادر بكسكر (٣) ومايليها من البصرة ، وأخافوا السبيل وذلك فى سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م "رتب الخيل فى كل سكة من سكك البريد تركض بالأخبار ، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل المعتصم من يومه" (٤) .

وقد أبدى المعتصم اهتماما بالغا بمحاربة بابك ، وحرص على أن يشرف على سير المعارك بنفسه ، غير أن الطريق بين العاصمة - سامراء - وأرض المعركة - أذربيجان - يصعب السير فيها نظرا لفساد الطريق بالثلج وغيره من العوائق ، فزاد المعتصم من كفاءة البريد حتى تصله الأخبار عن جيشه - بقيادة الافشين - فى أسرع وقت ممكن . يقول الطبرى : "ان المعتصم لعنايته بأمر بابك وأخباره ، ولفساد الطريق

---

(١) ابن حمدون : التذكرة ٤٢٨/١ .

(٢) الزط : اسم قوم ، الاشتقاق المحقق أن زط من الفارسية كات . ويقال انهم يرجعون الى أصل هندى ، وقد قدموا الى بلاد فارس واستوطنوها ثم سكنوا الثغور الواقعة على الخليج العربى قبل الاسلام ، ثم انتشروا فى منطقة البطائح جنوبى العراق - بين واسط والبصرة - لجنة الترجمة : دائرة المعارف الاسلامية ، يصدرها بالعربية أحمد الشنتناوى وآخرون ١٩٣٣م ٣٤٩/١٠-٣٥١ .

(٣) كسكر : كوره واسعة قصبتها واسط ويدخل فى أعمالها البصرة ونواحيها . ياقوت : معجم البلدان ٤٦١/٤ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٨/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٧٢/٦ ، كان المعتصم آنذاك فى بغداد .

بالثلج وغيره ، جعل من سامرا الى عقبة حلوان (١) خيلا مضمره ، على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب ، فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد الى واحد ، يدا بيد ، وكان ماخلف حلوان الى أذربيجان قد رتبوا فيه المرج (٢) ، فكان يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل ويصير غيرها ، ويحمل عليها غلمان من أصحاب المرج كل دابة على رأس فرسخ ، وجعل ديادبه على رؤوس الجبال بالليل والنهار ، أمرهم أن ينعروا اذا جاءهم الخبر ، فاذا سمع الذى يليه النعير تهيأ فلايبلغ اليه صاحبه الذى نعر حتى يقف له على الطريق ، فيأخذ الخريطة منه ، فكانت الخريطة تصل من عسكر الافشين الى سامرا فى أربعة أيام وأقل" (٣) . كما استخدم الحمام فى نقل الأخبار الى المعتصم فى هذه الحرب (٤) .

وقد جعل المعتصم صاحب خبر مهمته نقل أخبار العسكر يدعى "صاحب خبر العسكر" (٥) ينقل الأخبار اليه فورا دون تأخير كما ذكر أن المعتصم كان يرسل مع من يبعث من قادة جيوشه

---

(١) عقبة حلوان : حلوان أكثر من موقع ويقصد بها هنا حلوان العراق وهى فى آخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد . وهى مدينة عامرة بقرب الجبل ربما يسقط بها الثلج أما أعلى جبلها فان الثلج يسقط به دائما . وبحلوان عقبة مشهورة ـ وهى المرقى الصعب من الجبال أو الطريق فى أعلى الجبال ـ .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ٢/٢٩٠-٢٩٣ ، المنجد ص/٥١٩ .

(٢) المرج : مرعى الدواب ، ومرج الدابة أرسلها ترعى . انظر : الفيروزابادى : القاموس المحيط ص/٢٦٢ .

(٣) تاريخ ٩/٥٢ ، انظر أيضا ابن أعثم : الفتوح ٨/٣٥٢ .

(٤) الحميرى : الروض المعطار ص/٢١٦ . حيث يقول : "واطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح" .

(٥) الطبرى : تاريخ ٩/٧٣،٧٤ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٩٨ حيث ذكر أنه فى سنة ٢٢٣هـ رفع صاحب خبر العسكر الى المعتصم استعفاء عمرو الفرغانى وأحمد بن الخليل من اشناس القائد لاستخفافه بهما وشتمه وتوعده اياهما "فانهى صاحب الخبر ذلك الى المعتصم من يومه" .

صاحب خبر .(١)

ومن الأمثلة البارزة لدور البريد فى تحريك الرقابة على الولاة ماذكره الطبرى من "أن الافشين عند فراغه من أمر بابك ، ومنصرفه من الجبال - سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م - ولى أذربيجان وكانت من عمله واليه منكجور - الاشروسنى قرابة الافشين - فأصاب فى قرية بابك فى بعض منازله مالا عظيما ، فاحتجنه لنفسه ، ولم يعلم به الافشين ولا المعتصم ، وكان على البريد باذربيجان رجل من الشيعة(٢) يقال له عبد الله بن عبد الرحمن ، فكتب الى المعتصم بخبر ذلك المال ، وكتب منكجور يكذب ذلك ، فوقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن ، حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بأهل أردبيل(٣) فمنعوه مما أراد به منكجور وبلغ ذلك المعتصم ، فأمر الافشين أن يوجه رجلا من قبله بعزل منكجور ، فوجه رجلا من قواده فى عسكر ضخم ، فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك ، وخرج من أردبيل ، فرآه القائد فواقعه فانهزم منكجور وصار الى حصن من حصون أذربيجان .. فلم يلبث الا أقل من شهر حتى وثب به أصحابه الذين كانوا معه فى الحصن ، فأسلموه ودفعوه الى القائد

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم ٥١٤/٦ ، حيث يقول : "وجه المعتصم محمد بن ابراهيم بن مصعب - لحرب المازيار سنة ٢٢٤هـ - ووجه معه صاحب خبر يقال له مصعب بن ابراهيم ، مولى الهادى ويعرف بقومره" . ويقول الطبرى "يعقوب بن ابراهيم البوشنجي مولى الهادى ويعرف بقومره يكتب بخبر العسكر" . تاريخ ٩٨/٩ . وقد اهتم قادة المعتصم بوضع أصحاب أخبار على عسكرهم كما فعل عبد الله بن طاهر . انظر الطبرى : تاريخ ٩٦/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥١٢/٦ .

(٢) يقصد بالشيعة هنا أنصار الدعوة العباسية وأشياعها .

(٣) أردبيل : من أشهر مدن أذربيجان ، وهى مدينة كبيرة كانت قبل الاسلام قصبة الناحية .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ١٤٥/١ .

الذى كان يحاربه ، فقدم به الى سامرا ، فأمر المعتصم بحبسه "[1] .

وقد كان البريد ينقل الى المعتصم موقف الرعية من الولاه ، مما يعينه على ادارة شئون دولته . يقول اليعقوبى "ولى أرمينية على بن الحسين بن سباع القيسى - من قبل الافشين - فاستضعفه أهل البلد حتى كان يسمى اليتيم لضعفه ومهانته ، فولى المعتصم خالد بن يزيد أرمينية وناحية من ديار ربيعة[2] ، فلما بلغ خبره أرمينية تحصن كل رئيس فيها واشتد خوفهم منه ، وعملوا على العصيان فكتب منصور بن عيسى السبيعى صاحب بريد أرمينية الى المعتصم بذلك ، فرد خالدا وأمر باقرار على بن الحسين .."[3] .

وفى عهد المتوكل استمر دور البريد فى مراقبة الولاه ، فقد أرسل صاحب البريد فى بغداد تقريرا الى الخليفة المتوكل ، الذى كان خارج العاصمة ، ضد حاكم بغداد قال فيه ".. ياأمير المؤمنين ان محمد بن عبد الله[4] قد اشترى أمة بمقدار مائة ألف درهم ، وهو يسرى بها عن نفسه من الظهر الى المساء ، ويهمل شئون الدولة ، وان أمير المؤمنين لايحب أن يرى بغداد فى سخط لأن أمير المؤمنين يجد صعوبة عندئذ فى

---

(١) تاريخ ١٠٢/٩ . قيل ان القائد الذى بعث به المعتصم هو بغا الكبير وان منكجور خرج اليه بأمان .

(٢) ديار ربيعة : من أرض الجزيرة الفراتية ، بين الموصل الى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسير والخابور جميعه ومابين ذلك من المدن والقرى وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة ، وهذا اسم لهذه البلاد قديم كانت العرب تحله قبل الاسلام فى بواديه ، واسم الجزيرة يشمل الكل .
ياقوت : معجم البلدان ٤٩٤/٢ .

(٣) تاريخ ٤٧٥/٢ . وليس هناك معلومات عن البريد في عهد الواثق .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعى - أبو العباس - ولى نيابة بغداد أيام المتوكل . توفى سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م الزركلى : الأعلام ٢٢٢/٦ .

اقرار النظام .." .[1]

وهذا يدلنا على مدى ماوصلت اليه أعمال البريد من دقة فى مراقبة الولاه ، حتى فى الخصوصيات الشخصية التى يحرصون على كتم اخبارها . غير أن هذه الخصوصيات لها تاثير على أداء المهام الموكولة اليهم .

وقد كان ولاة البريد يداومون على حضور مجالس الولاه ونقل مايهم الخليفة من الأخبار ومن ذلك ماذكره الكندى من ان والى مصر يزيد بن عبد الله أمر فى سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م "بضرب رجل من الجند فى شىء وجب عليه ، فضربه عشرة فاستحلف يزيد بحق الحسن والحسين الا عفا عنه ، فزاده ثلاثين دره ، ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل ، فورد كتاب المتوكل على يزيد بضرب ذلك الجندى مائة سوط ، فضربها وحمل الجندى الى العراق" .[2]

ويذكر التنوخى حادثة وقعت فى ديوان الخراج تدلنا على أن أصحاب الأخبار كانوا يجلسون فى الدواوين المركزية ، وينقلون مايجرى فيها من أحداث ، وان وجودهم كان أمرا معلوما للجميع .[3]

وقد زاد المتوكل من اهتمامه بأمر البريد حتى أصبح ينقل اليه كل خبر عن الخاصة والعامة ، يقول الطبرى : كان الفتح بن خاقان "يتولى للمتوكل أعمالا منها أخبار الخاصة

---

(١) لم أعثر على هذه الرواية فى المصادر التى طالعتها خلال البحث ، وانما تناقلتها المراجع الحديثة عن حسينى : الادارة العربية ص/٣٠١ ، الذى نقلها بدوره عن فون كريمر صاحب كتاب الشرق فى عهد الخلفاء ص/٢٣١ . وممن نقلها د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٥ ، أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ص/٩٤ ، طلال رفاعى : نظام البريد ص/١١٩٩ .

(٢) الولاه والقضاه ص/٢٠٣ .

(٣) الفرج بعد الشدة ١/٣٨٩-٣٩٨ .

والعامة بسامرا والهاروني[1] ومايليها ، فورد كتاب ابراهيم ابن عطاء المتولى الأخبار بسامرا يذكر فيه وفاة الحسن بن سهل .. فى صبيحة يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة من سنة خمس وثلاثين ومائتين .. وانه توفى فى هذا اليوم وقت الظهر .. فلما كان من الغد ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام بوفاة محمد بن اسحاق بعد الظهر يوم الخميس .."[2] .

كما عين فى سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م على بريد مصر يعقوب بن ابراهيم - قوصره -[3] .

ومن الأمور الهامة التى كان يكتب بها ولاة البريد عن أخبار الخاصة مارفعه صاحب الخبر بالأهواز فورا عن ماجرى بين محمد بن منصور قاضى كور الأهواز ، وعامل الخراج بها عمر بن فرج الرخجى ، من مناظرة حول أموال اعترف الرخجى باقتطاعها من ولايته على الخراج فأمر المتوكل بمطالبته بتلك الأموال[4] .

وقد كان للبريد دور فى عزل والى خراج مصر أبى أيوب

---

(١) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب الى هارون الواثق بالله وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل . ياقوت : معجم البلدان ٣٨٨/٥ .

(٢) تاريخ ١٨٤/٩-١٨٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٤٦/٦ ، وقد جاء فى تكملة رواية الطبرى قوله : ".. يوم الخميس لخمس خلون من ذى الحجة فجزع عليه المتوكل جزعا وقال تبارك الله كيف توافت منية الحسن ومحمد بن اسحاق فى وقت واحد" . وهذا يدلنا على أن فى الرواية خطأ ظاهراً ولعل الصحيح أن يكون محمد بن اسحاق توفى يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذى القعدة ، حتى يصبح هناك توافق وهناك صاحب بريد ببغداد يكتب بخبر العامة . انظر الطبرى : تاريخ ١٩٠/٩ ، ويذكر الأصبهانى أن المتوكل ولى ابن الكلبى البريد وأحلفه ألا يكتمه شيئا من أمر الناس جميعا ولامن أمره هو نفسه ، الأغانى ٦٨/١٠ .

(٣) الكندى : الولاه والقضاه ص٤٦٢ .

(٤) التنوخى : نشوار ١٦/٢ .

سليمان بن وهب الحارثي(١) حيث يذكر التنوخي أن عبد الله بن سليمان قال : "كنت بحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه - اذ ذاك - اذ دخل علينا أحمد بن خالد الصريفيني(٢) الكاتب فقام له أبي قائما في مجلسه ، وأقعده في صدره ، وتشاغل به ، ولم ينظر في عمل حتى نهض ، ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه ، فاستعظمت أنا وكل من في الديوان ذلك .. فقال : يابني .. أليس قد أنكرت أنت والحاضرون قيامي لأحمد بن خالد في دخوله وخروجه ، وماعاملته به ؟ فقلت : بلى .

قال : كان هذا يتقلد مصر فصرفته عنها(٣) وكانت قد طالت مدته فيها ، فتتبعته فوطئت آثار رجل لم أجد أجمل منه آثارا ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ، ولارأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له . وكان الحسين الخادم - المعروف بعرق الموت - صاحب البريد بمصر من أصدق الناس له ، وكان مع هذا من أبغض الناس ، وأشدهم اضطرابا في أخلاقه ، فلم أتعلق عليه بحجة .

---

(١) سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي ، وزير من كبار الكتاب ، كتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة ، وولى الوزارة للمهتدى بالله ، ثم للمعتمد على الله . توفى سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م . ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢١٦/١ ، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ٣٧/٢ . الزركلى : الأعلام ١٣٧/٣ .
لعله تولى خراج مصر سنة ٢٤١هـ . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) أبو الوزير أحمد بن خالد الصريفيني ، كان يكتب للمعتصم وصادره الواثق وكان ممن أشار بتولية محمد بن الواثق لما توفي والده ، فحقدها عليه المتوكل وصادره وصادر أخاه وكاتبه ، ثم ولى خراج مصر سنة ٢٣٨هـ . انظر : الطبرى : تاريخ ١٧/٩، ١٢٥، ١٥٤، ١٦٢ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٢٨/٦، ٥٣٥ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٢٠٠ .

(٣) ذكر في سنة ٢٤٧هـ أن على خراج مصر سليمان بن وهب . الكندى : الولاه والقضاه ص/٢٠٣ . وكان ذكر قبل ذلك انه في سنة ٢٣٩هـ أفرد عنبسة بن اسحاق الضبي والى مصر بالخراج مع الصلاة بعد(أن) كان مشاركا لأحمد بن خالد في سنة ٢٣٨هـ . ص/٢٠٠، ٢٠٢ .

ووجدته قد أخر رفع الحساب لسنة متقدمة ولسنته التى هو فيها ، ولم يستتمها لمرفى له عنها ، ولم ينفذه الى الديوان ، فسمته أن يحط من الدخل ، وأن يزيد فى النفقات والأرزاق ، ويكسر من البقايا ، فى كل سنة مائة ألف دينار ، لآخذها لنفسى ، فامتنع من ذلك ، فاغلظت له وتوعدته ، ونزلت معه الى مائة ألف واحدة للسنتين ، وحلفت بأيمان مؤكده ، انى لااقنع منه بأقل منها . فأقام على امتناعه وقال : أنا لاأخون لنفسى ، فكيف أخون لغيرى ، وأزيل ماقام به جاهى من العفاف ؟ فقيدته وحبسته ، فلم يجب ، وأقام مقيدا فى الحبس شهورا .

وكتب عرق الموت صاحب البريد الى المتوكل يضرب عليّ ، ويحلف أن أموال مصر لاتفى بنفقتى ومؤونتى ، ويصف أحمد بن خالد ، ويذكر ميل الرعية اليه وعفته .. فبينا أنا ذات يوم .. اذ وردت على رقعة أحمد بن خالد يسألنى استدعاءه لمهم يلقيه الى .. فأخرج الى كتابا لطيفا مختوما .. ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذى أعرفه الى ، بالانصراف وتسليم ماأتولاه الى أحمد بن خالد ، والخروج اليه مما يلزمنى ، ورفع الحساب اليه ، والامتثال لأمره .. ولم ألبث أن دخل أمير البلد فى أصحابه وغلمانه ، فوكل بدارى وجميع ماأملكه وبأصحابى وغلمانى وجهابذتى وكتابى .." (١) .

ومن خلال عرضنا للاشارات التاريخية السابقة نستطيع القول أن البريد اضطلع بدور مهم فى تحريك الرقابة الادارية

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢/٧٦-٧٩ .

حيث كان يقوم بايصال الأخبار الى مركز الخلافة ، ومايجرى من مستجدات الأحداث فى النواحى الادارية المختلفة .

وقد احتفظ قدامة بن جعفر بنسخة عهد لولاية البريد فى احدى الولايات ، توضح لنا واجبات والى البريد فى البلدان والأقاليم - اضافة الى ماسبق ذكره - حيث جاء فيها : "هذا ماعهد عبد الله ، فلان أمير المؤمنين ، الى فلان بن فلان حين ولاه أعمال البريد بناحية كذا أمره بتقوى الله وطاعته ، واستشعار خوفه ومراقبته فى أسراره وعلانيته ، وأن يجرى أمره فيما استكفاه أمير المؤمنين اياه بحسب مابداه به من الاصطناع ، وقدره عنده من الكفاية والاضطلاع . وأمره أن يؤثر الصدق فيما ينهيه ، والحق فيما يعيده ويبديه ، وأن يختار من يستعين به فى عمله ويشركه فى أمانته ، من يثق بصناعته ونزاهته ، وطيب طعمته وتحريه الصدق فيما صدر عن يده ولهجته ، وأن يكون من يستعمله من أهل الكفاية والغناء دون أن يستعمل منهم على العناية والهوى .

وأمره أن يعرف حال عمال الخراج والضياع فيما يجرى عليه أمرهم ويتتبعه فى ذلك تتبعا شافيا ويستشفيه استشفافا بليغا ، وينهيه على حقه وصدقه ، ويشرح مايكتب به منه .

وأمره أن يتعرف على حال عمارة البلاد وماهى عليه من الكمال والاختلال ، ومايجرى فى أمور الرعية فيما يعاملون به من الانصاف والجور ، والرفق والعسف ، فيكتب به مشروحا ملخصا مبينا مفصلا .

وأمره أن يتعرف على ماعليه أحوال الحكام فى أحكامهم ومسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم ، ولايكتب من ذلك الا بما يصح عنه ، ولايرتاب به .

وأمره أن يتعرف على حال دار الضرب (١) ، ومايجرى عليه مما يضرب فيها من العين (٢) والورق (٣) ، ومايلزمه الموردون من الكلف والمؤن ، ويكتب بذلك على حقه وصدقه .

وأمره أن يوكل بمجلس عرض الأولياء وأعطياتهم (٤) من يراعيه ويطالع مايجرى فيه ويكتب بما يقف عليه من الحال فى وقته ، وأمره أن يكون ماينهيه من الأخبار شيئا يثق بصحته ولايدخل شبهة فى شىء منه ، ويوعز الى خلفائه وأصحابه ألا ينهوا اليه الا مايثبتونه ، وكانوا على الثقة منه ، وأن يحتاطوا فى ذلك بما يحتاط به فى مثله من شهادة فيما يمكن الشهادة فيه ، وأخذ الخطوط بما يتهيأ أخذها به ، واقامة الشواهد والدلائل بما يمكن اقامتها عليه ، وأن لايوروا (٥) عن شىء يعلمونه ، ولايحابوا أحدا بستره ، وأن يكتموا أخبارهم ولايذيعوها ، ولايخلدوا الى كشفها وافشائها ، فان ذلك ـ اذا

---

(١) دار الضرب : الجهة المسؤولة عن اصدار العملة الاسلامية ذهبية كانت أم فضية أم من معادن رديئة ، وكانت أعماله فى غاية الدقة والنظام ويتولاه "متولى دار الضرب" كما يعهد بالاشراف الرسمى الى القاضى ، وبالرقابة الى متولى البريد ، وكانت فى الدولة الاسلامية دور ضرب كثيرة .
انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ٤٦١/٣-٤٦٣ ، د. عبد الرحمن فهمى محمد : موسوعة النقود العربية وعلم النميات ـ فجر السكة العربية ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٥م ص/١٤، ١٥، ٢٢، ٢٨، ٢٣٤، ٣٩٩ .

(٢) العين : الدينار والذهب .
انظر : الرازى : مختصر الصحاح ص/٣٤٤ ، الفيروزآبادى القاموس المحيط ص/١٥٧٢ .

(٣) الورق : المال من الدراهم المضروبة ـ وهى من الفضة .
انظر الرازى : مختار الصحاح ص/٥٢٤ ، المنجد ص/٨٩٧ .

(٤) انفرد قدامة بذكر "مجلس عرض الأولياء وأعطياتهم" وكان أول من أوجده المأمون وقيل الرشيد وهو من مجالس ديوان الجيش ، وتتلخص مهمته أنه كان يقوم بالاشراف على الجيش أوقات الاستعراض والتدريب .
قدامة بن جعفر : المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/٢٠٣ هامش ٣ .

(٥) وراه تورية : أخفاه ، وتوارى : استتر .
الرازى : مختار الصحاح ص/٥٢٤ ، الفيروزآبادى : القاموس المحيط ص/١٧٣٠ .

جرى - وهنا ، ولمن أراد الحيلة منصرفا . وأمره أن يمتنع وجميع أصحابه فى النواحى ، وخلفائه عليها ، من أن يكونوا سببا فى محاباة أحد بالشفاعة له أو التوصل الى دفع حق يجب عليه .

وأمره أن يعرض المرتبين (١) لحمل الخرائط فى عمله ، ويكتب بعدتهم وأسمائهم ومبالغ أرزاقهم وعدد السكك فى جميع عمله ، وأميالها (٢) ومواضعها ، وأن يوعز الى هؤلاء المرتبين بتعجيل الخرايط المنفذه على أيديهم ، والى الموقعين (٣) باثبات المواقيت وضبطها حتى لايتاخر أحد منهم عن الأوقات التى سبيله أن يرد السكة فيها ، وأن يفرد لكل مايكتب فيه من أصناف الأخبار كتبا بأعيانها فيفرد بأخبار القضاه ، وعمال المعاون والأحداث ، ومايجرى مجرى ذلك كتابا ، وبأخبار الخراج والضياع ، وأرزاق الأولياء ، ومايجرى مجرى دور الضرب ، والأسعار ، ومايقع فيه الحل والعقد والاعطاء والأخذ كتابا ، ليجرى كل كتاب فى موضعه ويكتب فى بابه ، فيتحمل العمل وتملك نظامه .

---

(١) المرتبون : يبدو انهم كانوا سعاه مسؤولين عن حمل الرسائل فى حقائب خاصة من سكة الى أخرى .
د . حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٧٣ .

(٢) الميل : من الأرض قدر مد البصر ، والمبنى : منار مبنى للمسافر فى انشاز الأرض ومنه الأميال التى فى طريق مكة المشرفة وهى الأعلام المبنية لهداية المسافرين . والميل حجر طوله ثلاثة أذرع ، والميل طوله أربعة آلاف ذراع (بالمراسلة) . أى أنه يساوى ١٨٤٨م .
انظر : د. طلال رفاعى : نظام البريد ص/١٠٣-١٠٤ ، د. محمد ضياء الدين الريس : الخراج ص/٣٠٠ .

(٣) الموقعون : يقومون بتثبيت أوقات انطلاق السعاه ووصولهم - من أجل ضبطها - حتى لايتاخر أحد منهم عن الأوقات التى سبيله أن يرد السكة فيها . ومن الطبيعى أن ضبط ذلك واثباته لم يكن الا بالكتابة ، فلابد من أن كانت للموقعين سجلات خاصة لهذا الغرض . د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٧٣ .
وقال الخوارزمى : الموقع الذى يوقع على الاسكدار اذا مر به بوقت وروده وصدوره . مفاتيح العلوم ص/٤٢ .

هذا عهد أمير المؤمنين اليك فكن به متمسكا ، ولما مثله لك ذاكرا ، وبه آخذا ، وعليه عاملا ، والله يوفقك لما يحمده أمير المؤمنين منك ، ويرضاه من فعلك ، ويعلم به صواب اختياره اياك" (١) .

ومما سبق نستطيع القول أن ولاة البريد كانوا رقباء ومفتشين من قبل الدولة ، يرفعون التقارير عن أحوال الولاه والعمال فى مختلف الأقاليم والبلدان .

وقبل أن نختم الحديث عن دور البريد فى تحريك الرقابة الادارية ، لابد من أن نوضح وسائل ديوان البريد للقيام بالرقابة الادارية ، وكذلك طبيعة الرقابة الادارية التى يضطلع بها ديوان البريد .

أولا : وسائل ديوان البريد للقيام بالرقابة الادارية .

كان لديوان البريد عدة وسائل لجمع المعلومات والأخبار فى المجالات المتعلقة باختصاصات الديوان فى الرقابة الادارية (٢) - ارتبطت فى الواقع بشكل الديوان وهيكله التنظيمى فقد كان صاحب الديوان أو متولى الديوان مقره فى العاصمة ، ومهمته ايصال مايصدر عن الخليفة أو الوزير الى العمال فى الأقاليم ، وكان يتلقى مايرد منهم الى دار الخلافة ، فيعرضها أو يعرض خلاصتها على الخليفة ، كما يشرف على أعمال العمال والموظفين التابعين للديوان ، سواء من كان منهم فى العاصمة أو فى السكك والطرق أو فى الولايات . وقد كان

---

(١) قدامة بن جعفر : الخراج ص/٥٠-٥٢ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/٢٠١-٢٠٦ .
(٢) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/١٧ .

الخليفة هو الذى يعين صاحب ديوان البريد فى العاصمة .(١)

وكان يتبع صاحب ديوان البريد عامل فى كل اقليم من أقاليم الدولة ، يتبع كلا منهم بدوره عدد من العمال أقل درجة من حيث المرتبة والوظيفة ، يتولون تصريف شؤون البريد فى دوائر اختصاصهم فى الأقاليم ،(٢) وكان الخليفة هو الذى يعين عمال البريد فى النواحى أيضا .(٣)

---

(١) د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٦٨، ٢٧٣ ، د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٤ ، وتجدر الاشارة الى أن التقارير الأخرى التى يحملها البريد على ترتيبها وفرزها ترسل مباشرة الى الدواوين المختلفة . انظر : حسينى : الادارة العربية ص/٢٩٩ ، أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة ص/١٤٢ .

(٢) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٢ ، د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٣-٤٣٤ ، د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٧٣ .
حيث كان من ضمن هؤلاء العمال "المرتبون" وهم فيما يبدو سعاه مسؤولين عن حمل الرسائل فى حقائب خاصة من سكة الى أخرى .
و"الموقعون" وهم من يقوم بتثبيت أوقات انطلاق السعاه ووصولهم - من أجل ضبطها - حتى لايتأخر أحد منهم عن الأوقات التى سبيله أن يرد السكة فيها . ومن الطبيعى أن ضبط ذلك واثباته لم يكن الا بالكتابة ، فلابد من أنه كانت للموقعين سجلات خاصة لهذا الغرض .
و"الفروانقيون" وكانوا يتولون مسؤولية مراقبة سكك البريد والسعاه والخيالة ، وكانوا يقدمون تقاريرهم عن كل ذلك الى صاحب الديوان فى العاصمة ، وكان لابد للموقعين من عرض تقاريرهم على أحد الفروانقيين قبل ارسالها الى ديوان البريد .
انظر : قدامة بن جعفر : الخراج ص/٧٧ ، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ص/٢٥٧-٢٥٨ ، الخوارزمى : مفاتيح العلوم ص/٤٢ ، د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٧٣-٢٧٤ ، د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٤ .

(٣) د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٦٨ ، ويتضح من رواية للطبرى أن والى البريد على أحد الأقاليم أو البلدان كان يذهب الى جهة ولايته ويكون له خليفة فى العاصمة يبلغ عنه الرسائل الى الخليفة ، حيث يقول : "كتب حمويه مولى المهدى صاحب البريد بطوس الى أبى مسلم سلام مولاه وخليفته ببغداد على البريد والأخبار يعلمه وفاة الرشيد فدخل على محمد فعزاه وهنأه بالخلافة وكان أول الناس فعل ذلك . تاريخ ٣٦٥/٨ .

لقد كان فى كل اقليم من أقاليم الدولة ، وفى كل ديوان من الدواوين المركزية وفروعها فى الولايات الكبيرة عامل بريد يتولى الاشراف على أعمال الاقليم أو الديوان المنوط به ، ومراقبة العاملين فيه من الولاه والعمال ، وجمع المعلومات والأخبار عن سيرتهم فى أعمالهم وحياتهم الشخصية اذا ماكان لها تأثيرات سلبية على سير العمل وانتظامه ، وموافاة صاحب ديوان البريد بنتائج ذلك لرفعها الى الخليفة لاتخاذ مايراه بشأنها (١) .

اضافة الى وجود طائفة مخصوصة من عمال ديوان البريد فى الولايات المختلفة يطلق عليهم (الوكلاء والمخبرون) مهمتهم مساعدة ولاة البريد وعماله فى جمع المعلومات والأخبار فى دوائر اختصاصهم بمختلف الطرق العلنية والسرية (٢) فضلا عن أن القائمين على ديوان البريد وفروعه كانوا يستعينون فى جمع المعلومات والأخبار المطلوبة منهم بأناس ليس لهم أية صفة رسمية من كل طبقات المجتمع (٣) .

ثانيا : طبيعة الرقابة الادارية التى يضطلع بها ديوان البريد .

تنحصر مهمة عمال البريد فى مجال الرقابة الادارية فى ملاحظة ومراقبة عمل الولاه والعمال ، وغير ذلك من الأمور الادارية المنوطة بهم من قريب أو بعيد ، بوسائل مختلفة بعضها علنى وبعضها سرى ، ثم يرفعون نتائج ذلك الى الجهات العليا فى الديوان التى تتولى رفعها الى الخليفة ، فليس

---

(١) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٦ .
(٢) د. حسام السامرائى : المؤسسات الادارية ص/٢٧٤ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٦ .
(٣) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٤ ، د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٦-٣١٧ .

لعامل البريد التدخل بالتوجيه أو التصحيح فى عمل الولاه والعمال المنوطه بهم مراقبة أعمالهم ، وليس لهم أيضا أن يلزموهم بتنفيذ عمل من الأعمال ، فعملهم يقتصر على تسجيل نتائج ملاحظاتهم ومراقبتهم لأعمال الولاه والعمال بسلبياتها وايجابياتها وانهاء ذلك الى الخليفة (١) .

وتحديد مهمة عمال البريد فى مجال اختصاصاتهم المتعلقة بالرقابة الادارية - على النحو المشار اليه - يكشف عن أن عملهم فى هذا المجال هو وسيلة من وسائل تحريك الرقابة الادارية ، وليس مباشرة فعلية للرقابة الادارية ، التى تعنى الاضطلاع بمراجعة وتصحيح الأعمال والتصرفات الادارية التى يتبين عدم سلامتها من خلال الغائها أو تعديلها أو استبداله اخرى بها تكون سليمة (٢) .

وقد أوضح الامام الماوردى (٣) مهمة صاحب البريد وصلاحياته فيما يلى :

(١) أن للعامل أن ينفرد بالعمل دون صاحب البريد .

(٢) ليس لصاحب البريد أن يمنع العامل مما أفسد فيه .

(٣) يلزم صاحب البريد الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد ، لأن خبره خبر انهاء (٤) .

---

(١) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٧ ، د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٤٣٩ .

(٢) د. محمد طاهر : الرقابة الادارية ص/٣١٧ .

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٢١٢ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٥٠ .

(٤) هناك خبر انهاء وخبر استعداء وقد أوضح الماوردى الفرق بينهما من وجهين :
أحدهما : أن خبر الانهاء يشمل على الفاسد والصحيح ، وخبر الاستعداء مختص بالفاسد دون الصحيح .
الثانى : أن خبر الانهاء فيما رجع عنه العامل وفيما لم يرجع عنه وخبر الاستعداء مختص بما لم يرجع عنه دون مارجع عنه .
الأحكام السلطانية ص/٢١٢ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٢٥٠ .

المبحث الثاني

التظلم والاستعداء

التظلم والاستعداء [(١)] :

يعد التظلم والاستعداء من الطرق الهامة ذات الأثر الكبير في تحريك الرقابة الادارية ، ولايتم ذلك الا بجلوس ولى الأمر أو من ينيبه للنظر فى المظالم ، وتصفح الظلامات التى ترفع اليه فى عمال الدولة على اختلافة مراتبهم .

وقد أوضح القاضى أبو يوسف أهمية جلوس الخليفة للمظالم بقوله للرشيد : "فلو تقربت الى الله تعالى ياأمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك فى الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم ، رجوت أن لاتكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ، ولعلك لاتجلس الا مجلسا أو مجلسين حتى ينتشر ذلك فى الأمصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلايجترىء على الظلم ، ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك فى أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه ،وان لم يمكنك الاستماع فى المجلس الذى تجلسه من كل من حضر من المتظلمين ، نظرت فى أمر طائفة منهم فى أول مجلس ، وفى أمر طائفة أخرى فى المجلس الثانى ، وكذلك فى المجلس الثالث ، ولاتقدم فى ذلك انسانا على انسان ، من خرجت قصته أولا دعى به أولا ، وكذلك من بعده ، مع أن العمال والولاه ان علموا انك تجلس للنظر فى أمور الناس يوما فى السنة ، ليس

---

(١) الظلم : وضع الشىء فى غير موضعه ، والظلامة والظليمة والمظلمة : ماتطلبه عند الظالم ، وهو اسم ماأخذه منك وتظلمه : أى ظلمه ماله ، وتظلم منه : أى اشتكى ظلمه . أما الاستعداء ومثلها العدوى أى طلبك الى وال ليعديك على من ظلمك أى ينتقم منه ، يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى أى استعنت به عليه فأعاننى ، والاسم منه العدوى : وهى المعونة .
انظر : الرازى : مختار الصحاح ص/٣١٣،٣٠٢ ، الفيروز آبادى : القاموس المحيط ص/١٦٨٨،١٤٦٤ .

يوما فى الشهر ، تناهوا باذن الله عن الظلم ، وانصفوا من أنفسهم ، وانى لأرجو لك بذلك أعظم الثواب ، انه من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة " (١) .

ويقول الامام الشيزرى : "اعلم أن جلوس الملك لكشف قصص المظلومين والفصل بين المتنازعين من أعظم قوانين العدل الذى لايعم الصلاح الا بمراعاته ، ولايتم التناصف الا به " (٢) .

ويعرض لنا الامام أبو الحسن الماوردى تاريخ النظر فى المظالم بقوله : "نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم .. ولم ينتدب للمظالم من الخلفاء الأربعة أحد لأنهم فى الصدر الأول مع ظهور الدين عليهم بين من يقوده التناصف الى الحق أو يزجره الوعظ عن الظلم ، وانما كانت المنازعات تجرى بينهم فى أمور مشتبهه يوضحها حكم القضاه .. واحتاج على رضى الله عنه حين تأخرت امامته واختلط الناس فيها وتجوروا الى فضل صرامة فى السياسة وزيادة تيقظ فى الوصول الى غوامض الأحكام ، فكان أول من سلك هذه الطريقة واستقل بها ، ولم يخرج فيها الى نظر المظالم المحض لاستغنائه عنه .. ثم انتشر الأمر بعده حتى تجاهر الناس بالظلم والتغالب ولم يكفهم زواجر العظة عن التمانع والتجاذب ، فاحتاجوا فى ردع المتغلبين وانصاف المغلوبين الى نظر المظالم الذى يمتزج به قوة السلطنة بنصف القضاء ، فكان أول من أفرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة

---

(١) الخراج ص/٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) المنهج المسلوك ص/٥٦٢-٥٦٣ ، ويذكر ابن جماعة : أن من حقوق السلطان على الأمة "... الحق السابع : علمه بسيرة عماله الذين هو مطالب بهم ومشغول الذمة بسببهم لينظر بنفسه فى خلاص ذمته ، وللأمة فى مصالح ملكه ورعيته " . تحرير الأحكام ص/٦٤ .

للنظر عبد الملك بن مروان (١) .. ثم زاد من جور الولاة وظلم العتاة مالم يكفهم عنه الا أقوى الأيدى وأنفذ الأوامر ، فكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم فردها وراعى السنن العادلة وأعادها ، ورد مظالم بنى أمية على أهلها .. ثم جلس لها من خلفاء بنى العباس جماعة .. " (٢) .

وتجدر الاشارة الى أن النظر فى المظالم ثابت لكل ذى ولاية عامة بلاحاجة الى تقليد خاص ، كالخلفاء أو من فوض اليه الخلفاء النظر فى الأمور العامة كالوزراء والأمراء .. والذى يعطيه الاستقراء أن الخلفاء كانوا يباشرون أمر المظالم بأنفسهم فى الغالب ولاسيما ان كانت الدعوى على بعض ذويهم ومن فى معناهم من الأمراء والوزراء ، أما على مطلق الناس فكان يباشر النظر فى المظالم الوزراء وأمراء الأقاليم والقضاة ، اما بعموم الولاية أو بولاية خاصة (٣) .

---

(١) ذلك أن عبد الملك بن مروان كان اذا وقف على مشكل أو احتاج فيها الى حكم منفذ رده الى قاضيه أبى ادريس الأودى ، فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك ابن مروان فى علمه بالحال ووقوفه على السبب فكان أبو ادريس هو المباشر وعبد الملك هو الآمر .

(٢) الأحكام السلطانية ص/٧٧-٧٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٤-٧٥ .
ويرى كل من الماوردى وأبى يعلى أن أول من جلس للمظالم من بنى العباس الخليفة المهدى ثم الهادى ثم الرشيد ثم المأمون فآخر من جلس لها المهتدى حتى عادت الأملاك الى مستحقيها . وهذا ماذكره أيضا الشيزرى وقال "ثم احتجب الخلفاء لتظاهر الترك وغيرهم ورفعوا أمر المظالم الى وزرائهم" . المنهج المسلوك ص/٥٦٥-٥٦٦ .
وعن أمثلة لنظر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية فى المظالم انظر د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٥٩٥-٦٠١ .

(٣) د. حمدى عبد المنعم : ديوان المظالم ص/٩٩،١٠٣ ، وقد فصل فى ذلك د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٦٠٣،٦٣٦-٦٣٩ . انظر أيضا ماقال ابن خلدون : المقدمة ص/٢٢٢ .

وقبل العصر العباسي كان الخلفاء يباشرون المظالم اما في المسجد أو في دار الخلافة ، أما خلفاء بني العباس فقد كانوا يباشرون المظالم في دار الخلافة (١) .

أما عن دور التظلم والاستعداء في تحريك الرقابة الادارية ، فان هناك الكثير من الروايات التاريخية التي توضح لنا ذلك خلال هذه الفترة من عصر الدولة العباسية .

ففي عهد أبي العباس كتب اليه جماعة من أهلا الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ، ولم يعطوا أثمانها فوقع "هذا بناء أسس على غير تقوى" ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم .. كما وقع الى عامل تظلم منه "وماكنت متخذ المضلين عضدا" (٢) . يتهدده ويتوعده .

ولما تولى المنصور الخلافة اهتم بأمر المظالم والنظر فيها ، فيروى أنه كان يجلس جلوسا عاما في بغداد لرد المظالم (٣) . كما أشير في عهده الى وجود ديوان خاص يجمع شكاوى المتظلمين ومن ثم عرضها عليه يعرف بديوان الحوائج (٤) .

وقد كان المنصور يسمح للمتظلمين بمقابلته وعرض شكاياتهم عليه ، حيث يقوم بالنظر فيها فورا ومن ذلك أن عمارة بن حمزة - وكان من عماله - دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين . قال من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي . فقال

---

(١) د. سعيد الحكيم : الرقابة على أعمال الادارة ص/٦١٤ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١١/٤ .
(٣) الطبري : تاريخ ٨٥/٨ .
(٤) اليعقوبي : البلدان ص/٢٤٠ ، أيضا د. محمد البطاينة : تاريخ الحضارة ص/١٤٣ .

المنصور : ياعمارة قم مع خصمك (١) . وعندما تظلم رجل مجوسى من اعتداء عامل الأنبار عليه ، طلب المنصور من الفضل بن الربيع أن يتولى تأديب هذا العامل بقوله : "اشخص هذا العامل وأحسن أدبه وانتزع ضيعة هذا المجوسى من يده وسلمها الى هذا المجوسى وابتع من العامل ضيعته وسلمها اليه أيضا" (٢) .

وكان المتظلمون يرفعون الى المنصور رقاعهم التى بها ظلاماتهم وحوائجهم (٣) ، اذ كانوا لايستطيعون الحضور بين يديه ، فتلقى تلك الرقاع اهتماما بالغا منه (٤) ، حيث كانت توقيعاته عليها تحمل معانى العدل والانصاف . فقد رفع رجل الى المنصور يشكو عامله أنه أخذ حدا من ضيعته فأضافه الى ماله فوقع الى العامل فى رقعة المتظلم : ان أثرت العدل صحبتك السلامة ، فانصف هذا المتظلم من هذه الظلامة .. وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال فى رقعة رفعها الى المنصور ، فوقع فيها (٥) : ان كنت صادقا فجىء به مليا فقد أذناك فى ذلك ووقع الى عامل من عماله قد كثر شاكوك وقل شاكروك ، فاما اعتدلت واما اعتزلت (٦) . والى قوم تظلموا من عاملهم : لاينال

---

(١) ابن الجوزى : الأذكياء ، مكتبة الغزالى (بدون) ص/٧٧ ، السيوطى : الدراسة فى منهاج السياسة - قدح الدراسة ، مخطوط ، المتحف البريطانى ، لندن رقم ١٥٣٤ عربى لوحة ١٤٧ ، الابشيهى : المستطرف ١٣٤/١ ، ونسب هذه الحادثة الى عهد الهادى كل من الجهشيارى : الوزراء ص/١٤٨ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٩٠ . مع العلم أن عمارة بن حمزة كان له ذكر فى الأحداث زمن المنصور والمهدى .

(٢) التنوخى : الفرج ٢٩٦/٢ ، انظر أيضا تظلم رجل من العقلاء من بعض الولاة الذى غصبه ضيعته فأنصفه المنصور الابشيهى : المستطرف ١٠١/١ .

(٣) الطبرى : تاريخ ٩٧/٨ .

(٤) انظر الخطيب : تاريخ ٢٩٩/٢ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٩٧/٨ .

(٦) الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٢ .

عهدى الظالمين[1] .

وقد كان موسم الحج فرصة مواتية للمنصور يقف من خلاله على أحوال رعيته وينظر فى ظلاماتهم التى يرفعونها اليه ، حيث كان يقابلهم ويسمع شكواهم بنفسه ويهتم بها . فقد حج المنصور سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م وعندما كان نازلا فى داره بمكة المكرمة "سمع صوتا على بابه فقال ماهذا الصوت ؟ قالوا هؤلاء بنو أبى عمرو الغفارى يرفعون على الحسن بن زيد - والى المدينة المنورة - قال : ادخلوا على ابن أبى عمرو فدخل ابن أبى عمرو .. فسأله المنصور عن الحسن بن زيد وسمع شكواه[2] .

ومن حرص المنصور على معرفة تصرفات ولاته وعماله عن طريق التظلم والاستعداء أنه أوكل الى رجل أن يأمر الناس برفع القصص التى فيها ظلاماتهم اليه ، وذلك فى أثناء طريقه الى الحج . فقد روى الطبرى عن على بن محمد النوفلى أن أباه حدثه أن "القاسم بن منصور كان حين لقينا المنصور بذات عرق[3] اذا ركب المنصور بعيره جاء القاسم فسار بين يديه - بينه وبين صاحب الشرطة - ويأمر الناس أن يرفعوا القصص اليه"[4] . كما ذكر أن المنصور ولى الحسن بن عمارة[5] على المظالم[6] ، ويبدو أن ابن عمارة كان يرفع قصص المتظلمين الى

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٢/٤ .
(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٧٦ . وقد ذكر صاحب الشكاية أن الحسن بن زيد "يدع الحق وهو يراه ويتبع هواه" .
(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة . ياقوت : معجم البلدان ١٠٧/٤ .
(٤) تاريخ ١١١/٨ .
(٥) لم أجد له ترجمة فيما تيسر لى من مصادر .
(٦) الخطيب : تاريخ ٣٠٦/١٠ ، ١٠٢/١٤ .
وتتناقل المصادر رواية عن حادثة وقعت للمنصور عندما حج سنة ١٣٨هـ . وكان بمكة المكرمة يطوف بالبيت ، تفيد أن هناك رجلا كان يقف للناس على باب المنصور يجمع قصص المتظلمين ثم يعرضها على الخليفة . وان ذلك سبب كثيرا من الظلم للناس لمحاباته للوزراء والولاة . وقد زاد من ذلك احتجاب المنصور عن مقابلة الرعية . غير أن هذه الرواية لاتقف أمام الروايات الأخرى التى تدل على جلوس المنصور للمظالم بنفسه واهتمامه بأمرها =

المنصور ولم يكن ناظرا فيها .

وقد كان المنصور يدقق فيما يرفع اليه من ظلامات ، ويزجر أهل الظلامات الباطلة ، وينهاهم عن العودة الى مثل ذلك مرة أخرى .(١)

وفي عهد المهدى نجد زيادة الاهتمام بالنظر فى المظالم حتى ان بعض المصادر تجعل المهدى أول من نظر فى المظالم من بنى العباس ،(٢) ويرجع ذلك الى أنه افتتح خلافته برد المظالم(٣) واستمراره على الجلوس لها(٤) فى كل وقت(٥) .

= انظر عن هذه الرواية ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢/٣٣٣-٣٣٦ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/١٥٩-١٦٠ ، الماوردى : نصيحة الملوك ص/٣٠٨-٣١٠ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٧٣٤-٧٤١ ، أبو الفداء : المختصر فى تاريخ البشر ٢/٧-٨ ، البرى المكى : محمد بن محمد (ت بعد ١٠٢٦هـ/١٦١٧م) : التحفة السنية فى سياسة الرعية ، مخطوط (ميكروفيلم) مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى برقم ٥٠٠ مجاميع ، لوحة ٢٤أ-٢٤ب ، ٢٥ب-٢٦أ ، ٤١أ-٤٢أ .

(١) انظر وكيع : أخبار القضاه ٢/٦١-٦٢ ، الطبرى : تاريخ ٨/٧٩ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/٢١٢ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، أبو يعلى الفراء الأحكام السلطانية ص/٧٥ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٦٥ .

(٣) انظر اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٩٤ ، حيث ذكر ان المهدى منذ أن قدم عليه الربيع مستهل المحرم ومعه مفاتيح الخزائن جلس المهدى للناس فى النصف من المحرم وأمر الربيع فأحضر دفتر القبوض ووجه الى كل من كان أبو جعفر قبض منه شيئا ،ذكرها أيضا الخطيب : تاريخ ٥/٣٩٢-٣٩٣ . وانظر الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٣٢ ، حيث قال ان المهدى عندما تولى الخلافة "جلس للمظالم وأمر بردها وافتتح أمره بالجميل" . أيضا المسعودى : مروج الذهب ٣/٣١٢ يقول : ان المهدى "افتتح أمره بالنظر فى المظالم" .

(٤) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٢/٣٩٤ ، الطبرى : تاريخ ٨/٧٤-٧٥، ١٧٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٩، ٢٥٦ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٤٧-١٤٨ ، الخطيب : تاريخ ٥/٣٩٢، ٣٩٤ ، البيهقى : المحاسن ص/٢٤٧، ٤١١ ، الماوردى الأحكام السلطانية ص/٨٠-٨١ ، الاربلى : الذهب المسبوك ص/٦٣، ٩٢ ، الذهبى : سير ٧/٤٠١ ، الصفدى : نكت الهميان ص/٢٩٩-٣٠٠ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٠ ابن دحية : النبراس ص/٣١ .

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٩ .

وكان المهدى اذا جلس للمظالم قال : "ادخلوا على القضاه فلو لم يكن ردى للمظالم الا حياء منهم لكفى"(١) . وقد خص رجلا لجمع قصص المتظلمين وايصالها اليه ، يقول الطبرى "فلما صارت الخلافة للمهدى ولى ابن ثوبان المظالم ، وكان يجلس للناس بالرصافة(٢) ، فاذا ملأ كساءه رقاعا رفعها الى المهدى"(٣) ، وكذلك كان سلام مولاه يوصل المظالم اليه أيضا . وقد وصفت بعض المصادر سلاما بأنه كان "صاحب المظالم"(٤) ، كما وصفه ابن عبد ربه بأنه "صاحب دار المظالم"(٥) . فى حين يذكر ياقوت شخصا آخر هو عمر بن مطرف يبدو أنه كان يحمل رقاع المتظلمين الى المهدى أو ربما أسند اليه النظر فى المظالم وتضمنت رواية ياقوت اشارة الى وجود بيت توضع فيه الرقاع فى مسجد الرصافة ، حيث قال : "ان أبا الورد عمر بن مطرف الخراسانى – ثم المروزى – كان يلى المظالم للمهدى ، وينظر الى القصص التى تلقى فى البيت الذى يسمى بيت العدل فى

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٧٢/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٩ أبو الفداء : المختصر ١٠/١ ، القلقشندى : مآثر الانافة ١٨٥/١ .

(٢) الرصافة : أكثر من موضع يقصد بها هنا رصافة بغداد بالجانب الشرقى . لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى واستتم بناءها أمر ابنه المهدى أن يعسكر فى الجانب الشرقى ، وقد فرغ من بناء الرصافة سنة ١٥٩هـ ياقوت : معجم البلدان ٤٦/٣ .

(٣) تاريخ ٧٤/٨ ، وقد ذكر تولى ابن ثوبان للمظالم البيهقى : المحاسن ص/٢٤٧ ، أيضا الاربلى : خلاصة الذهب ص/٦٣ .

(٤) الطبرى : تاريخ ١٧٣/٨ ، حيث كان يوصل الرقاع الى المهدى ، وقال ابن خياط : تاريخ ص/٤٤٣ ، على المظالم – زمن المهدى – سلام مولاه . وذكر الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٩ ، رواية الطبرى وقال صاحب المظالم لم يسمه . انظر أيضا وكيع : أخبار القضاه ٢٥٥/٣ .

(٥) العقد الفريد ١٩٢/١ .

مسجد الرصافة " [1]. وذكر من ولاه المظالم زمن المهدى الحسين ابن الحسن بن عطية العوفى [2]، كما ولى المهدى عمارة بن حمزة مظالم الكوفة [3].

وقد كان المهدى يقرأ مايعرض عليه من رقاع المتظلمين ويوقع عليها بنفسه [4]، وكانت توقيعاته تبشر المتظلم برد حقه اليه مهما كانت منزلة خصمه [5]، كما كان الناس يغتنمون موسم الحج فى الرفع على ولاتهم وعمالهم [6].

ومن أمثلة دور التظلم فى تحريك الرقابة الادارية زمن المهدى، تظلم الليث بن سعد من قاضى مصر اسماعيل بن اليسع [7] حيث كتب فيه الى المهدى : "ياأمير المؤمنين أنك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، مع انا ماعلمنا فى الدينار والدرهم الا خيرا، فكتب

---

(١) معجم البلدان ٢٨/٣، وقد ذكر أن المهدى أفرد بيت له شباك حديد على الطريق تطرح فيه القصص وكان يدخله وحده فيأخذ مابه من القصص أولا فأول، فينظر فيه لئلا يقوم بعضها على بعض.
انظر : محمد الشبانى : نظام الحكم ص/١٤٣، د. رشيد الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص/٤٩، محمد ابو امام : نظم الحكم ص/٢٩٣، د. عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول ص/٨٧. يقول الخطيب ان عمر بن مطرف كان يلى المظالم للمهدى. تاريخ ٨٧/١.

(٢) الخطيب : تاريخ ٣٠/٨.

(٣) ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٧٣.

(٤) الأصفهانى : الأغانى ٢٤٨/٢٢-٢٥٢، الخطيب : تاريخ ١٧٨/١٣، البيهقى : المحاسن ص/٢٤٦-٢٤٧، ٤١١، الصفدى نكت الهميان ص/٣٠٠.

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٢/٤، ٢١٣. كما كان المهدى ينصف من نفسه أولا. الطبرى : تاريخ ١٧٣/٨-١٧٤

(٦) انظر : الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٦، الخطيب : تاريخ ٢٧٧/١١.

(٧) تولى قضاء مصر سنة ١٦٤هـ، وعزل سنة ١٦٧هـ.

بعزله " .[١]

وقد كان المهدى كما هو شأن أبيه من قبل يدقق فيما يرد عليه من الظلامات ويسأل عن حقائق الأمور[٢] . واذا بلغه تظلم شخص من أحد عماله بحث عن حقيقة الأمر ، وحرص على مواجهة ذلك العامل ومسألته عما نسب اليه[٣] ، فعندما ولى عمارة بن حمزة الخراج والأحداث بالبصرة ، كرهه أهل البصرة لتيهه وكبره ، فرفعوا الى المهدى عليه أنه اختان مالا كثيرا ، فسأله المهدى عن ذلك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ان لو كانت هذه الأموال التى يذكرونها فى جانب بيتى مانظرت اليها ، فقال : أشهد انك لصادق ولم يراجعه فيها[٤] .

وعندما خرج محمد بن سليمان الى المهدى يشكو قاضى البصرة خالد بن طليق الحارثى ، ويسأله أن يعزله عن القضاء - كما بعث اليه بوفد أيضا - جمع المهدى بينهما وتم حوار بين الطرفين ، انتهى بعزل خالد عن القضاء[٥] . فلم يقبل المهدى تظلم أهل البصرة حتى تحقق من صدق شكواهم .

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠ ، وكيع : أخبار القضاه ٢٣٦/٣ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧١ .
وتقول الرواية أن اسماعيل بن اليسع الكوفى الأصل كان محمودا عند أهل البلد - فى مصر - الا أنه كان يذهب الى قول أبى حنيفة الذى كان سائدا فى العراق ، ولم يكن أهل البلد - مصر - يومئذ يعرفونه .

(٢) انظر الأصفهانى : الأغانى ١٨٨/٣ ، حيث يذكر أن المهدى لم يكن يأخذ الأخبار على علاتها وانما يعلم الكريم من الخائن . انظر أيضا عن بحثه الأمور وتدقيقه فى المظالم ، الطبرى : تاريخ ١٧٧/٨ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٥٦ . ولم يكن يستعجل فى العزل ، انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٦ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣٦/٤-٣٧ .

(٤) الجهشيارى : الوزراء ص/١٤٩ .

(٥) وكيع : أخبار القضاه ١٢٣/٢، ١٢٥، ١٢٨-١٣١ .

وقد كان المهدى اذا عرضت عليه مظلمة تحتاج الى بحث ونظر يرسل أهل الخبرة والمعرفة فى موضوع الشكوى حتى يستطيع أن يصل الى الحق بطريقة سليمة . فعندما تظلم اليه أحد أهالى البصرة – يدعى عبد المجيد مولى قشير – من قاضى البصرة عبيد الله بن حسن العنبرى ، فى قضية قضى بها عليه – وكان جلدا غَضْبَ اللسان – كتب المهدى الى عامل البصرة "أن يجمع له الفقهاء فينظر فى قضيته ، فان كانت صوابا أمضاها فنظروا فراوها صوابا فأمضاها" (١) .

وفى عهد الهادى (٢) استمر الاهتمام بالنظر فى المظالم حيث كان الهادى يداوم النظر فى المظالم ونادرا مايتأخر عنها ، فيروى الطبرى : أن على بن صالح (٣) "كان يوما على رأس الهادى – وهو غلام – وقد كان جفا المظالم عامة ثلاثة أيام ، فدخل عليه الحرانى (٤) – وزيره – فقال له : ياأمير المؤمنين ان العامة لاتنقاد على ماأنت عليه ، لم تنظر فى المظالم منذ ثلاثة أيام" ، فالتفت الى على بن صالح وقال : ياعلى ائذن للناس ، فأمر بالستور فرفعت وبالأبواب ففتحت ، فدخل الناس على بكرة أبيهم ، فلم يزل ينظر فى المظالم الى الليل (٥) .

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٩٦/٢ ، غير أنه اذا رأى الأمر واضحا ، يكتب الى عامله فورا بالرجوع عن ظلمه فقد كتب الى عبيد الله بن حسن العنبرى عندما جاء من يتظلم منه "اعدل عن قضائك والا قطعت رأسك" . وكيع : أخبار القضاه ٩٤/٢-٩٥ .

(٢) انظر الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٥ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٥٦٥ .

(٣) كان على حجابة الهادى . انظر الطبرى ٢١٥/٨ .

(٤) هو ابراهيم بن ذكوان الحرانى ، وزر للهادى . انظر مبحث اختيار العمال – الفصل الأول من البحث – موضوع اختيار الوزراء .

(٥) تاريخ ٢١٥/٨ ، البيهقى : المحاسن ص/١٩١ ، ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/٢٢ – وقال يوما – الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٩٠ .

ويتضح من رواية أخرى للطبرى أن هناك دارا خاصة للمظالم ، يجلس فيها الهادى للنظر فى أمور المتظلمين ، حيث يقول : "ركب الهادى يوما يريد عيادة أمه الخيزران من علة كانت وجدتها ، فاعترضه عمر بن بزيع (١) – وزيره – فقال له يا أمير المؤمنين ألا أدلك على وجه هو أعود عليك من هذا ؟ فقال : وماهو ياعمر ؟ قال : المظالم لم تنظر فيها منذ ثلاث قال : فأومأ الى المطرقه (٢) أن يميلوا الى دار المظالم ، ثم بعث الى الخيزران بخادم من خدمه يعتذر اليها من تخلفه وقال : قل لها ان عمر بن بزيع أخبرنا من حق الله بما هو أوجب علينا من حقك ، فملنا اليه ونحن عائدون اليك فى غد ان شاء الله (٣) " .

لقد كان الهادى يدرك أهمية النظر فى المظالم ، ومافى ذلك من مصلحة للرعية ، وكشف لأحوال الولاه والعمال ، فأمر حاجبه الفضل بن الربيع بأن لايحجب عنه أحدا من الناس (٤) . غير أن المصادر لم تحفظ لنا أمثلة عن دور التظلم والاستعداء فى تحريك الرقابة الادارية إبان عهده (٥) نظرا لقصر فترة خلافته .

---

(١) مولى أمير المؤمنين المهدى ، كان على وزارة الهادى . انظر مبحث اختيار العمال – الفصل الأول من البحث – موضوع اختيار الوزراء .

(٢) المطرقه : من اطراق الرجل أى مشى راجلا . المنجد ص/٤٦٥ . أى أنه أشار الى من يمشى فى موكبه بأن يتجهوا الى دار المظالم .

(٣) تاريخ ٢١٥/٨-٢١٦ ، أيضا ابن حمدون : التذكرة ٤٢٧/١ .

(٤) الطبرى : تاريخ ٢١٧/٨ . يقول الأزدى : "على بن صالح قال : جلس الهادى يوما للعامة وعند قواده ووزراؤه والخلق من الناس . تاريخ الموصل ص/٢٦٠ .

(٥) ذكر الجهشيارى أن الهادى حقد على عمارة بن حمزة فدس اليه رجلا يدعى عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة وكانت قيمتها الف الف درهم ، فبينا الهادى ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارة بحضرته ، وثب الرجل فتظلم منه . فقال الهادى لعمارة : ماتقول فيما ادعاه الرجل ؟ فقال : ان كانت الضيعة لى فهى له ، وان كانت له فهى له ، ووثب فانصرف عن المجلس . =

ولما تولى الرشيد الخلافة لم يول المظالم جل اهتمامه مع ما أشير الى جلوسه لها (١) ، بحضور وزيره يحيى بن خالد (٢) ، ذلك أن الرشيد لم يكن مواظبا كسابقيه من خلفاء بني العباس في الجلوس للمظالم ، ويمكن أن نستخلص ذلك من نصيحة القاضي أبي يوسف التي وجهها له ، والتي جاء فيها قوله : "فلو تقربت الى الله تعالى يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم .." (٣) .

ومن أمثلة دور التظلم والاستعداء في تحريك الرقابة الادارية زمن الرشيد ، أن أهل اليمن فجوا من واليهم العباس ابن سعيد (٤) ، وذكروا عنه مذاهب قبيحة ، فصرفه الرشيد عنهم . كما عزل والي الأهواز فرجا الرخجي نظرا لتظلم رعيته منه ، وما ادعى عليه من انه اقتطع مالا كثيرا من مال البلد (٥) . وعزل

= الوزراء ص/١٤٧-١٤٨ ، أيضا انظر الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٩٠ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٥٥-٥٦ وتدلنا الرواية على أن عمارة لم يكن من عمال الدولة والا فان الهادي الذي يحقد على عمارة ـ كما تزعم الرواية ـ لايبقيه على الأعمال التي كان يتولاها زمن المنصور والمهدي . وقد سبق ايراد موقف لعمارة بن حمزة زمن المنصور وهو اذ ذاك يلي بعض الأعمال في الدولة ومحاكمة المنصور له ، مما جعلني ارجح أن تكون حادثة عمارة كانت زمن المنصور .
وهناك رواية ذكرها ابن الكازروني والاربلي لايمكن تصديقها ذلك أن الهادي سمع رجلا يصيح وهو يقول : قل للخليفة أن حاتم ظالم فخف الاله وعافنا من حاتم فأمر بطلب الرجل ليعرف من هو حاتم فلم يعرف فأمر بصرف كل عامل اسمه حاتم . انظر : مختصر التاريخ ص/١٢١ خلاصة الذهب ص/١٠٤ .

(١) القيرواني : زهر الآداب ٩١١/٤ ، الماوردي : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، أبو يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٥ ، الشيزري : المنهج المسلوك ص/٥٦٦ .
(٢) الأصفهاني : الأغاني ٩٩/٥ .
(٣) الخراج ص/٢٣٥ .
(٤) اليعقوبي : تاريخ ٤١٢/٢ .
(٥) الجهشياري : الوزراء ص/٢٧١ . وذلك سنة ١٩٢هـ .

الرشيد أيضا والى مصر موسى بن عيسى الهاشمى لكثرة التظلم منه .(١)

وقد كان للتظلم أكبر الأثر فى تنبيه الرشيد الى خطر والى خراسان على بن عيسى والقضاء عليه ، يقول الطبرى : "لما عاث على بن عيسى بخراسان ووتر أشرافها ، وأخذ أموالهم ، واستخف برجالهم ، كتب رجال من كبرائها ووجوهها الى الرشيد ، وكتب جماعة من كورها الى قراباتها وأصحابها تشكو سوء سيرته وخبث طعمته ورداءة مذهبه ، وتسأل أمير المؤمنين أن يبدلها من أحب من كفاته وأنصاره وأبناء دولته وقواده .."(٢) .

وكان الناس يخرجون الى الرشيد لرفع شكواهم فى عمالهم(٣) وربما لايتسنى لهم الدخول عليه فى بغداد فيغتنمون خروجه الى الحج لعرض مظالمهم عليه . ومن ذلك تظلم مشيخة واسط من قاضيهم سلمة بن صالح الجعفى ، حيث خرجوا الى الرشيد ببغداد فأقاموا ببابه الى أن خرج الى مكة فخرجوا بأجمعهم معه ، فلما صاروا الى مكة اعترضوا الرشيد وهو يطوف بالبيت فكلموه فى أمر سلمة فقالوا : "يا أمير المؤمنين لسنا نطعن على سلمه ولكن رجل مكان رجل ، فرق لهم الرشيد وقال أما هذا فنعم ، فأمر بعزله وتقليد رجل سواه"(٤) .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/٢١٧ . قال : "كثر التظلم منه واتصال السعايات به" .

(٢) تاريخ ٣١٥/٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٨٧/٨ ، العيون والحدائق ٣١٣/٣ .

(٣) انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦١ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٠٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٠ الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٩٠ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٥/٢ .

(٤) الخطيب : تاريخ ١٣٠/٩-١٣١ . ذلك "انه تقدم هشيم بن بشير مع خصم له الى سلمة بن صالح وهو على قضاء واسط فى زمن الرشيد فكلم الخصم هشيما بكلمة فرفع هشيم يده فلطم الخصم بين يدى سلمة بن صالح ، فأمر سلمة بهشيم فضربه عشر درر ، وقال تتعدى على خصمك بحضرتى ، فأغضب ذلك مشيخة واسط فخرجوا الى بغداد الى الرشيد .." .

وعندما أراد أهل نجران أن يتظلموا من تعنت العمال اياهم ، تقدموا الى الرشيد بشكواهم عندما "شخص الى الكوفة يريد الحج" ورفعوا اليه في أمرهم ، فأمر أن يعفوا من معاملة العمال ، وأن يكون مؤداهم بيت المال بالحضرة - بغداد - .(١)

وقد كان الرشيد ايضا يطالع رقاع المتظلمين التي تعرض عليه ، ويوقع عليها بأوامره .(٢)

ومتى عرضت على الرشيد مظلمة تأكد من صحتها ، وبحث عن حقيقة الأمور ، فعندما رفع اليه في قاضي بغداد عافية بن يزيد ، أمر باحضاره الى مجلسه ، وكان في المجلس جمع كثير من الناس ، فأخذ الرشيد يوقفه على مارفع اليه من سيرته ، وطال جلوسه عند الرشيد حتى تبين للرشيد انه أكبر من أن يتهم بما رمي به فأعاده الى عمله ، "وصرفه منصرفا جميلا وزجر القوم الذين كانوا يرفعون عليه" .(٣)

وعندما شكا الناس معاذ بن معاذ العنبري قاضي البصرة(٤) وكان من الساعين عليه أناس من المعتزلة لأنه قد رد شهادتهم ، كتب الرشيد يأمر بأشخاصه وأشخاص نفر معه . فوفد عليه محمد بن حرب الهلالي ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وعمر بن حبيب ، وعبد الله بن سوار ، وبعد أن تعرف الرشيد

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ٨١/١ ، انظر حادثة أخرى . القيرواني : زهر الآداب ١٠٦٠/٤ ، انظر أيضا تظلم أهل اليمن الى الرشيد عندما كان بمكة . اليعقوبي : تاريخ ٤١٣/٢ .

(٢) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٤/٤، ٢١٩ ، الأزدي أخبار الدول ص/١٣٢ ، ومن أمثلة رفع الرقاع اليه انظر الطبري : تاريخ ٢٨٨/٨ ، الاتليدي : اعلام الناس ص/١٣١.

(٣) الخطيب : تاريخ ٣٠٩/١٢ . انظر أيضا اعادته لفرج الرخجي الى الأهواز بعد أن أوضح له براءته مما نسب اليه . الجهشياري : الوزراء ص/٢٧١-٢٧٢ .

(٤) وذلك في ولايته الثانية للقضاء سنة ١٨١هـ .

عليهم "قال : انى وليت معاذا على الاختيار له ، ثم بلغنى عنه أمور أحببت لها أن أسأل عنه فأخبرونى ، فأومأ الى الأنصارى فقال : خير له وللمسلمين الا يلى عليهم ، وقال ابن حرب : قد كان على ماذكر أمير المؤمنين ثم طرأت له بطانة أفسدته ، وقال عمر بن حبيب : ياأمير المؤمنين القاضى بين حامد له وذام ، فأقبل على ابن سوار فقال : ماتقول أنت فى ابن عمك ؟ فقال : على ماذكر أمير المؤمنين حتى ظهرت له أشياء من أصحابه ، وفساد فى بصره مع سنه . فقال : ان فساد البصيرة قد يكون فى الرجل الشاب ، فقال : أجل ياأمير المؤمنين فيحتمل ذلك فى غير القضاء ، فأما القضاء فلا ، فقال : صدقت .." . ثم عزله بعد ذلك .(١)

والملاحظ أن الرشيد كان يرفض بعض الشكايات لأسباب خاصة(٢) كما انه لايدع للوشاة طريقا للايقاع بأعدائهم .(٣)

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ١٤٩/٢-١٥٢،١٥٤ . "عزله فى رجب سنة احدى وتسعين ومائة" . انظر أيضا حادثة أخرى . نفس المصدر ١٤٣/٢ .

(٢) انظر اليعقوبى : تاريخ ٤١٣/٢ . حيث انه لم يقبل تظلم أهل اليمن من واليه عليهم حماد البربرى لأنه ولى عليهم أكثر من والى ولم تستقر الأوضاع بها حتى تولاها حماد . انظر أيضا عدم عزله لقاضى مصر عبد الرحمن بن عبد الله العمرى رغم تظلم أهل مصر منه ، لأنه بحث فى الديوان فلم يجد قاضيا غيره من آل عمر بن الخطاب . انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦١ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٠-٤١١ ، العسقلانى : رفع الاصر ٣٢٥/٢ .

(٣) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٦٤ ، "بينما الرشيد يوما يسير فى موكبه وعبد الملك يسايره اذ هتف هاتف فقال : ياأمير المؤمنين طاطىء من اسرافه ، واشدد من شكائمه والا أفسد ناحية ، فالتفت هارون الى عبد الملك فقال : ماتقول فى هذا ياعبد الملك ، قال : ياأمير المؤمنين باغ ودسيس وحاسد ، قال له هارون : صدقت نقص القوم وفضلتهم ، وتخلفوا وتقدمتهم حتى برز شأوك وقصر عنك نظراؤك وفى صدورهم جمرات التخلف وحرارات النقص ، فقال عبد الملك لاأطفأها الله وأضرمها عليهم حتى تورثهم كمدا دائما أبدا" .

وفي عهد الرشيد تذكر المصادر جلوس وزرائه من البرامكة للمظالم والنظر فيها (١) ، الا أن ذلك لم يكن منهم فى كل وقت كما أشير الى قيام الولاه بالنظر فى المظالم (٢) ومن ذلك أن هرثمة بن أعين عندما ولى خراسان بدلا من على بن عيسى الذى ظلم الناس خلال ولايته ، أقامه هرثمة للمظالم وكذلك ولده وكتابه وعماله ، يقول الطبرى : "ان هرثمة لما فرغ من مطالبة على بن عيسى وولده وكتابه وعماله بأموال أمير المؤمنين ، أقامهم لمظالم الناس ، فكان اذا برز للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق ، قال : اخرج للرجل من حقه والا بسطت عليك .." (٣) . ويتضح من رواية للجهشيارى أن والى مصر موسى بن عيسى الهاشمى كان يجلس للمظالم كل يوم (٤) .

---

(١) تذكر المصادر جلوس يحيى بن خالد للناس جلوسا عاما فى كل يوم الى انتصاف النهار ينظر فى أمورهم وحوائجهم ولايحجب عنه احدا ، وكذلك كان ولديه جعفر والفضل ، وقد كان أصحاب الحوائج يكثرون الجلوس على دكان على باب يحيى ، وكان أهل البلدان يرفعون شكواهم فى الولاه والعمال الى يحيى فينظر فيها ويصدر فى ذلك أمره ، فهو الذى ينظر فى أمور المتظلمين ، حيث فوض اليه الرشيد النظر فيها فأصبح مقصد المتظلمين وأهل الحوائج ، ومتى رفعت اليه رقاع المتظلمين وقع فيها بأمره ، وله فى ذلك تواقيع مشهورة ، كام كان جعفر بن يحيى مقصد أهل الحوائج ، وينظر فى أمور المتظلمين ، ويوقع فى قصص المتظلمين ، وكان المتظلمون يكثرون الجلوس على بابه .
انظر : الطبرى : تاريخ ٢٨٨/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٧٧،١٧٨،٢٠٤،٢١٠،٢١١،٢١٦-٢١٧،٢٢٦،٢٣٠ ، الأصفهانى : الأغانى ٢٣٨/١٨ ، التنوخى : نشوار ١٩٤/٨ ، الخطيب : تاريخ ١٥٤/٧،١٥٢ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٩٠-٩١ ، البيهقى : المحاسن ص/٥٠١ ، ابن خلكان : وفيات ٣٢٩/١ ، ٣٧/٤-٣٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٠٨، ٢٠٩ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٤٩ ، ابن دحية : النبراس ص/٣٦ ، ابن الأحدب : ذيل المستطرف ٢٥٨/٢ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص/١٨٧ ، الأصفهانى : الأغانى ١٩٥/٥ ، حيث كان يحيى بن خالد يجلس اذا أراد الرشيد البقاء مع أهل بيته ، أو فى حالة عدم رغبته فى مقابلة بعض الأشخاص . انظر أيضا مبحث الاشراف والتوجيه من البحث .

(٣) تاريخ ٣٣١/٨-٣٣٢ ، العيون والحدائق ٣١٥/٣ ، وقد كان القضاه يقومون بالنظر فى المظالم . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٨٨ .

(٤) الوزراء ص/٢١٨ .

وتشير روايات المصادر الى وجود ولاه للمظالم فى عهد الرشيد ، فقد كان اسماعيل بن ابراهيم الأسدى ـ ابن علية ـ على مظالم بغداد (١) ، كما ذكر من ولاه المظالم (٢) الحسن بن محمد وموسى بن عبد الملك (٣) .

وعندما تولى الأمين الخلافة انشغل عن مباشرة شئون الخلافة (٤) ، ويبدو أنه لم يكن يحرص على الجلوس للمظالم (٥) ، الا أنه ولى من ينظر فى أمرها ، حيث ذكر أنه عزل محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى عن قضاء بغداد وولاه المظالم (٦) ، كما أشير الى أن أحمد بن سلام كان صاحب المظالم فى عهده (٧) .

ولما تولى المأمون الخلافة اهتم بالنظر فى المظالم والجلوس لها (٨) ، حيث خصص لذلك يوما محددا من كل أسبوع ، ثم زاد يوما آخر ، فأصبح مجلس المظالم يعقد برئاسة المأمون يومى السبت والأحد من كل أسبوع (٩) . وقد كان ذلك بعد عودة

---

(١) الخطيب : تاريخ ٦/٢٣٠ .
(٢) الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢١٣ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٢٦٣ .
(٤) انظر مبحث الاشراف والتوجيه من البحث .
(٥) فلم تحفظ لنا المصادر شيئا من تدبيره فى المظالم . سوى ماكان من رده أهل الحرس الى نسبهم بعد أن أدخلوا فى العرب . انظر الكندى : الولاه والقضاه ص/٤١٣ .
(٦) وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٦٨ ، الخطيب : تاريخ ٥/٤٠٩ .
(٧) الطبرى : تاريخ ٨/٤٨٤،٤٨٦،٤٨٧ ، العيون والحدائق ٣/٤١٢،٤١٣،٣٣٨-٣٤٠ .
(٨) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٧٨ ، الفراء : الأحكام السلطانية ص/٧٥ ، الشيزرى : المنهج المسلوك ص/٥٦٦ .
(٩) ابن طيفور : بغداد ص/٣٦ ، وذكر جلوسه يومين ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/٢٨-٢٩ ، وقال يوم السبت ويوم الأحد ، ابن أعثم : الفتوح ٨/٣٤٢-٣٤٣ الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٤-٨٥ ، نصيحة الملوك ص/٢١٢ ، قال : كان يجلس الأحد فزاد السبت ، السيوطى : تاريخ ص/٣٠٠ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤٧ ، التلمسانى تخريج الدلالات السمعية ص/٢٧٦ ، البرى المكى : التحفة السنية ، مخطوط ، لوحة ١٨أ-ب .

المأمون الى بغداد ومباشرته ادارة شئون دولته (١) . وتذكر المصادر أن المأمون كان يبكر فى حضوره لمجلس المظالم (٢) ، ولاينصرف حتى صلاة الظهر (٣) .

وقد كان يحضر مجلس المظالم الوزير ، الذى يقوم بعرض الرقاع وقراءتها على الخليفة (٤) ، كما يحضر المجلس أيضا بعض القضاه (٥) ، والعلماء (٦) ، وهناك رجل مهمته ايصال المتظلمين الى مجلس المظالم يعرف بصاحب الحوائج (٧) ، حيث كان ينادى على صاحب المظلمة ليحضر المجلس متى اقتضى الأمر ذلك (٨) .

وقد كان المأمون يفرد للنظر فى بعض المظالم يوما خاصا سوى يومى السبت والأحد ، وذلك لاحتياجها الى وقت طويل للبت فى أمرها (٩) . كما كان بعض المتظلمين يعترض موكب المأمون ليرفع مظلمته اليه ، حيث كان المأمون يستمع الى

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٣٦ ، حيث قال بعد عودة المأمون من خراسان ".. قعد للمظالم فى كل جمعة مرتين لايمنع منه أحد" . أيضا السيوطى : تاريخ ص/٣٠٠ قال : "لما قدم المأمون بغداد جلس للمظالم فى كل يوم أحد الى الظهر" . وذلك سنة ٢٠٤هـ .

(٢) البيهقى : المحاسن ص/٤٢٥ .

(٣) الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨٥ ، نصيحة الملوك ص/٢١٢ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٠٠ .

(٤) كان يحضر مجلس المظالم عمرو بن مسعده ، وفى أحداث أخرى أحمد بن أبى خالد ، انظر : الشابشتى : الديارات ص/٣٧ ، القيروانى : زهر الآداب ٧٢٧/٣ ، البيهقى : المحاسن ص/٤٢٥ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٩٠ .

(٥) كان يحيى بن أكثم يحضر مجلس المظالم ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٨/١-٢٩ ، ابن الأحدب : ذيل المستطرف ٢٣٢/٢ .

(٦) الاربلى : خلاصة الذهب ص/١٨٩ .

(٧) ابن طيفور : بغداد ص/٥٩ ، وقال انه يدعى سلما صاحب الحوائج .

(٨) البيهقى : المحاسن ص/٤٢٥ .

(٩) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣ ، جعل يوم الأربعاء للنظر فى مظلمة جماعة من أهل كورة الأهواز عندما شكوا عاملا كان عليهم ، انظر أيضا ص/٦٠ . حيث ذكر أن المأمون كان جالسا يوم الخميس وقد حضر الناس فدخل عليه اسماعيل ابن جعفر يتظلم اليه فى ضيعة .

شكواه ويصدر فيها أوامره .[1]

واذا عرضت رقاع المتظلمين على المأمون وقع عليها بخط يده بما يراه موابا ،[2] وكانت توقيعاته تشتمل على توجيهات خاصة للمتظلم منه ، فقد وقع فى قصة متظلم من عمرو بن مسعده — وزيره — "ياعمرو أعمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها" ،[3] وفى قصة متظلم من أبى عباد ثابت بن يحيى — وزيره — "ياثابت ليس بين الحق والباطل قرابة" .[4] وغير ذلك من التوقيعات التى احتفظت بها روايت المصادر .[5]

وقد كان للتظلم والاستعداء دور فى تحريك الرقابة الادارية ، حيث قام المأمون بعزل عامل كوره الأهواز عندما تظلم منه جماعة من أهلها .[6] كما قام بعزل والى جرجان[7] عندما تظلم منه قاضى جرجان ،[8] وذكر أذاه ،[9] فقال المأمون للقاضى : "قد عزلناه عنك وعن أهل بلدك فلايد له عليكم .. وكتب له بعزل ذلك الوالى .. فقدم — القاضى — جرجان وعزله واقامة للمظالم .." .[10] وعندما كثر التظلم من والى صدقات البصرة

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٥٩،٦٠ ، البيهقى : المحاسن ص/٤٩٥ ، أيضا هناك اشارة الى طريق آخر من طرق التظلم وهو ماقام به الجند حيث طرحوا رقاعا فى المسجد يتظلمون فيها من تأخر أرزاقهم . ابن طيفور : نفس المصدر ص/١٠ .

(٢) الشابشتى : الديارات ص/٣٧ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٥/٤ ، الطرطوشى : سراج الملوك ص/٩٠ ، وأضاف ".. وفى اشاعة العدل قوة القلب وطيب النفس ولزوم اليقين وأمان من العدو" .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٥/٤ .

(٥) انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٥/١،٢١٦ ، ابن حمدون : التذكرة ٤٣٩/١ ، البيهقى : المحاسن ص/٤٩٥، ٥٠١ .

(٦) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣ ، كما عزل طوق بن مالك الرحبى — أحد عماله — لظلمه الرعايا . وذلك سنة ٢١٦هـ ، انظر الأزدى : الموصل ص/٤٠٦-٤٠٧ .

(٧) يدعى زويد؟ ، ولم يترجم له السهمى

(٨) هو أحمد بن أبى طيبة بن سليمان الدارمى الجرجانى .

(٩) قام الوالى بتعديات على بعض الرعية وعلى القاضى المذكور . انظر السهمى : تاريخ جرجان ص/٢٩٠-٢٩١ .

(١٠) السهمى : تاريخ جرجان ص/٢٩١ .

أحمد بن يوسف الكاتب ـ لجوره وظلمه ـ ووافى باب المأمون زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين يشكونه ، عزله المأمون ، وجلس لهم مجلسا خاصا ، وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم (١) .

وقد كان المأمون يتثبت من المظالم التى ترفع اليه ، لاسيما فيمن يعلم حسن سيرته ، كما كان يجمع بين العامل المتظلم منه وصاحب المظلمة ويعقد لهم مجلسا تتم فيه مناظرة من خلالها يستطيع التعرف على حقيقة الأمر .

يقول المأمون : "ان أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملا كنت أحمد مذهبه ، وأرتضى سيرته ، فوجهت اليهم انى أعلم سيرة الرجل وأنا عازم على القعود لكم فى غداة غد فاختاروا رجلا يتولى المناظرة عنكم .." . فلما اتضح له حقيقة أمر العامل عزله عنهم (٢) .

وعندما تظلم محمد بن الحسن بن صالح الموصلى الهمدانى من والى الموصل السيد بن أنس اليحمرى الأزدى ، وذكر للمأمون أنه قتل اخوته ، واجهه المأمون به ليعرف حقيقة مانسب اليه ، يقول الأزدى : "اجتمع محمد بن الحسن مع السيد بحضرة المأمون ، فقال : ياأمير المؤمنين هذا قتل اخوتى ، قال : فما تقول فيما ذكر ؟ قال : صدق ياأمير المؤمنين ولو كان معهم لقتلته ، هؤلاء شقوا العصا وأدخلوا الخارجى بلدك وأعلوه منبرك ، وأبطلوا الدعوة لك" (٣) . فلم يقبل المأمون تظلمه .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٤٥/٢ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ٤٣١/٣-٤٣٢ ، وعن المحاورة انظر أيضا السيوطى : تاريخ ص/٣٠٤ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٢/١ ، انظر أيضا تثبته قبل العزل ، المسعودى : مروج الذهب ٤٣٤/٣ .
(٣) تاريخ الموصل ص/٣٥٤ ، تولى السيد بن أنس الموصل سنة ٢٠٣هـ ، وكانت الشكوى منه سنة ٢٠٤هـ ، حيث أقدمه المأمون الى بغداد .

وكان على مظالم فارس الحسن بن عبد الله بن الحسن العنبرى ، فتظلم اليه الناس من والى خراج فارس محمد بن الجهم ، فنظر فى أمره وكتب الى المأمون فيما صح عنده ، فأمر المأمون باشخاص القاضى ليشافهه ، وأشخص محمد بن الجهم ، فلما دخل القاضى قال له المأمون : ماتقول فى محمد ابن الجهم ؟ قال : ياأمير المؤمنين ظلم الناس وأخذ أموالهم قال : يعزل وينصف الناس منه "[1].

وعلى الرغم من علو منزلة يحيى بن أكثم لدى المأمون فانه لم يكن يأخذ قوله فى أحد حتى يتثبت من حقيقة الأمر ، فيذكر الخطيب أن يحيى بن أكثم قاضى القضاه ، شكا الى المأمون ، القاضى بشر بن الوليد[2] "وقال : انه لاينفذ قضائى - وكان يحيى قد غلب على المأمون حتى كان عنده أكبر من ولده - فأقعده المأمون معه على سريره ودعا بشر بن الوليد فقال له ماليحيى يشكوك ويقول انك لاتنفذ أحكامه ، قال : ياأمير المؤمنين سألت عنه بخراسان فلم يحمد فى بلده ولافى جواره .."[3].

وكان المأمون شديد الثقة بصاحب شرطة بغداد اسحاق بن ابراهيم المصعبى ، فعرض عليه وزيره أحمد بن أبى خالد رقاعا فيها رقعة قوم متظلمين من اسحاق ، فأدرك انها وشاية فلم يقبل قولهم[4]. ومع ذلك كتب اليه على ظهر الرقعة ينصحه

---

(١) وكيع : أخبار القضاه ٢/١٧٣-١٧٤ .
(٢) قال : كان قاضى عسكر المهدى من جانب بغداد الشرقى وولى قضاء مدينة المنصور - وهى بغداد - الى أن صرف سنة ٢١٣هـ .
(٣) تاريخ بغداد ٨١/٧ ، وعلى الرغم من غضب المأمون من جوابه فانه لم يعزله رغم طلب يحيى ذلك منه .
(٤) حيث قال : "مافى هؤلاء الأوباش الا كل طاعن واش ، اسحاق غرسى بيدى ، ومن غرسته أنجب ولم يخلف ، لاأعدى عليه أحدا" .

ويوجهه ، "من مؤدب مشفق الى حصيف متأدب ، يابنى من عز تواضع ، ومن قدر عفا ، ومن راعى أنصف ، ومن راقب حذر ، وعاقبة الداله غير محمودة ، والمؤمن كيس فطن . والسلام" (١) .

وقد كان المأمون يفوض بعض وزرائه (٢) وقضاته (٣) النظر فى المظالم ، كما أشير الى وجود ولاة للمظالم فى ولاية الدولة المختلفة (٤) .

ولما تولى المعتصم الخلافة سار على نهج من سبقه فى الاهتمام بالمظالم فذكر أنه كان يجلس للعامة فى يوم يعرف بيوم الموكب . حيث كان ينظر فى مظالمهم بنفسه (٥) ، هذا مع اعطائه قاضى قضاته أحمد بن أبى دؤاد حق النظر فى المظالم (٦) كما أشير الى وجود ولاة للمظالم فى بعض أقاليم الدولة خلال عهده (٧) .

ومع أن التظلم كان أحد أسباب عزل الوزير الفضل بن مروان (٨) ، فان المعتصم لم يدع للوشاه طريقا لتحقيق أهدافهم

---

(١) الشابشتى : الديارات ص/٣٧ .
(٢) ابن طيفور : بغداد ص/١٢٣،٦٠ . حيث ذكر تفويض المأمون أحمد بن أبى خالد وزيره للنظر فى المظالم ، وذكر كذلك جلوس عمرو بن مسعده . واعلامه بما يكون من أمر المظلمة . وانظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٢٠/٤ حيث أشار الى أن الحسن بن سهل كان يوقع فى رقاع بعض المتظلمين .
(٣) انظر ابن خلدون : المقدمة ٢٢٢/١ ، حيث نظر فى المظالم القاضى يحيى بن أكثم قاضى القضاه .
(٤) انظر : ابن طيفور : بغداد ص/٨١ ، وكيع : أخبار القضاه ١٧٣/٢ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٤١،٢٣٣ ، أيضا ملحق استيفاء أخبار القضاه الذين ولوا بمصر ص/٥٠٢ ، السخاوى : الاعلان بالتوبيخ ص/٦٦ ، انظر الأصفهانى : أخبار أصفهان ٨٢/١-٨٣ ، حيث أشار الى أن ابن ابى دؤاد لما ولى قضاء القضاه لم يول على البلدان بضع عشرة سنة الا أصحاب المظالم .
(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٨/٢ .
(٦) ابن خلكان : وفيات ٨٦/١ ، ابن خلدون : المقدمة ٢٢٢/١
(٧) وكيع : أخبار القضاه ٢٩٠/٣ ، الخطيب : تاريخ ٧٣/١٠ .
(٨) الطبرى : تاريخ ٢٠/٩ .

لكى ينالوا من خصومهم بالسعاية لديه (١).

ولما تولى الواثق الخلافة يبدو أنه لم يباشر الجلوس للمظالم بنفسه، وانما اعتمد فى ذلك على وزيره محمد بن (٢) عبد الملك الزيات، حيث كان هذا الوزير مقصد المتظلمين (٣).

ويذكر الطبرى أن المتظلمين اذا وفدوا على الواثق تصدى ابن الزيات للنظر فى شكواهم، وتتضمن رواية الطبرى الاشارة الى وجود دار للعامة كان الناس يجتمعون فيها يومى الاثنين والخميس، وأرى أن هذه الدار كانت خاصة بالمظالم، حيث يقول: ان خاقان الخادم (٤) قدم على الواثق وقدم معه نفر من وجوه أهل طرسوس (٥) وغيرها يشكون صاحب مظالم كان عليهم يكنى أبا وهب، فأحضر، فلم يزل محمد بن عبد الملك يجمع بينه وبينهم فى دار العامة عند انصراف الناس يوم الاثنين والخميس، فيمكثون الى وقت الظهر وينصرف محمد بن عبد الملك وينصرفون. فعزل عنهم" (٦). كما أعطى الواثق أيضا قاضى قضاته أحمد بن أبى دؤاد (٧) حق النظر فى بعض المظالم. وكان

---

(١) ابن خلكان : وفيات ٤٤٨/١ . انظر هناك مجلس خاص للمظالم يعقد برئاسة الخليفة المعتصم وحضور الوزير وقاضى القضاه وصاحب الحرس. ولم يحضره أحد آخر من أصحاب المراتب، وصرف الناس جميعا ولم يبق الا ولد المنصور. وكان ذلك عند محاكمة الافشين. انظر الطبرى تاريخ ١٠٧/٩ .

(٢) لم تذكر المصادر المتقدمة شيئا عن مباشرة الواثق النظر فى المظالم، وانما ذكر جلوسه للمظالم بحضور أحمد بن أبى دؤاد. ابن الكازرونى : مختصر التاريخ ص/١٤٣ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٢٢٤ .

(٣) انظر عن ذلك الأصفهانى : الأغانى ٦٦،٥٢/٢٣ ، الأبشيهى : المستطرف ١٠٥/١ .

(٤) هو خاقان الخادم : كان يخدم الرشيد وكان نشأ بالثغر الطبرى : تاريخ ١٤١/٩ .

(٥) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. ياقوت : معجم البلدان ٢٨/٤ .

(٦) تاريخ ١٤١/٩ .

(٧) الخطيب : تاريخ ١٤٦/٤ .

هناك من يتولى المظالم فى بعض الأقاليم (١) .

ولما تولى المتوكل الخلافة اهتم بأمر المظالم وجلس بنفسه لسماع شكوى المتظلمين ، الذين كانوا يخرجون من بلدانهم قاصدين بابه للرفع على عمالهم (٢) ، ومتى عرضت عليه بعض المظالم التى تحتاج الى بحث ودراسة أحالها الى أهل الاختصاص فى موضوع الشكوى ، ولايستعجل فى اصدار حكمه قبل معرفة حقيقة الأمور ، فقد خرج أحد أهالى مصر ويدعى اسحاق ابن ابراهيم بن السائح الى المتوكل يرفع على الحارث بن مسكين - قاضى مصر (٣) - ويتظلم منه فى حكم قضى به عليه ، وكان قد أحضر قضيته الى العراق ، فأمر المتوكل باحضار الفقهاء لينظروا فى حكم القاضى ، فلما نظروا فى القضية خطؤوه فيها (٤) وصدر أمر المتوكل بأن يرد الى يد ابن السائح ماكان الحارث أخرجه عنه ، فعمل به (٥) .

ومن أمثلة دور التظلم والاستعداء فى تحريك الرقابة الادارية أيضا ، أمر المتوكل جميع عماله وولاته بعدم الاستعانة فى أعمال الدولة بأحد من أهل الذمة ، وكان ذلك بعد أن تظلم اليه أحد الرعية فى موسم الحج ، وأوضح له

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٤١/٩ . ذكر متولى مظالم طرسوس ، أيضا الأصفهانى : الأغانى ١٣٢/١٤ ، ذكر أن ابن أبى دؤاد ولى عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عائشة مظالم ماسبذان .

(٢) التنوخى : نشوار ١٨/٢-٢٠ .

(٣) تولى قضاء مصر سنة ٢٣٧هـ .

(٤) ذلك أن الفقهاء الذين نظروا فى قضيته من الكوفيين ، وانما حكم الحارث بن مسكين على مذهب المدنيين . والقضية تخص شيئا من الميراث .

(٥) الكندى : الولاه والقضاه ص/٤٧٤-٤٧٥ ، وكان الحارث بن مسكين لما بلغه ماجرى فى بغداد فى أمر مظلمة ابن السائح طلب اعفاءه من القضاء فأعفى ، وورد كتاب المتوكل الى القاضى التالى بكار بن قتيبة يأمره بالنظر فى ظلامة ابن السائح وأن يرد الى يده ماكان الحارث أخرجه منه ففعل ذلك .

مايعامل به أهل الذمة رعايا المسلمين من الظلم ، فى الأعمال التى تكون على أيديهم (١) ، كما عزل المتوكل عامل الأهواز لظلمه رعيته (٢) ، وكان من اهتمام المتوكل بالمظالم أنه كان يبادر باقامة عماله للناس ، ممن ثبت ظلمه ، وان لم يرفع أحد عليه ذلك (٣) .

ومع جلوس المتوكل للمظالم فقد ذكر أن هناك من عين للنظر فى المظالم فى عاصمة الدولة العباسية ـ سامراء ـ (٤) وكذلك من تولاها فى بعض الأقاليم والبلدان (٥) ، كما أشير الى نظر بعض القضاه فى أمر المظالم (٦) .

لاشك أن الاهتمام بأمر المظالم سواء بجلوس الخليفة للنظر فيها ، أو انابته أحد وزرائه أو قضاته ، أو تعيينه لمن ينظر فيها سواء فى عاصمة الدولة أو فى أقاليمها وبلدانها المختلفة ، سهل على المتظلمين أمر تظلمهم ، ومن ذلك مايرفعونه فى عمالهم وولاتهم ، فكان ذلك أحد الأسباب المهمة فى تحريك الرقابة الادارية .

---

(١) القلقشندى : مآثر الانافة ٣/٢٢٨-٢٣٣ .

(٢) التنوخى : نشوار ٢/١٨ . وكثرت السعايات بالوزير محمد ابن الفضل الجرجرائى فعزله المتوكل ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢٣٨ .

(٣) فقد عزل المتوكل عبد الله بن محمد بن أبى يزيد الخلنجى قاضى بغداد سنة ٢٣٧هـ ، وأقامه للناس وأمر أن يكشف ليفضحه بسبب ماامتحن الناس من خلق القرآن . الخطيب : تاريخ ١٠/٧٤ .

(٤) ولى مظالم سامراء والعسكر كل من : محمد بن أحمد بن أبى دؤاد ، ومحمد بن ابراهيم بن الربيع الانبارى ، ويحيى بن أكثم ، انظر : الطبرى : تاريخ ٩/١٨٨ ، الخطيب : تاريخ ١/٢٩٨،٢٩٩ ، ابن خلكان : وفيات ١/٨٩-٩٠ .

(٥) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٨٧-٤٨٨ ، الطبرى : تاريخ ٩/٨٣ ، الخطيب : تاريخ ٤/٢٨٥ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/١٩٨ ، السيوطى : تاريخ ص/٣٠٠ .

(٦) الكندى : الولاه والقضاه ص/٢٠٠ .

المبحث الثالث

الوفود والأمناء

الوفود والأمناء :

للوفود والأمناء دور فعال فى تحريك الرقابة الادارية ، فقد كان من عادة الخلفاء اذا قدمت عليهم الوفود سألوهم عن سيرة العمال الذين يلون أمرهم ، وقد يبادر الوفد بعرض مالديهم من أخبار عمالهم ، وربما طلب بعض الخلفاء أن يقدم عليه وفد من وجهاء البلدان ليتعرف منهم على أحوال الناس والعمال ، كما يستعين بهم للتأكد من صحة مايرفع اليه من أخبار ولاة البريد ، وشكايات المتظلمين ، وقد ساعد على استمرار دور الوفود فى تحريك الرقابة الادارية ، تسهيل الخلفاء أمر الدخول عليهم ، وعدم احتجابهم عن رعاياهم .

كما اعتمد الخلفاء أيضا على الأمناء فى نقل أخبار العمال ، فكان لهم دور هام فى تحريك الرقابة الادارية ، سواء من يعينهم الخليفة لهذه المهمة ، حيث كان يطلق عليهم الأمناء ، أو من تم تعيينهم لهذه المهمة دون أن يشار الى أنهم سموا بالأمناء مع قيامهم بالأعمال ذاتها ، أو من كان يقوم بذلك تطوعا ، سواء كان من موظفى الدولة على اختلاف مراتبهم ، أو من علماء المسلمين ووجهائهم أو من عامة الناس ، ممن يرى أن عليه ابلاغ ولى الأمر بأحوال الناس وسيرة العمال متى استطاع ذلك .

والاعتماد على الوفود والأمناء فى نقل أخبار عمال الدولة أسلوب متبع فى الدولة الاسلامية منذ قيامها . وقد سبقت الاشارة الى ذلك فى التمهيد من هذا البحث .(١)

(١) انظر التمهيد من هذا البحث ، ثانيا : مشروعية الرقابة الادارية فى الاسلام ، حيث تم ايراد روايات تاريخية تؤكد اعتماد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أخبار الوفود ، والأمناء الذين يبعث بهم كمفتشين على =

وقد أوضح علماء المسلمين أهمية هذا الأسلوب من طرق تحريك الرقابة الادارية ، وأكدوا أن على ولى أمر المسلمين أن يهتم بذلك .

فعن أهمية الوفود ينقل ابن الأزرق عن ابن حزم قوله : "يلزم الامام أهل كل جهة من جهات بلده ، أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ، ليستخبرهم عن حال الأمير والناس ويكسوهم ويصلحهم ، كما كان عليه السلام يفعل ، فاذا وفدوا عليه ، انفرد بهم واحدا بعد واحد ، حتى يقف على الحق من الباطل في أمر الناس ، وأمر ولاته وجميع أحوال عماله"(١) .

وقد أوضح ابن الأزرق أن الوفود هم أحد الطرق التى يتفقد بها الامام عماله وولاته ، حيث يستقدم من يعتد به من أهل البلدان ليتعرف من ناحيتهم على أخبار العمال(٢) .

والوفود فى مقامهم هذا يبصرون الخليفة بما يغيب عنه من أخبار يجب أن تصل اليه ، وقد برر الماوردى أهمية نقل الأخبار الى الخلفاء على هذا النحو بقوله : ان الحكام "أكثر الناس انشغالا ، وأعظمهم أثقالا ، وأبعدهم عن ممارسة أمورهم بأنفسهم ومشاهدة أقاصى أعمالهم بأعينهم ، وليس كل مستعان به يعين ، ولاكل وال يستقل بما يلى .. كما انهم أقل الناس حظا من النصحاء المخلصين والأدلاء المشفقين .."(٣) .

= الولاة والعمال ، وكذلك كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يبعث بثقاته من الصحابة رضى الله عنهم لهذه المهمة ، وأيضا على بن أبى طالب رضى الله عنه اعتمد على الأمناء ، واقتفى أثره معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك

(١) بدائع السلك ٣٣٩/١ ، انظر أيضا ملحق الكتاب بعنوان - شذرات من كتاب السياسة لابن حزم ، بقلم الأستاذ محمد ابراهيم الكتانى - ٥٢٢/٢-٥٢٣ .

(٢) بدائع السلك ٣٣٨/١ .

(٣) نصيحة الملوك ص/٤٠ .

أما عن أهمية الأمناء فيقول القاضى أبو يوسف مخاطبا الرشيد : "أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ، ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال ، وماعملوا به فى البلاد ، وكيف جبوا الخراج ، على ماأمروا به أو زادوا على أهل الخراج ؟ .." (١) .

كما يرى أبو حاتم البستى أن يختار ولى الأمر "من رعيته أمناء يبعث بهم فى كل سنة الى المدن ، ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق" (٢) .

وقد أصبحت الأخبار التى تنقلها الوفود ويرفعها الأمناء من أهم طرق ووسائل تحريك الرقابة الادارية ، فى العصر العباسى ـ خلال فترة البحث ـ ويتضح ذلك فيما يلى :

أولا : دور الوفود فى تحريك الرقابة الادارية .

كان الغالب على خلفاء بنى العباس ـ خلال فترة البحث ـ أنهم لايمنعون أحدا من الرعية من الدخول عليهم ، فلم يكن هناك مايحجزهم عن رعاياهم والجلوس معهم ، حيث أبدى بعضهم حرصا شديدا على مقابلة الوفود ، لأنه من خلال ذلك يمكن التعرف على أحوال الرعية وسيرة العمال ، بل ان بعض الخلفاء من كان يرسل الى وجهاء البلدان ليفدوا عليه .

فقد روى أن المنصور كان يجلس للوفود مجلسا عاما فى بغداد يقول الطبرى : "جلس أبو جعفر المنصور للمدنيين مجلسا عاما ببغداد ، وكان وفد اليه منهم جماعة .." (٣) .

---

(١) الخراج ص/٢٣٤ .
(٢) روضة العقلاء ص/٢٦٩ .
(٣) تاريخ ٨٥/٨ .

وكان المنصور يسأل من يفد عليه عن حاجته التى قدم لأجلها ، فعندما دخل عليه أبو جعفر عيسى بن أبى عيسى التميمى (١) ـ الذى قدم بغداد فى طريقه الى الحج ـ أكرمه المنصور غاية الاكرام "وجعل يسأله عن أحواله وسأله هل له حاجة ، فقال : نعم" فعرض عليه مايلاقى الاضراء من متولى أمرهم ، الذى كان يقطع أرزاقهم ، ويسىء اليهم ، فقال المنصور : "يعزل عنهم كاتبهم ويولى عليهم من أحبوا ، ونأمر لأبى جعفر بعشر آلاف لسؤاله ايانا هذه الحاجة" (٢) .

وقد كان المنصور يرسل الى وجهاء البلدان ليفدوا عليه حتى يتعرف منهم على سيرة ولاته وعماله ، يقول الجهشيارى : "كان المنصور قلد عبد الوهاب بن ابراهيم فلسطين فعسف أهلها ، وكان ابراهيم بن أبى عبله ـ كاتب هشام ـ مقيما بها ، فاستحضره المنصور ، فلما وصل اليه قال له : ابن أبى عبله ؟ ماوراءك ؟ فقال : ياأمير المؤمنين قد قرأت عهود الخلفاء الذين من ولد عبد الملك اليك فما سمعت عهدا قط أجمع من عهد قراه علينا عبد الوهاب منك ، ثم عمد الى جميع ماأمرته به فاجتنبه ، ومانهيته من شىء فارتكبه . وكان ابن مجير ـ من أهل فلسطين ـ قد حضر مع ابن أبى عبله ، ووصل الى المنصور ، فقال : ماوراءك ياابن مجير ؟ فأخرج له طائرا من كمه ، قد نتفه حتى لم تبق عليه ريشة واحدة ، فقال له : فارقت البلد ، ياأمير المؤمنين ، وقد نتفه ابن

---

(١) هو عيسى بن أبى عيسى ـ أبو جعفر ـ التميمى ، واسم أبى عيسى ماهان ، قيل هو عيسى بن ماهان بن اسماعيل ، وقيل اسمه عبد الله بن ماهان ، أصله من مرو وسكن الرى .
الخطيب : تاريخ ١١/١٤٣ .

(٢) الخطيب : تاريخ ١١/١٤٥ ، اتضح من باقى الرواية أن المبلغ كان عشرة آلاف درهم .

أخيك ، حتى تركه كما تركت هذا الطائر ، فأظهر انكارا شديدا وعزله " (١) .

كما أرسل المنصور الى قاضي افريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي (٢) ، وكان رفيقه في طلب العلم قبل أن يلي الخلافة ، فلما دخل عليه "قال : ياعبد الرحمن بلغني أنك كنت تفد الى بني أمية ؟ قلت : أجل ، قال : فكيف رأيت سلطاني من سلطانهم ، وكيف مامررت به من أعمالنا حتى وصلت الينا ؟" (٣) .

وقد كان المنصور يبادر وجهاء الناس في الحج وعلماءهم بالسؤال عن ولاته وعماله (٤) ، كما كان يسأل من يقابله من أهل البلدان في طريقه الى الحج عن سيرة العمال فيهم ، يقول الطبري قال أبو بكر الهذلي : "سرت مع أمير المؤمنين

---

(١) الوزراء ص/١٣٧ .

(٢) هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري الافريقي ، أبو خالد . قاض من العلماء اشتهر بالجرأة على الملوك وزجرهم عن الجور والعسف . ولد ببرقه ، وهو أول مولود في الاسلام بافريقية ، ونشأ بها . توفي في القيروان سنة ١٦١هـ/٧٧٨م .
انظر ياقوت : معجم البلدان ٢٣١/١ ، الزركلي : الأعلام ٣٠٧/٣ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ٢٣١/١ ، جاء في باقي الرواية : ".. قال : فقلت ياأمير المؤمنين رأيت أعمالا سيئة وظلما فاشيا ، والله ياأمير المؤمنين مارأيت في سلطانهم شيئا من الجور والظلم الا ورأيته في سلطانك ، وكنت ظننته لبعد البلاد منك فجعلت كلما دنوت كان الأمر أعظم .. قال : فنكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه الي وقال كيف لي بالرجال ؟ قلت : أليس عمر بن عبد العزيز كان يقول : ان الوالي بمنزلة السوق يجلب اليها ماينفق فيها ، فان كان برا أتوه ببرهم ، وان كان فاجرا أتوه بفجورهم .." .
انظر أيضا الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٧٧ . وكان قدوم الافريقي على المنصور حوالي عام ١٤٢هـ .

(٤) الأزدي : تاريخ الموصل ص/١٧٦ ، ففي سنة ١٤٢هـ حج أبو جعفر وكان في داره وعنده محمد بن ابراهيم ابن أخيه وهو على مكة .. فمر ابن أبي ذئب في المسعى فقال له أبو جعفر ماتقول في محمد بن ابراهيم ؟ قال : مارأيت الا خيرا ولاياتي الا خيرا .

المنصور الى مكة ، وسايرته يوما ، فعرض لنا رجل سرى الهيئة ، فلما رآه أمرني فدعوته ، فجاء فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه ، وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب .." (١) .

ولاشك أن دخول الوعاظ على المنصور ، واسداءهم النصح اليه ، وايضاح مايقع فى ادارته من أمور لايعلمها ، كان أحد اسباب تحريك الرقابة الادارية فى عهده ، فقد كان المنصور يقدر هؤلاء الوعاظ ويجلهم (٢) .

ولما تولى المهدى الخلافة جلس للرعية أيضا ، وهذا بلاشك سهل على الوفود أمر مقابلة الخليفة ، وقد أشار الى ذلك قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن العنبرى ، حيث جاء فى نص كتاب بعث به الى المهدى يتضمن نصائح تتعلق بالأمور الادارية ، قوله :".. وذلك الى ماقد سر الناس مما بلغهم من بروز أمير المؤمنين لهم ولحاجاتهم ، ورجوا أن يتم الله ذلك لأمير المؤمنين بمباشرته أمورهم ، وصبره نفسه على ذلك لهم ، وأن يزيده الله قوة ورغبة فيه ، ومواظبة عليه ، فان ذلك من اعلام العدل وآياته ، ومما يقوم به الوالى على أمر الرعية ، ويخلص به الى التى يريد المبالغة فيها ، والمباشرة لها ، فتمم الله ذلك لأمير المؤمنين ، ويسره له وأرجو أن يكون طائره الى ذلك علمه بعدله ، ودينه وقوته ، ونظره لنفسه ، واختياره لها خيار الأمور وأحسنها ، وانه قد عرف ماقيل فى اغلاق الباب دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة .." (٣) .

---

(١) تاريخ ٦٩/٨ .
(٢) انظر الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٨٤ ، الماوردى : نصيحة الملوك ص/٤٥ ، الطرطوشي : سراج الملوك ص/٥٤ .
(٣) وكيع : أخبار القضاه ص/١٠٧ .

وفي عهد الرشيد كان للوفود دور في التحقق من صحة الشكايات التي رفعت في قاضي البصرة معاذ بن معاذ العنبري حيث أمر الرشيد باشخاصه اليه ، واشخاص نفر معه ، فلما وفدوا عليه بالنهروان (١) وهو يريد خراسان قال لهم - بعد أن تعرف عليهم - "اني وليت معاذا على الاختيار له ، ثم بلغني عنه أمور أحببت لها أن أسأل عنه ، فأخبروني عنه .." فلما تبين له صحة مانسب اليه عزله (٢) .

ومتى قدم الوفد على الرشيد سألهم عن أخبار عماله ، ومن ذلك انه كتب "أن يوجه اليه نفرا من أهل البصرة ليشهدهم على توكيله في أمر السباخ (٣) ، فخرج عمرو بن النضر واسماعيل بن سدوس ، وابراهيم بن حبيب بن الشهيد .." . يقول عمرو بن النضر : "دخلنا على الرشيد فكان أول ماسألنا عنه أن قال : ماتقولون في قاضيكم ؟ فقلت : رجل لعاب ياأمير المؤمنين ، ليس من رجال القضاء ، فقال : اشهدوا اني قد عزلته (٤) .." .

---

(١) النهروان : وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون ، وهي ثلاثة نهروانات ، الأعلى والأوسط والأسفل ، وهي كوره واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد متوسطة . انظر ياقوت : معجم البلدان ٣٢٤/٥-٣٢٥ .

(٢) وكيع : أخبار القضاه ١٥٢/٢ ، وكان ذلك في ولاية معاذ القضاء للمرة الثانية سنة ١٨١هـ ، وقد سعت عليه المعتزلة لرده شهادتهم ، وعزل سنة ١٩١هـ ، وقد ضم الوفد الذي قدم على الرشيد محمد بن حرب الهلالي ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وعمر بن حبيب ، وعبد الله بن سوار ، المصدر السابق ١٤٩/٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤ .

(٣) السباخ : أرض سبخه أي ذات ملح ونز - أي مايتحلب من الأرض من الماء . انظر الرازي : مختصر الصحاح ص/٢١٤، ٤٧٧ .

(٤) وكيع : أخبار القضاه ١٤٤/٢-١٤٥ . انظر أيضا رواية أخرى تؤدي نفس الغرض ، المصدر السابق ١٤٥/٢ . والقاضي المعزول هو عمرو بن حبيب . انظر أيضا الخطيب حيث أشار الى خروج وفد من أهل واسط يطلبون عزل قاضيهم ، تاريخ بغداد ٢٩٤/٨ .

ولما تولى الأمين الخلافة لم يكن في الغالب مباشرا لمهامها ، حيث احتجب عن الناس ولم يكن يجلس لهم الا نادرا لاعتماده على وزيره الفضل بن الربيع ، الذى تصدى للقيام بأمور الدولة (١) .

ولاشك أن من تلك من خلفاء بنى العباس - خلال فترة البحث - كانوا يجلسون للعامة ، ويستقبلون الوفود ، غير أنه ليس لدينا شواهد تاريخية توضح لنا حقيقة الدور الذى كانت تقوم به الوفود في تحريك الرقابة الادارية ، خلال فترة حكم هؤلاء الخلفاء .

ثانيا : دور الأمناء في تحريك الرقابة الادارية .

كان أبو سلمة الخلال - وزير ابى العباس - قد قام بمحاولة يائسة لنقل الخلافة الى آل على بن أبى طالب ، وذلك قبيل اعلان الدولة العباسية (٢) غير أنه على الرغم من عظم خيانته فان أبا العباس لم يبادر بمعاقبته ، بل أقره على منصب الوزارة (٣) ، فكتب اليه أبو مسلم الخراسانى يشير عليه

---

(١) انظر ابن أعثم : الفتوح ٢٨٨/٨ ، الخطيب : تاريخ ٣٤٤،٣٤٣،٣٣٣/١٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٥ ، ابن منظور : ملحق الأغانى ٨٢/٢٥-٨٣ .

(٢) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٥٠-٣٤٩،٣٤٥/٢ ، ابن قتيبة الامامة والسياسة ١١٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٢٣/٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤٨٣/٤ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٥٣/٣ ، التنوخى : الفرج بعد الشدة ٢٧٢/٤-٢٧٧ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٤-١٥٥ ، الأزدى : أخبار الدول ص/٨٠ ، الاربلى : خلاصة الذهب ص/٥٤ .

(٣) انظر مبحث اختيار العمال من البحث ، موضوع اختيار الوزراء . وتذكر بعض الروايات أن أبا العباس غفر لأبى سلمه زلته لجهوده فى الدعوة العباسية . انظر الجهشيارى : الوزراء ص/٨٧ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٧١/٣ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٥٤ ، ولكن فيما يبدو أن أبا العباس لم يكن مطمئنا للخلال وانما أراد أن لايوحش منه أبا مسلم الذى كان يمثل خطرا آخر على الدولة العباسية الوليدة .

بقتله ويقول له : قد أحل الله لك دمه لأنه نكث وغير وبدل ، وقد كان موقف أبى جعفر المنصور – ولى العهد – وداود بن على العباسى مماثلا لما أشار به أبو مسلم (١) . فكان ذلك أحد الأسباب التى دفعت أبا العباس الى التخلص من أبى سلمة (٢) .

وقد كان للأمناء أيضا دور فى تنبيه أبى العباس الى خطر والى اقليم خراسان والجبال أبي مسلم الخراسانى ، فتذكر المصادر ان أبا جعفر المنصور بعد عودته من خراسان سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ومقابلته لأبى مسلم ، أوضح لأبى العباس مدى استبداد أبى مسلم بالسلطة ، وقال له : لست خليفة ولا آمرك بشىء ان تركت أبا مسلم ولم تقتله ، قال : كيف ؟ قال : والله مايصنع الا ماأراد ، قال أبو العباس اسكت فاكتمها (٣) .

وكان أبو العباس قال للحجاج بن ارطاه ذات يوم وقد خلا معه : ماتقول فى أبى مسلم ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ان الله تعالى يقول فى كتابه {لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا} (٤) فقال أبو العباس : امسك فقد فهمت ماأردت (٥) .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢٧٠/٣ .
(٢) كان ذلك فى وقت مبكر حيث قتل أبا سلمة فى رجب سنة ١٣٢هـ . انظر الطبرى : تاريخ ٤٤٩/٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٠ ، ابن خلكان : وفيات ١٩٦/٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤٥٠/٧ ، انظر أيضا : ابن قتيبة : الامامة والسياسة ١٢٥/٢ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٥١/٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٥-٣٧٦ ، ابن أعثم : الفتوح ٢٠٩/٨ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .
كما ذكر أن أبا جعفر أشار على أبى العباس بقتل أبى مسلم مرة أخرى عندما قدم أبو مسلم بغداد قاصدا الحج سنة ١٣٦هـ ، وقال لأبى العباس : ياأمير المؤمنين اطعنى واقتل أبا مسلم فوالله ان فى رأسه لغدره ، انظر ابن قتيبة : الامامة والسياسة ص/١٣٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٦٨/٧ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٥٩ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ٢٢
(٥) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٦ .

وتذكر المصادر أنه على الرغم من أن أبا العباس لم يستطع القضاء على أبى مسلم ، الا أنه تغير عليه ، وبذل محاولات جادة للايقاع به [(١)] .

وتطالعنا بعض الأحداث بما يفيد أنه كان لأبى العباس ثقاة ينقلون اليه أخبار قادة جيوشه ، ليتخذ من التدابير مايمنع تجاوزهم لحدود سلطاتهم [(٢)] .

وعندما تولى المنصور الخلافة اعتمد كثيرا على الأمناء الذين كانوا ينتشرون فى مناطق الدولة المختلفة [(٣)] ، كما خصص بعض من يثق بهم من علماء الأمصار لكى يكتبوا اليه عن ولاته وقضاته ، يقول الخطيب البغدادى : "كان الليث - بن سعد - له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس لنائبه السلطان فى نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان فاذا أنكر من القاضى أمرا أو من السلطان كتب الى أمير المؤمنين فيأتيه العزل [(٤)] .." . ويذكر المسعودى أن المنصور اتخذ رجلا من أهل همذان ليكتب له عن "أخبار بلده ، واعلامه بما يكون من ولاته على الحرب والخراج" [(٥)] .

---

(١) انظر الطبرى : تاريخ ٤٦٦/٧ ، الجهشيارى : الوزراء ص/٩٤ ، الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) انظر المسعودى : مروج الذهب ٢٥٦/٣-٢٥٧ ، الحميرى : الروض المعطار ص/١١٨ .

(٣) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٨٨/٢ ، الطبرى : تاريخ ٦٣١/٧ ، العيون والحدائق ٢٣٤/٣ ، البيهقى : المحاسن ص/١٤٨ ، الابشيهى : المستطرف ١٠٦/٢ .

(٤) تاريخ بغداد ٩/١٣ ، أما المجالس الثلاثة الأخرى : فمجلس لأصحاب الحديث ، ومجلس للمسائل ، ومجلس لحوائج الناس ، انظر أيضا ابن خلكان : وفيات ١٣١/٤ ، الذهبى العبر ٢٠٦/١ .

(٥) مروج الذهب ٢٨٩/٣ ، وكان من قصة هذا الرجل أنه شيخ من أهل همذان حبس ظلما من قبل والى همذان الذى أرسل به الى المنصور ببغداد واتهمه بالخروج على الدولة ، فعلم المنصور حقيقة أمره وأطلقه وطلب منه مساعدته فى ارسال الأخبار اليه عن بلده همذان .
انظر أيضا : الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/١٨٥ ، الحميرى : الروض المعطار ص/٥٣٠ .

وكان المنصور ربما جعل من يثق فيه من ولاة البلدان يكاتبه بأخبار بعض الولاه . فقد أمر الحسن بن قحطبة والى اقليم الجزيرة أن يوافى أبا مسلم فى طريقه الى الشام – لمحاربة عبد الله بن على[1] – ليكتب له بأخباره سرا[2] فكتب اليه "انى قد ارتبت بأبى مسلم منذ قدمت عليه ، انه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ثم يلوى شدقه ، ويرمى بالكتاب الى أبى نصر – مالك بن الهيثم – فيقرؤه ويضحكان استهزاء"[3] . كما كتب اليه مرة "انى أخبرك ياأمير المؤمنين ان الشيطان الذى كان ينفخ فى رأس عبد الله بن على ، قد انتقل الى رأس أبى مسلم .."[4] .

كما كان المنصور يرسل رجالا من خاصته الى البلدان التى يشك فى طاعة ولاتها حتى يطلعوه على حقيقة الأمور التى يعجز أصحاب البريد عن نقلها ، ويتم ذلك بكل سرية ودهاء ، مع ابلاغه بما يجرى من هذه المهمة أولا بأول ، يقول أبو بديل بن حبيب[5] : "كنا اذا خرجنا من عند أبى جعفر المنصور مرنا الى المهدى وهو يومئذ ولى عهد ، ففعلنا ذلك يوما فأبرز لى المنصور يده فانكببت عليها فقبلتها ، فضرب يدى

---

(١) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ .
(٢) ابن أعثم : الفتوح ٢٢١/٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ ٤٨١/٧ .
(٤) ابن أعثم : الفتوح ٢٢١/٨ . انظر أيضا ابلاغ صاحب شرطة الكوفة – المساور بن سوار الجرمى – المنصور ماكان عليه والى الكوفة محمد بن سليمان من سوء أخلاق حتى عزله . الطبرى : تاريخ ٤٨/٨-٤٩ .
(٥) هو الوضاح بن حبيب بن بديل التميمى ، من أهل الكوفة وصف بأنه كان ذا رأى أصيل ، ذكر أنه فى سنة ١٢٧هـ وفد على نصر بن سيار الوالى الأموى ، قادما من عند عبد الله بن عمر فأكرمه ،ويعد من رجالات الدولة العباسية ، له ذكر زمن المنصور والمهدى ، وعمر الى عهد الأمين حيث طلب منه المشورة أثناء حربه مع أخيه المأمون سنة ١٩٨هـ .
انظر الطبرى : تاريخ ٣٠٩/٧ ، ١٤٥/٨،٥١٢ .

بيده ، فعلمت أنه لم يفعل ذلك الا لشيء في يده ، فوضع في يدي كتابا صغيرا تستره الكف ، فلما خرجت قرأت الكتاب فاذا فيه : اذا قرأت كتابي هذا فاستأذن الى ضياعك بالري ، فرجعت فاستأذنت فقلت : ياأمير المؤمنين ضياعي بالري قد اختلت ولي حاجة الى مطالعتها ، فقال : لا ولاكرامة ، فخرجت ثم عدت اليه اليوم الثاني فكلمته ، فرد علي مثل الجواب الأول ، فقلت : ياأمير المؤمنين انما أردت ملاحها لأقوى بها على خدمتك ، فقال : اذا شئت ، فقلت : ياأمير المؤمنين في حاجة أذكرها . قال : قلت : أحتاج الى خلوة ، فنهض القوم وبقي الربيع ، فقلت : اخلني ، قال : ومن الربيع ؟ قلت : نعم ، فتنحى الربيع ، فقال : ان جدت لي بدمك ومالك ، فقلت ياأمير المؤمنين وهل أنا ومالي الا من نعمتك ؟ حقنت دمي ورددت علي مالي وآثرتني بصحبتك ، فقال : انه يهجس في نفسي أن جمهور بن مرار (١) على خلعي ، وليس لي غيرك لما أعرف بينكما ، فأظهر اذا صرت اليه الوقيعة في والتنقص لي حتى تعرف ماعنده ، فاذا رأيته يهم بخلعي فاكتب الي ولاتكتبن على بريد ولامع رسول ، ولايفوتني خبرك في كل يوم ، فقد نصبت

---

(١) جاء في رواية ابن قتيبة باسم "جوهر" وفي رواية البيهقي المرار بن جمهور ، والصحيح ماأثبته .
وهو : جمهور بن مرار العجلي ، قائد شجاع ، كان من قادة الجيوش في أيام المنصور وآخر ماوجهه به المنصور جيش فيه عشرة آلاف فارس سيرهم لقتال "سنباد" الفارسي فتغلب على جمهور ، وفل جموعه في وقعة كانت بين همذان والري ، واستولى على أمواله ، ثم أقام في الري ، ولم يوجه ماغنمه الى المنصور ، فطلبه المنصور ، فامتنع وخلع الطاعة وجمع جيشا من فرسان العجم ، فأرسل اليه المنصور محمد بن الأشعث فهزمه ، وقتل جمهور في هذه المعركة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م .
الزركلي : الأعلام ١٣٦/٢ .

لك فلانا القطان فى دار القطن فهو يوصل كتبك ، قال : فمضيت حتى أتيت الرى فدخلت على ابن مرار فقال : أفلت ؟ قلت : نعم والحمد لله ، ثم أقبلت أونسه بالوقيعة فى المنصور حتى أظهر ماكان ظن به ، فكتبت اليه بذلك .." (١) .

كما كان المنصور يعتمد على الأمناء فى معرفة صحة مايرفع اليه من ظلامات ، فعندما تولى المدينة عبد الصمد بن على قام "بمعاقبة بعض القرشيين وحبسه حبسا ضيقا ، فكتب بعض قرابته الى أبى جعفر فشكى ذلك اليه ، فكتب أبو جعفر الى والى المدينة وأرسل رسولا وقال : اذهب فانظر قوما من العلماء فأدخلهم حتى يروا حاله وتكتبوا الى بها ، فأدخلوا عليه فى حبسه مالك بن أنس ، وابن أبى ذئب ، وابن أبى سبره وغيرهم من العلماء . فقال : اكتبوا بما ترون الى أمير المؤمنين .." (٢) .

وقد اعتمد المنصور على الأمناء أيضا فى معرفة مايصل الى أيدى قادة الجيوش من غنائم (٣) ، حيث كان يرسل بهم لحصرها وقد أشير صراحة الى كونهم أمناء على الأموال (٤) . كا كان

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٠٩/١-٢١٠ ، البيهقى : المحاسن ص/١٤٦-١٤٨ .

(٢) الخطيب : تاريخ ٢٩٩/٢-٣٠٠ ، قارن مع اختلاف فى أحداث الرواية ، ابن سعد : تتمة ص/٤١٧-٤١٨ . وتدل رواية الخطيب أن المنصور متى اختلفت أقوال الأمناء التى يبعثون بها عن الأمر الذى يوكل اليهم مطالعته ، يذهب بنفسه الى مكان الحادثة ليعرف حقيقة الأمر بنفسه .

(٣) انظر ارسال المنصور من يحصى على ابن مسلم ماغنمه من حربه مع عبد الله بن على ، ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ ، اليعقوبى : تاريخ ٣٦٦/٢ ، الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٧٩ ، الطبرى : تاريخ ٤٨٢/٧-٤٨٣،٤٧٨ ، ابن أعثم : الفتوح ٢١٩/٨ ، المسعودى : مروج الذهب ٢٩٠/٣ الأزدى : تاريخ الموصل ص/١٦٤-١٦٥ ، ابن حمدون : التذكرة ٤١١/١ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٦٨ .

(٤) الدينورى : الأخبار الطوال ص/٣٨١،٣٧٩ .

الأمناء يقومون بمتابعة تنفيذ أوامر الخليفة الادارية (١) .

والحق أن هناك العديد من أعمال الرقابة الادارية التى كان يقوم بها المنصور ، توحى روايات المصادر أن هناك أمناء كانوا ينقلون اليه الأحداث على وجه الدقة (٢) ، كما تشير الى أن المنصور كان له موقف من السعاة حيث انه متى ثبت عنده أن من يطالعه بالأخبار غير ثقة أو يقصد الايقاع بأعدائه فانه لايأخذ منه خبرا فى أحد بعد ذلك (٣) .

وعندما تولى المهدى الخلافة أظهر عناية خاصة بالأمناء والاعتماد على أخبارهم ، فقد سمح ليعقوب بن داود – قبل أن يوليه الوزارة – أن يرفع اليه حوائج الناس ، وماينبغى النظر فيه من شئون الدولة . يقول الطبرى : فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م "أمر المهدى باطلاق من كان فى سجن المنصور الا من كان قبله تباعه من دم أو قتل ، ومن كان معروفا بالسعى فى الأرض بالفساد ، أو من كان لأحد قبله مظلمة أو حق فأطلقوا ، فكان ممن أطلق من المطبق يعقوب بن داود .. وقال يعقوب : ياأمير المؤمنين ، قد بسطت عدلك لرعيتك وأنصفتهم ، وعممتهم بخيرك وفضلك ، فعظم رجاؤهم ، وانفسحت آمالهم ، وقد بقيت أشياء لو ذكرتها لك لم تدع النظر فيها بمثل مافعلت فى غيرها ،

---

(١) الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٤ ، كما يستعين بآرائهم فى تحريك الرقابة ، انظر ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢٦/١ المسعودى : مروج الذهب ٢٨٩/٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٨/١ .

(٢) انظر : اليعقوبى : تاريخ ٣٨٣/٢ ، الطبرى : تاريخ ٤٩٠/٧، ٥٢١، ٥٢٩ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١٣٦ ، الأزدى تاريخ الموصل ص/٢١٤-٢١٥، ٢٢٧ ، الأصفهانى : الأغانى ٣٦٢/١٤ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ص/٨١ ، الاربلى خلاصة الذهب ص/٦٦ ، ابن الأعرج : تحرير السلوك ص/٤١-٤٢ ابن هذيل : عين الأدب والسياسة ص/١٤٢ ، العيون والحدائق ٢٣٣/٣، ٢٥٤ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء ص/٩٩-١٠٠ ، وكان يتأكد مما يرفع به الوشاه ، انظر الطبرى : تاريخ ٤٢/٨ ، الجهشيارى : الوزراء ص/١١٧-١١٩ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٧٦ .

وأشياء مع ذلك خلف بابك يعمل بها لاتعلمها ، فان جعلت لى السبيل الى الدخول عليك ، واذنت لى فى رفعها اليك فعلت . فأعطاه المهدى ذلك ، وجعله اليه ، وصير سليما – الخادم الأسود خادم المنصور – سببه فى اعلام المهدى بمكانه كلما أراد الدخول ، فكان يعقوب يدخل على المهدى ليلا ، ويرفع اليه النصائح فى الأمور الحسنة الجميلة من أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة .. فحظى بذلك عنده .. واتخذه أخا فى الله ، وأخرج بذلك توقيعا ، وأثبت فى الدواوين" (١) .

ولكى يستطيع المهدى التأكد من امضاء أوامره التى يبعث بها الى ولاته وعماله (٢) ، فقد أمر يعقوب بن داود أن يوجه الأمناء فى البلدان ، الذين كان يرسل اليهم نسخة مما يأمر به المهدى ولاته وعماله ، لينظر الأمين أيعمل بأمر الخليفة أم لا ، يقول الطبرى : فى سنة ١٦١هـ/٧٧٧م "أمر المهدى يعقوب بن داود بتوجيه الأمناء فى جميع الآفاق ، فعمل به ، فكان لاينفذ للمهدى كتاب الى عامل فيجوز (٣) حتى يكتب يعقوب بن داود الى أمينه وثقته بانفاذ ذلك" (٤) .

---

(١) تاريخ ١١٧/٨، ١١٩ ، جاء فى الرواية أن يعقوب كان يرفع الى المهدى ".. تزويج العزاب ، وفكاك الأسارى والمحبوسين ، والقضاء عن الغارمين ، والصدقة على المتعففين .." . انظر أيضا : الجهشيارى : الوزراء ص/١٥٥ ، الأزدى : تاريخ الموصل ص/٢٣٦ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/١٨٤ ، العيون والحدائق ٢٧٠/٣-٢٧١ .

(٢) لم يكن يعقوب آنذاك وزيرا للمهدى . انظر الطبرى : تاريخ ١٣٤/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، ولم تذكر المصادر أن يعقوب كان وزيرا سوى الصفدى : نكت الهميان ص/٣١٠ .

(٣) أى أخذ الاذن والترخيص للارسال به . انظر مادة (جاز) ، المنجد ص/١١٠ .

(٤) تاريخ ١٣٦/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٢١/٧ ، الصفدى : نكت الهميان ص/٣١٠ ، اليافعى : مرآة الجنان ٤١٨/١ ، العيون والحدائق ٢٧٣/٣ .

كما كان المهدى يطلب من أهل بعض البلدان أن يفوضوا من يرضونه ليقوم بحوائجهم لديه ، مما يجعلهم مرتبطين به مباشرة ، ويساعده على معرفة تصرفات ولاته وعماله أولا بأول يقول ابن بكار : "كان أمير المؤمنين المهدى قد كتب الى والى المدينة يأمره أن يشخص رجلا يرضاه أهل البلد يقوم بحوائج أهل المدينة عنده ، فأجمع أهل المدينة على عبد الملك بن يحيى (١) وسألوه أن يخرج فخرج فى ذلك ورفع حوائجهم ، وأقام بالعراق يطالبها .." (٢) .

ويبدو أن فقيه مصر الليث بن سعد كان يقوم فى عهد المهدى بنفس المهمة التى كان يقوم بها فى عهد المنصور من قبل ، حيث أشير الى قيام الليث بالكتابة الى المهدى فى قاضى مصر (٣) ، أضف الى ذلك أن المهدى كان يرسل مع العمال من يراقب تصرفاتهم ويرفع اليه بأخبارهم (٤) .

ولما تولى الرشيد الخلافة سار على نهج من سبقه فى الاهتمام بالأمناء والاعتماد عليهم فى نقل أخبار وتصرفات العمال ، وقد سبقت الاشارة الى نصيحة القاضى أبى يوسف التى أوصى فيها الرشيد بضرورة أن يبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ، ومن يوثق بدينه وأمانته ليسألوا عن سيرة عمال

---

(١) هو : عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ، من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعد فى سادات قريش وذوى الفضل والمروءة منهم ، توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة . الخطيب : تاريخ ١٠/٤٠٧-٤٠٨ .

(٢) نسب قريش ص/٧٦-٧٧ ، الخطيب : تاريخ ١٠/٤٠٨ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص/١٦٠ ، وكيع : أخبار القضاه ٣/٢٣٦ ، الكندى : الولاه والقضاه ص/٣٧١-٣٧٣ .

(٤) الأصفهانى : الأغانى ٢٣/٧ . كما كان بعض العمال يرفع على البعض الآخر منهم ، المصدر نفسه ٣/١٨٨ . وهناك بعض الأعمال الرقابية التى تذكرها المصادر توحى بأن أمناء كانوا ينقلون الى المهدى أخبار عماله . انظر الجهشيارى : الوزراء ص/١٦٦ ، الخطيب : تاريخ ١١/١٩٨ الكندى : الولاه والقضاه ص/١٢٤ .

الخراج ، والتحقق من صحة تصرفاتهم .(١)

وتذكر المصادر أنه كان للرشيد ثقاة من بعض خدمه يعتمد عليهم في معرفة أخبار عماله ، فقد جعل على جعفر بن يحيى البرمكي خادما من خاصة خدمه وأنبلهم ، كاتبا حاسبا لبيبا "دسيسا عليه .. يرفع أخباره الى الرشيد ويحصى عليه أنفاسه ساعة بساعة ووقتاً بوقت" .(٢)

وكان الرشيد وهو في الرقه أوكل الى الفضل بن يحيى البرمكي ـ وكان ببغداد ـ أمر سجن موسى بن جعفر الطالبي ، فبلغه أن الفضل كان متعاطفا معه ، حيث كان عنده في رفاهية وسعة ، فوجه الرشيد مسرورا الخادم الى بغداد ، وبعث به على دواب البريد ، "وأمره أن يدخل من فوره الى موسى فيتعرف خبره" ، فقام مسرور بالتأكد من صحة مارفع الى الرشيد من خبر موسى ، فلما تيقن من صحة الخبر ، نفذ ماأمره به الرشيد من معاقبة الفضل بن يحيى ، ثم كتب اليه بعد ذلك بما جرى من أمر الفضل .(٣)

وعندما ولى الرشيد خراسان قائده هرثمة بن أعين ، بعد أن عزل عنها على بن عيسى بن ماهان ، أمره أن يأخذ على يد على لظلمه الرعية ، وقال له الرشيد : "انا موجه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه الى على بن عيسى بخطي ، ليتعرف مايكون منك ومنه .." .(٤)

فقد اعتمد الرشيد على خاصة خدمه كأمناء يثق بهم ، لكى يقوموا بنقل أخبار الولاه والعمال ، وكذلك التأكد من

---

(١) الخراج ص/٢٣٤ .
(٢) الاتليدى : اعلام الناس ص/١٢٩ .
(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص/٥٠٢-٥٠٤ .
(٤) الطبرى : تاريخ ٣٢٦/٨ ، سنة ١٩١هـ .

صحة بعض الأخبار التي تحتاج الى بحث ونظر من قرب ، وان هؤلاء الأمناء ربما عينهم الرشيد سرا ، أو بمعرفة العمال ، كل حسب مهمته التي يضطلع بها .

وقد كان بعض العمال يرفعون الى الرشيد أخبار غيرهم من العمال . ومن ذلك أن علي بن عيسى بن ماهان اتهم موسى ابن يحيى البرمكي "عند الرشيد في أمر خراسان ، وأعلمه طاعة أهلها له ، ومحبتهم اياه ، وأنه يكاتبهم ، ويعمل على الانسلال اليهم ، والوثوب به معهم ، فوقر ذلك في نفس الرشيد عليه ، وأوحشه منه" . وأمر بسجنه (١) .

ويبدو أن الرشيد كان يثق كثيرا بصحة هذه الأخبار ، ويعتمد عليها في تحريك الرقابة الادارية ، وقد أتاح ذلك لبعض الحاقدين أن ينالوا من أعدائهم مايريدون ، فقد سعت البرامكة بيزيد بن مزيد الشيباني لدى الرشيد ، الذي كان على رأس حملة لمقاتلة الوليد بن طريف الشيباني - الخارجي حيث ذكروا للرشيد أن شوكة الوليد يسيرة ، وأن يزيد يواعده وينتظر مايكون من أمره ، للرحم التي بينهما ، فوجه الرشيد اليه كتابا مغضبا يقول فيه : "لو وجهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ولكنك مداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهن اليك من يحمل رأسك الى أمير المؤمنين" (٢) .

---

(١) الطبري : تاريخ ٢٩٣/٨ ، سنة ١٨٧هـ .

(٢) الخطيب : تاريخ ١١٥/١٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣١/٦-٣٢ سنة ١٧٩هـ .
وتذكر المصادر مايفيد وصول أخبار الى الرشيد عن وزرائه وعماله ، يبدو أن هناك أمناء يرفعون بها اليه انظر المسعودي : مروج الذهب ٣٨٤/٣-٣٨٥ ، الكندي : الولاه والقضاه ص/١٣٢ .

وكان الرشيد قد تغير على جعفر بن يحيى البرمكى ، عندما أبلغه الفضل بن الربيع – حاجبه – أن جعفرا قد اطلق يحيى بن عبد الله – الطالبى – بغير أمره ، وكان الرشيد قد دفعه الى جعفر ليحبسه عنده (١) .

وفى عهد الأمين نجد أنه لما وثب أهل الموصل بواليهم ابراهيم بن العباس لأمر جرى بينهم وبينه ، قام الأمين بتوجيه رجل من قبله يدعى الحسن بن عمران الطائى ، لينظر بين ابراهيم وأهل الموصل ، لكى يبلغه بحقيقة الأمر ، فقدم الحسن الى الموصل وقام بما أمره به الأمين . وقد كان مخلصا فى أداء مهمته ، حيث لم يلتفت الى مابذل له والى الموصل من أموال حتى ينقل خلاف الحق (٢) .

ودور الأمناء هنا هو نقل حقائق الأمور عن الأحداث بعد وقوعها ، وموافاة الخليفة بها ، حتى يستطيع من خلال ذلك اعمال مبدأ المحاسبة ، فالأمناء فى مثل هذه الحادثة يساعدون على تحريك الرقابة بعد وقوع الأحداث لاقبلها ، وهى من الأعمال الهامة التى كانوا يقومون بها ، وهناك عدة أمثلة سبقت الاشارة اليها تؤكد أهمية هذا الدور الذى كان يضطلع به الأمناء ، اضافة الى دورهم فى تحريك الرقابة الادارية قبل وقوع الأحداث .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢٨٩/٨ ، حيث علم الفضل بن الربيع ذلك عن طريق عين له من خاصة خدمه ، وتحقق من صحة الأمر ثم أخبر الرشيد به . وقد سأل الرشيد جعفرا عن الطالبى فأقر بفعله عندها قال الرشيد : "قتلنى الله بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك" . وذكر فى رواية أخرى أن هناك رجلا عرض للرشيد وأخبره أنه رأى يحيى بن عبد الله حيا بحلوان مما أكد له أن جعفرا لم يقتله . انظر الطبرى : تاريخ ٢٩٠/٨ ، ابن خلكان : وفيات ٤٧٢/١ .

(٢) الأزدى : تاريخ الموصل ص/٣٢٢ . وكان ذلك على ماذكر الأزدى سنة ١٩٥هـ أو سنة ١٩٤هـ ، وقد وصف الحسن بن عمران الطائى بأنه كان سيدا .

وقد اهتم المأمون بالأمناء واعتمد على أخبارهم ، وكان ذلك بعد مغادرته مرو واستقراره في بغداد سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م ، ذلك أن سيطرة وزيره الفضل بن سهل على أمور الخلافة ، وتصديه لادارة شئونها ، حجب المأمون عن الناس ، وجعل من الصعب وصول الأخبار اليه بشتى الطرق ، ومن ذلك ماينقله الأمناء من أخبار ، وليس أدل على ذلك من المحاولات اليائسة التي قام بها القائد هرثمة بن أعين لابلاغ المأمون بالفتن التي قامت في البلدان ، وتنبيهه الى خطر وزيره الفضل بن سهل ، وأنه يحجب عنه أخبار دولته ، وان بقاءه في مرو وتسلط الفضل بن سهل على أمور الخلافة كان الدافع وراء ظهور الفتن والتمرد عليه (١) .

وان كانت محاولات هرثمة بن أعين لم يكتب لها التوفيق فان علي بن موسى بن جعفر بن محمد العلوي ، الذي بايعه المأمون بولاية العهد من بعده "أخبر المأمون بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخيه ، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار ، وأن أهل بيته قد نقموا عليه أشياء .. وانهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي بالخلافة ، فقال المأمون : انهم لم يبايعوا له بالخلافة ، وانما صيروه أميرا يقوم بأمرهم ، على ماأخبره الفضل ، فأعلمه أن الفضل قد كذبه وغشه ، وأن الحرب قائمة بين ابراهيم والحسن بن سهل ، وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك ، فقال : ومن

---

(١) اليعقوبي : تاريخ ٤٤٩/٢-٤٥٠ ، الطبري : تاريخ ٥٤٢/٨-٤٥٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٢٨/٦-٤٢٩ ، أبو الفداء : المختصر ٢٢/٢ ، العيون والحدائق ٣٤٩/٣-٣٥٠ .

يعلم هذا من أهل عسكرى ، فقال له : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدة من وجوه أهل العسكر ، فقال : ادخلهم على حتى أسالهم عما ذكرت ، فأدخلهم عليه .. فسألهم عما أخبره ، فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ألا يعرض لهم ، فضمن ذلك لهم وكتب لكل رجل منهم كتابا بخطه ودفعه اليهم ، فأخبروه بما فيه الناس من الفتن وبينوا ذلك له ، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه فى أشياء كثيرة ، وبما موه عليه الفضل من أمر هرثمة وأن هرثمة انما جاء لنصحه وليبين له مايعمل عليه ، وانه ان لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته ، وان الفضل دس الى هرثمة من قتله ، وأنه أراد نصحه وان طاهر بن الحسين قد أبلى فى طاعته ماأبلى وافتتح ماافتتح ، وقاد اليه الخلافة مزمومة ، حتى اذا وطئ الأمر أخرج من ذلك كله وصير فى زاوية من الأرض بالرقة ، قد حظرت عليه الأموال حتى ضعف أمره فشغب عليه الجند ، وانه لو كان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ولم يجترىء عليه بمثل ماإجترأ به على الحسن بن سهل ، وان الدنيا قد تفتقت من أقطارها ، وان طاهر بن الحسين قد تنوسى فى هذه السنين منذ قتل محمد ، فى الرقة لايستعان به فى شىء من هذه الحروب ، وقد استعين بمن هو دونه أضعافا ، وسألوا المأمون الخروج الى بغداد فان بنى هاشم والموالى والقواد والجند لو رأوا عزتك سكنوا الى ذلك وبخعوا بالطاعة ، فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل الى بغداد .." (١). وتخلص من وزيره الفضل بن سهل .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٥٦٤/٨-٥٦٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٤١/٦-٤٤٢ ، ابن طباطبا : الفخرى ص/٢١٨-٢١٩ ، العيون والحدائق ٣٥٥/٣-٣٥٧ . =

لاشك أن تفاصيل الأخبار التي بلغ بها المأمون من قبل علي بن موسى ووجوه أهل العسكر ، قد نبهته الى خطر وزيره الفضل بن سهل ، وجعلته يهتم بمطالعة الأخبار ، ومن ذلك ماينقله الأمناء اليه كما جرى في هذه الحادثة .

وتشير المصادر الى أن المأمون قد اعتمد على الأمناء في معرفة توجهات ولاته ، ونقل أخبارهم اليه ، وهي مهمة يصعب في الغالب قيام ولاة البريد بها ، ومن ذلك أن بعض اخوة المأمون قال له : "يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد أبي طالب وكذا كان أبوه قبله . فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد بمثل هذا القول ، فدس اليه رجلا ثم قال له : امض في هيئة القراء والنساك الى مصر ، فادع جماعة من كبرائها الى القاسم بن ابراهيم بن طباطبا (١) ، واذكر مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صر بعد ذلك الى بعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم ائته فادعه ورغبه في استجابته له ، وابحث عن دفين نيته بحثا شافيا ، وائتني بما تسمع

= وقد أشار الطبري الى أن الناس تحدثوا بالعراق أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون وأنه أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة وأنه يبرم الأمور على هواه ويستبد بالرأي دونه ، ويقول ابن طباطبا : "فكان قد قطع الأخبار عنه ومتى علم أن أحدا قد دخل عليه وأعلمه بخبر سعى في مكروهه وعاقبه فامتنع الناس من كلام المأمون فانطوت الأخبار عنه" . تاريخ الأمم والملوك ٥٢٨/٨ ، الفخري ص/٢١٨ . وهناك رواية يذكر فيها الثعالبي أن الذي أخبر المأمون بأمر الثورات جارية كانت له . تحفة الوزراء ص/٩٨ ، وقال الاسكافي ان ذلك عن طريق زوجته بنت موسى الهادي التي كانت مقيمة في بغداد ، لطف التدبير ص/٢٠٢-٢٠٣ ، فتنكر بعد ذلك للفضل بن سهل .

(١) هو : القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل الحسني العلوي ، أبو محمد ، المعروف بالرسي ، فقيه شاعر من أئمة الزيدية ، وهو شقيق ابن طباطبا : محمد بن ابراهيم ، كان يسكن جبال "قدس" من أطراف المدينة ، وأعلن دعوته بعد موت أخيه سنة ١٩٩هـ ومات في الرس ـ قرب المدينة سنة ٢٤٦هـ/٨٦٠م . الزركلي : الأعلام ١٧١/٥ .

منه .. ففعل الرجل ماقال له ، وأمره به ، حتى اذا دعا جماعة من الرؤساء والأعلام قعد يوما بباب عبد الله بن طاهر وقد ركب الى عبيد الله بن السرى (١) .. فلما انصرف قام اليه الرجل فأخرج من كمه رقعة فدفعها اليه فأخذها بيده ، فما هو الا أن دخل فخرج الحاجب اليه فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ، فقال له : قد فهمت مافى رقعتك من جملة كلامك فهات ماعندك ، قال : ولى أمانك وذمة الله معك ، قال : لك ذلك فأظهر له ما أراد ودعاه الى القاسم وأخبره بفضائله وعلمه وزهده ، فقال له عبد الله : أتنصفنى ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العباد ؟ قال : نعم ، قال : فهل يجب شكر بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة والتفضيل ؟ قال : نعم ، قال : فتجىء وانا فى هذه الحالة التى ترى لى خاتم فى المشرق جائز وفى المغرب كذلك وفيما بينهما أمرى مطاع ، وقولى مقبول ، ثم ماالتفت يمينى ولاشمالى وورائى وقدامى الارأيت نعمة لرجل نعمها على ، ومنه ختم بها رقبتى ، ويدا لائحة بيضاء ابتدانى بها تفضلا وكرما ، فتدعونى الى الكفر بهذه النعمة وهذا الاحسان ، وتقول : اغدر بمن كان أولا لهذا وآخرا .. فلما ايس الرجل مما عنده جاء الى المأمون ، فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك غرس يدى ، وألف أدبى ، وترب تلقيحى ، ولم يظهر من ذلك لأحد شيئا ، ولاعلم به عبد

---

(١) هو : عبيد الله بن السرى بن الحكم ، أمير مصر وابن أميرها ، بايع له الجند سنة ٢٠٦هـ وأقره المأمون ثم عقد المأمون لخالد بن يزيد الشيبانى على بعض أعمال مصر فامتنع عبيد الله عن قبوله وقاتله ، فنشبت فتنة انتهت بفشل خالد . ثم أقبل عبد الله بن طاهر الى مصر من قبل المأمون فانتهى أمره بأمان سنة ٢١١هـ ، ثم خرج الى المأمون وأقام فى العراق الى أن توفى بسر من رأى سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م .
انظر : الطبرى ٦١٥/٨ ، الزركلى : الأعلام ١٩٣/٤-١٩٤ .

الله الا بعد موت المأمون" .(١)

فعلى الرغم من علو منزلة عبد الله بن طاهر لدى المأمون ، وثقته بولائه ، وتقديره لجهوده ، فانه أرسل من يبلغه بحقيقة أمره قبل أن يقع منه مالايمكن تداركه ، نظرا لتمكنه من الدولة ، وماخص به من ولايات هامة فيها .

وقد أشارت بعض الروايات الى أن المأمون كان قد أوكل من يرصد له تصرفات عبد الله بن طاهر ، ونقلها اليه أولا بأول ، فقد قال المأمون لجلسائه يوما من أنبل الناس ؟ فأثنوا عليه فقال : "ذاك أبو العباس عبد الله بن طاهر دخل مصر وهى كالعروس الكاملة ، فيها خراجها وبها أموالها جمه ثم خرج عنها فلو شاء أن يخرج عنها بعشرة آلاف ألف دينار لفعل ، ولقد كان لى عليه عين ترعاه ، فكتب الى أنه عرضت عليه أموال لو عرضت على أو بعضها لشرهت اليها نفسى ، فما علمته خرج عن ذلك البلد الا وهو بالصفة التى قدم فيها" .(٢)

ويبدو أنه كان للمأمون أمناء على كبار موظفى الدولة فى مختلف الأعمال ، ومن هؤلاء القضاه ، فقد ذكر أحوال القضاه يوما فقال : "ولينا رجلا .. قضاء دمشق وأجرينا عليه ألف درهم فى الشهر .. فأقام بها أربعة عشر شهرا فوجهنا من يتبع أمواله فى السر والعلانية ، ويتعرف حاله ، فأخبر أنه

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص/٨١-٨٢ ، الطبرى : تاريخ ٨/٦١٥-٦١٦ ، مسكويه : تجارب الأمم ٦/٤٦١-٤٦٢ ، ابن أعثم : الفتوح ٨/٣١٩-٣٢٠ ، البيهقى : المحاسن ص/١١٥-١١٦ ، الظاهرى : زبدة كشف الممالك ص/٨١ ، الأبشيهى : المستطرف ١/٢٠٠ ، العيون والحدائق ٣/٣٦٩-٣٧٠ .

(٢) البيهقى : المحاسن ص/١٥٠ . انظر أيضا الشابشتى : الديارات ص/١٣٦-١٣٧ .
وقد وصف عبد الله بن طاهر بالنزاهة عن الأموال ، انظر ابن طيفور : بغداد ص/٨٣ ، الأبشيهى : المستطرف ١/١٣٥.

وجد ماظهر من ماله فى هذا المقدار من دابة وغلام وجارية وفرش وأثاث فيه ثلاثة آلاف دينار ، ووليناه رجلا .. نهاوند فأقام أربعة وعشرين شهرا فوجهنا من يتبع أمواله فأخبرنا أن فى منزله خدما .. بقيمة ألف وخمسمائة دينار سوى نتاج قد اتخذه .." (١).

وقد أشير الى استعانة المأمون برجل من أهل دمشق ليكاتبه بأحوال بلده ، بعد أن علم وفاءه وأنه محل الثقة ، فكانت كتبه تصل الى المأمون فى خرائط صاحب البريد (٢)، كما بعث سرا برجل من "أرباب دولته" ليخبره عن سيرة أحد عماله فقدم على العامل موهما اياه انه من التجار ، ولما علم حقيقة أمره ، كتب الى المأمون كتبا بذلك ، ظاهره الثناء عليه وهو يكنى بمعانيه ، "فلما جاء الكتاب المأمون عزله لوقته وولى غيره" (٣). وكان المأمون يدعو أحيانا رجلا من جلسائه اسمه محمد بن خليل "فيقول له ماتقول العامة ويتحدث به الناس" (٤).

وقدكان العمال يرفعون الى المأمون أخبار بعضهم البعض (٥)

---

(١) البيهقى : المحاسن ص/١٥١ . ويقصد بالنتاج : الخيل والابل .

(٢) الأبشيهى : المستطرف ١/٢٤٠-٢٤٣ ، الأحدب : الذيل الثانى لكتاب المستطرف للابشيهى ٢/٢٦ .

(٣) الأبشيهى : المستطرف ١/٤٣-٤٤ ، ابن حجه الحموى : الذيل الأول للمستطرف ٢/٢٠٣-٢٠٤ .

(٤) ابن طيفور : بغداد ص/١٣١-١٣٢ .

(٥) انظر الصابى : رسوم دار الخلافة ص/٣٩ فقد طلب المأمون من مخلد بن أبان الكاتب متولى الضياع العامة ، أن يرفع اليه حساب فرج بن زياد الرخجى متولى الضياع الخاصة ، لعلمه أن مخلد أعلم الناس بمالديه من أموال بعد أن أحرقت الدواوين فى فترة الصراع الذى قام بين الأمين والمأمون ، حيث طلب منه عمل مشاهرة بما يلزمه من أموال .
انظر أيضا الدافع وراء محاسبة قائد الحرس على بن هشام حيث رفع فيه أبو سعيد محمد بن يوسف الطائى وعبد الرحمن بن حبيب وغيرهما من أصحاب محمد بن حميد =

وكان المأمون يتأكد مما يرفع اليه من أخبار (١)، حتى لايدع للسعاة طريقا لتحقيق أهدافهم (٢)، ولاشك أن دقة الأخبار التى كانت تصل الى المأمون، تشير الى اعتماده كثيرا على الأمناء (٣).

وتجدر الاشارة الى أن بعض الولاه فى عهد المأمون كانوا يعتمدون على الأمناء فى معرفة سيرة العمال التابعين لادارته فقد جاء فى كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله عندما ولاه المأمون ديار ربيعة "اجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لأمره كله" (٤).

وفى عهد المعتصم نجد أن للأمناء دوراً فى كشف خطط الافشين الهادفة الى الاستقلال عن الدولة، فقد كان عبد الله

= الطوسى. اليعقوبى : تاريخ ٢/٤٦٦-٤٦٧، أيضا الكندى الولاه والقضاه ص/٤٤٠،٤٤١ حيث أشار الى أن قاضى مصر المنكدر كتب الى المأمون فى المعتصم عندما أراد أن يوليه مصر. وقال الأزدى وابن دحية بل وشى به القاضى يحيى بن أكثم فعزله. أخبار الدول ص/١٧٥، النبراس ص/٦٣.
كما كان الولاه يخبرون المأمون بأحوال الجند التابعين لولاياتهم كما فعل عمرو بن مسعده عندما كتب الى المأمون عن تأخر أرزاق الجند. فأمر بصرفها لهم. الخفاجى الحلبى : سر الفصاحة ص/٢١٢، ابن خلكان : وفيات ٣/٤٧٨.

(١) انظر الطبرى : تاريخ ٨/٦٠٢.

(٢) كان المأمون لايقبل الوشاية وقد نصح أبناءه بأن لايدعوا للوشاة طريقا للنيل من أعدائهم.
انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢/٣٣١-٣٣٢، البيهقى : المحاسن ص/١٢٠، ابن خلكان : وفيات ٣/٤٧٦ محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ٢/٢٣١.

(٣) انظر الجاحظ : التاج ص/١٧٠، ياقوت : معجم البلدان ٢/٥٤٠، انظر أيضا ماذكرته بعض المصادر من أنه كان للمأمون من يستعين به على تفقد أحوال الناس : القرمانى : أخبار الدول ص/١٥٣، الأزدى : أخبار الدول المنقطعة ص/١٥٧، ابن دحية : النبراس ص/٤٨، ابن دقماق : ابراهيم بن محمد العلائى (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) : الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، (بدون) ص/١٠٦.

(٤) الطبرى : تاريخ ٨/٥٨٩.

ابن طاهر يكتب الى المعتصم بخبر مايرسل به الافشين من هدايا أهل أرمينية الى بلده اشروسنه ، وذلك اثناء حربه لبابك الخرمى ، فلما بلغ ذلك المعتصم أمر عبد الله بن طاهر أن يتعرف جميع مايوجه به الأفشين من الهدايا الى اشروسنه فقام بما أمر به" (١) .

كما كان للأمناء دور فعال أثناء محاكمة الافشين ، حيث أوضحوا أطماعه ومخالفاته ، وحقيقة معتقده (٢) .

ومن أمثلة دور الأمناء فى تحريك الرقابة الادارية أيضا أن عاملا تولى من الخراج والحرب ماكان يتولاه خالد بن يزيد ابن مزيد الشيبانى ، رفع الى المعتصم "أن خالدا اقتطع الأموال و احتجن بعضها ، فغضب المعتصم وحلف ليأخذن أموال خالد وليعاقبه وينفيه .. وأحضر له آلات العقوبة وكان قبل ذلك قبض أمواله وضياعه وصرفه عن العمل .." (٣) .

وفى عهد الواثق نجد أن الوزير محمد بن عبد الملك الزيات كان وراء كشف خيانات الكتاب الذين تمت محاسبتهم سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م ، غير أن مايلفت النظر هو وصف المصادر عمل

---

(١) الطبرى : تاريخ ١٠٤/٩-١٠٥ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥١٦/٦-٥١٧ .

(٢) الطبرى : تاريخ ١٠٧/٩-١١٠ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٢٠/٦-٥٢٥ ، كما كان للأمناء دور فى عزل الوزير الفضل ابن مروان حيث أخبر المعتصم أحد جلسائه أن الفضل لاينفذ أوامره .
الطبرى : تاريخ ١٩/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٤٨١/٦ .

(٣) التنوخى : نشوار ١٩١/٧ ، ثم شفع فيه ابن أبى دؤاد فعفا عنه المعتصم ١٩١/٧-١٩٢ .
والذى يفهم من الرواية أن المعتصم ولى عاملا على أعمال الحرب والخراج مكان خالد بن يزيد ، أى بعد عزل خالد عنها ، غير أنه جاء فى آخر الرواية مايفيد أن المعتصم عزل خالدا عن عمله بعد أن أخبره العامل الجديد بما أخذ من الأموال . والذى يبدو أن العامل الجديد عين على بعض أعمال الحرب والخراج التى كان يتولاها خالد بن يزيد مع بقاء خالد على باقى الأعمال حيث عزل فيما بعد .

ابن الزيات هذا بأنه ضرب من الوشاية والاغراء الذى تقبله الواثق دون بحث أو تدقيق (١) فى حين نجد أنها فى أحداث أخرى تنفى قبول الواثق للوشاية ، وحرصه على التحقق مما يرفع اليه من أخبار (٢) .

ولما تولى المتوكل الخلافة اهتم كثيرا بالأمناء واعتمد على أخبارهم حتى انه أوكل الى نجاح بن سلمه (٣) ـ متولى ديوان التوقيع ـ متابعة أحوال العمال حيث نص الطبرى على أن نجاح ابن سلمه "كان على ديوان التوقيع والتتبع على العمال" (٤) ، ويبدو أن منصبه هذا كان ذا منزلة عالية نظرا لأهمية العمل الذى يقوم به ، لذلك "كان جميع العمال يتقونه ويقضون حوائجه ، ولايقدرون على منعه من شئ يريده" (٥) .

ولم يكن يمنع نجاح بن سلمه من القيام بمهمته مالبعض العمال من منزلة رفيعة ، فقد كان الحسن بن مخلد ـ متولى ديوان الضياع ـ وموسى بن عبد الملك ـ متولى ديوان الخراج

---

(١) انظر الأصفهاني : الأغاني ٢٨٦/٢٠-٢٨٧ ، التنوخي : الفرج بعد الشدة ٦٣/٢ . انظر أيضا ماذكره الأصفهانى من قيام أحمد بن أبى دؤاد بالسعى على محمد بن عبد الملك الزيات حتى قبض عليه الواثق . وكان مما سعى به عليه أنه قد عزم على الفتك به والتدبير عليه .

(٢) انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥٠/٤ ، الخطيب : تاريخ ١٤٧/٤ ، ابن خلكان : وفيات ٣٩٨/١ ، ابن دحيه : النبراس ص/٧٧-٧٨ .

(٣) أبو الفضل نجاح بن سلمة : كان كاتب ابراهيم بن رباح الجوهرى ، كما تولى الضياع ، ثم ولاه المتوكل ديوان التوقيع والتتبع على العمال ، وكان يرسله فى قبض أموال المصادرين ، توفى سنة ٢٤٥هـ كما جاء فى رواية الطبرى ، وقال اليعقوبى سنة ٢٤٦هـ .
انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٩٢/٢ ، الطبرى : تاريخ ١٦١/٩، ٢١٤، ٢١٧ .

(٤) تاريخ ٢١٤/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٢/٦ ، وقد ذكر اليعقوبى أنه كان قد تولى ديوان التوقيع زمن المتوكل محمد بن الفضل ثم صير مكانه عبيد الله بن يحيى بن خاقان . تاريخ ٤٨٩/٢ . ونص الطبرى على أنه كان لنجاح ابن سلمه "توقيع العامة" ومن بعده ضم الى عبيد الله ابن يحيى . تاريخ ٢١٥/٩، ٢١٧ .

(٥) الطبرى : تاريخ ٢١٤/٩ .

"منقطعين الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو وزير يحملان اليه كل مايأمرهما به" . ومع ذلك كتب نجاح "رقعة الى المتوكل فى الحسن وموسى يذكر أنهما قد خانا وقصرا فيما هما بسبيله ، وأنه يستخرج منهما أربعين ألف درهم" (١) .

---

(١) الطبرى : تاريخ ٢١٤/٩ ، مسكويه : تجارب الأمم ٥٥٢/٦ . وقد وعد المتوكل أن يدفعهما الى نجاح فى الغد ورتب أصحابه لأخذهما ، فلما غدا نجاح الى المتوكل لقيه الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فخدعه حتى لايكمل مهمته ، وطلب منه أن يكتب الى المتوكل رقعة أخرى يعتذر مما قاله بالأمس ففعل ذلك نجاح ، فدخل عبيد الله على المتوكل بالرقعة وقال : "ياأمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قال البارحة ، وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان به بما كتبا ، فتأخذ ماضمنا عنه ، ثم تعطف عليهما ، فتأخذ منهما قريبا مما ضمن لك عنهما ، فسر المتوكل .. فقال : ادفعه اليهما ، فانصرفا به .. وصار به موسى الى ديوان الخراج ، ووجها الى ابنيه أبى الفرج وأبى محمد ، فأخذ أبو الفرج وهرب أبو محمد .. وأخذ كاتبه اسحاق بن سعد بن مسعود القطربلى ، وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب - وكان انقطاعه الى نجاح - فأقر لهما نجاح وابنه بنحو من مائة وأربعين ألف دينار سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما بسامراء وبغداد ، وسوى ضياع لهماكثيرة ، فأمر بقبض ذلك كله ، وضرب مرارا بالمقارع .. وضرب ابنه محمد وعبد الله بن مخلد واسحاق بن سعد .. فأقر اسحاق بخمسين ألف دينار ، وأقر عبد الله بن مخلد بخمسة عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار .. وأخذ جميع مافى دار نجاح وابنه أبى الفرج من متاع ، وقبضت دورهما وضياعهما حيث كانت وأخرجت عيالهما . وأخذ وكيله بناحية السواد وهو ابن عياش فأقر بعشرين ألف دينار .." . الطبرى : المصدر السابق ٢١٥/٩ .
وذكر رواية أخرى تفيد أن نجاح كان قد رفع الى المتوكل فى جماعة من الكتاب عندما عزم على بناء الجعفرى حيث قال : "ياأمير المؤمنين أسمى لك قوما تدفعهم الى حتى استخرج لك منهم أموالا تبنى بها مدينتك هذه .. فقال له سمهم ، فرفع رقعة يذكر فيها موسى بن عبد الملك وعيسى بن فرخانشاه خليفة الحسن بن مخلد ، وزيدان بن ابراهيم ، خليفة موسى بن عبد الملك وعبيد الله بن محمد وأخويه عبد الله بن يحيى وزكريا وميمون بن ابراهيم ، محمد بن موسى المنجم وأخاه أحمد ابن موسى، وعلى بن يحيى بن أبى منصور وجعفرا المعلوف مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحوا من عشرين رجلا" . ثم قام عبيد الله بن يحيى بمناظرة المتوكل وصرفه عما عزم عليه من مصادرة هؤلاء الكتاب وأغرى بنجاح بن سلمة فدفعه الى موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد فعذباه حتى مات ولم يحصلا على الأموال التى ضمناها من قبل =

والراجح أن نجاح بن سلمه لم يكن يتتبع مايقوم به العمال من ظلم للرعية وتجاوزات لسلطاتهم ، أو ارتكابهم للأخطاء الادارية ، وانما مهمته تتبع خياناتهم المالية والبحث عن مصادر ثرواتهم ، ثم رفع أسمائهم الى الخليفة (١).

وقد كان المتوكل يسأل ثقاته عن أحوال وزرائه وعماله فقد سأل أبا العيناء (٢) - وكان يدخل عليه - ماتقول فى عبيد الله بن يحيى - الوزير - فقال فيه خيرا وأثنى عليه حيث قال : "العبد لله ولك ، منقسم بين طاعتك وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وماعاد بصلاح رعيتك على كل لذة" ، كما سأله عن ميمون بن ابراهيم - صاحب البريد - فلم يثن عليه (٣).

كما كان العمال يرفعون الى المتوكل عن سيرة بعضهم البعض (٤) ، فكان يتحقق من صحة مايرفع اليه من أخبار ، حيث أنه لم يكن يقبل السعايات (٥).

= نجاح "فما أتى على ذلك الا يسيرا" . المصدر السابق ٢١٥/٩-٢١٧ . أيضا مسكويه : المصدر السابق ٥٥٣/٦-٥٥٤ انظر أيضا الخطيب الاسكافى : لطف التدبير ص/٦٢-٦٣ . وعن سخط المتوكل على نجاح بن سلمه ، ودفعه الى موسى ابن عبد الملك والحسن بن مخلد ووفاته . انظر اليعقوبى : تاريخ ٤٩٢/٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣٥٤/١ ، ٣٤٦/٤-٣٤٧ .

(١) كان المتوكل يوجه بجناح بن سلمه لقبض أموال المصادرين . انظر الطبرى : تاريخ ١٦١/٩ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمى بالولاء - الضرير - مولى أبى جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر والأدب أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة ، يعرف بأبى العيناء ، كان من أفصح الناس وأحفظهم . توفى سنة ٢٨٢هـ وقيل ٢٨٣هـ. انظر : ابن خلكان : وفيات ٣٤٣/٤-٣٤٨ ترجمة رقم ٦٤٣ .

(٣) الشابشتى : الديارات ص/٩٠ .

(٤) انظر الأصفهانى : الأغانى ٧١/١٠ ، ١٦٠/٢٢-١٦٢،١٦٤ ، التنوخى : نشوار ١٢/٢-١٧ .

(٥) الأصفهانى : الأغانى ٢٥٠/١٠،٢٥٨ ، التنوخى : نشوار ١٢/٢ ، الثعالبى : تحفة الوزراء ص/٧٢-٧٣ . وقد ذكرت بعض المصادر أن من أسباب ايقاع المتوكل بوزيره ابن الزيات سعاية ابن أبى دؤاد به . انظر الأصفهانى : الأغانى ٧٧/٢٣-٧٨ ، الخطيب : تاريخ ٢٤٣/٢ ابن خلكان : وفيات ١٠٠/٥ .

ومما سبق يتضح دور الوفود والأمناء فى تحريك الرقابة الادارية ، سواء قبل وقوع الأحداث أو بعد وقوعها . وكذلك دورهم فى التأكد من صحة الأخبار التى يكتب بها ولاة البريد ويرفعها أصحاب المظالم . اضافة الى ماسبقت الاشارة اليه من دور الوفود والأمناء فى اختيار عمال الدولة (١) .

---

(١) انظر البحث موضوع اختيار الولاه والقضاه . الفصل الأول المبحث الأول .

خاتمة

تتضمن أهم نتائج البحث

خاتمة البحث

لقد تناول البحث التعريف بمعنى الرقابة الادارية ، وتحديد مفهومها اللغوى ، وبيان أنواعها ، كما أثبت مشروعيتها من خلال قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بها ، وخلفائه الراشدين ، ومن تبعهم من خلفاء الدولة الاسلامية ، وتأكيد علماء الفقه الاسلامى على ضرورة اعمالها ، وان ذلك نابع من مفهوم الولايات ومقصودها فى الاسلام ، فأصبحت بذلك احدى الأسس الثابتة فى النظام الادارى الاسلامى منذ نشأته .

كما قام البحث ببيان مفهوم الرقابة الادارية فى الادارة المعاصرة ، ومفهومها فى النظام الادارى الاسلامى ، من خلال التعرف على مراحل نشأتها وتطورها فى الدولة الاسلامية ، حيث اتضح أن الرقابة الادارية فى الاسلام تتم عن طريق الرقابة الذاتية التى كان يمارسها العامل على نفسه من خلال الوازع الدينى الذى أوجدته عقيدة الاسلام الصادقة ، وكذلك من خلال الرقابة الرئاسية التى كان يمارسها الرسول صلى الله عليه وسلم على العمال فى عصر النبوة وخلفاؤه الراشدون من بعده . كما كان يقوم بالرقابة الادارية الرئاسية أيضا كل مسؤول على من هو دونه وفق التسلسل الوظيفى .

وعندما ضعف الوازع الدينى لدى بعض العمال أصبح هناك اهتمام أكبر فى الأخذ بالرقابة الادارية الرئاسية وذلك منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ومع تقدم العهد ظهرت الحاجة الى وجود أجهزة خاصة بالرقابة الادارية ، وهى مايعرف بالدواوين وقد بدأ الاعتماد عليها بشكل كبير منذ العصر الأموى ، مع

التأكيد على الرقابة الادارية الرئاسية ، أما الرقابة الذاتية فهى عائده الى مدى صحوة الوازع الدينى لدى العامل وليست ضمن التدابير الادارية التى تقوم بها الدولة لمراقبة العمال ، فأصبحت الرقابة الادارية الرئاسية ورقابة الدواوين هما نوعا الرقابة اللتان كانتا قائمتين خلال العصر الأموى ، والعصر العباسى ـ فترة البحث ـ .

وهناك عدة نتائج توصل اليها البحث فيما يخص الرقابة الادارية خلال فترة الدراسة ، يمكن أن نلخصها فيما يلى :

* أن الرقابة الادارية تطورت فى العصر العباسى ـ خلال فترة البحث ـ فاضافة الى قيام الخليفة بمهمة الرقابة الادارية الرئاسية ، برز دور كبار العمال أيضا فى هذا النوع من الرقابة والمتمثل فى رقابة الوزراء وقضاه القضاه حيث استحدث هذان المنصبان فى العصر العباسى ، كما ظهر فى هذه الفترة دور المحتسب فى الرقابة الادارية وكذلك دور المشرف على الولاه وعمال الخراج ،اضافة الى استمرار الدور الرقابى الذى كان يقوم به الولاه والقضاه ، كما برز أيضا دور الدواوين فى الرقابة الادارية حيث استحدثت دواوين ذات مهمة رقابية تتمثل فى ديوان المظالم ، ودواوين الأزمة ، وديوان زمام الأزمة .

* ان غالبية خلفاء بنى العباس ـ فى هذه الفترة ـ كانوا يباشرون مهمة الرقابة الادارية بأنفسهم ، ابتداء باختيار كبار العمال ، ومراعاة الكفاءة الادارية اللازمة فيهم ، ومن ثم القيام بالاشراف على أعمالهم واصدار التوجيهات المناسبة اليهم ، وأخيرا متابعتهم ومحاسبتهم على الأخطاء التى تصدر عنهم ، ويمكن متابعة ذلك باختصار فيما يلى :

أولا : فيما يخص اختيار كبار العمال فقد أوضح البحث أهمية هذا الجانب من الرقابة الادارية الرئاسية ، كما قام بعرض قواعد اختيار الوزراء والولاه والقضاه ، والكتاب وولاة الدواوين ، وغيرهم من كبار العمال الذين تنقلوا فى أكثر من منصب ادارى ، مثل قضاة القضاه ، والحجاب ، وقادة الجيوش ، وقادة الحرس ، وولاة الشرط ، وأمراء الحج . حيث كان يراعى فيهم ملاءمتهم للمناصب التى يختارون لها ، وتوفر شروط الكفاءة اللازمة فيهم ، وهذا نابع من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ومن تبعهم من خلفاء الدولة الاسلامية ، وقد أوضح علماء الفقه الاسلامى ضرورة اختيار أصحاب المناصب ، وقيام الخليفة بذلك وفق شروط الكفاءة المطلوبة ، وان الخليفة ليس حرا فى اختيار أصحاب المناصب ، وان التدقيق عند الاختيار من واجبات الخليفة ، ومن حقوق الرعية عليه ، فيختار الأصلح لكل منصب ويجتهد فى ذلك .

وقد تبين لنا أن الخلفاء عادة ماكانوا يختارون العمال من ذوى الكفاءة العالية ، وان كانت هناك بعض التجاوزات اليسيرة ، مع العلم أن معظم الخلفاء مع حرصهم على تولية المناصب من هم أهل لها ، كانوا يلحون عليهم مع السؤال عمن يختار للعمل واستخارة الله فيه ، والمشاورة فى اختياره ، أضف الى ذلك أنه كان فى بعض الأحوال لخدمة الدولة والجهود فى سبيلها دور فى الاختيار ، اضافة الى الولاء وحسن السمع والطاعة ، كل ذلك يأتى بعد تقدم الشخص المختار فى مجال عمله ، واتصافه بالأخلاق الحميدة ، مع مراعاة المذهب الذى ينتحله ، ومقدار السن التى بلغها .

ثانيا : مايخص الاشراف والتوجيه فان لذلك أصولا فى تاريخ الادارة الاسلامية منذ نشأتها ، وقد أوضح البحث ذلك عند الحديث عن هذا الموضوع ، كما أوضح أيضا أن السمة العامة لخلفاء بنى العباس - فى هذه الفترة - هو الاشراف على شئون الدولة ، وحرصهم على توجيه كبار الموظفين فى مختلف الأعمال ، غير ان التفاوت كان واضحا بين الخلفاء فى الاهتمام بالاشراف والتوجيه ، فقد ساد فى عهد بعض الخلفاء نفوذ بعض الشخصيات التى شاركت الخليفة مهام دولته ، أو استقلت بها دونه ، اختيارا أو اضطرارا . ومن أمثلة ذلك ماكان من نفوذ الوزير أبى سلمة الخلال ، وقائد جيوش الدعوة أبى مسلم الخراسانى فى خلافة أبى العباس السفاح ، وكذلك نفوذ بعض وزراء المهدى ، وماكان من نفوذ وزراء الرشيد من البرامكة وقوة سلطانهم ، وماكان من نفوذ الوزير الفضل بن الربيع فى عهد الأمين ، والوزير الفضل بن سهل فى عهد المأمون ، وظهور أكثر من شخصية لها نفوذ فى زمن المعتصم سواء الوزراء أو قادة الجيوش من الأتراك ، أو قاضى القضاه أحمد بن أبى دؤاد ، واستمرار هذا الوضع خلال فترة خلافة الواثق وبداية عهد المتوكل ، الذى تخلص من نفوذ هذه الشخصيات جميعا ، الا انه لم يلبث أن عاد الى اعطاء وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان سلطات كبيرة .

كما أوضح البحث أن ترتيب الخلفاء لوقتهم ، واهتمامهم بالجلوس للناس ، والنظر فى المظالم ، وتطوير طرق ووسائل الرقابة من بريد وعيون ، يؤدى الى اشراف دقيق ومنظم .

كما أوضح البحث فى هذا الموضوع دور الخيزران فى الحكم ، فى خلافة زوجها المهدى ومن بعده فى عهد ابنيها

الهادى والرشيد ، وأكد على أن دورها لم يكن مشاركة الخليفة فى ادارة شئون الدولة ، وانما التوسط لديه فى حاجات من يقصدها من الناس .

كما أشار البحث الى خروج بعض المناطق عن ادارة الدولة العباسية وذلك فى عهد الرشيد ، حيث استقل بنو الأغلب بولاية افريقية ومايتبعها اداريا ، وظل الوضع قائما حتى نهاية فترة الدراسة ، كما أشار الى استقلال بنى طاهر - تقريبا - بادارة ولاية خراسان ومايتبعها اداريا من بلاد المشرق منذ عهد المأمون ومن تبعه من الخلفاء خلال فترة الدراسة .

ثالثا : المتابعة والمحاسبة وهى آخر عمليات الرقابة الادارية الرئاسية ، وقد أكد البحث أيضا على أن لها أصولا فى الادارة الاسلامية منذ نشأتها ، كما أوضح أن غالبية خلفاء بنى العباس - خلال فترة البحث - يحرصون على القيام بهذه المهمة ، وهناك أحداث بارزة تطرق اليها البحث فى هذا الموضوع لعل أهمها ماقام به السفاح من محاسبة لوزيره أبى سلمة الخلال ، ومحاسبة المنصور لقائد جيوش الدعوة أبى مسلم الخراسانى ، والوزير أبى أيوب الموريانى ، وخالد بن برمك ومحاسبة المهدى لوزيريه معاوية بن يسار ، ويعقوب بن داود ومحاسبة الرشيد لوزرائه من البرامكة ، ووالى اقليم خراسان على بن عيسى بن ماهان ، ومحاسبة المأمون لوزيره الفضل بن سهل ، ووالى كور الجبال وأذربيجان وكور أرمينية على بن هشام ، ومحاسبة المعتصم لقائد جيوشه الافشين - خيذر بن كاوس - ومحاسبة الواثق للكتاب والعمال ، ومحاسبة المتوكل لوزيره محمد بن عبد الملك الزيات ، ولقاضى القضاه أحمد بن

أبى دؤاد ، وابنه محمد بن أحمد ، ومحاسبة القائد ايتاخ .

وقد أوضح فى هذا الصدد أسباب المحاسبة وأساليبها ، ومايتم خلال ذلك من متابعة للعمال ، ولعل افراد المتوكل وظيفة خاصة بالتتبع على العمال فى عهده ، أكبر دليل على مدى تنظيم هذا الجانب من الرقابة الادارية ، كما أشير الى مايعقد مع العامل المحاسب من مناظرة ، وتدقيق فى الأخبار المنقولة ، والتأكد من صحتها ، وكشف البحث أن المحاسبة لها أسباب ودوافع ، وليست كما تصورها روايات بعض المصادر على انها بدافع الانتقام ، والحصول على الأموال ، وأوضح أن أسباب المحاسبة عادة ماتكون لخيانة العامل المالية ، أو لسوء ادارته لما تحت يديه من أعمال ، أو لعدم كفاءته ، أو لاستقلاله بالسلطة ، أو لظلمه الرعية ، أو لعدم تنفيذه للأوامر الصادرة اليه ، أو لانحرافاته العقدية ، أو لعدم ولائه للدولة ، وقد كانت العقوبة تتناسب مع مقدار الخطأ الذى ارتكبه العامل .

* أوضح البحث دور كبار العمال فى الرقابة الادارية من وزراء ، وولاه ، ومشرفين ، وقضاة قضاه ، وقضاه ، ومحتسبين ومالهم من سلطة ونفوذ ، حيث استطاع بعض الوزراء أن يستبدوا بالسلطة فى عهد مجموعة من الخلفاء ، وماكان من نفوذ بعض الولاه ، واستقلال بعضهم بادارة ولايته ، كما حدد عمل المشرف ومدى سلطته ، وطبيعة وظيفته ، ودوره فى الرقابة ، كما حدد دور قاضى القضاه فى الرقابة الادارية ومدى سلطته ، والاشارة الى من استقل منهم بالسلطة ، ودور القاضى والمحتسب فى الرقابة .

* فصل البحث القول في موضوع رقابة الدواوين ، وابان اهميتها ، وسبب انشائها عموما ، والتعرف على دور الدواوين ذات الطابع الرقابي التي استحدثت في العصر العباسي ، وهي ديوان المظالم ، ودواوين الأزمة ، وديوان زمام الأزمة ، وأوضح حدود سلطتها وبيان مهامها في المتابعة والمحاسبة ، كما أشير الى مايتم داخل الدواوين من تنظيم رقابي ، تختص به المجالس الرقابية ، وكذلك معرفة أعمال الدفاتر والمستندات الحسابية التي كانت تجري في الدواوين ، لضمان دقة العملية الرقابية .

* تحدث البحث باسهاب عن أهم طرق ووسائل الرقابة الادارية ، وأكد الدور الرقابي الهام الذي كان يقوم به ديوان البريد ، والذي يعتبر أهم وأسع طرق الرقابة الادارية وأشير الى اهتمام معظم خلفاء بني العباس بالبريد وتطويره والحرص على مطالعة أخباره ، وعدم تأخيرها ، ونشر ولاة البريد في الآفاق ، ومنحهم صلاحيات تمكنهم من حضور مجالس الولاه والقضاه والدواوين ، ونقل مايجري فيها من أحداث ، كما أشير الى دور التظلم والاستعداء والوفود والأمناء في نقل الأخبار الى الخليفة ، وقيام الخليفة بمقارنة الأخبار التي تصل اليه عموما ، حتى يصل الى حقيقة الأمور .

وأخيرا فانني من خلال دراستي لموضوع البحث أرى أن المجال واسع أمام الباحثين لدراسة موضوع الرقابة الادارية خلال الفترة التالية من العصر العباسي ، وماتلاه من فترات ، على الرغم من تجاذب السلطة بين الخلفاء وأصحاب النفوذ في فترات مختلفة ، بل ربما بعد بعض الخلفاء عن مباشرة مهام الخلافة لقوة أصحاب النفوذ وعظم سلطانهم ، لاسيما قادة

الجيوش من الأتراك خلال العصر العباسى الثانى ، ذلك أن دراسة هذه الفترة يكمل لنا خط سير الرقابة الادارية بين الاهتمام بها ، والاهمال لأمرها ، أضف الى ذلك أن موضوع قواعد اختيار العمال من المواضيع الهامة فى تاريخ الادارة الاسلامية ، وقد نبه علماء الفقه الاسلامى الى أهمية اختيار العمال وأن ذلك ضرورى لصلاح الأعمال ، كما أثبت بعض المؤرخين المتقدمين أن سبب الفتن ، وضعف الدول وسقوطها ، هو بسبب تولية المناصب من ليسوا بأهل لها .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه الى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

ملاحق

الملحق الأول

تفاصيل أحداث محاسبة والي مصر

موسى بن عيسى الهاشمي(*)

"كان موسى بن عيسى الهاشمي يتقلد للرشيد مصر ، وكثر التظلم منه ، واتصلت السعايات به ، وقيل انه قد استكثر من العبيد والعدة ، فقال الرشيد ليحيى : اطلب لى رجلا كاتبا عفيفا ، يكمل لمصر ، ويستر خبره ، فلايعلم موسى بن عيسى به حتى يفجأه ، قال : قد وجدته ، قال : من هو؟ قال عمر بن مهران ، فأمر باحضاره ، قال عمر بن مهران : فلقيت يحيى بن خالد ، فعرفني ماجرى ، وراح بى الى دار الرشيد ، فلما صلى المغرب دعاني ، فوصلت اليه وهو خال ، وبين يديه يحيى بن خالد ، فاستدناني ، ونحى الغلمان ، وأعلمني ماندبني اليه وامرني أن أستر خبرى ، حتى أفاجيء موسى بن عيسى ، فأتسلم العمل منه ، فأعلمته أنه لايقرأ لى ذكرا فى كتب أصحاب الأخبار حتى أوافى مصر . ثم كتب لى كتابا بخطه الى موسى بن عيسى بالتسليم ، وودعت يحيى ، وعدت الى منزلي ، فخرجت منه من غد بكرا ... وأظهرت أنني وجهت ناظرا فى أمور بعض العمال ، حتى بلغت الأنبار ، ثم تجاوزتها بلدا بلدا ، كلما وردت بلدا توهم من معى انى قصدته ، وليس يعرف خبرى أحد من أهل البلدان التى أمر بها فى نزولي ونفوذي ، حتى وافيت

(*) الجهشياري : الوزراء ص/٢١٧-٢٢٠ وذلك فى عهد الرشيد سنة ١٧٦هـ .

الفسطاط ، فنزلت جنانا وخرجت منه وحدى فى زى متظلم أو تاجر ، فدخلت دار الامارة وديوان البلد وبيت المال ، وسألت وبحثت عن الأخبار ، وجلست مع المتظلمين وغيرهم ، فمكثت ثلاثة أيام أفعل ذلك ، حتى عرفت جميع ما احتجت اليه ، فلما نام الناس فى ليلة اليوم الرابع دعوت أصحابى ، فقلت للذى أردت استكتابه على الديوان : قد رأيت مصر ، وقد استكتبتك على الديوان ، فبكر اليه ، فاجلس فيه ، فاذا سمعت الحركة فاقبض على الكاتب ، ووكل به وبالكتاب والأعمال ، ولايخرج من الديوان أحد حتى أوافيك ، ودعوت بآخر ، فقلدته بيت المال وأمرته بمثل ذلك ، وكان بيت المال فى دار الامارة ، وقلدت الآخر عملا من الأعمال بالحضرة ، وأمرتهم أن يبكروا ، ولايظهروا أنفسهم حتى يسمعوا الحركة ، وبكرت فلبست ثيابى ... ومضيت الى دار الامارة ، فأذن موسى للناس اذنا عاما ، فدخلت فيمن دخل ، فاذا موسى على فرش ، والقواد وقوف عن يمينه وشماله ، والناس يدخلون فيسلمون ويخرجون ، وأنا جالس بحيث يرانى ، وحاجبه ساعة بساعة يقيمنى ويقول لى : تكلم بحاجتك ، فأعتل عليه ، حتى خف الناس ، فدنوت منه ، وأخرجت اليه كتاب الرشيد ، فقبله ، ووضعه على عينه ، ثم قرأه ، فامتقع لونه ، وقال : السمع والطاعة ، تقرىء أبا حفص السلام ، وتقول له : ينبغى أن تقيم بموضعك ، حتى نعد لك منزلا يشبهك ، ويخرج غدا أصحابنا يستقبلونك ، فتدخل مدخل مثلك ، قال : فقلت له : أنا أعزك الله عمر بن مهران وقد أمرنى أمير المؤمنين باقامتك للناس ، وانصاف المظلوم منك ، وأنا فاعل ذلك ، فمن أوضح ظلامته ، ووجب له عليك حق غرمته عنك من مالى ، ومن وجدته كاذبا عاملته بحسب

مايستحقه ... واضطرب الصوت فى الدار ، فقبض كاتبى على الديوان ، وصاحبى الآخر على بيت المال ، وختما عليهما ، ووردت عليه رقاع أصحاب أخباره بذلك ، فنزل عن فرشه ، وقال لااله الا الله ، هكذا تقوم الساعة ! ماظننت أن أحدا بلغ من الحزم والحيلة مابلغت ، قد تسلمت الأعمال وانت فى مجلسى! ثم نهضت الى الديوان ، فقطعت أمور المتظلمين منه ، وأزلت ظلاماتهم وقطعتها ، وأحسنت الى موسى بن عيسى ، وانصرفت من مصر ... وكان ذلك فى سنة ست وسبعين ومئة " .

الملحق الثاني

تفاصيل أحداث محاسبة والي خراسان

علي بن عيسى بن ماهان (*)

"لما عزم الرشيد على عزل على بن عيسى دعا ... هرثمة بن أعين مستخليا به فقال : انى لم أشاور فيك أحدا ، ولم أطلعه على سرى فيك ، وقد اضطرب على ثغور المشرق ، وأنكر أهل خراسان أمر على بن عيسى ، اذ خالف عهدى ونبذه وراء ظهره ، وقد كتب يستمد ويستجيش ، وأنا كاتب اليه ، فأخبره أنى أمده بك ، وأوجه اليه معك من الأموال والسلاح والقوة والعدة مايطمئن اليه قلبه ، وتتطلع اليه نفسه ، وأكتب معك كتابا بخطى فلاتفضنه ، ولاتطلعن فيه حتى تصل الى مدينة نيسابور ، فاذا نزلتها فاعمل بما فيه ، وامتثله ولاتجاوزه ، ان شاء الله ، وأنا موجه معك رجاء الخادم بكتاب أكتبه الى على بن عيسى بخطى ، ليتعرف مايكون منك ومنه ، وهون عليه أمر على فلاتظهرنه عليه ، ولاتعلمنه ماعزمت عليه ، وتأهب للمسير ، وأظهر لخاصتك وعامتك أنى أوجهك مددا لعلى بن عيسى وعونا له . قال : ثم كتب الى على ابن عيسى بن ماهان كتابا بخطه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . .. رفعت من قدرك ، ونوهت باسمك ، وأوطئت سادة العرب عقبك ، وجعلت أبناء ملوك العجم

(*) الطبرى : تاريخ ٣٢٦/٨-٣٣٧ وذلك فى عهد الرشيد سنة ١٩١هـ .

خولك وأتباعك ، فكان جزائى أن خالفت عهدى ، ونبذت وراء ظهرك أمرى ، حتى عثت فى الأرض ، وظلمت الرعية ، وأسخطت الله وخليفته ، بسوء سيرتك ، ورداءه طعمتك ، وظاهر خيانتك وقد وليت هرثمة بن أعين مولاى ثغر خراسان ، وأمرته أن يشد وطأته عليك وعلى ولدك وكتابك وعمالك ، ولايترك وراء ظهوركم درهما ، ولاحقا لمسلم ولامعاهد الا أخذكم به ، حتى ترده الى أهله ، فان أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يبسط عليكم العذاب ، ويصب عليكم السياط ، ويحل بكم مايحل بمن نكث وغير ، وبدل وخالف ، وظلم وتعدى وغشم ، انتقاما لله عز وجل بادئا ، ولخليفته ثانيا ، وللمسلمين والمعاهدين ثالثا فلاتعرض نفسك للتى لاشوى لها ، واخرج مما يلزمك طائعا أو مكرها .

وكتب عهد هرثمة بخطه :

هذا ماعهد هارون الرشيد أمير المؤمنين الى هرثمة بن أعين حين ولاه ثغر خراسان وأعماله وخراجه ، أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته ، وأن يجعل كتاب الله امام فى جميع ماهو بسبيله ، فيحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند متشابهه ، ويسأل عنه أولى الفقه فى دين الله وأولى العلم بكتاب الله ، أو يرده الى امامه ليريه الله عز وجل فيه رأيه ، ويعزم له على رشده ، وأمره أن يستوثق من الفاسق على بن عيسى وولده وعماله وكتابه ، وأن يشد عليهم وطأته ، ويحل بهم سطوته ، ويستخرج منهم كل مال يصح عليهم من خراج أمير المؤمنين وفىء المسلمين ، فاذا استنظف ماعندهم وقبلهم من ذلك ، نظر فى حقوق المسلمين والمعاهدين وأخذهم بحق كل ذى حق حتى يردوه اليهم ، فان ثبتت قبلهم

حقوق لأمير المؤمنين وحقوق للمسلمين ، فدافعوا بها وجحدوها أن يصب عليهم سوط عذاب الله واليم نقمته ، حتى يبلغ بهم الحال التى ان تخطاها بأدنى أدب ، تلفت أنفسهم ، وبطلت أرواحهم ، فاذا خرجوا من حق كل ذى حق ، أشخصهم كما تشخص العصاة من خشونة الوطاء وخشونة المطعم والمشرب وغلظ الملبس ، مع الثقات من أصحابه الى باب أمير المؤمنين ، ان شاء الله . فاعمل ياأبا حاتم بما عهدت اليك ، فانى آثرت الله ودينى على هواى وارادتى ، فكذلك فليكن عملك ، وعليه فليكن أمرك ، ودبر فى عمال الكور الذين تمر بهم فى صعودك مالايستوحشون معه الى أمر يريبهم وظن يرعبهم . وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعذرهم ، ثم اعمل بما يرضى الله منك وخليفته ، ومن ولاك الله أمره ان شاء الله . هذا عهدى وكتابى بخطى ، وأنا أشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيدا .

وكتب أمير المؤمنين بخط يده لم يحضره الا الله وملائكته .

ثم أمر أن يكتب كتاب هرثمة الى على بن عيسى فى معاونته وتقوية أمره والشد على يديه ، فكتب وظهر الأمر بها وكانت كتب حمويه وردت على هارون : ان رافعا لم يخلع ولانزع السواد ولامن شايعه ، وانما غايتهم عزل على بن عيسى الذى قد سامهم المكروه .

... ثم أن هرثمة مضى فى اليوم السادس من اليوم الذى كتب له عهده الرشيد وشيعه الرشيد ، وأوصاه بما يحتاج اليه فلم يعرج هرثمة على شىء ، ووجه الى على بن عيسى فى الظاهر أموالا وسلاحا ، وخلعا وطيبا ، حتى اذا نزل نيسابور جمع

جماعة من ثقات أصحابه وأولى السن والتجربة منهم ، فدعا كل
رجل منهم سرا ، وخلا به ، ثم اخذ عليهم العهود والمواثيق
أن يكتموا أمره ، ويطووا سره ، وولى كل رجل منهم كورة ،
على نحو ماكانت حاله عنده ، فولى جرجان ونيسابور والطبسين
ونسا وسرخس ، وأمر كل واحد منهم ، بعد أن دفع اليه عهده
بالمسير الى عمله الذى ولاه على أخفى الحالات وأسترها ،
والتشبه بالمجتازين فى ورودهم الكور ومقامهم فيها الى
الوقت الذى سماه لهم ، وولى اسماعيل بن حفص بن مصعب جرجان
بأمر الرشيد ، ثم مضى حتى اذا صار من مرو على مرحلة ، دعا
جماعة من ثقات أصحابه ، وكتب لهم أسماء ولد على بن عيسى
وأهل بيته وكتابه وغيرهم فى رقاع ، ودفع الى كل رجل منهم
رقعة باسم من وكله بحفظه اذا هو دخل مرو ، خوفا من أن
يهربوا اذا ظهر أمره . ثم وجه الى على بن عيسى : ان أحب
الأمير أكرمه الله أن يوجه ثقاته لقبض مامعى من أموال فعل
فانه اذا تقدم المال أمامى كان أقوى للأمير ، وأفت فى عضد
أعدائه . وأيضا فانى لاآمن عليه ان خلفته وراء ظهرى ، أن
يطمع فيه بعض من تسمو اليه نفسه الى أن يقتطع بعضه ،
ويفترض غفلتنا عند دخول المدينة . فوجه على بن عيسى
جهابذته وقهارمته لقبض المال ، وقال هرثمة لخزانه :
اشغلوهم هذه الليلة ، واعتلوا عليهم فى حمل المال بعلة
تقرب من أطماعهم ، وتزيل الشك عن قلوبهم ، ففعلوا . وقال
لهم الخزان : حتى تؤامروا أبا حاتم فى دواب المال والبغال
ثم ارتحل نحو مدينة مرو ، فلما صار منها على ميلين تلقاه
على بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقواده بأحسن لقاء وآنسه ،
فلما وقعت عين هرثمة عليه ، ثنى رجله لينزل عن دابته فصاح

به على : والله لئن نزلت لأنزلن ، فثبت على سرجه ، ودنا كل منهما من صاحبه فاعتنقا وسارا ، وعلى يسأل هرثمة عن أمر الرشيد وحاله وهيئته وحال خاصته وقواده وأنصار دولته ، وهرثمة يجيبه ، حتى صار الى قنطرة لايجوزها الا فارس ، فحبس هرثمة لجام دابته ، وقال لعلى : سر على بركة الله ، فقال على : لاوالله لاأفعل حتى تمضى أنت ، فقال : اذا والله لاأمضى ، فأنت الأمير وأنا الوزير ، فمضى وتبعه هرثمة حتى دخلا مرو ، وصارا الى منزل على ، ورجاء الخادم لايفارق هرثمة فى ليل ولانهار ، ولاركوب ولاجلوس ، فدعا على بالغداء فطعما ، وأكل معهما رجاء الخادم ، وكان عازما على ألا يأكل معهما ، فغمزه هرثمة وقال : كل فانك جائع ، ولارأى لجائع ولاحاقن ، فلما رفع الطعام قال له على : قد أمرت أن يفرغ لك قصر على الماشان ، فان رأيت أن تصير اليه فعلت . فقال له هرثمة : ان معى من الأمور مالايحتمل تأخير المناظرة فيها ثم دفع رجاء الخادم كتاب الرشيد الى على ، وأبلغه رسالته فلما فض الكتاب فنظر الى أول حرف منه سقط فى يده ، وعلم أنه قد حل به مايخافه ويتوقعه ، ثم أمر هرثمة بتقييده وتقييد ولده وكتابه وعماله – وكان رحل ومعه وقر من قيود وأغلال – فلما استوسق منه صار الى المسجد الجامع ، فخطب وبسط من آمال الناس ، وأخبر أن أمير المؤمنين ولاه ثغورهم لما انتهى اليه من سوء سيرة الفاسق على بن عيسى ، وما أمره به فيه وفى عماله وأعوانه ، وأنه بالغ من ذلك ومن انصاف العامة والخاصة ، والأخذ لهم بحقوقهم أقصى مواضع الحق . وأمر بقراءة عهده عليهم . فأظهروا السرور بذلك ، وانفسحت آمالهم ، وعظم رجاؤهم ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثر الدعاء لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

ثم انصرف ، فدعا بعلى بن عيسى وولده وعماله وكتابه ، فقال : اكفونى مؤنتكم ، واعفونى من الاقدام بالمكروه عليكم ونادى فى أصحاب ودائعهم ببراءة الذمة من رجل كانت لعلى عنده وديعة أو لأحد من ولده أو كتابه أو عماله وأخفاها ولم يظهر عليها ، فأحضره الناس ماكانوا أودعوا الا رجلا من أهل مرو - وكان من أبناء المجوس - فانه لم يزل يتلطف للوصول الى على بن عيسى حتى صار اليه ، فقال له سرا : لك عندى مال ، فان احتجت اليه حملته اليك أولا فأولا ، وصبرت للقتل فيك ، ايثارا للوفاء وطلبا لجميل الثناء ، وان استغنيت عنه حبسته عليك حتى ترى فيه رأيك ، فعجب على منه ، وقال : لو اصطنعت مثلك ألف رجل ماطمع فى السلطان ولا الشيطان أبدا ثم سأله عن قيمة ماعنده ، فذكر له أنه أودعه مالا وثيابا ومسكا ، وأنه لايدرى ماقدر ذلك ، غير أنه أودعه بخطه ، وأنه محفوظ لم يشذ منه شىء ، فقال له : دعه ، فان ظهر عليه سلمته ونجوت بنفسك ، وان سلمت به رأيت فيه رأيى . وجزاه الخير ، وشكر له فعله ذلك أحسن شكر ، وكافأه عليه وبره . وكان يضرب به المثل بوفائه ، فذكر أنه لم يتستر عن هرثمة من مال على الا ماكان أودعه هذا الرجل - وكان يقال له : العلاى بن ماهان - فاستنظف هرثمة ماوراء ظهورهم حتى حلى نسائهم ، فكان الرجل يدخل الى المنزل فيأخذ جميع مافيه .

... فذكر عمن شهد هرثمة وأمره ، أن هرثمة لما فرغ من مطالبة على بن عيسى وولده وكتابه وعماله بأموال أمير المؤمنين ، أقامهم لمظالم الناس ، فكان اذا برد للرجل عليه أو على أحد من أصحابه حق ، قال : اخرج للرجل من حقه

والا بسطت عليك ، فيقول على : أصلح الله الأمير! أجلنى يوما أو يومين ، فيقول : ذلك الى صاحب الحق ، فان شاء فعل . ثم يقبل على الرجل ، فيقول : أترى أن تدعه؟ فان قال : نعم ، قال : فانصرف وعد اليه ، فيبعث على الى العلاء بن ماهان ، فيقول له : صالح فلانا عنى من كذا وكذا على كذا وكذا ، أو على مارأيت ، فيصالحه ويصلح أمره .

... ولماحمل هرثمة عليا الى الرشيد ، كتب اليه كتابا يخبره ماصنع ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فان الله عز وجل لم يزل يبلى أمير المؤمنين فى كل ماقلده من خلافته ، واسترعاه من أمور عباده وبلاده أجمل البلاء وأكمله ، ويعرفه فى كل ماحضره ونأى عنه من خاص أموره وعامها ، ولطيفها وجليلها أتم الكفاية وأحسن الولاية ، ويعطيه فى ذلك كله أفضل الأمنية ، ويبلغه فيه أقصى غاية الهمة ، امتنانا منه عليه ، وحفظا لما جعل اليه ، مما تكفل باعزازه واعزاز أوليائه وأهل حقه وطاعته ، فيستتم الله أحسن ماعوده وعودنا من الكفاية فى كل مايؤدينا اليه ، ونسأله توفيقنا لما نقضى به المفترض من حقه فى الوقوف عند أمره ، والاقتصار على رأيه .

ولم أزل أعز الله أمير المؤمنين ، مذ فصلت عن معسكر أمير المؤمنين ممتثلا ماأمرنى به فيما أنهضنى له ، لاأجاوز ذلك ولاأتعداه الى غيره ، ولاأتعرف اليمن والبركة الا فى امتثاله ، الى أن حللت أوائل خراسان ، مائنا للأمر الذى أمرنى أمير المؤمنين بصيانته وستره ، لاأفضى ذلك الى خاص ولاالى عامى ، ودبرت فى مكاتبة أهل الشاش وفرغانة وعزلهما

عن الخائن ، وقطع طمعه وطمع من قبله عنهما ، ومكاتبة من يبلغ بما كنت كتبت به الى أمير المؤمنين وفسرت له ، فلما نزلت نيسابور عملت فى أمر الكور التى اجتزت عليها بتولية من وليت عليها ، قبل مجاوزتى اياها ، كجرجان ونيسابور نسا وسرخس ، ولم آل الاحتياط فى ذلك ، واختيار الكفاة وأهل الأمانة الصحة من ثقات أصحابى ، وتقدمت اليهم فى ستر الأمر وكتمانه ، وأخذت عليهم بذلك أيمان البيعة ، ودفعت الى كل رجل منهم عهده بولايته ، وأمرتهم بالمسير الى كور أعمالهم على أخفى الحالات وأسترها ، والتشبه بالمجتازين فى ورودهم الكور ومقامهم بها الى الوقت الذى سميت لهم ، وهو اليوم الذى قدرت فيه دخولى الى مرو ، والتقائى وعلى بن عيسى ، وعملت فى استكفائى اسماعيل بن حفص بن مصعب أمر جرجان بما كنت كتبت به الى أمير المؤمنين ، فنفذ أولئك العمال لأمرى وقام كل رجل منهم فى الوقت الذى وقت له بضبط عمله واحكام ناحيته ، وكفى الله أمير المؤمنين المؤنة فى ذلك ، بلطيف صنعه .

ولما صرت من مدينة مرو على منزل ، اخترت عدة من ثقات اصحابى ، وكتبت بتسمية ولد على بن عيسى وكتابه وأهل بيته وغيرهم رقاعا ، ودفعت الى كل رجل منهم رقعة باسم من وكلته بحفظه فى دخولى ، ولم آمن لو قصرت فى ذلك وأخرته أن يصيروا عند ظهور الخبر وانشاره الى التغيب والانتشار ، فعملوا بذلك ، ورحلت عن موضعى الى مدينة مرو ، فلما صرت منها على ميلين تلقانى على بن عيسى فى ولده وأهل بيته وقواده ، فلقيته بأحسن لقاء ، وآنسته ، وبلغت من توقيره وتعظيمه والتماس النزول اليه أول مابصرت به ما ازداد به

انسا وثقة ، الى ماكان ركن اليه قبل ذلك ، مما كان يأتيه من كتبى ، فانها لم تنقطع عنه بالتعظيم والاجلال منى له والالتماس ، لالقاء سوء الظن عنه ، لئلا يسبق الى قلبه أمر ينتقض به مادبر أمير المؤمنين فى أمره ، وأمرنى به فى ذلك وكان الله تبارك وتعالى هو المنفرد بكفاية أمير المؤمنين الأمر فيه الى أن ضمنى واياه مجلسه ، وصرت الى الأكل معه ، فلما فرغنا من ذلك بدأنى يسألنى المصير الى منزل كان ارتاده لى ، فأعلمته مامعى من الأمور التى لاتحتمل تأخير المناظرة فيها . ثم دفع اليه رجاء الخادم كتاب أمير المؤمنين وأبلغه رسالته ، فعلم عند ذلك أن قد حل به الأمر الذى جناه على نفسه ، وكسبته يداه ، من سخط أمير المؤمنين وتغير رأيه بخلافه أمره وتعديه سيرته .

ثم صرت الى التوكيل به ، ومضيت الى المسجد الجامع ، فبسطت آمال الناس ممن حضر ، وافتتحت القول بما حملنى أمير المؤمنين اليهم ، وأعلمتهم اعظام أمير المؤمنين ماأتاه ، ووضح عنده من سوء سيرة على ، وماأمرنى به فيه وفى عماله وأعوانه ، وانى بالغ من ذلك ومن انصاف العامة والخاصة والأخذ لهم بحقوقهم أقصى غايتهم . وأمرت بقراءة عهدى عليهم وأعلمتهم أن ذلك مثالى وامامى ، وأنى به أقتدى ، وعليه أحتذى ، فمتى زلت عن باب واحد من أبوابه فقد ظلمت نفسى ، وأحللت بها مايحل بمن خالف رأى أمير المؤمنين وأمره ، فأظهروا السرور بذلك والاستبشار ، وعلت بالتكبير والتهليل أصواتهم ، وكثر دعاؤهم لأمير المؤمنين بالبقاء وحسن الجزاء .

ثم انكفأت الى المجلس الذى كان على بن عيسى فيه ، فصرت الى تقييده وتقييد ولده وأهل بيته وكتابه وعماله والاستيثاق منهم جميعا ، وأمرتهم بالخروج الى من الأموال التى احتجنوها من أموال أمير المؤمنين وفىء المسلمين ، واعفائى بذلك من الاقدام عليهم بالمكروه والضرب ، وناديت فى أصحاب ودائعهم باخراج ماكان عندهم . فحملوا الى الى أن كتبت الى أمير المؤمنين صدرا صالحا من الورق والعين ، وأرجو أن يعين الله على استيفاء ماقبلهم ، واستنظاف ماوراء ظهورهم ، ويسهل الله من ذلك أفضل مالم يزل يعوده أمير المؤمنين من الصنع فى مثله من الأمور التى يعنى بها ان شاء الله تعالى .

ولم أدع عند قدومى مرو التقدم فى توجيه الرسل وانفاذ الكتب البالغة فى الاعذار والانذار ، والتبصير والارشاد ، الى رافع ومن قبله من أهل سمرقند ، والى من ببلخ ، على حسن ظنى بهم فى الاجابة ، ولزوم الطاعة والاستقامة ، ومهما تنصرف به رسلى الى ياأمير المؤمنين من أخبار القوم فى اجابتهم وامتناعهم ، أعمل على حسبه من أمرهم ، وأكتب بذلك الى أمير المؤمنين على حقه وصدقه . وأرجو أن يعرف الله أمير المؤمنين فى ذلك من جميل صنعه ولطيف كفايته ، مالم تزل عادته جارية به عنده ، بمنه وطوله وقوته والسلام .

الجواب من الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك بقدومك مرو فى اليوم الذى سميت ، وعلى

الحال التى وصفت ومافسرت ، وماكنت قدمت من الحيل قبل ورودك اياها ، وعملت به فى أمر الكور التى سميت وتولية من وليت عليها قبل نفوذك عنها ، ولطفت له من الأمر الذى استجمع لك به ماأردت من أمر الخائن على بن عيسى وولده وأهل بيته ، ومن صار فى يدك من عماله واصحاب أعماله واحتذائك فى ذلك كله ماكان أمير المؤمنين مثل لك ووقفك عليه ، وفهم أمير المؤمنين كل ماكتبت به ، وحمد الله على ذلك كثيرا وعلى تسديده اياك وماأعانك به من توفيقه ، حتى بلغت ارادة أمير المؤمنين ، وأدركت طلبته ، وأحسنت ماكان يحب بك وعلى يديك احكامه ، مما كان اشتد به اعتناؤه ، ولج به اهتمامه ، وجزاك الخير على نصيحتك وكفايتك ، فلا أعدم الله أمير المؤمنين أحسن ماعرفه منك فى كل ماأهاب بك اليه واعتمد بك عليه .

وأمير المؤمنين يأمرك أن تزداد جدا واجتهادا فيما أمرك به من تتبع أموال الخائن على بن عيسى وولده وكتابه وعماله ووكلائه وجهابذته والنظر فيما اختانوا به أمير المؤمنين فى أمواله ، وظلموا به الرعية فى أموالهم ، وتتبع ذلك واستخراجه من مظانه ومواضعه ، التى صارت اليه ، ومن أيدى اصحاب الودائع التى استودعوها اياهم ، واستعمال اللين والشدة فى ذلك كله ، حتى تصير الى استنظاف ماوراء ظهورهم ، ولاتبقى من نفسك فى ذلك بقية ، وفى انصاف الناس منهم فى حقوقهم ومظالمهم ، حتى لاتبقى لمتظلم منهم قبلهم ظلامة الا استقفيت ذلك له ، وحملته واياهم على الحق والعدل فيها ، فاذا بلغت أقصى غاية الاحكام والمبالغة فى ذلك ، فاشخص الخائن وولده وأهل بيته وكتابه وعماله الى أمير

المؤمنين في وثاق ، وعلى الحال التى استحقوها من التغيير والتنكيل بما كسبت أيديهم ، وما الله بظلام للعبيد .

ثم اعمل بما أمرك به أمير المؤمنين من الشخوص الى سمرقند ، ومحاولة ماقبل خامل ، ومن كان على رأيه ممن أظهر خلافا وامتناعا من أهل كور ماوراء النهر وطخارستان بالدعاء الى الفيية والمراجعة ، وبسط أمانات أمير المؤمنين التى حملكها اليهم ، فان قبلوا وأنابوا وراجعوا ماهو أملك بهم وفرقوا جموعهم ، فهو مايحب أمير المؤمنين أن يعاملهم به من العفو عنهم والاقالة لهم ، اذ كانوا رعيته ، وهو الواجب على أمير المؤمنين لهم اذ أجابهم الى طلبتهم ، وآمن روعهم وكفاهم ولاية من كرهوا ولايته ، وأمر بانصافهم فى حقوقهم وظلاماتهم – وان خالفوا ماظن أمير المؤمنين ، فحاكمهم الى الله اذ طغوا وبغوا ، وكرهوا العافية وردوها ، فان أمير المؤمنين قد قضى ماعليه ، فغير ونكل ، وعزل واستبدل ، وعفا عمن احدث ، وصفح عمن اجترم ، وهو يشهد الله عليهم بعد ذلك في خلاف ان آثروه ، وعنود ان أظهروه . وكفى بالله شهيدا ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، عليه يتوكل واليه ينيب . والسلام .

وكتب اسماعيل بن صبيح بين يدى أمير المؤمنين" .

الملحق الثالث

نص وصية طاهر بن الحسين الى ابنه عبد الله

حين ولاه المامون ديار ربيعة (*)

"كان طاهر حين ولى ابنه عبد الله ديار ربيعة ، كتب اليه كتابا نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم .

عليك بتقوى الله وحده لاشريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك ، والزم ماالبسك الله من العافية بالذكر لمعادك ، وماأنت صائر اليه ، وموقوف عليه ، ومسئول عنه ، والعمل فى ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فان الله قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وادخال الراحة عليهم فى معايشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك ولايذهلك عنه ذاهل ، ولايشغلك عنه شاغل ، فانه رأس أمرك ، وملاك شانك ، وأول مايوفقك الله به لرشدك .

(*) الطبرى : تاريخ ٥٨٢/٨-٥٩١ ، أيضا ابن طيفور : بغداد ص/١٩-٢٩ وذلك سنة ٢٠٦هـ .

وليكن أول ماتلزم به نفسك ، وتنسب اليه فعالك ، المواظبة على ماافترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها ، في اسباغ الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها . وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك . واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فانها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ولزوم ماأنزل الله في كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ماجاءت به الآثار على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولاتمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد . وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فان أفضل ماتزين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له ، والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب فيه منه الى الله ، فانه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها . وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، واجلالا له ، ودركا للدرجات العلا في المعاد مع مافي ظهوره للناس من التوقير لأمرك ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدلك .

وعليك بالاقتصاد في الأمور كلها ، فليس شيء أبين نفعا ولاأحضر أمنا ، ولاأجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية الى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد الى

السعادة . وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره فى دنياك كلها ، ولاتقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ، ومعالم الرشد فلاغاية للاستكثار من البر والسعى له ، اذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه فى دار كرامته .

واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب ، وانك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولاتستصلح أمورك بأفضل منه ، فأته واهتد به ، تتم أمورك ، وتزدد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك .

وأحسن الظن بالله عز وجل تستقم لك رعيتك ، والتمس الوسيلة اليه فى الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ، ولاتنهض أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة ، فان ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم مآثم . واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنهم سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم . ولايجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغمزا ، فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ماينغصك لذاذة عيشك .

واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الأمور كلها لك . ولايمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك ، والمباشرة لأمور الأولياء ، والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فى حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك ، فانه أقوم للدين ، وأحيا للسنة .

واخلص نيتك فى جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، ومأخوذ بما أساء ، فان الله جعل الدين حرزا وعزا ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى . وأقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقوه . ولاتعطل ذلك ولاتهاون به . ولاتؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فان فى تفريطك فى ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك .

واعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك . واذا عاهدت عهدا فف به ، واذا وعدت الخير فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ، واقص أهل النميمة ، فان أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذوب والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمتها ، لأن النميمة لايسلم صاحبها ، وقائلها لايسلم له صاحب ، ولايستقيم لمطيعها أمر .

واحب أهل الصدق والصلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة .

واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واظهر براءتك من ذلك لرعيتك ، وأنعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى . واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، واياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول انى مسلط أفعل ما أشاء ، فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له . وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولن تجد تغير النعمة وحلول النقمة الى أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا بنعم الله واحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخائرك وكنوزك التى تدخر وتكنز البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية ، وعمارة بلادهم ، والتفقد لأمورهم ، والحفظ لدهمائهم ، والاغاثة لملهوفهم .

واعلم أن الأموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن لاتثمر ، واذا كانت فى اصلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وربت ، وصلحت به العامة ، وتزنيت الولاة ، وطاب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعيتك من ذلك حصصهم ، وتعهد مايصلح أمورهم ومعايشهم ، فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب أنفسا لكل ما أردت .

فاجهد نفسك فيما حددت لك فى هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك ، فان

التهاون يوجب التفريط ، والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله وفيه تبارك وتعالى ، وارج الثواب ، فان الله قد اسبغ عليك نعمته فى الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا ، فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وأقض الحق فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة . ولاتحقرن ذنبا ولاتمايلن حاسدا ، ولاترحمن فاجرا ، ولاتصلن كفورا ، ولاتداهنن عدوا ، ولاتصدقن نماما ، ولاتأمنن غدارا ، ولاتوالين فاسقا ، ولاتتبعن غاويا ، ولاتحمدن مرائيا ، ولاتحقرن انسانا ، ولاتردن سائلا فقيرا ، ولاتجيبن باطلا ، ولاتلاحظن مضحكا ، ولاتخلفن وعدا ، ولاترهبن فجرا ، ولاتعملن غضبا ، ولاتأتين بذخا ، ولاتمشين مرحا ، ولاتركبن سفها ، ولاتفرطن فى طلب الآخرة ، ولاتدفع الأيام عيانا ، ولاتغمضن عن الظالم رهبة أو مخافة ، ولاتطلبن ثواب الآخرة بالدنيا . وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولاتدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولاتسمعن لهم قولا ، فان ضررهم أكثر من منفعتهم . وليس شىء أسرع فسادا لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشح . واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا ، فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عنهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك بالافضال عليهم وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ماعصى به الانسان ربه ، وأن العاصى بمنزلة خزى ، وهو قول الله عز وجل : {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} ، فسهل طريق الجود بالحق ،

واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فاعدده لنفسك خلقا ، وارض به عملا ومذهبا .

وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معايشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا ، وحسب ذي سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته ، فزايل مكروه احدى البليتين باستشعار تكملة الباب الآخر ، ولزوم العمل به تلق ان شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا .

واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي تعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وباقامة العدل في القضاء والعمل ، تصلح الرعية ، وتأمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزقه الله العافية والسلامة ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء .

واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطف وامض لاقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وأبعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولايأخذك في أحد من رعيتك محاباة ولامحاماة ، ولالوم لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وانظر وتدبر وتفكر ، واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية

وسلط الحق على نفسك ، ولاتسرعن الى سفك دم – فان الدماء من الله بمكان عظيم – انتهاكا لها بغير حقها .

وانظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارا ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل ، والتسوية والعموم فيه ، ولاترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه ، ولاعن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولاتأخذن منه فوق الاحتمال له ، ولاتكلفن امرا فيه شطط . واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فان ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة . واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا ، وانما سمى أهل عملك رعيتك ، لأنك راعيهم وقيمهم ، تاخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفقه فى قوام أمرهم وصلاحهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم فى كور عملك ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم فى الرزق ، فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك ، ولايشغلنك عنه شاغل ، ولايصرفنك عنه صارف ، فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحدوثة فى أعمالك ، واحترزت النصيحة من رعيتك ، وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر الخصب فى كورك ، فكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط جندك ، وارضاء العامة باقامة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل فى ذلك عند عدوك ، وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة ، فنافس فى هذا ولاتقدم عليه شيئا تحمد مغبة أمرك ان شاء الله .

واجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ، حتى كأنك مع كل عامل فى عمله ، معاين لأمره كله . وان أردت أن تأمره بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ، فان رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاعو النصح والصنع فأمضه ، والا فتوقف عنه . وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فانه ربما نظر الرجل فى أمر من أمره قد واتاه على مايهوى ، فقواه ذلك وأعجبه ، وان لم ينظر فى عواقبه أهلكه ، ونقض عليه أمره .

فاستعمل الحزم فى كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك فى جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ولاتؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فان لغد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت . واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه ، واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك .

وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن اليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤنتهم ، وأصلح حالهم حتى لايجدوا لخلتهم مسا . وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن لايقدر على رفع مظلمة اليك . والمحتقر الذى لاعلم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أحفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك ، لتنظر فيما بما يصلح الله أمرهم . وتعاهد

ذوى البأساء ويتاماهم واراملهم ، واجعل لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله ، فى العطف عليهم والصلة بهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة . وأجر للأضراء من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره فى الجراية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم ، وقواما يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال . واعلم أن الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة ، وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأمور الناس لكثرة مايرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه منها ماينالـه بـه مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب فى العدل ، ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل ثواب الآجل ، كالذى يستقبل مايقربه الى الله ، ويلتمس رحمته به . وأكثر الاذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، واخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولن لهم فى المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر غير مكدر ولامنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله .

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة فى القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه ، واجتنب مافارق ذلك وخالفه ، ودعا الى سخط الله . واعرف مايجمع عمالك من الأموال وينفقون منها . ولاتجمع حراما ، ولاتنفق اسرافا ،

وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن واقامتها ، وايثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر ، واعلامك مافيه من النقص ، فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامرته ، وماعنده من حوائج عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك ، وكرر النظر اليه والتدبير له ، فما كان موافقا للحزم والحق فأمضه واستخر الله فيه ، وماكان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه ، والمسألة عنه .

ولاتمنن على رعيتك ولاعلى غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولاتقبل من أحد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولاتضعن المعروف الا على ذلك .

وتفهم كتابي اليك ، واكثر النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فان الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك وافضل رغبتك ماكان لله رضا ولدينه نظاما ، ولأهله عزا وتمكينا ، وللذمة والملة عدلا وصلاحا .

وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ، حتى يجعلك افضل مثالك نصيبا ، وأوفرهم حظا ، وأسناهم ذكرا وأمرا ، وأن يهلك عدوك ومن ناواك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك وساوسه ، حتى يستعلي أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، انه قريب مجيب .

وذكر أن طاهرا لما عهد الى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه ، وتدارسوه وشاع أمره ، حتى بلغ المأمون فدعا به وقرئ عليه ، فقال : مابقى أبو الطيب شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه ، وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال فى نواحى الأعمال" .

الملحق الرابع
نص أحداث المناظرة التي عقدت للافشين لمحاسبته على الأعمال التي قام بها (*)

"ذكر عن هارون بن عيسى بن المنصور ، أنه قال : شهدت دار المعتصم وفيها أحمد بن أبى داود واسحاق بن ابراهيم بن مصعب ومحمد بن عبد الملك الزيات ، فأتى بالافشين ولم يكن بعد فى الحبس الشديد ، فأحضر قوم من الوجوه لتبكيت الأفشين بما هو عليه ، ولم يترك فى الدار أحد من أصحاب المراتب الا ولد المنصور ، وصرف الناس .

وكان المناظر له محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان الذين أحضروا المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزبان بن تركش – وهو أحد ملوك السغد – ورجلان من أهل السغد . فدعا محمد بن عبد الملك بالرجلين ، وعليهما ثياب رثة ، فقال لهما محمد بن عبد الملك : ماشأنكما؟ فكشفا عن ظهورهما وهى عارية من اللحم ، فقال له محمد : تعريف هذين؟ قال : نعم ، هذا مؤذن ، وهذا امام بنيا مسجدا بأشروسنة ، فضربت كل واحد منهما ألف سوط ، وذلك أن بينى وبين ملوك السغد عهدا وشرطا ، أن أترك كل قوم على دينهم وماهم عليه ، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم – يعنى أهل أشروسنة – فأخرجا الأصنام ، واتخذاه مسجدا ، فضربتهما على هذا ألفا ألفا

(*) الطبرى : تاريخ ٩/١٠٧-١١٠ . وذلك فى عهد المأمون سنة ٢٢٥هـ .

لتعذيبهما ، ومنعهما القوم من بيعتهم . فقال له محمد : ماكتاب عندك قد زينته بالذهب والجواهر والديباج ، فيه الكفر بالله ؟ قال : هذا كتاب ورثته عن أبى ، فيه أدب من آداب العجم ، وماذكرت من الكفر ، فكنت أستمتع منه بالأدب ، وأترك ماسوى ذلك ، ووجدته محلى ، فلم تضطرنى الحاجة الى أخذ الحلية منه ، فتركته على حاله ، ككتاب كليلة ودمنة وكتاب مزدك فى منزلك ، فما ظننت أن هذا يخرج من الاسلام .

قال : ثم تقدم الموبذ ، فقال : ان هذا كان يأكل المخنوقة ، ويحملنى على أكلها ، ويزعم أنها أرطب لحما من المذبوحة ، وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء ، يضرب وسطها بالسيف يمشى بين نصفيها ويأكل لحمها . وقال لى يوما انى قد دخلت لهؤلاء القوم فى كل شىء أكرهه ، حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل ، ولبست النعل ، غير أنى الى هذه الغاية لم تسقط عنى شعرة ـ يعنى لم يطل ولم يختتن ـ .

فقال الأفشين : خبرونى عن هذا الذى يتكلم بهذا الكلام ثقة هو فى دينه ؟ ـ وكان الموبذ مجوسيا أسلم بعد على يد المتوكل ونادمه ـ قالوا : لا ، قال : فما معنى قبولكم شهادة من لاتثقون به ولاتعدلونه ! ثم أقبل على الموبذ ، فقال هل كان بين منزلى ومنزلك باب أو كوة تطلع على منها وتعرف أخبارى منها ؟ قال : لا ، قال : أفليس كنت أدخلك الى وأبثك سرى وأخبرك بالأعجمية وميلى اليها والى أهلها ؟ قال : نعم ، قال : فلست بالثقة فى دينك ولابالكريم فى عهدك ، اذا أفشيت على سرا أسررته اليك .

ثم تنحى الموبذ ، وتقدم المرزبان بن تركش ، فقالوا للأفشين : هل تعرف هذا ؟ قال : لا ، فقيل للمرزبان : هل

تعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، قالوا له : هذا المرزبان ، فقال له المرزبان : ... كم تدافع وتموه ! قال له الأفشين : ... ماتقول ؟ قال : كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال : كما كانوا يكتبون الى أبى وجدى . قال : فقل ، قال : لاأقول ، فقال المرزبان : أليس يكتبون اليك بكذا وكذا بالأشروسنية ؟ قال : بلى ، قال : أفليس تفسيره بالعربية "الى اله الآلهة من عبده فلان بن فلان" ، قال : بلى! قال محمد بن عبد الملك : والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا! فما بقيت لفرعون حين قال لقومه : {أنا ربكم الأعلى} . قال كانت هذه عادة القوم لأبى وجدى . ولى قبل أن أدخل فى الاسلام ، فكرهت أن أضع نفسى دونهم فتفسد على طاعتهم . فقال له اسحاق بن ابراهيم بن مصعب : ويحك ياخيذر! كيف تحلف بالله لنا فنصدقك ونصدق يمينك ونجريك مجرى المسلمين ، وأنت تدعى مادعى فرعون! قال : ياابا الحسين : هذه سورة قراها عجيف على على بن هشام ، وأنت تقرؤها على ، فانظر غدا من يقرؤها عليك!

قال : ثم قدم مازيار صاحب طبرستان ، فقالوا للأفشين : تعرف هذا؟ قال : لا . قالوا للمازيار : تعرف هذا؟ قال : نعم ، هذا الأفشين ، فقالوا له : هذا المازيار . قال : نعم قد عرفته الآن . قالوا : هل كاتبته ؟ قال : لا . قالوا للمازيار : هل كتب اليك ؟ قال : نعم . كتب أخوه خاش الى أخى قوهيار ، أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيرى وغيرك وغير بابك ، فأما بابك فانه بحمقه قتيل نفسه ، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه الا أن دلاه فيما وقع فيه . فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ومعى الفرسان

وأهل النجدة والبأس . فان وجهت اليه لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة : العرب ، والمغاربة ، والاتراك ... فانما هى ساعة حتى تنفذ سهامهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتى على آخرهم ، ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم . فقال الأفشين : هذا يدعى على أخيه وأخى دعوى لاتجب على ، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب اليه لأستميله الى ويثق بناحيتى كان غير مستنكر ، لأنى اذا نصرت الخليفة بيدى ، كنت بالحيلة أحرى أن أنصره لآخذ بقفاه ، وآتى به الخليفة لأحظى به عنده ، كما حظى به عبد الله بن طاهر عند الخليفة . ثم نحى المازيار .

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشى ماقال ، وقال لاسحاق بن ابراهيم ماقال ، زجر ابن أبى دواد الأفشين ، فقال له الأفشين : أنت ياأبا عبد الله ترفع طيلسانك بيدك ، فلاتضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة ، فقال له ابن أبى دواد : أمطهر أنت ؟ قال : لا ، قال : فما منعك من ذلك ، وبه تمام الاسلام ، والطهور من النجاسة ! قال : أوليس فى دين الاسلام استعمال التقية ؟ قال : بلى ، قال : خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدى فأموت ، قال : أنت تطعن بالرمح ، وتضرب بالسيف ، فلايمنعك ذلك من أن تكون فى الحرب وتجزع من قطع قلفة ! قال : تلك ضرورة تعنينى فأصبر عليها اذا وقعت ، وهذا شىء أستجلبه فلاآمن معه خروج نفسى ، ولم أعلم أن فى تركها الخروج من الاسلام ، فقال ابن أبى دواد : قد بان لكم أمره يابغا - لبغا الكبير أبى موسى التركى - عليك به !

قال : فضرب بيده بغا على منطقته فجذبها ، فقال قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم ، فقلب بغا ذيل القباء على رأسه ، ثم أخذ بمجامع القباء من ند عنقه ، ثم أخرجه من باب الوزيرى الى محبسه " .

الملحق الخامس

نص الكتاب الذى بعثه المامون الى خليفته ببغداد اسحاق بن ابراهيم في امتحان القضاه والمحدثين في مسألة خلق القرآن (*)

"كتب المامون الى اسحاق بن ابراهيم فى امتحان القضاة والمحدثين ، وأمر باشخاص جماعة منهم اليه فى الرقة ، وكان ذلك أول كتاب كتب فى ذلك ، ونسخة كتابه اليه :

أما بعد ، فان حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد فى اقامة دين الله الذى استحفظهم ، ومواريث النبوة التى أورثهم ، وأثر العلم الذى استودعهم ، والعمل بالحق فى رعيتهم والتشمير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشيد وصريمته والاقساط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته . وقد عرف أمير المومنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ممن لانظر له ولاروية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته والاستضاءة بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله ، وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والايمان به . ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، لضعف آرائهم ونقص عقولهم

(*) الطبرى : تاريخ ٦٣١/٨-٦٣٧ ، أيضا ابن طيفور : بغداد ص/١٨٤-١٩٠ وذلك سنة ٢١٨هـ .

وجفائهم عن التفكر والتذكر ، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، واتفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه الذى جعله لما في الصدور شفاء ، وللمؤمنين رحمة وهدى : {انا جعلناه قرآنا عربيا} ، فكل ماجعله الله فقد خلقه ، وقال : {الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور} وقال عز وجل : {كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق} ، فأخبر أنه قصص لأمور احدثه بعدها وتلا به متقدمها ، وقال : {آلر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير} ، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل ، والله محكم كتابه ومفصله ، فهو خالقه ومبتدعه .

ثم هم الذين جادلوا بالباطل فدعوا الى قولهم ، ونسبوا أنفسهم الى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ونحلتهم . ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب ، والتخشع لغير الله ، والتقشف لغير الدين الى موافقتهم عليه ، ومواطأتهم على سيء آرائهم ، تزينا بذلك عندهم وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة الى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم ، ونغل أديمهم ، وفساد نياتهم ويقينهم . وكان ذلك غايتهم التى اليها أجروا ، واياها طلبوا في متابعتهم

والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ، ودرسوا مافيه ، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، {أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} .

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورءوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد حظا ، والمحسوسون من الايمان نصيبا ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان ابليس الناطق فى أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يتهم فى صدقه ، وتطرح شهادته ، لايوثق بقوله ولاعمله ، فانه لاعمل الا بعد يقين ، ولايقين الا بعد استكمال حقيقة الاسلام ، واخلاص التوحيد ، ومن عمى عن رشده وحظه من الايمان بالله وبتوحيده ، كان عما سوى ذلك من عمله والقصد فى شهادته أعمى وأضل سبيلا . ولعمر أمير المومنين ان أحجى الناس بالكذب فى قوله ، وتخرص الباطل فى شهادته ، من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وان أولاهم برد شهادته فى حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله .

فاجمع من بحضرتك من القضاة ، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا اليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون ، فى خلق الله القرآن واحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ، ولاواثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لايوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه ، فاذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ومسألتهم عن علمهم فى

القرآن ، وترك اثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره ، والامتناع من توقيعها عنده . واكتب الى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لاتنفذ أحكام الله الا بشهادة أهل البصائر فى الدين والاخلاص للتوحيد ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون فى ذلك . ان شاء الله .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة ومائتين" .

"وكتب المأمون بعد ذلك الى اسحاق بن ابراهيم :

أما بعد ، فان من حق الله على خلفائه فى أرضه ، وأمنائه على عباده ، الذين ارتضاهم لاقامة دينه ، وحملهم رعاية خلقه وامضاء حكمه وسننه ، والائتمام بعدله فى بريته أن يجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ويدلوا عليه – تبارك اسمه وتعالى – بفضل العلم الذى أودعهم ، والمعرفة التى جعلها فيهم ، ويهدوا اليه من زاغ عنه ، ويردوا من أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم ، ويقفوهم على حدود ايمانهم وسبل فوزهم وعصمتهم ويكشفوا لهم مغطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الريب عنهم ، ويعود بالضياء والبينة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من ارشادهم وتبصيرهم ، اذ كان جامعا لفنون مصانعهم ، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا ما الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده ، وماتوفيق أمير المومنين الا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره ، وجليل مايرجع

فى الدين من وكفه وضرره ، ماينال المسلمون بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله اماما لهم ، واثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، واشتباهه على كثير منهم ، حتى حسن عندهم ، وتزين فى عقولهم الا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان به عن خلقه ، وتفرد بجلالته ، من ابتداع الأشياء كلها بحكمته وانشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته التى لايبلغ أولاها ، ولايدرك مداها ، وكان كل شىء دونه خلقا من خلقه ، وحدثا هو المحدث له ، وان كان القرآن ناطقا به ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى فى دعائهم فى عيسى بن مريم : انه ليس بمخلوق ، اذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : {انا جعلناه قرآنا عربيا} ، وتأويل ذلك أنا خلقناه كما قال جل جلاله : {وجعل منها زوجها ليسكن اليها} ، وقال : {وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا} ، {وجعلنا من الماء كل شىء حى} ، فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ذكرها فى شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : {بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ} ، فدل ذلك على احاطة اللوح بالقرآن ، ولايحاط الا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : {لاتحرك به لسانك لتعجل به} ، وقال : {مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث} ، وقال : {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته} ، وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا : {ماأنزل الله على بشر من شىء} ، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله : {قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى} ، فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا وايمانا ونورا وهدى

ومباركا وعربيا وقصصا ، فقال : {نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن} ، وقال : {قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله} ، وقال : {قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات} ، وقال : {لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه} فجعل له أولا وشخرا ودل عليه أنه محدود مخلوق .

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثلم فى دينهم ، والحرج فى أمانتهم ، وسهلوا السبيل لعدو الاسلام ، واعترفوا بالتبديل والالحاد على قلوبهم ، حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التى هى لله وحده ، وشبهوه به ، والاشتباه أولى بخلقه . وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا فى الدين ، ولانصيبا من الايمان واليقين ، ولايرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة فى أمانة ، ولاعدالة ولاشهادة ولاصدق فى قول ولاحكاية ، ولاتولية لشىء من أمر الرعية ، وان ظهر قصد بعضهم ، وعرف بالسداد مسدد فيهم ، فان الفروع مردودة الى أصولها ، ومحمولة فى الحمد والذم عليها ، ومن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلا ، وعن الرشد فى غيره أعمى وأضل سبيلا .

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن اسحاق القاضى كتاب أمير المؤمنين بماكتب به اليك ، وانصصهما عن علمهما فى القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لايستعين على شىء من أمور المسلمين الا بمن وثق باخلاصه وتوحيده ، وأنه لاتوحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ، فان قالا بقول أمير المؤمنين فى ذلك ، فتقدم اليهما فى امتحان من يحضر

مجالسهما بالشهادات على الحقوق ، ونصهم عن قولهم فى القرآن ، فمن لم يقل منهم انه مخلوق أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكما بقوله ، وان ثبت عفافه بالقصد والسداد فى أمره وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة ، وأشرف عليهم اشرافا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته ، ويمنع المرتاب من اغفال دينه ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك . ان شاء الله" .

الملحق السادس

نصوص نصائح وجهت لبعض الخلفاء في الادارة والحكم تضمنت الاهتمام بالرقابة الادارية

أولا : كتاب القاضي عبيد الله بن الحسن العنبري الى الخليفة المهدي (*)

"بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، أصلح الله أمير المؤمنين ومد له في اليسر والعافية ، انى رأيت ، وان كنت أعلم أن الله قد أعطى أمير المؤمنين وصالح وزرائه من العلم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وماسلف من الائمة ماقد استحق به الشكر له عليه ، والعمل له به ، وكنت أعلم أنى بكثير من الأمور غير عالم ، ولاكفران لله ، بل لله على المن والفضل العظيم ، وله منى الشكر والحمد الكبير على كبير نعمه على ، أنى أذكره الذى علمه الله من ذلك وأنهى اليه النصيحة فيما علمت ، بأدبه منى اليه ان شاء الله بحق الله على فى ذلك ، وحق أمير المؤمنين ونصيحته منى له وللرعية رجاء أن ينسى الله بذلك حسبا ، ويمحو عنى بذلك سببا ، واياه أسأل ذلك وأرغب اليه فيه في توفيقه أمير المؤمنين واياى لما يحب ويرضى ، وان نسبة هذا الأمر الذى جعله الله سبيلا لايمان المؤمنين واسلامهم ، واجتماع جماعتهم وائتلاف ألفتهم ، وأمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ،

(*) وكيع : أخبار القضاه ٢/٩٧-١٠٧ .

وليستموا نعمة ربهم عليهم ، وليبلغوا تمام المدة التى
{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى
لايشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون} .
جرت باذن الله بأعذاره بآياته الى خلقه ، واستخلافه منهم
أنبياءه ورسله المرسلين والخلفاء الراشدين والأئمة الفقهاء
الصديقين منا من الله على عباده ، واحسانا اليهم ، وعائدة
منهم ، وعطفا عليهم ، وابلاغا منه بالحجة اليهم ليعبدوا
الله ، لايشركوا به شيئا ، وليشكروه ولايكفروه ، وليستقيموا
اليه ، ويستغفروه وليأخذوا ماآتاهم من ذلك بقوة ،
ويجتمعوا عليه ، ولايفترقوا فيه ، فجرب ، أصلح الله أمير
المؤمنين ، سنة أولى ذلك الأمر ذلك بأنهم قاموا بنور
الكتاب الذى أنزل الله ، وأمالهم على ألسنتهم ، وأيديهم ،
ولمن يتبعهم عليه ، فنعم التابع ، ونعم المتبوع ، وهنيئا
لهم أجرهم ، وجزاءهم بما كانوا يعملون ، وأنهم هم الهداة
المهتدون ، والأئمة العائدون ، الأشراف الأكرمون ،
والمتواضعون المرتفعون ، والعلماء الخلفاء المعتصم بهم ،
والمعصومون ، وأنهم هم النبيون والصديقون والشهداء
والصالحون ، وكرم أولئك أئمة وأخوانا ورفقاء ، فبهم أعز
الله هذا الدين وأظهره ، وبهم أقام عموده ، وأنهج سبيله ،
وبهم يقذف للناس أحكامه ، حتى أخذ لضعيفهم من قويهم ،
ولمظلومهم من ظالمهم ، ولصغيرهم من كبيرهم ، ولبرهم من
فاجرهم ، وحتى استقامت سبلهم وحيى فيهم ودرت حلوبتهم
وسكنت البلاد واستقرت العباد ، وبهم ثبت الله ثغورهم ،

ونفى عنهم عدوهم ، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضا لم يطئوها وكان الله على كل شئ قديرا ، فعظم بذلك على العباد حقهم وألزمهم بذلك محبتهم ، والنصيحة لهم ، والحفيظة من ورائهم ، ووجب لذلك عليهم موازينهم ، والسمع والطاعة لهم ، ومابرحوا بذلك مقسطين فى حكمهم ، منيبين الى ربهم ، مقتصدين فى سيرهم ، توابين من خطاياهم ، أوابين الى خالقهم ، مستكينين له متضرعين اليه ، فى فكاك رقابهم ، وفى عصمتهم والمغفرة لهم ، حتى رضى عنهم وأحسن الثناء عليهم {أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون} ، وقال : {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} حتى قال فى آخر هذا الثناء {أولئك يجزون الغفرة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما} فى آى من القرآن كثير حتى قال : {هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب} ولعمرى مافعل القوم مافعلوا من ذلك عبثا ، ولابطرا ولالعبا ، ولالغوا ، ولكنهم نظروا فأبصروا ، وأبصروا فانصفوا ، وأنصتوا وهربوا ، وأدركوا وادراكوا فنجوا بعدما شف الهرب والطلب أجسامهم ، وغبر الوانهم ، وأسهر ليلهم وأحمض نهارهم ، وكف ألسنتهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، وجوارحهم ، عن مظالم الناس ، وسائر معاصى الله ، وحتى قتل الهم والطلب كثيرا منهم على البيع الذى بايعهم الله به ، واشتروا به أنفسهم منهم ، فأحياهم بقتله اياهم ، فربحوا كثيرا وأنالوا جسيما ، وفازوا فوزا عظيما ، وانقلب باقيهم بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء {واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم} قرت العيون فى ولايتهم وقوماتهم وعيشهم علينا ، وسكنت له النفوس فاطمأنت

له القلوب ، وعز لذلك عند فراقهم فقدهم ، وحسب البلاد ومن بعدهم ، فطوبى لتلك الأرواح الطيبة أرواحا ، وطوبى لتلك الأجساد الطاهرة أجسادا ، وطوبى لمن تبعهم بمثل عملهم وكان لهم تابعا ووليا ، وطوبى لهم ، ما أحرص المسارعين الى الخيرات على اتباعهم ، وأقل التابعين لهم بمثل هديهم ، وسيرتهم ، وأعز بهم فيمن هو بين ظهرانيه من الناس ، وأولئك كانت النوائب فيهم نوائب الدهر ، هي النوائب حق النوائب ، فأولئك عليهم من ربهم الصلوات والرحمة ، وأولئك هم المهتدون فبهداهم وسيرتهم فليقتد المقتدون ، وبهديهم فليهتد المهتدون .

وان قيام أمير المؤمنين بهذه الخلافة وافق من الناس جهدا جاهدا ، وعظما كسيرا وصحا تهتكا ورأوا رجاء منهم عظيما ، وأملا له وتأميلا منهم فيه سديدا أن يكون لهم اماما عدلا ، وحكما مقسطا يهدى فيهم بمثل هدى أولئك ويسير فيهم بمثل سيرهم ، فيؤتى بمثل أجورهم أجل الفوز العظيم ، الى الدرجات العلى في جنات النعيم ، وعاجلا من التمكين ، والنصر والفلاح ، والعافية والسلامة والمحبة من رعيته ، والنصيحة منهم بعطفه عليهم ورأفته بهم ورحمته لهم وانصافه اياهم ، واشباعه عليهم ، حتى يجبر الله منهم العظم الكسير ويسد به حاجتهم وخلتهم ، وقد (بحمد الله) رأوا من ذلك تباشيره ماقرت به العيون ، وثلجت به الصدور ، ورجوا به تمام ذلك وتمام نعمه عليهم ، ولعمرى ياأمير المؤمنين فالأمر في هؤلاء الناس لمن وليهم ، العائد عليهم لنفعه ، السعيد هديه الذى لامصرف له عنه الى ماهو خير له منه في دينه ودنياه ، بل الذى لم يول أمورهم الا بالعدل فيهم

واقامة الحق بينهم عليهم ولهم ، ومامنزلته التى استخلفه
الله لها فيهم الا كمنزلة الوالد الرءوف الرحيم لولده ،
والحريص على رشدهم وريبهم ، العزيز عليه عيبهم ، وفسادهم
العفو عن سببهم ، الساتر لعرورتهم ، الآخذ بمالايجمل تركه ،
ومامنزلته فيهم التى يقوى بها على أمورهم ، ان شاء الله ،
الا منزلة من لايقربه اليه ولاغنى به عنه ، وقد آتى الله
أمير المؤمنين من سلطان النعمة لدينه ، والمعونة له
والحجة عليه خصالا عظمت بها المنة عليه ، وعلى رعيته فيه ،
من السمع والطاعة والسكون ، والاستقامة وصلاح ذات البين ،
ومايوسع الله به على يديه ان شاء الله على الجماعات
والبيضة مع موضعه الذى وضعه الله من رسوله صلى الله عليه
وسلم ، والخلفاء وأن ليس بالذى قصر به تقارب سر ، فلم يبق
الا الشكر ، وأن يأمر فيطاع ، وقد علم أمير المؤمنين أنه
قد كان يقال : ليوم من امام عدل خير من عبادة ستين سنة ،
ففى مثل ذلك ياأمير المؤمنين فليتنافس المتنافسون من
الولاة ، وقد علم أمير المؤمنين أن حمل عليه فى هذه الرعية
خصال أربع : الثغور ، والأحكام ، والفىء ، والصدقة ، وأن
مما تصح بهذه الخصال الأربع باذن الله خصلتان : فأما
الثغور فقد علم أمير المؤمنين أن قوامها باذن الله أهل
النجدة والشجاعة ، من أهل الحنكة والتجربة ، وأن مما يصلح
أولئك مااستعين بهم أن يسبغ عليهم وعلى جندهم من العطاء
والأرزاق ، وأن لايوكلوا الى مايصيبون من غنائمهم ، بل يجلب
لهم ولجندهم عندما يحدث الله لهم وعلى أيديهم من ذلك
العطاء ، والألطاف ، ويخص بجمال ذلك أهل النجدة والبأس
والنكاية فى العدو منهم ، ويسمو بهم الى أفضل غايتهم

ويعرف ذلك لهم ، ويذكرون به ، ويحفظ لهم ، ويحفظون به فى أعقابهم من بعدهم بواجب حقهم ، وليتنافس فى ذلك من سواهم وليستنصروا به ثم لايحجب لهم بقبولها ولو طرق طروقا ، فقد بلغنى أن بعض الفقهاء التابعين رفع الحديث ، قال : لايزال لهذه الأمة طعمة مابيتت ثغورها ، فاذا بيتت من قبل ثغورها بينت طعمها أو انقطعت مدتها ، وهنالك يطعن الرجال فيهم ، فالثغور الثغور ياأمير المؤمنين، ثم الثغور الثغور ياأمير المؤمنين ، فان الثغور حصون باذن الله للعباد ، وسكن للبلاد ، وقرار لهذه الأمة ليبلغوا منافعهم وصلاحهم فى دينهم ودنياهم ، ولتتم لهم مدة بقاء معالم دينهم آمنين مطمئنين وفى ذلك ياأمير المؤمنين بلاء من الله فى نعمه عليهم واحسانه اليهم عظيم ، والأجر فى ذلك لمن ولاه اقامتهم ، والورد فيه على حسب ذلك ، فعصم الله أمير المؤمنين من سيء ذلك ، ووفقه لأحسنه .

وهذه الأحكام والحكام ولايمنعنى ماأنا بسبيله ، أن أنهى الى أمير المؤمنين ، بمبلغ علمى ، النصيحة له فى ذلك فانى أعلم أن بقائى فيما أنا فيه قليل اما بفراق فى الحياة ، واما بموت ، فان أكبر ماأحض عليه من ذلك يكون لسواى ، فأما الأحكام فان الحكم بما فى كتاب الله ثم بما فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان لم يوجد ذلك فى كتاب الله ، ثم ماأجمع عليه الأئمة الفقهاء ان لم يوجد ذلك فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اجتهاد الحاكم فانه لايألو اذا ولاه الامام ذلك ، مع مشاورة أهل العلم .

فأما الحكام ، فقد علم أمير المؤمنين ، ان شاء الله أدنى مأموله أن يكون فى الحاكم الورع والعقل ، فان أحدهما

ان أخطأه لم يقمه أهل العلم ، واختيار خيار مايشار به عليه في ذلك فان كان له مع ذلك ، فهم وعلم من الكتاب والسنة ، كان بالغا فان كان مع ذلك ذا حكم ، وصرامة وفطنة بمذاهب الناس ، وغوامض أمورهم التي عليها يتظالمون فيما بينهم وبها يقارعونه عن دينه ودنياه ، كان ذلك هو الكامل التام ، فاذا وجد أحد أولئك استعين به ثم ثبت نعله وأعلى كعبه ، وشد ظهره وأزره ، وأنفذ حكمه ، وأسبغ عليه ، وعلى أعوانه وكتابه من الأرزاق ، فان الحكم مهيمن على سائر الأعمال مقدم بين يديها امام لها ، وحكم عليها ، وقوام لها .

ومن ذلك هذا الفيء ، وأخذه من مواضعه بسنته ، وعدله على قدر مايطيق أهله من التخفيف عنهم ، وحتى يترك لهم مايصلحهم وأرضهم ، ومن تحت أيديهم من أعوانهم وعيالاتهم ، وحتى ينفق على فقيرهم ، وكذلك بلغني من السيرة فيهم ، كان يفعل ويذكر ذلك فيهم ، في عامهم لقابلهم ، فان ذلك أعمر للبلاد ، وأدر للحلب وأكثر للخراج ، وأعدل في الرعية فان قليل مايوجد منهم في التخفيف عليهم مع عمارة بلادهم ، وانصبتهم أكبر أضعافا كبير مايوجد منهم في اهلاك أنفسهم ، واخراب بلادهم وأن يوفى لموادعهم بشروطهم ، فاني أرى فيما قبلي ههنا عجبي من أمرين في شيء واحد ، أما أحدهما فاني آتي في بعض ماقبلنا الأرض التي هي منها والى جنبها وأربية من ارابيها ، يوفى لأهلها بالشروط وفي المزارعة ويقارب لهم الوفاء ، فيخرج من الخراج أكبر مما تخرج تلك الكور كلها ، وفي الأمر الآخر الذي كتب فيه أمير المؤمنين أبو جعفر الى سوار بن عبد الله ، وهو يومئذ على قضاء البصرة ، اني قد

أمرت بالوفاء للمزارعين المتقبلين بشروطهم فاعلم ذلك وأعلمه الناس قبلك ، ثم أرى الرجل من أولئك المزارعين يشكو أنه يؤخذ منه أضعاف ماقوطع عليه ياأمير المؤمنين ثم يوضع هذا الفيء ، بعد استخراجه ، على سننه وعدله مواضعه ، فان أمير المؤمنين قد علم ان شاء الله أن أهله ومواضعه أهل الآيات الأربع التى فى سورة الحشر ، وآية الخمس التى فى سورة الأنفال ، وهى الآيات الأربع التى أولاهن : {ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى} الى قوله : {شديد العقاب} وقد عرف أمير المؤمنين ان شاء الله أهل هذه الآية ومواضعها ، ثم قال : {للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله} ليس فيهم الأنصار ثم قال : {والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم} الآية .

وقد عرف ، ان شاء الله ، أن أهل هذه الآية هم الأنصار ليس فيها من المهاجرين أحد ، قال : {والذين جاءوامن بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا} الآية وعرف ، ان شاء الله ان أهل هذه الجماعة من بقى من الاسلام ، ومن هو داخل فيه حتى تنقضى الدنيا .

وبلغنى أن عمر بن الخطاب فسر هؤلاء الآيات الثلاث موضعا لهذا الفيء ، وكذلك بلغنى عن عمر بن عبد العزيز ، ولاأظن بلغه ذلك الا عن عمر بن الخطاب فتبعه ، فهذا الفيء كذلك بينهم وفيهم على مايرى امام العامة فى قسمته بينهم من تفضيل بعضهم على بعض على مناقبهم ، وسابقتهم ، وولاية من ولى الله فتح أول ذلك على يديه منهم ، وحفظ أعقابهم من بعدهم ، وكذلك بلغنى أنه كان يفعل .

والتسوية بين من استوت منازلهم ممن سواهم من الناس من ذلك ، وقد بلغنى ، ولا أخل أمير المؤمنين ، أمتع الله به الا قد علم ذلك وبلغه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ من ذروة سنامى بعير بين أصبعه شعرات ثم قال : مالأمير ولامأمور مما أفاء الله عليهم مثل هذا الا الخمس والخمس مردود عليكم ، وقال : ولو كان ماأفاء الله عليكم مثل سمر تهامة نعما ماوجدتمونى فيه بخيلا .

وهذه الصدقات أخذها من واضعها لايجاوز بشر فريضة الى مافوقها ، ولايقتصر بها الى مادونها ، ولايغلى عليها قيمتها ولاخال أمير المؤمنين الا قد بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : المعتدى بالصدقة كمانعها ، وأن يوجد من الحبوب والثمار وسائر الأموال التى جرت فيها الصدقات على سننها التى قد علمها المسلمون ، وعملوا بها ، وأن يؤخذ من تجار أهل الذمة ضعف مايؤخذ من تجار المسلمين ، فكذلك بلغنى أن عمر بن الخطاب أمر به فى أموال تجار أهل الذمة وأنه أمر أن يؤخذ من تجار الحرب اذا قدموا على المسلمين ، كنحو مايأخذ أهل الحرب من تجار المسلمين اذا قدموا عليهم ، ووضع هذه الصدقات فى مواضعها من أهل الصدقة الذين أمر الله بهم فى كتابه ، لايجاوز بها الى غيرهم ، ولايقصر بها دونهم يوم تدلك الآية التى فى براءة ، وهى {انما الصدقات للفقراء والمساكين} الى {والله عليم حكيم} ، تقسم بين هذه الآية على مايرى الامام من قسمتها بينهم على قدر قلة كل صنف منها وكثرته ، ولايعدل صدقة عن أهل بلدها الا أن يستغنوا عنها ، أو يستغنوا بما يقسم فيهم منها فى عامهم ذلك الى

حين يقسم الصدقة فيهم من قابلهم ، فاذا كان كذلك عدلت عنهم علمهم ذلك الى أدنى من يليهم من الفقراء على نحو من ذلك القسم .

فهذه الخصال الأربع التى يعلم أمير المؤمنين أنها هى جمل الأعمال فى رعيته ، ويعلم أن ليس لأحد فى كتاب الله ولافى شىء من سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر رأى ألا الانقياد له ، والمجاهدة عليه ، وماسوى ذلك من الأمور التى تبتلى بها الأئمة مما يؤتى فيه الناس مما لم يحكم القرآن ولاسنة النبى عليه السلام فان ولى أمر المسلمين وامام جماعتهم لايقدم فيها بين يديه ، ولايقضى فيه دونه ، بل على من دونه رفع ذلك اليه ، والتسليم لما قضى .

وأما الخصلتان اللتان تصلحان بهم باذن الله ان شاء الله ، فالمسألة لأهل الذكر ، والأمانة عن قاضى عمال أمير المؤمنين ، ودانيهم ، ثم اللحاق بكل ماهو أهله من جزاء المحسن باحسانه وتأديب المسىء منهم باساءته ، أو عزله والاستبدال به على قدر مايستحقون من التأديب والعزل .

ومما يصلح ذلك ، أصلح الله أمير المؤمنين ، ويقود به الوالى على أمره ألا يستكثر من الحسن شيئا عمل وان كثر ، فانه ليس شىء من حسن عمل به امرؤ ، والا ونعمة الله عليه فى ذلك خاصة أكثر ، وحق الله عليه فيه ، وفيما سواه أعظم وأوجب ، وليس العباد ، وان حزموا وجدوا ، مانعى كنه حق الله عليه ، الا ماأعان الله ورحم ، وألا يستقل من الحسن شيئا فيدعه ، فان المحسن مسرور بما هو مفروض عليه من حسن عمله ، قليله وكثيره ، وان الحسنة الى الحسنة حسنات ، و{ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين} ولايحقر

مع ذلك من مسىء شيئا وان تقال فى عينه ، فانه ليس شىء من السىء بقليل ، وليس شىء منه الا وهو مخوف سر عاقبته الا ماأعان الله وتجاوز ، ثم لايؤخر عمل اليوم لغد فانه اذاكان ذلك تداركت الاعمال وشغل بعضها عن بعض ، ثم المبادرة بالعمل فى العامة وفى خاصة النفس الخصال الست ، التى لااخال أمير المؤمنين الا وقد علمهن ، وبلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بمبادرتهن بالعمل ، طلوع الشمس من مغربها ، والدجل ، ودابة الأرض ، وخويصة أحدكم ، وأمر العامة فانه لايؤمن احدها أن تصبح وتمسى ، وذلك مالااخاله ، الا وقد بلغ أمير المؤمنين من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، بعثت والساعة كهاتين ، وجمع بين أصبعيه الوسطى ، والتى تليها ، وقوله : ان مابقى من الدنيا فيما مضى منها كعابر يومكم هذا فيما مضى فيه ، والشمس حينئذ على رؤوس الجبال ، ومن آخر يومه ذلك ، وقوله : وكيف أنعم ، وصاحب القرن قد التقمه ، وقد حبا جبينه وأصغى بسمعه ، وقدم قدما وأخر قدما ، وينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ ، وقوله : انما مثلى ومثل الساعة كقوم بعثوا ربيئة لهم يربأ العدو ، فأبصر العدو فخاف أن يسبقوه الى أصحابه ، والذى ينوبه ونادى ياصباحاه ، فكيف وقد أتى دون هذا القول ماأتى من القرون والسنين ، فان رأى أمير المؤمنين أن يكون بحضرته قوم منتخبون من أهل الأمصار ، أهل صدق وعلم بالسنة ، أولو حنكة وعقول وورع لما يرد عليه من أمور الناس ، وأحكامهم ، ومايرفع اليه من مظالمهم فليفعل فان أمير المؤمنين ، وان كان الله قد أنعم عليه وأفضل بما أفاد من العلم بكتابه وسنته ، رد عليه أمور هذه الأمة أهل شرقها وغربها ،

ودانيها وقاصيها ، فيشغله بعضها عن بعض ، ففى ذلك عون صدق على ماهو فيه ان شاء الله ، وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ، والوحى ينزل عليه ، وهو خير وأبقى وأبر وأعلم ممن سواه من الناس {وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين} ، وقال للقوم وهو يصف حسن أعمالهم : {وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون} ، وذلك الى ماقد سر الناس مما بلغهم من بروز أمير المؤمنين لهم وبحاجاتهم ، ورجوا أن يتم الله ذلك لأمير المؤمنين ، بمباشرته أمورهم ، وصبره نفسه على ذلك لهم ، وأن يزيده الله قوة ورغبة فيه ومواظبة عليه ، فان ذلك من أعلام العدل وآياته ، ومما يقوم به الوالى على أمر الرعية ويخلص به الى التى يريد المبالغة فيها ، والمباشرة لها ، فتمم الله ذلك لأمير المؤمنين ، وييسره له وارجو أن يكون طائره الى ذلك علمه بعدله ، ودينه وقوته ونظره لنفسه ، واختياره لها خيار الأمور وأحسنها ، وأنه قد عرف ماقيل فى اغلاق الباب دون ذوى الحاجة ، والخلة والمسكنة ، أسأل الله لأمير المؤمنين رحمته وسعة فضله وأن يجعل ولايته ولاية عدل ، ويرزقه المعافاة ، وأن يلهمه العطف على الرعية ، والرأفة بهم ، والرحمة لهم وأن يرزقه منهم السمع والطاعة ، وأن يجمع كلمتهم ، ويلم شعثهم .

وكتب الحكم فى صفر سنة تسع وخمسين ومائة " .

ثانيا : فقرات من نصائح القاضي أبي يوسف للخليفة هارون الرشيد ضمن كتابه "الخراج"(*)

"أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام له العز فى تمام من النعمة ، ودوام من الكرامة ، وجعل ماأنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذى لاينفد ولايزول ، ومرافقة النبى صلى الله عليه وسلم .

ان أمير المؤمنين - أيده الله تعالى - سألنى أن أضع له كتابا جامعا يعمل به فى جباية الخراج ، والعشور ، والصدقات ، والجوالى ، وغير ذلك ، مما يجب عليه النظر فيه والعمل به . وانما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم ، فوفق الله أمير المؤمنين وسدده ، وأعانه على ماتولى من ذلك ، وسلمه مما يخاف ويحذر . وأن أبين له ماسألنى عنه مما يريد العمل به ، وأفسره وأشرحه . وقد فسرت ذلك وشرحته .

ياأمير المؤمنين ، ان الله - وله الحمد - قد قلدك أمرا عظيما ، ثوابه أعظم الثواب ، وعقابه أشد العقاب ، قلدك أمر هذه الأمة ، فأصبحت وأمسيت وأنت تبنى لخلق كثير ، قد استرعاكم الله ، وائتمنك عليهم ، وابتلاك بهم ، وولاك أمرهم ، وليس يثبت البنيان - اذا أسس على غير التقوى - أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه ،

(*) أبو يوسف : الخراج ص/٣١-٣٤،١٧٦،٢٢٥-٢٢٩،٢٣٤-٢٣٦،٢٥٥، ٢٧١ .

فلاتضيعن ماقلدك الله من أمر هذه الرعية ، فان القوة فى العمل باذن الله .

لاتؤخر عمل اليوم الى غد ، فانك اذا فعلت ذلك اضعت ، وان الأجل دون الأمل ، فبادر الأجل بالعمل ، فانه لاعمل بعد الأجل .

وان الرعاة مؤدون الى ربهم مايؤدى الراعى الى ربه ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ، فان أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ، ولاتزغ فتزيغ رعيتك ، واياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب .

واذا نظرت الى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا ، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فان الآخرة تبقى والدنيا تفنى ، وكن من خشية الله على حذر . واجعل الناس فى أمر الله عندك سواء ، القريب والبعيد ، ولاتخف فى الله لومة لائم ، واحذر فان الحذر بالقلب وليس باللسان ، واتق الله فان التقوى بالتوقى ، ومن يتق الله يقه الله .

واعمل لأجل مقبوض ، وسبيل مسلوك ، وطريق مأخوذ ، وعمل محفوظ ، ومنهل مورود ، فان ذلك المورد الحق ، والموقف الأعظم ، الذى تطير فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته ، والخلق له داخرون بين يديه ، ينتظرون قضاءه ، ويخافون عقوبته ، وكان ذلك قد كان! فكفى بالحسرة والندامة يومئذ فى ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل ليوم تزل فيه الأقدام ، وتتغير فيه الألوان ، ويطول فيه القيام ، ويشتد فيه الحساب! يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى كتابه : {ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون} . وقال تعالى : {هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين} . وقال عز وجل :

{ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين} ، وقال عز وجل : {كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار} . وقال : {كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها} . فيالها من عثرة لاتقال! ويالها من ندامة لاتنفع ، انما هو اختلاف الليل والنهار ، يبليان كل جديد ، ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود ، ويجزى الله كل نفس بما كسبت ، ان الله سريع الحساب .

فالله الله! فان البقاء قليل ، والخطر عظيم ، والدنيا هالكة وهالك من فيها ، والآخرة هى دار القرار . فلاتلقين الله - عز وجل - غدا وأنت سالك سبيل المعتدين ، فان ديان يوم الدين انما يدين العباد بأعمالهم ، ولايدينهم بمنازلهم . وقد حذرك الله فاحذر ، فانك لم تخلق عبثا ، ولن تترك سدى . وان الله سائلك عما أنت فيه ، وماعملت به فانظر ما الجواب؟

واعلم أنه لن تزول غدا قدم عبد بين يدى الله - عز وجل - الا من بعد المسألة ، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لاتزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن علمه ، ماعمل فيه؟ وعن عمره فيم افناه؟ وعن ماله ، من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه؟ وعن جسده ، فيم أبلاه؟" .

فأعد - ياأمير المؤمنين - للمسألة جوابها ، فان ماعملت وأتيت فهو عليك غدا يقرأ ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله فى مجمع الأشهاد .

وانى أوصيك - ياأمير المؤمنين - بحفظ مااستحفظك الله ورعاية مااسترعاك ، وأن لاتنظر فى ذلك الا اليه وله ، فانك

ان لاتفعل تتوعر عليك سهولة الهدى ، وتتعمى فى عينيك رسومه وتضيق عليك رحابه ، وتنكر منه ماتعرف ، وتعرف منه ماتنكر فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لاعليها ، فان الراعى المضيع يضمن ماهلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة باذن الله ، وأورده أماكن الحياة والنجاة ، فاذا ترك ذلك أضاعه ، وان تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع ، وبه أضر . واذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك ، ووفاه الله أضعاف ماوفى له . فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفى ربها حقها منك ، ويضيعك بما أضعت أجرك ، وانما يدعم البنيان قبل أن ينهدم ، وانما لك من عملك ماعملت فيمن ولاك الله أمره ، وعليك ماضيعت منه ، فلاتنس القيام بأمر من ولاك الله أمره فلست تنسى ، ولاتغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك .

... فمر – ياأمير المؤمنين – باختيار رجل ثقة ، أمين عفيف ناصح ، مأمون عليك وعلى رعيتك ، فوله جميع صدقات البلدان ، ومره فليوجه فيها قوما يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم . يجمعون اليه صدقات البلدان.

فاذا اجتمعت اليه أمرته فيها بأمر الله فأنفذه . ولاتولها عمال الخراج ، فان مال الصدقة لاينبغى أن يدخل فى مال الخراج . وقد يبلغنى أن عمال الخراج يبعثون رجالا من قبلهم فى الصدقات فيظلمون ويعسفون ويأتون مالايحل ولايسع ، وانما ينبغى أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح . فاذا وليتها رجلا وجه من قبله من يوثق بدينه وأمانته ، وأجريت عليهم من الرزق بقدر ماترى ، ولاتجر عليهم مايستغرق أكثر الصدقة .

... ورأيت أن لاتقبل شيئا من السواد ولاغير السواد من البلدان ، فان المتقبل اذا كان فى قبالته فضل على الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم مالايجب عليهم ، فيأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه ، وفى ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية . والمتقبل لايبالى هلاكهم بصلاح أمره فى قبالته ولعله أن يستفضل بعد مايتقبل به فضلا كثيرا ، وليس ذلك يمكنه الا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد ، واقامة لهم فى الشمس ، وتعليق الحجارة فى الأعناق ، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج منه ، وهذا مما لاينبغى ولايحل ولايصلح ولايسع . الحمل على أهل الخراج بما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه ، انما أمر الله أن يؤخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم .

وانما أكره القبالة لأنى لاآمن أن يحمل هذا المتقبل على أهل الخراج ماليس واجبا عليهم ، فيعاملهم بما وصفت لك فيضر ذلك بهم ، فيخربوا ماعمروه ويدعوه ، فينكسر الخراج . وليس يبقى على الفساد شىء ، ولن يقل مع الصلاح شىء ، ان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد نهى عن الفساد فقال : {ولاتفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها} . وقال : {واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لايحب الفساد} . وانما هلك من هلك من الأمم بحبسهم الحق حتى يشترى منهم ، واظهارهم الظلم حتى يفتدى منهم . والحمل على أهل الخراج ماليس بواجب عليهم من الظلم الظاهر الذى لايحل ولايسع .

وان جاء أهل طسوج أو مصر من الأمصار ، ومعهم رجل من أهل البلد معروف وموسر ، فقال : أنا أتضمن عن أهل هذا الطسوج أو أهل هذا البلد خراجهم ، ورضوا هم بذلك وقالوا : هذا أخف علينا ـ نظر فى ذلك ـ فان كان صلاحا لأهل البلد أو

الطسوج ، قبل وضمن ذلك واشهد عليه ، وصير معه أمين من قبل الامام يوثق بدينه وأمانته ، ويجرى عليه رزق من بيت المال فان أراد ظلم أحد من أهل الخراج والزيادة عليه ، أو تحميله شيئا لايجب عليه ، منعه الأمين من ذلك أشد منع .

وأمير المؤمنين أعلى عينا بما رأى من ذلك ، مارأى أنه أصلح لأهل الخراج وأوفر على بيت المال ، عمل به من القبالة والولاية بعد الاعذار والتقدم الى التقبل والوالى برفع الظلم عن الرعية ، والوعيد له ، ان حملهم مالاطاقة لهم به ، وماليس بواجب عليهم ، فان فعل فف له بما وعدته ليكون ذلك زاجرا وناهيا لغيره ، ان شاء الله تعالى .

ورأيت - أبقى الله أمير المؤمنين - أن تتخير قوما من أهل الصلاح والدين والأمانة ، فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأى ، عفيفا لايطلع الناس منه على عورة ، ولايخاف فى الله لومة لائم ، ماحفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ، وماعمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت ، تجوز شهادته ان شهد ، ولايخاف منه جور فى حكم ان حكم ، فانك انما وليته جباية الأموال وأخذها من حلها ، وتجنب ماحرم منها ، يرفع من ذلك مايشاء ، ويحتجن منه مايشاء ، فاذا لم يكن عدلا ثقة أمينا فلايؤتمن على الأموال . انى قد أراهم لايحتاطون فيمن يولون الخراج ، اذا لزم الرجل منهم باب أحدهم أياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم ، ولعله أن لايكون عرفه بسلامة ناحية ، ولابعفاف ولاباستقامة طريقة ولابغير ذلك . وقد يجب الاحتياط فيمن تولى شيئا من أمر الخراج والبحث عن مذاهبهم والسؤال عن طرائقهم ، كما يجب ذلك فيمن أريد للحكم والقضاء .

وتقدم الى من وليت أن لايكون عسوفا لأهل عمله ، ولامحقرا لهم ولامستخفا بهم ، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة . والاستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملوا مالايجب عليهم ، واللين للمسلم ، والغلظة على الفاجر ، والعدل على أهل الذمة ، وانصاف المظلوم ، والشدة على الظالم ، والعفو عن الناس ، فان ذلك يدعوهم الى الطاعة وأن تكون جبايته للخراج كما يرسم له ، وترك الابتداع فيما يعاملهم به والمواساة بينهم فى مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد ، والشريف والوضيع عنده فى الحق سواء ، وترك اتباع الهوى ، فان الله معين من اتقاه وآثر طاعته وأمره على ماسواهما .

وانى لأرجو ـ ان أمرت بذلك ، وعلم الله من قلبك ايثارك لذلك على غيره ، ثم بدل منهم مبدل ، أو خالف منهم مخالف ـ أن يأخذه الله به دونك ، وأن يكثر لك أجرك ومانويت ان شاء الله .

ولتصير مع الوالى الذى توليه قوما من الجند من أهل الديوان ، فى أعناقهم بيعة على النصح لك ، فان من نصحك أن لاتظلم رعيتك ، وتأمر باجراء ارزاقهم عليهم من ديوانهم شهرا بشهر ولايجرى عليهم من الخراج درهم فما سواه .

وان قال أهل الخراج : نحن نجرى على والينا وجنده من عندنا ، لم يقبل ذلك منهم ، ولم يحملوه ، فانه قد بلغنى أنه يكون فى حاشية الوالى والعامل جماعة منهم ، من لديه به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ، ليسوا بأبرار ولاصالحين ، يستعين بهم ويوجههم فى عماله . يقضى بذلك الذمامات ، فليس يحفظون مايوكلون بحفظه ، ولاينصفون من

يعاملون ، انما مذهبهم أخذ الشيء من الخراج كان أو من أموال الرعية ، ثم يأخذون ذلك فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدى . ثم لايزال الوالى ومن معه قد نزل بقرية فأخذ أهلها من نزله بما لايقدرون عليه ولايجب عليهم ، حتى يتكلفوا ذلك فيجحف بهم . ثم قد يبعث رجلا من هؤلاء الذين وصفت لك أنهم معه الى رجل ممن له عليه الخراج ليأتى به ، فيأخذ منه الخراج ، فيقول له : قد جعلت لك أن تأخذ منه كذا وكذا ، حتى لقد بلغنى أنه ربما وظف له أكثر مما يطالب به الرجل من الخراج ، فاذا أتاه ذلك الموجه اليه قال له : أعطنى جعلى الذى جعله لى الوالى ، فان جعلى كذا وكذا . فان لم يعطه ضربه وعسفه ، وساق الغنم والبقر ، ومن أمكنه من ضعفى المزارعين حتى يأخذ ذلك منه ظلما وعدوانا . وهذا كله ضرر على أهل الخراج ، ونقص الفيء ، مع مافيه من الاثم .

فأمر بحسم هذا وماأشبهه ، وترك التعرض لمثله حتى لايكون مع الوالى من هؤلاء الذين سميت أحد ، ويكون مايؤخذ لك من المال من باب حله ، ولايوضع الا فى حقه .

وتقدم فى اختيار هؤلاء الجند الذين تصيرهم مع الوالى وليكونوا من الصالحين ، ومن له الفهم والسبر والنعمة منهم ان شاء الله تعالى .

... وأن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ، ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال وماعملوا به فى البلاد وكيف جبوا الخراج على ماأمروا به أو زادوا على أهل الخراج؟ فان كانوا زادوا على ماأمروا به وعلى ماوظف على أهل الخراج ، واستقر ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا

من ذلك أشد الأخذ حتى يردوه بعد العقوبة الموجعة والنكال ، حتى لايتعدوا ماأمروا به ، ومايتعهد اليهم فيه ، فان كل ماعمل به والى الخراج من الظلم والتعسف فانما يحمل على انه قد أمر به - وقد أمر بغيره - فان أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف ، وان لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترؤوا على ظلمهم وتعسفهم ، وأخذهم بما لايجب عليهم .

واذا صح عندك من العامل والوالى تعد وظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك ، واحتجان شىء من الفىء ، أو خبث طوية أو سوء سيرة ، فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، أو أن تقلده شأنا من أمور رعيتك ، أو تشركه فى شىء من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل ماتعرض له ، "واتق دعوة المظلوم فان دعوته مجابة " .

... واعلم أن العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم ، مع مافى ذلك من الأجر يزيد فى الخراج ، ويكثر عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون ، وهى تفقد مع الجور ، والخراج بالجور ينقص ، والبلاد به تخرب ، هذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يجبى السواد مع عدله فى أهل الخراج وانصافه لهم ورفعه الظلم عنهم مائة ألف ألف ، والدرهم اذ ذاك وزنه وزن المثقال! فلو تقربت الى الله تعالى - ياأمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك فى الشهر أو الشهرين مجلسا واحدا ، تسمع فيه من المظلوم ، وتنكر على الظالم - رجوت أن لاتكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ، ولعلك لاتجلس الا مجلسا أو مجلسين حتى ينتشر ذلك فى الأمصار والمدن ، فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه ، فلايجترىء على الظلم ، ويأمل الضعيف

المقهور جلوسك ونظرك فى أمره فيقوى قلبه ، ويكثر دعاؤه . ان لم يمكنك الاستماع فى المجلس الذى تجلسه من كل من حضر من المتظلمين ، نظرت فى أمر طائفة منهم فى أول مجلس ، وفى أمر طائفة أخرى فى المجلس الثانى ، وكذلك فى المجلس الثالث . ولاتقدم فى ذلك انسانا على انسان ، من خرجت قمته أولا دعى به أولا ، وكذلك من بعده . مع أن العمال والولاة ان علموا أنك تجلس للنظر فى أمور الناس يوما فى السنة ، ليس يوما فى الشهر ، تناهوا باذن الله عن الظلم ، وأنصفوا من انفسهم ، وانى لأرجو لك بذلك أعظم الثواب ، انه من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة .

... ولايضرب أحد من أهل الجزية فى استيدائهم الجزية ، ولايقاموا فى شمس ولاغيرها ، ولايحمل عليهم فى ابدانهم شىء من المكاره ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ماعليهم . ولايخرجون من الحبس حتى يستوفى منهم الجزية . ولايدع أحدا من النصارى واليهود والمجوس والصابئين والسامرة الا أخذ منه الجزية ، ولايرخص لأحد منهم فى ترك شىء من ذلك . ولايحل أن يدع واحدا وتؤخذ من واحد ، ولايسع ذلك ، لأن دماءهم وأموالهم انما أحرزت بأداء الجزية ، والجزية بمنزلة مال الخراج .

... وأما العشور فرأيت أن توليها قوما من أهل الصلاح والدين ، وتأمرهم أن لايتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ولايظلموهم ، ولايأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم ، وأن يمتثلوا مارسمناه لهم . ثم يتفقد بعد أمرهم ومايعاملون به فيما يمر بهم ، وهل يجاوزون ماقد أمروا به؟ فان كانوا قد فعلوا عزلت وعاقبت ، وأخذتهم بما يصح عندك عليهم لمظلوم

أو مأخوذ منه أكثر مما يجب عليه ، وان كانوا قد انتهوا الى ما أمروا ، وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد اثبتهم على ذلك ، وأحسنت اليهم ، فانك متى أثبت على حسن السيرة والأمانة ، وعاقبت على الظلم والتعدى لما تأمر به فى الرعية ، يزيد المحسن فى احسانه ونصيحته ، ويؤدب الظالم على معاودة الظلم والتعدى" .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : كتب السنة النبوية .

* البخاري : الامام محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)

- صحيح البخاري ، ضبطه د. مصطفى البغا ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* مسلم : الامام مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)

- صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

ثالثا : المصادر المخطوطة .

* الجنابي : مصطفى بن حسن سنان بن أحمد الهاشمي (ت٩٩٩هـ/١٥٩٠م)

- البحر الزاخر في أحوال الأوائل والأواخر ، مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (٦١) تاريخ .

* ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

- أخبار البرامكة ومكارمهم . مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (٢٥) تاريخ .

* ابن أبي السرور : علي بن محمد بن أبي السرور الرومي

- بلغة الظرفاء الى معرفة تواريخ العلماء . مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (١٣٦٧) تاريخ.

* السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

- قدح الدراسة في مناهج السياسة ، مخطوط المتحف البريطاني لندن رقم (OR ١٥٣٤) عربي .

* ابن كنان : محمد بن عيسى بن محمود (ت١١٥٣هـ/١٧٤٠م)

- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، مخطوط ميكروفيلم مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (٥٣٥) مجاميع.

* المالكي : محمد بن محمد (ت بعد ١٠٢٦هـ/١٦١٧م)

- التحفة السنية في سياسة الرعية ، مخطوط ميكروفيلم مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (٥٠٠) مجاميع .

* الموصلي : محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الملك (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)

- روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان ، مخطوط ميكروفيلم ، مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (١١٠٤) تاريخ.

* ياسين الخطيب : ياسين بن خير الله بن محمود (ت بعد ١٢٣٢هـ/١٧٤٤م)

- الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ، مخطوط ميكروفيلم ، مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، رقم (١٠٤٥) تاريخ .

رابعا : المصادر المطبوعة .

* الابشيهى : شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م)
- المستطرف فى كل فن مستظرف ، دار احياء التراث العربى ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
* الاتليدى : محمد المعروف بذياب الاتليدى (ت بعد ١١٠٠هـ/بعد ١٦٨٨م)
- اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس ، طبع بالمطبعة اليوسفية ، القاهرة ، (بدون) .
* ابن الأثير : على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار الفكر (بدون) .
* الأحدب : محمد بن ابراهيم بن الحجاج
- الذيل الثانى لكتاب المستطرف فى كل فن مستظرف للابشيهى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .
* ابن الاخوة القرشى : محمد بن محمد بن أحمد (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م)
- معالم القربة فى أحكام الحسبة ، نشر روبن ليون ، دار الفنون بكيمبردج ، ١٩٣٧م .
* الاربلى : عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)
- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكى السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق ، (بدون)
* الأزدى : على بن ظافر بن الحسين (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)
- أخبار الدول المنقطعة - تاريخ الدولة العباسية - تحقيق د. محمد مسفر الزهرانى ، مطبعة المدنى ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- بدائع البدائه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

* الأزدى : يزيد بن محمد بن اياس - أبو زكريا - (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)

- تاريخ الموصل ، تحقيق د. على حبيبه ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* ابن الأزرق : محمد بن على بن محمد الغرناطى (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م)

- بدائع السلك فى طبائع الملك ، تحقيق د. على سامى النشار ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٧م .

* الأزرقى : محمد بن عبد الله بن أحمد - أبو الوليد - (ت نحو ٢٥٠هـ/٨٦٥م)

- أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* الأصبهانى : أحمد بن عبد الله - الحافظ أبو نعيم - (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)

- ذكر أخبار أصبهان ، الدار العلمية ، الهند دلهى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الاصطخرى : ابراهيم بن محمد الفارس (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)

- مسالك الممالك ، نشر دى غويه بريل ، ليدن ، ١٩٢٧م .

* الأصفهانى : حمزة بن الحسن (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)

- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون) .

* الأصفهاني : علي بن حسين بن محمد – أبو الفرج – (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)

– كتاب الأغاني ، شرح سمير جابر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

– مقاتل الطالبيين ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون) .

* ابن أعثم : أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)

– كتاب الفتوح ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد ، الدكن الهند ، الطبعة الأولى ، أيضا نشر دار الندوة الجديد بيروت ، لبنان ، (بدون) .

* الأعرج : محمد بن عبد الوهاب – أبو الفضل – (ت٩٢٥هـ ١٥١٩م)

– تحرير السلوك في تدبير الملوك ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، (بدون) .

* ابن بكار : الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)

– جمهرة نسب قريش وأخبارها ، شرحه وحققه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .

* البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)

– فتوح البلدان ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (بدون) .

* البيهقي : ابراهيم بن محمد (كان حيا سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

– المحاسن والمساوىء ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* ابن تغرى بردى : يوسف بن تغرى بردى الأتابكى - أبو المحاسن - (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (بدون) .

* التنوخى : المحسن بن على (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)

- الفرج بعد الشدة ، تحقيق عبود الشالجى ، دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجى ، طبع ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

* التوحيدى : على بن محمد - أبو حيان - (ت نحو ٤٠٠هـ ١٠١٠م)

- الامتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، (بدون) .

* ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين - تقى الدين - (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)

- الحسبة فى الاسلام ، دار الفكر ، بيروت لبنان (بدون)

- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية ، تحقيق بشر محمد عيون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمى اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، المملكة العربية السعودية ، (بدون) .

* الثعالبى : عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

- آداب الملوك ، تحقيق د. خليل العطية ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

- تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، تحقيق شاكر العاشور وزارة الأوقاف والشئون الدينية ، الجمهورية العراقية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- تحفة الوزراء - منسوب للثعالبى - تحقيق حبيب على الراوى ، ود. ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٧٧م .

- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة (بدون) .

- اللطف واللطائف ، تحقيق د. محمود عبد الله الجارد مكتبة دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* الجاحظ : عمرو بن بحر - أبو عثمان البصرى - (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)

- البيان والتبيين ، دار الفكر للجميع ١٩٦٨م .

- التاج فى أخلاق الملوك ، تحقيق أحمد زكى باشار ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .

- المحاسن والأضداد ، قدم له وراجعه د. عاصم عيتانى ، دار احياء العلوم ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

* الجصاص : أحمد بن على الرازى (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)

- شرح كتاب أدب القاضى للخصاف ، الناشر أسعد طرابزونى الحسينى ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

* ابن جماعة : محمد بن ابراهيم بن سعد الله (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- تحرير الأحكام فى تدبير أهل الاسلام ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* الجهشيارى : محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

* الجواليقى : موهوب بن أحمد بن محمد (ت٥٤٠هـ/١٠٧٣م)

- المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦١هـ .

* ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد - أبو الفرج - (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

- أخبار الحمقى والمغفلين ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى فى دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

- الأذكياء ، مكتبة الغزالى (بدون) .

- الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الجوهرى : اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/١٠٠٣م)

- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* ابـن حبـان : محـمد بـن حبـان البستى ـ أبو حاتم ـ (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)

ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد وآخرين ، دار الكتب العلمية (بدون) .

* ابـن حجـر : احمد بن على بن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)

ـ الاصابـة فـى تمييز الصحابـة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنـان (بدون) .

ـ تقـريب التهـذيب ، تحـقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت لبنـان (بدون) .

ـ رفـع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق د. حامد عبد المجيد مراجعة ابراهيم الابيارى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، الادارة العامـة للثقافـة ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٦١م .

* ابـن حجـه الحموى : أبو بكر بن على بن محمد بن حجه (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)

ـ ثمـرات الأوراق فـى المحاضرات ، هامش كتاب المستطرف فـى كل فن مستظرف للابشيهى ، طبعة دار احياء التراث العربى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

ـ الـذيل الأول لكتـاب المسـتطرف فـى كـل فـن مسـتظرف للابشيهى ، طبعة دار احياء التراث العربى ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م .

* ابن حمدون : محمد بن الحسن بن محمد (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)

ـ التذكـرة الحمدونيـة ، تحـقيق احسـان عبـاس ، معهد الانماء العربى ، بيروت ، لبنـان ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

* الحميرى : محمد بن عبد المنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)
- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق د. احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م .
* الخزاعى : على بن محمد الخزاعى التلمسانى (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م)
- تخريج الدلالات السمعية ، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* الخطيب الاسكافى : محمد بن عبد الله (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)
- لطف التدبير ، حققه أحمد عبد الباقى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
* الخطيب البغدادى : أحمد بن على (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
- تاريخ بغداد - أو مدينة السلام - صححه محمد سعيد العرفى ، دار الكتاب العربى ، بيروت لبنان (بدون) .
* الخفاجى الحلبى : عبد الله بن محمد بن سعيد (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)
- سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
- المقدمة - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* ابن خلكان : أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)
- وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د.احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، (بدون) .

* الخوارزمى : محمد بن أحمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)
- مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون) .
* ابن خياط : خليفة بن خياط بن العصفرى - شباب - (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* ابن الدايه : أحمد بن يوسف - الكاتب - (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م)
- المكافأة وحسن العقبى ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٨٥م .
* ابن دحيه : عمر بن الحسن بن على - ذو النسبين - (ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م)
- النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ، تصحيح عباس الغزاوى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .
* ابن دقماق : ابراهيم بن محمد بن ايدمر (ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)
- الجوهر الثمين فى سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق د. سعيد عاشور ، مراجع د. أحمد دراج ، (بدون) .
* الدينوررى : أحمد بن داود - أبو حنيفة - (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)
- الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠م .

* الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان ـ شمس الدين ـ (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)

ـ دول الاسلام ، تحقيق ، فهيم شلتوت ، ومصطفى ابراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م .

ـ سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ـ العبر فى خبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد زغلول دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الرازى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٨م)

ـ مختار الصحاح ، تصحيح سميرة خلف الموالى ، المركز العربى للثقافة والعلوم ، بيروت لبنان ، (بدون) .

* ابن رسول الغسانى : العباس بن على بن رسول ـ الملك الأفضل ـ (ت٧٧٨هـ/١٣٧٦م)

ـ نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* الزبيدى : محب الدين السيد محمد مرتضى الحسينى ـ أبو الفيض ـ (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م ، أيضا دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ـ نسخة مصورة .

* الزبيرى : المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)

- نسب قريش ، نشر وتعليق ا.ليفى بروفنسال ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثالثة (بدون) .

* الزمخشرى : جار الله محمود بن عمر الخوارزمى (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)

- أساس البلاغة ، دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت لبنان ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

* السخاوى : محمد بن عبد الرحمن - شمس الدين - (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م)

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دار الكتاب العربى ، بيروت لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)

- الطبقات الكبرى ، دار صادر بيروت ، (بدون) .

- الطبقات الكبرى - القسم المتمم لتابعى أهل المدينة ومن بعدهم - تحقيق د. زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

* ابن سلام : القاسم بن سلام - أبو عبيد - (ت٢٢٤هـ/ ٧٣٨م)

- الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

* السنامى : عمر بن محمد بن عوض (ت فى الربع الأول من القرن الثامن الهجرى)

- نصاب الاحتساب ، تحقيق د. مريزن سعيد عسيرى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

* السهمى : حمزة بن يوسف بن ابراهيم (ت٤٢٧هـ/١٠٣٥م)

- تاريخ جرجان ، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، عالم الكتب ، بيروت لبنان،اطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)

- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

* الشابشتى : على بن محمد (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)

- الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، مكتبة المثنى بغداد ، العراق ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

* الشهرستانى : محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)

- الملل والنحل ، تصحيح أحمد فهمى المحامى ، دار السرور ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م .

* الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)

- المنهج المسلوك فى سياسة الملوك ، تحقيق على عبد الله الموسى ، مكتبة المنار الأردن ، الزرقاء ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق د. السيد الباز العرينى ، دار الثقافة ، بيروت لبنان (بدون) .

* الصابى : هلال بن المحسن - أبو الحسين - (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)

- رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

* الصفدي : خليل بن ايبك - صلاح الدين - (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

- نكت الهميان في نكت العميان ، نشر أحمد زكي بك ، المطبعة الجمالية بمصر ، ١٣٢٩هـ/١٩١١م .

* الصولي : محمد بن يحيى - أبو بكر - (ت٣٣٦هـ/١٩٤٧م)

- أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، ومحمود شكري الألوسي (بدون) .

* ابن طباطبا : محمد بن علي - ابن الطقطقا - (ت٧٠٩هـ ١٣٠٩م)

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار بيروت ، بيروت لبنان (بدون) .

* الطبري : محمد بن جرير - أبو جعفر - (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

- تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة (بدون) .

* الطرابلسي : علي بن خليل الحنفي (ت٨٤٤هـ/١٤٤٠م)

- معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

* الطرطوشي : محمد بن الوليد بن محمد القرشي الأندلسي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)

- سراج الملوك ومنهاج الولاه والوزراء ، نشر انطوان افندي غندور ، المطبعة الوطنية بالاسكندرية ، ١٢٨٩هـ .

* ابن طيفور : أحمد بن طاهر - الكاتب - (ت٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

- كتاب بغداد ، تصحيح محمد زاهد الكوثرى ، مراجعة عزت الحسينى ، طبع سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

* الظاهرى : خليل بن شاهين - غرس الدين - (ت٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس راويس ، طبع بالمطبعة الجمهورية بباريس ١٨٩٤م .

* ابن ظفر المكى : محمد بن محمد بن محمد بن ظفر - حجة الدين - (ت٥٦٧هـ/١١٧١م)

- أنباء نجباء الأبناء ، تصحيح مصطفى القبانى (بدون) .

* ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ، تحقيق محمد مرسى الخولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون) .

* ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله - أبو القاسم - (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)

- فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، دار التعاون للطبع والنشر (بدون) .

* ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسى (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)

- العقد الفريد ، تصحيح أحمد أمين وآخرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م ، أيضا نسخة مصورة طبع دار الكتاب العربى ، لبنان بيروت .

* ابن العبرى : غريغوريوس الملطى بن اهرون – أبو الفرج – (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

– تاريخ مختصر الدول ، نشر انطوان صالحانى اليسوعى ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨م .

* ابن العمرانى : محمد بن على بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)

– الانباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق د. قاسم السامرائى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* ابن فارس : أحمد بن زكريا – أبو الحسين – (ت٣٩٥هـ/ ١٣٣١م)

– معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* أبو الفداء : اسماعيل بن على – عماد الدين – (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

– المختصر فى أخبار البشر – تاريخ أبى الفداء – دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون) .

* الفراهيدى : الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ/٧٨٦م)

– كتاب العين ، تحقيق د. مهدى المخزومى ، ود. ابراهيم السامرائى ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م .

* الفيروز ابادى : محمد بن يعقوب – مجد الدين – (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)

- القاموس المحيط ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* الفيومي : أحمد بن محمد بن على المقرى (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م)

- المصباح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م ، أيضا طبعة القاهرة ، ١٣٠٦هـ .

* ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)

- الامامة والسياسة - منسوب لابن قتيبمة ويعرف أيضا بتاريخ الخلفاء - تحقيق د. طه محمد الزيني ، دار المعرفة بيروت لبنان (بدون) .

- عيون الأخبار ، تصحيح أحمد زكي العدوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان (بدون) .

- المعارف ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة (بدون) .

* قدامة : قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد - الكاتب (ت نحو ٣٣٧هـ/نحو ٩٤٨م)

- الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق د. محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١م .

- المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، دراسة وتحقيق د. طلال جميل رفاعي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* القرماني : أحمد بن يوسف بن أحمد (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت لبنان (بدون) .

* القلعى : محمد بن على بن الحسن (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ، تحقيق ابراهيم مصطفى عجو ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* القلقشندى : أحمد بن عبد الله (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م)
- صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ/١٩١٣م .
- مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فرج ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، نسخة مصورة سنة ١٩٨٠م .
- نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
* القيروانى : ابراهيم بن على الحصرى (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م)
- زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة (بدون) .
* ابن قيم الجوزية : محمد بن أبى بكر الدمشقى (ت٧٥١هـ/١٣٥٠م)
- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية - أو الفراسة المرضية فى أحكام السياسة الشرعية - تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (بدون) .
* ابن الكازرونى : على بن محمد البغدادى (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)
- مختصر التاريخ ، حققه د. مصطفى جواد ، وسالم الآلوسى ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

* ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م .
* الكندى : محمد بن يوسف (ت نحو ٣٥٠هـ/٩٦١م)
- كتاب الولاه وكتاب القضاه ، تصحيح رفن كست ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (بدون) .
* الماوردى : على بن محمد بن حبيب البصرى (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر فى أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
- قوانين الوزارة ، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، ود. محمد سليمان داود ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- نصيحة الملوك ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* مجهول :
- العيون والحدائق فى أخبار الحقائق - أو مضمار الحقائق - نشر دى غيوى ، مكتبة المثنى ، بغداد العراق ، ١٨٦٩م .
* المسعودى : على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)
- التنبيه والاشراف ، دار صعب بيروت (بدون) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تدقيق يوسف سعد داغر ،

دار الأندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

* مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)

- تجارب الأمم ، نشر دى غيوى ، مكتبة المثنى بغداد ، ١٨٦٩م .

* المقريزى : أحمد بن على - تقى الدين - (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجى بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٥٥م .

- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م .

- اغاثة الأمة بكشف الغمة (بدون) .

* ابن مماتى : الأسعد بن مهذب بن مينا (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)

- قوانين الدواوين ، مطبعة دار الوطن ، مصر ، ١٢٩٩هـ

* ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى (ت٧١١هـ/١٣١١م)

- أخبار أبى نواس ، ملحق كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى - المجلد رقم ٢٥ - شرح عبد على مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

- لسان العرب ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ، ونديم مرعشلى ، دار لسان العرب ، بيروت لبنان (بدون) ، أيضا طبعة دار صادر بيروت (بدون) .

* ابن النديم : محمد بن اسحاق (ت٤٣٨هـ/١٠٤٧م)

- الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت لبنان (بدون) .

* النويرى : أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)
- نهاية الارب فى فنون الأدب ، دار الكتب ، القاهرة (بدون) .
* ابن هذيل : على بن عبد الرحمن بن هذيل (ت بعد ٧٦٣هـ/بعد ١٣٦١م)
- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
* وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م)
- أخبار القضاه ، عالم الكتب ، بيروت لبنان (بدون) .
* اليافعى : عبد الله بن أسعد بن على (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
* ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* يحيى بن عمر : يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسى (ت٢٨٩هـ/٩٠١م)
- أحكام السوق ، نشر الأستاذ محمد محمد مكى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٦م .
* اليعقوبى : أحمد بن اسحاق بن جعفر (ت بعد ٢٩٢هـ/ بعد ٩٠٥م)
- البلدان ، طبع ليدن مطابع بريل ، ١٨٩١م .
- تاريخ اليعقوبى ، دار صادر بيروت ، لبنان (بدون) .
- مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٦٢م .

* أبو يعلى الفراء : محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (ت٤٥٨هـ-١٠٦٥م)

- الأحكام السلطانية ، تصحيح محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)

- كتاب الخراج ، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح (بدون) .

خامسا : المراجع .

* الانبارى : د. عبد الرزاق على

- النظام القضائى فى بغداد فى العصر العباسى ١٤٥-٦٥٦هـ ، مطبعة النعمان ، النجف ، العراق ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

* امام : محمد أبو محمد

- نظم الحكم فى العصر العباسى الأول ١٣٢-٢٣٢هـ/ ٧٤٩-٨٤٦م ، رسالة ماجستير لم تطبع ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، اشراف د. ابراهيم نجيب محمد عوض ، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* أنيس : ابراهيم ، وآخرون

- المعجم الوسيط ، دار الفكر ، بيروت لبنان (بدون) .

* الباشا : د. حسن

- دراسات فى الحضارة الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٨م .

* بروكلمان : كارل

- تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٥م .

* بروفنسال : ا.ليفى

- ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

* البطاينة : د. محمد ضيف الله

- فى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، دار الفرقان ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، أيضا الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

* البنا : د. فرناس عبد الباسط

- التنظيم الادارى فى الدولة الاسلامية منهجا وتطبيقا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، مقال ضمن وقائع ندوة النظم الاسلامية ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، أبوظبى ١٨-٢٠ صفر ١٤٠٥هـ/١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤م . (الجزء الأول) .

* توفيق : د. جميل أحمد

- ادارة الأعمال ، مركز الكتب الثقافية ، بيروت لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* توفيق : د. حسن أحمد

- الادارة العامة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* الجميلي : د. رشيد عبد الله
- دراسات في تاريخ الخلافة العباسية - العصر العباسي الأول - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

* حسن : د. حسن ابراهيم ، ود. علي ابراهيم
- النظم الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (بدون) .

* حسنين : د. علي محمد
- رقابة الأمة على الحكام ، المكتب الاسلامي بيروت ، مكتبة الخاني الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* حسيني : مولوي . س.أ.ق
- الادارة العربية ، ترجمة د. ابراهيم العدوي ، مراجعة عبد العزيز عبد الحق ، نشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر ، أيضا المطبعة النموذجية الحلمية بمصر (بدون) .

* الحكيم : د. سعيد عبد المنعم
- الرقابة على أعمال الادارة في الشريعة الاسلامية والنظم المعاصرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٧٦م

* الحلو : ماجد راغب
- علم الادارة العامة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٧٣م .

* حماد : د. سامي زين العابدين
- أصول علم الادارة ، دار العلم ، جدة المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* الحميضي : د. عبد الرحمن ابراهيم

- القضاء ونظامه في الكتاب والسنة ، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

* خماش : نجدة

- الادارة في العصر الأموي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

* الدوري : د. عبد العزيز

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار الشروق ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية (بدون) .

- العصر العباسي الأول ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

* ربيع : د. منيب محمد

- ضمانات الحرية بين واقعية الاسلام وفلسفة الديمقراطية ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* الرفاعي : أنور

- النظم الاسلامية ، دار الفكر (بدون) .

* رفاعي : د. طلال جميل

- نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، لم تطبع ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة اشراف د. حسام الدين السامرائي ، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

* الرويش : د. ابراهيم
- التحليل الاداري ، دار النهضة العربية ، مصر ١٩٧٣م.
* الريس : د. محمد ضياء الدين
- الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، دار الأنصار بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٧م .
* الزركلي : خير الدين
- الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة السابعة ١٩٨٦م .
* الزهراني : د. ضيف الله يحيى
- موارد بيت المال في الدولة العباسية من سنة ١٣٢-٢١٨هـ/٧٤٩-٨٣٣م ، مكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
* زيدان : د. عبد الكريم
- نظام القضاء في الشريعة الاسلامية ، مطبعة العاني ، بغداد ، العراق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
* سالم : د. السيد عبد العزيز
- دراسات في تاريخ العرب - العصر العباسي الأول - مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر (بدون) .
* السامرائي : د. حسام الدين
- المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ٢٤٧-٣٣٤هـ/ ٨٦١-٩٤٥م ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .
* سرور : د. محمد جمال الدين
- الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربي بيروت ، الطبعة السادسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* الشباني : محمد عبد الله
ـ نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية ـ منذ صدر الاسلام الى سقوط الدولة العباسية ـ عالم الكتب ، القاهرة ، مصر (بدون) .
* شلبي : أبو زيد
ـ تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .
* الشماع : د. خليل محمد حسن (وآخرون)
ـ مبادىء ادارة الأعمال ، راجعه نعمة جواد الشكرجي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجمهورية العراقية (بدون) .
* الشنتناوي : أحمد وآخرون ـ لجنة الترجمة ـ
ـ دائرة المعارف الاسلامية ، أصدرها مجموعة من المستشرقين ، تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية ، طبعة دار المعرفة ، بيروت لبنان سنة ١٩٣٣م ، أيضا كتاب الشعب ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م .
* شيحا : د. ابراهيم عبد العزيز
ـ الادارة العامة ، دار الراتب الجامعية ، ١٩٨٣م .
* شير : السيد أدي
ـ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت لبنان ، سنة ١٩٠٨م .

* الصالح : د. صبحى
- النظم الاسلامية - نشأتها وتطورها - دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، الطبعة السادسة ١٩٨٢م .
* عبد الفتاح : د. محمد سعيد
- ادارة الأعمال ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧١م .
* عبد المنعم : د. حمدى
- ديوان المظالم نشأته وتطوره واختصاصاته مقارنا بالنظم القضائية الحديثة ، دار الشروق ، بيروت ، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
* عبد الوهاب : د. محمد طاهر
- الرقابة الادارية فى النظام الادارى الاسلامى ، مقال ضمن وقائع ندوة النظم الاسلامية ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، أبو ظبى ١٨-٢٠ صفر ١٤٠٥هـ/١١-١٣ نوفمبر ١٩٨٤م (الجزء الأول) .
* عساف : د. محمود
- أصول الادارة ، دار المطبوعات الجديدة ، الاسكندرية ١٩٨٢م .
* العلى : د. صالح أحمد
- بغداد مدينة السلام ، مطبوعات المجمع العلمى العراقى ، مطبعة المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٨٥م .
* على : محمد كرد
- الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

* عمر : د. فاروق
- الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، العراق الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

* غربال : محمد شفيق (وآخرون)
- الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* فرج : د. هولو جوده
- البرامكة سلبياتهم وايجابياتهم ، دار الفكر اللبناني ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

* قادری : د. عبد الله أحمد
- الكفاءة الادارية في السياسة الشرعية ، دار المجتمع جدة المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

* قدوره : د. زاهية
- الشعوبية واثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الاسلامية في العصر العباسي الأول ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* قلعه جي : أ.د. محمد رواس
- دراسة تحليلية لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته الشريفة ، دار النفائس ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

* الكتاني : عبد الحي عبد الكبير
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية (بدون) .

* الكردى : د. ابراهيم سليمان
- نظام الوزارة فى العصر العباسى الأول ، شركة كاظمة الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

* الكفراوى : د. عوف محمود
- الرقابة المالية فى الاسلام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، عام ١٩٨٣م .

* كمال : سليمان صالح
- امارة الحج فى العصر العباسى من سنة ١٣٢-٢٤٧هـ ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، لم تطبع ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، اشراف د. السيد محمد أبو العزم داود ، عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

* كونتز : هارولد ، وسيريل اودونل
- مبادىء الادارة ، تحليل للوظائف والمهمات الادارية ، ترجمة محمود فتحى عمر ، وموريس تابرى ، مراجعة على عبد المتعال ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ، نيويورك - مكتبة لبنان ، ١٩٦٧م .

* لاشين : د. محمود المرسى
- التنظيم المحاسبى للأموال العامة فى الدولة الاسلامية دار الكتاب اللبنانى ، بيروت لبنان ، ط/الأولى ١٩٧٧م .

* لسترنج : كى
- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

* متز : آدم

ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ـ أو عصر النهضة الاسلامية ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، القاهرة ، سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

* محمد : د. عبد الرحمن فهمى

ـ موسوعة النقود وعلم النميات ـ فجر السكة العربية ـ دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

ـ النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م .

* محمود : د. شفيق جاسر أحمد

ـ تاريخ القدس ، دار البشير ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

* مدكور : د. محمد سلام

ـ معالم الدولة الاسلامية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* المرصفاوى : المستشار جمال صادق

ـ نظام القضاء فى الاسلام ـ القسم الأول ـ ادارة الثقافة والنشر ، جامعة الامام محمد بن سعود ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

* مصطفى : د. شاكر

ـ دولة بنى العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

* معتوق : د. رشاد عباس

ـ نظام الحسبة فى العراق حتى عصر المأمون ـ نشأته وتطوره ـ دار البلاد ، جدة المملكة العربية السعودية ، نشر تهامة ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

* معلوف : لويس (وآخرون)
- المنجد في اللغة والاعلام ، دار الشروق ، بيروت لبنان ، الطبعة الحادية والعشرون ، ١٩٧٣م .
* المنجد : د. صلاح الدين
- المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
* منصور : علي علي
- نظم الحكم والادارة في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
* النبراوي : د. فتحية
- تاريخ النظم والحضارة الاسلامية ، الدار السعودية ، جدة المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
* الهرفي : د. سلامة محمد
- المخابرات في الدولة الاسلامية ، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
* وجدي : محمد فريد
- دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٧١م .
* اليوزبكي : د. توفيق سلطان
- الوزارة - نشأتها وتطورها في الدولة العباسية ١٣٢-٤٤٧هـ ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الصفحة

الفصل الثالث : طرق ووسائل الرقابة الادارية

الصفحة